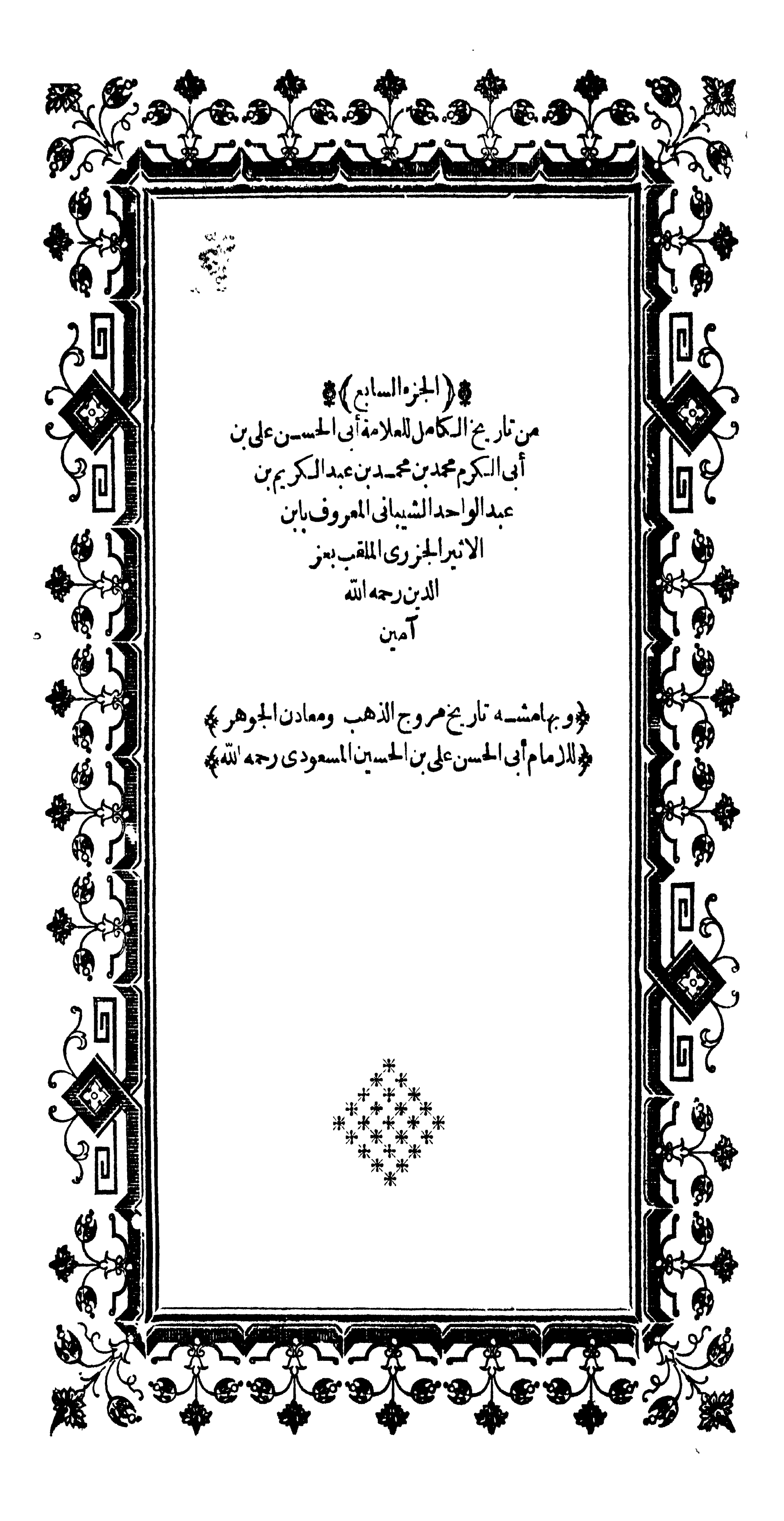

(الجزء السابع)
من تاريخ الكامل
للعلامة ابن الاثير
الجزري

(فهرسة الجزء السابع من تاريخ الكامل للعلامة ابن الاثير)

(فهرسة تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى الذى بهامش هذا الجزء)



﴿ الجزء السابع ﴾

من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن
أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه الله
آمين

﴿ وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر ﴾
﴿ للامام أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي رحمه الله ﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين

ذكر غزوات المسلمين في جزيرة صقلية

في هذه السنة سار الفضل بن جعفر الهمداني في البحر فنزل مرسى مسيني وبث السرايا فغنموا غنائم كثيرة واستأمن اليه أهل نابل وصاروا معه وقاتل الفضل مدة سنتين واشتد القتال فلم يقدر على أخذها فمضى طائفة من العسكر واستداروا خلف جبل مطل على المدينة فصعدوا اليه ونزلوا الى المدينة وأهل البلد مشغولون بقتال جعفر ومن معه فلما رأى أهل البلد أن المسلمين دخلوا عليهم من خلفهم انهزموا وفتح البلد وفيها فتحت مدينة مسكان وفي سنة تسع وعشرين ومائتين خرج أبو الاغلب العباس بن الفضل في سرية فبلغ شرة فقاتله أهلها قتالا شديدا فانهزمت الروم وقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف رجل واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ولم يكن بصقلية قبلها مثلها وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين حصر الفضل بن جعفر مدينة مسيني وأخبر الفضل ان أهل مسيني كاتبوا البطريق الذي بصقلية لينصرهم فأجابهم وقال لهم ان العلامة عند وصولي ان توقد النار ثلاث ليال على الجبل الفلاني فاذا رأيتم ذلك ففي اليوم الرابع أصل اليكم فنجتمع أنا وأنتم على المسلمين بغتة فارسل الفضل من أوقد النار على ذلك الجبل ثلاث ليال فلما رأى أهل مسيني النار أخذوا في أمرهم وأعد الفضل ما ينبغي ان يستعد به وكمن الكمناء وأمر الذين يحاصرون المدينة ان ينهزموا الى جهة الكمين فاذا خرج أهلها عليهم قاتلوهم فاذا جاوزوا الكمين عطفوا عليهم فلما كان اليوم الرابع خرج أهل مسيني وقاتلوا المسلمين وهم ينتظرون وصول البطريق فانهزم المسلمون واستجر الروم حتى جاوزوا الكمين ولم يبق بالبلد أحد الا خرج فلما جاوزوا الكمين عاد المسلمون عليهم وخرج الكمين من خلفهم ووضعوا فيهم السيف فلم ينج منهم الا القليل فسألوا الامان على أنفسهم وأموالهم ليسلموا المدينة وأجابهم المسلمون الى ذلك وأمنوهم فسلموا المدينة وفيها أقام المسلمون بمدينة طارنت من أرض

ذكر أيام عبد الملك بن مروان

وبويع عبد الملك بن مروان ليلة الاحد غرة شهر رمضان من سنة خمس وستين ثم بعث الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن الزبير ومن معه من الناس بمكة فقتل عبد الله يوم الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وكانت ولاية ابن الزبير تسع سنين وعشر ليال وسنذكر مدة ابن الزبير بعد هذا الموضع من هذا الكتاب عند ذكرنا الجامع لملك بني أمية ثم هاجت فتنة ابن الاشعث في شعبان من سنة اثنتين وثمانين ثم توفي عبد الملك ابن مروان بدمشق يوم السبت لاربع عشرة مضت من شوال سنة ست وثمانين وكانت ولايته من منذ بويع الى ان توفي احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا وبقي بعد عبد الله بن الزبير واجتماع من اجتمع عليه من الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر الا سبع ليال وسنذكر ما فعله من وقت استقامة من استقام له من الناس وقبض وهو ابن ست وستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكان يحب الشعر والفخر والتقريظ

انكبردة وسكنوها وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وصل عشر شلنديات من الروم فارسوا بمرسى الطين وخرجوا اليغير وافضلوا الطريق فرجعوا خائبين وركبوا البحر راجعين فغرق منها سبع قطع وفي سنة أربع وثلاثين صالح أهل رغوس رسلموا المدينة الى المسلمين بما فيها فهدمها المسلمون وأخذوا منها ما أمكن حمله وفي سنة خمس وثلاثين سار طائفة من المسلمين الى مدينة قصريانة فغنموا وسلبوا وأحرقوا وقتلوا في أهلها وكان الامير على صقلية للمسلمين محمد بن عبد الله بن الاغلب فتوفي في رجب من سنة ست وثلاثين ومائتين فكان مقيما بمدينة بلرم لم يخرج منها وانما كان يخرج الجيوش والسرايا فتفتح فتغنم فكانت امارته عليها تسع عشرة سنة والله سبحانه أعلم

(ذكر الحرب بين موسى بن موسى والحرث بن بزيغ)

في هذه السنة كانت حرب بين موسى عامل تطيلة وبين عسكر عبد الرحمن أمير الاندلس والمقدم عليهم الحرث بن بزيغ وسبب ذلك ان موسى بن موسى كان من أعيان قواد عبد الرحمن وهو العامل على مدينة تطيلة فجرى بينه وبين القواد تحاسد سنة سبع وعشرين وقد ذكرناه فعصى موسى بن موسى على عبد الرحمن فسير اليه جيشا واستعمل عليهم الحرث بن بزيغ والقواد فاقتتلوا عند برجة فقتل كثير من أصحاب موسى وقتل ابن عم له وعاد الحرث الى سرقسطة فسير موسى ابنه ألب بن موسى الى برجة فعاد الحرث اليها وحصرها فملكها وقتل ابن موسى وتقدم الى بيتة فطابه فحصر فصالحه موسى على ان يخرج عنها فانتقل موسى الى ارنيط وبقي الحرث بتطيلة أياما ثم سار الى ارنيط فحصر موسى بها فارسل موسى الى غرسية وهو من ملوك الاندلس بين المشركين واتفقا على الحرث واجتمعا وجعلا له كمائن في طريقه واتخذ له الخيل والرجال بموضع يقال له بلمسة
(٩) على نهر هناك فلما جاءه الحرث النهر خرج الكمناء عليه واحدقوا به وجرى معه قتال شديد وكانت وقعة عظيمة وأصابه ضربة في وجهه فلقت عينه ثم اسر في هذه الوقعة فلما سمع عبد الرحمن خبر هذه الوقعة عظم عليه فجهز عسكرا كبيرا واستعمل عليه ابنه محمدا وسيره الى موسى في شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائتين وتقدم محمد الى بنبلونة فاوقع عندها بجمع كثير من المشركين وقتل فيها غرسية وكثير من المشركين ثم عاد موسى الى الخلاف على عبد الرحمن فجهز جيشا كبيرا وسيرهم الى موسى فلما رأى ذلك طلب المسالمة فاجيب اليها وأعطى ابنه اسمعيل رهينة وولاه عبد الرحمن مدينة تطيلة فسار موسى اليها فوصلها وأخرج كل من يخافه واستقر فيها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أعطى الواثق اشناس تاجا ووشاحين * وفيها مات أبو تمام حبيب بن اوس الطائي الشاعر وفيها غلا السعر بطريق مكة فبلغ الخبز كل رطل بدرهم وراوية ماء بأربعين درهما وأصاب الناس في الموقف حر شديد ثم اصابهم مطر فيه برد واشتد البرد عليهم بعد ساعة من ذلك الحر وسقطت قطعة من الجبل عند جمرة العقبة فقتلت عدة من الحجاج وحج بالناس محمد بن داود وفيها توفي عبد الملك بن مالك بن عبد العزيز أبو نصر التمار الزاهد وكان عمره احدى وتسعين سنة وكان قد أضر ومحمد بن عبد الله بن عمر بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان العتبي الاموي البصري أبو عبد الرحمن وكان عالما بالاخبار والآداب وأبو سليمان داود الاشقر السمسار المحدث

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين)

في هذه السنة حبس الواثق الكتاب وألزمهم أموالا عظيمة وأخذ من أحمد بن اسرئيل ثمانين

والمدح وكان عماله على مثل مذهبه فالحجاج بالعراق والمهلب بخراسان وهشام بن اسمعيل بالمدينة وغيرهم بغيرها وكان الحجاج من أظلمهم واسفكهم للدماء وسنذكر في هذا الكتاب جوامع من ذكره فيما يلي هذا الباب

(ذكر جمل من افعاله وسيره ولمع مما كان في أيامه ونوادر من اخباره)

ولما افضى الامر الى عبد الملك بن مروان تاقت نفسه الى محادثة الرجال والاشراف في أخبار الناس فلم يجد من يصلح لمنادمته غير الشعبي فلما حمل اليه ونادمه قال له يا شعبي لا تساعدني على ما قبح ولا ترد على الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف اصبح الامير وكيف أمسى وكلمني بقدر ما أستطعمك واجعل بدل المدح لي صواب الاستماع مني واعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول واذا سمعتني أتحدث فلا يفوتنك منه شيء وأرني فهمك من طرفك وسمعك ولا

الف دينار بعد ان ضربه ومن سليمان بن وهب كاتب ايتاخ اربعمائة ألف دينار ومن الحسن بن وهب أربعة عشر الف دينار ومن ابراهيم بن رياح وكتابه مائة الف دينار ومن احمد بن الخصيب وكتابه ألف ألف دينار ومن نجاح ستين ألف دينار ومن أبى الوزير مائة ألف وأربعين ألف دينار وكان سبب ذلك انه جلس ليلة مع اصحابه فسألهم عن سبب نكبة البرامكة فحكى له عزون بن عبد العزيز الانصارى ان جارية لعدول الخياط اراد الرشيد شراءها فاشتراها بمائة ألف دينار وارسل الى يحيى بن خالد ان يعطيه ذلك فقال يحيى هذا مفتاح سوء اذا أخذ ثمن جارية بمائة ألف دينار فهو أحرى ان يطالب المال على قدر ذلك فارسل يحيى اليه انى لا اقدر على هذا المال فغضب الرشيد واعاد لا بد منها فارسل يحيى قيمتها دراهم فامر ان تجعل على طريق الرشيد ليستكثرها ففعل ذلك فاجتاز الرشيد بها فسأل عنها فقيل هذا ثمن الجارية فاستكثرها فامر برد الجارية وقال لخادم له اضمم اليك هذا المال واجعل لى بيت مال لاضم اليه ما أريد وسماه بيت مال العروس وأخذ فى التفتيش عن الاموال فوجد البرامكة قد فرطوا فيها وكان يحضر عنده مع سماره رجل يعرف بابى العود له ادب فامر ليلة له بثلاثين ألف درهم فمطله بها يحيى فاحتال ابو العود فى تحريض الرشيد على البرامكة وكان قد شاع تغير الرشيد عليهم فبينما هو ليلة عند الرشيد يحدثه وساق الحديث الى ان أنشده قول عمر بن أبى ربيعة

واستبدت مرة واحدة ۞ انما العاجز من لا يستبد

وعدت هند وما كانت تعد ۞ ليت هندا أنجزتنا ما تعد

فقال الرشيد اجل انما العاجز من لا يستبد وكان يحيى قد اتخذ من خدام الرشيد خادما يأتيه باخباره فعرفه ذلك فاحضر ابا العود واعطاه ثلاثين ألف درهم ومن عنده عشرين الف درهم وارسل الى ابنيه الفضل وجعفر فأعطاه كل واحد منهما عشرين الفا وجد الرشيد فى أمرهم حتى أخذهم فقال الواثق صدق والله جدى انما العاجز من لا يستبد واخذ فى ذكر الخيانة وما يستحق اهلها فلم يمض غير اسبوع حتى نكبهم وفيها ولى شير باسبان لايتاخ اليمن وسار اليها وفيها ولى محمد ابن صالح بن العباس المدينة وحج بالناس محمد بن داود وفيها توفى خلف بن هشام البزار المقرئ فى جمادى الاولى (البزار بالزاى المعجمة والراء المهملة)

۞ ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين ۞

۞ (ذكر مسير بغا الى الاعراب بالمدينة) ۞

وفى هذه السنة وجه الواثق بغا الكبير الى الاعراب الذين اغاروا بنواحى المدينة وكان سبب ذلك ان بنى سليم كانت تفسد حول المدينة بالشر ويأخذون مهما أرادوا من الاسواق بالحجاز بأى سعر ارادوا وزاد الامر بهم الى ان وقعوا بناس من بنى كنانة و باهلة فاصابوهم وقتلوا بعضهم فى جمادى الآخرة من سنة ثلاثين ومائتين فوجه محمد بن صالح عامل المدينة اليهم حماد بن جرير الطبرى وكان مسلحة لاهل المدينة فى مائتى فارس واضاف اليهم جندا غيرهم وتبعهم متطوعة فسار اليهم حماد فلقيهم بالرويثة فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت سودان المدينة بالناس وثبت حماد وأصحابه وقريش والانصار وقاتلوا قتالا عظيما فقتل حماد وعامة أصحابه وعدد صالح من قريش والانصار وأخذ بنو سليم الكراع والسلاح والثياب فطمعوا ونهبوا القرى والمناهل ما بين مكة والمدينة وانقطع الطريق فوجه اليهم الواثق بغا الكبير أبا موسى فى جمع من الجند فقدم المدينة فى شعبان فلقيهم ببعض مياه الحرة من وراء السوارقية قريتهم التى يأوون اليها وبها حصون

تجهد نفسك فى تطرية صوابى ولا تستدع بذلك الزيادة فى كلامى فان اسوأ الناس حالا من استكد الملوك بالباطل وان اسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم واعلم بان شيئا أقل من هذا يذهب بسالف الاحسان ويسقط حق الحرمة فان الصمت فى موضعه ربما كان ابلغ من المنطق فى موضعه وعند اصابته وفرصته وقال عبد الملك للشعبى يوما من أين مهب الريح قال لاعلم لى يا أمير المؤمنين قال عبد الملك اما مهب الشمال فمن مطلع بنات نعش وأما مهب الصبا فمن مطلع الشمس الى مطلع سهيل وأما الجنوب فمن مطلع سهيل الى مغرب الشمس واما الدبور فمن مغرب الشمس الى مطلع بنات نعش وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه ورأوا انهم قد اخطأوا خطأ كبيرا بدعاء الحسين اياهم ولم يجيبوه ولمقتله الى جانبهم فلم ينصروه ورأوا أنهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم الا قتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا الى

فقتل بغا منهم نحوا من خمسين رجلا وأسر مثلهم وانهزم الباقون وأقام بغا بالسوارقية ودعاهم الى الامان على حكم الواثق فأتوه متفرقين فجمعهم وترك من يعرف بالفساد وهم زهاء ألف رجل وخلى سبيل الباقين وعاد بالاسرى الى المدينة في ذي القعدة سنة ثلاثين فحبسهم ثم سار الى مكة فلما قضى حجه سار الى ذات عرق بعد انقضاء الموسم وعرض على بني هلال مثل الذي عرض على بني سليم فاقبلوا وأخذ من المفسدين نحوا من ثلاثمائة رجل وأطلق الباقين ورجع الى المدينة فحبسهم

﴿ ذكر وفاة عبد الله بن طاهر ﴾

وفيها مات عبد الله بن طاهر بنيسابور في ربيع الاول وهو أمير خراسان وكان اليه الحرب والشرطة والسواد والري وطبرستان وكرمان وخراسان وما يتصل بها وكان خراج هذه الاعمال يوم مات ثمانية وأربعين ألف ألف درهم وكان عمره ثمانيا وأربعين سنة وكذلك عمر والده طاهر واستعمل الواثق على أعماله كلها ابنه طاهر بن عبد الله

﴿ ذكر شيء من سيرة عبد الله بن طاهر ﴾

لما ولي عبد الله خراسان استناب بنيسابور محمد بن حميد الطاهري فبنى دارا وخرج بحائطها في الطريق فلما قدمها عبد الله جمع الناس وسألهم عن سيرة محمد فسكتوا فقال بعض الحاضرين سكوتهم يدل على سوء سيرته فعزله عنهم وأمره بهدم ما بنى في الطريق وكان يقول ينبغي ان يبذل العلم لاهله وغير أهله فان العلم أمنع لنفسه من ان يصير الى غير أهله وكان يقول سمن الكيس ونبل الذكر لا يجتمعان أبدا وكان له جلساء منهم الفضل بن محمد بن منصور فاستحضرهم يوما فحضروا وتأخر الفضل ثم حضر فقال له ابطأت عني فقال كان عندي أصحاب حوائج واردت دخول الحمام فامره عبد الله بدخول حمامه وأحضر عبد الله الرقاع التي في حقه فوقع فيها كلها بالاجابة وأعادها ولم يعلم الفضل وخرج من الحمام واشتغلوا يومهم وبكر أصحاب الرقاع اليه فاعتذر اليهم فقال بعضهم أريد رقعتي فاخرجها ونظر فيها فرأى خط عبد الله فيها فنظر في الجميع فرأى خطه فيها فقال لاصحابه خذوا رقاعكم فقد قضيت حاجاتكم واشكروا الامير دوني فما كان لي فيها سبب وكان عبد الله أديبا شاعرا فمن شعره

اسم من اهواه اسم حسن * فاذا صحفته فهو حسن
فاذا اسقطت منه فاءه * كان نعتا لهواه المختزن
فاذا اسقطت منه ياءه * صار فيه بعض اسباب الفتن
فاذا اسقطت منه راءه * صار شيأ يعتري عند الوسن
فاذا اسقطت منه ظاءه * صار منه عيش سكان المدن
فمراه هذا فلن يعرفه * غير من يسبح في بحر الفطن

وهذا الاسم هو اسم ظريف غلامه وكان من أكثر الناس بذلا للمال مع علم ومعرفة وتجربة وأكثر الشعراء في مراثيه فمن أحسن ما قيل فيه وفي ولاية ابنه طاهر قول أبي الغمر الطبري

فايامك الاعياد صارت مآتما * وساعاتك الغضبات صارت خواشما
على اننا لم نفتقدك بطاهر * وان كان خطبا يقلق القلب رائما
وما كنت الا الشمس غابت وأطلعت * على اثرها بدرا على الناس طالعا
وما كنت الا الطود زال مكانه * وأثبت في مثواه ركنا مداعما
فلولا التقى قلنا تناسخ تمامها * بديعي معان يفضلان البدائما

خمسة نفر منهم سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب ابن محمد الفزاري وعبد الله ابن سعد بن نفيل الازدي وعبد الله بن وال التميمي ورفاعة بن شداد البجلي فعسكروا بالنخيلة بعد أن كان لهم مع المختار ابن عبيد الثقفي خطب طويل بتثبيطه الناس عنهم ممن اراد الخروج معهم وفي ذلك يقول عبد الله بن الاحمر يحرض على الخروج والقتال من أبيات

صحوت وقد صحوا الصبي والعواديا
وقلت لاصحابي أجيبوا المناديا
وقولوا له اذ قام يدعو الى الهدى
وقبل الدعا لبيك لبيك داعيا

في شعر طويل يحث فيه على الخروج ويرثي الحسين ومن قتل معه ويلوم شيعته بتخلفهم عنه ويذكر أنهم قد تابوا الى الله وأنابوا اليه من الكبائر التي ارتكبوها اذ لم ينصروه ويقول أيضا في هذا الشعر

الا وانع خير الناس جدا ووالدا
حسينا لاهل الدين أن كنت ناعيا
ليبك حسينا مرمل ذو خصاصة
عديم وأمام تشكى المواليا

وهى طويلة

﴿ذكر خروج المشركين الى بلاد المسلمين بالاندلس﴾

فى هذه السنة خرج المجوس من أقاصى بلاد الاندلس فى البحر الى بلاد المسلمين وكان ظهورهم فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين عند اشبونة فأقاموا ثلاثة عشر يوما بينهم وبين المسلمين بها وقائع ثم ساروا الى قادس ثم الى شدونة فكان بينهم وبين المسلمين بها وقائع ثم ساروا الى اشبيلية ثامن المحرم فنزلوا على اثنى عشر فرسخا منها فخرج اليهم كثير من المسلمين فالتقوا فانهزم المسلمون ثانى عشر المحرم وقتل كثير منهم ثم نزلوا على ميلين من اشبيلية فخرج أهلها اليهم وقاتلوهم فانهزم المسلمون رابع عشر المحرم وكثر القتل والاسر فيهم ولم ترفع المجوس السيف عن أحد ولا عن دابة ودخلوا حاضر اشبيلية وأقاموا به يوما وليلة وعادوا الى مراكبهم وأقاموا عسكر عبد الرحمن صاحب البلاد مع عدة من القواد فتبادر اليهم المجوس فثبت المسلمون وقاتلوهم فقتل من المشركين سبعون رجلا وانهزموا حتى دخلوا مراكبهم وأحجم المسلمون عنهم فسمع عبد الرحمن فسير جيشا آخر غيرهم فقاتلوا المجوس قتالا شديدا فرجع المجوس عنهم فتبعهم العسكر ثانى ربيع الاول وقاتلوهم وأتاهم المدد من كل ناحية ونهضوا لقتال المجوس من كل جانب فخرج اليهم المجوس وقاتلوهم فكاد المسلمون ينهزمون ثم ثبتوا فترجل كثير منهم فانهزم المجوس وقتل نحو خمسمائة رجل وأخذوا منهم أربعة مراكب فأخذوا ما فيها وأحرقوها وبقوا أياما لا يصلون الى المجوس لانهم فى مراكبهم ثم خرج المجوس الى لبلة فأصابوا بها سبيا ثم نزل المجوس الى جزيرة قريب قوريس فنزلوها وقسموا ما كان معهم من الغنيمة فحمى المسلمون ودخلوا اليهم فى النهر فقتلوا من المجوس رجلين ثم رحل المجوس فطرقوا شدونة فغنموا أطعمة وسبيا وأقاموا يومين ثم وصلت مراكب لعبد الرحمن صاحب الاندلس الى اشبيلية فلما أحس بها المجوس لحقوا بلبلة فأغاروا وسبوا ثم لحقوا باكشونبة ثم مضوا الى باجة ثم انتقلوا الى مدينة اشبونة ثم ساروا فانقطع خبرهم عن البلاد فسكن الناس وقد ذكر بعض مؤرخى العرب سنة ست وأربعين خروج المجوس الى اشبيلية أيضا وهى شبيهة بهذه ثم لا أعلم أهى هذه وقد اختلفوا فى وقتها أم هى غيرها وما أقرب أن تكون هى هى وقد ذكرتها هنا لان فى كل واحدة منهما شيأ ليس فى الاخرى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة مات محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله كاتب الواقدى صاحب الطبقات ومحمد بن يزداد بن سويد المروزى كاتب المأمون وعلى بن الجعد أبو الحسن الجوهرى وكان عمره ستا وتسعين سنة وهو من مشايخ البخارى وكان يتشيع وفيها مات اشناس التركى بعد موت عبد الله ابن طاهر بتسعة أيام وحج هذه السنة اسحق بن ابراهيم بن مصعب واليه احداث الموسم وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود

﴿ثم دخلت سنة احدى وثلاثين ومائتين﴾

﴿ذكر ما فعله بغا بالاعراب﴾

فى هذه السنة قتل أهل المدينة من كان فى حبس بغا من بنى سليم وبنى هلال وكان سبب ذلك أن بغا لما حبس من أخذه من بنى سليم وبنى هلال بالمدينة وهم ألف وثلاثمائة وكان سار عن المدينة الى بنى مرة فنقبت الاسرى الحبس ليخرجوا فرأت امرأة النقب فصرخت بأهل المدينة فجاؤا فوجدوهم قد قتلوا الموكلين وأخذوا سلاحهم فاجتمع عليهم أهل المدينة ومنعوهم الخروج

قاضى حسبن للرماح دريئة
وغودر مسلوبا لدى الطف ثاويا
فيا ليتنى اذ ذاك كنت شهدته
فضاربت عنه الشانئين الاعاديا
سقى الله قبرا ضمن المجد والتقى
بغربية الطف الغمام الغواديا
فيا أمة تاهت وضلت سفاهة
انيبوا فأرضوا الواحد المتعاليا
ثم ساروا يقدمهم من سمينا من الرؤساء وعبيد الله بن الاحمر يقول
خرجن يلمعن بنا ارسالا
عوابسا تحملنا ابطالا
نريد أن نلقى بها الاقيالا
القاسطين الغدر الضلالا
وقد رفضنا الولد والاموالا
والخفرات البيض والحجالا
نرضى به ذا النعم المفضالا
فانتهوا الى قرقيسياء من شاطئ الفرات وبها زفر ابن الحارث الكلابى فاخرج اليهم الانزال وساروا من قرقيسياء ليسبقوا الى عين الوردة وقد كان عبيد الله بن زياد توجه من الشام الى حربهم فى ثلاثين الفا وانفصل

وبانوا

و باتوا حول الدار فقاتلوهم فلما كان الغد قتلهم أهل المدينة وقيل سودان المدينة كل من لقوه بها من الاعراب ممن يريد الميرة فلما قدم بغا وعلم بقتلهم شق ذلك عليه وقيل ان السجان كان قد ارتشى منهم ليفتح لهم الباب فعجلوا قبل ميعاده وكانوا يرتجزون

الموت خير للفتى من العار * قد أخذ البوّاب ألف دينار

وكان سبب غيبة بغا عنهم أن فزارة ومرة تغلبوا على فدك فلما قاربهم أرسل اليهم رجلا من قوّاده يعرض عليهم الامان ويأتيه فلما اتاهم الفزارى حذرهم سطوته فهربوا ودخلوا فدك وقصدوا الشام وأقام بغا بجيفا وهى قرية من حد عمل الشام مما يلى الحجاز نحوا من أربعين ليلة ثم رجع الى المدينة بمن ظفر به من بنى مرة وفزارة وفيها سار الى بغا من بطون غطفان وفزارة وأشجع وثعلبة جماعة وكان أرسل اليهم فلما أتوه استحلفهم الأيمان المؤكدة ان لا يتخلفوا عنه متى دعاهم فحلفوا ثم سار الى ضرية لطالب بنى كلاب فأتاه منهم نحو من ثلاثة آلاف رجل فحبس من أهل الفساد نحوا من ألف رجل وخلى سائرهم ثم قدم بهم المدينة فى شهر رمضان سنة احدى وثلاثين ومائتين فحبسهم ثم سار الى مكة فحج ثم رجع الى المدينة

﴿ذكر أحمد بن نصر بن مالك الخزاعى﴾

وفى هذه السنة تحرك ببغداد قوم مع أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعى وجده مالك أحد نقباء بنى العباس وقد تقدم ذكره وكان سبب هذه الحركة ان أحمد بن نصر كان يغشاه أصحاب الحديث كابن معين وابن الدورقى وأبى زهير وكان يخالف من يقول القرآن مخلوق ويطلق لسانه فيه مع غلظة بالواثق وكان يقول اذا ذكر الواثق فعل هذا الخنزير وقال هذا الكافر وفشا ذلك فكان يغشاه رجل يعرف بأبى هرون الشداخ وآخر يقال له طالب وغيرهما ودعوا الناس اليه فبايعوه على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفرق أبو هرون وطالب فى الناس مالا فأعطيا كل رجل دينارا واتعدوا ليلة الخميس لثلاث خلت من شعبان ليضربوا الطبل فيها ويثوروا على السلطان وكان أحدهما فى الجانب الشرقى من بغداد والآخر فى الجانب الغربى فاتفق ان ممن بايعهم رجلين من بنى الاشرس شربا نبيذ الليلة الاربعاء قبل الموعد بليلة فلما أخذ منهم ضربوا الطبل فلم يجبهم أحد وكان اسحق بن ابراهيم صاحب الشرطة غائبا عن بغداد وخليفته أخوه محمد بن ابراهيم فارسل اليهم محمد يسألهم عن قصتهم فلم يظهر أحد فدل على رجل يكون فى الحمام مصاب العين يعرف بعيسى الاعور فاحضره وقرره فأقر على بنى الاشرس وعلى أحمد بن نصر وغيرهما فأخذ بعض من سمى وفيهم طالب وأبو هرون ورأى فى منزل بنى الاشرس علمين أخضرين ثم أخذ خادما لاحمد بن نصر فقرره فاقر بمثل ما قال عيسى فارسل الى أحمد بن نصر فاخذه وهو فى الحمام وحمل اليه وفتش بيته فلم يوجد فيه سلاح ولا شئ من الآلات فسيرهم محمد بن ابراهيم الى الواثق مقيدين على أكف بغال ليس تحتهم وطاء الى سامرا فاعلم الواثق بوصولهم جلس لهم مجلسا عاما فيه أحمد بن أبى داود وكان كارها القتل أحمد بن نصر فلما حضر أحمد عند الواثق لم يذكر له شيأ من فعله والخروج عليه ولكنه قال له ماتقول فى القرآن قال كلام الله وكان أحمد قد استقتل فتطيب وتنور قال الواثق أمخلوق هو قال كلام الله قال فما تقول فى ربك أتراه يوم القيامة قال يا أمير المؤمنين قد جاءت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته فنحن على الخبر وحدثنى سفيان بحديث رفعه ان قلب ابن آدم المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه وكان

على مقدمته من الرقة خمسة أمراء منهم الحصين ابن نمير السلولى وشراحيل ابن ذى الكلاع الحميرى وادهم بن محرز الباهلى وربيعة بن المخارق الغنوى وجبلة بن عبد الله الخثعمى حتى اذا صاروا الى عين الوردة التقى الأقوام وقد كان قبل ذلك لهم مناوشات فى الطلائع فاستشهد سليمان بن صرد الخزاعى بعد أن قتل من القوم مقتلة عظيمة وابلى وحث وحرض ورماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله فاخذ الراية المسيب بن نجبة الفزارى وكان من وجوه اصحاب على رضى الله عنه وكرعلى القوم وهو يقول

قد علمت ميالة الذوائب
واضحة اللبات والترائب
أنى غداة الروع والمقانب
أشجع من ذى لبدة مواثب

فقاتل حتى قتل فاستقتل التوابون وكسروا أجفان السيوف وسالت عليهم عساكر أهل الشام كالليل ينادون الجنة الجنة الى التقية من أصحاب أبى تراب الجنة الجنة الى الترابية وأخذ راية التوابين عبد الله بن سعيد بن نفيل وأتاهم

النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يامقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك قال اسحق بن ابراهيم انظر ما يقول قال أنت أمرتني بذلك فخاف اسحق وقال أنا أمرتك قال نعم أمرتني ان أنصح له ونصيحتي له ان لا يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الواثق لمن حوله ما تقولون فيه فقال عبد الرحمن بن اسحق وكان قاضيا على الجانب الغربي وعزل يا أمير المؤمنين هو حلال الدم وقال بعض أصحاب ابن أبي دواد اسقني دمه وقال ابن أبي دواد هو كافر يستتاب لعل به عاهة ونقص عقل كأنه كره ان يقتل بسببه فقال الواثق اذا رأيتموني قد قمت اليه فلا يقومن أحد فاني أحتسب خطاي اليه ودعا بالصمصامة سيف عمرو بن معديكرب الزبيدي ومشى اليه وهو في وسط الدار على نطع فضربه على حبل عاتقه ثم ضربه أخرى على رأسه ثم ضرب سيما الدمشقي رقبته وحز رأسه وطعنه الواثق بطرف الصمصامة في بطنه وحمل حتى صلب عند بابك وحمل رأسه الى بغداد فنصب بها وأقيم عليه الحرس وكتب في أذنه رقعة هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر وتتبع أصحابه فجعلوا في الحبوس

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أراد الواثق الحج فوجه عمر بن فرج لاصلاح الطريق فرجع وأخبره بقلة الماء فبدا له وفيها ولي جعفر بن دينار اليمن فسار في شعبان وحج في طريقه وكان معه أربعة آلاف فارس وألف راجل وفيها نقب اللصوص بيت المال الذي في دار العامة وأخذوا اثنين وأربعين ألف درهم وشيأ يسيرا من الدنانير ثم تتبعوا وأخذوا بعد ذلك وفيها خرج محمد بن عبد الله الخارجي الثعلبي في ثلاثة عشر رجلا في ديار ربيعة فخرج اليه غانم بن أبي مسلم بن أحمد الطوسي وكان على حرب الموصل في مثل عدته فقتل من الخوارج أربعة وأخذ محمد بن عبد الله أسيرا فبعث به الى سامرا فحبس وفيها قدم وصيف التركي من ناحية أصبهان والجبال وفارس وكان قد سار في طلب الاكراد لانهم كانوا قد أفسدوا بهذه النواحي وقدم معه بنحو من خمسمائة نفس فيهم غلمان صغار فحبسوا وأجيز وصيف بخمسة وسبعين ألف دينار وقلد سيفا وفيها سار جيش للمسلمين الى بلاد المشركين فقصدوا اجليقية وقتلوا وأسروا وسبوا وغنموا ووصلوا الى مدينة ليون فحصروها ورموها بالمجانيق فخاف أهلها فتركوها بما فيها وخرجوا هاربين فغنم المسلمون منهم ما أرادوا وأخربوا الباقي ولم يقدروا على هدم سورها فتركوه ومضوا لان عرضه سبع عشرة ذراعا وقد ثلموا فيه ثلما كثيرة وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم واجتمع المسلمون فيها على نهر اللامس على مسيرة يوم من طرسوس واشترى الواثق من ببغداد وغيرها من الروم وعقد الواثق لاحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي على الثغور والعواصم وأمره بحضور الفداء هو وخاقان الخادم وأمرهما ان يمتحنا أسرى المسلمين فمن قال القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة فودي به وأعطي دينارا ومن لم يقل ذلك ترك في أيدي الروم فلما كان في عاشوراء سنة احدى وثلاثين اجتمع المسلمون ومن معهم من الاسرى على النهر وأتت الروم ومن معهم من الاسرى وكان النهر بين الطائفتين فكان المسلمون يطلقون الاسير فيطلقون الروم الاسير من المسلمين فيلتقيان في وسط النهر ويأتي كل أصحابه فاذا وصل الاسير الى المسلمين كبروا واذا وصل الاسير الى الروم صاحوا حتى فرغوا وكان عدة أسرى المسلمين أربعة آلاف وأربعمائة وستين نفسا والنساء والصبيان ثمانمائة وأهل ذمة المسلمين مائة نفس وكان النهر مخاضة تعبره الاسرى وقيل بل كان عليه جسر ولما فرغوا من الفداء غزا أحمد بن سعيد بن مسلم الباهلي شاتيا فأصاب الناس ثلج ومطر فمات منهم

مائتا

اخوانهم يحثون السير خلفهم من أهل البصرة وأهل المدائن في نحو من خمسمائة فارس عليهم المثنى بن مخربة وسعيد ابن حذيفة وهم يقولون اولنا ربنا تفريطنا فقد تبنا فقيل لعبد الله بن سعد بن نفيل وهو في القتال ان اخواننا قد لحقوا من البصرة والمدائن فقال ذلك لو جاؤا ونحن أحياء فكان أول من استشهد في ذلك الوقت ممن لحقهم من أهل المدائن كثير بن عمرو المدني وطعن سعيد ابن سعيد الحنفي وعبد الله ابن الخطل الطائي وقتل عبد الله بن سعد بن نفيل فلما علم من بقي من التوابين ان لا طاقة لهم بمن بازائهم من أهل الشام انحازوا عنهم وارتحلوا وعليهم رفاعة بن شداد البجلي وتأخر أبو الحويرث العبدي في جماعة الناس وطابت منهم أهل الشام المكافة والمتاركة لما رأوا من بأسهم وصبرهم مع قلتهم فلحق أهل الكوفة بمصرهم وأهل المدائن والبصرة ببلادهم وسمع التوابون في سيرهم ورجوعهم من عين الوردة قائلا يقول رافعا عقيرته

مائتا نفس وأسر نحوهم وغرق بالبدندون خلق كثير فوجد الواثق على احمد وكان قد جاء الى احمد بطريق من الروم ينذره فقال وجوه الناس لاحمد ان عسكرا فيه سبعة آلاف لا تخوف عليه فان كنت كذلك فواجه القوم واطرق بلادهم ففعل وغنم نحوا من ألف بقرة وعشرة آلاف شاة وخرج فعزله الواثق واستعمل مكانه نصر بن حمزة الخزاعى فى جمادى الاولى وفيها مات الحسن ابن الحسين بطبرستان وفيها كان بافريقية حرب بين احمد بن الاغلب وأخيه محمد بن الاغلب وكان مع احمد جماعة فهجموا على محمد فى قصره واغلق أصحاب محمد بن الاغلب الباب واقتتلوا ثم كفوا عن القتال واصطلحوا وعظم امر احمد ونقل الدواوين اليه ولم يبق لمحمد من الامارة الا اسمها ومعناها لاحمد أخيه فبقى كذلك الى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فاتفق مع محمد من بنى عمه ومواليه جماعة وقاتل أخاه احمد فظفر به ونفاه الى الشرق واستقام امر محمد بافريقية ومات أخوه احمد بالعراق وفيها مات أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابى الراوية فى شعبان وهو ابن ثمانين سنة وفيها ماتت ام أبيها بنت موسى بن جعفر اخت على الرضا رضى الله عنه وفيها مات مخارق المغنى وأبو نصر احمد بن حاتم راوية الاصمعى وعمرو بن أبى عمرو الشيبانى ومحمد بن سعدان النحوى الضرير توفى فى ذى الحجة وفيها توفى ابراهيم بن عرعرة وعاصم بن على بن عاصم بن صهيب الواسطى ومحمد بن سلام بن عبد الله الجمحى البصرى وكان عالما بالاخبار وأيام الناس (سلام بالتشديد) وعاصم بن عمرو بن على بن مقدم ابو بشر المقدمى وأبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى الفقيه صاحب الشافعى وكان قد حبس فى محنة الناس بخلق القرآن فلم يجب وكان من الصالحين وهرون بن معروف البغدادى وكان حافظا للحديث

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين﴾

﴿ذكر الحرب مع بنى نمير﴾

وفى هذه السنة سار بغا الكبير الى بنى نمير فأوقع بهم وكان سبب ذلك ان عمارة بن عقيل بن بلال ابن جرير الخطفى امتدح الواثق بقصيدة فدخل عليه وأنشده فأمر له بثلاثين ألف درهم فأخبر الواثق بافساد بنى نمير فى الارض واغارتهم على الناس وعلى اليمامة وما قرب منها وكتب الواثق الى بغا يأمره بحربهم وهو بالمدينة فسار نحو اليمامة فلقى من بنى نمير جماعة بالريف فحاربهم فقتل منهم نيفا وخمسين رجلا واسر أربعين رجلا ثم سار حتى نزل مراة وأرسل اليهم يدعوهم الى السمع والطاعة فامتنعوا وسار بعضهم الى نحو جبال السود وهى خلف اليمامة وبث بغا سراياه فيهم فاصابت منهم ثم سار بجماعة من معه وهم نحو من ألف رجل سوى من تخلف فى العسكر من الضعفاء والاتباع فلقيهم وقد جمعوا لهم وهم نحو من ثلاثة آلاف بموضع يقال له روضة الامان على مرحلة من اضاخ فهزموا مقدمته وكشفوا ميسرته وقتلوا من أصحابه نحوا من مائة رجل وعشرين رجلا وعقروا من ابل عسكره نحو سبعمائة بعير ومائة دابة وانتهبوا الاثقال وبعض الاموال ثم ادركهم الليل وجعل بغا يدعوهم الى الطاعة فلما طلع الصبح ورأوا قلة من مع بغا عبوا وجعلوا رجالتهم امامهم ونعمهم ومواشيهم وراءهم وحملوا على بغا فهزموه حتى بلغ معسكره وايقن من معه بالهلكة وكان بغا قد أرسل من اصحابه مائتى فارس الى طائفة منهم فبينا هو قد اشرف على العطب اذ وصل اصحابه اليه منصرفين من وجوههم فلما نظر بنو نمير رأوهم قد اقبلوا من خلفهم ولوا هاربين واسلموا رجالتهم وأموالهم فلم يفلت من الرجالة الا اليسير واما الفرسان فنجوا على خيلهم وقيل ان الهزيمة كانت على بغا من غدوة الى انتصاف النهار ثم

يا عين بكى ابن الصرد
بكى اذا الليل خمد
كان اذا الباس مكد
تخاله فيه أسد
مضى حميدا قد رشد
فى طاعة الاعلى الصمد

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من أصحاب التواريخ والسير من قتل من التوابين مع سليمان ابن صرد الخزاعى على عين الوردة وأسماءهم فقالهم وحكى أبو مخنف فى كتابه فى أخبار التوابين المترجم بعين الوردة قصيدة عزاها الى أعشى همدان طويلة يرثى بها أهل عين وردة من التوابين ويصف ما فعلوه منها

توجه من دون الثوية سائرا
الى ابن زياد فى الجموع الكتائب
فساروا وهم من بين ملتمس التقى
وآخر مما جر بالامس تائب
فلاقوا بعين الوردة الجيش فاصلا
عليهم فحيوهم ببيض قواضب
فجاءهم جمع من الشام بعده
جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى أبيدت جموعهم
ولم ينج منهم ثم غير عصائب

تشاغلوا بالنهب فرجع الى بغا من كان انهزم من أصحابه فرجع بهم فهزم بنى نمير وقتل فيهم من زوال الشمس الى آخر وقت العصر زهاء ألف وخمسمائه راجل وأقام بموضع الوقعة فارسل امراء العرب يطلبون الامان فامنهم فاتوه فقيدهم وأخذهم معه الى البصرة وكانت الوقعة فى جمادى الآخرة ثم قدم واجن الاشروسنى على بغا فى سبعمائة مقاتل مددا له فسيره بغا فى آثارهم حتى بلغ تبالة من أعمال اليمن ورجع وكان بغا قد كتب الى صالح أمير المدينة ليوافيه ببغداد بمن عنده من فزارة ومرة وثعلبة وكلاب ففعل فلقيه ببغداد فسارا جميعا وقدم بغا سامرا بمن بقى معه منهم سوى من هرب ومات وقتل فى الحروب فكانوا يزيدون على الفى رجل ومائتى رجل من نمير وكلاب ومرة وفزارة وثعلبة وطيئ

﴿ذكر موت أبى جعفر الواثق﴾

فى هذه السنة توفى الواثق بالله أبو جعفر هرون بن محمد المعتصم فى ذى الحجة لست بقين منه وكانت علته الاستسقاء وعولج بالاقعاد فى تنور مسخن فوجد لذلك خفة فأمرهم من الغد بالزيادة فى اسخانه ففعل ذلك وقعد فيه أكثر من اليوم الاول فحمى عليه فأخرج منه فى محفة وحضر عنده أحمد بن أبى دواد ومحمد بن عبد الملك الزيات وعمر بن فرج فمات فيها فلم يشعروا بموته حتى ضرب بوجهه المحفة فعلموا وقيل ان أحمد بن أبى دواد حضره عند موته وغمضه وقيل انه لما حضرته الوفاة جعل يردد هذين البيتين

الموت فيه جميع الناس مشترك * لا سوقة منهم تبقى ولا ملك
ماضر أهل قليل فى تفاقرهم * وليس يغنى عن الملاك ماملكوا

وأمر بالبسط فطويت وألصق خده بالارض وجعل يقول يامن لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه وقال أحمد بن محمد الواثقى كنت فيمن يمرض الواثق فلحقه غشية وأنا وجماعة من أصحابه قيام فقلنا لو عرفنا خبره فتقدمت اليه فلما صرت عند رأسه فتح عينيه فكدت أموت من خوفه فرجعت الى خلف وتعلقت قبيعة سيفى فى عتبة المجلس فاندقت وسلمت من جراحه ووقفت فى موقفى ثم ان الواثق مات وسجيناه وجاء الفراشون وأخذوا ما تحته فى المجلس ورفعوه لانه مكتوب عليهم واشتغلوا بأخذ البيعة وجلست على باب المجلس لحفظ الميت ورددت الباب فسمعت حسا ففتحت الباب واذا جرذ قد دخل من بستان هناك فاكل احدى عينى الواثق فقلت لا اله الا الله هذه العين التى فتحها من ساعة فاندق سيفى هيبة لها صارت طعمة لدابة ضعيفة وجاؤا فغسلوه فسألنى أحمد بن أبى دواد عن عينه فاخبرته بالقصة من أولها الى آخرها فعجب منها ولما مات صلى عليه أحمد وانزله فى قبره وقيل صلى عليه أخوه المتوكل ودفن بالهارونى بطريق مكة وكان مولده بطريق مكة وأمه أم ولد اسمها قراطيس ولما اشتد مرضه أحضر المنجمين منهم الحسن بن سهل فنظروا فى مولده فقدروا له ان يعيش خمسين سنة مستأنفة من ذلك اليوم فلم يعش بعد قولهم الا عشرة أيام ومات وكان أبيض مشربا بحمرة جميلا ربعة حسن الجسم قائم العين اليسرى فيها نكتة بياض وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة وقيل ستا وثلاثين سنة

﴿ذكر بعض سيرة الواثق بالله﴾

لما توفى المعتصم وجلس الواثق فى الخلافة أحسن الى الناس واشتمل على العلويين وبالغ فى أكرامهم والاحسان اليهم والتعهد لهم بالاموال وفرق فى أهل الحرمين أموالا لا تحصى حتى

وغودر أهل الصبر صرعى فاصبحوا
تعاورهم ريح الصبا والجنائب
وأضحى الخزاعى الرئيس مجدلا
كان لم يقاتل مرة ويحارب
ورأس بنى سعد وفارس قومه
جميعا مع التيمى هادى الكتائب
وعمرو بن عمرو وابن بشر وخالد
وبكر وزيد والحليس بن غالب
أبوا غير ضرب يفلق الهام ضربه
وطعن باطراف الاسنة صائب
فيا خير جيش للعراق وأهله
سقيتم روايا كل أسحم ساكب
فلا يبعدن فرساننا وحماتنا
اذا البيض أبدت عن خدام الكواعب
فان تقتلوا فالقتل أكرم ميتة
وكل فتى يوما لاحدى النوائب
وماقتلوا حتى أصابوا عصابة
محلين نورا كالليوث الضوارب

وقيل ان وقعة الوردة كانت فى سنة ست وستين وفى أيام عبد الملك بن مروان توفى الحارث الاعور صاحب على عليه السلام وهو الذى

نه لم يوجد في أيامه بالحرمين سائل ولما توفي الواثق كان أهل المدينة تخرج من نسائهم كل ليلة
الى البقيع فيبكين عليه و يندبنه ففعلوا ذلك بينهم مناوبة حزنا عليه لما كان يكثر من الاحسان
اليهم وأطلق في خلافته اعشار سفن البحر وكان مالا عظيما قال الحسين بن الضحاك شهدت
الواثق بعد ان مات المعتصم بأيام أول مجلس جلسه فغنته جارية ابراهيم بن المهدى

مادرى الحاملون يوم استقلوا * نعشه للثواء ام للبقاء
فليقل فيك باكياتك ماشئن صباحا وعند كل مساء

فبكى وبكينا معه حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه قال ثم تغنى بعضهم فقال

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

فازداد الواثق بكاء وقال ماسمعت كاليوم تعزية بأب وتعني نفس ثم تفرق أهل المجلس قال وقال
أحمد بن عبد الوهاب في الواثق

أبت دار الاحبة أن تبينا * أجدك مارأيت بها معينا
تقطع حسرة من حب ليلى * نفوس ماأثبن ولاجزينا

فصنعت فيه صوتا علم جارية صالح بن عبد الوهاب فغناه زرزر الكبير للواثق فسأله لمن هذا فقال
لعلم فاحضر صالحا وطلب منه شراءها فاهداها اليه فعوضه خمسة آلاف دينار فطله بها ابن الزيات
فاعادت الصوت فقال الواثق بارك الله عليك وعلى من رباك فقالت وماينفع من رباني أمرت له
بشئ فلم يصل اليه فكتب الى ابن الزيات يأمره بايصال المال اليه واضعفه له فدفع اليه عشرة
آلاف دينار وترك صالح عمل السلطان واتجر في المال وقال أبو عثمان المازني النحوي استحضرني
الواثق من البصرة فلما حضرت عنده قال من خلفت بالبصرة قلت اختا لي صغيرة قال فما قالت
المسكينة قلت ماقالت ابنة الاعشى

تقول ابنتي حين جد الرحيل * أرانا سواء ومن قد يتم
أبانا فلا رمت من عندنا * فانا بخير اذا لم ترم
ترانا اذا أضمرتك البلاد * نجفى وتقطع منا الرحم

قال فما رددت عليها قلت ماقال جرير لابنته

ثقي بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح

فضحك وأمر له بجائزة سنية

(ذكر خلافة المتوكل)

وفي هذه السنة بويع المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بعد موت الواثق وسبب خلافته انه
لما مات الواثق حضر الدار أحمد بن أبي دواد وايتاخ و وصيف وعمر بن فرج وابن الزيات وأبو
لوزير أحمد بن خالد وعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق وهو غلام أمرد قصير فالبسوه دراعة سوداء
وقلنسوة فاذا هو قصير فقال وصيف أما تتقون الله تولون هذا الخلافة فتناظروا فيمن تولونه فذكروا
عدة ثم أحضر المتوكل فلما حضر ألبسه أحمد بن أبي دواد الطويلة وعممه وقبل بين عينيه وقال
السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله و بركاته ثم غسل الواثق وصلى عليه ودفن وكان عمر
المتوكل يوم بويع ستا وعشرين سنة ووضع العطاء للجند ثمانية أشهر وأراد ابن الزيات أن يلقبه
المنتصر فقال أحمد بن أبي دواد قد رأيت لقبا أرجو ان يكون موافقا وهو المتوكل على الله فامر
بامضائه فكتب به الى الآفاق وقيل بل رأى المتوكل في منامه قبل أن يستخلف كان سكرا ينزل

دخل علي علي فقال يا أمير المؤمنين ألا ترى الى الناس قد اقبلوا على هذه الاحاديث وتركوا كتاب الله قال وقد فعلوها قال نعم قال أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ماكان قبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن اراد الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذي لاتزيغ عنه العقول ولا تلتبس به الالسن ولا تنقضي عجائبه ولا يعلم علم مثله هو الذي لما سمعته الجن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد من قال به صدق ومن زال عنه عدا ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم خذها اليك ياأعور (ولما كان) من وقعة عين الوردة ماقدمنا سار عبيد الله بن زياد في عساكر الشام نحو العراق فلما انتهى الى الموصل وذلك في سنة ست وستين النفى هو

عليه من السماء مكتوب عليه المتوكل على الله فقصها على أصحابه فقالوا هى والله الخلافة فبلغ ذلك الواثق فحبسه وضيق عليه وحج بالناس محمد بن داود

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أصاب الحجاج فى العود عطش عظيم فبلغت الشربة عدة دنانير ومات منهم خلق كثير وفيها غدر موسى بالاندلس وخالف على عبد الرحمن بن الحكم أمير الاندلس بعد ان كان قد وافقه واطاعه وسير اليه عبد الرحمن جيشا مع ابنه محمد وفيها كان بالاندلس مجاعة شديدة وقحط عظيم وكان ابتداؤه سنة اثنتين وثلاثين فهلك فيه خلق كثير من الآدميين والدواب ويبست الأشجار ولم يزرع الناس شيأ فخرج الناس هذه السنة يستسقون فسقوا وزرعوا وزال عن الناس القحط وفيها ولى ابراهيم بن محمد بن مصعب بلاد فارس وفيها غرق كثير من الموصل وهلك فيه خلق قيل كانوا نحو مائة ألف انسان وكان سبب ذلك ان المطر جاء بها عظيما لم يسمع بمثله بحيث ان بعض أهلها جعل سطلا عمقه ذراع فى سعة ذراع فامتلأ ثلاث دفعات فى نحو ساعة وزادت دجلة زيادة عظيمة فركب الماء الربض الاسفل وشاطئ نهر سوق الاربعاء فدخل كثيرا من الاسواق فقيل ان أمير الموصل وهو غانم بن حميد الطوسى كفن ثلاثين ألفا وبقى تحت الهدم خلق كثير لم يحملوا سوى من حمله الماء وفيها أمر الواثق بترك اعشار سفن البحر وفيها توفى الحكم بن موسى ومحمد بن عامر القرشى مصنف الصوائف وغيرها ويحيى بن يحيى الغسانى الدمشقى وقيل سنة ثلاث وثلاثين وقيل غير ذلك وابو الحسن على بن المغيرة الأثرم النحوى اللغوى اخذ العلم عن أبى عبيدة والاصمعى وفيها توفى عمرو الناقد

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين﴾

﴿ذكر قبض محمد بن عبد الملك الزيات﴾

وفى هذه السنة قبض المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات وحبسه لسبع خلون من صفر وكان سببه ان الواثق استوزر محمد بن عبد الملك وفوض الامور كلها اليه وكان الواثق قد غضب على أخيه جعفر المتوكل ووكل عليه من يحفظه ويأتيه بأخباره فأتى المتوكل الى محمد بن عبد الملك يسأله ان يكلم الواثق ليرضى عنه فوقف بين يديه لا يكلمه ثم أشار عليه بالقعود فقعد فلما فرغ من الكتب التى بين يديه التفت اليه كالمتهدد وقال ماجاء بك قال جئت اسأل أمير المؤمنين الرضاعنى فقال لمن حوله انظروا يغضب أخاه ثم يسألنى ان استرضيه له اذهب فاذا اصلحت رضى عنك فقام من عنده حزينا فاتى أحمد بن أبى دواد فقام اليه أحمد واستقبله على باب البيت وقبله وقال ماحاجتك جعلت فداك قال جئت لتسترضى امير المؤمنين لى قال افعل ونعمة عين وكرامة فكلم أحمد الواثق به فوعده ولم يرض عنه ثم كلمه فيه ثانية فرضى عنه وكساه ولما خرج المتوكل من عند ابن الزيات كتب الى الواثق ان جعفرا أتانى فى زى المخنثين له شعر بقفاه يسألنى ان اسأل أمير المؤمنين الرضا عنه فكتب اليه الواثق ابعث اليه فاحضره ومر من يجز شعر قفاه فيضرب به وجهه قال المتوكل لما أتانى رسوله لبست سوادا جديدا واتيته رجاء ان يكون قد اتاه الرضا عنى فاستدعى حجاما فاخذ شعرى على السواد الجديد ثم ضرب به وجهى فلما ولى الخلافة المتوكل أمهل حتى كان صفر فامر ايتاخ بأخذ ابن الزيات وتعذيبه فاستحضره فركب يظن ان الخليفة يستدعيه فلما حاذى منزل ايتاخ عدل به اليه فخاف فادخله حجرة ووكل عليه وأرسل الى منازله من أصحابه من هجم عليها وأخذ كل مافيها واستصفى امواله واملاكه فى جميع البلاد وكان شديد الجزع

وابراهيم بن الاشتر النخعى وابراهيم على خيل العراق من قبل المختار بالجارد فكانت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها ابن مرجانة عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع وابن حوشب ذى ظليم وعبد الله بن اياس السلمى أبو سدس وغالب الباهلى وأشراف أهل الشأم وذلك أن عمير بن الحباب السلمى كان على ميمنة ابن زياد فى ذلك الجيش وكان فى نفسه مافعل بقومه من مضر وغيرهم من نزار يوم مرج راهط فصاح بالشارات قيس يالمضر يالنزار فتراجمت نزار من مضر وربيعة على من كان معهم فى جيشهم من أهل الشأم من قحطان وقد كان عمير كاتب ابراهيم بن الاشتر سرا قبل ذلك والتقيا فتواطآ على ماذكرنا وحمل ابراهيم بن الاشتر رأس ابن زياد وغيره الى المختار فبعث به المختار الى عبد الله بن الزبير بمكة وقد كان عبد الملك بن مروان سار فى جيوش أهل الشأم فنزل بطنان ينتظر ما يكون من ابن زياد فاتاه خبر مقتله ومقتل من كان معه وهزيمة الجيش بالليل وأتاه فى تلك الليلة مقتل

كثيرا البكاء والفكر ثم سوهر وكان ينخس بمسلة لئلا ينام ثم ترك فنام يوما وليلة ثم جعل فى تنور
عمله هو وعذب به ابن اسباط المصرى وأخذ ماله فكان من خشب فيه مسامير من حديد
اطرافها الى داخل التنور وتمنع من يكون فيه من الحركة وكان ضيقا بحيث ان الانسان كان يمد
يديه الى فوق رأسه ليقدر على دخوله لضيقه ولا يقدر من يكون فيه يجلس فبقى أياما فمات وكان
حبسه لسبع خلون من صفر وموته لاحدى عشرة بقيت من ربيع الاول واختلف فى سبب
موته فقيل كما ذكرناه وقيل بل ضرب فمات وهو يضرب وقيل مات بغير ضرب وهو أصح فلما
مات حضره ابناه سليمان وعبيد الله وكانا محبوسين وطرح على الباب فى قميصه الذى حبس فيه
فقالا الحمد لله الذى أراح من هذا الفاسق وغسلاه على الباب ودفناه فقيل ان الكلاب نبشته
وأكلت لحمه قال وسمع قبل موته يقول لنفسه يا محمد لم تقنعك النعمة والدواب والدار النظيفة
والكسوة وأنت فى عافية حتى طلبت الوزارة ذق ما عملت بنفسك ثم سكت عن ذلك وكان لا يزيد
على التشهد وذكر الله عز وجل وكان ابن الزيات صديقا لابراهيم الصولى فلما ولى الوزارة صادره
بألف ألف وخمسمائة ألف درهم فقال الصولى

وكنت أخى باخى الزمان * فلما نبا صرت حربا عوانا
وكنت اذم اليك الزمان * فاصبحت منك اذم الزمانا
وكنت اعدك للنائبات * فها انا أطلب منك الامانا

وقال أيضا

اصبحت من رأى أبى جعفر * فى هيئة تنذر بالصيلم
من غير ما ذنب ولكنها * عداوة الزنديق للمسلم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة حبس عمر بن الفرج الرخجى وكان سبب ذلك ان المتوكل اتاه لما كان أخوه
الواثق ساخطا عليه ومعه صك ليختمه عمر له ليقبض أرزاقه من بيت المال فلقيه عمر بالخيبة
وأخذ صكه فرمى به الى صحن المسجد وكان حبسه فى شهر رمضان وأخذ ماله واثاث بيته وأصحابه ثم
صولح على أحد عشر ألف ألف على ان يرد عليه ما حيز من ضياع الاهواز حسب فكان قد ألبس
فى حبسه جبة صوف قال على بن الجهم يهجوه

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما * تيه الملوك وافعال الصعاليك
اردت شكرا بلا بر ومرزئة * لقد سلكت سبيلا غير مسلوك

وفيها غضب المتوكل على سليمان بن ابراهيم بن الجنيد النصرانى كاتب سمانة وضربه وأخذ
ماله وغضب أيضا على أبى الوزير وأخذ ماله ومال أخيه وكاتبه وفيها أيضا عزل الفضل بن مروان
عن ديوان الخراج وولاه يحيى بن خاقان الخراسانى مولى الازد وولى ابراهيم بن العباس بن محمد بن
صول ديوان زمام النفقات وفيها ولى المتوكل ابنه المنتصر الحرمين واليمن والطائف فى رمضان
وفيها فلج أحمد بن أبى دواد فى جمادى الآخرة وفيها وثب ميخائيل بن توفيل بامه تدوره فالزمها الدير
وقتل اللقط لانه كان اتهمها به فكان ملكها ست سنين وحج بالناس فى هذه السنة محمد بن داود
وفيها عزل محمد بن الاغلب أمير افريقية عامله على الزاب واسمه سالم بن غلبون فاقبل يريد
القيروان فلما صار بقلعة يلبسير أضمر الخلاف وسار الى الاندلس فمنعه أهلها من الدخول اليها
فسار الى باجة فدخلها واحتمى بها فسير اليه ابن الاغلب جيشا عليهم خفاجة بن سفيان فنزل عليه

جيش بن دلجة وكان على
جيش بالمدينة لحرب ابن
الزبير ثم جاءه خبر دخول
بابل بن قيس فلسطين من قبل
ابن الزبير ومسير مصعب
ابن الزبير من المدينة الى
فلسطين ثم جاءه مسير ملك
الروم لاوى بن فلقط ونزوله
المصيصة يريد الشأم ثم جاءه
خبر دمشق وأن عبيدها
وأوباشها ودعارها قد
خرجوا على أهلها ونزلوا
الجبل ثم اتاه أن من فى
السجن بدمشق فتحوا
السجن وخرجوا منه مكابرة
وأن خيل الاعراب
أغارت على حمص وبعلبك
والبقاع وغير ذلك مما نمى
اليه من المفظعات فى تلك
الليلة فلم ير عبد الملك فى ليلة
قبلها أشد ضحكا ولا أحسن
وجها ولا أبسط لسانا
ولا أثبت جنانا منه تلك
الليلة تجلدا وسياسة للملوك
فترك اظهار الفشل وبعث
بأموال وهدايا الى ملك
الروم فشغله وهادنه وسار
الى فلسطين وبها بابل بن
قيس على جيش ابن الزبير
فالتقوا باجنادين فقتل
بابل بن قيس وعامة أصحابه
وانهزم الباقون ونمى خبر
قتله وهزيمة الجيش الى
مصعب بن الزبير وهو فى
الطريق فولى راجعا الى
المدينة ففى ذلك يقول رجل

وقاتله فهرب سالم ليلا فاتبعه خفاجة فلحقه وقتله وحمل رأسه الى ابن الاغلب وكان ازهر بن سالم عند ابن الاغلب محبوسا فقتله وفيها توفي يحيى بن معين البغدادي بالمدينة وكان مولده سنة ثمان وخمسين ومائة وهو صاحب الجرح والتعديل ومحمد بن سماعة القاضي صاحب محمد بن الحسن وقد بلغ مائة سنة وهو صحيح الحواس

﴿ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين﴾

﴿ذكر هرب محمد بن البعيث﴾

في هذه السنة هرب محمد بن البعيث بن الحليس وكان سبب هربه انه جيء به أسيرا من اذربيجان الى سامرا وكان له رجل يخدمه يسمى خليفة وكان المتوكل مريضا فاخبر خليفة ابن البعيث ان المتوكل مات ولم يكن مات وانما أراد اطماع ابن البعيث في الهرب فوافقه على الهرب وأعد له دواب فهربا الى موضعه من اذربيجان وهو مرند وقيل كان له قلعة شاهي وقلعة يكدر وقيل ان ابن البعيث كان في حبس اسحق بن ابراهيم بن مصعب فتكلم فيه بغا الشرابي فأخذ منه الكفلاء نحوا من ثلاثين كفيلا منهم محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني فكان يتردد بسامرا فهرب الى مرند وجمع بها الطعام وهي مدينة حصينة وفيها عيون ماء ولها بساتين كثيرة داخل البلد وأتاه من أراد الفتنة من ربيعة وغيرهم فصار في نحو من الفين ومائتي رجل وكان الوالي باذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة فقصر في طلبه فولى المتوكل حمدويه بن علي بن الفضل السعدي اذربيجان وسيره على البريد وجمع الناس وسار الى ابن البعيث فحصره في مرند فلما طالت مدة الحصار بعث المتوكل زيرك التركي في مائتي فارس من الاتراك فلم يصنع شيأ فوجه اليه المتوكل عمر بن سيسيل بن كال في تسعمائة فارس فلم يغن شيأ فوجه بغا الشرابي في ألفي فارس وكان حمدويه وابن سيسيل وزيرك قد قطعوا من الشجر الذي حول مرند نحو مائة ألف شجرة ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ونصب ابن البعيث عليهم مثل ذلك فلم يقدروا على الدنو من سور المدينة فقتل من أصحاب المتوكل في حربه في ثمانية أشهر نحو من مائة رجل وجرح نحو أربعمائة وأصاب أصحابه مثل ذلك وكان حمدويه وعمر وزيرك يغادونه القتال ويراوحونه وكان أصحابه يتدلون بالحبال من السور معهم الرماح فيقاتلون فاذا حمل عليهم أصحاب الخليفة لجؤا الى السور وحموا نفوسهم فكانوا يفتحون الباب فيخرجون فيقاتلون ثم يرجعون ولما قرب بغا الشرابي من مرند بعث عيسى بن الشيخ بن الشليل ومعه أمان لوجوه أصحاب ابن البعيث ان ينزلوا وامان لابن البعيث ان ينزل على حكم المتوكل فنزل من أصحابه خلق كثير بالامان ثم فتحوا باب المدينة فدخل أصحاب المتوكل وخرج ابن البعيث هاربا فلحقه قوم من الجند فأخذوه أسيرا وانتهب الجند منزله ومنازل أصحابه وبعض منازل أهل المدينة ثم نودي بالامان وأخذوا لابن البعيث اختين وثلاث بنات وعدة من السراري ثم وافاهم بغا الشرابي من غد فامر فنودي بالمنع من النهب وكتب بالفتح لنفسه وأخذ ابن البعيث اليه

﴿ذكر ايتاخ وما صار اليه أمره﴾

كان ايتاخ غلاما خزريا طباخا لسلام الابرش فاشتراه منه المعتصم في سنة تسع وتسعين ومائة وكان فيه شجاعة فرفعه المعتصم والواثق وضم اليه أعمالا كثيرة منها المعونة بسامرا مع اسحق ابن ابراهيم وكان المعتصم اذا أراد قتل أحد فبيد ايتاخ يقتل وبيده يحبس فحبس منهم أولاد المأمون بن سندس وابن الزيات وصالح بن عجيف وغيرهم وكان مع المتوكل في مرتبته واليه

من كان من المروانية قتلناه باجناد بن سعد وبابلا

فصاصاء الا في خنيس ومنذر

ورجع عبد الملك الى دمشق فنزلها وسار ابراهيم بن الاشتر فنزل نصيبين وتحصن منه أهل الجزيرة ثم استخلف على نصيبين ولحق بالمختار بالكوفة وفي سنة سبع وستين سار مصعب بن الزبير من البصرة وقد كان أخوه عبد الله بن الزبير أنفذه الى العراق واليا فنزل حروراء والتقى هو والمختار فكانت بينهم حروب عظيمة وقتل زربيع وانهزم المختار وقد قتل محمد بن الاشعث وابنان له ودخل قصر الامارة بالكوفة وتحصن فيه وكان يخرج كل يوم لمحاربة مصعب وأصحابه وأهل الكوفة وغيرهم والمختار معه خلق كثير من الشيعة قد سموا الحسينية من الكيسانية وغيرهم فخرج اليهم ذات يوم وهو على بغلة له شهباء فحمل عليه رجل من بني حنيفة يقال له عبد الرحمن ابن أسد فقتله واحتز رأسه وتنادوا بقتله فقطعه أهل الكوفة وأصحاب مصعب أعضاء وأبى مصعب أن

الجيش والمغاربة والاتراك والاموال والبريد والحجابة ودار الخلافة فلما تمكن المتوكل من الخلافة شرب فعربد على ايتاخ فهم ايتاخ بقتله فلما اصبح المتوكل قيل له فاعتذر اليه وقال أنت أبى وأنت ربيتنى ثم وضع عليه من يحسن له الحج فاستأذن فيه المتوكل فاذن له وصيره أمير كل بلد يدخله وخلع عليه وسار العسكر جميعه بين يديه فلما فارق جعلت الحجابة الى وصيف فى ذى القعدة وقيل ان هذه القصة كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

﴿ ذكر الخلاف بافريقية ﴾

فى هذه السنة خرج عمرو بن سليم التجيبى المعروف بالقويع على محمد بن الاغلب أمير افريقية فسير اليه جيشا فحصروه بمدينة تونس هذه السنة فلم يبلغوا منه غرضا فعادوا عنه فلما دخلت سنة خمس وثلاثين سير اليه ابن الاغلب جيشا فالتقوا بالقرب من تونس ففارق جيش ابن الاغلب جمع كثير وقصدوا القويع فصاروا معه فانهزم جيش ابن الاغلب وقوى القويع فلما دخلت سنة ست وثلاثين سير محمد بن الاغلب اليه جيشا فاقتتلوا فانهزم القويع وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وأدرك القويع انسان فضرب عنقه ودخل جيش ابن الاغلب مدينة تونس بالسيف فى جمادى الاولى

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

حج بالناس هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وفيها توفى جعفر بن مبشر بن أحمد الثقفى المتكلم أحد المعتزلة البغداديين وله مقالة ينفرد بها وفيها توفى أبو خيثمة زهير بن حرب فى شعبان وكان حافظا للحديث وأبو أيوب سليمان بن داود بن بشر المقرى البصرى المعروف بالشاذكونى باصبهان وفيها توفى على بن عبد الله بن جعفر المعروف بابن المدينى الحافظ وقيل سنة خمس وثلاثين وهو امام ثقة وكان والده ضعيفا فى الحديث واسحق بن اسمعيل الطالقانى ويحيى بن أيوب المقابرى وأبو بكر بن أبى شيبة وأبو الربيع الزهرانى

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين ﴾

﴿ ذكر قتل ايتاخ ﴾

قد ذكرنا ما كان منه مع المتوكل وسبب حجه فلما عاد من مكة كتب المتوكل الى اسحق بن ابراهيم ببغداد يأمره بحبسه وأنفذ المتوكل كسوة وهدايا الى طريق ايتاخ فلما قرب ايتاخ من بغداد خرج اسحق بن ابراهيم الى لقائه وكان ايتاخ أراد المسير على الانبار الى سامرا فكتب اليه اسحق ان أمير المؤمنين قد أمر ان تدخل بغداد وأن يلقاك بنو هاشم ووجوه الناس وان تقعد لهم فى دار خزيمة بن خازم وتأمر لهم بالجوائز فجاء الى بغداد فلقيه اسحق بن ابراهيم فلما رآه اسحق أراد النزول له فحلف عليه ايتاخ أن لا يفعل وكان فى ثلثمائة من غلمانه وأصحابه فلما صار بباب دار خزيمة وقف اسحق وقال له أصلح الله الامير يدخل فدخل ايتاخ ووقف اسحق على الباب فمنع أصحابه من الدخول عليه ووكل بالابواب وأقام عليها الحرس فحين رأى ايتاخ ذلك قال قد فعلوها ولو لم يفعلوا ذلك ببغداد ما قدروا عليه وأخذوا معه ولديه منصورا ومظفرا وكاتبيه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد فحبسوا ببغداد أيضا وأرسل ايتاخ الى اسحق قد علمت ما أمرنى به المعتصم والواثق فى أمرك وكنت أدافع عنك فلينفعنى ذلك عندك فى ولدى فاما أنا فقد مر بى شدة ورخاء فما أبالى ما أكلت وما شربت وأما هذان الغلامان فلم يعرفا البؤس واجعل لهما طعاما يصلحهما ففعل اسحق ذلك وقيد ايتاخ وجعل فى عنقه ثمانون رطلا فمات فى جمادى الآخرة سنة خمس

يعطى الامان لمن بقى فى القصر من أصحابه فخاروا الى أن أضر بهم الجهد ثم أمنهم وقتلهم بعد ذلك فكان ممن قتل مع مصعب عبد الله بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنه وله خبر مع المختار فى تخلصه منه ومضيه الى البصرة وخوفه على نفسه من مصعب الى أن خرج معه فى جيشه وقد أتينا على خبره وسائر ما أومأنا اليه فى كتابنا أخبار الزمان فكان جملة من ادركه الاحصاء ممن قتله مصعب مع المختار سبعة آلاف رجل كل هؤلاء طالبوا بدم الحسين وقتلوا أعداءه فقتلهم مصعب وسماهم الحسينية وتتبع مصعب الشيعة بالقتل بالكوفة وغيرها وأتى بحرم المختار فدعاهن الى البراءة منه ففعلن الا حرمتين له احداهما بنت سمرة بن جندب الفزارى والثانية ابنة النعمان بن بشير الانصارى وقالتا كيف نتبرأ من رجل يقول ربى الله كان صائم نهاره قائم ليله قد بذل دمه لله ولرسوله فى طلب قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله وشيعته فامكنه الله منهم حتى شفى

وثلاثين ومائتين وأشهد اسحق جماعة من الاعيان انه لا ضرب به ولا أثر وقيل كان سبب موته انهم اطعموه ومنعوه الماء حتى مات عطشا وأما ولداه فانهما بقيا محبوسين حياة المتوكل فلما ولى المنتصر أخرجهما فاما مظفر فبقى بعد ان خرج من السجن ثلاثة أشهر ومات وأما منصور فعاش بعده

﴿ذكر أسر ابن البعيث وموته﴾

فى هذه السنة قدم بغا الشرابى بابن البعيث فى شوّال وبخليفته أبى الاغر وبأخويه صقر وخالد وكاتبه العلاء وجماعة من أصحابه فلما قربوا من سامرا حملوا على الجمال ليراهم الناس فلما أحضر ابن البعيث بين يدى المتوكل أمر بضرب عنقه فجاء السياف وسبه المتوكل وقال مادعاك الى ماصنعت قال الشقوة وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه وان لى فيك لظنين أسبقهما الى قلبى أولاهما بك وهو العفو ثم قال بلا فصل

أبى الناس الا انك اليوم قاتلى * امام الهدى والصفح بالمرء أجمل
وهل أنا الا جبلة من خطيئة * وعفوك من نور النبوّة مجمل
فانك خير السابقين الى العلا * ولا شك ان خير الفعالين يفعل

فقال المتوكل لبعض أصحابه ان عنده لادبا فقال بل يتفضل أمير المؤمنين ويمن عليه فامر برده فحبس مقيدا وقيل ان المعتز شفع فيه الى أبيه فاطلقه وكان ابن البعيث قد قال حين هرب

كم قد قضيت أمورا كان أهملها * غيرى وقد أخذ الافلاس بالكظم
لا تعذلينى فمالى ليس ينفعنى * اليك عنى جرى المقدار بالقلم
سأتلف المال فى عسر وفى يسر * ان الجواد الذى يعطى على العدم

ومات ابن البعيث بعد دخوله سامرا بشهر قيل كان قد جعل فى عنقه مائة رطل فلم يزل على وجهه حتى مات وجعل بنوه جليس وصقر والبعيث فى عدد الشاكرية مع عبيد الله بن يحيى بن خاقان

﴿ذكر البيعة لاولاد المتوكل بولاية العهد﴾

فى هذه السنة عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد وهم محمد ولقبه المنتصر بالله وأبو عبد الله محمد وقيل طلحة وقيل الزبير ولقبه المعتز بالله وابراهيم ولقبه المؤيد بالله وعقد لكل واحد منهم لواءين أحدهما أسود وهو لواء العهد والآخر أبيض وهو لواء العمل فاعطى كل واحد منهم ما نذكره فاما المنتصر فاقطعه افريقية والمغرب كله والعواصم وقنسرين والثغور جميعها الشامية والجزرية وديار مضر وديار ربيعة والموصل وهيت وعانة والانبار والخابور وكور باجرمى وكور دجلة وطساسيج السواد جميعها والحرمين واليمن وحضرموت واليمامة والبحرين والسند ومكران وقندابيل وفرج بيت الذهب وكور الاهواز والمستغلات بسامرا وماه الكوفة وماه البصرة وماسبذان ومهرجانقذق وشهرزور والصامغان وأصبهان وقم وقاشان والجبل جميعه وصدقات العرب بالبصرة * واما المعتز فاقطعه خراسان وما يضاف اليها وطبرستان والرى وأرمينية واذربيجان وكور فارس ثم أضاف اليه فى سنة أربعين خزن الاموال فى جميع الآفاق ودور الضرب وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم * وأما المؤيد فاقطعه جند حمص وجند دمشق وجند فلسطين

﴿ذكر ظهور رجل ادعى النبوّة﴾

وفيها ظهر بسامرا رجل يقال له محمود بن الفرج النيسابورى فزعم انه نبى وانه ذو القرنين وتبعه سبعة وعشرون رجلا وخرج من أصحابه ببغداد رجلان بباب العامة وآخران بالجانب الغربى فاتى به وبأصحابه المتوكل فامر به فضرب ضربا شديدا وحمل الى باب العامة فاكذب نفسه وأمر

النفوس فكتب مصعب الى أخيه عبد الله بخبرهما وماقالتاه فكتب اليه ان رجعتا عماهما عليه وتبرأتا منه والا فاقتلهما فعرضهما مصعب على السيف فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرأت منه وقالت لو دعوتنى الى الكفر مع السيف لكفرت اشهد أن المختار كافر وأبت ابنة النعمان بن بشير وقالت شهادة أرزقها فاتركها كلا انها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته والله لا يكون آتى مع ابن هند فأتبعه وأترك ابن أبى طالب اللهم اشهد أنى متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته ثم قدمها فقتلت صبرا ففى ذلك يقول الشاعر

ان من أعجب الاعاجيب عندى
قتل بيضاء حرة عطبول
قتلوها ظلما على غير جرم
ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر المهلب وقتله لنافع وذلك فى سنة خمس وستين ونافع هو الذى تنسب اليه الأزارقة من الخوارج اذ كنا أتينا فى كتابنا اخبار الزمان على

أصحابه ان يضربه كل رجل منهم عشر صفعات ففعلوا وأخذوا له مصحفا فيه كلام قد جمعه وذكر انه قرآن وان جبريل نزل به ثم مات من الضرب في ذي الحجة وحبس أصحابه وكان فيهم شيخ يزعم انه نبي وأن الوحي يأتيه

﴿ذكر ما كان بالاندلس من الحوادث﴾

وفي هذه السنة خرج عباس بن وليد المعروف بالطبلي بنواحي تدمير لمحاربة جمع اجتمعوا وقدموا على أنفسهم رجلا اسمه محمد بن عيسى بن سابق فوطئ عباس بلدهم وأوقع بهم وأصلحهم وعاد وفيها آثار أهل تاكرنا ومن يليهم من البربر فسار اليهم جيش عبد الرحمن صاحب الاندلس فقاتلهم وأوقع بهم وأعظم النكاية فيهم وفيها سير عبد الرحمن ابنه المنذر في جيش كثيف لغزو الروم فبلغوا البة وفيها كان سيل عظيم في رجب في بلاد الاندلس فخرب جسر استجة وخرب الارحاء وغرق نهر اشبيلية ست عشرة قرية وخرب نهر باجة ثمان عشرة قرية وصار عرضه ثلاثين ميلا وكان هذا حدثا عظيما وقع في جميع البلاد في شهر واحد وفيها هلك ردمير بن اذفونس في رجب وكانت ولايته ثمانية أعوام وفيها هلك أبو السول الشاعر سعيد بن يعمر بن على بسرقسطة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفي هذه السنة امر المتوكل أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية وشد الزنانير وركوب السروج بالركب الخشب وعمل كرتين في مؤخر السروج وعمل رقعتين على لباس مماليكهم مخالفتين لون الثوب كل واحدة منهما قدر أربع أصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الاخرى ومن خرج من نسائهم تلبس ازارا عسليا ومنعهم من لباس المناطق وأمر بهدم بيعهم المحدثة وبأخذ العشر من منازلهم وان يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب ونهى ان يستعان بهم في أعمال السلطان ولا يعلمهم مسلم وان يظهروا في شعانينهم صليبا وان يستعملوا في الطريق وأمر بتسوية قبورهم مع الارض وكتب في ذلك الى الآفاق وفيها توفي اسحق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبي وهو ابن أخي طاهر بن الحسين وكان صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ولما مرض أرسل اليه المتوكل ابنه المعتز مع جماعة من القواد يعودونه وجزع المتوكل لموته وفيها مات الحسن بن سهل كان شرب دواء فافرط عليه فحبس الطبع فمات وكان موته وموت اسحق بن ابراهيم في ذي الحجة في يوم واحد وقيل مات الحسن في سنة ست وثلاثين وفيها في ذي الحجة تغير ماء دجلة الى الصفرة ثلاثة أيام ففزع الناس ثم صار في لون ماء المدود وفيها أتى المتوكل بيحيى بن عمر بن يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابي طالب عليه السلام وكان قد جمع جمعا ببعض النواحي فأخذ وحبس وضرب وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود وفيها مات اسحق بن ابراهيم الموصلي صاحب الالحان والغناء وكان فيه علم وأدب وله شعر جيد وعبيد الله بن عمر بن ميسرة الجشمي القواريري في ذي الحجة واسمعيل بن علية ومنصور بن أبي مزاحم وسريج بن يونس أبو الحرث (سريج بالسين المهملة والجيم)

﴿ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين﴾

﴿ذكر مقتل محمد بن ابراهيم﴾

في هذه السنة قتل محمد بن ابراهيم بن مصعب أخو اسحق بن ابراهيم وكان سبب ذلك ان اسحق أرسل ولده محمد بن اسحق بن ابراهيم الى باب الخليفة ليكون نائبا عنه ببابه فلما مات اسحق عقد المعتز لابنه محمد بن اسحق على فارس وعقد له المنتصر على اليمامة والبحرين بطريق مكة في المحرم من

ذكر حروب الخوارج مع المهلب وغيره ممن سلف وخالف وذكرنا شأن مرداس بن عمرو بن بلال التميمي وعطية بن الاسود الحنفي وأبي فديك وسودة الشيباني ووقعة ابن الماجور الخارجي مع المهلب ومقتله وظفر المهلب بهم في ذلك اليوم وخبر عبد ربه وأخبار خوارج اليمن كأبي حمزة المختار بن عوف الازدي وبيهس الهيصمي مع ما تقدم من ذكرنا الفرق الخوارج في كتابنا المقالات في أصول الديانات من الاباضية وهم سراة عمان من الازد وغيرهم من الازارقة والنجدات والحمرية والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج وبلدانهم من الارض مثل بلاد سنجار وتل أعفر من بلاد ديار ربيعة والسن والبوازيج والحديثة مما يلي بلاد الموصل ثم من سكن من الاكراد بلاد اذربيجان وهم المعروفون بالشراة منهم وأسلم المعروف بابن سادلويه وقد كان ملك على أعمال ابن أبي الساج من بلاد اذربيجان وأران والبيلقان وارمينية ومن سكن منهم بلاد سجستان وجبال هراة وهشتانه وبوشنج من بلاد خراسان ومن بلاد مكران على ساحل البحر بين بلاد السند وكرمان وأكثرهم صفرية وحمرية ومنهم ببلاد حمران اصطخر وصاهد بين كرمان وفارس

هذه السنة وضم اليه المتوكل اعمال أبيه كلها وحمل الى المتوكل وأولاده من الجواهر التى كانت لابيه والاشياء النفيسة كثيرا وكان عمه محمد بن ابراهيم على فارس فلما بلغه ماصنع المتوكل وأولاده بابن أخيه ساءه ذلك وتنكر للخليفة ولابن أخيه فشكا محمد بن اسحق ذلك الى المتوكل فاطلقه الى عمه ليفعل به مايشاء فعزله عن فارس واستعمل مكانه ابن عمه الحسين بن اسمعيل بن ابراهيم بن مصعب وأمره بقتل عمه محمد بن ابراهيم فلما سار الحسين الى فارس أهدى الى عمه يوم النيروز هدايا وفيها حلواه فاكل محمد منها وادخله الحسين بيتا ووكل عليه فطلب الماء ليشرب فمنع منه فمات بعد يومين

﴿ ذكر مافعله المتوكل بمشهد الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ﴾

فى هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن على عليه السلام وهدم ماحوله من المنازل والدور وان يبذر ويسقى موضع قبره وان يمنع الناس من اتيانه فنادى بالناس فى تلك الناحية من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه فى المطبق فهرب الناس وتركوا زيارته وخرب وزرع وكان المتوكل شديد البغض لعلى بن أبى طالب عليه السلام ولاهل بيته وكان يقصد من يبلغه عنه انه يتولى عليا وأهله بأخذ المال والدم وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدى المتوكل والمغنون يغنون قد أقبل الاصلع البطين خليفة المسلمين يحكى بذلك عليا عليه السلام والمتوكل يشرب ويضحك ففعل ذلك يوما والمنتصر حاضر فاومأ الى عبادة يتهدده فسكت خوفا منه فقال المتوكل ماحالك فقام وأخبره فقال المنتصر ياأمير المؤمنين ان الذى يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك فكل أنت لحمه اذا شئت ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه فقال المتوكل للمغنين غنوا جميعا

غار الفتى لابن عمه * رأس الفتى فى حرامه

فكان هذا من الاسباب التى استحل بها المنتصر قتل المتوكل وقيل ان المتوكل كان يبغض من تقدمه من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق فى محبة على وأهل بيته وانما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض لعلى منهم على بن الجهم الشاعر الشامى من بنى شامة ابن لؤى وعمرو بن فرخ الرخجى وأبو السمط من ولد مروان بن أبى حفصة من موالى بنى أمية وعبد الله بن محمد بن داود الهاشمى المعروف بابن اترجة وكانوا يخوفونه من العلويين ويشيرون عليه بابعادهم والاعراض عنهم والاساءة اليهم ثم حسنوا له الوقيعة فى اسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم فى الدين ولم يبرحوا به حتى ظهر منه ما كان فغطت هذه السيئة جميع حسناته وكان من أحسن الناس سيرة ومنع الناس من القول بخلق القرآن الى غير ذلك من المحاسن

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة استكتب المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان وفيها حج المنتصر بالله وحج معه جدته أم المتوكل وفيها هلك أبو سعيد محمد بن يوسف المروزى فجأة وكان عقد له على أرمينية وأذربيجان فلبس أحد خفيه ومد الآخر ليلبسه فمات فولى المتوكل ابنه يوسف ما كان الى أبيه من الحرب وولاه خراج الناحية فسار اليها وضبطها وحج بالناس هذه السنة المنتصر وفيها خرج حبيبة البربرى بالاندلس بجبال الجزيرة واجتمع اليه جمع كثير فاغاروا واستطالوا فسار اليهم جيش من عبد الرحمن فقاتلهم فهزمهم فتفرقوا وفيها غزا جيش بالاندلس بلاد برشلونة فقتلوا من أهلها

ومنهم ببلاد تاهرت الغرب
أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فى سنة ثمان وستين وقيل فى سنة تسع وستين بالطائف وامه لبابة بنت الحرث بن حزن من ولد عامر بن صعصعة وله احدى وسبعون سنة وقيل انه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد ذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن عشر سنين وصلى عليه محمد بن الحنفية وكان قد ذهب بصره لبكائه على على والحسن والحسين وكانت له وفرة طويلة يخضب شيبه بالحناء وهو الذى يقول

ان يأخذ الله من عينى نورهما
فى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير مدخل
وفى فى صارم كالسيف مأثور

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم دعا له حين وضع له الماء للطهر فى بيت خالته ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقيل لابن عباس رضى الله عنه مامنع عليا رضى الله عنه أن يبعثك مكان أبى موسى يوم الحكمين فقال منعه من ذلك حائل القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثنى مكانه لاعترضت مدارج

فاكثروا وأسروا واجتاحوا غفيرا وغنموا وعادوا سالمين وفيها توفي هدبة بن خالد وسنان الابلي وابراهيم ابن محمد الشافعي وفيها توفي مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام أبو عبد الله المدني وكان عمره ثمانين سنة وهو عم زبير بن بكار وكان عالما فقيها الا انه كان منحرفا عن علي عليه السلام وفيها أيضا توفي منصور بن المهدي ومحمد بن اسحق بن محمد المخزومي المسيبي البغدادي وكان ثقة وفيها توفي جعفر بن حرب الهمداني أحد أئمة المعتزلة البغداديين وعمره تسع وخمسون سنة وأخذ الكلام عن ابن أبي الهذيل العلاف البصري

﴿ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين﴾

﴿ذكر وثوب أهل ارمينية بعاملهم﴾

في هذه السنة وثب أهل أرمينية بعاملهم يوسف بن محمد فقتلوه وكان سبب ذلك ان يوسف لما سار الى أرمينية خرج اليه بطريق يقال له بقراط بن أشوط ويقال له بطريق البطارقة يطلب الامان فاخذه يوسف وابنه نعمة فسيرهما الى باب الخليفة فاجتمع بطارقة ارمينية مع ابن أخي بقراط بن أشوط وتحالفوا على قتل يوسف ووافقهم على ذلك موسى بن زرارة وهو صهر بقراط على ابنته فأتى الخبر يوسف ونهاه أصحابه عن المقام بمكانه فلم يقبل فلما جاء الشتاء ونزل الثلج مكثوا حتى سكن الثلج ثم أتوه وهو بمدينة طرون فحصروه بها فخرج اليهم من المدينة فقاتلهم فقتلوه وكل من قاتل معه واما من لم يقاتل معه فقالوا له انزع ثيابك وانج بنفسك عريانا ففعلوا ومشوا حفاة عراة فهلك أكثرهم من البرد وسقطت أصابع كثير منهم ونجوا وكان ذلك في رمضان وكان يوسف قبل ذلك قد فرق أصحابه في رساتيق عمله فوجه الى كل طائفة منهم طائفة من البطارقة فقتلوهم في يوم واحد فلما بلغ المتوكل خبره وجه بغا الكبير اليهم طالبا بدم يوسف فسار اليهم على الموصل والجزيرة فبدأ بارزن وبها موسى بن زرارة وله اخوة اسمعيل وسليمان وأحمد وعيسى ومحمد وهرون فحمل بغا موسى بن زرارة الى المتوكل وأباح على قتلة يوسف فقتل منهم زهاء ثلاثين ألفا وسبى منهم خلقا كثيرا فباعهم فسار الى بلاد الباق فاسر واشوط بن حمزة أبا العباس صاحب الباق والباق من كورة البسفرجان ثم سار الى مدينة دبيل من أرمينية فاقام بها شهرا ثم سار الى تفليس فحصرها

﴿ذكر غضب المتوكل على ابن أبي دواد وولاية ابن أكثم القضاء﴾

وفيها غضب المتوكل على أحمد بن أبي دواد وقبض ضياعه واملاكه وحبس ابنه أبا الوليد وسائر أولاده فحمل أبو الوليد مائة ألف وعشرين ألف دينار وجواهر قيمتها عشرون ألف دينار ثم صولح بعد ذلك على ستة عشر ألف ألف درهم وأشهد عليهم جميعا ببيع أملاكهم وكان أبوهم أحمد بن أبي داود قد فلج واحضر المتوكل يحيى بن أكثم من بغداد الى سامرا ورضي عنه وولاه قضاء القضاة ثم ولاه المظالم فولى يحيى بن أكثم قضاء الشرقية حيان بن بشر وولى سوار بن عبد الله العنبري قضاء الجانب الغربي وكلاهما أعور فقال الجماز

رأيت من الكبائر قاضيين * هما احدوثة في الخافقين
هما اقتسما العمى نصفين قدرا * كما اقتسما قضاء الجانبين
وتحسب منهما من هز رأسا * لينظر في مواريث ودين
كأنك قد وضعت عليه دنا * فتحت بداله من فرد عين
هما فأل الزمان بهلك يحيى * اذا افتتح القضاء باعورين

﴿ذكر ولاية العباس بن الفضل صقلية وما فتح فيها﴾

نفسه ناقضا لما أبرم ومبرما لما نقض أسف اذا طار وأطير اذا أسف ولكن مضى قدر وبقي أسف ومع اليوم غد وللآخرة خبر للمتقين وكان لابن عباس من الولد علي وهو أبو الخلفاء من بني العباس والعباس ومحمد والفضل وعبد الرحمن وعبيد الله ولبابة وأمهم زرعة بنت مسرح الكندية فاما عبيد الله ومحمد والفضل فلا أعقاب لهم وفي سنة سبعين قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق وهو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف وكان ذا شهامة وفصاحة و بلاغة واقدام وكان بينه و بين عبد الملك محادثات ومكاتبات وخطب طويل طلبا للملك وكان فيما كتب اليه عبد الملك انك لتطمع نفسك بالخلافة ولست لها بأهل فكتب اليه عمرو استدراج النعم اياك أفادك البغي ورائحة الغدرة أورثتك الغفلة زجرت عما وافقت عليه وندبت الى ما تركت سبيله ولو كان ضعف الاسباب يؤيس المطالب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز وعن قريب يتبين من صريع بغي وأسير غفلة وقد كان عبد الملك سار الى زفر بن الحارث الكلابي وهو بقرقيسياء وبلاد الرحبة وخلف عمرو بن سعيد بدمشق فبلغه أن عمرا قد دعا الى نفسه بدمشق فكر راجعا اليها فامتنع عمرو بها فناشده عبد

فقد ذكرنا سنة ثمان وعشرين ومائتين أن محمد بن عبد الله أمير صقلية توفي سنة ست وثلاثين ومائتين فلما مات اجتمع المسلمون بها على ولاية العباس بن الفضل بن يعقوب فولوه أمرهم فكتبوا بذلك الى محمد بن الاغلب أمير افريقية فارسل اليه عهدا بولايته فكان العباس الى أن وصل عهده يغير ويرسل السرايا وتاتيه الغنائم فلما قدم اليه عهده بولايته خرج بنفسه وعلى مقدمته عمه رباح فارسل في سرية الى قلعة أبي ثور فغنم وأسر وعاد فقتل الاسرى وتوجه الى مدينة قصريانة فنهب وأحرق وخرب ليخرج اليه البطريق فلم يفعل فعاد العباس وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين خرج حتى بلغ قصريانة ومعه جمع عظيم فغنم وخرب وأتى قطانية وسرقوسة ونوطس ورغوس فغنم من جميع هذه البلاد وخرب وأحرق ونزل على بثيرة وحصرها خمسة أشهر فصالحه أهلها على خمسة آلاف رأس وفي سنة اثنتين وأربعين سار العباس في جيش كثيف ففتح حصونا جمة وفي سنة ثلاث وأربعين سار الى قصريانة فخرج أهلها فلقوه فهزمهم وقتل فيهم فأكثر وقصد سرقوسة وطبرمين وغيرهما فنهب وخرب وأحرق ونزل على القصر الحديد وحصره وضيق على من به من الروم فبذلوا له خمسة عشر ألف دينار فلم يقبل منهم وأطال الحصر فسلموا اليه الحصن على شرط ان يطلق مائتي نفس فأجابهم الى ذلك وملكه وباع كل من فيه سوى مائتي نفس وهدم الحصن

(ذكر فتح قصريانة)

في سنة أربع وأربعين ومائتين فتح المسلمون مدينة قصريانة وهي المدينة التي بها دار الملك بصقلية وكان الملك قبلها يسكن سرقوسة فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نقل دار الملك الى قصريانة لحصانتها وسبب فتحها ان العباس سار في جيوش المسلمين الى مدينة قصريانة وسرقوسة وسير جيشا في البحر فلقيهم أربعون شلندى للروم فاقتتلوا أشد قتال فانهزم الروم وأخذ منهم المسلمون عشر شلنديات برجالها وعاد العباس الى مدينته فلما كان الشتاء سير سرية فبلغت قصريانة فنهبوا وخربوا وعادوا ومعهم رجل كان له عند الروم قدر ومنزلة فامر العباس بقتله فقال استبقني ولك عندي نصيحة قال وما هي قال املكك قصريانة والطريق في ذلك ان القوم في هذا الشتاء وهذه الثلوج آمنون من قصدكم اليهم فهم غير محترسين ترسل معي طائفة من عسكركم حتى أدخلكم المدينة فانتخب العباس ألفي فارس انجاد أبطال وسار الى ان قاربها وكمن هنالك مستترا وسير عمه رباحا في شجعانهم فسار واستخفين في الليل والرومي معهم مقيد بين يدي رباح فاراهم الموضع الذي ينبغي أن يملك منه فنصبوا السلاليم وصعدوا الجبل ثم وصلوا الى سور المدينة قريبا من الصبح والحرس نيام فدخلوا من نحو باب صغير فيه يدخل منه الماء وتلقى فيه الاقذار فدخل المسلمون كلهم فوضعوا السيف في الروم وفتحوا الابواب وجاء العباس في باقي العسكر فدخلوا المدينة وصلوا الصبح يوم الخميس منتصف شوال وبنى فيها في الحال مسجدا ونصب فيه منبرا وخطب فيه يوم الجمعة وقتل من وجد فيها من المقاتلة وأخذوا ما فيها من بنات البطارقة بحليهن وأبناء الملوك وأصابوا فيها ما يعجز الوصف عنه وذل الشرك يومئذ بصقلية ذلا عظيما ولما سمع الروم بذلك أرسل ملكهم بطريقا من القسطنطينية في ثلثمائة شلندى وعسكر كثير فوصلوا الى سرقوسة فخرج اليهم العباس من المدينة ولقي الروم وقاتلهم فهزمهم فركبوا في مراكبهم هاربين وغنم المسلمون منهم مائة شلندى وكثر القتل فيهم ولم يصب من المسلمين ذلك اليوم غير ثلاثة نفر بالنشاب وفي سنة ست وأربعين ومائتين نكث كثير من قلاع صقلية وهي سطر وابلا وابلاطنو وقلعة عبد المؤمن وقلعة البلوط وقلعة أبي ثور وغيرها من القلاع فخرج العباس اليهم

الملك الرحيم وقال له لا تفسد أهل بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة وفيما صنعت قوة ارجع الى بيعتك فاني سأجعل لك العهد فرضي وصالح ودخل عبد الملك وعمرو متحيز منه في نحو خمسمائة يزولون معه حيث زال وقد تنازع أهل السير في كيفية قتل عبد الملك اياه فمنهم من رأى أن عبد الملك قال لحاجبه ويحك أتستطيع اذا دخل عمرو ان تغلق الباب قال نعم قال فافعل وكان عمرو رجلا عظيم الكبر لا يرى لاحد عليه فضلا ولا يلتفت وراءه اذا مشى الى أحد فلما فتح الحاجب الباب دخل عمرو فاغلق الحاجب الباب دون أصحابه ومضى عمرو لا يلتفت وهو يظن أن أصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون فعاتبه عبد الملك طويلا وقد كان وصى صاحب حرسه أبا الزعيزعة بان يضرب عنقه فكلمه عبد الملك وأغلظ له القول فقال يا عبد الملك أتستطيل علي كأنك ترى لك علي فضلا ان شئت والله نقضت العهد بيني وبينك ثم نصبت لك الحرب فقال عبد الملك قد شئت ذلك فقال وأنا قد فعلت فقال عبد الملك يا أبا الزعيزعة شأنك فالتفت عمرو الى أصحابه فلم يرهم في الدار فدنا من عبد الملك فقال ما يدنيك مني قال ليمسني رحمك وكانت أم عمرو عمة عبد الملك بنت الحكم بن أبي العاص

فلقيهم عساكر الروم فاقتتلوا فانهزم الروم وقتل منهم كثير وسار الى قلعة عبد المؤمن وقلعة ابلاطنوا فحصرها فأتاه الخبر بأن كثيرا من عساكر الروم قد وصلت فرحل اليهم فالتقوا بجفلودي وجرى بينهم قتال شديد فانهزمت الروم وعادوا الى سرقوسة وعاد العباس الى المدينة وعمر قصريانة وحصنها وشحنها بالعساكر وفي سنة سبع وأربعين ومائتين سار العباس الى سرقوسة فغنم وسار الى غيران قرقنة فاعتل ذلك اليوم ومات بعد ثلاثة أيام ثالث جمادى الآخرة فدفن هناك فنبشه الروم وأحرقوه وكانت ولايته احدى عشرة سنة وأدام الجهاد شتاء وصيفا وغزا أرض قلورية وانكبردة وأسكنها المسلمين

(ذكر ابتداء أمر يعقوب بن الليث)

وفيها تغلب انسان من أهل بست اسمه صالح بن النضر الكناني على سجستان ومعه يعقوب بن الليث فعاد طاهر بن عبد الله بن طاهر أمير خراسان واستنقذها من يده ثم ظهر بها انسان اسمه درهم بن الحسين من المتطوعة فتغلب عليها وكان غير ضابط لعسكره وكان يعقوب بن الليث هو قائد عسكره فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه أمرهم لما رأوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمورهم فلما تبين ذلك لدرهم لم ينازعه في الامر وسلمه اليه واعتزل عنه فاستبد يعقوب بالامر وضبط البلاد وقويت شوكته وقصدته العساكر من كل ناحية وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ولي عبيد الله بن اسحق بن ابراهيم بغداد ومعاون السواد وفيها قدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان في ربيع الاول فولي الجزية والشرطة وخلافة المتوكل ببغداد وأعمال السواد وأقام بها وفيها عزل أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي داود عن المظالم وولاها محمد بن يعقوب المعروف بابن الربيع وفيها أمر المتوكل بانزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي ودفعه الى أوليائه فحمل الى بغداد وضم رأسه الى بدنه وغسل وكفن ودفن واجتمع عليه من العامة ما لا يحصى يتمسحون به فكان المتوكل لما ولي نهى عن الجدال في القرآن وغيره وكتب الى الآفاق بذلك وغزا الصائفة في هذه السنة علي بن يحيى الارمني وحج بالناس فيها علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور وكان والي مكة وفيها قام رجل بالاندلس بناحية الثغور وادعى النبوة وتأول القرآن على غير تأويله فتبعه قوم من الغوغاء فكان من شرائعه انه كان ينهى عن قص الشعر وتقليم الاظفار فبعث اليه عامل ذلك البلد فأتى به وكان أول ما خاطبه به ان دعاه الى اتباعه فأمره العامل بالتوبة فامتنع فصلبه وفيها سار جيوش المسلمين الى بلاد المشركين فكانت بينهم وقعة عظيمة كان الظفر فيها للمسلمين وهي الوقعة المعروفة بوقعة البيضاء وهي مشهورة بالاندلس وفيها توفي العباس بن الوليد المديني بالبصرة وعبد الاعلى بن حماد النرسي وعبيد الله بن معاذ العنبري (النرسي بالنون والراء والسين المهملة)

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين)

(ذكر ما فعله بغا بتفليس)

قد ذكرنا مسير بغا الى تفليس ومحاصرتها وكان بغا لما سار اليها وجه زيرك التركي فجاز النهر الكر وهو نهر كبير ومدينة تفليس على حافته وصغد بيل على جانبه الشرقي فلما عبر النهر نزل بميدان تفليس ووجه بغا أيضا أبا العباس الوارثي النصراني الى أهل ارمينية عربها وعجمها

ابن وائل فضربه أبو الزعيزعة فقتله فقال له عبد الملك ارم برأسه الى أصحابه فلما رأوا رأسه تفرقوا ثم خرج عبد الملك فصعد المنبر وذكر عمرا فوقع فيه وذكر خلافه وشقاقه ونزل من المنبر وهو يقول

ادنيته مني لتسكن نفرة ... فاصول صولة حازم مستمكن
غضبا ومحماة لديني انه ... ليس المسيء سبيله كالمحسن

وقيل ان عمرا اخرج من منزله يريد عبد الملك فعثر بالبساط فقالت له امرأته نائلة بنت فريض بن وكيع ابن مسعود أنشدك الله أن لا تأتيه فقال دعيني عنك فوالله لو كنت نائما ما أيقظني وخرج وهو مكفر بالدرع فلما دخل على عبد الملك قام من هناك من بني أمية فقال عبد الملك وقد أخذت الابواب اني كنت حلفت لئن ملكتك لاشدنك في جامعة فاتي بجامعة فوضعها في عنقه وشدها عليه فأيقن عمرو أنه قاتله فقال أنشدك الله أمير المؤمنين فقال له عبد الملك يا أبا أمية ما لك جئت في الدرع للقتال فأيقن عمرو بالشر فقال أنشدك الله أن تخرجني الى الناس في الجامعة فقال له عبد الملك وتماكرني أيضا وأنا أمكر منك تريد أن أخرجك الى الناس فيمنعوك ويستنقذوك من يدي وخرج عبد الملك الى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز وقد كان قدم من مصر في ذلك اليوم بقتله اذا خرج وقد قيل أمر ابنه

فأتى تفليس ثم سار إلى باب المرفص فخرج إسحق بن إسمعيل مولى بني أمية من تفليس إلى زيرك فقاتله عند الميدان ووقف بغا على تل مشرف ينظر ما يصنع زيرك وأبو العباس فدعا بغا النفاطين فضربوا المدينة بالنار فأحرقوها وهي من خشب الصنوبر وأقبل إسحق بن إسمعيل إلى المدينة فرأى النار قد أحرقت قصره وجواريه وأحاطت به فأتاه الأتراك والمغاربة فأخذوه أسيرا وأخذوا ابنه عمرا فأتوا بهما بغا فأمر بإسحق فضربت عنقه وصلبت جثته على النهر الكر وكان شيخا محدورا ضخم الرأس أحول واحترق بالمدينة نحو خمسين ألف إنسان وأسروا من سلم من النار وسلبوا الموتى وأخذ أهل إسحق وما سلم من ماله بصغدبيل وهي مدينة حصينة حذاء تفليس بناها كسرى أنوشروان وحصنها إسحق وجعل أمواله فيها مع امرأته ابنة صاحب السرير ثم إن بغا وجه زيرك إلى قلعة الجرزمان وهي بين برذعة وتفليس في جماعة من جنده ففتحها وأخذ بطريقها أسيرا ثم سار بغا إلى عيسى بن يوسف وهو في قلعة كبيش في كورة البيلقان ففتحها وأخذه فحمله وحمل معه أبو العباس الوارثي واسمه سنباط بن أشوط وحمل معاوية بن سهل بن سنباط بطريق أران

﴿ذكر مسير الروم إلى ديار مصر﴾

في هذه السنة جاءت ثلثمائة مركب للروم مع ثلاثة رؤساء فأناخ أحدهم في مائة مركب بدمياط وبينها وبين الشط شبيه بالبحيرة يكون ماؤها إلى صدر الرجل فمن جازها إلى الأرض أمن من مراكب البحر فجازه قوم فسلموا وغرق كثير من نساء وصبيان ومن كان به قوة سار إلى مصر وكان على معونة مصر عنبسة بن إسحق الضبي فلما حضر العيد أمر الجند الذين بدمياط أن يحضروا مصر فساروا منها فاتفق وصول الروم وهي فارغة من الجند فنهبوا وأحرقوا وسبوا وأحرقوا جامعها وأخذوا ما بها من سلاح ومتاع وقند وغير ذلك وسبوا من النساء المسلمات والذميات نحو ستمائة امرأة وأوقروا سفنهم من ذلك وكان عنبسة قد حبس ابن الأكشف بدمياط فكسر قيده وخرج يقاتلهم وتبعه جماعة وقتل من الروم جماعة وسارت الروم إلى أشتوم تنيس وكان عليه سور وباب من حديد قد عمله المعتصم فنهبوا ما فيه من سلاح وأخذوا البابين ورجعوا ولم يعرض لهم أحد

﴿ذكر وفاة عبد الرحمن بن الحكم وولاية ابنه محمد﴾

وفيها توفي عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأموي صاحب الأندلس في ربيع الآخر وكان مولده سنة ست وسبعين ومائة وولايته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وكان أسمر طويلا أقنى أعين عظيم اللحية مخضبا بالحناء وخلف خمسة وأربعين ولدا ذكورا وكان أديبا شاعرا وهو معدود في جملة من عشق جواريه وكان يعشق جارية له اسمها طروب وشهر بها وكان عالما بعلوم الشريعة وغيرها من علوم الفلاسفة وغيرهم وكانت أيامه أيام عافية وسكون وكثرت الأموال عنده وكان بعيد الهمة واخترع قصورا ومنتزهات كثيرة وبنى الطرق وزاد في الجامع بقرطبة رواقين وتوفي قبل أن يستتم زخرفته وأتمه ابنه وبنى جوامع كثيرة بالأندلس ولما مات ملك ابنه محمد فجرى على سيرة والده في العدل وتمم بناء الجامع بقرطبة وأمه تسمى بهير وولد له مائة ولد كلهم ذكور وهو أول من أقام أبهة الملك بالأندلس ورتب رسوم المملكة وعلا عن التبذل للعامة فكان يشبه بالوليد بن عبد الملك في أبهة الملك وهو أول من أجلب الماء العذب إلى قرطبة وأدخله إليها وجعل بفضل الماء مصنعا كبيرا يرده الناس

عبد العزيز ناشده عمرو بالرحم فتركه فلما رجع عبد الملك من الصلاة الوليد بذلك فلما دنا منه ورآه حيا قال لعبد العزيز والله ما أردت قتله من أجلكم الآن لا يحوزها دونكم ثم أضجعه فقال له عمرو أغدرا يا ابن الزرقاء فذبحه ووافى أخو عمرو يحيى بن سعيد إلى الباب بمن معه من رجاله ليكسره فخرج إليه الوليد وموالي عبد الملك فاقتتلوا واختلف الوليد ويحيى فضربه يحيى بالسيف على أليته فانصرع وألقي رأس عمرو إلى الناس فلما رأوه تفرقوا من بعد أن ألقي عليهم من أعلى الدار بدر الدنانير فاشتغلوا بها عن القتال وقال عبد الملك وأبيك لئن كانوا قتلوا الوليد لقد أصابوا بثأرهم وقد كان الوليد فقد حين ضرب وذلك أن ابراهيم بن عدي احتمله فأدخله بيت القراطيس في المعمعة وأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد واجتمعت الكلمة على عبد الملك وانقاد الناس إليه وقد قيل في مقتله غير ما ذكرنا وقد أتينا على ذلك في كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا شعر أخته فيه وكانت تحت الوليد بن عبد الملك فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار المنصور إذ هو الموضع المستحق له دون هذا الموضع لما تغلغل بنا الكلام وتسلسل بنا القول نحوه وأقام عبد الملك بدمشق بقية سنة سبعين وقد كان

ذكر

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة سار المتوكل نحو المدائن فدخل بغداد وسار منها الى المدائن وغزا الصائفة على بن يحيى الارمنى وفيها مات اسحق بن ابراهيم الحنظلى المعروف بابن راهويه وكان اماما عالما وجرى له مع الشافعى مناظرة فى بيوت مكة وكان عمره سبعا وسبعين سنة ومحمد بن بكار المحدث

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين

فى هذه السنة أمر المتوكل أهل الذمة بلبس دراعتين عسليتين على الاقبية والدراريع وبالاقتصار فى مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين وفيها نفى المتوكل على بن الجهم الى خراسان وفيها أمر المتوكل بهدم البيع المحدثة فى الاسلام وفيها سير محمد بن عبد الرحمن جيشا مع أخيه الحكم الى قلعة رباح وكان أهل طليطلة قد خربوا سورها وقتلوا كثيرا من أهلها وأصلح الحكم سورها وأعاد من فارقها من أهلها اليها وأصلح حالها وتقدم الى طليطلة فأفسد فى نواحيها وشعثها وسير محمد أيضا جيشا آخر الى طليطلة فلما قاربوها خرجت عليهم الجنود من المكامن فانهزم العسكر وأصيب أكثر من فيه وفيها مات أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبى دواد القاضى ببغداد فى ذى الحجة وغزا الصائفة على بن يحيى الارمنى وفيها حج جعفر بن دينار على الاحداث بطريق مكة والموسم وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى وكان والى مكة وفيها اتفق الشعانين للنصارى ويوم النيروز وذلك يوم الاحد لعشرين ليلة خلت من ذى القعدة فزعمت النصارى انهما لم يجتمعا فى الاسلام قط وفيها توفى محمود بن غيلان المروزى أبو أحمد وهو من مشايخ البخارى ومسلم والترمذى

ثم دخلت سنة أربعين ومائتين

ذكر وثوب أهل حمص بعاملهم

فى هذه السنة وثب أهل حمص بعاملهم أبى المغيث موسى بن ابراهيم الرافعى وكان قتل رجلا من رؤسائهم فقتلوا جماعة من أصحابه وأخرجوه وأخرجوا عامل الخراج فبعث المتوكل اليهم عتاب ابن عتاب ومحمد بن عبدويه الانبارى وقال لعتاب قل لهم ان أمير المؤمنين قد بدلكم بعاملكم فان أطاعوا فول عليهم محمد بن عبدويه فان أبوا فأقم وأعلمنى حتى أمدك برجال وفرسان فساروا اليهم فوصلوا فى ربيع الآخر فرضوا بمحمد بن عبدويه فعمل فيهم الاعاجيب حتى أحوجهم الى محاربته على ما نذكره ان شاء الله تعالى

ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بالاندلس

وفى هذه السنة فى المحرم كان بين المسلمين والفرنج حرب شديدة بالاندلس وسبب ذلك ان أهل طليطلة كانوا على ما ذكرنا من الخلاف على محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس وعلى أبيه من قبله فلما كان الآن سار محمد فى جيوشه الى طليطلة فلما سمع أهلها بذلك أرسلوا الى ملك جليقية يستمدونه والى ملك بشكنس فأمداهم بالعساكر الكثيرة فلما سمع محمد بذلك وكان قد قارب طليطلة عبى أصحابه وقد كمن لهم الكمناء بناحية وادى سليط وتقدم اليهم وهو فى قلة من العسكر فلما رأى أهل طليطلة ذلك أعلموا الفرنج بقلة عددهم فسارعوا الى قتالهم وطمعوا فيهم فلما تراءى الجمعان وانتشب القتال خرجت الكمناء من كل جهة على المشركين وأهل طليطلة فقتل منهم ما لا يحصى وجمع من الرؤس ثمانية آلاف رأس فرقت فى البلاد وذكر أهل طليطلة ان عدة القتلى من الطائفتين عشرون ألف قتيل وبقيت جثث القتلى على وادى سليط دهرا طويلا

مصعب بن الزبير خرج حين صفا له العراق بعد قتل المختار وأصحابه حتى انتهى الى الموضع المعروف بباجميرا مما يلى الجزيرة يريد الشأم لحرب عبد الملك فبلغه مسير خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد من مكة الى البصرة فى ولده وعدة من مواليه ناكثا لبيعة عبد الله بن الزبير فنزل بعض نواحى البصرة وأن قوما قد انضافوا اليه من ربيعة ومنهم عبد الله بن الوليد ومالك بن مسمع البكرى وصفوان بن الايهم التميمى وصعصعة بن معاوية عم الاحنف فكانت لهم بالبصرة حروب كانت آخرا على خالد بن عبد الله فخرج هاربا بابنيه حتى لحقوا بعبد الملك وانصرف مصعب راجعا الى البصرة وذلك فى سنة احدى وسبعين ثم عاد من العراق الى باجميرا ففى ذلك يقول الشاعر

أبيت يا مصعب الا السيرا
فى كل يوم لك باجميرا

ونزل عبد الملك بن مروان على قرقيسيا فحاصر بها زفر بن الحرث العامرى الكلابى وكان يدعو الى ابن الزبير فنزل على امامته وبايعه وسار عبد الملك فنزل على نصيبين وفيها يزيد والحبيشى موليا الحرث فى الفى فارس ممن بقى من أصحاب المختار يدعوا الى امامة محمد بن الحنفية فحاصرهم فنزلوا على امامته وانضافوا الى جملته وخرج مصعب فى أهل العراق وذلك فى سنة اثنتين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عزل يحيى بن أكثم عن القضاء وقبض منه ما مبلغه خمسة وسبعون ألف دينار وأربعة آلاف جريب بالبصرة وفيها ولى جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن على قضاء القضاة وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود وكان على احداث الموسم جعفر بن دينار وفيها توفى القاضى أبو عبد الله أحمد بن أبى دواد فى المحرم بعد ابنه أبى الوليد بعشرين يوما وكان داعية الى القول بخلق القرآن وغيره من مذاهب المعتزلة وأخذ ذلك عن بشر المريسى وأخذ بشر من الجهم بن صفوان وأخذه جهم من الجعد بن أدهم وأخذه الجعد من أبان بن سمعان وأخذه أبان من طالوت بن أخت لبيد الاعصم وختنه وأخذه طالوت من لبيد بن الاعصم اليهودى الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم وكان لبيد يقول بخلق التوراة وأول من صنف فى ذلك طالوت وكان زنديقا فأفشى الزندقة وفيها توفى قتيبة بن سعيد بن جميد أبو رجاء الثقفى وله تسعون سنة وهو خراسانى من مشايخ البخارى ومسلم وأحمد بن حنبل وغيرهم من الائمة وتوفى أبو ثور ابراهيم بن خالد البغدادى الكلبى الفقيه وهو من أصحاب الشافعى وأبو عثمان محمد بن الشافعى وكان قاضى الجزيرة جميعها وروى عن أبيه وعن ابن عيينة وقيل مات بعد سنة أربعين وكان للشافعى ولد آخر اسمه محمد مات بمصر سنة احدى وثلاثين ومائتين

﴿ثم دخلت سنة احدى وأربعين ومائتين﴾

﴿ذكر وثوب أهل حمص بعاملهم﴾

فى هذه السنة وثب أهل حمص بعاملهم محمد بن عبدويه وأعانهم عليه قوم من نصارى حمص فكتب الى المتوكل بذلك فكتب اليه يأمره بمناهضتهم وأمده بجند من دمشق والرملة فظفر بهم فضرب منهم رجلين من رؤسائهم حتى ماتا وصلبهما على باب حمص وسير ثمانية رجال من أشرافهم الى المتوكل وظفر بعد ذلك بعشرة رجال من أعيانهم فضرب أعناقهم وأمره المتوكل باخراج النصارى منها وهدم كنائسهم وبادخال البيعة التى الى جانب الجامع الى الجامع ففعل ذلك

﴿ذكر الفداء بين المسلمين والروم﴾

وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم بعد ان قتلت تدورة ملكة الروم من أسرى المسلمين اثنى عشر ألفا فانها عرضت النصرانية على الاسرى فمن تنصر جعلته اسوة من قبله من المتنصرة ومن أبى قتلته وأرسلت تطلب المفاداة بمن بقى منهم فارسل المتوكل شنيفا الخادم على الفداء وطلب قاضى القضاة جعفر بن عبد الواحد ان يحضر الفداء ويستخلف على القضاء من يقوم مقامه فاذن له فحضره واستخلف على القضاء ابن أبى الشوارب وهو شاب ووقع الفداء على نهر اللامس فكان اسرى المسلمين من الرجال سبعمائة وخمسة وثمانين رجلا ومن النساء مائة وخمسا وعشرين امرأة وفيها جعل المتوكل كل كورة شمشاط عشرية وكانت خراجية

﴿ذكر غارات البجاة بمصر﴾

وفيها غارت البجاة على أرض مصر وكانت قبل ذلك لا تغزو بلاد الاسلام لهدنة قديمة وقد ذكرناها فيما مضى وفى بلادهم معادن يقاسمون المسلمين عليها ويؤدون الى عمال مصر نحو الخمس فلما كان أيام المتوكل امتنعت عن أداء ذلك فكتب صاحب البريد بمصر بخبرهم وانهم قتلوا عدة من المسلمين ممن يعمل فى المعادن فهرب المسلمون منها خوفا على أنفسهم فأنكر المتوكل ذلك فشاور فى أمرهم فذكر له انهم أهل بادية أصحاب ابل وماشية وان الوصول الى بلادهم

قرية من أرض العراق على شاطئ دجلة وعلى مقدمة عبد الملك الحجاج ابن يوسف بن أبى عقيل الثقفى وقيل على ساقته وقد جد أمره فى قيامه بما أهل له فكاتب عبد الملك رؤساء أهل العراق ممن هو بعسكر مصعب وغيرهم وصار يرغبهم ويرهبهم وكان فيمن كتب اليه ابراهيم بن الاشتر النخعى فلما أتاه كتابه مع الجاسوس اعتقله فى رحله وأتى مصعبا بالكتاب قبل أن يفضه ويعلم ما فيه فقال له مصعب أقرأته فقال اعوذ بالله أن أقرأه حتى يقرأه الامير وآتى يوم القيامة غادرا قد نقضت بيعته وخلعت طاعته فلما تأمل مصعب ما فيه وجده أمانا له وولاية لما شاء من العراق واقطاع غير ذلك ثم قال ابراهيم لمصعب هل أتاك أحد من أشراف العساكر بكتاب فقال مصعب لا فقال ابراهيم والله لقد كاتبهم وما كاتبنى حتى كاتب غيرى ولا امتنعوا من ايصالها اليك الا للرضا به والغدر بك فاطعنى وابدأ بهم فأمرهم على السيف أو استوثق منهم فى الحديد والق هذا الرجل فابى مصعب ذلك وتحيز ما كان فى عسكره من ربيعة لقتله ابن زياد بن ظبيان البكرى وكان من سادات ربيعة

صعب لانها مفاوز وبين أرض الاسلام وبينها مسيرة شهر فى أرض قفر وجبال وعرة وان كل من يدخلها من الجيوش يحتاج أن يتزود لمدة يتوهم أنه يقيمها الى أن يخرج الى بلاد الاسلام فان جاوز تلك المدة هلك وأخذتهم البجاة باليد وان أرضهم لا ترد على سلطان شيأ فامسك المتوكل عنهم فطمعوا وازداد شرهم حتى خاف أهل الصعيد على أنفسهم منهم فولى المتوكل محمد بن عبد الله القمى محاربتهم وولاه معونة تلك الكور وهى قفط والاقصر واسنا وأرمنت واسوان وأمره بمحاربة البجاة وكتب الى عنبسة بن اسحق الضبى عامل حرب مصر بازاحة علته واعطائه من الجند ما يحتاج اليه ففعل ذلك وسار محمد الى أرض البجاة وتبعه ممن يعمل فى المعادن والمتطوعة عالم كثير فبلغت عدتهم نحوا من عشرين ألفا بين فارس وراجل ووجه الى القلزم فحمل فى البحر سبعة مراكب موقورة بالدقيق والزيت والتمر والشعير والسويق وأمر أصحابه أن يوافوه بها فى ساحل البحر مما يلى بلاد البجاة وسار حتى جاوز المعادن التى يعمل فيها الذهب وسار الى حصونهم وقلاعهم وخرج اليه ملكهم واسمه على بابا فى جيش كثير أضعاف من مع القمى فكانت البجاة على الابل وهى أبل فره تشبه المهارى فتحاربوا أياما ولم يصدقهم على بابا القتال ليطول الايام وتفنى أزواد المسلمين وعلوفاتهم فيأخذهم بغير حرب فأقبلت تلك المراكب التى فيها الاقوات فى البحر ففرق القمى ما كان فيها فى أصحابه فاتسعوا فيها فلما رأى على بابا ذلك صدقهم القتال وجمع لهم فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وكانت ابلهم ذعرة تنفر من كل شئ فلما رأى القمى ذلك جمع من كل جرس فى عسكره وجعلها فى أعناق خيله ثم حملوا على البجاة فنفرت ابلهم لاصوات الاجراس فحملتهم على الجبال والاودية وتبعهم المسلمون قتلا وأسرا حتى أدركهم الليل وذلك أول سنة احدى وأربعين ومائتين ثم رجع الى معسكره ولم يقدر على احصاء القتلى لكثرتهم ثم ان ملكهم على بابا طلب الامان فأمنه على أن يرد مملكته وبلاده فأدى اليهم الخراج للمدة التى كان منعها وهى أربع سنين وسار مع القمى الى المتوكل واستخلف على مملكته ابنه فيعس فلما وصل الى المتوكل خلع عليه وعلى أصحابه وكسا جمله رحلا مليحا وجلال ديباج وولى المتوكل البجاة طريق مصر ما بين مصر ومكة سعدا الخادم الايتاخى فولى الايتاخى محمدا القمى فرجع اليها ومعه على بابا وهو على دينه وكان معه صنم من حجارة كهيئة الصبى يسجد له

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها مطر الناس بسامرا مطرا شديدا فى آب وقيل فيها انه أنهى الى المتوكل ان عيسى بن جعفر ابن محمد بن عاصم صاحب خان عاصم ببغداد يشتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة فكتب الى محمد بن عبد الله بن طاهر أن يضربه بالسياط فاذا مات رمى به فى دجلة ففعل ذلك وألقى فى دجلة وفيها وقع بها الصدام فنفقت الدواب والبقر وفيها أغارت الروم على عين زربة فأخذت من كان بها أسيرا من الزط مع نسائهم وذراريهم ودوابهم وفيها أكثر محمد صاحب الاندلس من الرجال بقلعة رباح وتلك النواحى ليقنوا على أهل طليطلة وسير الجيوش الى غزو الفرنج مع موسى فدخلوا بلادهم ووصلوا الى البة والقلاع وافتتحوا بعض حصونها وعادوا ومات فى هذه السنة يعقوب بن ابراهيم المعروف بقوصرة صاحب بريد مصر والغرب وحج بالناس عبد الله بن محمد بن داود وحج جعفر بن دينار وهو والى الطريق واحداث الموسم وفيها كثر انقضاض النجوم فكانت كثيرة لا تحصى فبقيت ليلة من العشاء الآخرة الى الصبح وفيها كانت بالرى زلزلة شديدة هدمت المساكن ومات تحتها خلق كثير لا يحصون وبقيت تتردد فيها أربعين يوما وفيها اخرجت ربع من

وزعماء بكر بن وائل وسار ابراهيم بن الاشتر على مقدمة مصعب فى عشرة الخيل فلقى خيل عبد الملك ومقدمته عليها أخوه محمد بن مروان وبلغ عبد الملك ورود ابراهيم ومنازلته محمدا أخاه فبعث الى محمد عزمت عليك أن لا تقاتل فى هذا اليوم وقد كان مع عبد الملك منجم مقدم وقد أشار على عبد الملك أن لا تحارب له خيل فى ذلك اليوم فانه منحوس ولكن حربه بعد ثلاث فانه ينصر فبعث اليه محمد وأنا أعزم على نفسى لاقاتلن ولا ألتفت الى زخارف منجمك والمحالات من الكذب فقال عبد الملك للمنجم ولمن حضر ألا ترون ثم رفع طرفه الى السماء وقال اللهم ان مصعبا أصبح يدعو الى أخيه وأصبحت ادعو لنفسى اللهم فانصر خيرنا للامة محمد صلى الله عليه وسلم فالتقى محمد بن مروان وابن الاشتر ومحمد يرتجز ويقول

مثلى على مثلك أولى بالسلب
محمل الرجلين أعرب الذنب

فاقتتلوا حتى غشيهم المساء فقال عتاب بن ورقاء التميمى وكان مع ابن الاشتر يا ابراهيم ان الناس قد جهدوا فمرهم بالانصراف حسدا له لاشرافه على الفتح فقال ابراهيم وكيف ينصرفون وعدوهم بازائهم فقال عتاب فمر الميمنة ان تنصرف فابى ابراهيم ذلك فمضى اليهم عتاب فامرهم بالانصراف فلما زالوا

بلاد الترك فقتلت خلقا كثيرا وكان يصيبهم بردها فيزكون فبلغت سرخس ونيسابور وهمدان والرى فانتهت الى حلوان وفيها توفى الامام أحمد بن حنبل الشيبانى الفقيه المحدث فى شهر ربيع الاول

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين﴾

فى هذه السنة كانت زلازل هائلة بقومس ورساتيقها فى شعبان فتهدمت الدور وهلك تحت الهدم بشر كثير قيل كانت عدتهم خمسة وأربعين ألفا وستة وتسعين نفسا وكان أكثر ذلك بالدامغان وكان بالشام وفارس وخراسان فى هذه السنة زلازل وأصوات منكرة وكان باليمن مثل ذلك مع خسف وفيها خرجت الروم من ناحية سميساط بعد خروج على بن يحيى الارمنى من الصائفة حتى قاربوا آمد وخرجوا من الثغور الجزرية فانتهبوا وأسروا نحوا من عشرة آلاف وكان دخولهم من ناحية أرين قرية قريباس ثم رجعوا الى قريباس وعمر بن عبد الله الاقطع وقوم من المتطوعة فى آثارهم فلم يلحقوهم فكتب المتوكل الى على بن يحيى الارمنى أن يسير الى بلادهم شاتيا وفيها قتل المتوكل رجلا عطارا وكان نصرانيا فأسلم فمكث مسلما سنين كثيرة ثم ارتد واستتيب فأبى الرجوع الى الاسلام فقتل وأحرق وفيها سير محمد بن عبد الرحمن بالاندلس جيشا الى بلد المشركين فدخلوا الى برشلونة وحارب قلاعها وجازها الى ما وراءه أعمالها فغنموا كثيرا وافتتحوا حصنا من أعمال برشلونة يسمى طراجة وهو من آخر حصون برشلونة وفيها مات أبو العباس محمد بن الاغلب أمير افريقية عاشر المحرم كان عمره ستا وثلاثين سنة وولى بعده ابنه أبو ابراهيم أحمد بن الاغلب وقد ذكرنا ذلك سنة ست وعشرين ومائتين وفيها مات أبو حسان الزيادى قاضى الشرقية ومات الحسن بن على بن الجعد قاضى مدينة المنصور وحج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام وهو على مكة وحج جعفر بن دينار على الطريق واحداث الموسم وتوفى القاضى يحيى بن أكثم التميمى بالربذة عائدا من الحج ومحمد بن مقاتل الرازى وأبو حصين يحيى ابن سليم الرازى المحدث

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين﴾

وفى هذه السنة سار المتوكل الى دمشق فى ذى القعدة على طريق الموصل فضحى ببلد فقال يزيد ابن محمد المهلبى

أظن الشام تشمت بالعراق * اذا عزم الامام على انطلاق
فان يدع العراق وساكنيه * فقد تبلى المليحة بالطلاق

وفيها مات ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول الصولى وكان أديبا شاعرا فولى ديوان الضياع الحسن بن مخلد بن الجراح خليفة ابراهيم ومات عاصم بن منصور وحج بالناس عبد الصمد بن موسى وحج جعفر بن دينار وهو والى الطريق واحداث الموسم وفيها خرج أهل طليطلة بجمعهم الى طلبيرة وعليها مسعود بن عبد الله العريف فخرج اليهم فيمن معه من الجنود فلقيهم فقاتلهم فانهزم أهل طليطلة وقتل أكثرهم وحمل الى قرطبة سبعمائة رأس وفيها توفى سعيد بن عيسى بن سعيد الاندلسى وكان من العلماء وفيها توفى يعقوب بن اسحق بن يوسف المعروف بابن السكيت النحوى اللغوى وقيل سنة أربع وقيل خمس وقيل ست وأربعين والحرث بن أسد المحاسبى أبو عبد الله الزاهد وكان قد هجره الامام أحمد بن حنبل لاجل الكلام فاختفى لتعصب العامة لاحمد فلم يصل عليه الا أربعة نفر

﴿ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين﴾

عن مصافهم أكبت ميسرة محمد عليهم واختلاط الرجال وصمدت الفرسان لابراهيم واشتبكت عليه الاسنة فبرى منها عدة رماح واسلمه من كان معه فاقتلع من سرجه ودار به الرجال وازدحموا عليه فقتل بعد أن أبلى ونكى فيهم وقد تنوزع فى أخذ رأسه فنهم من زعم أن ثابت بن يزيد مولى الحصين بن نمير الكندى هو الذى أخذ رأسه ومنهم من ذكر أن عبيد بن ميسرة مولى بنى يشكر ثم من بنى رفاعة هو الذى أخذ رأسه وأتى عبد الملك بجسد ابراهيم فالقى بين يديه فأخذه مولى الحصين بن نمير وأخذ حطبا وأحرقه بالنار وسار عبد الملك فى صبيحة تلك الليلة من موضعه حتى نزل بدير الجاثليق من أرض السواد وأقبل عبيد الله ابن زياد بن ظبيان وعكرمة ابن أبى الى رايات ربيعة فاضافوها الى عسكر عبد الملك ودخلوا فى طاعته ثم تصاف القوم فافرد مصعب وتخلى عنه من كان معه من مضر واليمن وبقى فى سبعة نفر منهم اسمعيل بن طلحة ابن عبيد الله التيمى وابنه عيسى بن مصعب فقال لابنه عيسى يابنى اركب فانج فالحق بمكة بعمك فاخبره بما صنع بى أهل العراق ودعنى فانى مقتول فقال له لا والله لا يتحدث بنا قريش أنى فررت عنك ولا أحدثهم عنك أبدا فقال له مصعب اما اذا أبيت فتقدم أمامى حتى أحتسبك

فى هذه السنة دخل المتوكل مدينة دمشق فى صفر وعزم على المقام بها ونقل دواوين الملك اليها وأمر بالبناء بها ثم استوبأ البلد وذلك بان هواءه بارد ندى والماء ثقيل والريح تهب فيها مع العصر فلا يزال يشتد حتى يمضى عامة الليل وهى كثيرة البراغيث وغلت الاسعار وحال الثلج بين السابلة والميرة فرجع الى سامرا وكان مقامه بدمشق شهرين وأياما فلما كان بها وجه بغا الكبير لغزو الروم فغزا الصائفة فافتتح صملة وفيها عقد المتوكل لابى الساج على طريق مكة مكان جعفر بن دينار وقيل عقد له سنة اثنتين وأربعين وهو الصواب وفيها أتى المتوكل بحربة كانت للنبى صلى الله عليه وسلم تسمى العنزة فكانت للنجاشى فاهداها للزبير بن العوام واهداها الزبير للنبى صلى الله عليه وسلم وهى التى كانت تركز بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فى العيدين فكان يحملها بين يديه صاحب الشرطة وفيها غضب المتوكل على بختيشوع الطبيب وقبض ماله ونفاه الى البحرين وفيها اتفق عيد الاضحى والشعانين للنصارى وعيد الفطر لليهود فى يوم واحد وحج بالناس فيها عبد الصمد بن موسى وفيها توفى اسحق بن موسى بن عبد الله بن موسى الانصارى وعلى بن حجر السعدى المروزى وهما امامان فى الحديث ومحمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب ومحمد ابن عبد الله بن أبى عثمان بن عبد الله بن خالد بن اسيد بن أبى العيص بن أمية القاضى فى جمادى الاولى (أسيد بفتح الهمزة)

﴿ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين﴾

فى هذه السنة أمر المتوكل ببناء الماخورة وسماها الجعفرية واقطع القواد وأصحابه فيها وجد فى بنائها وأنفق عليها فيما قيل أكثر من ألفى ألف دينار وجمع فيها القراء فقرؤا وحضرها أصحاب الملاهى فوهب أكثر من ألفى ألف درهم وكان يسميها هو وأصحابه المتوكلية وبنى فيها قصرا سماه لؤلؤة لم ير مثله فى علوه وحفر لها نهرا يسقى ما حولها فقتل المتوكل فبطل حفر النهر وأخربت الجعفرية وفيها زلزلت بلاد المغرب فخربت الحصون والمنازل والقناطر ففرق المتوكل ثلاثة آلاف ألف درهم فيمن أصيب بمنزله وزلزل عسكر المهدى والمدائن وزلزلت انطاكية فقتل بها خلق كثيرة فسقط منها ألف وخمسمائة دار وسقط من سورها نيف وتسعون برجا وسمعوا أصواتا هائلة لا يحسنون وصفها وتقطع جبلها الاقرع وسقط فى البحر وهاج البحر ذلك اليوم وارتفع منه دخان اسود مظلم منتن وغار منها نهر على فرسخ لا يدرى أين ذهب وسمع أهل سيس فيما قيل صيحة دائمة هائلة فمات منها خلق كثير وتزلزلت ديار الجزيرة والثغور وطرسوس واذنة وزلزلت الشام فلم يسلم من أهل اللاذقية الا اليسير وهلك أهل جبلة وفيها غارت مشاش عين مكة فبلغ ثمن القربة درهما فبعث المتوكل مالا وانفق عليها وفيها مات اسحق بن أبى اسرائيل وهلال الرازى وفيها هلك نجاح بن سلمة وكان سبب هلاكه انه كان على ديوان التوقيع وتتبع العمال وكان على الضياع فكان جميع العمال يتوقونه ويقضون حوائجه وكان المتوكل ربما نادمه وكان الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك قد انقطعا الى عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل وكان الحسن على ديوان الضياع وموسى على ديوان الخراج فكتب نجاح بن سلمة فيهما رقعة الى المتوكل انهما خانا وقصرا وانه يستخرج منهما أربعين ألف ألف فقال له المتوكل بكر غدا حتى أدفعهما اليك فغدا وقد رتب أصحابه لاخذهما فلقيه عبيد الله بن يحيى الوزير فقال له أنا أشير عليك بمصالحتهما وتكتب رقعة انك كنت شاربا وتكلمت ناسيا وأنا أصلح بينكما وأصلح الحال عند امير المؤمنين ولم يزل يخدعه حتى كتب خطه بذلك فلما كتب خطه صرفه وأحضر الحسن

فتقدم عيسى فقاتل حتى قتل وسأل محمد بن مروان أخاه عبد الملك أن يؤمن مصعبا فاستشار عبد الملك من حضره فقال له على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب لا تؤمنه وقال خالد ابن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بل أمنه وارتفع الكلام بين على وخالد حتى تسابا على مصافهما فأمر عبد الملك اخاه محمدا أن يمضى الى مصعب فيؤمنه ويعطيه عنه ما اراد فمضى محمد بن مروان وقال أمنك أمير المؤمنين على نفسك ومالك وكل ما احدثت وأن تنزل أى البلاد شئت ولو اراد بك غير ذلك لانزل بك فأنشدك الله فى نفسك وأقبل رجل من أهل الشأم الى عيسى ابن مصعب ليحتز رأسه فعطف عليه مصعب والرجل غافل فناداه أهل الشأم ويلك يافلان الاشدق أقبل نحوك ولحقه مصعب فقده وعرقب فرس مصعب وبقى راجلا فاقبل عليه عبد الله بن زياد بن ظبيان فاختلفا ضربتين سبق مصعب بالضربة الى رأسه وكان مصعب قد أثخن بالجراح وضربه عبد الله فقتله واحتز رأسه وأتى به عبد الملك فسجد عبد الملك وقبض عبيد الله بن زياد على قائم سيفه فاجتذبه من غمده حتى اتى على أكثره سلا ليضرب عبد الملك فى حال سجوده ثم ندم واسترجع فكان يقول بعد ذلك ذهب الفتك من الناس اذ هممت ولم أفعل

وموسى وعرفهما الحال وامرهما ان يكتبا في نجاح وأصحابه بألف ألف دينار ففعلا وأخذ الرقعتين وأدخلهما على المتوكل وقال قد رجع نجاح عما قال وهذه رقعة موسى والحسن يتقبلان بما كتبا نأخذ ما ضمنا عليه ثم نعطف عليهما فنأخذ منهما اقر به امنه فسر المتوكل بذلك وأمر بدفعه اليهما فأخذاه وأولاده فاقروا بنحو مائة وأربعين ألف دينار سوى الغلات والغرس والضياع وغير ذلك فقبض ذلك أجمع وضرب ثم عصرت خصيتاه حتى مات وأقر أولاده بعد الضرب بسبعين ألف دينار سوى مالهما من ملك وغيره فأخذ الجميع وأخذ من وكلائه في جميع البلاد مال جزيل وفيها أغارت الروم على سميساط فقتلوا وسبوا وأسروا خلقا كثيرا وغزا علي ابن يحيى الارمني الصائفة ومنع أهل لؤلؤة رئيسهم من الصعود اليها فبعث اليهم ملك الروم بطريقا يضمن لكل رجل منهم ألف دينار على ان يسلموا اليه لؤلؤة فاصعدوا البطريق اليهم ثم اعطوا أرزاقهم الفائتة وما أرادوا فسلموا لؤلؤة والبطريق الى بلكاجور فسيره الى المتوكل فبذل ملك الروم في فدائه ألف مسلم وحج بالناس محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الامام يعرف بالزينبي وهو والي مكة وكان نيروز المتوكل الذي أرفق أهل الخراج بتأخيره اياه عنهم لاحدى عشرة خلت من شهر ربيع الاول ولسبع عشرة خلت من حزيران ولثمان وعشرين من أرديبهشت فقال البحتري

ان يوم النيروز عاد الى العهـ * ـد الذي كان سنه اردشير

(ذكر خروج الكفار بالاندلس الى بلاد الاسلام)

في هذه السنة خرج المجوس من بلاد الاندلس في مراكب الى بلاد الاسلام فامر محمد بن عبد الرحمن صاحب بلاد الاسلام باخراج العساكر الى قتالهم فوصلت مراكب المجوس الى اشبيلية فحلت بالجزيرة ودخلت الحاضر الى قتالهم وأحرقت المسجد الجامع ثم جازت الى العدوة فحلت بناكور ثم عادت الى الاندلس فانهزم أهل تدمير ودخلوا حصن اريوالة ثم تقدموا الى حائط افرنجة وأغاروا واصابوا من النهب والسبي كثيرا ثم انصرفوا فلقيتهم مراكب محمد فقاتلوهم فاحرقوا مركبين من مراكب الكفار وأخذوا مركبين آخرين فغنموا ما فيهما فحمي الكفرة عند ذلك وجدوا في القتال فاستشهد جماعة من المسلمين ومضت مراكب المجوس حتى وصلت الى مدينة بنبلونة فاصابوا صاحبها غرسية الفرنجي فافتدى نفسه منهم بتسعين ألف دينار وفيها غزا عامل طرسوسة الى بنبلونة فافتتح حصن بيلسان وسبى أهله ثم كانت على المسلمين في اليوم الثاني وقعة استشهد فيها جماعة

(ذكر الحرب بين البربر وابن الاغلب بافريقية)

في هذه السنة كانت بين البربر وعسكر ابي ابراهيم أحمد بن محمد بن الاغلب وقعة عظيمة في جمادى الآخرة وسببها ان بربر لهان امتنعوا على عامل طرابلس من اداء عشورهم وصدقاتهم وحاربوه فهزموه فقصد لبلده فحصنها وسار الى طرابلس فسير اليه أحمد بن محمد الامير جيشا مع أخيه زيادة الله فانهزم البربر وقتل منهم خلق كثير وسير زيادة الله الخيل في آثارهم فقتل من أدرك منهم واسر جماعة فضربت أعناقهم وأحرق ما كان في عسكرهم فأذعن البربر بعدها وأعطوا الرهن وأدوا طاعتهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي يعقوب بن اسحق النحوي المعروف بابن السكيت وكان سبب موته انه اتصل بالمتوكل فقال له أيما أحب اليك المعتز والمؤيد أو الحسن والحسين فتنقص ابنيه وذكر الحسن

فأكون قد قتلت عبد الملك ومصعبا ملكي العرب في ساعة واحدة وتمثل عبيد الله عند مجيئه برأس مصعب

نعاطي الملوك الحق ما قسطوا لنا
وليس علينا قتلهم بمحرم

وقال عبد الملك متى تغذو قريش مثل مصعب وكان قد قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وأمر عبد الملك بمصعب وابنه عيسى فدفنا بدير الجاثليق ودعا عبد الملك أهل العراق الى بيعته فبايعوه وقد كان مسلم بن عمرو الباهلي من صنائع معاوية وابنه يزيد وكان في ذلك اليوم في جيش مصعب فأتى به عبد الملك وقد أخذ له منه الامان فقيل له أنت ميت لا ترجو الحياة لما بك من الجراح فما تصنع بالامان قال ليسلم مالي ويأمن ولدي بعدي فلما وضع بين يدي عبد الملك قال قطع الله يد ضاربك كيف لم يجهز عليك أكفرت صنائع آل حرب معك وأمنه على ماله وولده ومات من ساعته وفي مصرع مصعب بدير الجاثليق من أرض العراق يقول عبد الله بن قيس الرقيات

لقد أورث المصرين عارا وذلة
قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما نصحت لله بكر بن وائل * ولا صبرت عند اللقاء تميم

جزى الله بصريا بذاك ملامة * ولو فيهم أن المليم مليم

وفي ذلك يقول شاعر

والحسين عليهما السلام بما هما أهل له فأمر الاتراك فداسوا بطنه فحمل الى داره فمات وفيها توفي ذو النون المصري في ذي القعدة وأبو تراب النخشبي الصوفي نهشته السباع فمات بالبادية وابو علي الحسين بن علي المعروف بالكرابيسي صاحب الشافعي وقيل مات سنة ثمان واربعين وسوار بن عبد الله القاضي العنبري وكان قد عمي

﴿ثم دخلت سنة ست واربعين ومائتين﴾

وفيها غزا عمرو بن عبد الله الاقطع الصائفة فاخرج سبعة عشر الف رأس وغزا قربياس واخرج خمسة آلاف رأس وغزا الفضل بن قارن نحوا من عشرين مركبا فافتتح حصن انطاكية وغزا بلكاجور فغنم وسبى وغزا علي بن يحيى الارمني فاخرج خمسة آلاف رأس ومن الدواب والرمك والحمير نحوا من عشرة آلاف رأس وفيها تحول المتوكل الى الجعفرية وفيها كان الفداء على يد علي ابن يحيى الارمني ففودي بألفين وثلثمائة وسبعة وستين نفسا وفيها مطر أهل بغداد نيفا وعشرين يوما حتى نبت العشب فوق الاجاجير وصلى المتوكل صلاة الفطر بالجعفرية وورد الخبر أن سكة بناحية بلخ تعرف بسكة الدهاقين مطرت دما عبيطا وحج بالناس هذه السنة محمد بن سليمان الزينبي وضحى اهل سامرا يوم الاثنين على الرؤية واهل مكة يوم الثلاثاء وفيها سار محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس في جيوش عظيمة وأهبة كثيرة الى بلد بنبلونة فوطئ بلادها ودوخها وخربها ونهبها وقتل فيها فأكثر وافتتح حصن فيروس وحصن فالحسن وحصن القشتل واصاب فيه فرتون بن غرسية فحبسه بقرطبة عشرين سنة ثم أطلقه الى بلده وكان عمره لما مات ستا وتسعين سنة وكان مقام محمد بأرض بنبلونة اثنين وثلاثين يوما وفيها توفي دعبل بن علي الخزاعي الشاعر وكان مولده سنة ثمان واربعين ومائة وكان يتشيع وفيها توفي السري بن معاذ الشيباني بالري وكان أميرا عليها حسن السيرة من أهل الفضل وتوفي أحمد بن ابراهيم الدورقي ببغداد ومحمد بن سليمان الاسدي الملقب بكوين

﴿ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين﴾

﴿ذكر قتل المتوكل﴾

وفي هذه السنة قتل المتوكل وكان سبب قتله انه أمر بانشاء الكتب بقبض ضياع وصيف باصبهان والجبل واقطاعها الفتح بن خاقان فكتبت وصارت الى الخاتم فبلغ ذلك وصيفا وكان المتوكل أراد أن يصلي بالناس أول جمعة في رمضان وشاع في الناس واجتمعوا لذلك وخرج بنو هاشم من بغداد لرفع القصص وكلامه اذا ركب فلما كان يوم الجمعة وأراد الركوب للصلاة قال له عبيد الله بن يحيى والفتح بن خاقان ان الناس قد كثروا من أهل بيتك ومن غيرهم فبعض متظلم وبعض طالب حاجة وأمير المؤمنين يشكو ضيق الصدر وعلة به فان رأى أمير المؤمنين ان يأمر بعض ولاة العهود بالصلاة ونكون معه فليفعل فأمر المنتصر بالصلاة فلما نهض للركوب قالا له يا أمير المؤمنين ان رأيت ان تأمر المعتز بالصلاة فقد اجتمع الناس لتشرفه بذلك وقد بلغ الله به وكان قد ولد للمعتز قبل ذلك ولد فأمر المعتز فركب فصلى بالناس وأقام المنتصر في داره بالجعفرية فزاد ذلك في اغرائه فلما فرغ المعتز من خطبته قام اليه عبيد الله والفتح بن خاقان فقبلا يديه ورجليه فلما فرغ من الصلاة انصرف ومعه الناس في موكب الخلافة حتى دخل على ابيه فاثنوا عليه عنده فسره ذلك فلما كان عيد الفطر قال مروا المنتصر يصلي بالناس فقال له عبيد الله قد كان الناس يتطلعون الى رؤية أمير المؤمنين واحتشدوا لذلك فلم يركب ولا يأمن ان هو لم يركب اليوم ان

أهل الشأم من أبيات لعمري لقد أصحرت خيلنا * بأكناف دجلة للمصعب
يهزون كل طويل القنا * ة معتدل النصل والثعلب
اذا ما منافق أهل العرا * ق عوتب يوما فلم يعتب
دلفنا اليه لدى موقف * قليل التفقد للغيب

وقد كان مصعب ذا حسن وجمال وهيئة وكمال في الصورة وفيه يقول ابن الرقيات من كلمة

انما مصعب شهاب من الله * تجلت عن وجهه الظلماء

وقد اتينا على أخبار مصعب وسكينة بنت الحسين زوجه وعائشة بنت طلحة وليلى من نسائه وغير ذلك من أخباره في الكتاب الاوسط (وحدث) المقري قال حدثني سويد بن سعيد قال حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن محمد ابن عبد الرحمن عن أبي مسلم النخعي قال رأيت رأس الحسين جيء به فوضع في دار الامارة بالكوفة بين يدي عبيد الله بن زياد ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد قد جيء به فوضع في ذلك الموضع بين يدي مصعب بن الزبير ثم رأيت رأس مصعب بن الزبير قد جيء به فوضع في ذلك الموضع بين يدي عبد الملك وقد قيل في وجه آخر من الروايات فرأى عبد الملك مني اضطرابا فسألني فقلت يا أمير المؤمنين دخلت هذه الدار فرأيت رأس الحسين بين يدي ابن زياد في هذا الموضع ثم دخلتها فرأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار فيه ثم دخلتها

يرجف الناس بعلته فاذا رأى امير المؤمنين ان يسر الاولياء ويكبت الاعداء بركوبه فليفعل
فركب وقد صف له الناس نحو أربعة أميال وترجلوا بين يديه فصلى ورجع فاخذ حفنة من التراب
فوضعها على رأسه وقال انى رأيت كثرة هذا الجمع ورأيتهم تحت يدى فاحببت أن اتواضع لله فلما
كان اليوم الثالث افتصد واشتهى لحم جزور وأكله وكان قد حضر عنده ابن الحفصى وغيره
فأكلوا بين يديه قال ولم يكن يوم أسر من ذلك اليوم ودعا الندماء والمغنين فحضروا واهدت له أم
المعتز مطرف خز أخضر لم ير الناس مثله فنظر اليه فأطال وأكثر تعجبه منه وأمر فقطع نصفين
ورده عليها وقال لرسولها والله ان نفسى لتحدثنى انى لا البسه وما أحب أن يلبسه أحد بعدى
ولهذا أمرت بشقه قال فقلنا نعيذك بالله ان تقول مثل هذا قال وأخذ فى الشرب واللهو ولهج بان
يقول انا والله مفارقكم عن قليل ولم يزل فى لهوه وسروره الى الليل وكان قد عزم هو والفتح أن
يفتكا بكرة غد بالمنتصر ووصيف وبغا وغيرهم من قواد الاتراك وقد كان المنتصر واعد الاتراك
ووصيفا وغيره على قتل المتوكل وكثر عبث المتوكل قبل ذلك بيوم بابنه المنتصر مرة يشتمه ومرة
يسقيه فوق طاقته ومرة يأمر بصفعه ومرة يتهدده بالقتل ثم قال للفتح برئت من الله ومن قرابتى
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم تلطمه يعنى المنتصر فقام اليه فلطمه مرتين ثم أمر يده على
قفاه ثم قال لمن حضره اشهدوا على جميعا أنى قد خلعت المستعجل يعنى المنتصر ثم التفت اليه فقال
سميتك المنتصر فسماك الناس لحمقك المنتظر ثم صرت الآن المستعجل فقال المنتصر لو أمرت
بضرب عنقى كان اسهل على مما تفعله بى فقال اسقوه ثم أمر بالعشاء فاحضر وذلك فى جوف
الليل فخرج المنتصر من عنده وأمر بنانا غلام أحمد بن يحيى أن يلحقه وأخذ بيد زرافة الحاجب
وقال له امض معى فقال ان أمير المؤمنين لم يقم فقال انه قد أخذ منه النبيذ والساعة يخرج بغا
والندماء وقد أحببت ان تجعل أمر ولدك الى فان أوتامش سألنى ان أزوج ولده من ابنتك وابنك
من ابنته فقال نحن عبيدك فمر بأمرك فسار معه الى حجرة هناك وأكلا طعاما فسمعا الضجة
والصراخ فقاما واذا ببغا قد لقى المنتصر فقال المنتصر ما هذا فقال خير يا أمير المؤمنين قال ما تقول
ويلك قال أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين كان عبد الله دعاه فاجابه فجلس المنتصر وأمر بباب
البيت الذى قتل فيه المتوكل فأغلق واغلقت الابواب كلها وبعث الى وصيف يأمره باحضار المعتز
والمؤيد عن رسالة المتوكل وأما كيفية قتل المتوكل فانه لما خرج المنتصر دعا المتوكل بالمائدة
وكان بغا الصغير المعروف بالشرابى قائما عند الستر وذلك اليوم كان نوبة بغا الكبير وكان
خليفته فى الدار ابنه موسى وموسى هو ابن خالة المتوكل وكان أبوه يومئذ بسميساط فدخل بغا
الصغير الى المجلس فأمر الندماء بالانصراف الى حجرهم فقال له الفتح ليس هذا وقت انصرافهم
وأمير المؤمنين لم يرتفع فقال بغا ان امير المؤمنين أمرنى انه اذا جاوز السبعة لا اترك أحدا وقد شرب
أربعة عشر رطلا وحرم أمير المؤمنين خلف الستارة فاخرجهم ولم يبق الا الفتح وعثعث وأربعة
من خدمه الخاصة وأبو احمد بن المتوكل وهو أخو المؤيد لامه وكان بغا الشرابى أغلق الابواب
كلها الا باب الشط ومنه دخل القوم الذين قتلوه فبصر بهم أبو أحمد فقال ما هذا يا سفل فاذا سيوف
مسللة فلما سمع المتوكل صوت أبى أحمد رفع رأسه فرآهم فقال ما هذا يا بغا فقال هؤلاء رجال النوبة
فرجعوا الى ورائهم عند كلامه ولم يكن واجن وأصحابه وولد وصيف حضروا معهم فقال لهم بغا
يا سفل أنتم مقتولون لا محالة فموتوا كراما فرجعوا فابتدره بغلون فضربه على كتفه واذنه فقده
فقال مهلا قطع الله يدك وأراد الوثوب به واستقبله بيده فضربها فابانها وشاركه باغر فقال الفتح

فرأيت رأس المختار بين يدى مصعب بن الزبير وهذا رأس مصعب بين يديك فوقاك الله يا أمير المؤمنين
قال فوثب عبد الملك بن
مروان وأمر بهدم
الطاق الذى على المجلس
ذكر هذا الحديث عن
الوليد بن خباب وغيره
وسار عبد الملك من دير
الجاثليق حتى نزل النخيلة
بظهر الكوفة فخرج اليه
أهل الكوفة فبايعوه
ووافى الناس بما كان
وعدهم به فى مكاتبته
اياهم سرا وخلع وأجاز
وأقطع ورتب الناس على
قدر مراتبهم وعمهم ترغيبه
وترهيبه وولى على البصرة
خالد بن عبد الله بن خالد بن
أسد وعلى الكوفة بشر بن
مروان أخاه وخلف معه
جماعة من أهل الرأى
والمشورة من أهل الشام
منهم روح بن زنباع
الجذامى وبعث بالحجاج بن
يوسف لحرب ابن الزبير بمكة
وسار فى بقية أهل الشام
الى دار مملكته دمشق وكان
بشر بن مروان أديبا
ظريفا يحب الشعر والسمر
والسماع والمعاقرة وقد كان
أخوه عبد الملك قال له ان
روحا عمك الذى لا ينبغى أن
تقطع أمرا دونه لصدقه
وعفافه ومناصحته ومحبته
لنا أهل البيت فاحتشم بشر
منه وقال لندمائه أخاف
ان انبسطنا أن يكتب روح
الى أمير المومنين بذلك وانى
لاحب من الانس والاجتماع ما يحبه مثلى فقال له بعض ندمائه من أهل العراق بحسن مساعدته ولطيف

ويلكم

ويلكم أمير المؤمنين ورمى بنفسه على المتوكل فبعجوه بسيوفهم فصاح الموت وتنحى فقتلوه وكانوا قالوا لوصيف احضر معهم وقالوا انا نخاف فقال لا بأس عليكم فقالوا له أرسل معنا بعض ولدك فأرسل معهم خمسة من ولده صالحا وأحمد وعبد الله ونصرا وعبيد الله وقيل ان القوم لما دخلوا نظر اليهم عثعث فقال للمتوكل قد فرغنا من الاسد والحيات والعقارب وصرنا الى السيوف وذلك أنه ربما أسلى الحية والعقرب والاسد فلما ذكر عثعث السيوف قال ياويلك أى سيوف فما استتم كلامه حتى دخلوا عليه وقتلوه وقتلوا الفتح وخرجوا الى المنتصر فسلموا عليه بالخلافة وقالوا مات أمير المؤمنين وقاموا على رأس زرافة بالسيوف وقالوا بايع فبايع وأرسل المنتصر الى وصيف ان الفتح قد قتل أبى فقتلته فاحضر فى وجوه أصحابك فحضر هو وأصحابه فبايعوا وكان عبيد الله بن يحيى فى حجرته ينفذ الامور ولا يعلم وبين يديه جعفر بن حامد فبينما هو كذلك اذ طلع عليه بعض الخدم فقال ما يحبسك والدار سيف واحد فأمر جعفرا بالنظر فخرج وعاد وأخبره ان المتوكل والفتح قتلا فخرج فيمن عنده من خدمه وخاصته فاخبر ان الابواب مغلقة واخذ نحو الشط فاذا أبوابه مغلقة فأمر بكسر ثلاثة أبواب وخرج الى الشط وركب فى زورق فاتى منزل المعتز فسأل عنه فلم يصادفه فقال انا لله وانا اليه راجعون قتل نفسه وقتلنى واجتمع الى عبيد الله اصحابه غداة يوم الاربعاء من الابناء والعجم والارمن والزواقيل وغيرهم فكانوا زهاء عشرة آلاف وقيل كانوا ثلاثة عشر ألفا وقيل ما بين خمسة آلاف الى عشرة آلاف فقالوا ما اصطنعتنا الا لهذا اليوم فمرنا بأمرك وأذن لنا نميل على القوم ونقتل المنتصر ومن معه فابى ذلك وقال المعتز فى أيديهم وذكر عن على بن يحيى المنجم انه قال كنت اقرأ على المتوكل قبل قتله بأيام كتابا من كتب الملاحم فوقفت على موضع فيه ان الخليفة العاشر يقتل فى مجلسه فتوقفت عن قراءته فقال مالك فقلت خير قال لا بد من ان تقرأه فقرأته وحدت عن ذكر الخلفاء فقال ليت شعرى من هذا الشقى المقتول فقال أبو الوارث قاضى نصيبين رأيت فى النوم آتيا وهو يقول

يانائم العين فى جثمان يقظان * مابال عينك لا تبكى بتهتان

أما رأيت صروف الدهر ما فعلت * بالهاشمى وبالفتح بن خاقان

فاتى البريد بعد أيام بقتلهما وكان قتله ليلة الاربعاء لاربع خلون من شوّال وقيل ليلة الخميس وكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام وكان مولده بفم الصلح فى شوّال سنة ست وثمانين وكان عمره نحو أربعين سنة وكان اسمر حسن العينين نحيفا خفيف العارضين ورثاه الشعراء فاكثروا ومما قيل فيه قول على بن الجهم

عبيد أمير المؤمنين قتلنه * وأعظم آفات الملوك عبيدها

بنى هاشم صبرا فكل مصيبة * سيبلى على وجه الزمان جديدها

﴿ذكر بعض سيرته﴾

ذكر أن أبا السمط مروان بن أبى الجنوب قال انشدت المتوكل شعرا ذكرت فيه الرافضة فعقد لى على البحرين واليمامة وخلع على أربع خلع وخلع على المنتصر وأمر لى المتوكل بثلاثة آلاف دينار فنثرت على وأمر ابنه المنتصر وسعدا الايتاخى ان يلقطاها لى فغعلا والشعر الذى قلته

ملك الخليفة جعفر * للدين والدنيا سلامه

لكم تراث محمد * وبعدلكم تنفى الظلامه

يرجو التراث بنو البنا * ت ومالهم فيها قلامة

حيلته أنا أكفيك أمره حتى ينصرف عنك الى أمير المؤمنين غير شاك ولا لائم فسر بشر ووعده الجائزة وحسن المكافأة ان هو تأتى له ما وعد به وكان روح شديد الغيرة وله جارية اذا خرج من منزله الى المسجد او غيره ختم بابه حتى يعود بعد ان يقفله فاخذ الفتى دواة وأتى منزل روح عشيا وخرج روح للصلاة فتوصل الفتى الى دخول الدهليز فى حال خروج روح وكمن تحت الدرجة ولم يزل يحتال ليلته حتى توصل الى بيت روح فكتب على حائط فى أقرب المواضع من مرقد روح

ياروح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لاهل المغرب الناعى

ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل لنفسك ياروح بن زنباع

ولا يغرنك أبكار منعمة * واسمع هديت مقال الناصح الداعى

ورجع الى مكانه بالدهليز فبات فيه فلما أصبح روح خرج الى الصلاة فتبعه غلمانه والفتى متنكر فى جملتهم مختلط بهم فلما عاد روح وافتتح باب حجرته تبين الكتابة وقرأها فراعه ذلك وأنكره وقال ما هذا فوالله ما يدخل حجرتى انسى سواى ولاحظ لى فى المقام ثم نهض الى بشر فقال يا ابن أخى أوصنى بما أحببت من حاجة وسبب عند أمير المؤمنين قال أوتريد الشخوص ياعم

والصهر ليس بوارث * والبنت لا ترث الامامه

ماللذين تنحلوا * ميراثكم الا الندامه

أخذ الوراثة أهلها * فعلام لومكم علامه

لو كان حقكم لما * قامت على الناس القيامه

ليس التراث لغيركم * لا والاله ولا كرامه

اصبحت بين محبكم * والمبغضين لكم علامه

ثم نثر على بعد ذلك لشعر قلته في هذا المعنى عشرة آلاف درهم وقال يحيى بن اكثم حضرت المتوكل فجرى بيني وبينه ذكر المأمون فقلت بتفضيله وتقريظه ووصف محاسنه وعلمه ومعرفته قولا كثيرا لم يقع لموافقة من حضر فقال المتوكل كيف كان يقول في القرآن فقلت كان يقول ما مع القرآن حاجة الى علم فرض ولا مع السنة وحشة الى فعل احد ولا مع البيان والافهام حجة لتعلم ولا بعد الجحود للبرهان والحق الا السيف لظهور الحجة فقال المتوكل لم أرد منك ماذهبت اليه فقال يحيى القول بالمحاسن في المغيب فريضة على ذي نعمة قال فما كان يقول خلال حديثه فان أمير المؤمنين المعتصم بالله رحمه الله كان يقول وقد انسيته قال كان يقول اللهم اني أحمدك على النعم التي لا يحصيها غيرك واستغفرك من الذنوب التي لا يحيط بها الا عفوك قال فما كان يقول اذا استحسن شيأ أو بشر بشئ فقد نسيناه قال يحيى كان يقول اذا ذكر آلاء الله وكثرتها وتعداد نعمه الحديث بها فرض من الله على أهلها وطاعة لامره فيها وشكر له عليها فالحمد لله العظيم الآلاء السابغ النعماء بما هو أهله ومستوجبه من محامده القاضية حقه البالغة شكره المانعة غيره الموجبة مزيده على ما لا يحصيه تعدادنا ولا يحيط به ذكرنا من ترادف مننه وتتابع فضله ودوام طوله حمد من يعلم ان ذلك منه والشكر له عليه فقال المتوكل صدقت هو الكلام بعينه وقدم في هذه السنة محمد بن عبد الله بن طاهر من مكة في صفر فشكا ما ناله من الغم بما وقع من الخلاف في يوم النحر وأمر المتوكل بانفاذ خريطة من الباب الى أهل الموسم برؤية هلال ذي الحجة وأمر ان يقادم على المشعر الحرام وسائر المشاعر الشمع مكان الزيت والنفط وفيها ماتت أم المتوكل في شهر ربيع الآخر وصلى عليها المنتصر ودفنت عند المسجد الجامع وكان موتها قبل المتوكل بستة أشهر

﴿ذكر بيعة المنتصر﴾

قد ذكرنا قتل المتوكل ومن بايع المنتصر أبا جعفر محمد بن جعفر المتوكل تلك الليلة فلما أصبح يوم الاربعاء حضر الناس الجعفرية من القواد والكتاب والوجوه والشاكرية والجند وغيرهم فقرأ عليهم أحمد بن الخصيب كتابا يخبر فيه عن المنتصر ان الفتح بن خاقان قتل المتوكل فقتله به فبايع الناس وحضر عبيد الله بن يحيى بن خاقان فبايع وانصرف قيل وذكر عن أبي عثمان سعيد الصغير أنه قال لما كانت الليلة التي قتل فيها المتوكل كنا في الدار مع المنتصر فكان كلما خرج الفتح خرج معه واذا رجع قام لقيامه واذا ركب أخذ بركابه وسوى عليه ثيابه في سرجه وكان اتصل بنا الخبر ان عبيد الله بن يحيى قد أعد قوما في طريق المنتصر ليغتالوه عند انصرافه وكان المتوكل قد اسمعه واحفظه ووثب عليه فانصرف غضبان وانصرفنا معه الى داره وكان واعد الاتراك على قتل المتوكل اذا ثمل من النبيذ قال فلم ألبث ان جاءني رسوله ان احضر فقد جاءت رسل أمير المؤمنين الى الامير ليركب قال فوقع في نفسي ما كنا سمعنا من اغتيال المنتصر فركبت في سلاح وعدة

قال نعم قال ولم هل أنكرت شيأ أو رأيت قبيحا لا يسعك المقام عليه قال لا والله بل جزاك الله عن نفسك وعن سلطانك خيرا ولكن أمر حدث ولا بد لي من الانصراف الى أمير المؤمنين فاقسم عليه أن يخبره فقال له ان أمير المؤمنين قد مات او هو ميت الى أيام قال ومن أين علمت ذلك فاخبره بخبر الكتابة وقال ليس يدخل حجرتي غيري وغير جاريتي فلانة وما كتب ذلك الا الجن أو الملائكة فقال له بشر أقم فاني أرجو أن لا يكون لهذا حقيقة فلم يثنه شئ وسار الى الشأم فاقبل بشر على الشراب والطرب فلما التقى روح عبد الملك انكر أمره وقال ما اقدامك الا لحادثة حدثت أو لامر كرهته فاثني على بشر وحمد سيرته وقال لا بل لامر لا يمكنني ذكره حتى نخلو فقال عبد الملك لجلسائه انصرفوا وخلا بروح فاخبره بقصته وأنشده الابيات فضحك عبد الملك حتى استغرب وقال ثقلت على بشر واصحابه حتى احتالوا لك بما رأيت فلا ترع ولما اتصل قتل مصعب باخيه عبد الله أضرب عن ذكره حتى تحدثت بذلك العبيد والاماء في سكك المدينة ومكة فصعد المنبر وجبينه يرشح فقال الحمد لله مالك الدنيا والآخرة يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير الا انه

وجئت

وجئت باب المنتصر فاذا اهم يموجون واذا واجن قدجاءه فاخبره أنهم قد فرغوا من المتوكل فركب فلحقته فى بعض الطريق وأنا مرعوب فرأى مابى فقال ليس عليك بأس أمير المؤمنين قد شرق بقدح شربه فمات رحمه الله تعالى فشق على ومضينا ومعنا أحمد بن الخصيب وجماعة من القواد حتى دخلنا القصر ووكل بالابواب فقلت له يا أمير المؤمنين لا ينبغى ان تفارقك مواليك فى هذا الوقت قال أجل وكن أنت خلف ظهرى فاحطنا به وبايعه من حضر ووكل من جاء يوقف حتى جاء سعيد الكبير فارسله خلف المؤيد وقال امض أنت الى المعتز حتى يحضر فارسلنى فمضيت وانا آيس من نفسى ومعى غلامان لى فلما صرت الى باب المعتز لم اجد به أحدا من الحرس والبوابين فصرت الى الباب الكبير فدققته دقا عنيفا فاجبت بعد مدة من أنت فقلت رسول أمير المومنين المنتصر فمضى الرسول وابطأ وخفت وضاقت على الارض ثم فتح الباب وخرج بيدون الخادم واغلق الباب ثم سألنى عن الخبر فاخبرته ان المتوكل شرق بكاس شربه فمات من ساعته وان الناس قد اجتمعوا وبايعوا المنتصر وقد أرسلنى لاحضر الامير المعتز ليبايع فدخل ثم خرج فادخلنى على المعتز فقال لى ويلك ما الخبر فاخبرته وعزيته وقلت تحضر وتكون فى أول من يبايع وتأخذ بقلب أخيك فقال حتى نصبح فمازلت به انا وبيدون حتى ركب وسرنا وانا أحدثه فسألنى عن عبيد الله بن يحيى فقلت هو يأخذ البيعة على الناس والفتح قد بايع فأيس وأتينا باب الخير ففتح لنا وصرنا الى المنتصر فلما رآه قربه وعانقه وعزاه وأخذ البيعة عليه ثم وافى سعيد الكبير بالمؤيد ففعل به مثل ذلك فاصبح الناس وأمر المنتصر بدفن المتوكل والفتح ولما أصبح الناس شاع الخبر فى الماحوزة وهى المدينة التى كان بناها المتوكل وفى أهل سامرا بقتل المتوكل فتوافى الجند والشاكرية بباب العامة وبالجعفرية وغيرهم من الغوغاء والعامة وكثر الناس وتسامعوا وركب بعضهم بعضا وتكلموا فى أمر البيعة فخرج اليهم عتاب بن عتاب وقيل زرافة فوعدهم عن أمير المومنين المنتصر فأسمعوه فدخل عليه فاعلمه فخرج المنتصر وبين يديه جماعة من المغاربة فصاح بهم وقال خذوهم فدفعوهم الى الابواب فازدحم الناس وركب بعضهم بعضا فتفرقوا وقد مات منهم ستة أنفس

﴿ذكر ولاية خفاجة بن سفيان صقلية وابنه محمد وغزواتهما﴾

قد ذكرنا سنة ست وثلاثين ومائتين ان أمير صقلية العباس توفى سنة سبع وأربعين فلما توفى ولى الناس عليهم ابنه عبد الله بن العباس وكتبوا الى الامير بافريقية بذلك وأخرج عبد الله السرايا ففتح قلاعا متعددة منها جبل أبى مالك وقلعة الارمنين وقلعة المشارعة فبقى كذلك خمسة أشهر ووصل من افريقية خفاجة بن سفيان أميرا على صقلية فوصل فى جمادى الاولى سنة ثمان وأربعين ومائتين وأول سرية أخرجها سرية فيها ولده محمود فقصد سرقوسة فغنم وخرب وأحرق وخرجوا اليه فقاتلهم فظفر وعاد فاستأمن اليه أهل رغوس وقد جاء سنة اثنتين وخمسين ان أهل رغوس استأمنوا فيها على ما نذكره ولا نعلم اهذا اختلاف من المؤرخين أم هما غزاتان ويكون أهلها قد غدروا بعد هذه الدفعة والله أعلم وفى سنة خمسين ومائتين فتحت مدينة نوطس وسبب ذلك ان بعض أهلها أخبر المسلمين بموضع دخلوا منه الى البلد فى المحرم فغنموا منها أموالا جليلة ثم فتحوا اشكلة بعد حصار وفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين سار خفاجة الى سرقوسة ثم الى جبل النار فاتاه رسل أهل طبرمين يطلبون الامان وأرسل اليهم امرأته وولده فى ذلك وتم الامر ثم غدروا فارسل خفاجة محمدا فى جيش اليها ففتحها وسبى أهلها وفيها أيضا سار خفاجة

لن يذل الله من كان الحق معه ولن يعز من كان أولياء الشيطان حزبه انه اتانا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا قتل مصعب فاما الذى احزننا من ذلك فان لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوى من بعد ذلك الى كريم الصبر وجميل العزاء وأما الذى أفرحنا فان القتل له شهادة ويجعل الله له ولنا فى ذلك الخيرة أما والله انا لا نموت حتفا كميتة آل أبى العاص وانما نموت قعصا بالرماح وقتلا تحت ظلال السيوف ألا وان الدنيا عارية من الملك القهار الذى لا يزول سلطانه ولا يتبدل فان تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الاشر البطر وان تدبر عنى لا أبكى عليها بكاء الحزين المهين فأتى الحجاج الطائف فاقام بها شهورا ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير بها وكتب الى عبد الملك انى قد ظفرت بابى قبيس فلما ورد كتابه على عبد الملك بحصار ابن الزبير بمكة والظفر بابى قبيس كبر عبد الملك فكبر من فى داره واتصل التكبير بمن فى جامع دمشق فكبروا واتصل ذلك باهل الاسواق ثم سألوا عن الخبر فقيل لهم ان الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بابى قبيس فقالوا لا نرضى حتى يحمله الينا مكبلا على رأسه برنس على جمل يمر بنا فى الاسواق التراب الملعون وكان حصار الحجاج لابن الزبير

بمكة هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وفيها اقتل مصعب ومنع ابن الزبير الحجاج أن يطوف بالبيت ووقف الحجاج

الى رغوس فطلب أهلها الامان ليطلق رجل من أهلها بأموالهم ودوابهم ويغنم الباقي ففعل وأخذ جميع ما في الحصن من مال ورقيق ودواب وغير ذلك وهادنه أهل الغيران وغيرهم وافتتح حصونا كثيرة ثم مرض فعاد الى بلرم وفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين سار خفاجة من بلرم الى مدينة سرقوسة وقطانية وخرب بلادها وأهلك زروعها وعاد وسارت سراياه الى أرض صقلية فغنموا غنائم كثيرة وفي سنة أربع وخمسين ومائتين سار خفاجة في العشرين من ربيع الاول وسير ابنه محمدا على الحراقات وسير سرية الى سرقوسة فغنموا وأتاهم الخبر ان بطريقا قد سار من القسطنطينية في جمع كثير فوصل الى صقلية فلقيه جمع من المسلمين فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة ورحل خفاجة الى سرقوسة فافسد زرعها وغنم منها وعاد الى بلرم وسير ابنه محمدا في البحر مستهل رجب الى مدينة غيطة فحصرها وبث العساكر في نواحيها وشحن مراكبه بالغنائم وانصرف الى بلرم في شوال وفي سنة خمس وخمسين ومائتين سير خفاجة ابنه محمدا الى مدينة طبرمين وهي من أحسن مدن صقلية فسار في صفر اليها وكان قد أتاهم من وعدهم ان يدخلهم اليها من طريق يعرفه فسيره مع ولده فلما قربوا منها تأخر محمد وتقدم بعض عسكره رجالة مع الدليل فادخلهم المدينة وملكوا بابها وسورها وشرعوا في السبي والغنائم وتأخر محمد بن خفاجة فيمن معه من العسكر عن الوقت الذي وعدهم انه يأتيهم فيه فلما تأخر عنهم ظنوا أن العدو قد أوقع بهم فمنعهم من السبي فخرجوا عنها منهزمين ووصل محمد الى باب المدينة ومن معه من العسكر فرأى المسلمين قد خرجوا منها فعاد راجعا وفيها في ربيع الاول خرج خفاجة وسار الى مرسة وسير ابنه في جماعة كثيرة الى سرقوسة فلقيه العدو في جمع كثير فاقتتلوا فوهن المسلمون وقتل منهم ورجعوا الى خفاجة فسار الى سرقوسة فحصرها وأقام عليها وضيق على أهلها وأفسد بلادها وأهلك زرعهم وعاد عنها يريد بلرم فنزل بوادي الطين وسار منه ليلا فاغتاله رجل من عسكره فطعنه طعنة فقتله وذلك مستهل رجب وهرب الذي قتله الى سرقوسة وحمل خفاجة الى بلرم فدفن بها وولى الناس عليهم بعده ابنه محمدا وكتبوا بذلك الى الامير محمد بن أحمد أمير افريقية فاقره على الولاية وسير اليه العهد والخلع

(ذكر ولاية ابنه محمد)

لما قتل خفاجة استعمل الناس ابنه محمدا وأقره محمد بن أحمد بن الاغلب صاحب القيروان على ولايته فسير جيشا في سنة ست وخمسين ومائتين الى مالطة وكان الروم يحاصرونها فلما سمع الروم بمسيرهم رحلوا عنها وفي سنة سبع وخمسين ومائتين في رجب قتل الامير محمد قتله خدمه الخصيان وهربوا فطلبهم الناس فادركوهم فقتلوهم

(ذكر عدة حوادث)

وفيها ولى المنتصر أبا عمرة أحمد بن سعيد مولى بني هاشم بعد البيعة له بيوم المظالم فقال الشاعر

يا ضيعة الاسلام لما ولي * مظالم الناس أبو عمره
صير مأمونا على أمة * وليس مأمونا على بعره

وحج بالناس محمد بن سليمان الزينبي واستعمل على دمشق عيسى بن محمد النوشري وفيها سار جيش للمسلمين بالاندلس الى مدينة برشلونة وهي للفرنج فاوقعوا بأهلها فارسل صاحبها ملك الفرنج يستمده فارسل اليه جيشا كثيفا وأرسل المسلمون يستمدون فاتاهم المدد فنازلوا برشلونة وقاتلوا قتالا شديدا فملكوا أرباضها وبرجين من ابراج المدينة فقتل من المشركين بها خلق كثير

وسلم

بالناس محرما في درع ومغفر وهو من أبناء احدى وثلاثين سنة ونحر ابن الزبير بمكة ولم يخرج الى عرفة بسبب الحجاج فكانت مدة حصار الحجاج لابن الزبير بمكة خمسين ليلة ودخل ابن الزبير على امه اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد بلغت مائة سنة لم تقع لها سن ولا ابيض لها شعر ولم ينكر لها عقل على حسب ما قدمنا من خبرها في هذا الكتاب فقال يا امه كيف تجدينك قالت اني لشاكية يا بني فقال لها ان في الموت راحة قالت لعلك تمنيه لي وما أحب أن اموت حتى يأتي على أحد طرفيك اما قتلت فأحتسبك واما ظفرت فقرت عيني بك وأوصى عبد الله بما يحتاج من أمره وأمر نسائه اذا بلغن الواعية عليه ان يضممن امه اسماء اليهن وكان عروة بن الزبير على رأى عمه عبد الملك بن مروان وكان كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره بما عاهد عروة وأن لا يسوءه في نفسه وماله فخرج عروة الى الحجاج ورجع الى أخيه فقال هذا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعمرو بن عثمان بن عفان يعطيانك امان عبد الملك على ما احدثت أنت ومن معك وأن تنزل أي البلاد شئت لك بذلك عهد الله وميثاقه وغير ذلك من

وسلم المسلمون وعادوا وقد غنموا وفيها توفي أبو عثمان بكر بن محمد المازني النحوي الامام في العربية

﴿ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين﴾

﴿ذكر غزاة وصيف الروم﴾

في هذه السنة أغزى المنتصر وصيفا التركي الى بلاد الروم وكان سبب ذلك انه كان بينه وبين أحمد ابن الخصيب شحناء وتباغض فحرض أحمد بن الخصيب المنتصر على وصيف وأشار عليه باخراجه من عسكره للغزاة فأمر المنتصر باحضار وصيف فلما حضر قال له قد أتانا عن طاغية الروم انه اقبل يريد الثغر وهذا أمر لا يمكن الامساك عنه ولست آمنه ان يهلك كل ما مر به من بلاد الاسلام ويقتل ويسبي فاما شخصت أنت واما شخصت انا فقال بل اشخص انا يا أمير المؤمنين فقال لاحمد بن الخصيب انظر الى ما يحتاج اليه وصيف فاقمه له فقال نعم يا أمير المؤمنين قال ما نعم قم الساعة وقال لوصيف مر كاتبك ان يوافقه على ما يحتاج اليه ويلزمه حتى يفرغ منه فقاما ولم يزل أحمد بن الخصيب في جهازه حتى خرج وانتخب له الرجال فكان معه اثنا عشر ألف رجل وكان على مقدمته مزاحم بن خاقان اخو الفتح وكتب المنتصر الى محمد بن عبد الله بن طاهر ببغداد يعلمه ذلك ويأمره ان يندب الناس الى الغزاة ويرغبهم فيها وأمر وصيفا أن يوافي ثغر ملطية وجعل على نفقات العسكر والمغانم والمقاسم أبا الوليد الحريري البجلي ولما سار وصيف كتب اليه المنتصر يأمره بالمقام بالثغر أربع سنين يغزو في أوقات الغزو منها الى ان يأتيه رأيه

﴿ذكر خلع المعتز والمؤيد﴾

وفي هذه السنة خلع المعتز والمؤيد ابنا المتوكل من ولاية العهد وكان سبب خلعهما ان المنتصر لما استقامت له الامور قال أحمد بن الخصيب لوصيف وبغا انا لا نأمن الحدثان وان يموت أمير المؤمنين فيلي المعتز الخلافة فيبيد خضراءنا ولا يبقي منا باقية والآن الرأي ان نعمل في خلع المعتز والمؤيد فجد الاتراك في ذلك وألحوا على المنتصر وقالوا نخلعهما من الخلافة ونبايع لابنك عبد الوهاب فلم يزالوا به حتى أجابهم واحضر المعتز والمؤيد بعد أربعين يوما من خلافته وجعلا في دار فقال المعتز للمؤيد يا أخي قد أحضرنا للخلع فقال لا اظنه يفعل ذلك فبينما هما كذلك اذ جاءت الرسل بالخلع فقال المؤيد السمع والطاعة وقال المعتز ما كنت لافعل فان اردتم القتل فشأنكم فاعلموا المنتصر ثم عادوا بغلظة وشدة وأخذوا المعتز بعنف وادخلوه بيتا وأغلقوا عليه الباب فلما رأى المؤيد ذلك قال لهم بجراءة واستطالة ما هذا يا كلاب قد ضريتم على دمائنا تثبون على مولاكم هذا الوثوب دعوني واياه حتى اكلمه فسكتوا عنه واذنوا له في الاجتماع به بعد اذن من المنتصر بذلك فدخل عليه المؤيد وقال يا جاهل تراهم نالوا من أبيك وهو هو ما نالوا ثم تمتنع عليهم اخلع ويلك لا تراجعهم فقال وكيف اخلع وقد جرى في الآفاق فقال هذا الامر قتل اباك وهو يقتلك وان كان في سابق علم الله ان تلي لتلين فقال افعل فخرج المؤيد وقال قد أجاب الى الخلع فمضوا وأعلموا المنتصر وعادوا فشكروه ومعهم كاتب فجلس وقال للمعتز اكتب بخطك خلعك فامتنع فقال المؤيد للكاتب هات قرطاسك امل علي ما شئت فاملى عليه كتابا الى المنتصر يعلمه فيه ضعفه عن هذا الامر وانه لا يحل له ان يتقلده وكره ان يأثم المتوكل بسببه اذ لم يكن موضعا له ويسأله الخلع ويعلمه انه قد خلع نفسه وأحل الناس من بيعته فكتب ذلك وقال للمعتز اكتب فأبى فقال اكتب ويلك فكتب وخرج الكاتب عنهما ثم دعاهما المنتصر فدخلا عليه فاجلسهما وقال هذا كتابكما فقالا نعم يا أمير المؤمنين فقال لهما

الكلام فأبى عبد الله قبول ذلك وقالت له امه اسماء أي بني لا تقبل خطة تخاف على نفسك منها مخافة القتل مت كريما واياك أن تؤسر أو تعطي بيديك فقال يا امه اني اخاف أن يمثل بي بعد القتل فقالت يا بني وهل تتألم الشاة من السلخ بعد الذبح ودخلوا على ابن الزبير في المسجد وقت الصلاة وقد التجأ الى البيت وهم ينادون يا ابن ذات النطاقين فقال ابن الزبير متمثلا

وعيرها الواشون أني أحبها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ونظر الى طائفة منهم قد اقبلوا نحوه بالسيوف فقال لاصحابه من هؤلاء قالوا أهل مصر قال قتلة عثمان أمير المؤمنين ورب الكعبة فحمل عليهم فضرب رجلا منهم به أدمة فقده وقال صبرا يا ابن حام وتكاثر عليه الرجال من أهل الشأم ومصر فلم يزل يضرب فيهم حتى أخرجهم عن المسجد ورجع الى البيت وهو يقول

ولست بمبتاع الحياة بسبة * ولا ابتغي من رهبة الموت أسلما

فاستلم الحجر ثم تكاثروا عليه فحمل عليهم وهو يقول

قد سن اصحابك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

فأتاه حجر فصك جبينه فادماه وأوضحه فقال

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

والاتراك وقوف اترانى خلعتكما طمعا فى ان اعيش حتى يكبر ولدى وابايع له والله ماطمعت فى ذلك ساعة قط واذا لم يكن لى فى ذلك طمع فوالله لان يليها بنو أبى احب الى من ان يليها بنو عمى ولكن هؤلاء واوما الى سائر الموالى ممن هو قائم عنده وقاعد ألحوا على فى خلعكما فخفت ان لم افعل ان يعترضكما بعضهم بحديدة فيأتى عليكما فما ترانى صانعا اذن أقتله فوالله ماتفى دماؤهم كلهم بدم بعضكم فكانت اجابتهم الى ماسألوا أسهل على فقبلا يده وضمهما ثم انهما اشهدا على أنفسهما القضاة وبنى هاشم والقواد ووجوه الناس وغيرهم بالخلع وكتب بذلك المنتصر الى محمد بن عبد الله ابن طاهر والى غيرهم

(ذكر موت المنتصر)

فى هذه السنة توفى المنتصر فى يوم الاحد لخمس خلون من ربيع الآخر وقيل يوم السبت وكنيته أبو جعفر بن المتوكل على الله وقيل كنيته أبو العباس وقيل أبو عبد الله وكانت علته الذبحة فى حلقه أخذته يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الاول وقيل كانت علته من ورم فى معدته ثم صعد الى فؤاده فمات وكانت علته ثلاثة أيام وقيل انه وجد حرارة فدعا بعض اطبائه ففصده بمبضع مسموم فمات منه وانصرف الى منزله وقد وجد حرارة فدعا تلميذا له ليفصده ووضع مباضعه بين يديه ليستخير أجودها فاختار ذلك المبضع المسموم وقد نسيه الطبيب ففصده به فلما فرغ نظر اليه فعرفه فأيقن بالهلاك ووصى من ساعته وقيل انه كان وجد فى رأسه علة فقطر ابن الطيفورى فى اذنه دهنا فورم رأسه فمات وقيل بل سمه ابن الطيفورى فى محاجمه فمات وقيل كان كثير من الناس حين أفضت الخلافة اليه الى ان مات يقولون انما مدة حياته ستة أشهر مدة شيرويه بن كسرى قاتل أبيه يقوله الخاصة والعامة وقيل ان المنتصر كان نائما فى بعض الايام فانتبه وهو يبكى وينتحب فسمعه عبد الله بن عمر البازيار فأتاه فسأله عن سبب بكائه فقال كنت نائما فرأيت فيما يرى النائم كأن المتوكل قد جاءنى فقال ويحك يا محمد قتلتنى وظلمتنى وغبنتنى خلافتى والله لا متعت بها بعدى الا أياما يسيرة ثم مصيرك الى النار فقال عبد الله هذه رؤيا وهى تصدق وتكذب بل يعمرك الله ويسرك ادع بالنبيذ وخذ فى اللهو ولا تعبأ بها ففعل ذلك ولم يزل منكسرا الى ان توفى قال بعضهم وذكر ان المنتصر كان شاور فى قتل أبيه جماعة من الفقهاء واعلمهم بمذاهبه وحكى عنه أمورا قبيحة كرهت ذكرها فأشاروا بقتله فكان كما ذكرنا بعضه وكان عمره خمسا وعشرين سنة وستة أشهر وقيل أربعا وعشرين سنة وكانت خلافته ستة أشهر ويومين وقيل كانت ستة أشهر سواء وكانت وفاته بسامرا فلما حضرته الوفاة انشد

وما فرحت نفسى بدنيا اخذتها ⁂ ولكن الى الرب الكريم اصير

وصلى عليه أحمد بن محمد المعتصم بسامرا وبها كان مولده وكان أعين اقنى قصيرا مهيبا وهو اول خليفة من بنى العباس عرف قبره وذلك ان امه طلبت اظهار قبره وكانت أمه أم ولد رومية

(ذكر بعض سيرته)

كان المنتصر عظيم الحلم راجح العقل غزير المعروف راغبا فى الخير جوادا كثير الانصاف حسن العشرة وأمر الناس بزيارة قبر على والحسين عليه السلام وآمن العلويين وكانوا خائفين أيام أبيه واطلق وقوفهم وأمر برد فدك الى ولد الحسين والحسن ابنى على بن أبى طالب عليه السلام وذكر ان المنتصر لما ولى الخلافة كان أول ما أحدث ان عزل صالح بن على عن المدينة واستعمل عليها على بن الحسين بن اسمعيل بن العباس بن محمد قال على فلما دخلت أودعه قال لى يا على انى أوجهك

فكشفهم عن المسجد ورجع الى من بقى من أصحابه عند البيت فقال لهم ألقوا أغماد السيوف وليمض كل منكم سيفه كما يصون وجهه لا ينكسر سيف أحدكم فيقعد كالمرأة ولا يسأل رجل منكم ابن عبد الله من يسأل عنى فانى فى الرعيل الاول ثم أنشأ يقول

يارب ان جنود الشام قد كثروا
وهتكوا من حجاب البيت أستارا
يارب انى ضعيف الركن مضطهد
فابعث الىّ جنودا منك أنصارا

وتكاثر أهل الشأم عليه ألوفا من كل باب فحمل عليهم فشدخ بالحجارة فانصرع واكب عليه مواليان له وأحدهما يقول العبد يحمى ربه ويحتمى حتى قتلوا جميعا وتفرق من كان معه من أصحابه وأمر به الحجاج فصلب بمكة وكان مقتله يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين وكلمت أسماء أمه الحجاج فى دفنه فأبى عليها فقالت للحجاج أشهد انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فاما الكذاب فهو المختار وأما المبير فما أظنك الا هو وسنذكر لمعا من أخبار الحجاج فيما يرد من هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على مبسوطها فيما تقدم من كتبنا وأقام الحجاج

الى

الى لحمى وذمى ومتساعده وقال الى هذا أوجه بك فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملهم يعنى الى آل أبى طالب فقال ارجوان امتثل امر أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى فقال اذا تسعد عندى ومن كلامه والله ماعز ذو باطل ولو طلع القمر من جبينه ولا ذل ذو حق ولو اتفق العالم عليه

﴿ذكر خلافة المستعين﴾

وفى هذه السنة بويع أحمد بن محمد بن المعتصم بالخلافة وكان سبب ذلك ان المنتصر لما توفى اجتمع الموالى على الهارونية من الغد وفيها بغا الكبير وبغا الصغير واتامش وغيرهم فاستحلفوا قواد الاتراك والمغاربة والاشروسنية على ان يرضوا بمن يرضى به بغا الكبير وبغا الصغير واتامش وذلك بتدبير أحمد بن الخصيب فحلفوا وتشاوروا وكرهوا أن يتولى الخلافة احد من ولد المتوكل لئلا يغتالهم واجمعوا على أحمد بن محمد بن المعتصم وقالوا لا تخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم فبايعوه ليلة الاثنين لست خلون من ربيع الآخر وهو ابن ثمان وعشرين سنة ويكنى أبا العباس فاستكتب أحمد بن الخصيب واستوزر اتامش فلما كان يوم الاثنين سار المستعين الى دار العامة فى زى الخلافة وحمل ابراهيم بن اسحق بين يديه الحربة وصف واجن الاشروسنى اصحابه صفين وقام هو وعدة من وجوه أصحابه وحضر الدار أصحاب المراتب من العباسيين والطالبيين وغيرهم فبينا هم كذلك اذ جاءت صيحة من ناحية الشارع والسوق واذا نحو من خمسين فارسا ذكروا انهم من أصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر ومعهم غيرهم من اخلاط الناس والغوغاء والسوقة فشهروا السلاح وصاحوا انفير يا منصور وشدوا على أصحاب الاشروسنى فتضعضعوا وانضم بعضهم الى بعض وتحرك من على باب العامة من المبيضة والشاكرية وكثروا فحمل عليهم المغاربة وبعض الاشروسنية فهزموهم حتى ادخلوهم درب زرافة ثم نشبت الحرب بينهم فقتل جماعة وانصرف الاتراك بعد ثلاث ساعات وقد بايعوا المستعين هم ومن حضر من الهاشميين وغيرهم ودخل الغوغاء والمنتهبة دار العامة فانتهبوا الخزانة التى فيها السلاح والدروع والجواشن والسيوف والتروس وغير ذلك وكان الذين نهبوا ذلك الغوغاء وأصحاب الحمامات وغلمان اصحاب الباقلا وأصحاب الفقاع فأتاهم بغا الكبير فى جماعة فاجلوهم عن الخزانة وقتلوا منهم عدة وكثر القتل من الفريقين وتحرك أهل السجن بسامرا وهرب منهم جماعة ثم وضع العطاء على البيعة وبعث بكتاب البيعة الى محمد بن عبد الله بن طاهر فبايع له هو والناس ببغداد ذكر ابن مسكويه فى كتاب تجارب الامم ان المستعين أخو المتوكل لابيه وليس هو كذلك انما هو ولد أخيه محمد بن المعتصم والله أعلم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها ورد على المستعين وفاة طاهر بن عبد الله بن طاهر بخراسان فى رجب فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر على خراسان ولمحمد بن عبد الله بن طاهر على العراق وجعل اليه الحرمين والشرطة ومعاون السواد وافرده به وفيها مات بغا الكبير فعقد لابنه موسى على أعمال أبيه كلها وولى ديوان البريد وفيها وجه أوتامش الترك الى أبى العمود الثعلبى فقتله بكفرتوثى لخمس بقين من ربيع الآخر وفيها اخرج عبيد بن يحيى بن خاقان الى الحج فوجه خلفه رسول بنفيه الى برقة ويمنعه من الحج وفيها ابتاع المستعين من المعتز والمؤيد جميع مالهما وأشهد عليهما القضاة والفقهاء وكان الشراء باسم الحسن بن المخلد للمستعين وترك للمعتز ما يحصل منه فى السنة عشرون ألف دينار وللمؤيد ما يحصل منه فى السنة خمسة آلاف دينار وحبسا فى حجرة فى الجوسق ووكل بهما وكان الاتراك

واليا على مكة والمدينة والحجاز واليمن واليمامة ثلاث سنين ثم جمع له العراق بعد موت بشر بن مروان بالبصرة ومات جابر بن عبد الله الانصارى فى أيام عبد الملك بالمدينة وذلك فى سنة ثمان وسبعين وقد ذهب بصره وهو ابن نيف وتسعين سنة وقد كان قدم الى معاوية بدمشق فلم يأذن له أياما فلما أذن له قال يا معاوية أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حجب ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم فاقته وحاجته فغضب معاوية وقال له لقد سمعته يقول انكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تردوا على الحوض أفلا صبرت قال ذكرتنى ما نسيت وخرج فاستوى على راحلته ومضى فوجه اليه معاوية بستمائة دينار فردها وكتب اليه

وانى لاختار القنوع على الغنى
اذا اجتمعا والماء بالبارد المحض
وأقضى على نفسى اذا الامر نابنى
وفى الناس من يقضى عليه ولا يقضى
وألبس أثواب الحياء وقد أرى
مكان الغنى أن لا أهين له عرضى

وقال لرسوله قل له والله يا ابن آكلة الاكباد لا وجد فى صحيفتك حسنة انا سببها أبدا ومات محمد بن الحنفية فى سنة احدى وثمانين فى أيامه بالمدينة ودفن بالبقيع وصلى عليه أبان

حين شغب الغوغاء ارادوا قتلهما فمنعهم أحمد بن الخصيب وقال لا ذنب لهما ولكن احبسوهما فحبسوهما وفيها غضب الموالي على أحمد بن الخصيب في جمادى الآخرة واستصفى ماله ومال ولده ونفي الى اقريطش وفيها صرف علي بن يحيى الارمني عن الثغور الشامية وعقد له على ارمينية وأذربيجان في شهر رمضان وفيها شغب أهل حمص على كيدر عاملهم فأخرجوه فوجه اليهم المستعين الفضل بن قارن فأخذهم فقتل منهم خلقا كثيرا وحمل منهم مائة من أعيانهم الى سامرا وفيها اغزا الصائفة وصيف وكان مقيما بالثغر الشامي فدخل بلاد الروم فافتتح حصن فروربة وفيها عقد المستعين لاتامش على مصر والمغرب واتخذه وزيرا وفيها عقد لبغا الشرابي على حلوان وماسبذان ومهرجانقذق وجعل المستعين شاهك الخادم على داره وكراعه وحرمه وخواصه وخاص أموره وقدمه وأتامش على جميع الناس وحج بالناس هذه السنة محمد بن سليمان الزينبي وفيها حكم محمد بن عمرو أيام المنتصر وخرج بناحية الموصل خارجي فوجه اليه المنتصر اسحق بن ثابت الفرغاني فأسره مع عدة من أصحابه فقتلوا وصلبوا وفيها تحرك يعقوب بن الليث الصفار من سجستان نحو هراة وفيها توفي عبد الرحمن بن عدويه أبو محمد الرافعي الزاهد وكان مستجاب الدعوة وهو من أهل افريقية وفيها سارت سرية في الاندلس الى ذي تروجه وكان المشركون قد تطاولوا الى ذلك الجانب فلقيتهم السرية فأصابوا من المشركين وقتلوا كثيرا منهم وفيها كان بصقلية سرايا للمسلمين فغنمت وعادت ولم يكن حرب بينهم تذكر وفيها توفي أبو كريب محمد بن العلاء الهمداني الكوفي في جمادى الآخرة وكان من مشايخ البخاري ومسلم ومحمد بن حميد الرازي المحدث

﴿ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين﴾

﴿ذكر غزو الروم وقتل علي بن يحيى الارمني﴾

في هذه السنة غزا جعفر بن دينار الصائفة فافتتح حصنا ومطامير واستأذنه عمر بن عبيد الله الاقطع في المسير الى بلاد الروم فأذن له فسار في خلق كثير من أهل ملطية فلقيه الملك في جمع عظيم من الروم بمرج الاسقف فحاربه محاربة شديدة قتل فيها من الفريقين خلق كثير ثم أحاطت به الروم وهم خمسون ألفا وقتل عمر وألفا رجل من المسلمين في منتصف رجب فلما قتل عمر بن عبيد الله خرج الروم الى الثغور الجزرية وكلبوا عليها وعلى أموال المسلمين وحرمهم فبلغ ذلك علي ابن يحيى وهو قافل من ارمينية الى ميافارقين في جماعة من أهلها ومن أهل السلسلة فنفر اليهم فقتل في نحو من أربعمائة رجل وذلك في شهر رمضان

﴿ذكر الفتنة ببغداد﴾

وفيها شغب الجند والشاكرية ببغداد وكان سبب ذلك ان الخبر لما اتصل بهم وبسامرا وماقرب منها بقتل عمر بن عبيد الله وعلي بن يحيى وكانا من شجعان الاسلام شديدا بأسهما عظيما عناؤهما عن المسلمين في الثغور شق ذلك عليهم مع قرب مقتل أحدهما من الآخر وما لحقهم من استعظامهم قتل الاتراك للمتوكل واستيلائهم على أمور المسلمين يقتلون من يريدون من الخلفاء ويستخلفون من أحبوا من غير ديانة ولا نظر للمسلمين فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير وانضم اليها الابناء والشاكرية تظهر أنها تطلب الارزاق وكان ذلك أول صفر ففتحوا السجون وأخرجوا من فيها وأحرقوا أحد الجسرين وقطعوا الآخر وانتهبوا دار بشر وابراهيم ابني هرون كاتبي محمد بن عبد الله ثم أخرج أهل اليسار من بغداد وسامرا أموالا كثيرة ففرقوها فيمن نهض الى الثغور وأقبلت العامة من نواحي الجبال وفارس والاهواز وغيرها للغزو الروم فلم يأمر

ابنه أبي هاشم وكان محمد يكنى بأبي القاسم وقبض وهو ابن خمس وستين وقيل ابن عثمان بن عفان باذن انه خرج الى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات بها وقيل انه مات ببلاد أيلة وقد تنوزع في موضع قبره وقدمنا قول الكيسانية ومن قال منهم انه بجبل رضوى وكان له من الولد الحسن وأبو هاشم والقاسم وابراهيم (حدثنا) نصر ابن علي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري عن يونس بن أبي اسحق قال حدثنا سهيل ابن عبيد بن عمر الحاوري قال كتب ابن الحنفية الى عبد الملك ان الحجاج قد قدم بلدنا وقد خفته فأحب ان لا تجعل له علي سلطانا بيد ولا لسان فكتب عبد الملك الى الحجاج ان محمد ابن علي كتب الي يستعفيني منك وقد أخرجت يدك عنه فلم أجعل لك عليه سلطانا بيد ولا لسان فلا تتعرض له فلقيه في الطواف فعض على شفته ثم قال لم يأذن لي فيك أمير المؤمنين فقال له محمد ويحك أوما علمت أن لله تبارك وتعالى في كل يوم وليلة ثلثمائة وستين لحظة أو قال نظرة لعله أن ينظر الي منها بنظرة أو قال بلحظة فيرحمني فلا يجعل لك علي سلطانا بيد ولا لسان قال فكتب بها الحجاج الى عبد الملك فكتب بها عبد الملك الى ملك الروم وقد كان توعده فكتب اليه ملك الروم

الخليفة

الخليفة في ذلك بشئ ولا بوجه عسكره

(ذكر الفتنة بسامرا)

وفيها في ربيع الاول وثب نفر من الناس لا يدرى من هم بسامرا ففتحوا السجن وأخرجوا من فيه فبعث في طلبهم جماعة من الموالي فوثب العامة بهم فهزموهم فركب بغا وأتامش ووصيف وعامة الاتراك فقتلوا من العامة جماعة فرمى وصيف بحجر فأمر باحراق ذلك المكان وانتهب المغاربة ثم سكن ذلك آخر النهار

(ذكر قتل أتامش)

في هذه السنة قتل أتامش وكاتبه شجاع وكان سبب ذلك ان المستعين أطلق يد والدته ويد أتامش وشاهك الخادم في بيوت الاموال وأباحهم فعل ما أرادوا فكانت الاموال التي ترد من الآفاق يصير معظمها الى هؤلاء الثلاثة أخذ أتامش أكثر ما في بيوت الاموال وكان في حجره العباس بن المستعين وكان ما فضل من هؤلاء الثلاثة أخذه أتامش للعباس فصرفه في نفقاته وكانت الموالي تنظر الى الاموال تؤخذ وهم في ضيقة ووصيف وبغا بمعزل من ذلك فأغريا الموالي بأتامش واحكما أمره فاجتمعت الاتراك والفراعنة عليه وخرج اليه منهم أهل الدور والكرخ فعسكروا في ربيع الآخر وزحفوا اليه وهو في الجوسق مع المستعين وبلغه الخبر فاراد الهرب فلم يمكنه واستجار بالمستعين فلم يجره فأقاموا على ذلك يومين ثم دخلوا الجوسق وأخذوا أتامش فقتلوه وقتلوا كاتبه شجاعا ونهبت دور أتامش فأخذوا منه أموالا جمة وغير ذلك فلما قتل استوزر المستعين أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج وولاه عيسى بن فرخنشاه وولى وصيف الاهواز وبغا الصغير فلسطين ثم غضب بغا الصغير على أبي صالح فهرب الى بغداد فاستوزر المستعين محمد بن الفضل الجرجرائي فجعل على ديوان الرسائل سعيد بن حميد فقال الحمدوني

لبس السيف سعيد بعدما * كان ذا طمرين لا توبة له
ان لله لآيات وذا * آية لله فينا منزله

(ذكر عدة حوادث)

فيها قتل علي بن الجهم بن بدر الشاعر بقرب حلب كان توجه الى الثغر فلقيه خيل لكلب فقتلوه وأخذوا ما معه فقال وهو في السياق

أزيد في الليل ليل * أم سال في الصبح سيل
ذكرت أهل دجيل * وأين مني دجيل

وكان منزله بشارع دجيل وفيها عزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء وولية جعفر بن محمد بن عثمان البرجمي الكوفي وقيل كان ذلك سنة خمسين ومائتين وفيها أصاب أهل الري زلزلة شديدة ورجفة هدمت الدور ومات خلق من أهلها وهرب الباقون فنزلوا ظاهر المدينة وحج بالناس هذه السنة عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام وهو والي مكة وفيها سير محمد صاحب الاندلس جيشا مع ابنه الى مدينة البة والقلاع من بلد الفرنج فجالت الخيل في ذلك الثغر وغنمت وافتتحت بها حصونا منيعة وفيها توفي أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الاغلب صاحب افريقية ثالث عشر ذي القعدة فلما مات ولي أخوه زيادة الله بن محمد بن الاغلب فلما ولي زيادة الله أرسل الى خفاجة بن سفيان أمير صقلية يعرفه موت أخيه وأمره أن يقيم على ولايته

ليست هذه من سجيتك ولا من سجية آبائك ماقالها الا نبي أو رجل من آهل بيت نبي (وذكر) الشعبي قال انفذني عبد الملك الى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسألني عن شئ الا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الاقامة عنده فحبسني أياما كثيرة حتى استحببت خروجي فلما اردت الانصراف قال لي من أهل بيت المملكة أنت قلت لا ولكني رجل من العرب في الجملة فهمس بشئ فدفعت الى رقعة وقيل لي اذا أديت الرسائل عند وصولك الى صاحبك أوصل اليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولي الى عبد الملك ونسيت الرقعة فلما صرت في بعض الدار اذ بدأت بالخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها اليه فلما قرأها قال لي أقال لك شيأ قبل أن يدفعها اليك قلت نعم قال لي من أهل بيت المملكة انت قلت لا ولكني رجل من العرب في الجملة ثم خرجت من عنده فلما بلغت الباب رددت فلما مثلت بين يديه قال لي اتدري ما في الرقعة قلت لا قال اقرأها فلما قرأتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره فقلت له والله لو علمت ما حملتها وانما قال هذا لانه لم يرك قال أفتدري لم كتبها قلت لا قال حسدني عليك وأراد ان يغريني بقتلك قال فتأدى ذلك الى ملك الروم فقال

﴿ثم دخلت سنة خمسين ومائتين﴾

﴿ذكر ظهور يحيى بن عمر الطالبي ومقتله﴾

فى هذه السنة ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المكنى بأبى الحسين عليه السلام بالكوفة وكانت أمه فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن اسمعيل ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم وكان سبب ذلك ان أبا الحسين نالته ضيقة ولزمه دين ضاق به ذرعا فلقى عمر بن فرج وهو يتولى أمر الطالبيين عند مقدمه من خراسان أيام المتوكل فكلمه فى صلته فأغلظ له عمر القول وحبسه فلم يزل محبوسا حتى كفله أهله فأطلق فسار الى بغداد فأقام بها بحال سيئة ثم رجع الى سامرا فلقى وصيفا فى رزق يجرى له فأغلظ له وصيف وقال لاى شئ يجرى على مثلك فانصرف عنه الى الكوفة وبها أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان الهاشمى عامل محمد بن عبد الله بن طاهر فجمع أبو الحسين جماعة كثيرا من الاعراب وأهل الكوفة وأتى الفلوجة فكتب صاحب البريد بخبره الى محمد بن عبد الله بن طاهر فكتب محمد الى أيوب وعبد الله بن محمود السرخسى عامله على معاون السواد يأمرهما بالاجتماع على محاربة يحيى بن عمر فمضى يحيى بن عمر الى بيت مال الكوفة يأخذ الذى فيه وكان فيما قيل ألفى دينار وسبعين ألف درهم وأظهر أمره بالكوفة وفتح السجون وأخرج من فيها وأخرج العمال عنها فلقيه عبد الله بن محمود السرخسى فيمن معه فضربه يحيى بن عمر ضربة على وجهه أثخنه بها فانهزم عبد الله وأخذ أصحاب يحيى ما كان معهم من الدواب والمال وخرج يحيى الى سواد الكوفة وتبعه جماعة من الزيدية وجماعة من أهل تلك النواحى الى ظهر واسط وأقام بالبستان فكثر جمعه فوجه محمد بن عبد الله الى محاربته الحسين بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب فى جمع من أهل النجدة والقوة فسار اليه فنزل فى وجهه لم يقدم عليه فسار يحيى والحسين فى أثره حتى نزل الكوفة ولقيه عبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفلس قبل دخولها فقاتله وانهزم عبد الرحمن الى ناحية شاهى ووافاه الحسين فنزلا بشاهى واجتمعت الزيدية الى يحيى بن عمر ودعا بالكوفة الى الرضا من آل محمد فاجتمع الناس اليه وأحبوه وتولاه العامة من أهل بغداد ولا يعلم أنهم تولوا أحدا من بيته سواه وبايعه جماعة من أهل الكوفة ممن له تدبير وبصيرة فى تشيعهم ودخل فيهم أخلاط لا ديانة لهم وأقام الحسين بن اسمعيل بشاهى واستراح واتصلت بهم الامداد وأقام يحيى بالكوفة يعد العدد ويصلح السلاح فأشار عليه جماعة من الزيدية ممن لا علم لهم بالحرب بمعاجلة الحسين بن اسمعيل وألحوا عليه فزحف اليه ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب ومعه الهيضم العجلى وغيره ورجالة من أهل الكوفة ليس لهم علم ولا شجاعة وأسروا ليلتهم وصبحوا حسينا وهو مستريح فثاروا بهم فى الغلس وحمل عليهم أصحاب الحسين فانهزموا ووضعوا فيهم السيف وكان أول أسير الهيضم العجلى وانهزم رجالة أهل الكوفة وأكثرهم بغير سلاح فداستهم الخيل وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر وعليه جوشن قد تقطر به فرسه فوقف عليه ابن خالد بن عمران فقال له خير فلم يعرفه وظنه رجلا من أهل خراسان لما رأى عليه الجوشن فأمر رجلا فنزل اليه فأخذ رأسه وعرفه رجل كان معه وسير الرأس الى محمد بن عبد الله بن طاهر وادعى قتله غير واحد فسير محمد الرأس الى المستعين فنصب بسامرا لحظة ثم حطه ورده الى بغداد لينصب بها فلم يقدر محمد على ذلك لكثرة من اجتمع من الناس فخاف أن يأخذوه فلم ينصبه وجعله فى صندوق فى بيت السلاح ووجه الحسين بن اسمعيل برؤس من قتل وبالاسرى فحبسوا ببغداد

وكتب

ماأردت الاما قال وذكر عند معاوية عبد الملك فقال هو آخذ بثلاث وتارك لثلاث آخذ بقلب الناس اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر الامرين اذا خولف تارك للمماراة تارك للغيبة تارك لما يعتذر منه وقال لعبد الملك بعض جلسائه يوما أريد الخلوة بك فلما خلا به قال له عبد الملك بشرط ثلاث خصال لا تطرنى فى نفسى عندك فأنا اعلم بها منك ولا تغتب عندى أحدا فلست اسمع منك ولا تكذبنى فلا رأى لمكذب قال أتاذن فى الانصراف قال اذا شئت وذكر الهيثم وغيره من الاخبار بين أن عبد الملك بلغه عن عامل من عماله أنه قبل الهدايا فاشخصه اليه فلما دخل عليه قال له أقبلت هدية منذ وليت قال يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال قال أجب فيما سألتك عنه اقبلت هدية منذ وليتك قال نعم قال ان كنت قبلت ولم تعوض انك للئيم ولئن كنت أنت مهديها من غير مالك أو استكفيته ما لم يكن مثله مستكفاه انك لخائن جائر وفيما أتيت أمر لا تخلو فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع وأمر بصرفه عن عمله (حدث) المنقرى عن الضبى قال قال الوليد بن اسحق قال قال ابن عباس كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر تحت

وكتب محمد بن عبد الله يسأل العفو عنهم فأمر بتخليتهم وان تدفن الرؤس ولا تنصب ففعل ذلك ولما وصل الخبر بقتل يحيى جلس محمد بن عبد الله يهنأ بذلك فدخل عليه داود بن الهيثم أبو هاشم الجعفري فقال أيها الأمير انك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا لعزى به فارد عليه محمد شيأ فخرج داود وهو يقول

يابني طاهر كلوه وبيأ * ان لحم النبي غير مرى
ان وترا يكون طالبه الله لوتر نجاحه بالحرى

وأكثر الشعراء مراثي يحيى لما كان عليه من حسن السيرة والديانة فمن ذلك قول بعضهم

بكت الخيل شجوها بعد يحيى * وبكاه المهند المصقول
وبكته العراق شرقا وغربا * وبكاه الكتاب والتنزيل
والمصلى والبيت والركن والحجـ * ـر جميعا له عليه عويل
كيف لم تسقط السماء علينا * يوم قالوا أبو الحسين قتيل
وبنات النبي تبدين شجوا * موجعات دموعهن همول
قطعت وجهه سيوف الاعادى * بأبي وجهه الوسيم الجميل
ان يحيى أبقى بقلبي غليلا * سوف يؤذي بالجسم ذاك الغليل
قتله مذكر لقتل علي * وحسين ويوم أوذي الرسول
صلوات الاله وقفا عليهم * ما بكى موجع وحن ثكول

﴿ذكر ظهور الحسن بن زيد العلوي﴾

وفيها ظهر الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن زيد بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بطبرستان وكان سبب ظهوره ان محمد بن عبد الله بن طاهر لما ظفر بيحيى بن عمر أقطعه المستعين من ضواحي السلطان بطبرستان قطائع منها قطيعة قرب ثغر الديلم وهما كلاروشالوس وكان بحذائهما أرض تحتطب منها أهل تلك الناحية وترعى فيها مواشيهم ليس لاحد عليها ملك انما هي موات وهي ذات غياض وأشجار وكلا فوجه محمد بن عبد الله نائبه لحيازة ما أقطع واسمه جابر بن هرون النصراني وعامل طبرستان يومئذ سليمان بن عبد الله بن طاهر بن عبد الله بن طاهر خليفة محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر وكان الغالب على أمر سليمان محمد بن أوس البلخي وقد فرق محمد هذا أولاده في مدن طبرستان وهم احداث سفهاء فتأذى بهم الرعية وشكوا منهم ومن أبيهم ومن سليمان سوء السيرة ثم ان محمد بن أوس دخل بلاد الديلم وهم مسالمون لاهل طبرستان فسبى منهم وقتل فساء ذلك أهل طبرستان فلما قدم جابر بن هرون لحيازة ما أقطعه محمد بن عبد الله عمد فحاز فيه ما اتصل به من أرض موات يرتفق بها الناس وفيما حاز كلاروشالوس وكان في تلك الناحية يومئذ اخوان لهما بأس ونجدة يضبطان امن رامها من الديلم مذكوران باطعام الطعام وبالافضال يقال لاحدهما محمد وللآخر جعفر وهما ابنا رستم وأنكرا ما فعل جابر من حيازة الموات وكانا مطاعين في تلك الناحية فاستنهضا من أطاعهما لمنع جابر من حيازة ذلك الموات فخافهما جابر وهرب منهما فلحق بسليمان بن عبد الله وخاف محمد وجعفر ومن معهما من عامل طبرستان فراسلوا جيرانهم من الديلم يذكرونهم العهد الذي بينهم ويعتذرون فيما فعله محمد بن أوس بهم من السبي والقتل فاتفقوا على المعاونة والمساعدة على حرب سليمان بن عبد الله وغيره ثم أرسل ابنا رستم ومن وافقهما الى رجل من الطالبيين اسمه محمد بن ابراهيم كان بطبرستان يدعونه الى البيعة له فامتنع

عبد الملك بن مروان فغضبت عليه فطلب رضاها بكل شئ فأبت عليه وكانت أحب الناس اليه فشكا ذلك الى خاصته فقال له عمرو بن بلال رجل من بني أسد كان قد تزوج بنت زنباع الجذامي مالي عليك ان أرضيتها قال أحكمك فخرج وجلس ببابها يبكي فقالت خاصتها مالك أبا حفص قال فزعت الى ابنة عمي فاستأذنوا لي عليها فأذنت له وبينهما ستر فقال قد عرفت حالي مع أمراء المؤمنين معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك ولم يكن لي غير ابنين فعدا أحدهما على الآخر فقتله فقال أمير المؤمنين انا قاتل المتعدي قلت له انا ولي الدم وقد عفوت فأبى علي وقال ما أحب أن أعوّد رعيتي هذا وهو قاتله بالغداة فانشدك الله الا ما طلبته منه فقالت لا أكلمه قال ما أظنك تكسبين شيأ هو أفضل من احياء نفس ولم يزل خواصها وخدمها وحاشيتها حتى قالت علي بثيابي فلبست وكان بينها وبين عبد الملك باب وكانت قد ردمته فأمرت بفتحه ثم دخلت وأقبل الخصي يشتد فقال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قال ويلك ورأيتها قال نعم اذ طلعت وعبد الملك على سريره فسلمت فسكت فقالت أما والله لولا مكان عمرو بن بلال ما أتيتك آلله أن عدا أحد ابنيه على الآخر فقتله وهو ولي الدم وقد

عليهم وقال لكني أدلكم على رجل منا هو أقوم بهذا الامر مني فدلهم على الحسن بن زيد وهو بالري فوجهوا اليه عن رسالة محمد بن ابراهيم يدعوه الى طبرستان فشخص اليها فاتاهم وقد صارت كلمة الديلم وأهل كلار وشالوس والرويان على بيعته فبايعوه كلهم وطردوا عمال ابن أوس عنهم فلحقوا بسليمان بن عبد الله وانضم الى الحسن بن زيد أيضا جبال طبرستان كاصمغان وفاوشان وليث ابن قتاد وجماعة من أهل السفح ثم تقدم الحسن ومن معه نحو مدينة آمل وهي أقرب المدن اليهم واقبل ابن أوس من سارية ليدفعه عنها فاقتتلوا قتالا شديدا وخالف الحسن بن زيد في جماعة الى آمل فدخلها فلما سمع ابن أوس الخبر وهو مشغول بحرب من يقاتله من أصحاب الحسن بن زيد لم يكن له همة الا النجاء بنفسه فهرب ولحق بسليمان الى سارية فلما استولى الحسن على آمل كثر جمعه وأتاه كل طالب نهب وفتنة وأقام بآمل أياما ثم سار نحو سارية لحرب سليمان بن عبد الله فخرج اليه سليمان فالتقوا خارج مدينة سارية ونشبت الحرب بينهم فسار بعض قواد الحسن نحو سارية فدخلها فلما سمع سليمان الخبر انهزم هو ومن معه وترك أهله وعياله وثقله وكل ماله بسارية واستولى الحسن وأصحابه على ذلك جميعه فأما الحرم والاولاد فجعلهم الحسن في مركب وسيرهم الى سليمان بجرجان وأما المال فكان قد نهب وتفرق وقيل ان سليمان انهزم اختيارا لان الطاهرية كلها كانت تتشيع فلما أقبل الحسن بن زيد الى طبرستان تأثم سليمان من قتاله لشدته في التشيع وقال

نبئت خيل ابن زيد أقبلت حينا * يريدنا لنحسينا الامرينا
ياقوم ان كانت الانباء صادقة * فالويل لي وجميع الطاهرينا
اما انا فاذا اصطفت كتائبنا * أكون من بينهم رأس المولينا
فالعذر عند رسول الله منبسط * اذا احتسبت دماء الفاطميينا

فلما التقوا انهزم سليمان فلما اجتمعت طبرستان للحسن وجه الى الري جندا مع رجل من أهله يقال له الحسن بن زيد أيضا فلكها وطرد عنها عامل الطاهرية فاستخلف بها رجلا من العلويين يقال له محمد بن جعفر وانصرف عنها وورد الخبر على المستعين ومدبر أمره يومئذ وصيف وكاتبه أحمد بن صالح بن شيرزاد فوجه اسمعيل بن فراشة في جند الى همدان وأمره بالمقام بها ليمنع خيل الحسن عنها واما ما عداها فالى محمد بن عبد الله بن طاهر وعليه الذب عنه فلما استقر بمحمد بن جعفر الطالبي المقام بالري ظهرت منه أمور كرهها أهل الري ووجه محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر قائدا من عنده يقال له محمد بن ميكال في جمع من الجند الى الري وهو أخو الشاه بن ميكال فالتقى هو ومحمد بن جعفر الطالبي خارج الري فأسر محمد بن جعفر وانهزم جيشه ودخل ابن ميكال الري وأقام بها فوجه الحسن بن زيد عسكرا عليه قائد يقال له واجن فلما صار الى الري خرج اليه محمد ابن ميكال فالتقوا فاقتتلوا فانهزم ابن ميكال والتجأ الى الري معتصما بها فاتبعه واجن وأصحابه حتى قتلوه وصارت الري الى أصحاب الحسن بن زيد فلما كان هذه السنة يوم عرفة ظهر بالري أحمد بن عيسى بن حسين الصغير بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وادريس ابن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فصلى أحمد بن عيسى بأهل الري صلاة العيد ودعا للرضا من آل محمد فحاربه محمد بن علي بن طاهر فانهزم محمد بن علي وسار الى قزوين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

بعد أن نكحها ثلاثا وراح عبد الملك لمجلس مجلسه للخاصة فدخل عمرو بن بلال فقال له يا أبا حفص ألطفت الحيلة في القيادة ولك الحكم فقال يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيها من الآلات والرقيق قال هي لك قال وفرائض لولدي وأهل بيتي قال وذلك كله وبلغ عاتكة الخبر فقالت ويلي على القواد اياها أخذ عني وكتب عبد الملك الى الحجاج ان صف لي الفتنة فكتب اليه ان الفتنة ليست بالنجوى وتخص بالشكوى وتنتج بالخطب فكتب اليه انك قد أصبت واحسنت الصفة فان أردت أن تستقيم لك من قبلك فخزعهم بالجماعة وأعطهم عطاء الفرقة والصق بهم الحاجة (وحدثنا) المنقري قال حدثنا أبو الوليد الصباح بن الوليد قال حدثنا أبو رياش عتبة بن نعامة عن مقلس بن سابق الدمشقي ثم السكسكي أن عبد الملك لما بلغه خلع ابن الاشعث صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أهل العراق استعجلوا قدري قبل انقضاء أجلي اللهم لا تسلطنا على من هو خير منا ولا تسلط علينا من نحن خير منه اللهم سلط سيف أهل الشام على أهل العراق حتى يبلغ رضاك فاذا بلغه فلا

وفيها

وفيها غضب المستعين على جعفر بن عبد الواحد لانه بعث الى الشاكرية فزعم وصيف انه أفسدهم فنفى الى البصرة فى ربيع الاول وفيها أسقطت مرتبة من كانت له مرتبة فى دار العامة من بنى أمية كابى الشوارب والعثمانيين وأخرج الحسن بن الافشين من الحبس وفيها عقد لجعفر ابن الفضل بن عيسى بن موسى المعروف ببشاشات على مكة وفيها وثب أهل حمص وقوم من كلب بعاملهم وهو الفضل بن قارن أخو مازيار بن قارن فقتلوه فوجه المستعين الى حمص موسى بن بغا فى رمضان فلقيه أهلها فيما بين حمص والرستن وحاربوه فهزمهم وافتتح حمص وقتل من أهلها مقتلة عظيمة وأحرقها وأسر جماعة من أهلها الاعيان وفيها مات جعفر بن أحمد بن عمار القاضى وأحمد ابن عبد الكريم الحورانى التيمى قاضى البصرة وفيها ولى أحمد بن الوزير قضاء سامرا وفيها وثب الشاكرية والجند بفارس بعبد الله بن اسحق بن ابراهيم فانتهبوا منزله وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن وهرب عبد الله بن اسحق وفيها وجه محمد بن طاهر بفيلين وأصنام أتيت من كابل وحج بالناس جعفر بن الفضل بشاشات وهو والى مكة وفيها توفى زيادة الله بن محمد بن الاغلب أمير افريقية وكانت ولايته سنة واحدة وستة أيام ولما مات ملك بعده ابن أخيه محمد بن أبى ابراهيم أحمد بن محمد ابن الاغلب وفيها توفى محمد بن الفضل الجرجرائى وزير المتوكل والفضل بن مروان وزير المعتصم وكان موته بسر من رأى والخليع الشاعر الحسين بن الضحاك وكان مولده سنة اثنتين وستين ومائة وهو مشهور الاخبار والاشعار وفيها توفى الحرث بن مسكين قاضى مصر فى ربيع الاول وهو من ولد أبى بكر الثقفى ونصر بن على بن نصر بن على الجهضمى الحافظ وفيها توفى أبو حاتم سهل ابن محمد السجستانى اللغوى روى عن أبى زيد والاصمعى وأبى عبيدة وقيل توفى قبل سنة خمسين والله تعالى بالغيب أعلم

﴿ثم دخلت سنة احدى وخمسين ومائتين﴾

﴿ذكر قتل باغر التركى﴾

وفى هذه السنة قتل باغر التركى قتله وصيف وبغا وكان سبب ذلك ان باغر كان احد قتلة المتوكل فزيد فى ارزاقه فأقطع قطائع فكان مما أقطع قرى بسواد الكوفة فتضمنها رجل من أهل باروسما بألفى دينار فوثب رجل من أهل تلك الناحية يقال له ابن مارية بوكيل لباغر وتناوله فحبس ابن مارية وقيد ثم تخلص وسار الى سامرا فلقى دليل بن يعقوب النصرانى وهو يومئذ صاحب أمر بغا الشرابى والحاكم فى الدولة وكان ابن مارية صديقاله وكان باغر أحد قواد بغا فمنعه دليل من ظلم أحمد بن مارية فانتصف له منه فغضب باغر وباين دليلا وكان باغر شجاعا يتقيه بغا وغيره فحضر عند بغا فى ذى الحجة من سنة خمسين وهو سكران وبغا فى الحمام فدخل اليه وقال من قبل دليلا يقتل به فقال له بغا والله لو أردت ولدى ما منعتك منه ولكن اصبر فان أمور الخلافة بيد دليل وأقيم غيره ثم افعل به ما تريد وارسل بغا الى دليل يأمره أن لا تركب وعرفه الخبر وأقام فى كتابته غيره وتوهم باغر انه قد عزله فسكن باغر ثم أصلح بينهما بغا وباغر يتهدده ولزم باغر خدمة المستعين فقيل ذلك للمستعين فلما كان يوم نوبة بغا فى منزله قال المستعين أى شئ كان الى ايتاخ من الخدمة وأخبره وصيف فقال ينبغى ان تجعل هذه الاعمال الى باغر وسمع دليل ذلك فركب الى بغا فقال له أنت فى بيتك وهم فى تدبير عزلك فاذا عزلت قتلت فركب بغا الى دار الخليفة فى يومه وقال لوصيف أردت ان تعزلنى فحلف انه ما علم ما أراد الخليفة فتعاقدا على تنحية باغر من الدار والحيلة عليه فارجفوا له انه يؤمر ويخلع عليه ويكون موضع بغا وصيف فأحس باغر ومن معه بالشر فجمع

تجاوز سخطك وكتب عبد الملك الى الحجاج أنت سالم فلم يعرف ما أراد بذلك فكتب الى قتيبة يسأله عن ذلك وبعث الكتاب مع رسول فلما ورد الى قتيبة وناوله الكتاب ضرط الرسول فخجل واستحيى فقرأ قتيبة وأراد أن يقول له اقعد فقال اضرط قال قد فعلت فاستحيى قتيبة وقال ما أردت الا أن أقول لك اقعد فغلطت فقال قد غلطت أنا وغلطت أنت قال قتيبة ولا سواء أغلط أنا من فى وتغلط أنت من استك اعلم أمير المؤمنين أن سالما كان عبد الرجل وكان عنده أسيرا وكان يسعى به اليه كثيرا فقال يدبرونى عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والانف سالم فأراد عبد الملك انك عندى بمنزلة سالم فلما أتى الحجاج بالرسالة كتب له عهدا على خراسان وقد حكى نحو هذا الخبر عن رجل كان فى مجلس خالد بن عبد الله القشيرى فضرط فلما حضر الغداء قام ذلك الرجل فقال له خالد اقعد فأبى فقال له أقسمت عليك لتضرطن قال قد ضرطت فخجل خالد واعتذر اليه وأمر له بمال وأهدى الى عبد الملك أترسة مكللة بالدر والياقوت فاعجبته وعنده جماعة من خاصته وأهل خلوته فقال لرجل من جلسائه اسمه خالد اغمز منها ترسا وأراد ان يمتحن صلابته فقام فغمزه فضرط فاستضحك عبد الملك فضحك جلساؤه فقال كم دية الضرطة فقال

اليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكل ومعهم غيرهم فجدد العهد عليهم فى قتل المستعين وبغا ووصيف وقالوا نبايع على ابن المعتصم أو ابن الواثق ويكون الامر لنا كما هو لهذين فأجابوه الى ذلك وانتهى الخبر الى المستعين فبعث الى بغا ووصيف وقال لهما أنتما جعلتمانى خليفة ثم تريدون قتلى فحلفا انهما ما علما بذلك فأعلمهما الخبر فاتفق رأيهم على أخذ باغر ورجلين من الاتراك معه وحبسهم فاحضروا باغر فاقبل فى عدة فعدل به الى حمام وحبس فيه وبلغ الخبر الاتراك فوثبوا على اصطبل الخليفة فانتهبوه وركبوا مافيه وحصروا الجوسق بالسلاح فأمر بغا ووصيف بقتل باغر فقتل

﴿ذكر مسير المستعين الى بغداد﴾

فلما قتل باغر وانتهى خبر قتله الى الاتراك المشغبين أقاموا على ماهم عليه فانحدر المستعين وبغا ووصيف وشاهك الخادم وأحمد بن صالح بن شيرزاد ودليل الى بغداد فى حراقة فركب جماعة من قواد الاتراك الى هؤلاء المشغبين فسألهم الانصراف فلم يفعلوا فلما علموا بانحدار المستعين وبغا ووصيف ندموا ثم قصدوا دار دليل ودور أهله وجيرانه فنهبوها حتى صاروا الى أخذ الخشب وعليف الدواب فلما قدموا بغداد مرض ابن مارية فعاده دليل فقال له ماسبب علتك قال انتقض عقر القيد فقال دليل لئن عقرك القيد لقد نقضت الخلافة وبغيت الفتنة ومات ابن مارية فى تلك الايام وقال بعض الشعراء فى ذلك

لعمرى لئن قتلوا باغرا * لقد هاج باغر حربا طحونا
وفر الخليفة والقائدا * ن بالليل يلتمسان السفينا
وصاحوا بميسان ملاحهم * فوافاهم يسبق الناظرينا
وألزمهم بطن حراقة * وصوت مجاذيفهم سائرينا
وما كان قدر ابن مارية * فتكسب فيه الحروب الديونا
ولكن دليل سعى سعيه * فاجرى الاله بها العالمينا
فحل ببغداد قبل الشروق * فحل بها منه ما يكرهونا
فليت السفينة لم تأتنا * وغرقها الله والراكبينا
وأقبلت الترك والمغربون * وجاء الفراعنة الدارعينا
تسير كراديسهم فى السلاح * يرجون خيلا ورجلا بنينا
فقام بحربهم عالم * بأمر الحروب تولاه حينا
فجدد سورا لى الجانبيـ * ـن حتى أحاطهم أجمعينا
وأحكم أبوابها المصمتات * على السور يحمى بها المستعينا
وهيا مجانيق خطارة * تفت النفوس وتحمى العرينا

ومنع الاتراك الناس من الانحدار الى بغداد وأخذوا ملاحا قد أكرى سفينته فضربوه وصلبوه على دقلها فامتنع أصحاب السفن الاسراه وكان وصول المستعين الى بغداد لخمس خلون من المحرم من هذه السنة فنزل على محمد بن عبد الله بن طاهر فى داره ثم وافى بغداد القواد سوى جعفر الخياط وسليمان بن يحيى بن معاذ وقد مها جلة الكتاب والعمال وبنى هاشم وجماعة من أصحاب بغا ووصيف

﴿ذكر البيعة للمعتز بالله﴾

بعضهم أربعمائة درهم وقطيفة فأمر له بذلك فأنشأ يقول رجل من القوم أيضرط خالد من غمز ترس ويحبوه الامير بها بدورا فيالك ضرطة جلبت غناء ويالك ضرطة أغنت فقيرا يود الناس لو ضرطوا فنالوا من المال الذى أعطى عشيرا ولو نعلم بان الضرط يغنى ضرطنا أصلح الله الاميرا فقال عبد الملك أعطوه أربعة آلاف درهم ولا حاجة لنا فى ضراطك (وحدث) أحمد بن سعيد الدمشقى والطوسى وغيرهما فى كتاب الاخبار المعروف بالموفقيات عن الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد ابن عتبة بن أبى لهب قال حج عبد الملك فى بعض أعوامه وأمر للناس بالعطاء فخرجت بدرة مكتوب عليها من الصدقة فأبى أهل المدينة من قبولها وقالوا انما كان عطاؤنا من الفىء فقال عبد الملك وهو على المنبر يا معشر قريش مثلنا ومثلكم أن أخوين فى الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا فى ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت اليهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنز فأقاما عليها ثلاثة أيام كل يوم تخرج اليهما دينارا فقال أحدهما لصاحبه الى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه فنهاه أخوه وقال ماندرى لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه وأخذ

وفى هذه السنة بويع للمعتز بالله وكان سبب البيعة له انه لما استقر المستعين ببغداد أتاه جماعة من قواد الاتراك المشغبين فدخلوا عليه وألقوا أنفسهم بين يديه وجعلوا مناطقهم فى أعناقهم تذللا وخضوعا وسألوه الصفح عنهم والرضا قال لهم أنتم أهل بغى وفساد واستقلال للنعم ألم ترفعوا الى فى أولادكم فألحقتهم بكم وهم نحو من ألفى غلام وفى بناتكم فأمرت بتصييرهن فى عداد المتزوجات وهن نحو من أربعة آلاف وغير ذلك كله أجبتكم اليه وأدررت عليكم الارزاق فعملتم آنية الذهب والفضة ومنعت نفسى لذتها وشهوتها ارادة اصلاحكم ورضاكم وأنتم تزدادون بغيا وفسادا فعادوا وتضرعوا وسألوه العفو فقال المستعين قد عفوت عنكم ورضيت فقال له أحدهم واسمه بابى بك فان كنت قد رضيت فقم فاركب معنا الى سامرا فان الاتراك ينتظرونك فأمر محمد بن عبد الله بعض أصحابه فقام اليه فضربه وقال محمد هكذا يقال لامير المؤمنين قم فاركب معنا فضحك المستعين وقال هؤلاء قوم عجم لا يعرفون حدود الكلام وقال لهم المستعين ترجعون الى سامرا فان ارزاقكم دارة عليكم وأنظر أنا فى أمرى فانصرفوا آيسين منه وأبغضهم ما كان من محمد بن عبد الله الى بابى بك وأخبروا من وراءهم خبرهم وزادوا وحرضوا وتحريضاهم على خلعه فاجتمع رأيهم على اخراج المعتز وكان هو والمؤيد فى حبس الجوسق وعليهم من يحفظهم فأخرجوا المعتز من الحبس وأخذوا من شعره فكان قد كثر وبايعوا له بالخلافة وأمر للناس برزق عشرة أشهر للبيعة فلم يتم المال فأعطوا شهرين لقلة المال عندهم وكان المستعين خلف بيت المال بسامرا فيه نحو خمسمائة ألف دينار وفى بيت مال أم المستعين قيمة ألف ألف دينار وفى بيت مال العباس قيمة ستمائة ألف دينار وكان فيمن احضر للبيعة أبو أحمد بن الرشيد وبه نقرس فى محفة محمولا فأمر بالبيعة فامتنع وقال للمعتز خرجت الينا طائعا لخلعها وزعمت انك لا تقوم بها فقال المعتز أكرهت على ذلك وخفت السيف فقال أبو أحمد ما علمنا انك أكرهت وقد بايعنا هذا الرجل فتريد ان تطلق نساءنا وتخرج عن أموالنا ولا ندرى ما يكون ان تركتنى على أمرى حتى يجتمع الناس والا فهذا السيف فتركه المعتز وكان ممن بايع ابراهيم الديرج وعتاب بن عتاب فأما عتاب فهرب الى بغداد وأما الديرج فأقر على الشرط واستعمل على الدواوين وبيت المال والكتابة وغير ذلك ولما اتصل بمحمد بن عبد الله خبر بيعة المعتز وتوجيه العمال أمر بقطع الميرة عن أهل سامرا وكتب الى مالك بن طوق فى المسير الى بغداد هو وأهل بيته وجنده وكتب الى نجوبه بن قيس وهو على الانبار فى الاحتشاد والجمع الى سليمان بن عمران الموصلى فى منع السفن والميرة عن سامرا فاخذت سفينة ببغداد فيها ارز وغيره فهرب الملاح وبقيت السفينة حتى غرقت وأمر المستعين محمد بن عبد الله بتحصين بغداد فتقدم فى ذلك فادير عليها السور من دجلة من باب الشماسية الى سوق الثلاثاء حتى أورده دجلة وأمر بحفر الخنادق من الجانبين جميعا وجعل على كل باب قائدا فبلغت النفقة على ذلك جميعه ثلثمائة ألف وثلاثين ألف دينار ونصب على الابواب المنجنيقات والعرادات وشحن الاسوار وفرض فرضا للعيارين وجعل عليهم عريفا اسمه بينويه وعمل لهم تراسا من البوارى المقيرة وأعطاهم المخالى ليجعلوا فيها الحجارة للرمى وفرض أيضا لقوم من خراسان قدموا حجاجا فسئلوا المعونة فاعانوا وكتب المستعين الى عمال الخراج بكل بلدة ان يكون حملهم الخراج والاموال الى بغداد لا يحمل منها الى سامرا شئ وكتب الى الاتراك والجند الذين بسامرا يأمرهم بنقض بيعة المعتز ومراجعة الوفاء له ويذكرهم أياديه عندهم وينهاهم عن المعصية والنكث ثم جرت بين المعتز ومحمد بن عبد الله

فأسلمه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة فجرحت رأسها ولم تقتلها فثارت الحية فقتلته ورجعت الى جحرها فقام أخوه فدفنه وأقام حتى اذا كان من الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شئ فقال لها يا هذه انى والله ما رضيت ما أصابك ولقد نهيت أخى عن ذلك فهل لك ان نجعل الله بيننا أن لا تضرينى ولا أضرك وترجعين الى ما كنت عليه قالت الحية لا قال ولم ذلك قالت انى لأعلم أن نفسك لا تطيب لى أبدا وأنت ترى قبر أخيك ونفسى لا تطيب لك أبدا وأنا أذكر هذه الشجة وأنشدهم شعر النابغة فقالت أرى قبرا تراه مقابلى وضربة فأس فوق رأسى فاغره فيا معشر قريش وليكم عمر ابن الخطاب فكان فظا غليظا مضيقا عليكم فسمعتم له وأطعتم ثم وليكم عثمان فكان سهلا فعدوتم عليه فقتلتموه وبعثنا عليكم مسلما يوم الحرة فقتلناكم فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبدا وأنتم تذكرون يوم الحرة ونحن لا نحبكم أبدا ونحن نذكر قتل عثمان (وحدث) المدينى وابن دأب ان روح ابن زنباع جليس عبد الملك رأى منه اعراضا وجفوة فقال للوليد بن عبد الملك أما ترى ما أنا فيه من أمير المؤمنين باعراضه عنى بوجهه حتى لقد فغرت السباع بأفواهها نحوى وأهوت بمخاليبها الى وجهى فقال له الوليد احتل له

مكاتبات ومراسلات يدعو المعتز محمدا الى المبايعة ويذكره ما كان المتوكل أخذ له عليه من البيعة بعد المنتصر ومحمد يدعو المعتز الى الرجوع الى طاعة المستعين واحتج كل واحد منهما على صاحبه وأمر محمد بكسر القناطر وشق المياه بسطوح الانبار وبادوريا ليقطع الاتراك عن الانبار وكتب المستعين والمعتز الى موسى بن بغا كل واحد منهما يدعوه الى نفسه وكان باطراف الشام كان خرج لقتال أهل حمص فانصرف الى المعتز وصار معه وقدم عبد الله بن بغا الصغير من سامرا الى المستعين وكان قد تخلف بعد أبيه فاعتذر وقال لابيه انما قدمت لاموت تحت ركابك فاقام ببغداد أياما ثم هرب الى سامرا فاعتذر الى المعتز وقال انما سرت الى بغداد لاعلم اخبارهم وآتيك بها وقبله المعتز ورده الى خدمته وورد الحسن بن الافشين بغداد فخلع عليه المستعين وضم اليه جمعا من الاشروسنية وغيرهم

﴿ذكر حصار المستعين ببغداد﴾

ثم ان المعتز عقد لاخيه أبي أحمد بن المتوكل وهو الموفق لسبع بقين من المحرم على حرب المستعين ومحمد بن عبد الله وولاه ذلك وضم اليه الجيش وجعل اليه الامور كلها وجعل التدبير الى كلباتكين التركي فسار في خمسين ألفا من الاتراك والفراعنة وألفين من المغاربة فلما بلغ عكبرا صلى بهم وخطب للمعتز وكتب بذلك الى المعتز فذكر أهل عكبرا انهم كانوا على خوف شديد من مسير محمد بن عبد الله اليهم ومحاربتهم فانتهبوا القرى ما بين عكبرا وبغداد فخربت الضياع وأخذ الناس في الطريق ولما وصل أبو أحمد الى عكبرا هرب اليه جماعة كبيرة من أصحاب بغا الصغير ووصل أبو أحمد وعسكره باب الشماسية لسبع خلون من صفر فقال بعض البصريين ويعرف بباذنجانة

يابني طاهر أتتكم جنود الله والموت بينها مشهور
وجيوش امامهم أبو أحمد نعم المولى ونعم النصير

ولما نزل أبو أحمد بباب الشماسية ولى المستعين باب الشماسية الحسين بن اسمعيل وجعل من هنالك الى القواد تحت يده فلم يزل هنالك مدة الحرب الى ان سار والى الانبار فلما كان عاشر صفر وافت طلائع الاتراك الى باب الشماسية فوقفوا بالقرب منه فوجه محمد بن عبد الله الحسين بن اسمعيل والشاه بن ميكال وبندار الطبري فيمن معهم وعزم على الركوب لقتالهم فاتاه الشاه فاعلمه ان الاتراك لما عاينوا الاعلام والرايات قد أقبلت نحوهم رجعوا الى معسكرهم فترك محمد الركوب فلما كان الغد عزم محمد على توجيه الجيوش الى القفص ليعرضهم هنالك وليرهب الاتراك وركب معه وصيف وبغا في الدروع ومضى معه الفقهاء والقضاة وبعث اليهم يدعوهم الى الرجوع عما هم عليه من الطغيان والعصيان ويبذل لهم الامان على ان يكون المعتز ولى العهد بعد المستعين فلم يجيبوا ومضى نحو باب قطربل فنزل على شاطئ دجلة هو ووصيف وبغا ولم يمكنه التقدم لكثرة الناس فانصرف فلما كان من الغد أتاه رسل وجه الفلس وغيره من القواد يعلمونه ان الترك قد دنوا وضربوا مضاربهم برقة الشماسية وأرسل اليهم لا تبدؤهم بقتال وان قاتلوكم فلا تقاتلوهم وادفعوهم اليوم فوافى باب الشماسية منهم اثنا عشر فارسا فرموا بالسهام ولم يقاتلهم أحد فلما طال مقامهم رماهم المنجنيق بحجر فقتل منهم رجلا فاخذوه ورجعوا وقدم عبيد الله بن سليمان خليفة وصيف التركي من مكة في ثلثمائة رجل فخلع عليه محمد بن عبد الله ووافى الاتراك في هذا اليوم باب الشماسية فخرج الحسين بن اسمعيل ومن معه من القواد لمحاربتهم فاقتتلوا وقتل من الفريقين وجرح وكانوا في القتلى والجرحى على السواء وانهزم أهل

بغداد

في حديث نضحكه به كما احتال هرزبان نديم سابور بن ملك فارس قال روح وما كان من خبره مع الملك قال الوليد كان هرزبان هذا من سمار سابور فظهرت له من سابور جفوة فلما علم ذلك تعلم نباح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وزقاء الديوك وشحيج البغل وصهيل الخيل ومثل هذا ثم توصل الى موضع بقرب من مجلس خلوة الملك وفراشه وأخفى أثره فلما خلا الملك نبح نباح الكلاب فلم يشك الملك أنه كلب فقال الملك ما هذا فعوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضى الغلمان يتبعون الصوت فكلما دنوا منه ترك ذلك الصوت وأحدث صوتا آخر من أصوات البهائم فاحجموا عنه ثم اجتمعوا فاقتحموا عليه فاخرجوه فلما نظروا اليه قالوا للملك هذا هرزبان المضحك فضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ويلك ما حملك على هذا قال ان الله مسخني كلبا وحمارا وكل خلق لما غضبت علي وأمر الملك بالخلع عليه ورده الى مرتبته التي كان فيها وتجدد للملك به سرور فقال روح للوليد اذا اطمأن المجلس بامير المؤمنين فاسألني عن عبد الله بن عمر هل كان يمزح أو يسمع مزاحا قال الوليد أفعل وكان ابن عمر صاحب بسلامة لا يمزح ولا يعرف شيأ من المزاح فتقدم الوليد وسبقه بالدخول فتبعه روح فلما اطمأن بهما مجلس عبد

بغداد وثبت أصحاب البوارى ثم انصرفوا وأحضر الاتراك منجنيقا فغلبهم عليه العامة فاخذوه ثم سار جماعة من الاتراك الى ناحية النهروان فوجه محمد بن عبد الله قائدين من أصحابه فى جماعة وأمرهما بالمقام بتلك الناحية وحفظها من الاتراك فسار اليهم الاتراك فقاتلوهم فانهزم أصحاب محمد الى بغداد وأخذت دوابهم فدخلوا بغداد منهزمين ووجه الاتراك برؤس القتلى الى سامرا واستولوا على طريق خراسان وانقطع الطريق عن بغداد ووجه المعتز عسكرا فى الجانب الغربى فساروا الى بغداد وجازوا قطربل فضربوا عسكرهم هنالك وذلك لاثنتى عشرة خلت من صفر فلما كان من الغد وجه محمد بن عبد الله عسكرا اليهم فلقيهم الشاه بن ميكال فتحاربوا فانهزم أصحاب المعتز فخرج عليهم كمين لمحمد بن عبد الله فانهزموا ووضع أصحاب محمد فيهم السيف فقتلوهم أكثر قتل ولم يفلت منهم الا القليل ونهب عسكرهم جميعه ومن سلم من القتل ألقى نفسه فى دجلة ليعبر الى عسكر أبى أحمد فاخذه أصحاب السفن وحملوا الاسرى والرؤس فى الزواريق فنصب بعضها ببغداد وأمر محمد ان أبلى فى هذا اليوم بالاسورة والخلع والاموال وطلبت المنهزمة فبلغ بعضهم أوانا وبعضهم بلغ سامرا وكان عسكر المعتز أربعة آلاف فقتل منهم ألفان وغرق منهم جماعة وأسر جماعة فخلع محمد على جميع القواد على كل قائد أربع خلع وطوق وسوار من ذهب وكان عود أهل بغداد عنهم مع المغرب وكان أكثر العمل فى هذا اليوم للعيارين وركب محمد بن عبد الله بن طاهر لاثنتى عشرة بقيت من صفر الى الشماسية فامر بهدم ماوراء سورها من الدور والحوانيت والبساتين من باب الشماسية الى ثلاثة أبواب ليتسع على من يحارب وقدم مال من فارس والاهواز مع منكجور الاشروسنى فوجه أبو أحمد الاتراك لاخذه فوجه محمد بن عبد الله جماعة لحفظ المال فعدلوا به عن الاتراك فقدموا به بغداد فلما علم الاتراك بذلك عدلوا نحو النهروان فقتلوا وأحرقوا سفن الجسر وهى عشرون سفينة ورجعوا الى سامرا وقدم محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد وكان المستعين قلده امرة الثغور الجزرية كان بمدينة بلد ينتظر الجنود والمال ليسير الى الثغور فلما كان من أمر المستعين والاتراك ماذكرنا سار من بلد الى بغداد على طريق الرقة فى أصحابه وخاصته وهم زهاء أربعمائة فخلع عليه محمد بن عبد الله خمس خلع ثم وجهه فى جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد فاخذ على طريق الفرات فحاربه فى نفر يسير فهزم محمد وصار الى ضيعته بالسواد فلما سمع محمد بهزيمته قال لا يفلح أحد من العرب الا أن يكون معه نبى ينصره الله به وكانت للاتراك وقعة بباب الشماسية فقاتلوا عليه قتالا شديدا حتى كشفوا من عليه ورموا به المنجنيق بالنار والنفط فلم يحرقه ثم كثر الجند على الباب فازالهم عن موقفهم بعد قتلى وجرحى ووجه محمد العرادات فى السفن فرموهم بها رميا شديدا فقتلوا منهم نحو مائة وكان بعض المغاربة قد صار الى السور فرمى بكلاب فتعلق به فاخذه الموكلون بالسور ورفعوه فقتلوه وألقوا رأسه الى الاتراك فرجعوا الى معسكرهم وأراد بعض الموكلين بالسور أن يصيح يا مستعين يا منصور فصاح يا معتز يا منصور فظنوه من المغاربة فقتلوه وتقدم الاتراك فى بعض الايام الى باب الشماسية فرمى الدرغمان مقدم المغاربة بحجر منجنيق فقتله وكان شجاعا وكان بعض المغاربة يجيء فيكشف استه ويصيح ويضرط ثم يرجع فرماه بعض أصحاب محمد بسهم فى دبره فخرج من حلقه فخر ميتا واجتمعت العامة بسامرا ونهبوا سوق الجوهريين والصيارفة وغيرهما فشكا التجار ذلك الى ابراهيم المؤيد فقال لهم كان ينبغى أن تحولوا متاعكم الى منازلكم ولم يصنع شيأ ولا أنكر ذلك وقدم لثمان بقين من صفر جماعة من أهل الثغور يشكون بلكاجور ويزعمون ان بيعة المعتز وردت

الملك قال الوليد يا أبا زرعة هل كان ابن عمر يمزح أو يسمع المزاح قال روح حدثنى ابن أبى عتيق ان امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية هجته فقالت

ذهب الاله بما تعيش به
وقرت عيشك أيما قمر
أنفقت مالك غير محتشم
فى كل زانية وفى خمر

وكان ابن أبى عتيق صاحب غزل وفكاهة فاخذ هذين البيتين فى رقعة وخرج فاذا هو بابن عمر فقال يا أبا عبد الله انظر فى هذه الرقعة واشر على برأيك فيها فلما قرأها عبد الله استرجع فقال له ماترى فيمن هجانى بهذا الشعر قال أرى أن تعفو وتصفح قال والله يا أبا عبد الرحمن لئن لقيته بناحية لانيكنه نيكا جيدا فاخذ ابن عمر خذلة ورعدة واربد لونه وقال مالك غضب الله عليك قال ماهو الا ما قلت لك وافترقا فلما كان بعد أيام لقيه فاعرض عنه ابن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن انى لقيت صاحب البيتين ونكته فصعق عبد الله بن عمر فلما رأى ماحل به دنا منه وقال له فى أذنه انها امرأتى فقبل مابين عينيه وضحك وقال أحسنت فزدها فضحك عبد الملك حتى فحص برجله وقال له قاتلك الله ياروح ماأطيب حديثك ومد يده اليه فقام اليه روح فاكب عليه وقبل أطرافه وقال يا أمير المؤمنين الذنب فأعتذر أم الملالة فأصبر وأرجو عاقبتها قال لا والله ماذاك لشئ تكرهه ثم عاد الى أحسن

عليه فدعا الناس الى بيعته وأخذ الناس بذلك فمن امتنع ضربه وحبسه وانهم امتنعوا وهربوا فقال وصيف ما أظنه الا ظن ان المستعين مات وقام المعتز فقالوا اما فعله الا عن عهد فورد كتاب بالكاجور لاربع بقين من صفر يذكر انه كان بايع المعتز فلما ورد كتاب المستعين بصحة الامر جدد له البيعة وانه على السمع والطاعة فاراد موسى بن بغا أن يسير الى المستعين فامتنع أصحابه الاتراك من موافقته على ذلك وحاربوه فقتل بينهم قتلى وقدم من البصرة عشر سفائن بحرية في كل سفينة خمسة وأربعون رجلا ما بين نفاط وغيره فمرت الى ناحية الشماسية فرمى من فيها بالنيران الى عسكر أبي أحمد فانتقلوا الى موضع لا ينالهم شيء من النار ولليلة بقيت من صفر تقدم الاتراك الى أبواب بغداد فقاتلوا عليها فقتل من الفريقين جماعة كثيرة ودام القتال الى العصر وفي ربيع الاول عمل محمد بن عبد الله كافر كونات وفرقها على العيارين فخرجوا بها الى أبواب بغداد وقتلوا من الاتراك نحوا من خمسين رجلا ولاربع عشرة خلت من ربيع الاول قدم مزاحم ابن خاقان من ناحية الرقة فتلقاه الناس ومعه زهاء ألف رجل فلما وصل خلع عليه سبع خلع وقلد سيفا ووجه المعتز عسكرا يبلغون ثلاثة آلاف فعسكروا بازاء عسكر أبي أحمد بباب قطربل وركب محمد بن عبد الله في عسكره وخرج من النظارة خلق كثير فحاذى عسكر أبي أحمد فكانت بينهم في الماء جولة وقتل من أصحاب أبي أحمد أكثر من خمسين رجلا ومضى النظارة فجاوزوا العسكر بنصف فرسخ فعبرت اليهم سفن لابي أحمد فنالت منهم ورجع محمد بن عبد الله وأمر ابن أبي عون برد الناس فامرهم بالعود فاغلظوا له فشتمهم وشتموه وضرب رجلا منهم فقتله فحملت عليه العامة فانكشف من بين أيديهم فاخذ أصحاب أبي أحمد أربع سفائن وأحرقوا سفينة فيها عرادة لاهل بغداد وسار العامة الى دار ابن أبي عون لينهبوها وقالوا مايل الاتراك فانهزم أصحابه وكلموا محمدا في صرفه فصرفه ومنعهم من أخذ ماله ولاحدى عشرة خلت من ربيع الاول وصل عسكر المعتز الذي سيره الى مقابل عسكر أخيه أبي أحمد عند عكبرا فاخرج اليهم ابن طاهر عسكرا فمضوا حتى بلغوا قطربل وبها كمين الاتراك فأوقع بهم ونشبت الحرب بينهم وقتل بينهما جماعة واندفع أصحاب محمد قليلا الى باب قطربل والاتراك معهم فخرج الناس اليهم فدفعوا الاتراك حتى نحوهم ثم رجعوا الى أهل بغداد فقتلوا منهم خلقا كثيرا وقتل من الاتراك أيضا خلق كثير ثم تقدم الاتراك الى باب القطيعة فنقبوا السور فقتل أهل بغداد أول خارج منه وكان القتل ذلك اليوم أكثره في الاتراك والجراح بالسهام في أهل بغداد وندب عبد الله بن عبد الله بن طاهر الناس فخرجوا معه وأمر الموكل بباب قطربل ان لا يدع منهزما يدخله ونشبت الحرب فانهزم أصحاب عبد الله وثبت أسد بن داود حتى قتل وكان اغلاق الباب على المنهزمين أشد من الاتراك فأخذوا منهم الاسرى وقتلوا فاكثروا وحملوا الاسرى والرؤس الى سامرا فلما قربوا منها غطوا رؤس الاسرى فلما رآهم أهل سامرا بكوا وضجوا وارتفعت أصواتهم وأصوات نسائهم فبلغ ذلك المعتز فكره ان تغلظ قلوب الناس عليه فأمر لكل أسير بدينار وأمر بالرؤس فدفنت وقدم أبو الساج من طريق مكة لاربع بقين من ربيع الاول فخلع عليه وفي سلخ ربيع الاول جاء نفر من الاتراك الى باب الشماسية ومعهم كتاب من المعتز الى محمد بن عبد الله فاستأذنه أصحابه في أخذه فأذن لهم فاذا فيه يذكره ما يجب عليه من حفظ العهد القديم فان الواجب عليه أنه كان أول من يسعى في أمره ويؤكد خلافته فما رد عليه محمد جواب الكتاب وكانت وقعة بينهم لسبع خلون من ربيع الآخر قتل من الاتراك سبعمائة ومن أصحاب محمد ثلثمائة وفي منتصف ربيع الآخر أمر أبو الساج

حالاته (وقد حكى) مثل هذا عن عبد الملك بن مهلهل الهمذاني وكان سمير السليمان بن المنصور وكان سليمان قد جفاه فاتاه يوما في قائم الظهيرة واحتدام الهجير فاستأذن فقال له الحاجب ليس هذا بوقت اذن على الامير فقال أعلمه بمكاني فدخل فاستأذن له فقال له سليمان مره يسلم قائما ويخفف فخرج الحاجب فاذن له وأمره بالتخفيف فدخل فسلم قائما ثم قال أصلح الله الامير اني انصرفت بالامس الى نحو منزلي وقد أمسيت فبينا أنا في طريقي اذ أذن مؤذن فدنوت ثم صعدت الى مسجد معلق فصعدت ثم صعدت ثم صعدت قال سليمان فبلغت السماء فكان ماذا قال فتقدم انسان اما كردي أو طمطاني فام القوم بكلام ما أفهمه ولغة ما أعرفها فقال ويل لكل ومقرما مالا وعده قال يريد ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده فاذا خلفه سكران ما يعقل سكرا فلما سمع قراءته ضرب بيديه ورجليه وجعل يقول أيرعنكي در ليلكي في حر أم قارئك ومصليك فضحك سليمان حتى تمرغ على فراشه وقال ادن مني يا أبا محمد فانت أطيب أمة محمد ثم دعا بخلعة وقال الزم الباب واغد في كل يوم وعاد الى أحسن حالاته عنده

(ذكر جمل من أخبار الحجاج وخطبه وما كان منه في بعض أفعاله) كانت أم الحجاج عند الحرث

الساج وعلى بن فراشة وعلى بن حفص بالمسير الى المدائن فقال أبو الساج لمحمد بن عبد الله ان كنت تريد الجد مع هؤلاء القوم فلا تفرق قوادك واجمعهم حتى تهزم هذا العسكر المقيم بازائك فاذا فرغت منهم فما اقدرك على من بعدهم فقال ان لى تدبيرا ويكفى الله ان شاء الله فقال أبو الساج السمع والطاعة وسار الى المدائن وحفر خندقها وأمده محمد بثلاثة آلاف فارس وألفى راجل وكتب المعتز الى أخيه أبى أحمد يلومه للتقصير فى قتال أهل بغداد فكتب اليه فى الجواب

لأمر المنايا علينا طريق * وللدهر فينا اتساع وضيق
وأيامنا عبرة للأنام * فمنها البكور ومنها الطروق
ومنها هنات تشيب الوليد * ويخذل فيها الصديق الصدوق
وفتنة دين لها ذروة * تفوق العيون وبحر عميق
قتال متين وسيف عتيد * وخوف شديد وحصن وثيق
وطول صياح لداعى الصباح * السلاح السلاح فما يستفيق
فهذا طريح وهذا جريح * وهذا حريق وهذا غريق
وهذا قتيل وهذا تليل * وآخر يشدخه المنجنيق
هناك اغتصاب وثم انتهاب * ودور خراب وكانت تروق
اذا ما سمونا الى مسلك * وجدناه قد سد عنا الطريق
فبالله نبلغ ما نرتجى * وبالله ندفع مالا نطيق

وهذه الابيات لعلى بن أمية فى فتنة الامين والمأمون

﴿ذكر حال الانبار﴾

وسير محمد بن عبد الله الى الانبار نجوبة بن قيس فأقام بها وجمع بها نحوا من ألفى رجل وأمده محمد بن عبد الله بألف وخمسمائة وشق الماء من الفرات الى خندقها وفاض على الصحارى فصار بطيحة واحدة وقطع القناطر وسير المعتز جندا مع على الاسحاقى نحو الانبار فوصلوا ساعة وصلها مدد محمد وقد نزلوا ظاهرها فاقتتلوا أشد قتال فانهزم مدد محمد بن عبد الله ورجعوا فى الطريق الذى جاؤا فيه الى بغداد وكان نجوبة بالانبار لم يخرج منها فلما بلغه هزيمة مدده ومسير الاتراك اليه عبر الى الجانب الغربى وقطع الجسر وسار نحو بغداد فاختار محمد بن عبد الله انفاذ الحسين بن اسمعيل بن ابراهيم الى الانبار فى جماعة من القواد والجند فجهزهم وأخرج لهم رزق أربعة أشهر وخرج الجند وعرضهم الحسين وسار عن بغداد يوم الخميس لسبع بقين من جمادى الاولى وتبعه الناس والقواد وبنو هاشم الى الياسرية وكان أهل الانبار لما دخلها الاتراك قد أمنوهم ففتحوا دكاكينهم وأسواقهم ووافاهم سفن من الرقة تحمل الدقيق والزيت وغير ذلك فانتهبها الاتراك وحملوها الى منازلهم بسامرا ووجهوا بالاسرى وبالرؤس معها وسار الحسين حتى نزل دمما ووافته طلائع الاتراك فوق دمما فصف أصحابه مقابل الاتراك بينهما نهر وكان عسكره عشرة آلاف رجل وكان الاتراك فوق دمما فصف أصحابه وكان الاتراك زهاء ألف رجل فتراموا بالسهام فجرح بينهم عدد وعاد الاتراك الى الانبار وتقدم الحسين فنزل بمكان يعرف بالقطيعة واسع يحمل العسكر فاقام فيه يومه ثم عزم على الرحيل الى قرب الانبار فأشار عليه القواد أن ينزل عسكره بهذا المكان بالقطيعة لسعته وحصانته ويسير هو وجنده جريدة فان كان الامر له كان قادرا على نقل عسكره وان كان عليه رجع الى عسكره وعاود عدوه فلم يقبل منهم وسار من

رابك منى قال نعم دخلت عليك السحر وأنت تتخللين فان كنت بادرت الغداء فانت شرهة وان كنت بت والطعام بين اسنانك فانت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن لكنى تخللت من شظايا السواك فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفى أبو الحجاج فولدت له الحجاج ابن يوسف مشوها لادبر له فنقب عن دبره وأبى ان يقبل ثدى أمه وغيرها فاعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم فى صورة الحرث بن كلدة فقال ما خبركم فقالوا ابنى ولد ليوسف من الفارعة وكان اسمها وقد أبى ان يقبل ثدى أمه فقال اذبحوا جديا أسود وأولغوه دمه فاذا كان فى اليوم الثانى فافعلوا به كذلك فاذا كان فى اليوم الثالث فاذبحوا له تيسا أسود وأولغوه دمه ثم اذبحوا له أسود سالخا فاولغوه دمه واطلوا به وجهه فانه يقبل الثدى فى اليوم الرابع قال ففعلوا به ذلك فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه فى بدء أمره هذا وكان الحجاج يخبر عن نفسه ان أكثر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره ولا سبق اليها سواه (حدثنا) أبو جعفر

مكانه فلما بلغ المكان الذي يريد النزول به أمر الناس بالنزول فأتت الاتراك جواسيسهم وأعلموهم بمسيره وضيق مكانه فأتاهم الاتراك والناس يحطون أثقالهم فثار أهل العسكر وقاتلوهم فقتل بينهم قتلى من الفريقين وحمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم خلق كثير وكان الاتراك قد كمنوا لهم كمينا فخرج الكمين على بقية العسكر فلم يكن لهم ملجأ الا الفرات وغرق من أصحابه خلق كثير وقتل جماعة وأسر جماعة وأما الفرسان فهربوا لا يلوون على شئ والقواد ينادونهم الرجعة فلم يرجع أحد فخافوا على نفوسهم فرجعوا يحمون أصحابهم وأخذ الاتراك عسكر الحسين بما فيه من الاموال والخلع التي كانت معه وسلم ما كان معه من سلاح في السفن لان الملاحين حدروا السفن فسلم ما معهم من سلاح وغير ذلك ووصل المنهزمون الى الياسرية لست خلون من جمادى الآخرة ولقي الحسين رجل من التجار ممن ذهبت أموالهم فقال الحمد لله الذي بيض وجهك أصعدت في اثني عشر يوما وانصرفت في يوم واحد فتغافل عنه ولما اتصل خبر الهزيمة بمحمد بن عبد الله بن طاهر منع المنهزمين من دخول بغداد ونادى من وجدناه ببغداد من عسكر الحسين بعد ثلاثة أيام ضرب ثلثمائة سوط وأسقط من الديوان فخرج الناس الى الحسين بالياسرية وأخرج اليهم ابن عبد الله جندا آخر وأعطاهم الارزاق وأمر بعض الناس ليعلم من قتل ومن غرق ومن سلم ففعلوا ذلك وأتاهم كتاب بعض عيونهم من الانبار يخبرهم أن القتلى كانت من الترك أكثر من مائتين والجرحى نحو أربعمائة وان جميع من أسره الاتراك مائتان وعشرون رجلا وانه عد رؤس القتلى فكانت سبعين رأسا وكانوا أخذوا جماعة من أهل الاسواق فاطلقوهم فرحل الحسين لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الآخرة وسار حتى عبر نهر اربق فلما كان السبت لثمان خلون من رجب أتاه انسان فاعلمه ان الاتراك يريدون العبور اليه في عدة مخاضات فضربه ووكل بمواضع المخاض رجلا من قواده يقال له الحسين بن علي بن يحيى الارمني في مائتي رجل فأتى الاتراك المخاضة فرأوا الموكل بها فتركوها الى مخاضة أخرى فقاتلوهم وصبر الحسين بن علي وبعث الى الحسين بن اسمعيل ان الاتراك قد وافوا المخاضة فقيل للرسول الامير نائم فارسل آخر فقيل له الامير في المخرج فارسل آخر فقيل الامير قد عاد نام فعبر الاتراك فقعد الحسين بن علي في زورق وانحدر وهرب أصحابه منهزمين وقتل الاتراك منهم وأسروا نحو مائتين وانحدرت عامة السفن فسلمت ووضع الاتراك السيف وغرق خلق كثير من الناس فوصل المنهزمون بغداد نصف الليل ووافى بقيتهم في النهار واستولى الاتراك على أثقالهم وأموالهم وقتل عدة من قواد الحسين فقال الهندواني في الحسين

يا أحزم الناس رأيا في تخلفه * عن القتال خلطت الصفو بالكدر
لما رأيت سيوف الترك مصلتة * علمت ما في سيوف الترك من قدر
فصرت مضطجرا ذلا ومنقصة * والنجح يذهب بين العجز والضجر

ولحق فيها جماعة من الكتاب والقواد وبني هاشم بالمعتز فمن بني هاشم علي ومحمد ابنا الواثق وغيرهما ثم كانت بينهم عدة وقعات وقتل فيها من الفريقين جماعة ودخل الاتراك في بعض تلك الحروب الى بغداد ثم تكاثر الناس عليهم فاخرجوهم منها وجرى بين أبي الساج وجماعة من الاتراك وقعة هزمهم أبو الساج ثم واقعوه أخرى فتخلى عنه بعض أصحابه فانهزم ودخل الاتراك المدائن وخرجت الاتراك الذين بالانبار في سواد بغداد من الجانب الغربي حتى بلغوا صرصر وقصر ابن هبيرة وفي ذي القعدة كانت وقعة عظيمة خرج محمد بن عبد الله بن طاهر في جميع القواد والعسكر

ابن عائشة وغيره قال سمعت أبي يقول لما غلبت الخوارج على البصرة بعث اليهم عبد الملك جيشا فهزموه ثم بعث اليهم آخر فهزموه فقال من للبصرة والخوارج فقيل له ليس لهم الا المهلب ابن أبي صفرة فبعث الى المهلب فقال على أن لي خراج ما أجليتهم عنه قال اذن تشركني في ملكي قال فثلثاه قال لا قال فنصفه والله لا أنقص منه شيئا على ان تمدني بالرجال فاذا أحللت فلا حق لك علي فجعلوا يقولون ولي عبد الملك على العراق رجلا ضعيفا وجعل يقول بعثت المهلب حتى يحارب الخوارج فركب دجلة ثم كتب المهلب الى عبد الملك انه ليس عندي رجال أقاتل بهم فاما بعثت الى بالرجال وأما خليت بينهم وبين البصرة فخرج عبد الملك الى أصحابه فقال ويلكم من للعراق فسكت الناس وقام الحجاج فقال أنا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج وقال أنا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج الثالثة فقال والله أنا لها يا أمير المؤمنين قال أنت زنبورها فكتب اليه عهده فلما بلغ القادسية أمر الجيش أن يقيلوا وان يروحوا وراءه ودعا بجمل عليه قتب فجلس عليه بغير خشبة ولا وطاء وأخذ الكتاب بيده ولبس ثياب السفر وتعمم بعمامته حتى دخل الكوفة وحده ونصب

ونصب له قبة وجلس فيها واقتتل الناس قتالا شديدا فانهزمت الاتراك ودخل أهل بغداد عسكرهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وهربوا على وجوههم لا يلوون على شئ فكا ماجيء برأس يقول بغا اذهبت الموالى وساء ذلك من مع بغا ووصيف من الاتراك ووقف أبو أحمد بن المتوكل برد الاتراك ويخبرهم انهم ان لم يرجعوا لم يبق لهم بقية وتبعهم أهل بغداد الى سامرا فتراجعوا اليه وان بعض أهل بغداد رجعوا عن المنهزمين فرأى أصحابهم أعلامهم فظنوها أعلام الاتراك قد عادت فانهزموا نحو بغداد من دجين وتراجع الاتراك الى عسكرهم ولم يعلم بهزيمتهم أهل بغداد فتحملوا اليهم وفى ذى الحجة وجه أبو أحمد خمس سفائن مملوءة طعاما ودقيقا الى ابن طاهر وفى ذى الحجة علم الناس بما عليه ابن طاهر من خلع المستعين والبيعة للمعتز ووجه قواده الى أبى أحمد فبايعوه للمعتز وكانت العامة تظن ان الصلح جرى على ان الخليفة المستعين والمعتز ولى عهده وفى ذى الحجة أيضا خرج رشيد بن كاوس أخو الافشين وكان موكلا بباب السلامة الى الاتراك وسار معهم الى أبى حامد ثم عاد الى أبواب بغداد يقول للناس ان أمير المؤمنين المعتز وأبا أحمد يقرآن عليكم السلام ويقولان من أطاعنا وصلناه ومن أبى فهو أعلم فشتمه الناس وعلموا ما عليه محمد بن عبد الله بن طاهر فعبرت العامة الى الجزيرة التى حذاء داره فشتموه أقبح شتم ثم ساروا الى باب داره ففعلوا به مثل ذلك وقاتلوا من على بابه حتى كشفوهم ودخلوا دهليز داره وأرادوا احراق داره فلم يجدوا نارا وباتوا منهم بالجزيرة جماعة يشتمونه وهو يسمع فلما ذكروا اسم أمه ضحك وقال ما أدرى كيف عرفوه وقد كان أكثر جوارى أبى لا يعرفون اسمها فلما كان الغد فعلوا مثل ذلك فسار محمد الى المستعين وسأله ان يطلع اليهم ويسكنهم ففعل وقال لهم ان محمدا لم يخلع ولم أتهمه ووعدهم ان يصلى بهم الجمعة فانصرفوا ثم ترددت الرسل بين محمد بن عبد الله وبين أبى أحمد مع حماد بن اسحق بن حماد بن يزيد وثار قوم من رجالة الجند وكثير من العامة فطلب الجند أرزاقهم وشكت العامة سوء الحال وغلاء السعر وقالوا انما خرجت فقابلت وانا تركتنا فوعدهم الخروج أو فتح باب الصلح ثم جعل على الجسور وبالجزيرة وبباب داره الرجال والخيل فحضر الجزيرة بشر كثير فطردوا من كان بها وقاتلوا الناس وأرسل محمد بن عبد الله الى الجند يعدهم رزق شهرين وأمرهم بالنزول فابوا وقالوا لا نفعل حتى نعلم نحن والعامة على أى شئ نحن فخرج اليهم بنفسه فقالوا له ان العامة قد اتهموك فى خلع المستعين والبيعة للمعتز وتوجيهك القواد بعد القواد ويخافون دخول الاتراك والمغاربة اليهم فان يفعلوا بهم كما عملوا فى المدائن والانبار فهم يخافون على أنفسهم وأولادهم وأموالهم وسألوا اخراج الخليفة اليهم ليروه ويكذبوا ما بلغهم فلما رأى محمد ذلك سأل المستعين الخروج اليهم فخرج الى دار العامة ودخل اليه جماعة من الناس فنظروا اليه وخرجوا فأعلموا الناس الخبر فلم يقتنعوا بذلك فأمر المستعين باغلاق الابواب وصعد سطح دار العامة ومحمد بن عبد الله معه فرآه الناس وعليه البردة وبيده القضيب فكلم الناس وأقسم عليهم بحق صاحب البردة الا انصرفوا فانه آمن لا بأس عليه من محمد فسألوه الركوب معهم والخروج من دار محمد لانهم لا يأمنونه عليه فوعدهم ذلك فلما رأى ابن طاهر فعلهم عزم على النقلة عن بغداد الى المدائن فأتاه وجوه الناس وسألوه الصفح واعتذروا بأن ذلك فعل الغوغاء والسفهاء فرد عليهم ردا جميلا وانتقل المستعين عن داره فى ذى الحجة وأقام بدار رزق الخادم بالرصافة وسار بين يديه محمد بن عبد الله بالحربة فلما كان من الغد اجتمع الناس بالرصافة فأمر القواد وبنى هاشم بالمسير الى دار محمد ابن عبد الله والعود معه اذا ركب ففعلوا ذلك فركب محمد فى جمع وتعبية ووقف للناس وعاتبهم

فجعل ينادى الصلاة جامعة وما منهم رجل جالس فى مجلسه الا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر ذلك من أهله ومواليه وصعد المنبر متلثما متنكبا قوسه فجلس واضعا ابهامه على فيه فقال بعضهم لبعض قوموا حتى نحصبه قال له بعض أهل بيته أصلحك الله اكفف عن الرجل حتى نسمع ما يقول فمن قائل يقول حصر الرجل فما يقدر على الكلام ومن قائل يقول أعرابى ما أبصر حجته فلما غص المجلس بأهله حسر اللثام عن وجهه ثم قام ونحى العمامة عن رأسه فوالله ما حمد الله ولا أثنى عليه ولا صلى على نبيه وكان أول ما بدأهم به أن قال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفونى

انى والله لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤسا قد أينعت وحان قطافها وانى أنا صاحبها كانى أنظر الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى

هذا أوان الحرب فاشتدى زيم
قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم

وقال

قد لفها الليل بعصلبى
أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس بأعرابى

وقال

قد شمرت عن ساقها فكتوا ✱ وجدت الحرب بكم فجدوا والقوس فيها وتر عرد ✱ مثل ذراع البكر أو أشد ان أمير المؤمنين نثر

وحلف انه ما يريد للمستعين ولا لولى له ولا لاحد من الناس سوأ وانه ما يريد الا اصلاح أحوالهم حتى بكى الناس ودعوا له وسار الى المستعين وكان ابن طاهر مجدا فى أمر المستعين حتى غيره عبد الله بن يحيى بن خاقان وقال له ان هذا الذى تنصره وتجد فى أمره من أشد الناس نفاقا واخبثهم دينا والله لقد أمر وصيفا وبغا بقتلك فاستعظما ذلك ولم يفعلاه وان كنت شاكا فى قولى فسل بحبر اوان من ظاهر نفاقه انه كان بسامرا لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى صلاته فلما صار اليك جهر بها مرآة لك وترك نصرة وليك وصهرك وتربيتك ونحو ذلك من كلام كلمه به فقال محمد أخزى الله هذا ما يصلح لدين ولا لدنيا ثم ظاهر عبيد الله بن يحيى بأحمد بن اسرائيل والحسن بن مخلد فلما كان يوم الاضحى صلى المستعين بالناس ثم حضر محمد بن عبد الله عند المستعين وعنده الفقهاء والقضاة فقال له قد كنت فارقتنى على ان تنفذ أمرى فى كل ما أعزم عليه وخطك عندى بذلك فقال المستعين أحضر الرقعة فاحضرها فاذا فيها ذكر الصلح وليس فيها ذكر الخلع فقال نعم أمض الصلح فخرج محمد الى ظاهر باب الشماسية فضرب له مضرب فنزل اليه ومعه جماعة من أصحابه وجاء أبو أحمد فى سميرية فصعد اليه فتناظرا طويلا ثم خرجا فجاء ابن طاهر الى المستعين فاخبره انه بذل له خمسين ألف دينار ويقطع عليه ثلاثين ألف دينار على أن يكون مقامه بالمدينة يتردد منها الى مكة ويخلع نفسه من الخلافة وان يعطى بغا ولاية الحجاز جميعه ويولى وصيفا الجبل وما والاه ويكون ثلث ما يجبى من المال لمحمد بن عبد الله وجند بغداد والثلثان للموالى والاتراك فامتنع المستعين من الاجابة الى الخلع وظن ان وصيفا وبغا معه يكاشفانه فقال النطع والسيف فقال له ابن طاهر أما انا فاقعد ولا بد لك من خلعها طائعا أو مكرها فاجاب الى الخلع وكان سبب اجابته الى الخلع ان محمدا وبغا ووصيفا لما ناظروه فى الخلع اغلظ عليهم فقال وصيف أنت أمرتنا بقتل باغر فصرنا الى ما نحن فيه وأنت أمرتنا بقتل أتامش وقلت ان محمدا ليس بناصح وما زالوا يفزعونه وقال محمد وقد قلت لى ان أمرنا لا يصلح الا باستراحتنا من هذين الاثنين فلما رأى ذلك اذعن بالخلع وكتب بما أراد لنفسه من الشروط وذلك لاحدى عشرة خلت من ذى الحجة وجمع محمد الفقهاء والقضاة وادخلهم على المستعين وأشهدهم عليه انه قد صير أمره الى محمد بن عبد الله ثم أخذ منه جوهر الخلافة وبعث ابن طاهر الى قواده ليوافوه ومع كل قائد عشرة نفر من وجوه أصحابه فاتوهم فمناهم وقال لهم ما أردت بما فعلت الا صلاحكم وحقن الدماء وأمرهم بالخروج الى المعتز فى الشروط التى شرطها المستعين لنفسه ولقواده ليوقع المعتز عليها بخطه ثم أخرجهم الى المعتز فمضوا اليه فاجاب الى ما طلبوا ووقع عليه بخطه وشهدوا على اقراره وخلع عليهم ووجه معهم من يأخذ البيعة على المستعين وحمل الى المستعين أمه وعياله بعد ما فتشوا وأخذوا ما معهم وكان دخول الرسل بغداد من عند المعتز لست خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين

(ذكر غزو الفرنج بالاندلس)

فى هذه السنة سير محمد بن عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس جيشا مع ابنه المنذر الى بلاد المشركين فى جمادى الآخرة فساروا وقصدوا الملاحة وكانت أموال لذريق بناحية ألبة والقلاع فلما علم المسلمون بلدهم بالخراب والنهب جمع لذريق عساكره وسار يريدهم فالتقوا بموضع يقال له فج المركوين وبه تعرف هذه الغزاة فاقتتلوا فانهزم المشركون الا انهم لم يبعدوا واجتمعوا بهضبة بالقرب من موضع المعركة فتبعهم المسلمون وحملوا عليهم واشتد القتال فولى الفرنج منهزمين لا يلوون على شئ وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وكانت هذه الوقعة ثانى

كنانته فوجدنى أمرها طعما واحدها سنانا وأقواها قدحا فان تستقيموا تستقم لكم الامور وان تأخذوا الى بنيات الطريق تجدونى لكل مرصد مرصدا والله لا أقيل لكم عثرة ولا أقبل منكم عذرة يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق والله ما أغمز بغماز التين ولا يقعقع لى بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة والله لالحونكم لحو العود ولاعصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غراب الابل ولاقرعنكم قرع المروة يا أهل العراق طالما سعيتم فى الضلالة وسلكتم سبيل الغواية وسننتم سنن السوء وتماديتم فى الجهالة يا عبيد العصا وأولاد الاماء أنا الحجاج بن يوسف أنا والله لا أعد الا وفيت ولا أحلف الا بررت فاياكم وهذه الزرافات والجماعات وقال وقيل وما يكون وما هو كائن وما أنتم وذاك يا بنى اللكيعة لينظر الرجل فى أمر نفسه وليحذر أن يكون من فرائسى يا أهل العراق انما مثلكم كما قال الله عز وجل كمثل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الآية فاسرعوا واستقيموا واعتدلوا ولا تميلوا وشايعوا وبايعوا واصفعوا واعلموا أنه ليس منى الاكثار والاهذار ولا منكم الفرار والنفار انما هو انتضاء السيف

عشر رجب وكان عدد ما أخذ من رؤس المشركين ألفين وأربعمائة واثنين وتسعين رأسا وكان فتحا عظيما وعاد المسلمون

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة رجع سليمان بن محمد صرفه عبد الله بن طاهر الى طبرستان من جرجان بجمع كثير وخيل وسلاح فتنحى الحسن بن زيد عن طبرستان ولحق بالديلم ودخلها سليمان وقصد سارية وأتاه ابنان لقارن بن شهريار وأتاه أهل آمل وغيرهم منيبين مظهرين الندم يسألون الصفح فلقيهم بما أرادوا ونهى أصحابه عن القتل والنهب والاذى وورد كتاب أسد بن جندان الى محمد بن عبد الله يخبره انه لقي علي بن عبد الله الطالبي المسمى بالمرعشي فيمن معه من رؤساء الجبل فهزمه ودخل مدينة آمل وفيها ظهر بارمينية رجلان فقاتلهما العلاء بن أحمد عامل بغا الشرابي فهزمهما فصعدا قلعة هناك فحصرهما ونصب عليهما المجانيق فهزما منها وخفي أمرهما عليه وملك القلعة وفيها حارب عيسى بن الشيخ الموفق الخارجي فهزمه وأسر الموفق وفيها ورد كتاب محمد بن طاهر بن عبد الله يخبر الطالبي الذي ظهر بالري وما أعدله من العساكر المسيرة اليه وظفر به واسمه محمد بن جعفر فاخذه أسيرا ثم سار الى الري بعد أسر محمد بن جعفر بن أحمد بن عيسى بن الحسين الصغير بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وادريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وفيها انهزم الحسن بن زيد من محمد بن طاهر وكان لقيه في ثلاثين ألفا وقتل من أصحابه أعيان الحسن ثلثمائة رجل وأربعين رجلا وفيها خرج اسمعيل بن يوسف العلوي ابن أخت موسى بن عبد الله الحسني وفيها كانت وقعة بين محمد بن خالد بن يزيد وأحمد المولد وأيوب بن أحمد بالسلير من أرض بني تغلب فقتل بينهما جماعة كثيرة فانهزم محمد ونهب متاعه وفيها اغزا بلكاجور الروم ففتح مطمورة وغنم غنيمة كثيرة وأسر جماعة من الروم وفيها ظهر بالكوفة رجل من الطالبيين اسمه الحسين بن أحمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام واستخلف بها محمد بن جعفر بن حسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام يكنى أبا أحمد فوجه اليه المستعين مزاحم بن خاقان وكان العلوي بسواد الكوفة في جماعة من بني أسد ومن الزيدية واجلى عنها عامل الخليفة وهو أحمد بن نصير بن حمزة بن مالك الخزاعي الى قصر ابن هبيرة واجتمع مزاحم وهشام بن أبي دلف العجلي فسار مزاحم الى الكوفة فحمل أهل الكوفة العلوية على قتالهم ووعدهم النصرة فتقدم مزاحم وقاتلهم وكان قد سير قائدا معه جماعة فاتى أهل الكوفة من ورائهم فاطبقوا عليهم فلم يفلت منهم أحد ودخل الكوفة فرماه أهلها بالحجارة فاحرقها بالنار فاحترق منها سبعة أسواق حتى خرجت النار الى السبيع ثم هجم على الدار التي فيها العلوي فهرب وأقام المزاحم بالكوفة فاتاه كتاب المعتز يدعوه اليه فسار اليه وفيها ظهر انسان علوي بناحية نينوى من أرض العراق فلقيه هشام بن أبي دلف في شهر رمضان فقتل من أصحاب العلوي جماعة وهرب فدخل الكوفة وفيها ظهر الحسين بن أحمد بن اسمعيل بن محمد بن اسمعيل الارقط بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي المعروف بالكوكبي بناحية قزوين وزنجان فطرد عمال طاهر عنها وفيها قطعت بنو عقيل طريق جدة فحاربهم جعفر بشاشات فقتل من أهل مكة نحو ثلثمائة رجل فغلت الاسعار بمكة وأغارت الاعراب على القرى وفيها ظهر اسمعيل بن يوسف بن ابرهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي ابن أبي طالب بمكة فهرب جعفر بشاشات وانتهب اسمعيل منزله ومنازل أصحاب السلطان وقتل

الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور في النار الا ان أمير المؤمنين أمرني باعطائكم واشخاصكم الى محاربة عدوكم مع المهلب وقد أمرتكم بذلك وأجلت لكم ثلاثا وأعطيت الله عهدا يؤاخذني به ويستوفيه مني أن لا أجد أحدا من بعث المهلب بعدها الا ضربت عنقه وانتهبت ماله يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقال الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني أحمد الله اليكم فقال الحجاج اسكت يا غلام ثم قال مغضبا يا أهل العراق والنفاق والشقاق ومساوي الاخلاق يا أهل الفرقة والضلال يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام أما والله لئن بقيت لكم لألحونكم لحو العود ولأؤدبنكم أدبا سوى هذا الادب هذا ادب ابن سمية وهو صاحب شرطة كان بالعراق اقرأ يا غلام الكتاب فلما بلغ السلام قال أهل المسجد وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته ثم نزل وأمر للناس باعطائهم

والمهلب يومئذ بمهرجان يقاتل الازارقة فلما كان اليوم الثالث جلس الحجاج بنفسه يعرض الناس فقربه عمير بن ضابئ البرجمي

الجند وجماعة من أهل مكة وأخذ ما كان حمل لاصلاح القبر من المال وما فى الكعبة وخزائنها من الذهب والفضة وغير ذلك وأخذ كسوة الكعبة وأخذ من الناس نحوا من مائتى ألف دينار وخرج منها بعد ان نهبها وأحرق بعضها فى ربيع الاول بعد خمسين يوما وسار الى المدينة فتوارى عاملها ثم رجع اسمعيل الى مكة فى رجب فحصرهم حتى تماوت أهلها جوعا وعطشا وبلغ الخبز ثلاثة أواق بدرهم واللحم رطل بأربعة دراهم وشربة ماء بثلاثة دراهم ولقى أهل مكة منه كل بلاء ثم سار الى جدة بعد مقام سبعة وخمسين يوما فحبس عن الناس الطعام وأخذ الاموال التى للتجار وأصحاب المراكب ثم وافى اسمعيل عرفة وبها محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور الملقب بكعب البقر وعيسى بن محمد المخزومى صاحب جيش مكة كان المعتز وجههما اليه فقاتلهما اسمعيل وقتل من الحاج نحو ألف ومائة وسلب الناس وهربوا الى مكة ولم يقفوا بعرفة ليلا ولا نهارا ووقف اسمعيل وأصحابه ثم رجع الى جدة فافنى أموالها وفيها مات سرى السقطى الزاهد واسحق بن منصور بن بهرام أبو يعقوب الكوسج الحافظ النيسابورى توفى فى جمادى الاولى وله مسند يروى عنه

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين﴾

﴿ذكر خلع المستعين﴾

فى هذه السنة خلع المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم نفسه من الخلافة وبايع للمعتز بالله بن المتوكل وخطب للمعتز ببغداد يوم الجمعة لاربع خلون من المحرم وأخذ له البيعة على كل من بها من الجند وكان ابن طاهر قد دخل على المستعين ومعه سعيد بن حميد وقد كتب شرط الامان فقال له يا أمير المؤمنين قد كتب سعيد كتاب الشروط فاكده غاية التوكيد فنقرأه عليك لتسمعه فقال المستعين لا حاجة لى الى توكيدها فما القوم بأعلم بالله منك ولقد أكدت على نفسك قبلهم فكان ما علمت فما رد عليه محمد شيأ فلما بايع المستعين للمعتز واشهد عليه بذلك نقل من الرصافة الى قصر الحسن بن سهل بالمحرم ومعه عياله وأهله جميعا ووكل بهم وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم ووجه مع عبد الله بن طاهر ومنع المستعين من الخروج الى مكة فاختار المقام بالبصرة فقيل له ان البصرة وبيئة فقال هى أوبأ أو ترك الخلافة ولست خلون من المحرم دخل بغداد أكثر من مائتى سفينة فيها صنوف التجارات وغنم كثير وفيها سير المستعين الى واسط واستوزر المعتز أحمد بن أبى اسرائيل وخلع عليه ورجع أبو أحمد الى سامرا لاثنتى عشرة خلت من المحرم فقال بعض الشعراء فى خلع المستعين

خلع الخليفة أحمد بن محمد * وسيقتل التالى له أو يخلع
ويزول ملك بنى أبيه ولا ترى * أحدا تملك منهم يتمتع
أيها بنى العباس ان سبيلكم * فى قتل أعبدكم سبيل مهيع
رقعتم دنياكم فتمزقت * بكم الحياة تمزقا لا يرقع

وقال الشعراء فى خلعه كالبحترى ومحمد بن مروان بن أبى الجنوب وغيرهما فأكثروا فيه ولسبع بقين من المحرم انصرف أبو الساج ديوداد بن ديودست الى بغداد فقلده محمد بن عبد الله معاون ما سقى الفرات من السواد فسير نوابه اليها لطرد الاتراك والمغاربة عنها ثم سار أبو الساج الى الكوفة

﴿ذكر حال وصيف وبغا﴾

وفيها كتب المعتز الى محمد بن عبد الله فى اسقاط اسم وصيف وبغا ومن معهما من الدواوين وكان

ثم أحد بنى الحدادية وكان من اشراف أهل الكوفة وكان من بعث المهلب فقال أصلح الله الامير انى شيخ كبير زمن عليل ضعيف ولى عدة أولاد فليختر الامير أيهم شاء مكانى أشدهم ظهرا وأكرمهم فرسا وأتمهم أداة قال الحجاج لا بأس بشاب مكان شيخ فلما ولى قال له عنبسة بن سعيد ومالك بن اسماء أصلح الله الامير أتعرف هذا قال لا قال هو عمير بن ضابئ التميمى الذى وثب على أمير المؤمنين عثمان وهو مقتول فكسر ضلعا من أضلاعه فقال انه كان حبس أبى شيخا كبيرا ضعيفا فلم يطلقه حتى مات فى سجنه فقال الحجاج أما أمير المؤمنين عثمان فتغزوه بنفسك وأما الازارقة فتبعث اليهم بالبدل أوليس أبوك الذى يقول
هممت ولم أفعل وكدت وليتنى
فعلت وأوليت البكاء حلائله
أما والله ان فى قتلك أيها الشيخ لصلاح المصرين ثم أقبل بصره اليه ويعض على لحيته مرة ويسرحها أخرى ثم أقبل عليه فقال يا عمير سمعت مقالتى على المنبر فقال نعم قال والله انه لقبيح بنا أن يكون كذا باقم اليه يا غلام فاضرب عنقه ففعل فلما قتل ركب الناس كل صعب وذلول وخرجوا على وجوههم يريدون المهلب فازدحموا على الجسر حتى سقط بعض الناس فى الفرات فأتاه صاحب الجسر فقال أصلح الله الامير قد

محمد بن أبي عون وهو أحد قواد محمد بن عبد الله قد وعد أبا أحمد ان يقتل بغا و وصيفا فعقد له المعتز على اليمامة والبحرين والبصرة فكتب قوم من أصحاب بغا و وصيف اليهما بذلك وحذروهما محمد ابن عبد الله فركبا الى محمد وعرفاه ما ضمنه ابن أبي عون من قتلهما وقال بغا ان القوم قد غدروا وخالفوا ما فارقونا عليه والله لو أرادوا أن يقتلونا ما قدروا عليه فكفه وصيف وقال نحن نقعد في بيوتنا حتى يجيء من يقتلنا ورجعا الى منازلهما وجمعا جندهما و وجه وصيف أخته سعاد الى المؤيد وكان في حجرها فكلم المؤيد المعتز في الرضا عنه فرضي عن وصيف وكتب اليه بذلك وتكلم أبو أحمد بن المتوكل في بغا فكتب اليه بالرضا عنه وهما ببغداد ثم تكلم الاتراك باحضارهما الى سامرا فكتب اليهما بذلك وكتب الى محمد بن عبد الله ليمنعهما من ذلك فاتاهما كتاب احضارهما فارسلاه الى محمد بن عبد الله يستأذنانه وخرج وصيف وبغا وفرسانهما وأولادهما في نحو أربعمائة انسان وخلفا الثقل والعيال فوجه ابن طاهر الى باب الشماسية من يمنعهم فمضوا الى باب خراسان وخرجوا منه و وصلا سامرا ورجعا الى منزلهما من الخدمة وخلع عليهما وعقد لهما على اعمالهما ورد البريد الى موسى بن بغا الكبير

﴿ذكر الفتنة بين جند بغداد ومحمد بن عبد الله﴾

وفي هذه السنة كانت وقعة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر وكان سبب ذلك ان الشاكرية وأصحاب الفروض اجتمعوا الى دار محمد يطلبون ارزاقهم في رمضان فقال لهم اني كتبت الى أمير المؤمنين في اطلاق ارزاقكم فكتب في الجواب ان كنت تريد الجند لنفسك فاعطهم ارزاقهم وان كنت تريدهم لنا فلا حاجة لنا فيهم فشغبوا عليه وأخرج لهم ألفي دينار ففرقت فيهم فسكتوا ثم اجتمعوا في رمضان أيضا ومعهم الاعلام والطبول وضربوا الخيام على باب حرب وعلى باب الشماسية وغيرهما وبنوا بيوتا من بواري وقصب وباتوا ليلتهم فلما اصبحوا كثر جمعهم وأحضر محمد أصحابه فباتوا في داره وشحن داره بالرجال واجتمع الى اولئك المشغبين خلق كثير بباب حرب بالسلاح والاعلام والطبول ورئيسهم أبو القاسم عبدون بن الموفق وكان من نواب عبيد الله بن يحيى بن خاقان فحثهم على طلب ارزاقهم وفاتهم فلما كان يوم الجمعة أرادوا أن يمنعوا الخطيب من الدعاء للمعتز فعلم الخطيب بذلك فاعتذر بمرض لحقه ولم يخطب فمضوا يريدون الجسر فوجه اليهم ابن طاهر عدة من قواده في جماعة من الفرسان والرجال فاقتتلوا فقتل بينهم قتلى ودفعوا أصحاب ابن طاهر عن الجسر فلما رأى الذين بالجانب الشرقي أن أصحابهم أزالوا أصحاب ابن طاهر عن الجسر جاؤا يريدون العبور الى أصحابهم وكان ابن طاهر قد أعد سفينة فيها شوك وقصب فالقى فيها النار وأرسلها الى الجسر الاعلى فاحرقت سفنه وقطعته وصارت الى الجسر الآخر فادركها أهل الجانب الغربي فغرقوها وعبر من في الجانب الشرقي الى الغربي ودفعوا أصحاب ابن طاهر الى باب داره وقتل بينهم نحو عشرة أنفس ونهب العامة مجالس الشرط واخذوا منه شيأ كثيرا من أصناف المتاع ولما رأى ابن طاهر ان الجند قد ظهروا على أصحابه أمر بالحوانيت التي على باب الجسر أن تحرق فاحترق للتجار متاع كثير فحالت النار بين الفريقين ورجع الجند الى معسكرهم بباب حرب وجمع ابن طاهر عامة أصحابه وعباهم تعبية الحرب خوفا من رجعة الجند فلم يكن لهم عودة فاتاه في بعض الايام رجلان من الجند فدلاه على عورة القوم فامر لهما بمائتي دينار وأمر الشاه بن ميكال وغيره من القواد في جماعة بالمسير اليهم فسار الى تلك الناحية وكان أبو القاسم وابن الخليل وهما المقدمان على الجند قد خافا فمضى ذينك الرجلين وقد

سقط بعض الناس في الفرات قال ويحك ولم ذلك قال أهل هذه البصرة ...وا على الجسر حتى ضاق بهم قال انطلق فاعقد لهم جسرين وخرج عبد الله بن الزبير الاسدي مذعورا حتى اذا كان عند اللبحامين لقيه رجل من قومه يقال له ابراهيم فقال له ما الخبر فقال ابن الزبير الشر الشر قتل عمير من بعث المهلب وأنشأ يقول

أقول لابراهيم لما لقيته
أرى الامر أمسى مهلكا متصعبا
تجهز فاما أن تزور ابن ضابئ
عميرا واما ان تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما
ركوبك حيرانا من البلج اشهبا
فاضحى ولو كانت خراسان دونه
رآها مكان السوق أو هو أقربا
والا فما الحجاج مغمد سيفه
مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

وخرج الناس هربا الى السواد وأرسلوا الى أهاليهم أن زودونا ونحن بمكاننا وقال الحجاج لصاحب الجسر افتح ولا تحل بين أحد وبين الخروج ووجه العراض الى المهلب فما أتت على المهلب عاشرة حتى ازدحموا عليه فقال من هذا الذي استعمل على العراق من هذا الذي ذكر الرجال فوبل والله للعدو ان شاء الله تعالى وقد كان الحجاج استعمل عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على سجستان وبست والرخج فحارب من

تفرّق الناس عنهما فسار كل واحد منهما الى ناحية فاما ابن الخليل فانه لقى الشاه بن ميكال ومن معه فصاح بهم وصاح به أصحاب محمد وصار فى وسطهم فقتل وأما أبو القاسم فانه اختفى فدل عليه فاخذ وحمل الى ابن طاهر وتفرّق الجند من باب حرب ورجعوا الى منازلهم وقيد أبو القاسم وضرب ضربا مبرحا فمات منه فى رمضان

﴿ذكر خلع المؤيد وموته﴾

فى رجب خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد بعده وكان سببه ان العلاء بن أحمد عامل أرمينية بعث الى المؤيد بخمسة آلاف دينار ليصلح بها أمره فبعث عيسى بن فرخانشاه اليها فاخذها فاغرى المؤيد الاتراك بعيسى وخالفهم المغاربة فبعث المعتز الى المؤيد وأبى أحمد فاخذهما وحبسهما وقيد المؤيد وأدرّ العطاء للاتراك والمغاربة وقيل انه ضربه أربعين مقرعة وخلعه بسامرا وأخذ خطه بخلع نفسه وكانت وفاته أيضا فى رجب لثمان بقين من الشهر وكان سبب موته ان امرأة من نساء الاتراك اعلمت محمد بن راشد أن الاتراك يريدون اخراج المؤيد من الحبس فانهى ذلك الى المعتز فذكره لموسى بن بغا عنه فقال ما أرادوه انما أرادوا ان يخرجوا أبا أحمد بن المتوكل لانسهم به وكان فى الحرب التى كانت فلما كان من الغداة دعا بالقضاة والفقهاء والوجوه فاخرج المؤيد اليهم ميتا لا أثر به ولا جرح وحمل الى أمه ومعه كفنه وأمرت بدفنه فقيل انه أدرج فى لحاف سمور وأمسك طرفاه حتى مات وقيل انه أقعد فى الثلج وجعل على رأسه منه كثير فجمد بردا ولما مات المؤيد نقل أخوه أبو أحمد الى محبسه وكانا لاب وام

﴿ذكر قتل المستعين﴾

ولما أراد المعتز قتل المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم كتب الى محمد بن عبد الله يأمره بتسليم المستعين الى سيما الخادم فكتب محمد الى الموكلين بالمستعين بواسط فى تسليمه اليه وأرسل أحمد بن طولون فى تسليمه فاخذه أحمد وسار به الى القاطول فسلمه الى سعيد بن صالح فادخله سعيد منزله وضربه حتى مات وقيل بل جعل فى رجله حجرا وألقاه فى دجلة وقيل كان قد حمل معه داية له تعادله فلما أخذه سعيد ضربه بالسيف فصاح وصاحت دايته ثم قتل وقتلت الامرأة معه وحمل رأسه الى المعتز وهو يلعب بالشطرنج فقيل هذا رأس المخلوع فقال ضعوه حتى أفرغ من الدست فلما فرغ نظر اليه وأمر بدفنه وأمر لسعيد بخمسين ألف درهم وولاه معونة البصرة

﴿ذكر الفتنة بين الاتراك والمغاربة﴾

وفى هذه السنة مستهل رجب كانت الفتنة بين الاتراك والمغاربة وسببها ان الاتراك وثبوا بعيسى ابن فرخانشاه فضربوه وأخذوا دابته واجتمعت المغاربة مع محمد بن راشد ونصر بن سعد وغلبوا الاتراك على الجوسق وأخرجوهم منه وقالوا لهم كل يوم تقتلون خليفة وتخلعون آخر وتقتلون وزيرا وصار الجوسق وبيت المال فى أيدى المغاربة وأخذوا الدواب التى كان تركها الاتراك فاجتمع الاتراك وأرسلوا الى من بالكرخ والدور منهم فاجتمعوا وتلاقوا هم والمغاربة وأعان الغوغاء والشاكرية المغاربة فضعف الاتراك وانقادوا فاصلح جعفر بن عبد الواحد بينهم على أن لا يحدثوا شيأ وكل موضع يكون فيه رجل من الفريقين يكون فيه رجل من الفريق الآخر فمكثوا مدة مديدة ثم اجتمع الاتراك وقالوا نطلب هذين الرأسين فان ظفرنا بهما فلا أحد ينطق فبلغ الخبر باجتماع الاتراك الى محمد بن راشد ونصر بن سعد فخرجا الى منزل محمد بن غرون ليكونا عنده حتى يسكن الاتراك ثم يرجعا الى جمعهما فغمز بهما الى الاتراك فاخذوهما فقتلوهما فبلغ ذلك

هنالك من امم الترك وهم أنواع من الترك يقال لهم الطغرغر والخلج وحارب من يلى تلك البلاد من ملوك الهند مثل زنبيل وغيره وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب مراتب ملوك الهند وغيرهم من ملوك العالم وذكرنا مملكة كل واحد منهم والصقع الذى هو به وذوى السياسات منهم وبينا أن كل ملك يلى هذا الصقع من بلاد الهند يقال له زنبيل فخلع ابن الاشعث طاعة الحجاج وصار الى بلاد كرمان فثنى بخلع عبد الملك وانقاد الى طاعته أهل الرى والجبال مما بين الكوفة والبصرة وغيرهما وسار الحجاج الى البصرة وسار الاشعث اليه فكانت له حروب عظيمة وفى عبد الرحمن بن الاشعث يقول خلع الملوك وسار تحت لوائه شجر العرى وعراعر الاقدام وكتب الحجاج بن يوسف الى عبد الملك يعلمه بخبر ابن الاشعث فكتب اليه عبد الملك لعمرى لقد خلع طاعة الله بيمينه وسلطانه بشماله وخرج من الدين عريانا وانى لارجو أن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته واستئصالهم فى ذلك على يد أمير المؤمنين وما جوابه عندى فى خلع الطاعة الا قول القائل

أناة وحلما وانتظارا بهم غدا * فما أنا بالفانى ولا الضرع الغمر
أظن صروف الدهر بينى وبينكم * ستحملكم منى على مركب وعر

ذلك المعتز فاراد قتل ابن غرون فكلم فيه فنفاه الى بغداد

﴿ذكر خروج مساور بالبوازيج﴾

في هذه السنة في رجب خرج مساور بن عبد الحميد بن مساور الشاري البجلي الموصلي بالبوازيج والى جده ينسب فندق مساور بالموصل وكان سبب خروجه ان شرطة الموصل كان يتولاها هو لبني عمران وأمراء الموصل لزموا انسانا اسمه حسين بن بكير فاخذ ابنا لمساور هذا اسمه حوثرة فحبسه بالحديثة وكان حوثرة جميلا فكان حسين هذا يخرجه من الحبس ليلا ويحضره عنده ويرده الى الحبس نهارا فكتب حوثرة الى أبيه مساور وهو بالبوازيج يقول له أنا بالنهار محبوس وبالليل عروس فغضب لذلك وقلق وخرج وبايعه جماعة وقصد الحديثة فاختفى حسين بن بكير وأخرج مساور ابنه حوثرة من الحبس وكثر جمعه من الاكراد والاعراب وسار الى الموصل فنزل بالجانب الشرقي وكان الوالي عليها عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الاشعث بن أهبان الخزاعي واهبان يقال انه مكلم الذئب وله صحبة فوافقه عقبة من الجانب الغربي فعبر دجلة رجلان من أهل الموصل الى مساور فقاتلا فقتلا وعاد مساور وكره القتال وكان حوثرة بن مساور معهم فسمع يقول

أنا الغلام البجلي الشاري * اخرجني جوركم من داري

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة حمل محمد بن علي بن خلف العطار وجماعة من الطالبيين الى سامرا فيهم أبو أحمد محمد بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأبو هاشم داود بن القاسم الجعفري في شعبان وكان سبب ذلك ان رجلا من الطالبيين سار من بغداد في جماعة من الشاكرية الى ناحية الكوفة وكانت من عمال أبي الساج وكان مقيما ببغداد فامر محمد بن عبد الله بالمسير الى الكوفة فقدم بين يديه خليفته عبد الرحمن الى الكوفة فلما صار الهارمي بالجارة وظنوه جاء لحرب العلوي وقال لست بعامل انما أنا رجل وجهت لحرب الاعراب فكفوا عنه وكان أبو أحمد الطالبي المذكور قد ولاه المعتز الكوفة بعدما هزم مزاحم بن خاقان العلوي الذي كان وجه لقتاله بها وقد تقدم ذكره فعاث أبو أحمد فيها وآذى الناس وأخذ أموالهم وضياعهم فلما أقام عبد الرحمن بالكوفة لاطفه واستماله حتى خالطه أبو أحمد وآكله وشاربه حتى سار به ثم خرج متنزها الى بستان فاسى وقد عبى له عبد الرحمن أصحابه فقيده وسيره الى بغداد في ربيع الآخر ووجدت مع ابن أخ لمحمد بن علي بن خلف العطار كتب من الحسن بن زيد فكتب بخبره الى المعتز فكتب الى محمد بن عبد الله بحمله وحمل الطالبيين المذكورين الى سامرا فحملوا جميعا وفيها ولي الحسين بن أبي الشوارب قضاء القضاة وفيها توجه أبو الساج الى طريق خراسان من قبل محمد بن عبد الله وفيها عقد لعيسى بن الشيخ على الرملة وانفذ خليفته أبا المغراء اليها وعيسى هذا شيباني وهو عيسى بن الشيخ ابن السليل من ولد جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان واستولى على فلسطين جميعها فلما كان من الاتراك بالعراق ما ذكرناه تغلب على دمشق وأعمالها وقطع ما كان يحمل من الشام الى الخليفة واستبد بالاموال وفيها كتب وصيف الى عبد العزيز بن أبي دلف العجلي بتوليته الجبل وبعث اليه بخلع فتولى ذلك من قبله وفيها قتل محمد بن عمرو الشاري بديار ربيعة قتله خليفة لايوب بن أحمد في ذي القعدة وفيها أغار جستان صاحب الديلم مع عيسى بن أحمد العلوي والحسن بن أحمد الكوكبي على الري فقتلوا وسبوا وكان بها عبد الله بن عزيز فهرب منها فصالحهم أهل الري على ألفي ألف درهم فارتحلوا عنها وعاد ابن عزيز فاخذ أحمد بن عيسى وبعث به الى نيسابور وفيها مات

ألم تعلموا أني تخاف عزائمي * وان قناتي لا تلين على الكسر ودخل ابن الاشعث الكوفة وكتب الحجاج كتابا الى عبد الملك يذكر فيه جيوش ابن الاشعث وكثرتها ويستنجد عبد الملك ويسأله الامداد وقال في كتابه واغوثاه بالله واغوثاه بالله واغوثاه بالله فامده بالجيوش وكتب اليه يالبيك يالبيك يالبيك فالتقى الحجاج وابن الاشعث بالموضع المعروف بدير الجماجم فكانت بينهم وقائع نيف وثمانون وقعة تفانى فيها خلائق وذلك في سنة اثنتين وثمانين وكانت على ابن الاشعث فمضى حتى انتهى الى ملوك الهند ولم يزل الحجاج يحتال في قتله حتى قتل وأتى برأسه فعلا الحجاج منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أهل العراق ان الشيطان استبطنكم فخالط اللحم منكم والعظم والاطراف والاعضاء وجرى منكم مجرى الدم وأفضى الى الاضلاع والامخاخ فحشى ماهنالك شقاقا واختلافا ونفاقا ثم أربع فيه فعشش وباض فيه ففرخ واتخذتموه دليلا تتابعونه وقائدا تطاوعونه ومؤامرا تستأمرونه ألستم أصحابي بالاهواز حين سعيتم بالغدر بي فاستجمعتم على وحيث ظننتم أن الله سيخذل دينه وخلافته وأقسم بالله اني

اسمعيل بن يوسف الطالبى الذى كان فعل بمكة ما فعل وفيها هاج الناس بمحمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور وفيها سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا الى بلاد العدو فقصدوا ألبة والقلاع ومدينة مانه وقتلوا من أهلها عددا كثيرا ثم قفل الجيش سالمين وفيها توفى محمد بن بشار بندار وأبو موسى محمد بن المثنى الدمن البصريان وهما من مشايخ البخارى ومسلم فى الصحيح وكان مولد بندار سنة سبع وستين ومائة

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين﴾

﴿ذكر أخذ كرج من أبى دلف﴾

فيها عقد المعتز لموسى بن بغا الكبير فى رجب على الجبل فسار على مقدمته مفلح فلقيه عبد العزيز بن أبى دلف خارج همذان فتحاربا وكان مع عبد العزيز اكثر من عشرين ألفا من الصعاليك وغيرهم فانهزم عبد العزيز وقتل أصحابه فلما كان فى رمضان سار مفلح نحو الكرج وجعل له كمينين ووجه عبد العزيز عسكرا فيه أربعة آلاف فقاتلهم مفلح وخرج الكمينان على أصحاب عبد العزيز فانهزموا وقتلوا وأسروا وأقبل عبد العزيز ليعين أصحابه فانهزم انهزامهم وترك كرج ومضى الى قلعة له يقال لها زر فتحصن بها ودخل مفلح كرج فاخذ أهل عبد العزيز وفيهم والدته

﴿ذكر قتل وصيف﴾

وفيها قتل وصيف وكان سبب قتله ان الاتراك والفراغنة والاشروسنية شغبوا وطلبوا أرزاقهم لاربعة أشهر فخرج اليهم بغا ووصيف وسيما وكلمهم وصيف فقال لهم خذوا التراب ليس عندنا مال وقال بغا نعم نسأل أمير المؤمنين ونتناظر فى دار اشناس فدخلوا دار اشناس ومضى سيما وبغا الى المعتز وبقى وصيف فى أيديهم فوثب عليه بعضهم فضربه بالسيف وجاء آخر بسكين ثم ضربوه بالطبرزينات حتى قتلوه وأخذوا رأسه ونصبوه على محراك تنور وجعل المعتز ما كان الى وصيف الى بغا الشرابى وهو بغا الصغير وألبسه التاج والوشاحين

﴿ذكر قتل بندار الطبرى﴾

وفيها قتل بندار الطبرى وكان سبب قتله ان مساور بن عبد الحميد الموصلى الخارجى لما خرج بالبوازيج كما ذكرنا وكان طريق خراسان الى بندار ومظفر بن سيسل وكان بالدسكرة فاتى الخبر الى بندار بمسير مساور الى كرخ حدان فقال المظفر فى المسير اليه فقال للمظفر قد أمسينا وغدا العيد فاذا قضينا العيد سرنا اليه فهم بندار طمعا فى ان يكون الظفر له فسار ليلا حتى أشرف على عسكر مساور فاشار عليه بعض أصحابه ان يبيتهم فابى وقال حتى أراهم ويرونى فاحس به الخوارج فركبوا واقتتلوا وكان مع بندار ثلثمائة فارس ومع الخوارج سبعمائة فاشتد القتال بينهم وحمل الخوارج حملة اقتطعوا من أصحاب بندار اكثر من مائة فصبروا لهم وقاتلوهم حتى قتلوا جميعا فانهزم بندار وأصحابه وجعل الخوارج يقطعونهم قطعة بعد قطعة فقتلوهم وأمعن بندار فى الهرب فطلبوه فلحقوه فقتلوه ونصبوا رأسه ونجا من أصحابه نحو من خمسين رجلا وقتل مائة وأتى الخبر الى المظفر فرحل نحو بغداد وسار مساور نحو حلوان فقاتله أهلها فقتل منهم أربعمائة انسان وقتلوا من أصحابه جماعة وقتل عدة من حجاج خراسان كانوا بحلوان واعانوا أهلها ثم انصرفوا عنه وقال ابن مساور فى ذلك

جمعت العراق ببندارها * وحزت البلاد باقطارها
وحلوان صبحتها غارة * فقبلت اغرار غرارها

وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم وتوليكم على أكتافكم السيوف هاربين لا يسأل الرجل عن بنيه ولا يلوى امرؤ على أخيه حين عض لكم السلاح وقصفتكم الرماح ويوم دير الجماجم بها كانت الملاحم والمعارك العظائم ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله فما الذى ارجوه منكم يا أهل العراق ام ما الذى أتوقعه ولماذا أستبقيكم ولاى شئ ادخركم أللهمرات بعد العدوات أم للنزوة بعد النزوات وما الذى أراقبكم وما الذى انتظر فيكم ان بعثتم الى ثغوركم جبنتم وان امنتم أوخفتم نافقتم لاتجزون بحسنة ولا تشكرون نعمة يا أهل العراق هل استنبحكم نابح أواستشلاكم عاق أو استخفكم ناكث أو استنفركم عاص الا نابعتموه وبايعتموه وآويتموه وكنفتموه يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو دبى كاذب الا كنتم أنصاره وأشياعه يا أهل العراق لم ينفعكم التجارب وتحفظكم المواعظ أو تعظكم الوقائع هل يجمع فى صدوركم ما أوقع الله بكم عند مصادر الامور ومواردها يا أهل الشأم أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفى عنهن القذى وعتبة

وعقبة بالموصل اجحرته * وطوقته الذل فى كارها

(ذكر موت محمد بن عبد الله بن طاهر)

وفى ليلة أربع عشرة من ذى الحجة انخسف القمر جميعه ومع انتهاء خسوفه مات محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وكانت علته التى مات بها قروحا أصابته فى حلقه ورأسه فذبحته وكانت تدخل فيها الفتائل ولما اشتد مرضه كتب الى عماله وأصحابه بتفويض ما اليه من الولاية الى أخيه عبيد الله بن طاهر فلما مات تنازع ابنه طاهر واخوه عبيد الله الصلاة عليه فصلى عليه ابنه وتنازع عبيد الله واصحاب طاهر حتى سلوا السيوف ورموا بالحجارة ومالت العامة مع اصحاب طاهر وعبر عبيد الله الى داره بالجانب الشرقى فعبر معه القواد لاستخلاف محمد وكان وصاه على اعماله ثم وجه المعتز بعد ذلك الخلع الى عبيد الله فامر عبيد الله للذى اتاه بالخلع بخمسين الف درهم

(ذكر الفتنة باعمال الموصل)

فى هذه السنة كانت حرب بين سليمان بن عمران الازدى وبين عنزة وسببها ان سليمان اشترى ناحية من المرج فطلب منه انسان من عنزة اسمه برهونة الشفعة فلم يجبه اليها فسار برهونة الى عنزة وهم بين الزابين فاستجار بهم وبنى شيبان واجتمع معه جمع كثير فنهبوا الاعمال واسرفوا وجمع سليمان لهم بالموصل وسار اليهم فعبر الزاب وكانت بينهم حرب شديدة قتل فيها كثير وكان الظفر لسليمان فقتل منهم بباب شمعون مقتلة عظيمة وادخل من رؤسهم الى الموصل اكثر من مائتى رأس فقال حفص بن عمرو الباهلى قصيدة يذكر فيها الوقعة أولها

شهدت مواقفنا نزار فاحمدت * كرات كل سميذع قمقام

جاؤا وجئنا الا نقيتم صلنا * ضربا يطيح جماجم الاجسام

وهى طويلة وفيها كان أيضا باعمال الموصل فتنة وحرب قتل فيها الحباب بن بكير التليدى وسبب ذلك ان محمد بن عبد الله بن السيد بن أنس التليدى الازدى اشترى قريتين كان رهنهما محمد بن على التليدى عنده وكره صاحبهما ان يشتريهما فشكا ذلك الى الحباب بن بكير فقال الحباب له ائتنى بكتاب من بغا الامنع عنهما واعطاه دواب ونفقة وانحدر الى سر من رأى وأحضر كتابا من بغا الى الحباب بأمره بكف يد محمد بن عبد الله بن السيد عن القريتين ففعل ذلك وأرسل اليهما من منع عنهما محمدا فجرت بينهم مراسلات واصطلحوا فبينما محمد بن عبد الله بن السيد والحباب بالبستان على شراب لهما ومعهما قينة فقال لها الحباب غنى بهذا الشعر

متى تجمع القلب الذكى وصارما * وانفا حميا تجتنبك المظالم

فغنت الجارية فغضب محمد بن عبد الله وقال لها بل غنى

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها * مراغمة مادام للسيف قائم

ولا صلح حتى تقرع البيض بالقنا * ويضرب بالبيض الخفاف الجماجم

وافترقا وقد حقد كل واحد منهما على صاحبه وأعاد الحباب التوكيل بالقريتين فجمع محمد جمعا وترددت الرسل فى الصلح واجابا الى ذلك وفرق محمد جمعه فابلغ محمدا أن الحباب قال لو كان مع محمد أربعة لما أجاب الى الصلح فغضب لذلك وجمع جمعا كثيرا وسار مبادرا الى الحباب فخرج اليه الحباب غير مستعد فاقتتلوا فقتل الحباب ومعه ابن له وجمع من أصحابه وكان ذلك فى ذى القعدة من هذه السنة

و يعفهن من المطر و يحفظهن من الذباب و يحجبهن من سائر الدواب لا يخلص اليهن منه قذى ولا يفضى اليهن بذا ولا يمسهن اذى يا أهل الشام أنتم العدة والعدد والجند والحرب ان حارب محارب أو جانب مجانب وما أنتم وأهل العراق الا كما قال نابغة بنى جعدة

وأن تداعيكم حظهم
ولم ترزقوه ولم نكذب
كقول اليهود قتلنا المسيح
ولم يقتلوه ولم يصلب

فى أبيات ولما أسرف الحجاج فى قتل أسارى دير الجماجم وأعطى الاموال بلغ ذلك عبد الملك فكتب اليه أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك فى الدماء وتبذيرك فى الاموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس وقد حكم عليك أمير المؤمنين فى الدماء فى الخطا الدية وفى العمد القود وفى الاموال ردها الى مواضعها ثم العمل فيها برأيه فانما أمير المؤمنين امين الله وسيان عنده منع حق واعطاء باطل فان كنت أردت الناس له فما أغناهم عنك وان كنت اردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك من أمير المؤمنين أمران لين وشدة فلا يؤنسنك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية وظن بامير المؤمنين كل شئ الا احتمالك على الخطا واذا أعطاك الظفر على قوم فلا تقتلن جانحا ولا اسيرا وكتب فى أسفل كتابه

اذا أنت لم تطلب امورا كرهتها * وتطلب رضائى بالذى أنت طالبه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها نفى أبو أحمد بن المتوكل الى البصرة ثم رد الى بغداد فانزل فى الجانب الشرقى بقصر دينار ونفى أيضا على بن المعتصم الى واسط ثم رد الى بغداد وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر فى ذى الحجة وحج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبى وفيها غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهزم وأسر وفيها التقى موسى بن بغا والكوكبى العلوى عند قزوين فانهزم الكوكبى ولحق بالديلم وكان سبب الهزيمة انهم لما اصطفوا للقتال جعل أصحاب الكوكبى ترسهم فى وجوههم فيتقون بها سهام أصحاب موسى فلما رأى موسى ان سهام أصحابه لا تصل اليهم مع فعلهم أمر بما معه من النفط ان يصب فى الارض ثم أمر أصحابه بالاستطراد لهم ففعلوا ذلك فظن الكوكبى وأصحابه انهم قد انهزموا وتبعهم فلما توسطوا النفط امر موسى بالنار فالقيت فيه فالتهب من تحت أقدامهم فجعلت تحرقهم فانهزموا فتبعهم موسى ودخل قزوين وفيها فى ذى الحجة التقى مساور الخارجى عسكرا للخليفة مقدمهم حطرمس بناحية جلولاء فهزمه مساور وفيها سار جيش المسلمين من الاندلس الى بلاد المشركين فافتتحوا حصون جرنيق وحاصروا قوتب وغلب على اكثر اسوارها

﴿ذكر ابتداء دولة يعقوب الصفار وملكه هراة وبوشنج﴾

كان يعقوب بن الليث وأخوه عمرو يعملان الصفر بسجستان ويظهران الزهد والتقشف وكان فى أيامهما رجل من أهل سجستان يظهر التطوع بقتال الخوارج يقال له صالح المطوعى فصحبه يعقوب وقاتل معه فحظى عنده فجعله صالح مقام الخليفة عنه ثم هلك صالح وقام مقامه انسان آخر اسمه درهم فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح قبله ثم ان صاحب خراسان احتال لدرهم لما عظم شأنه وكثر أتباعه حتى ظفر به وحمله الى بغداد فحبسه بها ثم أطلق وخدم الخليفة ببغداد وعظم أمر يعقوب بعد أخذ درهم وصار متولى أمر المتطوعة مكان درهم وقام بمحاربة الشراة فظفر بهم وأكثر القتل فيهم حتى كاد يفنيهم وخرب قراهم وأطاعه أصحابه بمكره وحسن حاله ورأيه طاعة لم يطيعوها أحدا كان قبله واشتدت شوكته فغلب على سجستان وأظهر التمسك بطاعة الخليفة وكاتبه وصدر عن أمره وأظهر أنه هو أمره بقتال الشراة وملك سجستان وضبط الطرق وحفظها وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فكثر اتباعه فخرج عن حد طلب الشراة وصار يتناول أصحاب أمير خراسان للخليفة ثم سار من سجستان الى هراة من خراسان هذه السنة ليملكها وكان أمير خراسان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وعامله على هراة محمد بن أوس الانبارى فخرج منها لمحاربة يعقوب فى تعبية حسنة وبأس شديد وزى جميل فتحاربا واقتتلا قتالا شديدا فانهزم ابن أوس وملك يعقوب هراة وبوشنج وصارت المدينتان فى يده فعظم أمره حينئذ وهابه أمير خراسان وغيره من أصحاب الاطراف

﴿ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين﴾

﴿ذكر مقتل بغا الشرابى﴾

فيها قتل بغا الشرابى وكان سبب قتله انه كان يحرض المعتز على المسير الى بغداد والمعتز يأبى ذلك ويكرهه فاتفق ان بغا اشتغل بتزويج ابنته من صالح بن وصيف فركب المعتز ومعه أحمد بن اسرائيل الى كرخ سامرا الى بايكيال التركى ومن معه من المنحرفين عن بغا وكان سبب انحرافه عنه انهما كانا على شراب لهما فعربد أحدهما على الآخر فاختفى بايكيال من بغا فلما أتاه المعتز اجتمع معه أهل الكرخ وأهل الدور ثم أقبلوا مع المعتز الى الجوسق بسامرا وبلغ ذلك بغا فخرج

وتخشى الذى يخشاه مثلى هاربا * الى الله منه ضيع الدر حالبه فان ترمنى غفلة قرشية * فياربما قد غص بالماء شاربه
وان ترمنى وثبة أموية * فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تأمنى والحوادث جمة * فانك مجزى بما انت كاسبه
ولا تعد ما يأتيك منى وان تعد * يقوم بها يوما عليك نوادبه
ولا تدفعن للناس حقا علمته * ولا تعطين ما ليس لله جانبه
وهى ابيات من جيد ما اخترناه من قول عبد الملك فلما قرأ الحجاج كتابه كتب أما بعد فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفى فى الدماء وتبذيرى فى الاموال ولعمرى ما بلغت فى عقوبة أهل المعصية ما هم أهله وما قضيت حق أهل الطاعة بما استحقوه فان كان قتلى اولئك العصاة سرفا واعطائى أولئك المطيعين تبذيرا فليسوغنى أمير المؤمنين ما سلف وليحد لى فيه حدا أنتهى اليه ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله والله ما على من عقل ولا قود ما أصبت القوم خطأ فأديهم ولا اعطيتهم الا لك ولا قتلت الا فيك واما ما أنا منتظره من أمريك فالينهما عدة واعظمهما محنة فقد عبأت للعدة الجلاد وللمحنة الصبر وكتب فى أسفل كتابه
اذا أنا لم أتبع رضاك وأتقى * أذاك فيومى لا تزول كواكبه وما لامرئ بعد الخليفة جنة * تقيه من الامر الذى هو كاسبه

في غلمانه وهم زهاء خمسمائة انسان من ولده وقوّاده فسار الى السن فشكا أصحابه بعضهم الى بعض ماهم فيه من العسف وانهم خرجوا بغير مضارب ولا ما يلبسونه في البرد وانهم في شتاء فاتاه بعض أصحابه وأخبره بقولهم فقال دعني حتى أنظر الليلة فلما جن عليه الليل ركب في زورق ومعه خادمان وشئ من المال الذي صحبه وكان قد صحبه تسع عشرة بدرة دنانير ومائة بدرة دراهم ولم يحمل معه سلاحا ولا سكينا ولا شيأ ولم يعلم به أحد من عسكره وكان المعتز في غيبة بغا لا ينام الا في ثيابه وعليه السلاح فسار بغا الى الجسر في الثلث الاول من الليل فبعث الموكلون بالجسر ينظرون من هو فصاح بالغلام فرجع وخرج بغا في البستان الخاقاني فلحقه عدة من الموكلين فوقف لهم بغا وقال انا بغا اما ان تذهبوا معي الى صالح بن وصيف واما ان تصيروا معي حتى أحسن اليكم فتوكل به بعضهم وأرسلوا الى المعتز بالخبر فامر بقتله فقتل وحمل رأسه الى المعتز ونصب بسامرا وببغداد وأحرقت المغاربة جسده وكان أراد أن يختفي عند صالح بن وصيف فاذا اشتغل الناس بالعيد وكان قد قرب خرج هو وصالح ووثبوا بالمعتز

﴿ذكر ابتداء حال أحمد بن طولون﴾

كانت ديار مصر قد أقطعها بابكيال وهو من أكابر قوّاد الاتراك وكان مقيما بالحضرة واستخلف بها من ينوب عنه بها وكان طولون والد أحمد بن طولون أيضا من الاتراك وقد نشأ هو بعد والده على طريقة مستقيمة وسيرة حسنة فالتمس بابكيال من يستخلفه بمصر فاشير عليه باحمد بن طولون لما ظهر عنه من حسن السيرة فولاه وسيره اليها وكان بها ابن المدبر على الخراج وقد تحكم في البلد فلما قدمها أحمد كف يد ابن المدبر واستولى على البلد وكان بابكيال قد استعمل أحمد بن طولون على مصر وحدها سوى باقي الاعمال كالاسكندرية وغيرها فلما قتل المهتدي بابكيال وصارت مصر لياركوج التركي وكان بينه وبين أحمد بن طولون مودة متأكدة استعمله على ديار مصر جميعها فقوي أمره وعلا شأنه ودامت أيامه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

﴿ذكر وقعة بين مساور الخارجي وبين عسكر الموصل﴾

كان مساور بن عبد الحميد قد استولى على أكثر أعمال الموصل وقوي أمره فجمع له الحسن بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي وكان خليفة أبيه بالموصل عسكرا كثيرا منهم حمدان بن حمدون جد الامراء الحمدانية وغيره وسار الى مساور وعبر اليه نهر الزاب فتأخر عنه مساور عن موضعه ونزل بموضع يقال له وادي الربات وهو واد عميق فسار الحسن في طلبه فالتقوا في جمادى الاولى واقتتلوا واشتد القتال فانهزم عسكر الموصل وكثر القتل فيهم وسقط كثير منهم في الوادي فهلك فيه أكثر من القتلى ونجا الحسن فوصل الى حزة من اعمال اربل اليوم ونجا محمد بن علي بن السيد فظن الخوارج أنه الحسن فتبعوه وكان فارسا شجاعا فقاتلهم فقتل واشتد أمر مساور وعظم شأنه وخافه الناس

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة توفي أبو أحمد بن الرشيد وهو عم الواثق والمتوكل وعم أبي المنتصر والمستعين والمعتز وكان معه من الخلفاء أخواه الامين والمأمون والمعتصم وابنا أخيه الواثق والمتوكل ابنا المعتصم وأبناء ابني أخيه وهم المنتصر والمستعين والمعتز وفيها في جمادى الآخرة توفي علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بسامرا وهو أحد من يعتقد الامامية امامته وصلى عليه أبو أحمد بن المتوكل وكان مولده سنة اثنتي عشرة ومائتين وفيها

أسالم من سالمت من ذي قرابة * ومن لم تسالمه فاني محاربه
اذا قارف الحجاج منك خطيئة * فقامت عليه في الصباح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه * وأقصي الذي تسري الي عقاربه
فمن ذا الذي يرجو نوالي ويتقي * مصاولتي والدهر جم نوائبه
فقف بي على حد الرضا لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعني والامور فانني * شفيق رفيق أحكمتني تجاربه

وهي أبيات من جيد ما اخترناه من شعر الحجاج فلما انتهى كتابه الى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتي ولن أعود لشئ يكرهه (وحدث) حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة فقال لحرسي ائتني بمحدث من المسجد فاعترض رجلا جسيما عظيما فقال أجب الامير فانطلق به حتى ادخله اليه فلم يسلم ولا نطق حتى قال له الحجاج ايه ما عندك فقال له الرجل ايه ما عندك فقال للحرسي أخرجه أخرج الله نفسك أمرتك أن تاتيني بمحدث فاتيتني بمرعوب قد ذهب فؤاده فخرج الحجاج ومعه صرة دراهم الى المسجد فجعل يناول الناس فيأخذونها حتى انتهى الى شيخ فاعطاه فنبذها فاعادها الحجاج فردها ففعل ذلك الحجاج ثلاثا فدنا منه الحجاج وقال انا الحجاج ودخل القصر

عقد صالح بن وصيف لديوداد على ديار مصر وقنسرين والعواصم وفيها أوقع مفلح باهل قم فقتل منهم مقتلة عظيمة وفيها عاود أهل ماردة من بلاد الاندلس الخلاف على محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس وسبب ذلك أنهم خالفوا قديما على أبيه فظفر بهم وتفرق كثير من أهلها فلما كان الآن تجمع اليها من كان فارقها فعادوا الى الخلاف والعصيان فسار محمد اليهم وحصرهم وضيق عليهم فانقادوا الى التسليم والطاعة فنقلهم وأموالهم الى قرطبة وهدم سور ماردة وحصن بها الموضع الذي كان يسكنه العمال دون غيرهم وفيها هلك اردون بن ردمير صاحب جليقية من الاندلس وولى مكانه ادفونش وهو ابن اثنتي عشرة سنة وفيها انكسف القمر كسوفا كليا لم يبق منه شئ ظاهر وفيها كان ببلاد الاندلس قحط شديد تتابع عليهم من سنة احدى وخمسين الى سنة خمس وخمسين وكشف الله عنهم وفيها وصل دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي الى الاهواز وجند يسابور وتستر فجبى بها مائتي ألف دينار ثم انصرف وكان والده أمره بذلك وفي رمضان سار نوشري الى مساور الشاري فلقيه فهزمه وقتل من أصحابه جماعة كثيرة وحج بالناس على بن الحسين بن اسمعيل بن عباس بن محمد وفيها توفي أبو الوليد بن عبد الملك بن قطن النحوي القيرواني بها وكان اماما في النحو واللغة واماما بالعربية قيل مات سنة خمس وخمسين وهو أصح

﴿ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين﴾

﴿ذكر استيلاء يعقوب بن الليث الصفار على كرمان﴾

فيها استولى يعقوب بن الليث الصفار على كرمان وسبب ذلك ان على بن الحسين بن شبل كان على فارس فكتب الى المعتز يطلب كرمان ويذكر عجز الطاهرية وان يعقوب قد غلبهم على سجستان وكان على بن الحسين قد تباطأ بحمل خراج فارس فكتب اليه المعتز بولاية كرمان وكتب الى يعقوب بن الليث بولايتها أيضا يلتمس اغراء كل واحد منهما بصاحبه ليسقط مؤنة الهالك عنه وينفرد بالآخر وكان كل واحد منهما يظهر طاعة لا حقيقة لها والمعتز يعلم ذلك منهما فارسل على بن الحسين طوق بن المغلس الى كرمان وسار يعقوب اليها فسبقه طوق واستولى عليها وأقبل يعقوب حتى بقي بينه وبين كرمان مرحلة فاقام بها شهرين لا يتقدم الى طوق ولا طوق يخرج اليه فلما طال ذلك عليه أظهر الارتحال الى سجستان فارتحل مرحلتين وبلغ طوقا ارتحاله فظن انه قد بدا له في حربه وترك كرمان فوضع آلة الحرب وقعد للأكل والشرب والملاهي واتصل بيعقوب اقبال طوق على الشرب فكر راجعا فطوى المرحلتين في يوم واحد فلم يشعر طوق الا بغبرة عسكره فقال ما هذا فقيل غبرة المواشي فلم يكن بأسرع من موافاة يعقوب فاحاط به وأصحابه فذهب أصحابه يريدون المناهضة والدفع عن أنفسهم فقال يعقوب لاصحابه افرجوا للقوم فمروا هاربين وخلوا كل مالهم وأسر يعقوب طوقا وكان على بن الحسين قد سير مع طوق في صناديق قيودا ليقيد بها من يأخذه من أصحاب يعقوب وفي صناديق أطوقة واسورة ليعطيها أهل البلاء من أصحاب نفسه فلما غنم يعقوب عسكرهم رأى ذلك فقال ما هذا يا طوق فاخبره فاخذ الاطوقة والاسورة فاعطاها أصحابه وأخذ القيود والاغلال فقيد بها أصحاب على ولما أخرج يد طوق ليضع فيها الغل رآها يعقوب وعليها عصابة فسأله عنها فقال أصابني حرارة ففصدتها فامر بنزع خف نفسه فتساقط منه كسر خبز يابسة فقال يا طوق هذا خفي لم أنزعه منذ شهرين من رجلي وخبزي في خفي منه آكل وأنت جالس في الشرب ثم دخل كرمان وملكها مع سجستان

وقال للعريبي الحقني به فدخل فسلم بلسان ذلق وقلب شديد فقال له الحجاج ممن الرجل فقال من بني شيبان قال ما اسمك قال سبرة بن الجعد قال يا سبرة هل قرأت القرآن قال جمعته في صدري وان عملت به فقد حفظته وان لم أعمل به فقد ضيعته قال فهل تفرض قال اني لأفرض الصلب وأعرف الاختلاف في الجد قال فهل تبصر الفقه قال اني لابصر ما أقوم به أهلي وأرشد ذا العمى من قومي قال فهل تعرف النجوم قال اني لاعرف منازل القمر وما أهتدي به في السفر قال فهل تروي الشعر قال اني لاروي المثل والشاهد قال المثل قد عرفناه فما الشاهد قال اليوم يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من الشعر فاني أروي ذلك الشاهد فاتخذه الحجاج سميرا فلم يك يطلب شيأ من الحديث الا وجد عنده منه علما وكان يرى رأي الخوارج من أصحاب قطري ابن الفجاءة التميمي والفجاءة أمه وكانت من بني شيبان وانما هو رجل من تميم وكان قطري يومئذ يحارب المهلب فبلغ قطريا مكان سبرة من الحجاج فكتب اليه بابيات منها

لشتان ما بين ابن جعد وبيننا اذا نحن رحنا في الحديد المظاهر

نجاهد فرسان المهلب كلنا صبور على وقع السيوف البواتر وراح بجر الخز عند أميره أمير بتقوى ربه غير آمر ذكر

﴿ذكر ملك يعقوب فارس﴾

وفيها رابع جمادى الاولى ملك يعقوب بن الليث فارس ولما بلغ على بن الحسين بن شبل بفارس مافعله يعقوب بطوق أيقن بمجيئه اليه وكان على بشيراز فجمع جيشه وسار الى مضيق خارج شيراز من أحد جانبيه جبل لا يسلك ومن الجانب الآخر نهر لا يخاض فاقام على رأس المضيق وهو ضيق ممره لا يسلكه الا واحد بعد واحد وهو على طرف البر وقال ان يعقوب لا يقدر على الجواز الينا فرجع وأقبل يعقوب حتى دنا من ذلك المضيق فنزل على ميل منه وسار وحده ومعه رجل آخر فنظر الى ذلك المضيق والعسكر وأصحاب على بن الحسين يسبونه وهو ساكت ثم رجع الى أصحابه فلما كان الغد الظهر سار بأصحابه حتى صار الى طرف المضيق مما يلي كرمان فامر أصحابه بالنزول وحط الاثقال ففعلوا وركبوا دوابهم عريا وأخذ كلبا كان معه فالقاه فى الماء فجعل يسبح الى جانب عسكر على بن الحسين وكان على بن الحسين وأصحابه قد ركبوا ينظرون الى فعله ويضحكون منه وألقى يعقوب نفسه وأصحابه فى الماء على خيلهم وبايديهم الرماح يسيرون خلف الكلب فلما رأى على بن الحسين ان يعقوب قد قطع عامة النهر تحير فى أمره وانتقض عليه تدبيره وخرج أصحاب يعقوب من وراء أصحاب على فلما خرج أوائلهم هرب أصحابه الى مدينة شيراز لانهم كانوا يصيرون اذا خرج يعقوب وأصحابه بين جيش يعقوب والمضيق ولا يجدون ملجأ فانهزموا فسقط على بن الحسين عن دابته كبابه الفرس فاخذ أسيرا وأتى به الى يعقوب فقيده وأخذ كل ما فى عسكره ثم رحل من موضعه ودخل شيراز ليلا فلم يتحرك أحد فلما أصبح نهب أصحابه دار على ودور أصحابه وأخذ ما فى بيوت الاموال وجبى الخراج ورجع الى سجستان وقيل انه جرى بين يعقوب الصفار وبين على بن الحسين بعد عبوره النهر حرب شديدة وذلك أن عليا كان قد جمع عنده جمعا كثيرا من الموالى والاكراد وغيرهم بلغت عدتهم خمسة عشر ألفا بين فارس وراجل فعبى أصحابه ميمنة وميسرة وقلبا ووقف هو فى القلب وأقبل الصفار فعبر النهر فلما صار مع على على أرض واحدة حمل هو وعسكره حملة واحدة على عسكر على فثبتوا لهم ثم حمل ثانية فأزالهم عن مواقفهم وصدقهم فى الحرب فانهزموا على وجوههم لا يلوى أحد على أحد وتبعهم على يصيح بهم ويناشدهم الله ليرجعوا أو ليقفوا فلم يلتفت اليه أحد وقتل الرجالة قتلا ذريعا وأقبل المنهزمون الى باب شيراز مع العصر فازدحموا فى الابواب فتفرقوا فى نواحى فارس وبلغ بعضهم فى هزيمته الى الاهواز فلما رأى الصفار ما لقوا من القتل أمر بالكف عنهم ولولا ذلك لقتلوا عن آخرهم وكان القتلى خمسة آلاف قتيل وأصاب على بن الحسين ثلاث جراحات ثم أخذ أسيرا لما عرفوه ودخل الصفار الى شيراز وطاف بالمدينة ونادى بالامان فاطمأن الناس وعذب عليا بانواع العذاب وأخذ من أمواله ألف بدرة وقيل أربعمائة بدرة ومن السلاح والافراس وغير ذلك ما لا يحد وكتب الى الخليفة بطاعته وأهدى له هدية جليلة منها عشر بازات بيض وباز أبلق صينى ومائة من مسك وغيرها من الطرائف وعاد الى سجستان ومعه على وطوق تحت الاستظهار فلما فارق بلاد فارس أرسل الخليفة عماله اليها

﴿ذكر خلع المعتز وموته﴾

وفيها فى يوم الاربعاء لثلاث بقين من رجب خلع المعتز ولليلتين خلتا من شعبان ظهر موته وكان سبب خلعه ان الاتراك لما فعلوا بالكتاب ما ذكرناه ولم يحصل منهم مال ساروا الى المعتز يطلبون أرزاقهم وقالوا أعطنا أرزاقنا حتى نقتل صالح بن وصيف فلم يكن عنده ما يعطيهم فنزلوا معه الى

أبا الجعد أين العلم والحلم والنهى * وميراث آباء كرام العناصر ألم تر أن الموت لاشك نازل * ولا بد من بعث الالى فى المقابر
حفاء عراة والتراب لديهم
فمن بين ذى ربح وآخر ناسر
فان الذى قد نلت يفنى وانما
حياتك فى الدنيا كوقعة طائر
فراجع أبا جعد ولا تك مغضيا
على ظلمة أعشت جميع
النواظر
وتب توبة تهدى اليك شهادة
فانك ذو ذنب ولست بكافر
وسر نحونا تلق الجهاد غنيمة
تفدك ابتياعا رابحا غير خاسر
هى الغاية القصوى
الرغيب ثوابها
اذا نال فى الدنيا الغنى
كل تاجر
فلما قرأ كتابه بكى وركب
فرسه وأخذ سلاحه ولحق
بقطرى وطلبه الحجاج فلم
يقدر عليه ولم يرع الحجاج
الا وكتاب قد بدر منه فيه
شعر قطرى الذى كان كتب
به اليه وفى أسفل الكتاب
الى الحجاج أبيات منها
فمن مبلغ الحجاج أن سميره
قلا كل دين غير دين الخوارج
رأى الناس الا من رأى
مثل رأيه
ملاعين تراكين قصد المخارج
فاقبلت نحو الله بالله واثقا
وما كربتى غير الاله بفارج
الى عصبة أما النهار فانهم
هم الاسد أسد الغيل عند
التهايج
وأما اذا ما الليل جن فانهم
قيام بانواح النساء النواشج
ينادون للتحكيم تالله انهم
رأوا حكم عمرو كالرياح الهوائج وحكم ابن قيس مثل ذلك فأعصموا * بحبل شديد المتن ليس بناهج
فطرح الحجاج هذا الكتاب

﴿ذكر ولاية سليمان بن عبد الله بن طاهر بغداد وشغب الجند والعامة بها﴾

وفي رمضان وثب عامة بغداد وجندها بمحمد بن أوس البلخي وكان السبب في ذلك ان محمد بن اوس قدم من خراسان مع سليمان بن عبد الله بن طاهر على الجيش القادمين من خراسان وعلى الصعاليك الذين معهم ولم يكن أسماؤهم في ديوان العراق وكانت العادة ان يقام لمن يقدم من خراسان بالعراق ما كان لهم بخراسان ويكون وجه ذلك من دخل ضياع ورثة طاهر بن الحسين ويكتب الى خراسان ليعطى الورثة من بيت المال عوضه فلما سمع عبيد الله بن عبد الله بقدوم سليمان الى العراق ومصير الامر اليه أخذ ما في بيت مال الورثة وأخذ نحو ما لم يحل وسار فأقام بالجوسق في شرقي دجلة ثم انتقل الى غربيها فقدم سليمان فرأى بيت مال الورثة فارغا فضاقت عليه الدنيا وأعطى أصحابه من أموال جند بغداد وتحرك الجند والشاكرية في طلب الارزاق وكان الذين قدموا مع محمد بن أوس من خراسان قد أساؤا مجاورة أهل بغداد وجاهروا بالفاحشة وتعرضوا للحرم والغلمان بالقهر فامتلأ عليهم غيظا وحنقا فاتفق العامة مع الجند وثاروا وأتوا سجن بغداد عند باب الشام وكسروا بابه وأطلقوا من فيه وجرى حرب بين القادمين مع ابن أوس وبين أهل بغداد فعبر ابن أوس وأصحابه وأولاده الى الجزيرة وتصايح الناس من أراد النهب فليلحق بنا فقيل انه عبر الى الجزيرة من العامة أكثر من مائة ألف نفس وأتاهم الجند في السلاح فهرب ابن أوس الى منزله فتبعه الناس فتحاربوا نصف نهار حربا شديدة وجرح ابن أوس وانهزم هو وأصحابه وتبعهم الناس حتى أخرجوهم من باب الشماسية وانتهبوا منزله وجميع ما كان فيه فقيل كان قيمة ذلك ألفي ألف درهم وأخذوا له من الامتعة ما لا حد عليه ونهب أهل بغداد منازل الصعاليك من أصحابه فارسل سليمان بن عبد الله الى ابن أوس يأمره بالمسير الى خراسان ويعلمه انه لا طريق له الى العود الى بغداد فرحل الى النهروان فنهب وأفسد ثم أتى بايكبال التركي كتب اليه ولاية طريق خراسان في ذي القعدة وكان مساور بن عبد الحميد قد استخلف رجلا اسمه موسى بالدسكرة ونواحيها في ثلثمائة رجل واليه ما بين حلوان والسوس على طريق خراسان وبطن جوخى وفيها أمر المهتدي باخراج القيان والمغنين من سامرا ونفاهم عنها وأمر أيضا بقتل السباع التي كانت بدار السلطان وطرد الكلاب ورد المظالم وجلس للعامة ولما ولي كانت الدنيا كلها بالفتن منسوجة

﴿ذكر استيلاء مفلح على طبرستان وعوده عنها﴾

في هذه السنة سار مفلح الى طبرستان لحارب الحسن بن زيد العلوي فانهزم الحسن ولحق بالديلم ودخل مفلح البلد وأحرق منازل الحسن وسار الى الديلم في طلبه ثم عاد عن طبرستان بعد ان دخلها وهزم الحسن بن زيد العلوي وعاد موسى بن بغا من الري وسبب ذلك ان قبيحة أم المعتز لما رأت اضطراب الاتراك كتبت الى موسى تسأله القدوم عليهم وأملت أن يصل قبل ان يفرط في ولدها فارط فعزم موسى على الانصراف وكتب الى مفلح يأمره بالانصراف عن طبرستان اليه بالري فورد كتابه الى مفلح وهو قد توجه الى أرض الديلم في طلب الحسن بن زيد العلوي فلما أتاه الكتاب رجع فأتاه من كان هرب من الحسن من أهل طبرستان ورجوا العود الى بيوتهم وقالوا له ما سبب عودك فاخبرهم بكتاب الامير اليه يعزم عليه ولم يتهيأ لموسى المسير عن الري حتى أتاه خبر قتل المعتز والبيعة للمهتدي فبايعوا المهتدي ثم ان الموالي الذين مع موسى بلغهم ما أخذ صالح ابن وصيف من أموال الكتاب وأسلاب المعتز فحسدوا المقيمين بسامرا فدعوا موسى بن بغا

أسر فيها وقتل منهم خلق عظيم والمعروف بابي شعيب خرج في بني مالك وغيرهم من ربيعة وقد كان أدخل على المقتدر بالله وقد كان بعد العشرين والثلثمائة للاباضية ببلاد عمان مما يلي بلاد بروي وغيرها حروب وتحكيم وخروج وامام نصبوه فقتل وقتل من كان معه وفي سنة سبع وسبعين كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجي وولي عنه الحجاج بعد قتل ذريع كان في أصحابه حتى أحصى عددهم بالقضيب فدخل الكوفة وتحصن في دار الامارة ودخل شبيب وأمه وزوجته غزالة الكوفة عند الصباح وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران فاتوا الجامع في سبعين رجلا فصلوا به الغداة وخرجت غزالة مما كانت أوجبته على نفسها فقال الناس بالكوفة في تلك السنة

وفت الغزالة نذرها
يا رب لا تغفر لها

وكانت الغزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم وكذلك أم شبيب وقد كان عبد الملك حين بلغه خبر هرب الحجاج وتحصنه في دار الامارة بالكوفة من شبيب بعث من الشأم بعساكر كثيرة عليها سفيان ابن الابرد الكلبي لقتال شبيب فقدم على الحجاج بالكوفة فخرجوا الى شبيب فحاربوه فانهزم شبيب وقتلت الغزالة وأمه بالانصراف

بالانصراف وقدم عليهم مفلح وهو بالرى فسار نحو سامرا فكتب اليه المهتدى يأمره بالعود الى الرى ولزوم ذلك الثغر فلم يفعل فارسل اليه رجلين من بنى هاشم يعرفانه ضيق الاموال عنده ويحذرانه غلبة العلويين على ما يجعله خلفه فلم يسمع ذلك وكان صالح بن وصيف يعظم على المهتدى انصرافه وينسبه الى المعصية والخلاف ويتبرأ الى المهتدى من فعله ولما أتى الرسل موسى ضج الموالى وكادوا أن يثبوا بالرسل وردموسى الجواب يعتذر بتخلف من معه عن الرجوع الى قوله دون ورود باب أمير المؤمنين ويحتج بما عاين الرسل وانه ان تخلف عنهم قتلوه وسير مع الرسل جماعة من أصحابه فقدموا سامرا سنة ست وخمسين ومائتين

﴿ذكر استيلاء مساور على الموصل﴾

لما انهزم عسكر الموصل من مساور الخارجى كما ذكرناه قوى أمره وكثر اتباعه فسار من موضعه وقصد الموصل فنزل بظاهرها عند الدير الاعلى فاستتر أمير البلد منه وهو عبد الله بن سليمان لضعفه عن مقاتلته ولم يدفعه أهل الموصل أيضا لميلهم الى الخلاف فوجه مساور جمعا الى دار عبد الله أمير البلد فاحرقها ودخل مساور الموصل بغير حرب فلم يعرض لاحد وحضرت الجمعة فدخل المسجد الجامع وحضر الناس أو من حضر منهم فصعد المنبر وخطب عليه فقال فى خطبته اللهم اصلحنا واصلح ولاتنا ولما دخل فى الصلاة جعل ابهاميه فى أذنيه ثم كبر ست تكبيرات ثم قرأ بعد ذلك ولما خطب جعل على درج المنبر من أصحابه من يحرسه بالسيوف وكذلك فى الصلاة لانه خاف من أهل الموصل ثم فارق الموصل ولم يقدر على المقام بها لكثرة أهلها وسار الى الحديثة لانه كان اتخذها دار هجرته

﴿ذكر أول خروج صاحب الزنج﴾

وفى شوال خرج فى فرات البصرة رجل وزعم انه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام وجمع الزنج الذين كانوا يسكنون السباخ وعبر دجلة فنزل الدينارى قال أبو جعفر وكان اسمه فيما ذكر على بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه فى عبد القيس وأمه ابنة على بن رحيب بن محمد بن حكيم من بنى أسد بن خزيمة من قرى الرى وكان يقول جدى محمد ابن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن على بن الحسين فلما قتل زيد هرب فلحق بالرى فجاء الى قرية ورزنين وأقام بها وان أبا أبيه عبد الرحيم رجل من عبد القيس كان مولده بالطالقان وقدم العراق واشترى جارية سندية وأولدها محمدا أباه وكان متصلا قبل بجماعة من حاشية المنتصر منهم غانم الشطرنجى وسعيد الصغير وكان معاشه منهم ومن أصحاب السلطان وكان يمدحهم ويستميحهم بشعره منهم ومن غيرهم ثم انه شخص من سامرا سنة تسع وأربعين ومائتين الى البحرين فادعى بها انه على بن عبد الله بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب ودعا الناس بهجر الى طاعته فاتبعه جماعة كثيرة من أهلها ومن غيرهم فجرى بين الطائفتين عصبية قتل فيها جماعة وكان أهل البحرين قد أحلوه بمحل نبى وجبى الخراج ونفذ فيهم حكمه وقاتلوا أصحاب السلطان بسببه فوتر منهم جماعة فتنكروا له فانتقل عنهم الى الاحساء ونزل على قوم من بنى سعد بن تميم يقال لهم بنو الشماس وأقام فيهم وفى صحبته جماعة من البحرين منهم يحيى بن محمد الازرق البحرانى وسليمان بن جامع وهو قائد جيشه وكان ينتقل بالبادية فذكر عنه انه قال أوتيت فى تلك الايام بالبادية آيات من آيات امامتى ظاهرة للناس منها انى لقنت سورا من القرآن فجرى بها لسانى فى ساعة وحفظتها فى دفعة واحدة منها

ومضى شبيب فى فوارس من أصحابه واتبعه سفيان من أهل الشام فلحقه بالاهواز فولى شبيب فلما حصل على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر فالقاه فى الماء فقال له بعض أصحابه أغرقا يا أمير المؤمنين قال ذلك تقدير العزيز العليم فالقاه دجيل ميتا بشطه فحمل على البريد الى الحجاج فامر الحجاج بشق بطنه واستخراج قلبه فاستخرج فاذا هو كالحجر اذا ضربت به الارض نبا عنها فشق فاذا فى داخله قلب صغير كالكرة فشق فاصيب علقة الدم فى داخله وفى سنة اثنتين وثمانين قتل الحجاج ابن القرية لخروجه مع ابن الاشعث وانشائه الكتب له ووضعه الصدور والخطب وكان ابن القرية من البلاغة والعلم والفصاحة بالموضع الموصوف وقد أتينا على خبر مقتله وما كان من كلامه مع الحجاج وقد كان قتله صبرا فى الكتاب الاوسط وأن قتله أباه كان بالسيف وقيل بل قدم اليه فضربه الحجاج بحربة فى نحره فاتى عليه وابن القرية القائل الناس ثلاثة عاقل وأحمق وفاجر فاما العاقل فان الدين شريعته والحلم طبيعته والرأى الحسن سجيته ان نطق أصاب وان كلم أجاب وان سمع العلم وعى وان سمع الفقه روى وأما الاحمق فان تكلم عجل وان حدث ذهل وان حمل على القبيح حمل وأما الفاجر فان استأمنته خانك وان

سبحان والكهف وصادومنها انى فكرت فى الموضع الذى أقصده حيث نبت بى البلاد فاظلتنى غمامة وخوطبت منها فقيل لى اقصد البصرة وقيل عنه انه قال لاهل البادية انه يحيى به عمر العلوى أبو الحسن المقتول بناحية الكوفة لخدع أهلها فاتاه منهم جماعة كثيرة فزحف بهم الى الروم من البحرين فكانت بينهم وقعة عظيمة وكانت الهزيمة عليه وعلى أصحابه قتلوا قتلا كثيرا فتفرقت العرب عنه فلما تفرقت عنه سار فنزل البصرة فى بنى ضبيعة فاتبعه منهم جماعة كثيرة منهم على بن ابان المهلبى وكان قدومه البصرة سنة أربع وخمسين ومائتين ومحمد بن رجاء الحضارى عاملها ووافق ذلك فتنة أهل البصرة بالبلالية والسعدية وطمع فى احدى الطائفتين ان تميل اليه فارسل اليهم يدعوهم فلم يجبه أحد من أهل البلد وطلبه ابن رجاء فهرب فحبسه جماعة ممن كانوا يميلون اليه منهم ابنه وزوجته وابنة له وجارية حامل منه وسار يريد بغداد ومعه من أصحابه محمد بن سلم ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع ومرقس القريعى فلما سار بالبطيحة نذر بهم رجل كان يلى أمرها اسمه عمير بن عمار فحملهم الى محمد بن عوف عامل واسط فخلص منه هو وأصحابه فدخل بغداد فاقام بها حولا فانتسب الى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد فزعم بها انه ظهر له آيات عرف بها ما فى ضمائر أصحابه وما يفعل كل واحد منهم فاستمال جماعة من أهل بغداد منهم جعفر ابن محمد الصوحانى من ولد زيد بن صوحان ومحمد بن القاسم ومشرق ورفيق غلاما يحيى بن عبد الرحمن فسمى مشرقا حمزة وكناه أبا أحمد وسمى رفيقا جعفرا وكناه أبا الفضل وعزل محمد بن رجاء عن البصرة فوثب رؤساء البلالية والسعدية فاخرجوا من فى الحبوس فخلص أهله فيهم فلما بلغه خلاص أهله رجع الى البصرة وكان رجوعه فى رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه على بن ابان ويحيى بن محمد وسليمان ومشرق ورفيق فوافوا البصرة فنزل بقصر القرشى على نهر يعرف بعمود ابن المنجم وأظهر انه وكيل لولد الواثق فى بيع السباخ فاقام هنالك وذكر ريحان أحد غلمان السورجيين وهو أول من صحبه منهم انه قال كنت موكلا بغلمان مولاى أنقل لهم الدقيق فاخذنى أصحابه فساروا بى اليه وأمرونى أن أسلم عليه بالامرة ففعلت فسألنى عن الموضع الذى جئت منه فاخبرته وسألنى عن أخبار البصرة فقلت لا علم لى وسألنى عن غلمان السورجيين وعن أحوالهم وما يجرى لهم فاعلمته فدعانى الى ما هو عليه فاجبته فقال احتل فيمن قدرت عليه من الغلمان وأقبل بهم الى ووعدنى ان يقودنى على من آتيه به واستحلفنى أن لا أعلم أحدا بموضعه وأن أرجع اليه وخلى سبيلى وعدت اليه من الغداة وقد أتاه جماعة من غلمان الدباشين فكتب فى حريرة ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة الآية وجعلها فى راس مردى ومازال يدعو غلمان أهل البصرة ويقبلون اليه للخلاص من الرق والتعب فاجتمع عنده منهم خلق كثير فخطبهم ووعدهم ان يقودهم ويملكهم الاموال وحلف لهم بالأيمان أن لا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيأ من الاحسان الا أتى به اليهم فاتاه مواليهم وبذلوا له على كل عبد خمسة دنانير ليسلم اليه عبده فبطح أصحابهم وأمر كل من عنده من العبيد فضربوا مواليهم أو وكيلهم كل سيد خمسمائة سوط ثم أطلقهم فمضوا نحو البصرة ثم ركب فى سفن هنالك فعبر دجيلا الى نهر ميمون فاقام هنالك ولم يزل هذا دأبه يجتمع اليه السودان فلما كان يوم الفطر خطبهم وصلى بهم وذكرهم ما كانوا فيه من الشقاء وسوء الحال وان الله تعالى أبعدهم من ذلك وانه يريد أن يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال فلما كان بمدبومين رأى أصحابه الحميرى فقاتلوه حتى أخرجوه من دجلة واستأمن الى صاحب الزنج رجل من رؤساء الزنج يكنى

صاحبته شانك وان استكتم لم يكتم وان علم لم يعلم وان حدث لم يصدق وان فقه لم يفقه (وذكر المداينى) أن الحجاج لم يكن يظهر لندمائه منه بشاشة ولا سماحة فى الخلق الا فى يوم دخلت عليه ليلى الاخيلية فقال لها بلغنى أنك مررت بقبر توبة بن الحمير وعدلت عنه فوالله ماوفيت له ولو كان هو مكانك وأنت مكانه ماعدل عنك قالت أصلح الله الامير لى عذر قال وما هو قال سمعته وهو يقول

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت ... على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا ... اليها صدى من جانب القبر صائح

وكان معى نسوة قد سمعن قوله فكرهت أن أكذبه فاستحسن الحجاج قولها وقضى حوائجها وانبسط فى محادثتها فلم ير منه بشاشة وأريحية داخلته مثل ذلك اليوم (وذكر) حماد الرواية غير هذا الوجه وهو أن زوج ليلى حلف عليها وقد اجتاز بقبر توبة ليلا أن تنزل وتأتى وتسلم عليه وتكذبه حيث يقول وذكر البيتين المتقدمين قال وأبت أن تفعل فاقسم عليها زوجها فنزلت حتى جاءت الى القبر ودموعها على صدرها كغزر السحاب فقالت السلام عليك يا توبة فلم تستتم النداء حتى انفرج القبر عن طائر كالحمامة البيضاء فضربت صدرها فوقعت ميتة فاخذوا فى جهازها وكفنها ودفنت الى جانب قبره والعرب فيما ذكرنا

بابى

بابي صالح ويعرف بالقصير في ثلثمائة من الزنج فلما كثروا جعل القواد فيهم منهم وقال لهم كل من أتى منكم برجل فهو مضموم اليه وكان ابن أبي عون قد نقل من واسط الى ولاية الابلة وكور دجلة وسار قائد الزنج الى المحمدية فلما نزلها وافاه أصحاب ابن أبي عون فصاح الزنج السلاح وقاموا وكان فيهم فتح الحجام فقام وأخذ طبقا كان بين يديه فلقيه رجل من السورجيين يقال له بلبل فلما رآه فتح حمل عليه وحذفه بالطبق الذي بيده فرمى سلاحه وولى هاربا وانهزم أصحابه وكانوا أربعة آلاف وقتل منهم جماعة ومات بعضهم عطشا وأسر منهم وأمر بضرب أعناقهم ثم سار الى القادسية فنهبها أصحابه بامره ومازال يتردد الى أنهار البصرة فوجد بعض السودان دارا لبعض بني هاشم فيها سلاح بالسيب فانتهبوه فصار معهم ما يقاتلون به فاتاه وهو بالسيب جماعة من أهل البصرة يقاتلونه فوجه يحيى بن محمد في خمسمائة رجل فلقوا البصريين فانهزم البصريون منهم وأخذوا سلاحهم ثم قاتل طائفة أخرى عند قرية تعرف بقرية اليهود فهزمهم أيضا وأثبت صحابه في الصحراء ثم أسرى الى الجعفرية فوضع في أهلها السيف فقتل أكثرهم وأتى منهم باسرى فاطلقهم ولقى جيشا كبيرا للبصريين مع رئيس اسمه عقيل فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكان معهم سفن فهبت عليها ريح فالقتها الى الشط فنزل الزنج وقتلوا من وجدوا فيها وغنموا ما فيها وكان مع الرئيس سفن فركبها ونجا فانفذ صاحب الزنج فاخذها ونهب ما فيها ثم نهب القرية المعروفة بالمهلبية وأحرقها وأفسد في الارض وعاث ثم لقيه قائد من قواد الاتراك يقال له أبو هلال في أربعة آلاف مقاتل على نهر الريان فاقتتلوا وحمل السودان عليه حملة صادقة فقتلوا صاحب علمه فانهزم هو وأصحابه وتبعهم السودان فقتلوا من أصحاب أبي هلال أكثر من ألف وخمسمائة رجل وأخذوا منهم أسرى فامر بقتلهم ثم انه أتاه من أخبره ان الزينبي قد أعد له الخيول والمتطوعة والبلالية والسعدية وهم خلق كثير وقد أعدوا الحبال ليكتفوا من يأخذونه من السودان والمقدم عليهم أبو منصور وأخذه والى الهاشميين فارسل على بن ابان في مائة أسود ليأتيه بخبرهم فلقى طائفة منهم فهزمهم وصار من معهم من العبيد الى على بن ابان وأرسل طائفة أخرى من أصحابه فاتوا الى موضع فيه ألف وتسعمائة سفينة ومعها من يحفظها فلما رأوا الزنج هربوا عنها فاخذ الزنج السفن وأتوا بها الى صاحبهم فلما أتوه قعد على نشز من الارض وكان في السفن قوم حجاج أرادوا ان يسلكوا طريق البصرة فناظرهم فصدقوه على قوله وقالوا لو كان معنا فضل نفقة لاقمنا معك فاطلقهم وأرسل طليعة تأتيه بخبر ذلك العسكر فاتاه خبرهم انه قد أتوه في خلق كثير فامر محمد بن سالم وعلى بن ابان ان يقعد لهم بالنخل وقعد هو على جبل مشرف فلم يلبث ان طلعت الاعلام والرجال فامر الزنج فكبروا وحملوا عليهم وحملت الخيول فتراجع الزنج حتى بلغوا الجبل الذي هو عليه ثم حملوا فثبتوا لهم وقتل من الزنج فتح الحجام وصدق الزنج الحملة فاخذوهم بين أيديهم وخرج محمد بن سالم وعلى بن ابان وحملوا عليهم فقتلوا منهم وانهزم الناس وذهبوا كل مذهب وتبعهم السودان الى نهر بيان فوقعوا في الوحل فقتلهم السودان وغرق كثير منهم وأتى الخبر الى الزنوج بان لهم كمينا فساروا اليه فاذا الكمين في أكثر من ألف من المغاربة فقاتلهم قتالا شديدا ثم حمل السودان عليهم فقتلوهم أجمعين وأخذوا سلاحهم ثم وجه أصحابه فرأوا مائتي سفينة فيها دقيق فاخذوه ومتاعا فنهبوه ونهب المعلى بن أيوب ثم سار فرأى مسلحة الزينبي فقاتلوه فقاتلهم فقتلهم أجمعين فكانوا مائتين ثم سار فنهب قرية ميزران ورأى فيها جمعا من الزنج ففرقهم على قواده ثم سار فلقيه ستمائة فارس مع سليمان ابن أخي الزينبي ولم يقاتله فارسل من ينهب فاتوه بغنم

كلام كثير على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في آرائهم ومذاهبهم في الهام والصدى والصفر وقد كانت العرب تعقل الى جانب قبر الميت اذا دفن ناقة وتجعل عليه بردعة وخشبة يسمونها البلية وقد ضربوا بذلك أمثالهم وذكره خطباؤهم في خطبهم فقالوا البلايا على لولايا وقد كان بعضهم يتطير بالسانح ويتيامن بالبارح وبعضهم يضاد هذا فيتطير بالبارح ويتيامن بالسانح فاهل نجد يتيامنون بالسانح وأهل التهايم بالضد من ذلك على حسب ما قدمنا من قول عبيد الراعي فيما سلف من هذا الكتاب (حدثنا) المنقري قال حدثنا عبد العزيز بن الخطاب الكوفي قال حدثنا فضيل بن مرزوق قال لما غلب بشر بن أرطاة على اليمن وكان من قتله لابني عبدالله بن العباس وأهل مكة والمدينة ما كان قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ان بشر بن أرطاة قد غلب على اليمن والله ما أرى هؤلاء القوم الا سيغلبون على ما في أيديكم وما ذلك بحق في أيديهم ولكن بطاعتهم واستقامتهم ومعصيتكم لي وتناصرهم وتخاذلكم واصلاح بلادهم وافساد بلادكم وتالله يا أهل الكوفة لوددت أني صرفتكم صرف الدنانير العشرة بواحد ثم رفع يديه فقال اللهم اني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني فابدلني

وبقر فذبحوا وأكلوا وفرق أصحابه في انتهاب ما هنالك ثم ان صاحب الزنج سار يريد البصرة حتى اذا قابل النهر المعروف بالرياحي أتاه قوم من السودان فأعلموه انهم رأوا في الرياحي بارقة فلم يلبث الا يسيرا حتى تنادى السودان السلاح السلاح وأمر علي بن أبان بالعبور اليهم فعبر في ثلثمائة رجل وقال له ان احتجت الى مدد فاستمدني فلما مضى علي صاح الزنج السلاح السلاح لحركة رأوها في جهة أخرى فوجه محمد بن سالم فرأى جمعا فقاتلهم من وقت الظهر الى آخر وقت العصر ثم حمل الزنوج حملة صادقة فهزموهم وقتلوا من أهل البصرة والاعراب زهاء خمسمائة ورجعوا الى صاحبهم ثم أقبل علي بن ابان في أصحابه وقد هزموا من بازائهم وقتلوا منهم ومعه رأس بن ابي الليث البلالي القواريري من اعيان البلالية ثم سار من الغد عن ذلك المكان ونهى أصحابه عن دخول البصرة فتسرع بعضهم فلقيهم اهل البصرة في جمع عظيم وانتهى الخبر اليه فوجه محمد بن سالم وعلي ابن ابان ومشرقا وخلقا كثيرا وجاء هو يسايرهم فلقوا البصريين فارسل الى أصحابه ليتأخروا عن المكان الذي هم فيه فتراجعوا فاكب عليهم اهل البصرة فانهزموا وذلك عند العصر ووقع الزنوج في نهر كبير ونهر شيطان وقتل منهم جماعة وغرق جماعة وتفرق الباقون وتخلف صاحبهم عنهم وبقي في نفر يسير فنجاه الله تعالى ثم لقيهم وهم متحيرون لفقده وسأل عن أصحابه فاذا ليس معه الا خمسمائة رجل فأمر بالنفخ في البوق الذي يجتمعون لصوته فلم يأته أحد وكان اهل البصرة قد انتهبوا السفن التي كانت للزنوج وباتوا ناعمين فلما اصبح رأى أصحابه في الف رجل وارسل محمد بن سالم الى اهل البصرة يعظهم ويعلمهم ما الذي دعاه الى الخروج فقتلوه فلما كان يوم الاثنين لاربع خلون من ذي القعدة جمع اهل البصرة وحشدوا لما رأوا من ظهورهم عليه وانتدب لذلك رجل يعرف بحماز الساجي وكان من غزاة البحر وله علم في ركوب السفن فجمع المتطوعة ورماة الاهداف واهل المسجد الجامع ومن خف معه من البلالية والسعدية ومن احب النظر من غيرهم وشحن ثلاث مراكب وشذوات مقابلة وجعلوا يزدحمون ومضى جمهور الناس رجالة منهم من معه سلاح ومنهم نظارة فدخلت المراكب في المد والرجالة على شاطئ النهر فلما علم صاحب الزنج بذلك وجه طائفة من اصحابه مع زريق الاصبهاني في شرقي النهر كمينا وطائفة مع شبل وحسين الحامي في غربيه كمينا وأمر علي بن ابان ان يلقى اهل البصرة وان يستتر هو ومن معه بتراسهم ولا يقاتل حتى تظهر اصحابه وتقدم الى الكمينين اذا جاوزهم اهل البصرة ان يخرجوا ويصيحوا بالناس وبقي هو في نفر يسير من أصحابه وقد هاله ما رأى من كثرة الجمع فسار أصحابه اليهم وظهر الكمينان من جانبي النهر ومن وراء السفن والرجالة فضربوا من ولي من الرجالة والنظارة فغرقت طائفة وقتلت طائفة وهرب الباقون الى الشط فأدركهم السيف فمن ثبت قتل ومن ألقى نفسه في الماء غرق فهلك أكثر ذلك الجمع فلم ينج الا الشريد وكثر المفقودون من اهل البصرة وعلا العويل من نسائهم وهذا يوم البيداء الذي أعظمه الناس وكان فيمن قتل جماعة من بني هاشم وغيرهم في خلق كثير لا يحصى وجمعت للخبيث الرؤس فأتاه جماعة من أولياء المقتولين فأعطاهم ما عرفوا وجمع الرؤس التي لم تطلب وجعلها في خريبة فاطلقها فوافت البصرة فجاء الناس وأخذوا كل ما عرفوه منها وقوي بعد هذا اليوم وتمكن الرعب في قلوب اهل البصرة منه وامسكوا عن حربه وكتب الناس الى الخليفة بخبر ما كان فوجه اليهم جعلان التركي مددا وأمر أبا الاحوص الباهلي بالمسير الى الابلة والياوأمده بقائد من الاتراك يقال له جريج وأما الخبيث صاحب الزنج فانه انصرف بأصحابه الى سبخة في آخر النهار

بهم خيرا لمنهم وابدلهم بي شرا مني ٧٠ اللهم عجل عليهم بالغلام الثقفي الذيال الميال يأكل خضرتها ويلبس فروتها ويحكم فيها بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنها ولا يتجاوز عن مسيئها قال وما كان ولد الحجاج يومئذ (حدثنا) الجوهري عن سليمان بن أبي شيخ الواسطي عن محمد بن يزيد عن سفيان ابن حسين قال سأل الحجاج الجوهري ما النعمة قال الامن فاني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش قال زدني قال الصحة فاني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش قال زدني قال الشباب فاني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش قال زدني قال الغنى فاني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش قال زدني قال لا أجد مزيدا (حدثنا) الجوهري عن مسلم بن ابراهيم أبي عمرو الفراهيدي عن الصلت بن دينار قال مرض الحجاج فأرجف أهل الكوفة فلما تماثل من علته صعد المنبر وهو يتثنى على أعواده فقال ان أهل الشقاق والنفاق نفخ الشيطان في مناخرهم فقالوا مات الحجاج ومات الحجاج فمه والله ما أرجو الخير كله الا بعد الموت وما رضي الله الخلود لاحد من خلقه في الدنيا الا لأهونهم عليه ابليس والله لقد قال العبد الصالح سليمان بن داود رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فكان ذلك ثم اضمحل وكأن لم يكن يا أيها الرجل وكلكم ذلك الرجل كأني بكل حي ميت وبكل رطب يابس وقد نقل

وهي

وهى سبخة ابى قرة وبث أصحابه يمينا وشمالا للغارة والنهب فهذا ما كان منه فى هذه السنة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة كانت وقعة بين عسكر الخليفة وبين مساور الشارى فانهزم عسكر الخليفة وفيها مات المعلى بن أيوب وفيها ولى سليمان بن عبد الله بن طاهر بغداد والسواد فى ربيع الاول وكان قدومه من خراسان فيه أيضا فسار الى المعتز فخلع عليه وسار الى بغداد فقال ابن الرومى

من عذيرى من الخلائق ضلوا * فى سليمان عن سواء السبيل
عوضوه بعد الهزيمة بغدا * د كأن قد أتى بفتح جليل
من يخوض الردى اذا كان من فـ * ـر أثابوه بالجزاء الجميل

يعنى هزيمة سليمان من الحسن بن زيد العلوى وفيها أخذ صالح بن وصيف أحمد بن اسرائيل والحسن بن مخلد وأبا نوح عيسى بن ابراهيم فقيدهم وطالبهم بالاموال وكان سببه ان الاتراك طلبوا ارزاقهم فقال صالح للمعتز هؤلاء يطلبون ارزاقهم وليس فى بيت المال شئ وقد ذهب هؤلاء الكتاب بالاموال وكان أحمد وزير المعتز والحسين وزير أم المعتز وقال له أحمد بن اسرائيل ياعاصى ابن العاصى فتراجعا الكلام فسقط صالح مغشيا عليه فرش على وجهه الماء وبلغ ذلك أصحابه وهم بالباب فصاحوا صيحة واحدة واخترطوا سيوفهم ودخلوا على المعتز فدخل وتركهم وأخذ صالح أحمد بن اسرائيل وابن مخلد وعيسى فأثقلهم بالحديد وحملهم الى داره فقال المعتز لصالح قبل ان يحملهم هب لى أحمد فانه كاتبى فلم يفعل ثم ضربهم وأخذ خطوطهم بمال جزيل وبسط عليهم ولم يحصل منهم شئ وقام جعفر بن محمود بالامر والنهى وفيها فى رجب ظهر عيسى بن جعفر وزيد بن على الحسنيان بالكوفة فقتلا بها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى وفيها فى ذى القعدة حبس الحسن بن محمد بن ابى الشوارب القاضى وولى عبد الرحمن بن نائل البصرى قضاء سامرا فى ذى الحجة وحج بالناس على بن الحسين بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس وفيها ظهر بمصر انسان علوى ذكر أنه أحمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن طباطبا وكان ظهوره بين برقة والاسكندرية وسار الى الصعيد وكثر اتباعه وادعى الخلافة فسير اليه أحمد بن طولون جيشا فقاتلوه وانهزم اصحابه عنه وثبت هو فقتل وحمل رأسه الى مصر وفيها توفى خفاجة بن سفيان أمير صقلية فى رجب وولى بعده ابنه محمد وتقدم ذكر ذلك سنة سبع وأربعين ومائتين ولما ولى محمد سير عمه عبد الله بن سفيان الى سرقوسة فأهلك زرعها وعاد وفيها توفى أبو أحمد عمر بن شمر بن حمدويه الهروى اللغوى وكان اماما فى الاشعار وروى عن ابن الاعرابى والرياشى وغيرهما وفيها توفى محمد بن كرام بن عراف بن خزانة بن البراء صاحب المقالة المشهورة فى التشبيه وكان موته بالشام وهو من سجستان وفيها توفى الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قاضى مكة وكان سقط من سطح فمكث يومين ومات وكان عمره أربعا وثمانين سنة وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى صاحب المسند توفى فى ذى الحجة وعمره خمس وسبعون سنة وأبو عمران عمرو بن بحر الجاحظ وهو من متكلمى المعتزلة وعلى بن المثنى بن يحيى بن عيسى الموصلى والد أبى يعلى صاحب المسند وفيها توفى محمد بن سحنون الفقيه المالكى القيروانى بها

(ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين)

(ذكر وصول موسى بن بغا الى سامرا واختفاء صالح)

وفيها فى ثانى عشر المحرم دخل موسى بن بغا الى سامرا وقد عبى أصحابه واختفى صالح بن وصيف

كل امرئ بثياب ظهره الى حفرته فخذله فى الارض ثلاث أذرع طولا فى ذراعين عرضا فأكلت الارض لحمه ومصت من صديده ودمه وانقلب الحبيبان يقتسم أحدهما صاحبه حبيبه من ولده يقتسم حبيبته من ولده ماله أما الذين يعلمون فسيعلمون ما أقول والسلام (حدثنا) المنقرى عن مسلم ابن ابراهيم أبى عمر الفراهيدى عن الصلت بن دينار قال سمعت الحجاج يقول قال الله تعالى واتقوا الله ما استطعتم فهذه لله وفيها مثنوية وقال واسمعوا واطيعوا وهذه لعبد الله وخليفة الله ونجيب الله عبد الملك أما والله لو أمرت الناس أن يدخلوا فى هذا الشعب فدخلوا فى غيره لكانت دماؤهم لى حلالا عذيرى من أهل هذه الحمراء يلقى أحدهم الحجر الى الارض ويقول الى أن يبلغها يكون فرج الله لاجعلنهم كالرسم الداثر وكالامس الغابر عذيرى من عبد هذيل يقرأ القرآن كانه رجز الاعراب أما والله لو ادركته لضربت عنقه يعنى عبد الله بن مسعود عذيرى من سليمان ابن داود يقول لربه رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى كان والله فيما علمت عبدا حسودا بخيلا (وحدثنا) المنقرى عن عبيد بن أبى السرى عن محمد بن هشام بن السائب عن أبيه عن عبد الرحمن بن السائب قال قال الحجاج يوما لعبد الله بن هانئ وهو رجل من

أددحي من اليمن وكان شريفا في قومه وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلها وشهد معه تحريق البيت وكان من أنصاره وشيعته والله ما كافأناك بعد ثم أرسل الى اسماء بن خارجة وكان من فزارة أن زوج عبد الله بن هانئ ابنتك فقال لا ولا كرامة فدعا له بالسياط فقال أنا أزوجه فزوجه ثم بعث الى سعيد ابن قيس الهمداني رئيس اليمامة أن زوج عبد الله ابن هانئ ابنتك قال ومن أدد والله لا أزوجه ولا كرامة قال هاتوا السيف قال دعني حتى أشاور أهلي فشاورهم فقالوا زوجه لا يقتلك هذا الفاسق فزوجه فقال له الحجاج يا عبد الله قد زوجتك بنت سيد فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان وما أدد هنالك فقال لا تقل أصلح الله الامير ذلك فان لنا مناقب ما هي لاحد من العرب قال وما هذه المناقب قال ما سب أمير المؤمنين عثمان في نادلنا قط قال هذه والله منقبة قال وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلا وما شهد مع أبي تراب منا الا رجل واحد كان والله ما علمته امرأ سوء قال وهذه والله منقبة قال وما منا أحد تزوج امرأة تحب أبا تراب ولا تتولاه قال وهذه والله منقبة قال وما منا امرأة الا نذرت ان قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها ففعلت قال وهذه والله منقبة قال وما منا رجل علم

وسار موسى الى الجوسق والمهتدي جالس للمظالم فاعلم بمكان موسى فأمسك ساعة عن الاذن له ثم أذن له ولمن معه فدخلوا فتناظروا وأقاموا المهتدي من مجلسه وحملوه على دابة من دواب الشاكرية وانتهبوا ما كان في الجوسق وأدخلوا المهتدي دار ياجور وكان سبب أخذه ان بعضهم قال انما سبب هذه المطاولة حيلة عليكم حتى يكبسكم صالح بجيشه فخافوا من ذلك فأخذوه فلما أخذوه قال لموسى بن بغا اتق الله ويحك فانك قد ركبت أمرا عظيما فقال له موسى وتربة المتوكل ما نريد الا خيرا ولو أراد به خيرا لقال وتربة المعتصم والواثق ثم أخذوا عليه العهود أن لا يمايل صالحا ولا يضمر لهم الا مثل ما يظهر ثم جددوا له البيعة ثم أصبحوا وأرسلوا الى صالح ليحضر ويطالبوه بدماء الكتاب والاموال التي للمعتز وأسبابه فوعدهم فلما كان الليل رأى ان أصحابه قد تفرقوا ولم يبق الا بعضهم فهرب واختفى

﴿ذكر قتل صالح بن وصيف﴾

وفيها قتل صالح بن وصيف لثمان بقين من صفر وكان سببه ان المهتدي لما كان لثلاث بقين من المحرم أظهر كتابا زعم ان امرأة دفعته الى سيما الشرابي وقالت ان فيه نصيحة وان منزلها بمكان كذا فان طلبوني فانا فيه وطلبت المرأة فلم توجد وقيل انه لم يدر من ألقى الكتاب ودعا المهتدي القواد وسليمان بن وهب فأراهم الكتاب فزعم سليمان انه خط صالح فقرأه على القواد فاذا فيه انه مستخف بسامرا وانما استتر طلبا للسلامة وابقاء الموالي وطلبا لانقطاع الفتن وذكر ما صار اليه من أموال الكتاب وأم المعتز وجهة خروجها ويدل فيه على قوة نفسه فلما فرغوا من قراءته وصله المهتدي بالحث على الصلح والاتفاق والنهي عن التباغض والتباين فاتهمه الاتراك بأنه يعرف مكان صالح ويميل اليه وطال الكلام بينهم في ذلك فلما كان الغد اجتمعوا بدار موسى بن بغا داخل الجوسق واتفقوا على خلع المهتدي فقال لهم بايكبال انكم قتلتم ابن المتوكل وهو حسن الوجه سخي الكف فاضل النفس وتريدون قتل هذا وهو مسلم يصوم ولا يشرب النبيذ من غير ذنب والله لئن قتلتم هذا لالحقن بخراسان لاشيع أمركم هنالك فاتصل الخبر بالمهتدي فتحول من مجلسه متقلدا سيفا وقد لبس ثيابا نظافا وتطيب ثم أمر بادخالهم عليه فدخلوا فقال لهم بلغني ما أنتم عليه ولست كمن تقدمني مثل المستعين والمعتز والله ما خرجت اليكم الا وأنا متحنط وقد أوصيت الى أخي بولدي وهذا سيفي والله لاضربن به ما استمسك قائمه بيدي والله لئن سقط مني شعرة ليهلكن وليذهبن أكثركم كم هذا الخلاف على الخلفاء والاقدام والجراءة على الله سواء عليكم من قصد الابقاء عليكم ومن كان اذا بلغه هذا منكم دعا بالنبيذ فشربه مسرورا بمكروهكم حتى تعلمون انه وصل الى شيء من دنياكم أما انكم لتعلمون ان بعض المتصلين بكم أيسر من جماعة من أهلي وولدي سوأة لكم يقولون اني أعلم بمكان صالح وهل هو الا رجل من الموالي فكيف الاقامة معه اذا ساررتكم فيه واذا أبرمتم الصلح فيه كان ذلك ما أنفذه لجميعكم وان أبيتم فشأنكم واطلبوا صالحا وأما أنا فما أعلم مكانه قالوا فاحلف لنا على ذلك قال أما اليمين فنعم ولكنها تكون بحضرة بني هاشم والقضاة غدا اذا صليت الجمعة ثم قال لبايكبال ولمحمد بن بغا قد حضرتما ما عمله صالح في أموال الكتاب وأم المعتز فان أخذ منه شيئا فقد أخذتما مثله فأحفظهما ذلك ثم أرادوا خلعه وانما منعهم خوف الاضطراب وقلة الاموال فأتاهم مال من فارس عشرة آلاف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم فلما كان سلخ المحرم انتشر الخبر في العامة ان القوم قد اتفقوا على خلع المهتدي والفتك به وانهم قد أرهقوه وكتبوا الرقاع ورموها في الطرق والمساجد مكتوب فيها يا معشر

المسلمين

المسلمين ادعوا الله لخليفتكم العدل الرضا المضاهي لعمر بن الخطاب أن ينصره الله على عدوه
ويكفيه مؤنة ظالمه وتتم النعمة عليه وعلى هذه الامة ببقائه فان الاتراك قد أخذوه بأن يخلع نفسه
وهو يعذب منذ أيام وصلى الله على محمد فلما كان يوم الاربعاء لاربع خلون من صفر تحرك الموالي
بالكرخ والدور وبعثوا الى المهتدي وسألوه أن يرسل اليهم بعض اخوته ليحملوه رسالة فوجه
اليهم أخاه أبا القاسم عبد الله فذكروا له أنهم سامعون مطيعون وانهم بلغهم ان موسى وبابكيال
وجماعة معهم ما يريدونه على الخلع وانهم يبذلون دماءهم دون ذلك وما هم دون ذلك وشكوا تأخر
أرزاقهم وما صار من الاقطاع والزيادات والرسوم الى قوادهم التي قد أجحفت بالخراج والضياع
وما قد أخذوا النساء والدخلاء فكتبوا بذلك كتابا فحمله الى المهتدي وكتب جوابه بخطه قد
فهمت كتابكم وسرني ما ذكرتم من طاعتكم فأحسن الله جزاءكم وأما ما ذكرتم من خلتكم
وحاجتكم فعزيز علي ذلك ولوددت والله ان صلاحكم يأبى أن لا آكل ولا أشرب ولا أطعم ولدي
الا القوت ولا أكسوه الا ستر العورة وأنتم تعلمون ما صار الي من الاموال وأما ما ذكرتم من
الاقطاعات وغيرها فأنا أنظر في ذلك واصرفه الى محبتكم ان شاء الله تعالى فقرؤا الكتاب وكتبوا
بعد الدعاء يسألون ان يرد الامور في الخاص والعام الى أمير المؤمنين لا يعترض عليه معترض وان
يرد رسومهم الى ما كانت عليه أيام المستعين وهو ان يكون على كل تسعة عريف وعلى كل
خمسين خليفة وعلى كل مائة قائد وان يسقط النساء والزيادات ولا يدخل مولى في ماله ولا غيره
وان يوضع لهم العطاء كل شهرين وان تبطل الاقطاعات وذكروا أنهم سائرون الى بابه ليقضي
حوائجهم وان بلغهم ان أحدا اعترض عليه أخذوا رأسه وان سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة
قتلوا بها موسى بن بغا وبابكيال وياجور وغيرهم وأرسلوا الكتاب مع أبي القاسم وتحولوا الى
سامرا فاضطرب القواد جدا وقد كان المهتدي قعد للمظالم وعنده الفقهاء والقضاة وقام القواد في
مراتبهم فدخل أبو القاسم اليه بالكتاب فقرأه للقواد قراءة ظاهرة وفيهم موسى وكتب جوابه
بخطه فأجابهم الى ما سألوا ودفعه الى أبي القاسم فقال أبو القاسم لموسى بن بغا وبابكيال ومحمد بن بغا
وجهوا معي رسلا يعتذرون اليهم عنكم فوجهوا معه رسلا فوصلوا الى الاتراك وهم زهاء ألف
فارس وثلاثة آلاف راجل وذلك لخمس خلون من صفر فأوصل الكتاب وقال ان أمير المؤمنين قد
أجابكم الى ما سألتم وقال لهم هؤلاء رسل القواد اليكم يعتذرون من شيء ان كان بلغكم عنهم وهم
يقولون انما أنتم اخوة وأنتم منا والينا واعتذر عنهم فكتبوا الى المهتدي يطلبون خمس توقيعات
توقيعا بحط الزيادات وتوقيعا برد الاقطاعات وتوقيعا باخراج الموالي البرانيين من الخاصة الى
البرانيين وتوقيعا برد الرسوم الى ما كانت عليه أيام المستعين وتوقيعا برد البلاجي ثم يجعل أمير
المؤمنين الجيش الى أحد اخوته أو غيرهم ممن يرى ليرفع اليه أمورهم ولا يكون رجلا من الموالي
وأن يحاسب صالح بن وصيف وموسى بن بغا عما عندهما من الاموال ويجعل لهم العطاء كل شهرين
لا يرضيهم الا ذلك ودفعوا الكتاب الى أبي القاسم وكتبوا كتابا آخر الى القواد موسى وغيره انهم
كتبوا الى أمير المؤمنين بما كتبوا وانه لا يمنعهم شيئا مما طلبوا الآن يعترضوا عليهم وأنهم ان فعلوا
ذلك لم يوافقوهم وان أمير المؤمنين ان شاكه شوكة وأخذ من رأسه شعرة أخذوا رؤسهم جميعا
ولا يقنعهم الا ان يظهر صالح ويجتمع هو وموسى بن بغا حتى ينظر أين الاموال فلما قرأ المهتدي
الكتاب أمر بانشاء التوقيعات الخمس على ما سألوا وسيرها اليهم مع أبي القاسم وقت المغرب
وكتب اليهم باجابتهم الى ما طلبوا وكتب اليهم موسى بن بغا كذلك وأذن في ظهور صالح وذكر انه

من أبيه شتم أبي تراب ولعنه الا فعل وقال وأزيدكم ابنيه الحسن والحسين وأمهما قال وهذه والله منقبة قال وما
أحد من العرب له من
الملاحة والصباحة ما لنا
وضحك وكان دميما شديد
الادمة مجدورا في
رأسه عجر مائل الشدق
احول قبيح الوجه مائل
الحولة (المنقري) عن
جعفر بن عمرو الحرصي
عن مجدي بن رجاء قال سمعت
عمران بن مسلم بن أبي بكر
الهذلي يقول سمعت الشعبي
يقول أتي بي الحجاج موثقا
فلما دخلت عليه استقبلني
يزيد بن مسلم فقال انا لله
يا شعبي على ما بين دفتيك
من العلم وليس بيوم شفاعة
بؤ للامير بالشرك وبالنفاق
على نفسك فبالحرى أن
تنجو منها فلما دخلت
استقبلني محمد بن الحجاج
فقال لي مثل مقالة يزيد
فلما مثلت بين يدي الحجاج
فقال وأنت يا شعبي فيمن
خرج علينا وكثر قلت نعم
أصلح الله الامير أحزن بنا
المنزل وأجدب الجناب
وضاق المسلك واكتحلنا
السهاد واستحلسنا الخوف
ووقعنا في فتنة لم نكن فيها
بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء
قال صدق والله ما بروا
بخروجهم علينا ولا قووا
اذ فجروا أطلقوا عنه قال
الشعبي ثم احتاج الى فريضة
فقال ما تقول في أخت وأم
وجد قلت اختلف فيها خمسة
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وزيد

أخوه وابن عمه وانه ما أراد ما يكرهون فلما افترقوا الكاتبين قالوا قد أمسينا وغدا نعرفكم رأينا فافترقوا فلما كان الغد ركب موسى من دار الخليفة ومعه من عسكره ألف وخمسمائة رجل فوقف على طريقهم وأتاهم أبو القاسم فلم يعقل منهم جوابا الا كل طائفة يقولون شيأ فلما طال الكلام انصرف أبو القاسم فاجتاز بموسى بن بغا وهو في أصحابه فانصرف معه ثم أمر المهتدي محمد بن بغا ان يسير اليهم مع أخيه أبي القاسم فسار في خمسمائة فارس ورجع موسى الى مكانه بكرة وتقدم أبو القاسم ومحمد بن بغا فوعداهم عن المهتدي وأعطياهم توقيعا فيه أمان صالح بن وصيف مؤكدا غاية التوكيد فطلبوا ان يكون موسى في مرتبة بغا الكبير وصالح في مرتبة أبيه ويكون الجيش في يد من هو في يده وان يظهر صالح بن وصيف ويوضع لهم العطاء ثم اختلفوا فقال قوم قد رضينا وقال قوم لم نرض فانصرف أبو القاسم ومحمد بن بغا على ذلك وتفرق الناس الى الكرخ والدور وسامرا فلما كان الغد ركب بنو وصيف في جماعة معهم وتنادوا السلاح ونهبوا دواب العامة وعسكروا بسامرا وتعلقوا بأبي القاسم وقالوا نريد صالحا وبلغ ذلك المهتدي فقال لموسى يطلبون صالحا مني كأني أنا أخفيته ان كان عندهم فينبغي لهم ان يظهروه ثم ركب موسى ومن معه من القواد فاجتمع الناس اليه فبلغ عسكره أربعة آلاف فارس فعسكروا وتفرق الاتراك ومن معهم ولم يكن للكرخيين ولا للدوريين في هذا اليوم حركة ووجد موسى ومن معه في طلب ابن وصيف واتهموا جماعة به فلم يكن عندهم ثم ان غلاما دخل دارا وطلب ماء ليشربه فسمع قائلا يقول أيها الامير تنح فان غلاما يطلب ماء فسمع الغلام الكلام فجاء الى عند عيار فأخبره فأخذ معه ثلاثة نفر وجاء الى صالح وبيده مرآة ومشط وهو يسرح لحيته فأخذه فتضرع اليه فقال لا يمكنني تركك ولكني أمر بك على دار أهلك وقوادك وأصحابك فان اعترضك منهم اثنان أطلقتك فأخرج حافيا ليس على رأسه شئ والعامة تعدو خلفه وهو على برذون باكاف فأتوا به نحو الجوسق فضربه بعض أصحاب موسى على عاتقه ثم قتلوه وأخذوا رأسه وتركوا جثته ووافوا به دار المهتدي قبل المغرب فقالوا له في ذلك فقال واروه ثم حمل رأسه وطيف به على قناة ونودي عليه هذا جزاء من قتل مولاه ولما قتل أنزل رأس بغا الصغير وسلم الى أهله ليدفنوه ولما قتل صالح قال السلولي لموسى بن بغا

ونلت وترك من فرعون حين طغى * وحيث اذ جئت يا موسى على قدر
ثلاثة كلهم باغ أخو حسد * يرميك بالظلم والعدوان عن وتر
وصيف في الكرخ ممثول به وبغا * بالجسر محترق بالنار والشرر
وصالح بن وصيف بعد منعفر * بالحير جثته والروح في سقر

(ذكر اختلاف الخوارج على مساور)

في هذه السنة خالف انسان من الخوارج اسمه عبيدة من بني زهير العمروي على مساور وسبب ذلك أنه خالفه في توبة الخاطئ فقال مساور تقبل توبته وقال عبيدة لا تقبل فجمع عبيدة جمعا كثيرا وسار الى مساور وتقدم اليه مساور من الحديثة فالتقوا بنواحي جهينة بالقرب من الموصل في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين واقتتلوا أشد قتال فترجل من عنده ومعه جماعة من أصحابه وعرقبوا دوابهم فقتل عبيدة وانهزم جمعه فقتل أكثرهم واستولى مساور على كثير من العراق ومنع الاموال عن الخليفة فضاقت على الجند ارزاقهم فاضطرهم ذلك الى أن سار اليه موسى بن بغا وبايكبال وغيرهما في عسكر عظيم فوصلوا الى السن فأقاموا به ثم عادوا الى سامرا

ولم يعط الاخت شيأ قال فما قال فيها عبد الله قلت جعلها من ستة فأعطى الاخت النصف وأعطى الام السدس وأعطى الجد الثلث قال فما قال فيها زيد قلت جعلها تسعة فأعطى الام ثلاثة وأعطى الاخت سهمين وأعطى الجد أربعة قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان قلت جعلها أثلاثا قال فما قال فيها أبو تراب قلت جعلها ستة أعطى الاخت النصف وأعطى الام الثلث وأعطى الجد السدس قال فضرب بيده على أنفه وقال انه المرء يرغب عن قوله (المنقري) عن أبي عبد الرحمن العتبي عن أبيه قال أراد الحجاج الحج فخطب الناس وقال يا أهل العراق اني قد استعملت عليكم محمدا ابني وبه الرغبة عنكم أما انكم لا تستأهلونه وقد أوصيته فيكم خلاف وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار فانه أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم أما انكم تقولون اذا وليت عنكم لا أحسن الله الصحابة وما منعكم من تعجيله الا الفراق وأنا أعجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة ثم نزل (العتبي) عن عبد الغني بن محمد بن جعفر عن الهيثم بن عدي عن أبي عبد الرحمن الكناني عن ابن

لما ذكره من خلع المهتدي فلما ولي المعتمد الخلافة سير مفلحاً الى قتال مساور في عسكر كبير حسن العدة فلما قارب الحديثة فارقها مساور وقصد جبلين يقال لاحدهما زيني وللآخر عامر وهما بالقرب من الحديثة فتبعه مفلح فعطف عليه مساور وهو في أربعة آلاف فارس فاقتتل هو ومفلح وكان مساور قد انصرف عن حرب عبيدة وقد جرح كثيراً من أصحابه فلقوا مفلحا بجبل زيني فلم يصل مفلح منه الى ما يريده فصعد رأس الجبل فاحتمى به ونزل مفلح في أصل الجبل وجرى بينهما وقعات كثيرة ثم أصبحوا يوما وطلبوا مساوراً فلم يجدوه وكان قد نزل ليلا من غير الوجه الذي فيه مفلح لما أيس من الظفر لضعف أصحابه من الجراح بحيث لم يره مفلح سار الى الموصل فسار منها الى ديار ربيعة سنجار ونصيبين والخابور فنظر في أمرها ثم عاد الى الموصل فأحسن السيرة في أهلها ورجع عنها في رجب متأهبا للقاء مساور فلما قارب الحديثة فارقها مساور وكان قد عاد اليها عند غيبة مفلح فتبعه مفلح فكان مساور يرحل عن المنزل فينزله مفلح فلما طال الامر على مفلح وتوغل في الجبال والشعاب والمضايق وراء مساور ولحق الجيش الذي معه مشقة ونصب فعاد عنه فتبعه مساور يقفو أثره ويأخذ كل من ينقطع عن ساقة العسكر فرجع اليه طائفة منهم فقاتلوه ثم عادوا ولحقوا مفلحا ووصلوا الحديثة فاقام بها مفلح أياما وانحدر أول شهر رمضان الى سامرا فاستولى حينئذ مساور على البلاد وجبى خراجها وقويت شوكته واشتد أمره

﴿ ذكر خلع المهتدي وموته ﴾

في رجب الخامس عشر منه خلع المهتدي وتوفي لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه وكان السبب في ذلك ان أهل الكرخ والدور من الاتراك الذين تقدم ذكرهم تحركوا في أول رجب لطلب أرزاقهم فوجه المهتدي اليهم أخاه أبا القاسم وكيغلغ وغيرهما فسكنوهم فرجعوا وبلغ أبا نصر محمد بن بغا أن المهتدي قال للاتراك ان الاموال عند محمد وموسى ابني بغا فهرب الى أخيه وهو بالسن مقابل مساور الشاري فكتب المهتدي اليه أربعة كتب يعطيه الامان فرجع هو وأخوه حيسون فحبسهما ومعهما كيغلغ وطولب أبو نصر محمد بن بغا بالاموال فقبض من وكيله خمسة عشر ألف دينار وقتل لثلاث خلون من رجب ورمى به في بئر فانتن فاخرجوه الى منزله وصلى عليه الحسن بن المأمون وكتب المهتدي الى موسى بن بغا لما حبس أخاه أن يسلم العسكر الى بابكيال والرجوع اليه وكتب الى بابكيال ان يتسلم العسكر ويقوم بحرب مساور الشاري وقتل موسى بن بغا ومفلح فسار بابكيال بالكتاب الى موسى فقرأه عليه وقال لست أفرح بهذا فانه تدبير علينا جميعنا فما ترى فقال موسى أرى ان تسير الى سامرا وتخبره انك في طاعته ونصرته على وعلى مفلح فهو يطمئن اليك ثم تدبر في قتله فاقبل الى سامرا فوصلها ومعه ياركوج واسارتكين وسيما الطويل وغيرهم فدخلوا دار الخلافة لاثنتي عشرة مضت من رجب فحبس بابكيال وصرف الباقين فاجتمع أصحاب بابكيال وغيرهم من الاتراك وقالوا لم حبس قائدنا ولم قتل أبو نصر بن بغا وكان عند المهتدي صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور فشاوره فيه فقال له انه لم يبلغ أحد من آبائك ما بلغته من الشجاعة وقد كان أبو مسلم أعظم شأنا عند أهل خراسان من هذا عند أصحابه وقد كان فيهم من يعبده فما كان الا ان طرح رأسه حتى سكتوا ولو فعلت مثل ذلك سكتوا فركب المهتدي وقد جمع له جميع المغاربة والاتراك والفراغنة فصير في الميمنة مسرورا البلخي وفي الميسرة ياركوج ووقف هو في القلب مع اسارتكين وطبايغو وغيرهما من القواد فامر بقتل بابكيال وألقى رأسه اليهم عتاب بن عتاب فحملوا على عتاب فقتلوه وعطفت ميمنة المهتدي وميسرته بمن فيهما من الاتراك

عباس الهمداني عن عبيد بن أبي المخارق قال استعملني الحجاج على الفلوجة فقلت أههنا دهقان يستعان برأيه فقالوا جميل بن صهيب فارسلت اليه فجاءني شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه فقال ازعجتني وانا شيخ كبير قال أردت عونك وبركتك ومشورتك فامر بحاجبيه فرفعا بخرقة حرير وقال ما حاجتك قلت استعملني الحجاج على الفلوجة وهو ممن لا يؤمن شره فاشر علي قال أيما أحب اليك رضا الحجاج أو رضا بيت المال أو رضا نفسك قلت ان أرضى كل هؤلاء وأخاف الحجاج فانه جبار عنيد قال فاحفظ عني أربع خلال افتح بابك ولا يكن لك حاجب ويأتيك الرجل وهو على ثقة من لقائك وهو أجدر أن يخافك عمالك وأطل الجلوس لاهل عملك فانه قلما اطال عامل الجلوس الا هيب مكانه ولا تخاف حكمك بين الناس وليكن حكمك على الشريف والوضيع سواء فلا يطمع فيك أحد من أهل عملك ولا تقبل من أهل عملك هدية فان مهديها لا يرضى من ثوابها الا باضعافها مع ما في ذلك من المقالة القبيحة ثم اسلخ ما بين اقفيتهم الى عجوب اذنابهم فيرضوا عنك ولا يكون للحجاج عليك سبيل (المنقري) عن يوسف ابن موسى القطان عن جرير عن المغيرة عن الربيع بن خالد قال سمعت الحجاج يخطب على المنبر وهو يقول اخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله

فصار وادع اخوانهم الاتراك فانهزم الباقون عن المهتدي وقتل جماعة من الفريقين فقيل قتل
سبعمائة وثمانون رجلا وقيل قتل من الاتراك نحو اربعة آلاف وقيل ألفان وقيل ألف وقتل
من أصحاب المهتدي خلق كثير وولى منهزما وبيده السيف وهو ينادي يامعشر المسلمين أنا أمير
المؤمنين قاتلوا عن خليفتكم فلم يجبه أحد من العامة الى ذلك فسار الى باب السجن فاطلق من فيه
وهو يظن انهم يعينونه فهربوا ولم يعنه أحد فسار الى دار أحمد بن جميل صاحب الشرطة فدخلها
وهم في أثره فدخلوا عليه وأخرجوه وساروا به الى الجوسق على بغل فحبس عند أحمد بن خاقان
وقبل المهتدي يده فيما قيل مرارا عديدة وجرى بينهم وبينه وهو محبوس كلام كثير أرادوه فيه
على خلع فأبى واستسلم للقتل فقالوا انه كتب بخطه رقعة لموسى بن بغا وبابكيال وجماعة من القواد
انه لا يغدر بهم ولا يغتال بهم ولا يفتك بهم ولا يهم بذلك وانه متى فعل ذلك فهم في حل من بيعته
والامر اليهم يقعدون من شاؤا فاستحلوا بذلك نقض أمره فداسوا خصيتيه وصفعوه فمات
وأشهدوا على موته انه سليم ليس به أثر ودفن بمقبرة المنتصر وقيل كان سبب خلعه وموته ان أهل
الكرخ والدور اجتمعوا وطلبوا ان يدخلوا الى المهتدي ويكلموه بحاجاتهم فدخلوا الدار وفيها
أبو نصر محمد بن بغا وغيره من القواد فخرج أبو نصر منها ودخل أهل الكرخ والدور وشكوا حالهم
الى المهتدي وهم في أربعة آلاف وطلبوا منه ان يعزل عنهم أمراءهم وان يصير الامر الى اخوته
وان يأخذ القواد وكتابهم بالمال الذي صار اليهم فوعدهم باجابتهم الى ماسألوه فأقاموا يومهم
في الدار فحمل المهتدي اليهم ما يأكلون وسار محمد بن بغا الى المحمدية وأصبحوا من الغد يطلبون
ماسألوه فقيل لهم ان هذا أمر صعب واخراج الامر عن يد هؤلاء القواد ليس بسهل فكيف
اذا جمع اليه مطالبتهم بالاموال فانظروا في أموركم فان كنتم تصبرون على هذا الامر الى ان تبلغ
غايته والا فامير المؤمنين يحسن لكم النظر فأبوا الا ماسألوه فدعوا الى أيمان البيعة على ان يقيموا
على هذا القول وان يقاتلوا من قاتلهم وينصحوا أمير المؤمنين فأجابوا الى ذلك فأخذت عليهم أيمان
البيعة ثم كتبوا الى أبي نصر عن أنفسهم وعن المهتدي ينكرون خروجه عن الدار بغير سبب
وانهم انما قصدوا ليشكوا حالهم ولما رأوا الدار فارغة أقاموا فيها فرجع فحضر عند المهتدي فقبل
رجله ويده ووقف فسأله عن الاموال وما يقوله الاتراك فقال وما أنا والاموال قال وهل هي
الا عندك وعند أخيك وأصحابكما ثم أخذوا بيد محمد وحبسوه وكتبوا الى موسى بن بغا ومفلح
بالانصراف الى سامرا وتسليم العسكر الى قواد ذكروهم وكتبوا الى الاتراك الصغار في تسليم
العسكر نحو ما ذكروا ماجرى لهم وقالوا ان أجاب موسى ومفلح الى ما أمرا به من الاقبال الى
سامرا وتسليم العسكر والا فشدوهما وثاقا واحملوهما الى الباب وأجرى المهتدي على من أخذت
عليه البيعة كل رجل درهمين فلما وصلت الكتب الى عسكر موسى أخذها موسى وقرئت عليه
وعلى الناس وأخذوا عليهم البيعة بالنصرة لهم وساروا نحو سامرا فنزلوا عند قنطرة الرقيق
لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب وخرج المهتدي وعرض الناس وعاد من يومه وأصبح الناس
من الغد وقد دخل من أصحاب موسى زهاء ألف فارس منهم كوبكين وغيره وعاد وخرج المهتدي
نصف أصحابه وفيهم من أتى من أصحاب موسى وترددت الرسل بينهم وبين موسى يريد أن يولى
ناحية ينصرف اليها وأصحاب المهتدي يريدون ان يجيء اليه ليناظرهم على الاموال فلم يتفقوا
على شيء وانصرف عن موسى خلق كثير من أصحابه فعدل هو ومفلح يريدان طريق خراسان
وأقبل بابكيال وجماعة من القواد فوصلوا الى المهتدي فسلموا وأمرهم بالانصراف وحبس

في حاجته فقالت لله علي أن لا أصلي خلفك أبدا ولئن رأيت قوما يجاهدونك لأقاتلنك معهم فقاتل في دير الجماجم حتى قتل (المنقري) عن العتبي عن أبيه أن الحجاج وجه الغضبان بن القبعثري الى بلاد كرمان ليأتيه بخبر ابن الاشعث عند خلعه ففصل من عنده فلما صار ببلاد كرمان ضرب خباءه ونزل فاذا هو باعرابي قد أقبل عليه فقال السلام عليك فقال له الغضبان كلمة مقولة قال له الاعرابي من أين جئت قال من ورائي قال وأين تريد قال أمامي قال وعلام جئت قال على فرسي قال وفيم جئت قال في ثيابي قال اتأذن لي أن أدنو اليك قال وراءك أوسع لك قال والله ما اريد طعامك ولا شرابك قال لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما قال أوليس عندك الا ما أرى قال بل هراوة من ارزن أضرب بها رأسك قال ان الرمضاء قد أحرقت قدمي قال بل عليهما يبردان قال فكيف ترى فرسي هذا قال أراه خيرا من شر منه وأرى آخر أفره منه قال قد علمت هذا قال لو علمته ماسألتني عنه فتركه الاعرابي وولى ثم دخل على عبد الرحمن بن الاشعث فقال ماوراءك ياغضبان قال الشر تغدبالحجاج قبل ان يتعشى بك ثم صعد المنبر فخطب بعايب الحجاج والبراءة منه ودخل ابن الاشعث في أمره فلم يلبث الا قليلا

بابكيال وقتله ولم يتحرك أحد ولا تغير شيء الا تغيرا يسيرا وكان ذلك يوم السبت فلما كان الاحد انكر الاتراك مساواة الفراغنة لهم فى الدار ودخولهم معهم ورفع ان الفراغنة اغاثم لهم هذا بعدم رؤساء الاتراك فخرجوا من الدار باجمعهم وبقيت الدار على الفراغنة والمغاربة فانكر الاتراك ذلك وأضافوا اليه طلب بابكيال فقال المهتدى للفراغنة والمغاربة ما جرى من الاتراك وقال لهم ان كنتم تظنون فيكم قوة فما أكره قربكم والا فارضيناهم من قبل تفاقم الامر فذكروا انهم يقومون به فخرج بهم المهتدى وهم فى ستة آلاف منهم من الاتراك نحو ألف وهم أصحاب صالح ابن وصيف وكان الاتراك فى عشرة آلاف فلما التقوا انهزم أصحاب صالح وخرج عليهم كمين للاتراك فانهزم أصحاب المهتدى وذكر نحو ما تقدم الا انه قال انهم لما رأوا المهتدى بدار أحمد بن جميل قاتلهم فاخرجوه وكان به أثر طعنة فلما رأى الجرح ألقى بيده اليهم وأرادوه على الخلع فابى ان يجيبهم فمات يوم الاربعاء وأظهروه للناس يوم الخميس وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد وكانوا قد خلعوا أصابع يديه ورجليه من كعبيه وفعلوا به غير شيء حتى مات وطلبوا محمد بن بغا فوجدوه ميتا فكسروا على قبره ألف سيف وكانت مدة خلافة المهتدى أحد عشر شهرا وخمس عشرة ليلة وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة وكان واسع الجبهة أسمر رقيقا أشهل جهم الوجه عريض البطن عريض المنكبين قصيرا طويل اللحية ومولده بالقاطول

(ذكر بعض سيرة المهتدى)

كان المهتدى بالله من أحسن الخلفاء مذهبا وأجملهم طريقة وأظهرهم ورعا وأكثرهم عبادة قال عبد الله بن ابراهيم الاسكافى جلس المهتدى للمظالم فاستعداه رجل على ابن له فامر باحضاره فاحضر واقامه الى جانب خصمه ليحكم بينهما فقال الرجل للمهتدى والله يا أمير المؤمنين ما أنت الا كما قيل

حكمتموه قاضيا بينكم * أبلج مثل القمر الزاهر
لا يقبل الرشوة فى حكمه * ولا يبالى غبن الخاسر

فقال المهتدى أما أنت أيها الرجل فاحسن الله مقالتك وأما أنا فما جلست حتى قرأت ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الآية قال فما رأيت باكيا أكثر من ذلك اليوم قال أبو العباس ابن هاشم بن القاسم الهاشمى كنت عند المهتدى بعض عشايا شهر رمضان فقمت لانصرف فامرنى بالجلوس فجلست حتى صلى المهتدى بنا المغرب وأمر بالطعام فاحضر واحضر طبق خلاف عليه رغيف وفى اناء ملح وفى آخر زيت وفى آخر خل فدعانى الى الاكل وأكلت مقتصرا ظنا منى انه يحضر طعاما جيدا فلما رأى أكلى كذلك قال اما كنت صائما قلت بلى قال أفلست تريد الصوم غدا قلت وكيف لا وهو شهر رمضان فقال كل واستوف عشاءك فليس ههنا غير ما ترى فعجبت من قوله وقلت ولم يا أمير المؤمنين قد أسبغ الله عليك النعمة ووسع رزقه فقال ان الامر على ما وصفت والحمد لله ولكنى فكرت فى انه كان من بنى أمية عمر بن عبد العزيز فغرت لبنى هاشم أن لا يكون فى خلفائهم مثله وأخذت نفسى بما رأيت قال ابراهيم بن مخلد بن محمد بن عرفة عن بعض الهاشميين ان المهتدى وجدوا له سفطا فيه جبة صوف وكساء وبرنس كان يلبسه بالليل ويصلى فيه ويقول أما تستحى بنو العباس ان لا يكون فيهم مثل عمر بن عبد العزيز وكان قد اطرح الملاهى وحرم الغناء والشراب ومنع أصحاب السلطان عن الظلم رحمه الله تعالى ورضى عنه

(ذكر خلافة المعتمد على الله)

لما أخذ المهتدى بالله وحبس أحضر أبو العباس أحمد بن المتوكل وهو المعروف بابن فتيان وكان

ثم اسر ابن الاشعث فاخذ الغضبان فيمن أسر فلما أدخل على الحجاج قال يا غضبان كيف رأيت بلاد كرمان قال أصلح الله الامير بلاد ماؤها وشل وتمرها دقل ولصها بطل والخليل بها ضعاف وان كثر الجند بها جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال ألست صاحب الكلمة الخبيثة تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك قال أصلح الله الامير ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت فيه قال لأقطعن يديك ورجليك من خلاف ثم لاصلبنك قال لا أرى الامير اصلحه الله يفعل ذلك فأمر به فقيد والقى فى السجن فاقام به حتى بنى الحجاج خضراء واسط فلما استتم بناؤها جلس فى صحنها وقال كيف ترون قبتى هذه قالوا ما بنى لخلق قبلك مثلها قال فان فيها مع ذلك عيبا فهل فيكم مخبرى به قالوا والله ما نرى بها عيبا وأمر باحضار الغضبان فأتى به يرسف فى قيوده فلما دخل عليه قال له الحجاج أراك يا غضبان سمينا قال أيها الامير القيد والرتعة ومن يكن ضيف الامير يسمن قال فكيف ترى قبتى هذه قال أرى قبة ما بنى لاحد مثلها الا ان بها عيبا فان امننى الامير اخبرته به قال قل آمنا قال بنيت فى غير بلدك لغير ولدك لا تتمتع به ولا تنعم فالما لا يتمتع فيه من طيب ولا لذة قال ردوه فانه صاحب الكلمة الخبيثة قال اصلح الله الامير ان الحديد قد اكل لحمى وبرى عظمى فقال احملوه فلما استقل به الرجال قال

محبوسا بالجوسق فبايعه الناس فبايعه الاتراك وكتبوا بذلك الى موسى بن بغا وهو بخانقين فحضر الى سامرا فبايعه ولقب المعتمد على الله ثم ان المهتدى مات ثانى يوم بيعة المعتمد وسكن الناس واستوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان

﴿ذكر أخبار صاحب الزنج﴾

فى هذه السنة سير جعلان لحرب صاحب الزنج بالبصرة فلما وصل الى البصرة نزل بمكان بينه وبين صاحب الزنج فرسخ وخندق عليه وعلى أصحابه وأقام ستة أشهر فى خندقه وجعل يوجه الزينبى وبنى هاشم ومن خف لحربهم هذا اليوم الذى تواعدهم جعلان للقائه فلم يكن بينهم الا الرمى بالحجارة والنشاب ولا يجد جعلان الى لقائه سبيلا لضيق المكان عن مجال الخيل وكان أكثر أصحاب جعلان خيالة فلما طال مقامه فى خندقه أرسل صاحب الزنج أصحابه الى مسالك الخندق فبيتوا جعلان وقتلوا من أصحابه جماعة وخاف الباقون خوفا شديدا وكان الزينبى قد جمع البلالية والسعدية ووجههم من مكانين وقاتلوا الخبيث فظفر بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة فترك جعلان خندقه وانصرف الى البصرة وظهر عجزه للسلطان فصرفه عن حرب الزنج وأمر سعيدا الحاجب بحاربتهم وتحول صاحب الزنج بعد ذلك من السبخة التى كان فيها ونزل بنهر أبى الخصيب وأخذ أربعة وعشرين مركبا من مراكب البحر وأخذوا منها أموالا كثيرة لا تحصى وقتل من فيها ونهبها أصحابه ثلاثة أيام وأخذ لنفسه بعد ذلك من النهب

﴿ذكر دخول الزنج الابلة﴾

وفيها دخل الزنج الابلة فقتلوا فيها خلقا كثيرا وأحرقوها وكان سبب ذلك ان جعلان لما تنحى عن خندقه الى البصرة ألح شانا صاحب الزنج بالغارات على الابلة وجعلت سراياه تضرب الى ناحية نهر معقل ولم يزل يحارب الى يوم الاربعاء لخمس بقين من رجب فافتتحها وقتل أبو الاحوص وعبيد الله بن حميد بن الطوسى واضرمها نارا وكانت مبنية بالساج فاسرعت النار فيها وقتل من أهلها خلق كثير وحووا الاموال العظيمة وكان ما أحرقت النار أكثر من الذى نهب

﴿ذكر أخذ الزنج عبادان﴾

وفيها أرسل أهل عبادان الى صاحب الزنج فسلموا اليه حصنهم وكان الذى حملهم على ذلك انه لما فعل بأهل الابلة ما فعل خاف أهل عبادان على أنفسهم وأهليهم وأموالهم فكتبوا اليه يطلبون الامان على أن يسلموا اليه البلد فامنهم وسلموه اليه فانفذ أصحابه اليهم وأخذوا ما فيه من العبيد والسلاح ففرقه فى أصحابه

﴿ذكر أخذهم الاهواز﴾

ولما فرغ العلوى البصرى من الابلة وعبادان طمع فى الاهواز فاستنهض أصحابه نحو جبى فلم يلبث أهلها وهربوا منهم فدخلها الزنج وقتلوا من رأوا بها وأحرقوا ونهبوا وأخربوا ما وراءها الى الاهواز فلما بلغوا الاهواز هرب من فيها من الجند ومن أهلها ولم يبق الا القليل فدخلوها وأخربوها وكان بها ابراهيم بن المدبر متولى الخراج فاخذوه أسيرا بعد ان جرح ونهب جميع ماله وذلك لاثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان فلما فعل ذلك بالاهواز وعبادان والابلة خافه أهل البصرة وانتقل كثير من أهلها فى البلدان

﴿ذكر عزل عيسى بن الشيخ عن الشام وولايته أرمينية﴾

لما استولى ابن الشيخ على دمشق وقطع الحمل عن بغداد اتفق ان ابن المدبر حمل مالا من مصر الى بغداد

الحمد لله الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال أنزلوه فلما استوى على الارض قال اللهم أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين قال جروه فلما جروه قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم قال أطلقوا عنه (المنقرى) عن عبد الله ابن محمد بن حفص التميمى عن الحسين بن عيسى الحنفى قال لما هلك بشر ابن مروان وولى الحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق فقام الغضبان بن القبعثرى الشيبانى بالمسجد الجامع بالكوفة خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الكوفة ان عبد الملك قد ولى عليكم من لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الظلوم الغشوم الحجاج ألا وان لكم من عبد الملك منزلة بما كان منكم من خذلان مصعب وقتله فاعترضوا هذا الخبيث فى الطريق فاقتلوه فان ذلك لا يعد منكم خلعا فانه متى يعلوكم على متن منبركم وصدر سريركم وقاعة قصركم ثم قتلتموه عد خلعا فاطيعونى وتغدوا به قبل أن يتعشى بكم فقال له أهل الكوفة جبنت يا غضبان بل ننتظر سيرته فان رأينا منكرا غيرناه قال ستعلمون فلما قدم الحجاج الكوفة بلغته مقالته وأمر به فاقام فى حبسه ثلاث سنين حتى ورد على الحجاج كتاب من عبد الملك يأمره أن يبعث اليه بثلاثين جارية عشرا من النجائب وعشرا من قعد

بغداد مقدار سبعمائة ألف دينار فأخذها عيسى بن الشيخ فارسل من بغداد اليه حسين الخادم يطالبه بالمال فذكر انه أخرجه على الجند فاعطاه حسين عهده على أرمينية ليقيم الدعوة للمعتمد وكان قد امتنع من ذلك فاخذ العهد وأقام الدعوة للمعتمد ولبس السواد ظنا منه أن الشام تكون بيده فانفذ المعتمد أماجور وقلده دمشق وأعمالها فسار اليها فى ألف رجل فلما اقترب منها أنهض عيسى اليه ولده منصورا فى عشرين ألف مقاتل فلما التقوا انهزم عسكر منصور وقتل منصور فوهن عيسى وسار الى ارمينية على طريق الساحل وولى أماجور دمشق

﴿ذكر ابن الصوفى العلوى وخروجه بمصر﴾

وفيها اظهر بصعيد مصر انسان علوى ذكر انه ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب عليه السلام ويعرف بابن الصوفى وملك مدينة اسنا ونهبها وعم شره البلاد فسير اليه أحمد ابن طولون جيشا فهزمه العلوى وأسر المقدم على الجيش فقطع يديه ورجليه وصلبه فسير اليه ابن طولون جيشا آخر فالتقوا بنواحى اخميم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم العلوى وقتل كثير من رجاله وسار هو حتى دخل الواحات وسيرد ذكره سنة تسع وخمسين ومائتين ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ظهور على بن زيد على الكوفة وخروجه عنها﴾

فى هذه السنة ظهر على بن زيد العلوى بالكوفة واستولى عليها وأزال عنها نائب الخليفة واستقر بها فسير اليه الشاه بن ميكال فى جيش كثيف فالتقوا واقتتلوا فانهزم الشاه وقتل جماعة كثيرة من اصحابه ونجا الشاه ثم وجه المعتمد الى محاربته كيجور التركى وامره ان يدعوه الى الطاعة ويبذل له الامان فسار كيجور فنزل بشاهى وارسل الى على بن زيد يدعوه الى الطاعة وبذل له الامان فطلب على أمورا لم يجبه اليها كيجور فتنحى على بن زيد عن الكوفة الى القادسية فعسكر بها ودخل كيجور الى الكوفة ثالث شوال من السنة ومضى على بن زيد الى خفان ودخل بلاد بنى أسد وكان قد صاهرهم وأقام هناك ثم سار الى جنبلاء وبلغ كيجور خبره فاسرى اليه من الكوفة سلخ ذى الحجة من السنة فواقعه فانهزم على بن زيد وطلبه كيجور ففاته وقتل نفرا من أصحابه وأسر آخرين وعاد كيجور الى الكوفة فلما استقامت أمورها عاد الى سر من رأى بغير أمر الخليفة فوجه اليه الخليفة نفرا من القواد فقتلوه بعكبرا فى ربيع الاول سنة سبع وخمسين ومائتين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها تقدم سعيد بن صالح الحاجب لحرب صاحب الزنج من قبل السلطان وفيها تحارب مساور الخارجى وأصحاب موسى بن بغا بناحية خانقين وكان مساور فى جمع كثير وكان أصحاب موسى ابن بغا نحو مائتين فالتقوا بمساور وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة وفيها وثب ابن واصل بن ابراهيم التميمى وهو من أهل فارس ورجل من الاكراد يقال له أحمد بن الليث بالحرث بن سيما عامل فارس فحارباه وقتلاه وغلب محمد بن واصل على فارس وفيها وجه مفلح لحرب مساور وفيها غلب الحسن بن زيد الطالبى على الرى فى رمضان فسار موسى بن بغا الى الرى فى شوال وشيعه المعتمد وفيها توفى الامام أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم البخارى الجعفى صاحب المسند الصحيح وكان مولده سنة أربع وتسعين ومائة

﴿ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين﴾

﴿ذكر عود أبى أحمد الموفق من مكة الى سر من رأى﴾

لما اشتد أمر الزنج وعظم شرهم وأفسدوا فى البلاد أرسل المعتمد على الله الى أخيه أبى أحمد

بعضهم أصلح الله الامير ينبغى أن يعرف هذا من كان فى أوليته بدويا فله معرفة أهل البدو ثم غزا فله معرفة أهل الغزو ثم شرب الشراب فله بداء أهل الشراب قال وأين هذا قيل فى حبسك قال ومن هو قيل الغضبان الشيبانى فاحضر فلما مثل بين يديه قال أنت القائل لاهل الكوفة يتغدون بى قبل أن أتعشى بهم قال أصلح الله الامير ما نفعت من قالها ولا ضرت من قيلت فيه قال ان أمير المؤمنين كتب الى كتابا لم أدر ما فيه فهل عندك شئ منه قال يقرأ على فقرئ عليه فقال هذا بين قال وما هو قال أما النجيبة من النساء فالتى عظمت هامتها وطال عنقها وبعد ما بين منكبيها وثدييها واتسعت راحتها وثخنت ركبتها فهذه اذا جاءت بالولد جاءت به كالليث وأما قعد النكاح فهن ذوات الاعجاز منكسرات الثدى كثيرات اللحم يقرب بعضهن من بعض فأولئك يشفين القرم ويروين الظمآن وأما ذوات الاحلام فبنات خمس وثلاثين الى الاربعين فتلك التى تبسه

كا تبس الحالب الناقة فتستخرجه من كل شعر وظفر وعرق قال الحجاج أخبرنى بشر النساء قال أصلح الله الامير شرهن الصغيرة

الموفق فاحضره من مكة فلما حضر عقد له على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن ثم عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والاهواز وفارس وأمر أن يعقد لبارك وج على البصرة وكور دجلة والبحرين واليمامة مكان سعيد بن صالح فاستعمل بارك وج منصور بن جعفر الخياط على البصرة وكور دجلة الى مايلي الاهواز

﴿ذكر انهزام الزنج من سعيد الحاجب﴾

وفيها في رجب أوقع سعيد الحاجب بجماعة من الزنج فهزمهم واستنقذ مامعهم من النساء والنهب وجرح سعيد عدة جراحات وبلغه الخبر بجمع آخر منهم فسار اليهم فلقيهم فهزمهم أيضا واستنقذ مامعهم فكانت المرأة من تلك الناحية تأخذ الزنجي فتأتي به عسكر سعيد فلا يمتنع عليها وعسكر سعيد بهطمة ثم عبر الى غرب دجلة فاوقع بصاحب الزنج عدة وقعات ثم عاد الى معسكره بهطمة فاقام الى باقي رجب وعامة شعبان

﴿ذكر خلاص ابن المدبر من الزنج﴾

وفيه تخلص ابراهيم بن محمد بن المدبر من حبس الزنج وكان سبب خلاصه انه كان محبوسا في بيت يحيى بن محمد البحراني ووكل به رجلين منزلهما ملاصق المنزل الذي فيه ابراهيم فضمن لهما مالا ورغبهما فحفرا سربا الى البيت الذي فيه ابراهيم فخرج هو وابن أخ له يقال له أبو غالب ورجل هاشمي

﴿ذكر انهزام سعيد من الزنج وولاية منصور بن جعفر البصرة﴾

وفيها أوقع العلوي صاحب الزنج بسعيد وكان يسير اليه جيشا فاوقعوا به ليلا وأصابوا منه فقتلوا من أصحاب سعيد خلقا كثيرا وأحرقوا عسكره فضعف هو ومن معه فامر بالمسير الى باب الخليفة ونزل بفراج بالبصرة فسار سعيد عن البصرة وأقام بها بفراج يحمي أهلها فرد السلطان أمرها الى منصور بن جعفر الخياط بعد سعيد الحاجب وكان منصور يبذرق السفن ويحملها ويسيرها الى البصرة فضاقت الميرة على الزنج فجمع منصور الشذاوات فاكثر منها وسار نحو صاحب الزنج فكمن له صاحب الزنج فلما أقبل خرجوا عليه فقتلوا في أصحابه مقتلة عظيمة وغرق منهم خلق كثير وحملوا من رؤس أصحابه الى البحراني ومن معه من الزنوج بنهر معقل

﴿ذكر انهزام جيش الزنج بالاهواز﴾

وفيها أرسل صاحب الزنج جيشا مع علي بن أبان لقطع قنطرة اربك فلقيهم ابراهيم بن سيما منصرفا من فارس فاوقع بجيش العلوي فهزمهم وقتل منهم وجرح علي بن أبان ثم ان ابراهيم سار قاصدا نهر جي فامر كاتبه شاهين بن بسطام بالمسير على طريق آخر ليوافيه بنهر جي بعد الوقعة مع علي بن أبان وكان علي بن أبان قد سار من الوقعة فنزل بالخيزرانية فاتاه رجل فاخبره باقبال شاهين اليه فسار نحوه فالتقيا وقت العصر بموضع بين جي ونهر موسى واقتتلوا قتالا شديدا ثم صدمهم الزنج صدمة صادقة فهزموهم وقتلوا شاهين وابن عم له وقتل معه خلق كثير فلما فرغ الزنج منهم أتاهم الخبر بقرب ابراهيم بن سيما منهم فساروا على نحوه فوافاه وقت العشاء الآخرة فاوقع بابراهيم دفعة أخرى شديدة قتل فيها جمعا كثيرا قال علي بن أبان وكان أصحابي قد تفرقوا بعد الوقعة مع شاهين ولم يشهد معي حرب ابراهيم غير خمسين رجلا وانصرف على الى جي

﴿ذكر أخذ الزنج البصرة وتخريبها﴾

لما سار سعيد الى البصرة ضم السلطان عملها الى منصور بن جعفر الخياط وكان منه ماذكرنا

الملا والله لا أنتهي حتى أقرها قرارها التي في بطنها جارية ويتبعها جارية وفي حجرها جارية قال الحجاج (الحلي هذه لعنة الله ثم قال ويحك فاخبرني بخير النساء قال خيرهن القريبة القامة من السماء الكثيرة الاخذ من الارض الودود الولود التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ويتبعها غلام قال ويحك فاخبرني بشر الرجال قال شرهم السبوط الربوط المحمود في حرم الحي الذي اذا سقط لاحداهن دلو في بئر انحط عليه حتى يخرجه فهن يجزينه الخيرا ويقلن عافى الله فلانا قال على هذا لعنة الله فاخبرني بخير الرجال قال خيرهم الذي يقول فيه الشماخ التغلبي

فتى ليس بالراضي بأدنى معيشة
ولا في بيوت الحي بالمتولج
فتى يملا الشيزى ويروى سنانه
ويضرب في رأس الكمي المدجج

فقال له حسبك كم حبسنا عطاءك قال ثلاث سنين فامر له بها وخلى سبيله (المقري) عن محمد بن السري عن هشام بن محمد ابن السائب عن أبي عبد الله الضبي قال لما فرغ الحجاج من دير الجماجم وقدم على عبد الملك ومعه أشراف أهل المصرين أدخلهم عليه ولم

ولم يمد منصورا بقتاله واقتصر على تخفير القيروانات والسفن فامتنع أهل البصرة فعظم ذلك على
العلوي فتقدم الى علي بن أبان بالمقام بالخيزرانية ليشغل منصورا عن تسيير القيروانات فكان
بنواحي جي والخيزرانية وشغل منصورا فأماد أهل البصرة الى الضيق وألح أصحاب الخبيث
عليهم بالحرب صباحا ومساء فلما كان في شوال أزمع الخبيث على جمع أصحابه لدخول البصرة
والجد في اخرابها لضعف أهلها وتفرقهم وخراب ما حولهم من القرى ثم أمر محمد بن يزيد الدارمي
وهو أحد من صحبه بالبحرين أن يخرج الى الاعراب ليجمعهم فاتاه منهم خلق كثير فاناخوا
بالقندل ووجه اليهم العلوي سليمان بن موسى الشعراني وأمرهم بتطرق البصرة والايقاع بها
ليتمرن الاعراب على ذلك ثم انهض علي بن أبان وضم اليه طائفة من الاعراب وأمره باتيان
البصرة من ناحية بني سعيد وأمر يحيى بن محمد البحراني باتيانها مما يلي نهر عدي وضم اليه سائر
الاعراب فكان أول من واقع أهل البصرة علي بن ابان وبغراج يومئذ بالبصرة في جماعة من
الجند فاقام يقاتلهم يومين ومال الناس نحوه وأقبل يحيى بن محمد فيمن معه نحو الجسر فدخل علي بن
ابان وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شوال فاقام يقتل ويحرق يوم الجمعة وليلة السبت
ويوم السبت وغادى يحيى البصرة يوم الاحد فتلقاه بغراج وبريه في جمع فردوه فرجع يومه ذلك ثم
غاداهم اليوم الآخر فدخل وقد تفرق الجند وهرب بريه وانحاز بغراج ومن معه ولقيه ابراهيم
ابن يحيى المهلبي فاستأمنه لاهل البصرة فامنهم فنادى منادي ابراهيم من أراد الامان فليحضر
دار ابراهيم فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملؤا الرحاب فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة لئلا
يتفرقوا فغدر بهم وأمر أصحابه بقتلهم فكان السيف يعمل فيهم وأصواتهم مرتفعة بالشهادة
فقتل ذلك الجمع كله ولم يسلم الا النادر منهم ثم انصرف يومه ذلك الى الحربية ودخل علي بن ابان
الجامع فاحرقه وأحرقت البصرة في عدة مواضع منها المربد وزهران وغيرهما واتسع الحريق من
الجبل الى الجبل وعظم الخطب وعمها القتل والنهب والاحراق وقتلوا كل من رأوه بها فمن كان من
أهل اليسار أخذوا ماله وقتلوه ومن كان فقيرا قتلوه لوقته وبقوا كذلك عدة أيام ثم أمر يحيى
ان ينادي بالامان ليظهروا فلم يظهر أحد ثم انتهى الخبر الى الخبيث فصرف علي بن ابان عنها وأقر
يحيى عليها لموافقته هواه في كثرة القتل وصرف عليا لابقائه على أهلها فهرب الناس على
وجوههم وصرف الخبيث جيشه عن البصرة فلما أخرب البصرة انتسب الى يحيى بن زيد وذلك
لمصير جماعة من العلويين اليه وكان فيهم علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد وجماعة من نسائهم
وترك الانتساب الى عيسى بن زيد وانتسب الى يحيى بن زيد فقال القاسم بن الحسن النوفلي كذب
ان يحيى لم يعقب غير بنت ماتت وهي ترضع

(ذكر مسير المولد لحرب الزنج)

وفيها في ذي القعدة أمر المعتمد أحمد المولد بالمسير الى البصرة لحرب الزنج فسار فنزل الابلة وجاء
بريه فنزل البصرة واجتمع اليه من أهلها خلق كثير فسير العلوي الى حرب المولد يحيى بن محمد فسار
اليه فقاتله عشرة أيام ثم وطن المولد نفسه على المقام فكتب العلوي الى يحيى يأمره بتبييت المولد
ووجه اليه الشذاوات مع أبي الليث الاصفهاني فبيته ونهض المولد فقاتله تلك الليلة ومن الغد الى
العصر ثم انهزم عنه ودخل الزنج عسكره فغنموا ما فيه فاتبعه يحيى الى الجامدة فاوقع باهلها ونهب
تلك القرى جميعها وسفك ما قدر عليه من الدماء ثم رجع الى نهر معقل

(ذكر قصد يعقوب فارس وملكه بلخ وغيرها)

فبينا هم عنده اذ تذاكروا البلدان فقال محمد بن عمير بن عطارد أصلح الله الامير ان الكوفة
أرض ارتفعت عن البصرة وحرها وعمقها وسفلت عن الشام ووبائها وجاورها الفرات فعذب ماؤها وطاب ثمرها فقال خالد ابن صفوان الاهتمي أصلح الله الامير نحن أوسع منهم برية وأسرع منهم في السرية وأكثر منهم قندا وعاجا وساجا وباسا ماؤنا صفو وخيرنا عفو لا يخرج من عندنا الا قائد وسائق وناعق فقال الحجاج أصلح الله أمير المؤمنين اني بالبلدين خبير وقد وطئتهما جميعا فقال له قل فانت عندنا مصدق فقال أما البصرة فعجوز شمطاء دفراء بخراء أوتيت من كل حلي وزينة وأما الكوفة فشابة حسناء جميلة لا حلي لها ولا زينة فقال عبد الملك فضلت الكوفة على البصرة (المنقري) عن أحمد بن الحباب الباهلي عن اسمعيل بن خالد قال سمعت الشعبي يقول سمعت الحجاج يقول بكلام ما سبقه اليه أحد سمعته يقول أما بعد فان الله عز وجل كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة فطول الامل بقصر الاجل (المنقري)

وفي هذه السنة سار يعقوب بن الليث الى فارس فارسل اليه المعتمد ينكر ذلك عليه فكتب اليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان وسجستان والسند فقبل ذلك وعاد وسار الى بلخ وطخارستان فلما وصل الى بلخ نزل بظاهرها وخرب نوشاد وهي أبنية كانت بناها داود بن العباس بن مابنجور خارج بلخ ثم سار يعقوب من بلخ الى كابل واستولى عليها وقبض على زنبيل وأرسل رسولا الى الخليفة ومعه هدية جليلة المقدار وفيها أصنام أخذها من كابل وتلك البلاد وسار الى بست فأقام بها سنة وسبب اقامته انه أراد الرحيل فرأى بعض قواده قد حمل بعض أثقاله فغضب وقال أترحلون قبلي وأقام سنة ثم رجع الى سجستان ثم عاد الى هراة وحاصر مدينة كروخ حتى أخذها ثم سار الى بوشنج وقبض على الحسين بن طاهر بن الحسين الكبير وأنفذ اليه محمد بن طاهر بن عبد الله فسأله اطلاقه وهو عم أبيه الحسين بن طاهر فلم يفعل وبقي في يده

﴿ذكر ملك الحسن بن زيد العلوي جرجان﴾

وفي هذه السنة قصد الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان جرجان واستولى عليها وكان محمد ابن طاهر أمير خراسان ولما بلغه ذلك من عزم الحسن على قصد جرجان قد جهز العساكر فانفق عليها أموالا كثيرة وسيرها الى جرجان لحفظها فلما قصدها الحسن لم يقوموا له وظفر بهم وملك البلد وقتل كثيرا من العساكر وغنم هو وأصحابه ما عندهم وضعف حينئذ محمد بن طاهر وانتقض عليه كثير من الاعمال التي كان يجبي خراجها اليه فلم يبق في يده الا بعض خراسان وأكثر ذلك مفتون منتقض بالمتغلبين في نواحيها والشراة الذين يعيثون في عمله فلا يمكنه دفعهم فكان ذلك سبب تغلب يعقوب الصفار على خراسان كما نذكره سنة تسع وستين ومائتين ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها أخذ أحمد المولد سعد بن أحمد بن سعد الباهلي وكان قد تغلب على البطائح وأفسد الطريق وحمل الى سامرا فضرب سبعمائة سوط فمات وصلب ميتا وحج بالناس الفضل بن اسحق بن اسمعيل ابن العباس بن محمد بن علي وفيها وثب بسيل المعروف بالصقلبي وانما قيل له الصقلبي وهو من بيت المملكة لان أمه صقلبية على ميخائيل بن توفيل ملك الروم فقتله وكان ملك ميخائيل أربعا وعشرين سنة وملك بسيل الروم وفيها أقطع المعتمد مصر وأعمالها ياركوج التركي فأقر عليها أحمد بن طولون وفيها فارق عبد العزيز بن أبي دلف الري من غير خوف وأخلاها فأرسل اليها الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان القاسم بن علي بن القاسم بن علي العلوي المعروف بدليس فغلب عليها فأساء السيرة في أهلها جدا وقلعوا أبواب المدينة وكانت من حديد وسيرها الى الحسن بن زيد وبقي كذلك نحو ثلاث سنين وفيها خرج علي بن مساور الخارجي وخارجي آخر اسمه طوق من بني زهير فاجتمع اليه أربعة آلاف فسار الى اذرمة فحاربه أهلها فظفر بهم فدخلها بالسيف وأخذ جارية بكرا فجعلها فيأ وافتضها في المسجد فجمع عليه الحسن بن أيوب بن أحمد العدوي جمعا كثيرا فحاربه فقتله وقطع رأسه وأنفذه الى سامرا وفيها قتل محمد بن خفاجة أمير صقلية قتله خدمه نهارا وكتموا قتله فلم يعرف الا من الغد وكان الخدم الذين قتلوه قد هربوا فطلبوا فأخذوا وقتل بعضهم ولما قتل استعمل محمد بن أحمد بن الاغلب على صقلية أحمد بن يعقوب بن المضاء بن سلمة فلم تطل أيامه ومات سنة ثمان وخمسين ومائتين وفيها توفي الحسن بن عمر العبدي وكان مولده سنة خمسين ومائة بسر من رأى وفيها توفي أبو الفضل العباس الفرج الرياشي اللغوي

عن سهل بن غنام بن بريع عن عباد بن حبيب بن المهلب عن أبيه قال لما قتل المهلب بن عبد ربه بن الصغير بكرمان قال ائتوني برجل له بيان وعقل ومعرفة أوجهه الى الحجاج برؤس من قتلنا فدلوه على بشر بن مالك الجرشي فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك قال بشر بن مالك الجرشي قال كيف تركت المهلب قال تركته صالحا نال ما رجا وأمن ما خاف قال فكيف فاتكم قطري قال كادنا من حيث كدناه قال أفلا طلبتموه قال كان الحسد أهم علينا من القتل قال أصبتم قال فكيف كان بنو المهلب قال كانوا أعداء البيات حتى يأمنوا وأصحاب السرج حتى يردوا قال أجل فأيهم أفضل قال ذلك الى أبيهم أيهم شاء ان يستكفيه أمرا كفاه قال اني أرى لك عقلا فقل قال هم كالحلقة المستوية لا يدري أين طرفها قال أين هم من أبيهم قال فضله عليهم كفضلهم على سائر الناس قال كيف كان الجند قال أرضاهم الحق وأشبعهم الفضل وكانوا مع وال يقاتل بهم مقاتلة الصعلوك ويسوسهم سياسة الملك فله منهم بر الاولاد ولهم منه شفقة الوالد قال هل كنت هيأت ما أرى قال لا يعلم الغيب الا الله قال فالتفت الحجاج الى عنبسة فقال هذا الكلام المخلوق لا الكلام المصنوع

من كبارهم وروى عن الاصمعي وغيره وفيها توفي محمد بن الخطاب الموصلي وكان من أهل العلم والزهد

﴿ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين﴾

﴿ذكر قتل منصور بن جعفر الخياط﴾

في هذه السنة قتل منصور بن جعفر الخياط وكان سبب قتله ان العلوي البصري لما فرغ من أمر البصرة أمر علي بن ابان بالمسير الى جي لحرب منصور بن جعفر وهو يلي يومئذ الاهواز وأقام بازائه شهرا وكان منصور في قلة من الرجال فاتى عسكر علي وهو بالخيزرانية ثم ان الخبيث صاحب الزنج وجه الى علي باثنى عشر شذاة مشحونة بجلة أصحابه وولى أمرهم أبا الليث الاصبهاني وأمره بطاعة علي فلما صار اليه خالفه واستبد عليه وجاء منصور كما كان يجيء للحرب فتقدم اليه أبو الليث عن غير اذن علي فظفر به منصور وبالشذاوات التي معه وقتل فيها من البيض والزنج خلقا كثيرا وأفلت أبو الليث ورجع الى الخبيث ثم ان عليا وجه طلائع يأتونه بخبر منصور وأسرى الى وال كان لمنصور على كرنبى فقتله وقتل أكثر أصحابه وغنم ما كان معهم ورجع وبلغ الخبر منصورا فاسرى الى الخيزرانية وخرج اليه علي فتحاربوا الى الظهر ثم انهزم منصور وتفرق عنه أصحابه وانقطع عنهم وأدركته طائفة من الزنج فحمل عليهم وقاتلهم حتى تكسر رمحه وفني نشابه ثم حمل حصانه ليعبر النهر فوقع في النهر ولم يعبره وكان سبب وقوعه أن بعض الزنج رآه حين أراد أن يعبر النهر فالقى نفسه في النهر قبل منصور وتلقى الفرس حين وثب فنكص فلما سقط في النهر قتله الاسود وأخذ سلبه وقتل معه أخوه خلف بن جعفر وغيره فولى يارجوج ما كان الى منصور بن جعفر من العمل

﴿ذكر مسير أبي أحمد الى الزنج وقتل مفلح﴾

وفيها في ربيع الاول عقد المعتمد لاخيه أبي أحمد على ديار مصر وقنسرين والعواصم وخلع عليه وعلى مفلح في ربيع الآخر وسيرهما الى حرب الزنج بالبصرة وركب المعتمد معه يشيعه وسار نحو البصرة ونازل العلوي وقاتله وكان سبب تسييره ما فعله بالبصرة وأكثر الناس ذلك وتجهزوا اليه وسار وأتى عدة حسنة كاملة وصحبه من سوقة بغداد خلق كثير وكان علي بن ابان بجي على ماذكرنا وسار يحيى بن محمد البحراني الى نهر العباس ومعه أكثر الزنوج فبقي صاحبهم في قلة من الناس وأصحابه يغادون البصرة ويراوحونها لنقل ما نالوه منها فلما نزل عسكر أبي أحمد بنهر معقل احتفل من فيه من الزنوج الى صاحبهم مرعوبين وأخبروه بعظم الجيش وانهم لم يرد عليهم مثله وأحضر رئيسين من أصحابه فسألهما عن قائد الجيش فلم يعرفاه فجزع وارتاع ثم ارسل الى علي بن ابان يأمره بالمسير اليه فيمن معه فلما كان يوم الاربعاء لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الاولى أتاه بعض قواده فاخبره بمجيء العسكر وتقدمهم وانهم ليس في وجوههم من يردهم من الزنوج وكذبه وسبه وأمر فنودي في الزنوج بالخروج الى الحرب فخرجوا فرأوا مفلحا قد أتاهم في عسكر لحربهم فقاتلهم فبينما مفلح يقاتلهم اذ أتاه سهم غرب لا يعرف من رمى به فاصابه فرجع وانهزم أصحابه وقتلوا فيهم قتلا ذريعا وحملوا الرؤس الى العلوي واقتسم الزنج لحوم القتلى وأتى بالاسرى فسألهم عن قائد الجيش فاخبروه انه أبو أحمد ومات مفلح من ذلك السهم فلم يلبث العلوي الا يسيرا حتى وافاه علي بن ابان ثم ان أبا أحمد رحل نحو الابلة ليجتمع ما فرقته الهزيمة ثم سار الى نهر أبي الاسد ولما علم الخبيث كيف قتل مفلح ولم ير أحدا يدعي قتله زعم انه هو الذي قتله وكذب

(وأخذ الحجاج) جرير بن الخطفى فأراد قتله فمشى اليه قومه من مضر فقالوا أصلح الله الامير لسان مضر وشاعرها هبه لنا فوهبه لهم (وكانت هند) بنت اسماء زوج الحجاج ممن طالب به فقالت للحجاج أتأذن لجرير علي يوما أستنشده من وراء حجاب فقال لها نعم فأمرت بمجلس لها فهيئ فجلست فيه والحجاج معها ثم بعثت الى جرير فدخل عليها يسمع كلامها ولا يراها فقالت يا ابن الخطفى أنشدني ماشببت به في النساء فقال لها ماشببت بامرأة قط ولا خلق الله شيأ هو أبغض الي من النساء قالت ياعدو الله وأين قولك

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعي بسلام
تجري السواك على أغر كأنه
برد تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتنا
لوصلت ذاك فكان غير لمام
سرت الهموم فبتن غير نيام
وأخو الهموم يروم كل مرام

قال ماقلت هذا ولكني أنا الذي أقول

لقد جرد الحجاج للحق سيفه
ألا فاستقيموا لا يميلن مائل
وما يستوي داعي الضلالة والهدى
ولا حجة الخصمين حق وباطل

قالت دع عنك هذا فأين قولك

خليلي لا تستنزرا الدمع في هند * أعيذكما بالله أن تجدا وجدي
ظمئت الى شرب الشراب وحسنه * كذي فرية يرجو هداها وما يجدي

قال لها

فانه لم يحضره

ذكر قتل يحيى بن محمد البحراني

وفيها أسر يحيى بن محمد البحراني قائد صاحب الزنج وكان سبب ذلك انه لما سار نحو نهر العباس لقيه عسكر أصغجور عامل الاهواز بعد منصور وقاتلهم وكان أكثر منهم عددا فنال ذلك العسكر من الزنج بالنشاب وجرحوهم فعبر يحيى النهر اليهم فانحازوا عنه وغنم سفنا كانت مع العسكر فيها الميرة وساروا بها الى عسكر صاحب الزنج على غير الوجه الذي فيه على بن أبان لتحاسد كان بينه وبين يحيى ووجه يحيى طلائعه الى دجلة فلقيهم جيش ابى احمد الموفق سائرين الى نهر أبي الاسد فرجعوا الى علي فاخبروه بمجيء الجيش فرجع من الطريق الذي كان سلكه وسلك نهر العباس وعلى فم النهر شذاوة لجبة من عسكر الخليفة فلما رآهم يحيى راعه ذلك وخاف أصحابه فنزلوا السفن وعبروا النهر وبقي يحيى ومن معه بضعة عشر رجلا فقاتلهم هو وذلك النفر اليسير فرموهم بالسهام فجرح ثلاث جراحات فلما جرح تفرق أصحابه عنه ولم يعرف حتى يؤخذ فرجع حتى دخل بعض السفن وهو مثخن بالجراح وأخذ اصحاب السلطان الغنائم وأخذوا السفن وعبروا الى سفن كانت للزنج فاحرقوها وتفرق الزنج عن يحيى بقية نهارهم فلما رأى تفرقهم ركب سميرية وأخذ معه طبيبا لاجل الجراح وسار فيها فرأى الملاحون سميريات السلطان فخافوا والقوا يحيى ومن معه على الارض فمشى وهو مثقل وقام الطبيب الذي معه فاتى أصحاب السلطان فاخبرهم خبره فاخذوه وحملوه الى ابى احمد فحمله ابو احمد الى سامرا فقطعت يداه ورجلاه ثم قتل فجزع الخبيث والزنوج عليه جزعا كثيرا وقال لهم لما قتل يحيى اشتد جزعي عليه فخوطبت ان قتله كان خيرا لك انه كان شرها

ذكر عود أبي احمد الى واسط

وفيها انحاز ابو احمد من موضعه الى واسط وكان سبب ذلك انه لما سار الى نهر أبي الاسد كثرت الامراض في أصحابه وكثر فيهم الموت فرجع الى باذاورد فاقام به وأمر بتجديد الآلات واعطاء الجند ارزاقهم واصلاح السميريات والشذاوات وشحنها بالقواد وعاد الى عسكر صاحب الزنج وامر جماعة من قواده بقصد مواضع سماها من نهر أبي الخصيب وغيره وبقي معه جماعة فمال أكثر الخلق حين التقى الناس ونشبت الحرب الى نهر أبي الخصيب وبقي ابو احمد في قلة من اصحابه ولم يزل عن موضعه خوفا ان يطمع الزنج ولما رأى الزنج قلة من معه طمعوا فيه وكثروا عليه واشتدت الحرب عنده وكثر القتل والجراح واحرق اصحاب ابى احمد منازل الزنوج واستنقذوا من النساء جمعا كثيرا ثم القى الزنج جدهم نحوه فلما رأى ابو احمد ذلك علم ان الحزم في المحاجزة فامر اصحابه بالرجوع الى سفنهم على مهل وتؤدة واقتطع الزنج طائفة من اصحابه فقاتلوهم فقتلوا من الزنج خلقا كثيرا ثم قتلوا جميعهم وحملت رؤسهم الى قائد الزنج وهي مائة رأس وعشرة ارؤس فزاد ذلك في عتوه ونزل أبو احمد في عسكره بباذاورد فاقام يعبي أصحابه للرجوع الى الزنج فوقعت نار في أطراف عسكره في يوم ريح عاصف فاحترق كثير منه فرحل منها الى واسط فلما نزل واسط تفرق عنه عامة أصحابه فسار منها الى سامرا واستخلف على واسط لحرب العلوي محمد بن المولد

ذكر عدة حوادث

وفيها وقع الوباء في كور دجلة فهلك منها خلق كثير ببغداد وواسط وسامرا وغيرها وفيها قتل

ماذات هذا ولكني أنا الذي أقول * ومن يأمن الحجاج أما عقابه * فمر وأما عقده فوثيق * يسر لك البغضاء كل منافق * كما كل ذي بر عليك شفيق

قالت دع عنك هذا فاين قولك

يا عاذلي دعا الملامة واقصرا
طال الهوى وأطلتما التفنيدا
اني وجدت ولو أردت زيادة
في الحب عندي ما وجدت مزيدا

فقال باطل أصلحك الله ولكني أنا الذي أقول

من سد مطلع النفاق عليهم
أم من يصول كصولة الحجاج
أم من يغار على النساء حفيظة
اذلا يثقن بغيرة الازواج
هذا ابن يوسف فافهموا وتفهموا
برح الخفاء وليس حيث يفاجي
ولرب ناكث بيعتين تركته
وخضاب لحيته دم الاوداج

فقال الحجاج يا عدو الله تعرض على النساء فقال لا والذي أكرمك أيها الامير ما فطنت لهذا البيت قبل ساعتي هذه وما علمت بمكانك فاني جعلني الله فداك قال قد فعلت فامرت له هند بجارية وكسوة وأوفده الحجاج على عبد الملك ولما انهزم ابن الاشعث بدير الجماجم حلف الحجاج أن لا يؤتى باسير الاضرب عنقه فاتى باسرى كثيرة وكان أول من أتى به اعشى همدان الشاعر وهو أول من خلع عبد الملك والحجاج بين يدي ابن الاشعث بسجستان فقال له الحجاج ايه أنت القائل سر سجارس

سر بجارس ببلاد الروم مع جماعة كثيرة من أصحابه وفيها كانت هدة عظيمة هائلة بالصيمرة ثم
سمع من ذلك اليوم هدة اعظم من الاولى فانهدم أكثر المدينة وتساقطت الحيطان وهلك من
أهلها ازهاء عشرين ألفا وفيها مات ياركوج التركى فى رمضان وصلى عليه ابو عيسى بن المتوكل
وكان صاحب مصر ومقطعها ويدعى له فيها قبل أحمد بن طولون فلما توفى استقل أحمد بمصر وفيها
كانت وقعة بين أصحاب موسى بن بغا وأصحاب الحسن بن زيد العلوى فانهزم أصحاب الحسن
وفيها أسر مسرور البلخى جماعة من أصحاب مساور الشارى وسار مسرور الى البوازيج فلقى
مساورا هنالك فكان فيها بينهما وقعة أسر فيها من أصحاب مسرور جماعة ثم انصرف فى ذى
الحجة الى سامرا واستخلف على عسكره بمدينة الموصل جعلان وفيها رجع أكثر الناس من
القرعاء خوف العطش وسلم من سار الى مكة وحج بالناس الفضل بن اسحق بن الحسن وفيها أوقع
باعراب بتكريت كانوا أعانوا مساورا الشارى وفيها أوقع مسرور البلخى بالاكراد اليعقوبية
فهزمهم وأصاب فيها وفيها صار محمد بن واصل فى طاعة السلطان وسلم فارس الى محمد بن الحسن بن
أبى الفياض وفيها أسر جماعة من الزنج كان فيهم قاض كان لهم بعبادان فحملوا الى سامرا
فضربت أعناقهم وفيها توفى محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد الذهلى النيسابورى وله مع البخارى
حادثة ظلمه بها حسدا له ليس هذا مكان ذكرها وفيها توفى يحيى بن معاذ الرازى الواعظ فى جمادى
الاولى وكان عابدا صالحا صحب ابا يزيد وغيره

﴿ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين﴾

﴿ذكر دخول الزنج الاهواز﴾

وفيها فى رجب دخلت الزنج الاهواز وكان سببه ان العلوى انفذ على بن ابان المهلبى وضم اليه
الجيش الذى كان مع يحيى بن محمد البحرانى وسليمان بن موسى الشعرانى وسيره الى الاهواز
وكان المتولى لها بعد منصور بن جعفر رجلا يقال له اصجور فبلغه خبر الزنج فخرج اليهم والتقى
العسكران بدشت ميسان فانهزم اصجور وقتل معه نيزك وجرح خلق كثير من أصحابه وغرق
أصجور وأسر خلق كثير فيهم الحسن بن هرثمة والحسن بن جعفر وحملت الرؤس والاعلام
والاسرى الى الخبيث فامر بحبس الاسرى ودخل الزنج الاهواز فاقاموا يفسدون فيها
ويعيثون الى ان قدم موسى بن بغا

﴿ذكر مسير موسى بن بغا لحرب الزنج﴾

وفيها فى ذى القعدة أمر المعتمد موسى بن بغا بالمسير الى حرب صاحب الزنج فسير الى الاهواز عبد
الرحمن بن مفلح والى البصرة اسحق بن كنداجيق والى باذاورد ابراهيم بن سيما وأمرهم بمحاربة
صاحب الزنج فلما ولى عبد الرحمن الاهواز سار الى محاربة على بن ابان فتواقعا فانهزم عبد الرحمن
ثم استعد وعاد الى على فاوقع به وقعة عظيمة قتل فيها من الزنج قتلا ذريعا واسر خلقا كثيرا وانهزم
على بن ابان والزنج ثم أراد ردهم فلم يرجعوا من الخوف الذى دخلهم من عبد الرحمن فلما رأى ذلك
أذن لهم بالانصراف فانصرفوا الى مدينة صاحبهم ووافى عبد الرحمن حصن مهدى ليعسكر به
فوجه اليه صاحب الزنج على بن ابان فواقعه فلم يقدر عليه ومضى يريد الموضع المعروف بالدكة
وكان ابراهيم بن سيما بباداورد فواقعه على بن ابان فهزمه على بن ابان ثم واقعه ثانية فهزمه ابراهيم
فمضى على فى الليل ومعه الادلاء فى الآجام حتى انتهى الى نهر يحيى وانتهى خبره الى عبد الرحمن
فوجه اليه طاشتمر فى جمع من الموالى فلم يصل اليه لامتناعه بالقصب والحلافى فاضرمه عليه نارا

من مبلغ الحجاج أنى * قد جنيت عليه حربا   ووضعت فى كف امرئ * ٨٥ جلدا اذا ما الامر هبى   أنت الرئيس ابن الرئيـ
س وأنت أعلى الناس كعبا
فابعث عطية بالخيو
ل يكبهن عليه كبا
وانهض هديت لعله
يجلى بك الرحمن كربا
نبئت أن بنى يو
سف خر من زلق فتبا
وهى أبيات وأنت القائل
شطت نوى من داره الايوان
ايوان كسرى من قوى
الريحان
من عاشق أمسى بزابلستان
ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضى وكذاب ثان
أمكن ربى من ثقيف همدان
يوما من الليل يسلى ما كان
وأنت القائل
وسائلتما فى المجد أين محله
فالمجد بين محمد وسعيد
بين الاشج وبين قيس باذخ
بخ لوالده وللمولود
قال لا ولكنى الذى أقول
أبى الله الا أن يتم نوره
ويطفئ نور الفقعتين فيخمدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله
بما نقضوا العهد الوثيق
المؤكدا
وما أحدثوا من بدعة وضلالة
من القول لم يصعد الى
ذروة العدى
قال لسنا نحمدك على هذا
القول انما قلته تأسفا على
أن لا تكون ظفرت
وظهرت وتحريضا لاصحابك
وليس عن هذا سألتك
أخبرنى عن قولك

أمكن ربى من ثقيف همدان * يوما من الليل يسلى ما كان * فكيف ترى الله أمكن ثقيفا من همدان ولم يمكن همدان من ثقيف وعن قولك

فخرجوا منها هاربين فاسر منهم اسرى وانصرف أصحاب عبد الرحمن بالاسرى والظفر ثم سار عبد الرحمن نحو على بن ابان بمكان نزل فيه فكتب على الى صاحب الزنج يستمده فامده بثلاثة عشر شذاوة ووافاه عبد الرحمن فتواقفا يومهما فلما كان الليل انتخب على من أصحابه جماعة ممن يثق بهم وسار وترك عسكره ليخفى امره واتى عبد الرحمن من ورائه فبيته فنال منه شيأ يسيرا وانحاز عبد الرحمن فاخذ على منهم أربع شذاوات واتى عبد الرحمن دولاب فاقام به وسار طاشتمر الى على فوافاه وقاتله فانهزم على الى نهر السدرة وكتب يستمد عبد الرحمن فاخبره بانهزام على عنه فاتاه عبد الرحمن وواقع عليا بنهر السدرة وقعة عظيمة فانهزم على الى الخبيث وعسكر عبد الرحمن بلمنان فكان هو وابراهيم بن سيما يتناوبون المسير الى عسكر الخبيث فيوقعان به واسحق بن كنداجيق بالبصرة وقد قطع الميرة عن الزنج فكان صاحبهم يجمع أصحابهم يوم محاربة عبد الرحمن وابراهيم فاذا انقضى الحرب سير طائفة منهم الى البصرة يقاتل بهم اسحق فاقاموا كذلك بضعة عشر شهرا الى ان صرف موسى بن بغا عن حرب الزنج ووليها مسرور البلخى فانتهى الخبر بذلك الى الخبيث

(ذكر ملك يعقوب نيسابور)

وفيها فى شوال دخل يعقوب بن الليث نيسابور وكان سبب مسيره اليها ان عبد الله السجزى كان ينازع يعقوب بسجستان فلما قوى عليه يعقوب هرب منه الى محمد بن طاهر فارسل يعقوب يطلب من ابن طاهر ان يسلمه اليه فلم يفعل فسار نحوه الى نيسابور فلما قرب منها وأراد دخولها وجه محمد ابن طاهر يستأذنه فى تلقيه فلم يأذن له فبعث بعمومته وأهل بيته فتلقوه ثم دخل نيسابور فى شوال فركب محمد بن طاهر فدخل اليه فى مضربه فساءله ثم وبخه على تفريطه فى عمله وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته واستعمل على نيسابور وأرسل الى الخليفة يذكر تفريط محمد بن طاهر فى عمله وان اهل خراسان سألوه المسير اليهم ويذكر غلبة العلويين على طبرستان وبالغ فى هذا المعنى فانكر عليه ذلك وأمر بالاقتصار على ما اسند اليه وان لا يسلك معه مسلك المخالفين وقيل كان سبب ملك يعقوب نيسابور ماذكرناه سنة سبع وخمسين من ضعف محمد بن طاهر امير خراسان فلما تحقق يعقوب ذلك وانه لا يقدر على الدفع سار الى نيسابور وكتب الى محمد بن طاهر يعلمه أنه قد عزم على قصد طبرستان ليمضى ما امره الخليفة فى الحسن بن زيد المتغلب عليها وانه لا يعرض لشئ من عمله ولا الى أحد من أسبابه وكان بعض خاصة محمد بن طاهر وبعض أهله لما رأوا ادبار أمره وقد مالوا الى يعقوب فكاتبوه واستدعوه وهونوا على محمد أمر يعقوب من نيسابور فاعلموه انه لا خوف عليه منه وثبطوه عن التحرز منه فركن محمد الى قولهم حتى قرب يعقوب من نيسابور فوجه اليه قائدا من قواده يطيب قلبه وامره بمنعه عن الانتزاح عن نيسابور ان أراد ذلك ثم وصل يعقوب الى نيسابور رابع شوال وارسل أخاه عمرو بن الليث الى محمد بن طاهر فاحضره عنده فقبض عليه وقيده وعنفه على اهماله عمله وعجزه عن حفظه ثم قبض على جميع أهل بيته وكانوا نحوا من مائة وستين رجلا وحملهم الى سجستان واستولى على خراسان ورتب فى الاعمال نوابه وكانت ولاية محمد ابن طاهر احدى عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام

(ذكر ظهور ابن الصوفى بمصر ثانيا)

وفيها عاد ابن الصوفى العلوى وظهر بمصر وقد ذكرنا سنة ست وخمسين ظهوره وهربه الى الواحات فاحم نفسه ودعا الناس الى نفسه فتبعه خلق كثير وسار بهم الى الاشمونين فوجه اليه جيش عليهم قائد يعرف بابن أبى الغيث فوجده قد اصعد الى لقاء أبى عبد الرحمن العمرى

بح لوالده وللولود والله لا ابجح لاحد بعدها وأمر به فضربت عنقه ولم يزل بين الاشج وبين قيس باذخ * يؤتى برجل رجل حتى أتى برجل من بنى عامر وكان من فرسان الجماجم مع ابن الاشعث فقال له والله لاقتلنك شر قتلة قال والله ماذلك لك قال ولم قال لان الله يقول فى كتابه العزيز فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها وأنت قد قتلت فاثخنت وأسرت فاثخنت فاما أن تمن علينا أو تفدينا عشائرنا فقال له الحجاج أكفرت قال نعم وغيرت وبدلت قال خلوا سبيله ثم أتى برجل من ثقيف فقال له الحجاج أكفرت قال نعم قال الحجاج لكن هذا الذى خلفك لم يكفر وخلفه رجل من السكون قال السكونى أعن نفسى تخادعنى بل والله لو كان شئ أشد من الكفر لبؤت به فخلى سبيلهما فهذه جمل من أخبار عبد الملك والحجاج وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار مما لم نورده فى هذا الكتاب فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط التالى له الذى كتابنا هذا تاليه وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الحجاج لمعا على حسب ماقدمنا من الشرط فيما سلف من هذا الكتاب وبالله العون والقوة

(ذكر أيام الوليد بن عبد الملك) بويع الوليد بن عبد الملك وسنذكر

وسنذكر بعد هذا فلما وصل العلوى الى العمرى التقيا فكان بينهما قتال شديد أجلت الوقعة من انهزام العلوى فولى منهزما الى اسوان فعاث فيها وقطع كثيرا من نخلها فسير اليه ابن طولون جيشا وأمرهم بطلبه اين كان فسار الجيش فى طلبه فولى هاربا الى عيذاب وعبر البحر الى مكة وتفرق أصحابه فلما وصل الى مكة بلغ خبره الى واليها فقبض عليه وحبسه ثم سيره الى ابن طولون فلما وصل الى مصر أمر به فطيف به فى البلد ثم سجنه مدة واطلقه ثم رجع الى المدينة فاقام بها الى ان مات

(ذكر حال ابى عبد الرحمن العمرى)

قد تقدم ذكر أبى عبد الرحمن العمرى واسمه عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وكان سبب ظهوره بمصر أن البجاة اقبلت يوم العيد فنهبوا وقتلوا وعادوا غانمين وفعلوا ذلك مرات فخرج هذا العمرى غضبا لله وللمسلمين وكمن لهم فى طريقهم فلما عادوا خرج عليهم وقتل مقدمهم ومن معه ودخل بلادهم فنهبها وقتل فيهم فاكثر ونهبوا وسبوا مالا يحصى وتابع عليهم الغارات حتى ادّوا اليه الجزية ولم يفعلوها قبل ذلك واشتدت شوكة العمرى وكثر أتباعه فلما بلغ خبره ابن طولون سير اليه جيشا كثيفا فلما التقوا تقدم العمرى وقال لمقدم الجيش ان ابن طولون لا يعرف خبرى لاشك على حقيقته فانى لم أخرج للفساد ولم يتأذ بى مسلم ولا ذمى وانما خرجت طلبا للجهاد فاكتب الى الامير احمد عرّفه كيف حالى فان أمرك بالانصراف فانصرف والا فان امرك بغير ذلك كنت معذورا فلم يجبه الى ذلك وقاتله فانهزم جيش ابن طولون فلما وصلوا اليه اخبروه بحال العمرى فقال كنتم انهيتم حاله الى فانه نصر عليكم ببغيكم وتركه فلما كان بعد مدة وثب على العمرى غلامان له فقتلاه وحملا رأسه الى احمد بن طولون فلما حضرا عنده سألهما عن سبب قتله فقالا اردنا التقرب اليك بذلك فقتلهما وامر برأس العمرى فغسل وكفن ودفن

(ذكر ما كان هذه السنة بالاندلس)

فى هذه السنة سار محمد بن عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس الى طليطلة فنازلها وحصرها وكان اهلها قد خالفوا عليه وطلبوا الامان فامنهم وأخذ رهائنهم وفيها خرج أهل طليطلة الى حصن سكيان وكان فيه سبعمائة رجل من البربر وكان أهل طليطلة فى عشرة آلاف فلما التحمت بينهم الحرب انهزم احد مقدمى اهلها وهو عبد الرحمن بن حبيب فتبعه أهل طليطلة فى الهزيمة وانما انهزم لعداوة كانت بينه وبين مقدم آخر اسمه طربشة من أهل طليطلة فاراد أن يوهنه بذلك فلما انهزموا اقتلوا البرقيل وفيها عاد عمروس بن عمر وس الى طاعة محمد بن عبد الرحمن وكان مخالفا عليه عدة سنين فولاه مدينة امشقة وحصر محمد حصون بنى موسى ثم تقدم الى بنبلونة فوطئ أرضها وعاد

(ذكر عدة حوادث)

وفيها سارت سرية للمسلمين الى مدينة سرقوسة فصالحه اهلها على ان يطلقوا الاسرى الذين كانوا عندهم من المسلمين ثلثمائة وستين أسيرا فلما أطلقوهم عاد عنهم وفيها قتل كيجور وكان سبب قتله انه كان على الكوفة فسار عنها الى سامرا بغير اذن فأمر بالرجوع فابى فحمل اليه مال ليفرقه فى أصحابه فلم يقنع به وسار حتى أتى عكبرا فوجه اليه من سامرا عدة من القواد فقتلوه وحملوا رأسه الى سامرا وفيها غلب شركب الجمال على مرو وناحيتها ونهبها وفيها انصرف يعقوب بن الليث عن بلخ فاقام بقهستان وولى عماله هراة وبوشنج وباذغيس وانصرف الى

بدمشق فى اليوم الذى توفى فيه عبد الملك وتوفى الوليد بدمشق للنصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين فكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين وهلك وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وكان يكنى بابى العباس

(ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان من الحجاج فى أيامه)

كان الوليد جبارا عنيدا ظلوما غشوما وخلف من الولد أربعة عشر ذكرا منهم يزيد وعمرو وبشر العالم والعباس وكان يدعى فارس بنى مروان لشهامته فعدل الوليد بالامر عن ولده بعده اتباعا لوصية عبد الملك على حسب مارتبها وكان نقش خاتمه ياوليد انك ميت فكان كلما هم أن يجعل الامر فى ولده قلب الفص فقرأ انك ميت فيقول لاها الله لاخالفت فيما أمر به انى لميت وفى سنة تسع وثمانين ابتدأ الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق ومسجد الرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأنفق عليهما الاموال الجليلة وكان المتولى للنفقة على ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وحكى عثمان بن مرة الخولانى قال لما ابتدأ الوليد ببناء مسجد دمشق وجد فى حائط المسجد لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته فوجه به الى وهب بن منبه فقال هذا مكتوب فى أيام سليمان

بسجستان وفيها فارق عبد الله السجزي يعقوب وحاصر نيسابور وبها محمد بن طاهر قبل أن يملكها يعقوب بن الليث فوجه محمد بن طاهر اليه الرسل والفقهاء فاختلفوا بينهما ثم ولاه الطبسين وقهستان وفيها غلب الحسن بن زيد على قومس ودخلها أصحابه وفيها كانت وقعة بين محمد بن الفضل بن سنان وهسوذان بن جستان الديلمي وانهزم وهسوذان وفيها نزلت الروم على سميساط ثم نزلوا على ملطية وقاتلهم أهلها فانهزمت الروم وقتل بطريق البطارقة وحج بالناس العباس بن ابراهيم بن محمد بن اسمعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس المعروف ببرية وفيها مات محمد بن يحيى بن موسى أبو عبد الله بن أبي زكريا الاسفرايني المعروف بابن حيويه ومحمد بن عمروس بن يونس بن عمران بن دينار الكوفي الثعلبي وكان شيعيا ضعيف الحديث وفيها توفي أبو الحسن بن علي بن حرب الطائي الموصلي وكان محدثا وممن روى عنه أبوه علي بن حرب

ثم دخلت سنة ستين ومائتين

ذكر دخول يعقوب طبرستان

وفيها واقع يعقوب بن الليث الحسن بن زيد العلوي فهزمه ودخل طبرستان وكان سبب ذلك ان عبد الله السجزي ينازع يعقوب الرياسة بسجستان فقهره يعقوب فهرب منه عبد الله الى نيسابور فلما سار يعقوب الى نيسابور كما ذكرنا هرب عبد الله الى الحسن بن زيد بطبرستان فسار يعقوب في أثره فلقيه الحسن بن زيد بقرية سارية وكان يعقوب قد أرسل الى الحسن يسأله ان يبعث اليه عبد الله ويرجع عنه فانه انما جاء لذلك لا لحربه فلم يسلمه الحسن فحاربه يعقوب فانهزم الحسن ومضى نحو الشرز وأرض الديلم ودخل يعقوب سارية وآمل وجبى أهلها خراج سنة ثم سار في طلب الحسن فسار الى بعض جبال طبرستان وتتابعت عليه الامطار نحوا من أربعين يوما فلم يتخلص الا بمشقة شديدة وهلك عامة ما معه من الظهر ثم أراد الدخول خلف الحسن فوقف على الطريق الذي يريد يسلكه وأمر أصحابه بالوقوف ثم تقدم وحده وتأمل الطريق ثم رجع اليهم فامرهم بالانصراف وقال لهم ان لم يكن طريق غير هذا والا لا طريق اليه وكان نساء أهل تلك الناحية قلن للرجال دعوه يدخل فانه ان دخل كفينا كم أمره وعلينا أسره لكم فلما خرج من طبرستان عرض رجاله ففقد منهم أربعون ألفا وذهب أكثر ما كان معه من الخيل والابل والبغال والاثقال وكتب الى الخليفة بما فعله مع الحسن من الهزيمة وسار الى الري في طلب عبد الله لانه كان قد سار اليها بعد هزيمة الحسن فلما قاربها يعقوب كتب الى الصلاني واليها يخيره بين تسليم عبد الله اليه وينصرف عنه وبين المحاربة فسلم اليه عبد الله فرحل عنه وقتل عبد الله

ذكر الفتنة بالموصل واخراج عاملهم

كان الخليفة المعتمد على الله قد استعمل على الموصل أساتكين وهو من أكابر قواد الاتراك فسير اليها ابنه اذكوتكين في جمادى الاولى سنة تسع وخمسين ومائتين فلما كان يوم النيروز من هذه السنة وهو الثالث عشر من نيسان فغيره المعتضد بالله ودعا اذكوتكين وجوه أهل الموصل الى قبة في الميدان وأحضر أنواع الملاهي وأكثر الخمر وشرب ظاهرا وتجاهر أصحابه بالفسوق وفعل المنكرات وأساء السيرة في الناس وكان تلك السنة برد شديد اهلك الاشجار والثمار والحنطة والشعير وطالب الناس بالخراج على الغلات التي هلكت فاشتد ذلك عليهم وكان لا يسمع بفرس جيد عند أحد الا أخذه وأهل الموصل صابرون الى ان وثب رجل من أصحابه على امرأة فأخذها في الطريق فامتنعت واستغاثت فقام رجل اسمه ادريس الحميري وهو من أهل

ابن داود عليهما السلام فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم لو عاينت ما بقي من يسير أجلك لزهدت فيما بقي من طول أملك وقصرت عن رغبتك وحيلك وانما تلقى ندمك اذا زلت بك قدمك واسلمك أهلك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعى فلا تجيب فلا أنت الى أهلك عائد ولا في عملك زائد فاغتنم الحياة قبل الموت والقوة قبل الفوت وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ويحال بينك وبين العمل وكتب زمن سليمان بن داود وأمر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازورد في حائط المسجد ربنا الله لا نعبد الا الله أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وهذا الكلام مكتوب بالذهب في مسجد دمشق الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ووفد الحجاج بن يوسف على الوليد فوجده في بعض نزهه فاستقبله فلما رآه ترجل له وقبل يده وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية فقال له الوليد اركب يا أبا محمد فقال دعني يا أمير المؤمنين استكثر من الجهاد فان ابن الزبير وابن الاشعث شغلاني عنك فعزم عليه الوليد حتى ركب ودخل الوليد داره

القرآن

القرآن والسلاح فخلعها من يده فعاد الجندي الى اذ كوتكين فشكى من الرجل فاحضره وضربه ضربا شديدا من غير ان يكشف الامر فاجتمع وجوه أهل الموصل الى الجامع وقالوا قد صبرنا على أخذ الاموال وشتم الاعراض وابطال السنن والعسف وقد أفضى الامر الى اخذ الحريم فاجمع رأيهم على اخراجه والشكوى منه الى الخليفة وبلغه الخبر فركب اليهم في جنده وأخذ معه النفاطين فخرجوا اليه وقاتلوه قتالا شديدا حتى أخرجوه عن الموصل ونهبوا داره وأصابه حجر فاثخنه ومضى من يومه الى بلده وسار منها الى سامرا واجتمع الناس الى يحيى بن سليمان وقلدوه أمرهم ففعل فبقى كذلك الى ان انقضت سنة ستين فلما دخلت سنة احدى وستين كتب اساتكين الى الهيثم بن عبد الله بن المعمر التغلبي ثم العدوى في ان يتقلد الموصل وأرسل اليه الخلع واللواء وكان بديار ربيعة فجمع جموعا كثيرة وسار الى الموصل ونزل بالجانب الشرقي وبينه وبين البلد دجلة فقاتلوه فعبر الى الجانب الغربي وزحف الى باب البلد فخرج اليه يحيى بن سليمان في أهل الموصل فقاتلوه فقتل بينهم قتلى كثيرة وكثرت الجراحات وعاد الهيثم عنهم فاستعمل اساتكين على الموصل اسحق بن أيوب التغلبي فخرج في جمع يبلغون عشرين ألفا منهم حمدان بن حمدون التغلبي وغيره فنزل عند الدير الاعلى فقاتله أهل الموصل ومنعوه فبقوا كذلك مدة فمرض يحيى بن سليمان الامير فطمع اسحق في البلد وجد في الحرب فانكشف الناس بين يديه فدخل اسحق البلد ووصل الى سوق الاربعاء وأحرق سوق الحشيش فخرج بعض العدول اسمه زياد بن عبد الواحد وعلق في عنقه مصحفا واستغاث بالمسلمين فاجابوه وعادوا الى الحرب وحملوا على اسحق وأصحابه وأخرجوهم من المدينة وبلغ يحيى بن سليمان الخبر فامر فحمل في محفة وجعل امام الصف فلما رآه أهل الموصل قويت نفوسهم واشتد قتالهم ولم يزل الامر كذلك واسحق يراسل أهل الموصل ويعدهم الامان وحسن السيرة فاجابوه الى ان يدخل البلد ويقيم بالربض الاعلى فدخل وأقام سبعة أيام ثم وقع بين بعض أصحابه وبين قوم من أهل الموصل شر فرجعوا الى الحرب وأخرجوه عنها واستقر يحيى بن سليمان بالموصل

❁(ذكر الحرب بين أهل طليطلة وهوارة)❁

وفي هذه السنة ظهر موسى بن ذي النون الهواري بسنت برية وأغار على أهل طليطلة ودخل حصن وليد من سنت برية فخرج أهل طليطلة اليه في نحو عشرين ألفا فلما التقوا بموسى واقتتلوا انهزم محمد بن طريشة في أصحابه وهو من أهل طليطلة فتبعه أهل طليطلة في الهزيمة وانهزم معهم مطرف بن عبد الرحمن ففعل ذلك محمد مكافاة لمطرف حين انهزم بالناس في العام الماضي فقتل من أهل طليطلة خلق كثير وقوى موسى بن ذي النون وهابه من حاذره

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة قتل رجل من أصحاب مساور الشاري محمد بن هرون بن المعمر رآه وهو يريد سامرا فقتله وحمل رأسه الى مساور فطلبت ربيعة بثاره فندب مسرور البلخي وغيره الى أخذ الطرق على مساور وفيها اشتد الغلاء في عامة بلاد الاسلام فانجلى من أهل مكة كثير ورحل عنها عاملها وهو بريه وبلغ الكر الحنطة ببغداد عشرين ومائة دينار ودام ذلك شهورا وفيها اقتات الاعراب منجورا والى حمص واستعمل عليها بكتمر وفيها قتل العلاء بن أحمد الازدي عامل اذربيجان وكان سبب قتله انه فلج فاستعمل الخليفة مكانه أبا الرديني عمر بن علي فلما قاربها خرج اليه العلاء فتحاربا فقتل العلاء وانهزم أصحابه وأخذ أبو الرديني ما خلفه العلاء وكان مبلغه ألفي ألف وسبعمائة ألف

وتفضل في غلالة ثم أذن للحجاج فدخل عليه في حاله تلك وأطال الجلوس عنده فبينما هو يحادثه اذ جاءت جارية فساررت الوليد ومضت ثم عادت فساررته ثم انصرفت فقال الوليد للحجاج أتدري ماقالت هذه يا أبا محمد قال لا والله قال بعثتها الى ابنة عمي أم البنين بنت عبد العزيز تقول ما مجالستك لهذا الاعرابي المتسلح في السلاح وأنت في غلالة فارسلت اليها انه الحجاج فراعها ذلك وقالت والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق فقال الحجاج يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك ولا تطمعهن في غير أنفسهن ولا تشغلهن باكثر من زينتهن واياك ومشاورتهن في الامور فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن بحجبك ولا تملك الواحدة منهن من الامور ما يجاوز نفسها ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها ولا تطل الجلوس معهن فان ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك ثم نهض الحجاج فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج فقالت يا أمير المؤمنين أحب ان تأمره غدا بالتسليم على فقال

درهم وحج بالناس ابراهيم بن محمد بن اسمعيل المعروف ببريه وهو أمير مكة وفيها ظهر بمصر انسان يكنى أبا روح واسمه سكن وكان من أصحاب ابن الصوفي واجتمع له جماعة فقطع الطريق وأخاف السبيل فوجه اليه ابن طولون جيشا فوقف أبو روح في أرض كثيرة الشقوق وقد كان بها قمح فحصد وبقي من تبنه على الارض ما يستر الشقوق وقد ألفوا المشي على مثل هذه الارض فلما جاءهم الجيش لقوهم ثم انهزم أصحاب أبي روح فتبعهم عسكر ابن طولون فوقعت حوافر خيولهم في تلك الشقوق فسقط كثير من فرسانها عنها وتراجع أصحاب أبي روح عليهم فقتلوهم شر قتلة وانهزم الباقون أسوأ هزيمة فسير أحمد جيشا الى طريقهم الى الواحات وجيشا في طلبه فلقيه الجيش الذي في طلبه وقد تحصن في مثل تلك الارض فحذرها عسكر أحمد فحين بطلت حيلهم انهزموا وتبعهم العسكر فلما خرجوا الى طريق الواحات رأى أبو روح الطريق قد ملكت عليه فراسل يطلب الامان فبذل له وبطلت الحرب وكفى المسلمون شره وفيها توفي علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني وكان يسكن الحمان فنسب اليها وفيها قتل علي بن زيد صاحب الكوفة قتله صاحب الزنج وفيها كان بافريقية وبلاد المغرب والاندلس غلاء شديد وعم غيرها من البلاد وتبعه وباء وطاعون عظيم هلك فيه كثير من الناس وفيها توفي محمد بن ابراهيم بن عبدوس الفقيه المالكي صاحب المجموعة في الفقه وهو من أهل افريقية وفيها مات مالك بن طوق التغلبي بالرحبة وهو بناها واليه تنسب وفيها توفي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وفيها توفي أبو محمد العلوي العسكري وهو أحد الائمة الاثنى عشر على مذهب الامامية وهو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر بسرداب سامرا وكان مولده سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وفيها توفي أبو علي الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني الفقيه الشافعي وهو من أصحاب الشافعي البغداديين وفيها توفي حسين بن اسحق الحكيم الطبيب وهو الذي نقل كتب الحكماء اليونانيين الى العربية وكان عالما بها

ثم دخلت سنة احدى وستين ومائتين

(ذكر الحرب بين محمد بن واصل وابن مفلح)

وفيها تحارب ابن واصل وعبد الرحمن بن مفلح وطاشتمر وكان سبب ذلك ان ابن واصل كان قتل الحرث بن سيما وتغلب على فارس فاضاف المعتمد فارس الى موسى بن بغا والاهواز والبصرة والبحرين واليمامة مع ما كان اليه فوجه موسى عبد الرحمن بن مفلح وهو شاب عمره احدى وعشرون سنة الى الاهواز وولاه اياها مع فارس وأضاف اليه طاشتمر فلما علم ذلك ابن واصل وان ابن مفلح قد سار نحوه من الاهواز زحف اليه من فارس فالتقيا برامهرمز وانضم أبو داود الصعلوك الى ابن واصل فاقتتلوا فانهزم عبد الرحمن وأخذ أسيرا وقتل طاشتمر واصطلم عسكرهما وغنم ما فيه من الاموال والعدة وغير ذلك وأرسل الخليفة الى ابن واصل في اطلاق عبد الرحمن فلم يفعل وقتله وأظهر انه مات وسار ابن واصل من رامهرمز بعد هذه الوقعة مظهرا أنه يريد واسط لحرب موسى بن بغا فانتهى الى الاهواز وفيها ابراهيم بن سيما في جمع كثير فلما رأى موسى شدة الامر بهذه الناحية وكثرة المتغلبين عليها وانه يعجز عنهم سأل ان يعفى فاجيب الى ذلك

(ذكر ولاية أبي الساج الاهواز)

وفيها ولي أبو الساج الاهواز بعد مسير عبد الرحمن عنها الى فارس وأمر بمحاربة الزنج فسير صهره عبد الرحمن لمحاربة الزنج فلقيه علي بن أبان بناحية دولاب فقتل عبد الرحمن وانحاز أبو الساج الى

أفعل فلما غدا الحجاج على الوليد قال له يا أبا محمد سر الى أم البنين فسلم عليها فقال أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين فقال لا بد من ذلك فمضى الحجاج اليها فحجبته طويلا ثم أذنت له فاقرته قائما ولم تأذن له في الجلوس ثم قالت أيه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الاشعث أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة ولا بقتل ابن ذات النطاقين وأول مولود ولد في الاسلام وأما ابن الاشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بامير المؤمنين عبد الملك فاغاثك بأهل الشام وأنت في أضيق من القرن فأظلتك رماحهم وانجاك كفاحهم ولولا ذلك لكنت اذل من النقد وأما ما اشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فان كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما أحقه بالاخذ عنك والقبول منك وان كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فانه غير قابل منك ولا مصغ الى نصيحتك قاتل الله الشاعر وقد نظر اليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول

أسد علي وفي الحروب نعامة * فزماء تفزع من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جناحي طائر

ناحية

ناحية عسكر مكرم ودخل الزنج الاهواز فقتلوا أهلها وسبوا وأحرقوا ثم انصرف أبو الساج عما كان اليه من الاهواز وحرب الزنج وولاها ابراهيم بن سيما فلم يزل بها حتى انصرف عنها مع موسى ابن بغا وفيها ولى محمد بن أوس البلخي طريق خراسان

(ذكر عود الصفار الى فارس والحرب بينه وبين ابن واصل)

لما كان من الوقعة بين عبد الرحمن بن مفلح وبين ابن واصل ماذكرناه اتصل خبرهما الى يعقوب الصفار وهو بسجستان فتجدد طمعه في ملك بلاد فارس وأخذ الاموال والخزائن والسلاح التي غنمها ابن واصل من ابن مفلح فسار مجدا وبلغ ابن واصل خبر قربه منه وانه نزل البيضاء من أرض فارس وهو بالاهواز فعاد عنها لا يلوى على شئ وأرسل خاله أبا بلال مرداسا الى الصفار فوصل اليه وضمن له طاعة ابن واصل فارسل يعقوب الصفار الى ابن واصل كتبا ورسلا في المعنى فحبسهم ابن واصل وسار يطلب الصفار والرسل معه يريد ان يخفى خبره وان يصل الى الصفار بغتة لم يعلم به فينال منه غرضه ويوقع به فسار في يوم شديد الحر في أرض صعبة المسالك وهو يظن ان خبره قد خفى عن الصفار فلما كان الظهر تعبت دوابهم فنزلوا ليستريحوا فمات من أصحاب ابن واصل من الرجالة كثير جوعا وعطشا وبلغ خبرهم الصفار فجمع أصحابه وأعلمهم الخبر وسار وقال لابي بلال ان ابن واصل قد غدر بنا وحسبنا الله ونعم الوكيل ومضى الصفار الى ابن واصل فلما قاربهم وعلموا به انخذلوا وضعفت نفوسهم عن مقاومته ومقاتلته ولم يتقدموا خطوة فلما صار بين الفريقين رمية سهم انهزم أصحاب ابن واصل من غير قتال وتبعهم عسكر الصفار وأخذوا منهم جميع ما غنموه من ابن مفلح واستولى على بلاد فارس ورتب بها أصحابه وأصلح أحوالها ومضى ابن واصل منهزما فاخذ أمواله من قلعته وكانت أربعين ألف ألف درهم وأوقع يعقوب باهل زم لانهم أعانوا ابن واصل وحدث نفسه بالاستيلاء على الاهواز وغيرها

(ذكر تجهز أبي أحمد للمسير الى البصرة)

وفيها في شوّال جلس المعتمد في دار العامة فولى ابنه جعفرا العهد ولقبه المفوّض الى الله وضم اليه موسى بن بغا فولاه افريقية ومصر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية وطريق خراسان ومهرجانقذق وولى أخاه أبا أحمد العهد بعد جعفر ولقبه الناصر لدين الله الموفق وولاه المشرق وبغداد والسواد والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن وكسكر وكورد جلة والاهواز وفارس واصبهان وقم وكرج ودينور والري وزنجان والسند وعقد لكل واحد منهما لواءين أسود وأبيض وشرط ان حدث به الموت وجعفر لم يبلغ ان يكون الامر للموفق ثم لجعفر بعده وأخذت البيعة بذلك فعقد جعفر لموسى على المغرب وأمر الموفق ان يسير الى حرب الزنج فولى الموفق الاهواز والبصرة وكورد جلة مسرورا البلخي وسيره في مقدمته في ذي الحجة وعزم على المسير بعده فحدث من أمر يعقوب الصفار ما منعه عن المسير وسنذكره أوّل سنة اثنتين وستين ومائتين وفيها فارق محمد بن زيدويه يعقوب بن الليث وسار الى أبي الساج وأقام معه بالاهواز وخلع عليه المعتمد وسأل ان يوجه الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر الى خراسان وحج بالناس فيها الفضل بن اسحق بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ومات الحسن بن أبي الشوارب بمكة بعد ما حج

(ذكر ولاية نصر بن أحمد الساماني ما وراء النهر)

في هذه السنة استعمل نصر بن أحمد بن أسد بن سامان خداه بن جثمان بن طمغاث بن نوشرد بن

آخر جنة فى فدخل الى الوليد من فوره فقال يا أبا محمد ما كنت فيه فقال والله يا أمير المؤمنين ما سكنت حتى كان بطن الارض أحب الى من ظاهرها فضحك الوليد حتى فحص برجله ثم قال يا أبا محمد انها ابنت عبد العزيز ولأم البنين هذه أخبار كثيرة في الجود وغيره وقد أتينا على ذكرها في غير هذا الكتاب وفي سنة خمس وتسعين قبض على ابن الحسين بن على بن أبي طالب في ملك الوليد ودفن بالمدينة في بقيع الغرقد مع عمه الحسن بن على وهو ابن سبع وخمسين سنة ويقال انه قبض سنة أربع وتسعين وكان عقب الحسين من على بن الحسين وهو السجاد على ماذكرنا وذو الثفنات وزين العابدين (وذكر المدائني) قال دخل الوليد على أبيه عبد الملك عند وفاته فجعل يبكى عليه وقال كيف اصبح أمير المؤمنين فقال عبد الملك

ومشتغل عنا يريد بنا الردى ... ومستعبرات والعيون سواجع

أشار بالمصراع الاوّل الى الوليد ثم حوّل وجهه عنه وأشار بالمصراع الثاني الى نسائه وهن المستعبرات (وذكر العتبي) وغيره من الاخباريين ان عبد الملك لما سأله الوليد عن خبره وهو يجود بنفسه انشأ يقول

كم عائد رجلا وليس يعوده ... الا لينظر هل يراه يموت

وقيل ان عبد الملك نظر الى الوليد وهو يبكى عليه عند رأسه فقال يا هذا

أحنين الحمامة اذا أنامت فتمر ٩٣ واتزروا والبسوا جلد نمر وضع سيفك على عاتقك فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه ومن

بهرام جوبين بن بهرام خشنش وكان بهرام خشنش من الري فجعله كسرى هرمز بن أنوشروان مرزبان اذربيجان وقد تقدم ذكر بهرام جوبين عند ذكر كسرى هرمز ولما ولي المأمون خراسان واصطنع أولاد أسد بن سامان وهم نوح وأحمد ويحيى والياس بنو أسد بن سامان فقربهم ورفع منهم واستعملهم ورعى حق سلفهم فلما رجع المأمون الى العراق استخلف على خراسان غسان بن عباد فولى غسان نوح بن أسد في سنة أربع ومائتين سمرقند وأحمد بن أسد فرغانة ويحيى بن أسد الشاش وأشروسنة والياس بن أسد هراة فلما ولي طاهر بن الحسين خراسان ولاهم هذه الاعمال ثم توفي نوح بن أسد وأقر طاهر بن عبد الله أخويه على عمله يحيى وأحمد وكان أحمد بن أسد عفيف الطعمة مرضي السيرة لا يأخذ رشوة ولا أحد من أصحابه ففيه قيل أوفي ابنه نصر

ثوى ثلاثين حولا في ولايته * فجاع يوم ثوى في قبره حشمه

وكان الياس يلي هراة وله بها عقب وآثار كثيرة فاستقدمه عبد الله بن طاهر وكان رسمه فيمن يستقدمه ان يعد أيامه فابطأ الياس فكتب اليه بالمقام حيث يلقاه كتابه فبلغه الكتاب وقد سار عن بوشنج فأقام بها سنة تأديبا له ثم أذن له في القدوم عليه فلما مات الياس بهراة أقر عبد الله ابنه أبا اسحق محمد بن الياس على عمله فاقام بهراة وكان لاحمد بن أسد سبعة بنين وهم نصر وأبو يوسف يعقوب وأبو زكريا يحيى وأبو الاشعث أسد واسمعيل واسحق وأبو غانم حميد ولما توفي أحمد بن أسد استخلف ابنه نصرا على أعماله بسمرقند وما وراءها فبقي عاملا عليها الى آخر أيام الطاهرية وبعد زوال أمرهم الى ان مضى لسبيله وكان اسمعيل بن أحمد يخدم أخاه نصرا فولاه نصر بخارى سنة احدى وستين ومائتين ومعنى قول أبي جعفر وفي سنة احدى وستين ولي نصر بن أحمد ما وراء النهر انه ولاه من جانب الخليفة وانما كان يتولاه من قبل من عمال خراسان والا فالقوم تولوا قبل هذا التاريخ وكان سبب استعماله اسمعيل انه لما استولى يعقوب بن الليث على خراسان أنفذ نصر جيشا الى شط جيحون ليأمن عبور يعقوب فقتلوا مقدمهم ورجعوا الى بخارى فخافهم أحمد بن عمر نائب نصر على نفسه فتغيب عنهم فامّروا عليهم أباهاشم محمد بن المبشر بن رافع بن الليث بن نصر بن سيار ثم عزلوه وولوا أحمد بن محمد بن ليث والد ابي عبد الله بن جنيد ثم صرفوه وولوا الحسن ابن محمد من ولد عبدة بن حديد ثم صرفوه وبقيت بخارى بغير أمير فكتب رئيسها وفقيهها أبو عبد الله ابن أبي حفص الى نصر يسأله توجيه من يضبط بخارى فوجه أخاه اسمعيل ثم ان اسمعيل كاتب رافع بن هرثمة حين ولي خراسان فتعاقدا على التعاون والتعاضد فطلب منه اسمعيل أعمال خوارزم فولاه اياها وكان اسمعيل يؤمره في المكاتبة ثم سعت السعاة بين نصر واسمعيل فافسدوا ما بينهما فقصده نصر سنة اثنتين وسبعين ومائتين فارسل اسمعيل حمويه بن علي الى رافع بن هرثمة يستنجده فسار اليه في جيش كثيف فوافى بخارى قال حمويه ففكرت في نفسي وقلت ان ظفر اسمعيل بأخيه فما يؤمنني ان يقبض رافع على اسمعيل ويتغلب على ما وراء النهر وان لم يفعل ذلك وولي لاسمعيل فلا يزال اسمعيل معترفا بأنه فقيد رافع وجريحه ويحتاج ان يتصرف على أمره ونهيه فاجتمعت برافع خلوة وقلت له نصحتك واجبة علي وقد ظهر لي من نصر واسمعيل ما كان خفيا عني ولست آمنهما عليك والرأي ان لا تشاهد الحرب وتحملهما على الصلح فقبل ذلك فتصالحا وانصرف عنهما قال حمويه ثم انني اعلمت اسمعيل بعد ذلك الحال كيف كان فعذر رافعا في الزامه بالصلح واستصوب فعل حمويه وبقي نصر واسمعيل مدة ثم عادت السعاة ففسد ما بينهما حتى تحاربا سنة خمس وسبعين ومائتين فظفر اسمعيل باخيه نصر فلما حمل اليه ترجل له اسمعيل

سكت مات بدائه ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا فقال ان طويلك لقصير وان كثيرك لقليل وان كنا منك لفي غرور ثم أقبل على جميع ولده فقال أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية فالتقوى خير زاد وافضل في المعاد وهي أحصن كهف وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير مع سلامة الصدور والاخذ بجميل الامور واياكم والبغي والتحاسد فبهما هلك الملوك الماضون وذوو العز المكين يا بني أخوكم مسلمة نابكم الذي تفترون عنه ومجنكم الذي تستجنون به اصدروا عن رأيه وأكرموا الحجاج فانه الذي وطأ لكم هذا الامر كونوا أولادا أبرارا وفي الحروب أحرارا وللمعروف منارا وعليكم السلام وسأله بعض شيوخ بني أمية وقد فرغ من وصيته أولاده هذه كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال كما قال الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الى قوله ما كنتم تزعمون فكان هذا آخر كلام سمع منه فلما انقضى سعد الوليد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لم أر مثلها مصيبة ولا مثلها نعمة فقدت الخليفة وتقلدت

وقبل

وقبل يديه وردّه من موضعه الى سمرقند وتصرف على النيابة عنه ببخارى وكان اسمعيل خيرا يحب أهل العلم والدين ويكرمهم وببركتهم دام ملكه وملك أولاده وطالت أيامهم حكى أبو الفضل محمد ابن عبد الله البلعمى قال سمعت الامير أبا ابراهيم اسمعيل بن أحمد يقول كنت بسمرقند فجلست يوما للمظالم وجلس أخى اسحق الى جانبى فدخل أبو عبد الله محمد بن نصر الفقيه الشافعى فقمت له اجلالا لعلمه ودينه فلما خرج عاتبنى أخى اسحق وقال أنت أمير خراسان يدخل عليك رجل من رعيتك فتقوم له فتذهب السياسة بهذا قال فبت تلك الليلة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وكأنى واقف وأخى اسحق فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بعضدى فقال لى يا اسمعيل ثبت ملكك وملك بنيك لاجلالك لمحمد بن نصر ثم التفت الى اسحق وقال ذهب ملك اسحق وملك بنيه باستخفافه بمحمد بن نصر وكان هذا محمد بن نصر من العلماء بالفقه على مذهب الشافعى العاملين بعلمهم المصنفين فيه وسافر الى البلاد فى طلب العلم وأخذ العلم بمصر من أصحاب الشافعى يونس بن عبد الاعلى والربيع بن سليمان ومحمد بن عبد الله بن الحكم وصحب الحرث المحاسبى وأخذ عنه علم المعاملة وبرز فيه أيضا

(ذكر عصيان أهل برقة)

وفى هذه السنة عصى أهل برقة على أحمد بن طولون وأخرجوا أميرهم محمد بن الفرج الفرغانى فبعث ابن طولون جيشا عليهم غلامه لؤلؤ وأمره بالرفق بهم واستعمال اللين فان انقادوا والا السيف فسار العسكر حتى نزلوا على برقة وحصروا أهلها وفعلوا ما أمرهم من اللين فطمع أهل برقة وخرجوا يوما على بعض العسكر وهم نازلون على باب البلد فاوقعوا بهم وقتلوا منهم فارسل لؤلؤ الى صاحبه أحمد يعرفه الخبر فأمره بالجد فى قتالهم فنصب عليهم المجانيق وجدّ فى قتالهم وطلبوا الامان فامنهم ففتحوا له الباب فدخل البلد وقبض على جماعة من رؤسائهم وضربهم بالسياط وقطع أيدى بعضهم وأخذ معه جماعة منهم وعاد الى مصر واستعمل على برقة عاملا ولما وصل لؤلؤ الى مصر خلع عليه أحمد خلعة فيها طوقان فوضعها فى رقبته وطيف بالاسرى فى البلد

(ذكر ولاية ابراهيم بن أحمد افريقية)

فى هذه السنة توفى محمد بن أحمد بن الاغلب صاحب افريقية سادس جمادى الاولى وكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يوما ولما حضره الموت عقد لابنه أبى عقال العهد واستحلف أخاه ابراهيم لئلا ينازعه وأشهد عليه آل الاغلب ومشايخ القيروان وأمره أن يتولى الامر الى أن يكبر ولده فلما مات أتى أهل القيروان ابراهيم وسألوه ان يتولى أمرهم لحسن سيرته وعدله فلم يفعل ثم أجاب وانتقل الى قصر الامارة وباشر الامور وأقام فيها قياما مرضيا وكان عادلا حازما فى أموره آمن البلاد وقتل أهل البغى والفساد وكان يجلس للعدل فى جامع القيروان يوم الخميس والاثنين يسمع شكوى الخصوم ويصبر عليهم وينصف بينهم وكان القوافل والتجار يسيرون فى الطرق آمنين وبنى الحصون والمحارس على سواحل البحر حتى كان يوقد النار من سبتة فيصل الخبر الى الاسكندرية فى الليلة الواحدة وبنى على سوسة سورا وعزم على الحج فردّ المظالم وأظهر الزهد والنسك وعلم انه ان جعل طريقه الى مكة على مصر منعه صاحبها ابن طولون فتجرى بينهما حرب فيقتل المسلمون فجعل طريقه على جزيرة صقلية ليجمع بين الحج والجهاد ويفتح ما بقى من حصونها فأخرج جميع ما ادخره من المال والسلاح وغير ذلك وسار الى سوسة فدخلها وعليه فرو مرقع فى زى الزهاد أول سنة تسع وثمانين ومائتين وسار منها فى الاصطول الى صقلية وسار الى مدينة

الخلافة فانا لله وانا اليه راجعون على المصيبة والحمد لله رب العالمين على النعمة ثم دعا الناس الى بيعته فبايعوا ولم يختلف عليه أحد ومات فى أيام الوليد عبيد الله بن العباس ابن عبد المطلب وذلك فى سنة سبع وثمانين وكان جوادا كريما وذكر أن سائلا وقف عليه فقال تصدق بما رزقك الله فانى نبئت أن عبيد الله بن العباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر اليه فقال وأين أنا من عبيد الله قال له أين أنت فى الحسب أو فى كثرة المال قال فيهما جميعا قال ان الحسب فى الرجل مروءته وحسن فعله فاذا فعلت ذلك كنت حسيبا فاعطاه ألفى درهم واعتذر اليه فقال له السائل ان لم تكن عبيد الله فانت خير منه وان كنت هو فانت اليوم خير منك أمس فاعطاه ألفا أيضا فقال لئن كنت عبيد الله انك لاسمح أهل دهرك وما أخالك الا من رهط فيهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسألك بالله أنت هو قال نعم قال والله ما أخطأت الا باعتراض الشك بين جوانحى والا فهذه الصورة الجميلة والهيئة المنيرة لا تكون الا فى نبى أو عترة نبى وذكر أن معاوية وصله بخمسمائة ألف درهم ثم وجه له من يتعرف له خبره فانصرف اليه فاعلمه أنه قسمها فى عماره واخوانه حصصا بالسوية وأبقى لنفسه مثل نصيب أحدهم فقال معاوية ان ذلك ليسوءنى ويسرنى فأما الذى يسرنى فان

برطينو فافتكها سلخ رجب وأظهر العدل وأحسن الى الرعية وسار الى طبرمين فاستعد أهلها للقتال فلما وصل خرجوا اليه والتقوا فقرأ القارئ انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال الامير اقرأ هذان خصمان اختصموا في ربهم فقرأ فقال اللهم انى أختصم أنا والكفار اليك في هذا اليوم وحمل ومعه أهل البصائر فهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤا ودخلوا معهم المدينة عنوة فركب بعض من بها من الروم مراكب فهربوا فيها والتجأ بعضهم الى الحصن وأحاط بهم المسلمون وقاتلوهم فاستنزلوهم قهرا وغنموا أموالهم وسبوا ذراريهم وذلك لسبع بقين من شعبان وأمر بقتل المقاتلة وبيع السبي والغنيمة ولما اتصل الخبر بفتح طبرمين الى ملك الروم عظم عليه وبقي سبعة أيام لا يلبس التاج وقال لا يلبس التاج محزون وتحركت الروم وعزموا على المسير الى صقلية لمنعها من المسلمين فبلغهم انه سائر الى القسطنطينية فترك الملك بها عسكرا عظيما وسير جيشا كبيرا الى صقلية وأما الامير ابراهيم فانه لما ملك طبرمين بث السرايا في مدن صقلية التي بيد الروم وبعث سرية الى ميقش وسرية الى دمنش فوجدوا أهلها قد أجلوا عنها فغنموا ما وجدوا بها وبعث طائفة الى رمطة وطائفة الى الباج فاذعن القوم جميعا الى أداء الجزية فلم يجبهم الى ذلك ولم يقبل منهم غير تسليم الحصون ففعلوا فهدمها وسار الى كسنتة فجاءته الرسل منها يطلبون الامان فلم يجبهم وكان قد ابتدأ به المرض وهو علة الذرب فنزلت العساكر على المدينة فلم يجدوا في قتالها لغيبة الامير عنهم فانه نزل منفردا لشدة مرضه وامتنع منه النوم وحدث به الفواق وتوفي ليلة السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين فاجتمع أهل الرأي من العسكر أن يولوا أمرهم أبا مضر بن أبي العباس عبد الله ليحفظ العساكر والاموال والخزائن الى ان يصل الى ابنه بافريقية وحملوا الامير ابراهيم في تابوت وحملوه الى افريقية ودفنوه بالقيروان رحمه الله وكانت ولايته خمسا وعشرين سنة وكان عاقلا حسن السيرة محبا للخير والاحسان تصدق بجميع ما يملك ووقف أملاكه جميعها وكان له فطنة عظيمة باظهار خفايا المعملات فمن ذلك ان تاجرا من أهل القيروان كانت له امرأة جميلة صالحة عفيفة فاتصل خبرها بوزير الامير ابراهيم فارسل اليها فلم تجبه فاشتد غرامه بها وشكا حاله الى عجوز كانت تغشاه وكانت أيضا لها من الامير منزلة ومن والدته منزلة كبيرة وهي موصوفة عندهم بالصلاح يتبركون بها ويسألونها الدعاء فقالت للوزير أنا أتلطف بها واجمع بينكما وراحت الى بيت المرأة فقرعت الباب وقالت قد أصاب ثوبي نجاسة أريد تطهيرها فخرجت المرأة ولقيتها فرحبت بها وأدخلتها وطهرت ثوبها وقامت العجوز تصلي فعرضت المرأة عليها الطعام فقالت انى صائمة ولا بد من التردد اليك ثم صارت تغشاها ثم قالت لها عندي يتيمة أريد أن أحملها الى زوجها فان خف عليك اعارة حليك أجملها به فعلت فأحضرت جميع حليها وسلمته اليها فأخذته العجوز وانصرفت وغابت أياما وجاءت اليها فقالت لها أين الحلي فقالت هو عند الوزير عبرت عليه وهو معي فأخذه مني وقال لا يسلمه الا اليك فتنازعتا وخرجت العجوز وجاء التاجر زوج المرأة فأخبرته الخبر فحضر دار الامير ابراهيم وأخبره بالخبر فدخل الامير الى والدته وسألها عن العجوز فقالت هي تدعو لك فأمر باحضارها ليتبرك بها فأحضرتها والدته فلما رآها أكرمها وأقبل عليها وانبسط معها ثم انه أخذ خاتما من اصبعها وجعل يقلبه ويعبث به ثم انه أحضر خصيا له وقال له انطلق الى بيت العجوز وقل لابنتها تسلم الحق الذي فيه الحلي وصفته كذا وهو كذا وكذا وهذا الخاتم علامة منها فمضى الخادم وأحضر الحق فقال للعجوز ما هذا فلما رأت الحق سقط في يدها وقتلها ودفنها في الدار وأعطى الحق لصاحبه وأضاف اليه شيأ آخر وقال له أما

عبد مناف والده وأما الذي يسوءنى فقرابته من أبي تراب (قال المسعودي) وقد قدمنا خبر مقتل ابني عبيد الله فيما سلف من هذا الكتاب وهما عبد الرحمن وقثم ومارثتهما به أمهما أم حكيم جويرية بنت قارظ بن خالد الكنانية وقد كان عبيد الله بن العباس دخل يوما على معاوية وعنده قاتلهما بسر بن أرطاة العامري فقال له عبيد الله أيها الشيخ أنت قاتل الصبيين قال نعم قال والله لوددت أن الارض أنبتتني عندك يومئذ فقال له بسر فقد أنبتتك الساعة فقال عبيد الله ألا سيف فقال بسر هاك سيفي فلما هوى عبيد الله الى السيف ليتناوله قبض معاوية ومن حضره على يد عبيد الله قبل أن يقبض على السيف ثم أقبل معاوية على بسر فقال أخزاك الله من شيخ قد كبرت وذهل عقلك تعمد الى رجل موتور من بني هاشم فتدفع اليه سيفك انك لغافل عن قلوب بني هاشم والله لو تمكن من السيف لبدأ بنا قبلك قال عبيد الله ذلك والله أردت (وكان علي" عليه السلام) حين أتاه خبر قتل بسر لابني عبيد الله قثم وعبد الرحمن دعا على بسر فقال اللهم اسلبه دينه وعقله فخرف الشيخ حتى ذهل عقله واشتهر بالسيف فكان لا يفارقه فجعل له سيف من خشب وجعل في يديه زق منفوخ كل ما تخرق أبدل فلم يزل يضرب ذلك الزق بذلك السيف

الوزير

الوزير فان انتقمت منه الآن ينكشف الامر ولكن سأجعل له ذنبا آخذه به فتركه مدة يسيرة وجعل له جرما آخذه به فقتله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة استعمل المعتمد على الله الخليفة على اذربيجان محمد بن عمر بن علي بن مر الطائي الموصلي فسار اليها وجمع معه جموعا كثيرة من خوارج وغيرهم وكان على اذربيجان العلاء بن أحمد الازدي وهو مفلوج فخرج في محفة ليمنع محمد بن عمر فقاتله فانهزم عسكر العلاء وأخذ أسيرا واستولى محمد بن عمر بن علي على قلعة العلاء وأخذ منها ثلاثة آلاف ألف درهم ومات العلاء في يده وفيها استعمل المعتمد على الله على الموصل الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطاب التغلبي الموصلي وفيها رجع الحسن بن زيد الى طبرستان وأحرق شالوس لممالأة أهلها ليعقوب وأقطع ضياعهم للديالمة وفيها أمر المعتمد بجمع حاج خراسان والري وطبرستان وجرجان وأعلمهم أنه لم يول يعقوب خراسان ولم يمكن دخوله خراسان وأمره محمد بن طاهر بأمره وفيها قتل مساور الشاري يحيى بن جعفر الذي كان يلي خراسان فسار مسرور البلخي في طلبه وتبعه أبو أحمد وهو الموفق بن المتوكل فسار مساور من بين أيديهما فلم يدركاه وفيها هرب ابن مروان الجليقي من قرطبة فقصد قلعة الحنش فملكها وامتنع بها فسار اليه محمد صاحب الاندلس فحصره ثلاثة أشهر فضاق به الامر حتى أكل دوابه فطلب الامان فامنه محمد فسار الى مدينة بطليوس وفيها عصى أهل تاكرنا مع أسد بن الحرث بن رفيع فغزاهم جيش محمد صاحب الاندلس وقاتلهم فعادوا الى الطاعة وفيها توفي أبو هاشم داود بن سليمان الجعفري والحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قاضي القضاة وكان موته في رمضان وأبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري صاحب الصحيح وعبد العزيز بن حيان الموصلي وكان كثير الحديث والنضر بن الحسن الفقيه الحنفي وكان من الموصل أيضا

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين﴾

﴿ذكر الحرب بين الموفق والصفار﴾

في هذه السنة في المحرم سار الصفار من فارس الى الاهواز فلما بلغ المعتمد اقباله أرسل اليه اسمعيل ابن اسحق وبغراج وأطلق من كان في حبسه من أصحاب يعقوب فانه كان حبسهم لما أخذ يعقوب محمد بن طاهر بن الحسين وعاد اسمعيل برسالة من عند يعقوب فجلس أبو أحمد ببغداد وكان قد أخر مسيره الى الزنج لما يبلغه من خبر يعقوب وأحضر التجار وأخبرهم بتولية يعقوب خراسان وجرجان وطبرستان والري وفارس والشرطة ببغداد وكان بحضرته درهم صاحب يعقوب كان يعقوب قد أرسله يطلب لنفسه ما ذكرناه وأعاده أبو أحمد الى يعقوب ومعه عمر بن سيما بما أضيف اليه من الولايات فعاد الرسل من عند يعقوب يقولون انه لا يرضيه ما كتب به دون ان يسير الى باب المعتمد وارتحل يعقوب من عسكر مكرم وسار اليه أبو الساج وصار معه فاكرمه وأحسن اليه ووصله فلما سمع المعتمد رسالة يعقوب خرج من سامرا في عساكره وسار الى بغداد ثم الى الزعفرانية فنزلها وقدم أخاه الموفق وسار يعقوب من عسكر مكرم الى واسط فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة وارتحل المعتمد من الزعفرانية الى سيب بني كوما فوافاه هناك مسرور البلخي عائدا من الوجه الذي كان فيه وسار يعقوب من واسط الى دير العاقول وسير المعتمد أخاه الموفق في العساكر لمحاربة يعقوب فجعل الموفق على ميمنته موسى بن بغا وعلى ميسرته مسرورا

حتى مات ذا أهل العقل يلعب بخرئه وربما كان يتناول منه ثم يقبل على من يراه فيقول انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان يعني عبيد الله وكان ربما شدت يداه الى وراءه منعا من ذلك فأتى ذات يوم في مكانه ثم أهوى بفيه فتناول منه فبادروا الى منعه فقال أنتم تمنعوني وعبد الرحمن وقثم يطعماني ومات بشر في أيام الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين وفيها مات عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي وعتبة مهاجر وهو أخو عبد الله بن مسعود ابن غافل بن حبيب بن شمخ ابن مخزوم بن صبح بن كاهل ابن الحرث بن تميم بن سعد ابن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وكانت الرياسة في الجاهلية في صبح بن كاهل بن الحرث ابن تميم بن سعد بن هذيل وكان ولد عبد الله بن عتبة عبيد الله من كبار أهل العلم ذكر ابن أبي خيثمة قال سمعت ابن الاصبهاني يقول قال سفيان قال الزهري كنت أظن اني نلت من العلم حتى جالست عبيد الله بن عبد الله فكأنما هو البحر وفي سنة أربع وتسعين قتل الحجاج سعيد بن جبير فذكر عون بن أبي راشد العبدي قال لما ظفر الحجاج بسعيد ابن جبير وأوصل اليه قال له ما اسمك قال اسمي سعيد بن جبير قال بل شقي ابن كسير قال أبي كان أعلم باسمي منك قال لقد شقيت وشقي أبوك قال له الغيب انما يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا تلظى قال لو علمت أن ذلك بيدك

البلخى وقام هو فى القلب والتقيا فحملت ميسرة يعقوب على ميمنة الموفق فهزمتها وقتلت منها جماعة من قوادهم منهم ابراهيم بن سيما وغيره ثم تراجع المنهزمون وكشف أبو أحمد الموفق رأسه وقال أنا الغلام الهاشمى وحمل وحمل معه سائر عسكره على عسكر يعقوب فثبتوا وتحاربوا حربا شديدة وقتل من أصحاب يعقوب جماعة منهم الحسن الدرهمى وأصابت يعقوب ثلاثة أسهم فى حلقه ويديه ولم تزل الحرب الى آخر وقت العصر ثم وافى أبا أحمد الموفق الديرانى ومحمد بن أوس فاجتمع جميع من بقى فى عسكره وقد ظهر من أصحاب يعقوب كراهة للقتال معه اذ رأوا الخليفة يقاتله فحملوا على يعقوب ومن قد ثبت معه للقتال فانهزم أصحاب يعقوب وثبت يعقوب فى خاصة أصحابه حتى مضوا وفارقوا موضع الحرب وتبعهم أصحاب الموفق فغنموا ما فى عسكرهم وكان فيه من الدواب والبغال أكثر من عشرة آلاف ومن الاموال ما يكل عن حمله ومن جرب المسك أمر عظيم وتخلص محمد بن طاهر وكان مثقلا بالحديد وخلع عليه الموفق وولاه الشرطة ببغداد بعد ذلك وسار يعقوب من الهزيمة الى خوزستان فنزل جند يسابور وراسله العلوى البصرى يحثه على الرجوع الى بغداد ويعده المساعدة فقال لكاتبه اكتب اليه قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون السورة وسير الكتاب اليه وكانت الوقعة لاحدى عشرة خلت من رجب وكتب المعتمد الى ابن واصل بتولية فارس وكان قد سار اليها وجمع جماعة فغلب عليها فسير اليه يعقوب عسكرا عظيما عليهم ابن عزيز بن السرى الى فارس واستولى عليها ورجع المعتمد الى سامرا وأما أبو أحمد الموفق فانه سار الى واسط ليتبع الصفار وأمر أصحابه بالتجهز لذلك فاصابه مرض فعاد الى بغداد ومعه مسرور وقبض مالابى الساج من الضياع والمنازل وأقطعها مسرورا البلخى وقدم محمد بن طاهر بغداد

﴿ذكر أخبار الزنج﴾

وفيها انفذ قائد الزنج جيوشه الى ناحية البطيحة ودست ميسان وكان سبب ذلك ان تلك النواحى لما خلت من العساكر السلطانية بسبب عود مسرور لحرب يعقوب بث صاحب الزنج سراياه فيها تنهب وتخرب وأتته الاخبار بخلو البطيحة من جند السلطان فأمر سليمان بن جامع وجماعة من أصحابه بالمسير الى الحوانيت وسليمان بن موسى بالمسير الى القادسية وقدم ابن التركى فى ثلاثين شذاة يريد عسكر الزنج فنهب وأحرق فكتب الخبيث الى سليمان بن موسى يأمره بمنعه من العبور فاخذ سليمان عليه الطريق فقاتلهم شهرا حتى تخلص وانحاز الى سليمان بن جامع من مذكورى البلالية وانجادهم جمع كثير فى خمسين ومائة سميرية وكان مسرور قد وجه قبل مسيره عن واسط الى المعتمد جماعة من أصحابه الى سليمان فى شذاوات فظفر بهم سليمان وهزمهم وأخذ منهم سبع شذاوات وقتل من أسر منهم وأشار الباهليون على سليمان ان يتحصن فى عقرما وراء بطهثا والادغال التى فيها وكرهوا خروجه عنهم لموافقته فى فعله وخافوا السلطان فسار اليه فنزل بقرية مروان بالجانب الشرقى من نهر طهثا وجمع اليه رؤساء الباهليين وكتب الى الخبيث يعلمه بما صنع فكتب اليه يصوب رأيه ويأمره بانفاذ ما عنده من ميرة ونعم فأنفذ ذلك اليه وورد على سليمان ان اغرتمش وحشيشا قد أقبلا فى الخيل والرجال والسميريات والشذاوات يريدون حربه فجزع جزعا شديدا فلما أشرفوا عليه ورآهم أخذ جمعا من أصحابه وسار راجلا واستدبر اغرتمش وجد اغرتمش فى المسير الى عسكر سليمان وكان سليمان قد أمر الذى استخلفه من جيشه ان لا يظهر منهم أحد لاصحاب اغرتمش وان يخفوا أنفسهم ما قدروا الى ان يسمعوا أصوات طبولهم فاذا سمعوها

خرجوا

ما اتخذت الها غيرك قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فاختر أى قتلة تريد أن أقتلك قال بل اختر يا شقى لنفسك فوالله ما تقتلنى اليوم بقتلة الا قتلتك فى الآخرة بمثلها فامر به الحجاج فأخرج ليقتل فلما ولى ضحك فامر الحجاج برده وسأله عن ضحكه فقال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك فامر به فذبح فلما كب لوجهه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الحجاج غير مؤمن بالله ثم قال اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدى فذبح واحتز رأسه ولم يعش الحجاج بعده الا خمس عشرة ليلة حتى وقعت فى جوفه الاكلة فمات من ذلك ويروى انه كان يقول بعد قتل سعيد ياقوم مالى ولسعيد ابن جبير كلما عزمت على النوم أخذ بحلقى واشتكى الوليد فبلغه عن أخيه سليمان تمنٍّ لموته لماله من العهد بعده فكتب اليه الوليد يعتب عليه الذى بلغه وكتب فى كتابه هذه الابيات

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد
لعل الذى يرجو فنائى ويدعى * به قبل موتى أن يكون هو الردى
فما موت من قد مات قبلى بضائرى * ولا عيش من قد عاش بعدى بمخلد
فقل للذى يرجو خلاف الذى مضى * تزود لأخرى غيرها فكأن قد

خرجوا عليه وأقبل اغرتمش اليهم فجزع أصحاب سليمان جزعا عظيما فتفرقوا ونهض شرذمة منهم دواقموهم وشغلوهم عن دخول العسكر وعاد سليمان من خلفهم وضرب طبوله وألقوا أنفسهم فى الماء للعبور اليهم فانهزم اغرتمش وظهر من كان من السودان بطهثا ووضعوا السيوف فيهم وقتل حشيش وانهزم اغرتمش وتبعه الزنوج الى عسكره فنالوا حاجاتهم منه وأخذوا منهم شذاوات فيها مال وغيره فعاد اغرتمش فانتزعها من أيديهم فعاد سليمان وقد ظفر وغنم وكتب الى صاحب الزنج بالخبر وسير اليه رأس حشيش فسيره الى على بن ابان وهو بنواحى الاهواز وسير سليمان سرية فظفروا باحدى عشرة شذاوة وقتلوا أصحابها

(ذكر وقعة للزنج عظيمة انهزموا فيها)

وفيها كانت وقعة للزنوج مع أحمد بن ليثويه وكان سببها ان مسرورا البلخى وجه أحمد بن ليثويه الى كور الاهواز فنزل السوس وكان يعقوب الصفار قد قلد محمد بن عبيد الله بن هزارمرد الكردى كور الاهواز فكاتب محمد قائد الزنج يطمعه فى الميل اليه وأوهمه انه يتولى له كور الاهواز وكان محمد يكاتبه قديما وعزم على مداراة الصفار وقائد الزنج حتى يستقيم له الامر فيها فكاتبه صاحب الزنج يجيبه الى ماطلب على ان يكون على بن ابان المتولى للبلاد ومحمد بن عبيد الله يخلفه عليها فقبل محمد ذلك فوجه اليه على بن ابان جيشا كثيرا وأمدهم محمد بن عبيد الله فساروا نحو السوس فمنعهم أحمد بن ليثويه ومن معه من جند الخليفة عنها وقاتلهم فقتل منهم خلقا كثيرا وأسر جماعة وسار أحمد حتى نزل سابور وسار على بن ابان من الاهواز ممدا محمد بن عبيد الله على أحمد بن ليثويه فلقيه محمد فى جيش كثير من الاكراد والصعاليك ودخل محمد تستر فانتهى الى أحمد بن ليثويه الخبر بتظاهرهما على قتاله فخرج عن جنديسابور الى السوس وكان محمد قد وعد على بن ابان ان يخطب لصاحبه قائد الزنج يوم الجمعة على منبر تستر فلما كان يوم الجمعة خطب للمعتمد وللصفار فلما علم على ابن ابان ذلك انصرف الى الاهواز وهدم قنطرة كانت هناك لئلا يلحقه الخيل فانتهى أصحاب على الى عسكر مكرم فنهبوها وكانت داخلة فى سلم الخبيث فغدروا بها وسار والى الاهواز فلما علم أحمد ذلك أقبل الى تستر فواقع محمد بن عبيد الله ومن معه فانهزم محمد بن عبيد الله ودخل أحمد تستر وأتت الاخبار على بن ابان بان أحمد على قصدك فسار الى لقائه ومحاربته فالتقيا واقتتل العسكران فاستأمن جماعة من الاعراب الى أحمد من الاعراب الذين مع على بن ابان فانهزم باقى أصحاب على وثبت معه جماعة يسيرة واشتد القتال وترجل على بن ابان وباشر القتال راجلا فعرفه بعض أصحاب أحمد فانذر الناس به فلما عرفوه انصرف هاربا وألقى نفسه فى المسرقان فأتاه بعض أصحابه بسميرية فركب فيها ونجا مجروحا وقتل من أبطال أصحابه جماعة كثيرة

(ذكر أخبار أحمد بن عبد الله الخجستانى)

كان أحمد بن عبد الله الخجستانى من خجستان وهى من جبال هراة من اعمال باذغيس وكان من أصحاب محمد بن طاهر فلما استولى يعقوب بن الليث على نيسابور على ماذكرناه ضم أحمد اليه والى أخيه على بن الليث وكان بنو شركب ثلاثة اخوة ابراهيم وأبو حفص يعمر وأبو طلحة منصور بنو مسلم وكان أسنهم ابراهيم وكان قد أبلى بين يدى يعقوب عند مواقعة الحسن بن زيد بجرجان وقدمه فدخل عليه يوما نيسابور وهو يوم فيه برد شديد فخلع عليه يعقوب وبر سمور كان على كتفه فحسده عليه الخجستانى فقال له ان يعقوب يريد الغدر بك لانه لايخلع على أحد من خاصته خلعة الاغدر به فغم ذلك ابراهيم وقال كيف الحيلة فى الخلاص قال الحيلة ان نهرب جميعا الى أخيك يعمر فانى

منيته تجرى لوقت وحتفه * سيلحقه يوما على غير موعد فاجابه سليمان فهمت ما قال أمير المؤمنين ووالله لئن كنت غنيت ذلك لما يخطر بالبال انى لاول لاحق به ومنعى الى أهله فعلام أتمنى زوال مدة لايلبث متمنيها الا بقدر ما تحل السفر بمنزل ثم يظعنون عنه وقد بلغ أمير المؤمنين مالم يطهر من لفظى ولا يرى من لحظى ومتى سمع أمير المؤمنين من اهل النميمة ومن ليست له روية أوشك أن يسرع فى فساد النيات ويقطع بين ذوى الارحام والقرابات وكتب فى أسفل الكتاب

ومن لايغمض عينه عن صديقه
وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة
يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد ما أحسن ما اعتذرت به وحذوت عليه وأنت الصادق فى المقال والكامل فى الفعال وما شئ أشبه بك من اعتذارك ولا ابعد مما قيل فيك والسلام وكان الوليد متحننا على اخوته مراعيا لسائر ما أوصاه به عبد الملك وكان كثير الانشاد لابيات قالها عبد الملك حين كتب وصيته منها

انفوا الضغائن عنكم وعليكم
عند المغيب وفى حضور المشهد

خائف عليه أيضا وكان يعمر قد حاصر أبا داود الناهجوزى ببلخ ومعه نحو من خمسة آلاف رجل فاتفقا على الخروج ليلاتهم فسبقه ابراهيم الى الموعد فانتظره ساعة فلم يره فسار نحو سرخس وذهب الخجستانى الى يعقوب فاعلمه فارسله فى أثره فلحقوه بسرخس فقتلوه ومال يعقوب الى الخجستانى فلما أراد يعقوب العود الى سجستان استخلف على نيسابور عزيز بن السرى وولى أخاه عمرو بن الليث هراة فاستخلف عمرو عليها طاهر بن حفص الباذغيسى وسار يعقوب الى سجستان سنة احدى وستين ومائتين وأحب الخجستانى التخلف لما كان يحدث به نفسه فقال لعلى بن الليث ان أخويك قد اقتسما خراسان وليس لك بها من يقوم بشغلك فيجب ان تردنى اليها لاقوم بامورك فاستأذن أخاه يعقوب فى ذلك فأذن له فلما حضر أحمد يودع يعقوب أحسن له القول وردّه وخلع عليه فلما ولى عنه قال يعقوب أشهد ان قفاه قفاه مستعص وان هذا آخر عهدنا بطاعته فلما فارقهم جمع نحوا من مائة رجل فورد بهم بشت نيسابور فحارب عاملها وأخرجه عنها وجباها ثم خرج الى قومس فقتل ببسطام مقتلة عظيمة وتغلب عليها وذلك سنة احدى وستين ومائتين وسار الى نيسابور وبها عزيز بن السرى فهرب عزيز وأخذ أحمد اثقاله واستولى على نيسابور ويدعو الى الطاهرية وذلك أوّل سنة اثنتين وستين ومائتين وكتب الى رافع بن هرثمة يستقدمه فقدم عليه فجعله صاحب جيشه وكتب الى يعمر بن شركب وهو يحاصر بلخ يستقدمه ليتفقا على تلك البلاد فلم يثق اليه يعمر لفعله باخيه وسار يعمر الى هراة فحارب طاهر بن حفص وقتله واستولى على اعمال طاهر فسار اليه أحمد فكانت بينهم امنا وشات وكان أبو طلحة بن شركب غلاما من أحسن الغلمان وكان عبد الله بن بلال يميل اليه وهو أحد قوّاد يعمر فراسل الخجستانى وأعلمه انه يعمل ضيافة ليعمر وقوّاده ويدعوهم اليه يوماذكره ويأمره بالنهوض اليهم فيه فانه يساعده وشرط عليه أن يسلم اليه أبا طلحة فاجابه أحمد الى ذلك فصنع ابن بلال طعاما ودعا يعمر وأصحابه وكبسهم أحمد وقبض على يعمر وسيره الى نائبه بنيسابور فقتله واجتمع الى أبى طلحة جماعة من أصحاب أخيه فقتلوا ابن بلال وساروا الى نيسابور وكان بها الحسين بن طاهر أخو محمد ابن طاهر قد وردها من اصبهان طمعا أن يخطب لهم أحمد كما كان يظهره من نفسه فلم يفعل فخطب له أبو طلحة بها وأقام معه فسار اليه الخجستانى من هراة فى اثنى عشر ألف عنان فأقام على ثلاثة مراحل من نيسابور ووجه أخاه العباس اليها فخرج اليه أبو طلحة فقاتله فقتل العباس وانهزم أصحابه فلما بلغ خبرهم الى أحمد عاد الى هراة ولم يعلم لاخيه خبرا فبذل الاموال لمن يأتيه بخبره فلم يقدم أحد على ذلك وأجابه رافع بن هرثمة اليه فاستأمن الى أبى طلحة فامنه وقربه ووثق اليه وتحقق رافع خبر العباس فأنهاه الى أخيه أحمد وأنفذه أبو طلحة الى بيهق وبست ليجبى أموالهما لنفسه وضم اليه قائدين فجبى رافع الاموال وقبض على القائدين وسار الى الخجستانى الى قرية من قرى خواف فنزلها وبها على بن يحيى الخارجى فنزل ناحية عنه فبلغ الخبر الى أبى طلحة فركب مجدا فوصل اليهم ليلا فاوقع بعلى وأصحابه وهو يظنه رافعا وهرب رافع سالما وعلم أبو طلحة بحال على بعد حرب شديدة فكف عنه وأحسن اليه والى أصحابه ثم وجه أبو طلحة جيشا الى جرجان وبها ثابت بن الحسن بن زيد ومعه الديلم وكان على جيش أبى طلحة اسحق الشارى فحاربوا الديلم بجرجان وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأجلوهم عنها وذلك فى رجب سنة ثلاث وستين ومائتين ثم عصى اسحق على أبى طلحة فسار اليه أبو طلحة واشتغل فى طريقه باللهو والصيد فكبسه اسحق وقتل أصحابه وانهزم أبو طلحة الى نيسابور فاستضعفه أهلها فاخرجوه منها فنزل على فرسخ عنها وجمع

بصلاح ذات البين طول بقائكم * أن مدّ فى عمرى وان لم يمدد فلمثل ريب الدهر ألف بينكم * بتواصل وترحم وتودّد

حتى تلين جلودكم وقلوبكم
بمسوّد منكم وغير مسوّد
ان القداح اذا اجتمعن فرامها
بالكسر ذو حنق وبطش باليد
عزت فلم تكسر وان هى بدّدت
فالوهن والتكسير للمتبدّد

وكان عبد الملك مواظبا على حث أولاده على اصطناع المعروف وبعثهم على مكارم الاخلاق وقال لهم يابنى عبد الملك أحسابكم أحسابكم صونوها ببذل أموالكم فما يبالى رجل ماقيل فيه من الهجو بعد قول الاعشى

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ومايبالى قوم ماقيل فيهم من المدح بعد قول زهير

على مكثريهم حق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

(حدث) عبد الله بن اسحق ابن سلام عن محمد بن حبيب قال صعد الوليد المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ماهذا قيل البيعة فامر بهدمها وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب اليه الاحزم ملك الروم ان هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك فان يكونوا أصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد أخطؤا فقال من يجيبه فقال الفرزدق

جمعا وحاربهم ثم افتعل كتابا عن أهل نيسابور الى اسحق يستقدمونه اليهم ويعدونه المساعدة
على أبي طلحة فاغتر اسحق بذلك وكتب أبو طلحة عن اسحق كتابا الى أهل نيسابور يعدهم انه
يساعدهم على أبي طلحة ويأمرهم بحفظ الدروب وترك مقاربة البلد الى أن يوافيهم فاغتروا
بذلك وظنوه كتابه ففعلوا ما أمرهم وسار اسحق مجدا فلما قارب نيسابور لقيه أبو طلحة فعافصه
فطعنه أبو طلحة فألقاه عن فرسه في بئر هناك فلم يعلم له خبر وانهزم أصحابه ودخل بعضهم الى
نيسابور وضيق عليهم أبو طلحة فكاتبوا الخجستاني واستقدموه من هراة فأتاهم في يومين
وليلتين وورد عليهم ليلا ففتحوا له الابواب ودخلها وسار عنها أبو طلحة الى الحسن بن زيد فأمده
بجنود فعاد الى نيسابور فلم يظفر بشئ فسار الى بلخ وحصر أباداود الناهجوزي واجتمع معه خلق
كثير وذلك سنة خمس وقيل ست وستين ومائتين وسار الخجستاني الى محاربة الحسن بن زيد
لمساعدته أبا طلحة فاستعان الحسن باهل جرجان فاعانوه فحاربهم الخجستاني فهزمهم وأغار عليهم
وجباهم أربعة آلاف ألف درهم وذلك في رمضان سنة خمس وستين واتفق ان يعقوب بن الليث
توفي سنة خمس وستين أيضا وولي مكانه أخوه عمرو فعاد الى سجستان وقصد هراة فعاد الخجستاني
من جرجان الى نيسابور ووافاه عمرو بن الليث فاقتتلا وانهزم عمرو ورجع الى هراة وأقام أحمد
بنيسابور وكان كيكان وهو يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي وجماعة من المتطوعة والفقهاء بنيسابور
يميلون الى عمرو لتولية السلطان اياه فرأى الخجستاني ان يوقع بينهم ليشتغل بعضهم ببعض
وأحضر منهم جماعة من الفقهاء القائلين بمذاهب أهل العراق فاحسن اليهم وقربهم وأكرمهم
وأظهروا الخلاف على كيكان ونابذوه وكان كيكان يقول بمذهب أهل المدينة فكفي شرهم
وسار الى هراة فحصر بها عمرو بن الليث سنة سبع وستين فلم يظفر بشئ فسار نحو سجستان فحصر
في طريقه رمل سي فلم يظفر بشئ منها فاحتال حتى استمال رجلا قطانا كانت داره الى جانب
السور ووعده ان ينقب الى العسكر من داره ويخرج أصحابه الى البلد فاستأمن رجلان الى البلد
من أصحاب الخجستاني وذكرا الخبر لصاحبه فاخذ القطان وأخربت داره وبطل ما كان
الخجستاني عزم عليه وكان خليفة الخجستاني بنيسابور قد أساء السيرة وقوى العيارين وأهل
الفساد فاجتمع الناس الى كيكان فثار على نائبه وأعانهم عمرو بن الليث بجنده فقبضوا على خليفة
الخجستاني وأقام أصحاب عمرو بنيسابور فبلغ الخبر الى أحمد فوافى نيسابور فخرج عنها كيكان
وغيره فردهم أصحاب أحمد الخجستاني فقتل منهم جماعة وغيب كيكان فلم يظهر الا بعد مدة ميتا
وقد بني عليه حائط افات فيه وأقام أحمد بنيسابور تمام سنة سبع وستين ومائتين ثم ان عمرا كاتب
أبا طلحة وهو يحاصر بلخ يستقدمه الى هراة فأتاه فاكرمه وأعطاه مالا عظيما ووعده وتركه
بخراسان وعاد الى سجستان فسار أحمد الى سرخس وبها عامل عمرو فأتاه أبو طلحة فقاتله فانهزم
أبو طلحة ومر على وجهه وسار أحمد خلفه فلحقه بجلم فحاربه فهزمه أيضا وسار نحو سجستان وأقام
أحمد بطخارستان وكان ناسرار عباس القطان قد أتى طلحة فسار نحو نيسابور فاعانه أهلها فاخذوا
والدة الخجستاني وما كان معها وأقام بنيسابور ولحق به أبو طلحة فمنعه أهل نيسابور من دخولها
واتصل الخبر بالخجستاني وهو بطايكان من طخارستان فسار مجدا نحو نيسابور ولما أيس
الطاهرية من الخجستاني وكان أحمد بن محمد بن طاهر بخوارزم واليا عليها فانفذ أبا العباس
النوفلي في خمسة آلاف رجل ليخرج أحمد من نيسابور فبلغ خبره أحمد فارسل اليه ينهاه عن سفك
الدماء فاخذ النوفلي الرسل فامر بضربهم وحلق لحاهم وأراد قتلهم فبينما هم يطلبون الجلادين

يكتب اليه وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا
حكما وعلما ومات الحجاج في
سنة خمس وتسعين وهو
ابن أربع وخمسين سنة
بواسط العراق وكان
تأمره على الناس عشرين
سنة وأحصي من قتله
صبرا سوى من قتل في
عساكره وحروبه فوجد
مائة وعشرين ألفا ومات
وفي حبسه خمسون ألف
رجل وثلاثون ألف امرأة
منهن ستة عشر ألفا مجردة
وكان يحبس النساء
والرجال في موضع واحد
ولم يكن للحبس ستر يستر
الناس من الشمس في
الصيف ولا من المطر
والبرد في الشتاء وكان له
غير ذلك من العذاب ما أتينا
على وصفه في الكتاب
الاوسط وذكر انه ركب
يوما يريد الجمعة فسمع ضجة
فقال ما هذا فقيل له
المحبوسون يضجون
ويشكون ما هم فيه من
البلاء فالتفت الى ناحيتهم
وقال اخسؤا فيها ولا
تكلمون فيقال انه مات
في تلك الجمعة ولم يركب بعد
تلك الركبة (قال المسعودي)
ووجدت في كتاب عنوان
البلاغات مما اختير من
كلام الحجاج قوله ما سلبت
نعمة الا بكفرها ولا نمت
الا بشكرها وقد كان
الحجاج تزوج الى عبد الله
ابن جعفر بن أبي طالب حين أملق عبد الله وافتقر وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان الخبر في ذلك وتهنئة ابن القرية الحجاج بذلك وقد

والحلاقين ليحلق لحاهم أتاهم الخبر بقرب جيش أحمد منهم فاشتغلوا وتركوا الرسل فهربوا الى أحمد وأعلموه الخبر فعبى أصحابه وحملوا على النوفلى حملة رجل واحد فأكثروا فيهم القتل وقبضوا على النوفلى وأحضروه عنده فقال له ان الرسل لتختلف الى بلاد الكفار فلا تتعرض لهم أفلا استحييت ان تأمر فى رسلى بما أمرت فقال النوفلى أخطأت فقال لكنى ساصيب فى أمرك ثم أمر به فقتل وبلغه ان ابراهيم بن محمد بن طلحة بمرو قد جبى أهلها فى سنتين خمسة عشر خراجا فسار اليه فى ابيورد فى يوم وليلة فأخذه من على فراشه وأقام بمرو وجبى خراجها ثم ولاها موسى البلخى ثم وافاها الحسين بن طاهر فأحسن فيهم السيرة ووصل اليه نحو عشرين ألف ألف درهم

(ذكر قتل الخجستانى)

لما كان الخجستانى بطخارستان وافاه خبر أخذ والدته من نيسابور وسار مجدا فلما قارب هراة أتاه غلام لابى طلحة يعرف بينال ده هزار مستأمنا فأتاه خبره قبل وصوله وكان للخجستانى غلام اسمه رامجور على خزائنه فقال له كالممازح له ان سيدك ينال ده هزار قد استأمن الى كما علمت فانظر كيف يكون برك به فحقدها عليه رامجور وخاف ان يقدم ذلك الغلام عليه ويطلب الفرصة ليقتله وكان لاحمد غلام يدعى قتلغ وهو على شرابه فسقاه يوما فرأى فى الكوز شيأ فأمر به فقلعت احدى عينيه فتواطأ قتلغ ورامجور على قتله فشرب يوما بنيسابور عند وصوله من طايكان فسكر ونام فتفرق عنه أصحابه فقتله رامجور وقتلغ وكان قتله فى شوال سنة ثمان وستين ومائتين وأخذ رامجور خاتمه فارسله الى الاصطبل يأمرهم باسراج عدة دواب ففعلوا فسير عليها جماعة الى أبى طلحة وهو بجرجان يعلمه الحال ويأمره بالقدوم ثم أغلق رامجور الباب على أحمد واختفى وبكر القواد الى باب أحمد فوجدوا باب حجرته مغلقا فانتظروه ساعة طويلة فرابهم الامر ففتحوا الباب فرأوه مقتولا فبحثوا عن الحال وأخبرهم صاحب الاصطبل خبر رامجور فى انفاذ الخاتم فطلبوه فلم يجدوه ثم وجدوه بعد مدة وكان سبب اطلاعهم عليه ان صبيا من أهل تلك الدار التى هو بها طلب نارا فقيل له ما تعملون بالنار فى اليوم الحار فقيل نتخذ طعاما للقائد قيل ومن القائد قال رامجور فانهوا خبره الى بعض القواد فاخذوه وقتلوه واجتمع أصحاب أحمد بعد قتله على رافع بن هرثمة وسنذكر أخبار رافع سنة ثمان وستين ومائتين وكان أحمد بن عبد الله لما عاد من طايكان بعد قتل والدته نصب رمحا طويلا فى صحن داره وقال يحتاج أهل نيسابور ان يضعوا الدراهم حتى يغمروا هذا الرمح فخافوا منه واستخفى جمع من الرؤساء والتجار وفزع الناس الى الدعاء وسألوا أبا عثمان وغيره من أصحاب أبى حفص الزاهد ان يتضرعوا الى الله تعالى ليفرج عنهم وفعلوا فتداركهم الله برحمته فقتل تلك الليلة وفرج الله عنهم وكان أحمد كريما جوادا شجاعا حسن العشيرة كثير البر لاخوانه الذين صحبوه قبل امارته والاحسان اليهم ولم يتغير لهم عما كان يفعله من التواضع والآداب

(ذكر عدة حوادث)

فيها ولى القضاء على بن محمد أبى الشوارب وفيها سار الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر الى الجبل فى صفر وفيها مات الصلانى والى الرى ووليها كيغلغ وفيها نهب ابن زيدويه الطيب ومات صالح بن على بن يعقوب بن المنصور وولى اسمعيل بن اسحق قضاء الجانب الشرقى من بغداد فصار له قضاء الجانبين وفيها تنافر أبو أحمد الموفق وأحمد بن طولون أمير ديار مصر وصار به بينهما وحشة مستحكمة وتطلب الموفق من يتولى الديار المصرية فلم يجد أحدا الا ان ابن طولون كانت خدمه

كان عبدالله بن جعفر بن أبى طالب من الجود بالموضع المعروف ولما قل ماله سمع يوم الجمعة فى المسجد الجامع وهو يقول اللهم انك عودتنى عادة فعودتها عبادك فان قطعتها عنى فلا تبقنى فمات فى تلك الجمعة وذلك فى أيام عبد الملك بن مروان وصلى عليه أبان بن عثمان بمكة وقيل بالمدينة وهى السنة التى كان بها السيل الجحاف الذى بلغ الركن وذهب بكثير من الحجاج وفى هذه السنة كان الطاعون العام بالعراق والشام ومصر والجزيرة والحجاز وهى سنة ثمانين وقبض عبد الله بن جعفر وهو ابن سبع وستين وولد بالحبشة حين هاجر جعفر الى هنالك وقيل ان مولده كان فى السنة التى قبض فيها النبى صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك وذكر المبرد والمدائنى والعتبى وغيرهم من الاخباريين أن عبد الله عوتب على كثرة افضاله فقال ان الله تعالى عودنى أن يفضل على وعودته أن أفضل على عباده فاكره أن أقطع العادة عنهم فيقطع العادة عنى ووفد عبد الله على معاوية بدمشق فعلم به عمرو ابن العاص قبل دخوله دمشق أخبره بذلك مولى له كان قد سار مع ابن جعفر من الحجاز فتقدمه بمرحلتين الى دمشق فدخل عمرو على معاوية وعنده جماعة من قريش من بنى هاشم وغيرهم منهم عبد الله بن الحرث بن عبد المطلب وهداياه

وهداياه متصلة الى القواد بالعراق وأرباب المناصب فلهذا لم يجد من يتولاها فكتب الى ابن طولون يهدده بالعزل فاجابه جوابا فيه بعض الغلظة فسير اليه الموفق موسى بن بغا فى جيش كثيف فسار الى الرقة وبلغ الخبر ابن طولون فحصن الديار المصرية وأقام ابن بغا عشرة أشهر بالرقة لم يمكنه المسير لقلة الاموال معه وطالبه الاجناد بالعطاء فلم يكن معه ما يعطيهم فاختلفوا عليه وثاروا بوزيره عبد الله بن سليمان فاستتر واضطر ابن بغا الى العود الى العراق وكفى الله أحمد بن طولون شره فتصدق باموال كثيرة وفيها قتل محمد بن عتاب وكان سائرا الى السنتين وهى فى ولايته فقتله الاعراب وفيها قتل القطان صاحب مفلح وكان عاملا بالموصل فانصرف عنها فقتل بالرقة وفيها عقد لكفتمر على بن الحسين بن داود على طريق مكة وفيها وقع بين الحياطين والجزارين بمكة قتال يوم التروية حتى خاف الناس أن يبطل الحج ثم تحاجزوا الى أن يحج الناس وقد قتل منهم سبعة عشر رجلا وحج بالناس الفضل بن اسحق بن الحسن بن العباس بن محمد وفيها سير محمد صاحب الاندلس ابنه المنذر فى جيش الى الجليقى وكان بمدينة بطليوس فلما سمع خبرهم فارقها ودخل حصن كركر فحصره فيه وكثر القتل فى أصحابه فى شوّال وفيها مات عمرو بن شبة النميرى الاخبارى وكان مولده سنة ثلاث وسبعين ومائة

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين﴾

﴿ذكر وقعة الزنج﴾

لما انهزم على بن ابان جريحا كما ذكرناه وعاد الى الاهواز لم يقم بها ومضى الى عسكر صاحبه يداوى جراحه واستخلف على عسكره بالاهواز فلما برأ جرحه عاد الى الاهواز ووجه أخاه الخليل بن ابان فى جيش كثيف الى أحمد بن ليثويه وكان أحمد بعسكر مكرم فكمن لهم أحمد وخرج الى قتالهم فالتقى الجمعان واقتتلوا أشد قتال وخرج الكمين على الزنج فانهزموا وتفرقوا وقتلوا ووصل المنهزمون الى على بن أبان فوجه مسلحة الى المسرقان فوجه اليهم أحمد ثلاثين فارسا من أصحابه من أعيانهم فقتلهم الزنج جميعهم

﴿ذكر استيلاء يعقوب على الاهواز وغيرها﴾

وفيها أقبل يعقوب بن الليث من فارس فلما بلغ النوبندجان انصرف أحمد بن الليث عن تستر فلما بلغ يعقوب جنديسابور ونزلها ارتحل عن تلك الناحية كل من بها من عسكر الخليفة ووجه الى الاهواز رجلا من أصحابه يقال له الخضر بن العنبر فلما قاربها خرج عنها على بن ابان ومن معه من الزنج فنزل نهر السدرة ودخل الخضر الاهواز وجعل أصحابه وأصحاب على بن ابان يغير بعضهم على بعض ويصيب بعضهم من بعض الى أن استعد على بن ابان وسار الى الاهواز فاوقع بالخضر ومن معه وقعة قتل فيها من أصحاب الخضر خلقا كثيرا وأصاب الغنائم الكثيرة وهرب الخضر ومن معه الى عسكر مكرم وأقام علىّ بالاهواز ليستخرج ما كان فيها ورجع الى نهر السدرة وسير طائفة الى دورق وأوقعوا بمن كان هناك من أصحاب يعقوب وأنفذ يعقوب الى الخضر مددا وأمره بالكف عن قتال الزنج والاقتصار على المقام بالاهواز فلم يجبهم علىّ الى ذلك دون نقل طعام كان هناك فاجابه يعقوب اليه فنقله وترك العلف الذى كان بالاهواز وكف بعضهم عن بعض

﴿ذكر ملك الروم لؤلؤة﴾

وفيها سلمت الصقالبة لؤلؤة الى الروم وكان سبب ذلك ان أحمد بن طولون قد أدمن الغزو

فقال عمرو قد أتاكم رجل كثير الخلوات بالتمنى والطرفات بالتغنى آخذ للسلف منقاد بالسرف فغضب عبد الله بن الحرث وقال لعمرو كذبت وأهل ذلك أنت ليس عبد الله كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولبلائه شكور وللخناء نفور ماجد مهذب كريم سيد حليم ان ابتدأ أصاب وان سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا فحاش ولا سباب كالهزبر الضرغام الجرىء المقدام والسيف الصمصام والحسيب القمقام وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فاصبح ألأمها حسبا وأدناها منصبا يلوذ منها بذليل ويأوى الى قليل ليت شعرى باى حسب تتناول أو باى قدم تتعرض غير انك تعلو بغير اركانك وتتكلم بغير لسانك ولقد كان أبر فى الحكم وأبين فى الفضل أن يكفك ابن أبى سفيان عن ولوعك باعراض قريش وان يكعمك كعام الضبع فى وجارها فلست لأعراضها بوفىّ ولا لأحسابها بكفىّ وقد أتيح لك ضيغم شرس للاقران مختلس وللارواح مفترس فهمّ عمرو أن يتكلم فنعه معاويه من ذلك وقال عبد الله بن الحرث لا يبقى المرء الا على نفسه والله ان لسانى لحديد وان جوابى لعتيد وان قولى لسديد وان أنصارى لشهود فقام معاويه وتفرق القوم ولعبد الله بن جعفر بن أبى طالب أخبار حسان

بطرسوس قبل ان يلي مصر فلما ولي مصر كان يؤثران يلي طرسوس ليغزو منها أميرا فكتب الى أبي أحمد الموفق يطلب ولايتها فلم يجبه الى ذلك واستعمل عليها محمد بن هرون التغلبي فركب في سفينة في دجلة فالقتها الريح الى الشاطئ فاخذه أصحاب مساور الشاري فقتلوه واستعمل عوضه محمد بن علي الارمني وأضيف اليه انطاكية فوثب به أهل طرسوس فقتلوه فاستعمل عليها ارخوز بن يولغ بن طرخان التركي فسار اليها وكان غراجاهلا فاساء السيرة وأخر عن أهل لؤلؤة أرزاقهم وميرتهم فضجوا من ذلك وكتبوا الى أهل طرسوس يشكون منه ويقولون ان لم ترسلوا الينا أرزاقنا وميرتنا والاسلمنا القلعة الى الروم فاعظم ذلك أهل طرسوس وجمعوا من بينهم خمسة عشر ألف دينار ليحملوها اليهم فاخذها ارخوز ليحملها الى أهل لؤلؤة فاخذها لنفسه فلما أبطأ عليهم المال سلموا القلعة الى الروم فقامت على أهل طرسوس القيامة لانها كانت شجا في حلق العدو ولم يكن يخرج الروم في برأو بحر الا رأوه وأنذروا به واتصل الخبر بالمعتمد فقلدها أحمد بن طولون واستعمل عليها من يقوم بغزو الروم ويحفظ ذلك الثغر

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة مات مساور الشاري وكان قد رحل من البوازيج يريد لقاء عسكر قد سار اليه من عند الخليفة فكتب أصحابه الى محمد بن خرزاد وهو بشهرزور ليولوه أمرهم فامتنع وكان كثير العبادة فبايعوا أيوب بن حيان الوارقي البجلي فارسل اليهم محمد بن خرزاد ليذكرهم انه نظر في أمره فلم يسعه اهمال الامر لان مساورا عهد اليه فقالوا والله قد بايعنا هذا الرجل ولا نغدر به فسار اليهم ثمن بايعه فقاتلهم فقتل أيوب بن حيان فبايعوا بعده محمد بن عبد الله بن يحيي الوارقي المعروف بالغلام فقتل أيضا فبايع أصحابه هرون بن عبد الله البجلي فكثر اتباعه وعاد عنه ابن خرزاد واستولى هرون على أعمال الموصل وجبي خراجه وفيها كانت وقعة بين موسى والاعراب فوجه الموفق ابنه أبا العباس المعتضد في جماعة من قواده في طلب الاعراب وفيها وثب الديراني بابن أوس وكبسه ليلا فتفرق عسكره ونهبه ومضى ابن أوس الى واسط وفيها ظفر أصحاب يعقوب بن الليث بمحمد بن واصل فاسروه وفيها مات عبيد الله بن يحيي بن خاقان وزير المعتمد سقط بالميدان من صدمة خادم له فسال دماغه من منخريه وأذنه فمات لوقته وصلى عليه الموفق ومشى في جنازته واستوزر من الغد الحسن بن مخلد فقدم موسى بن بغا سامرا فاختفى الحسن واستوزر مكانه سليمان بن وهب ودفعت دار عبيد الله الى كيغلغ وفيها أخرج أخو شركب الحسين بن طاهر عن نيسابور وغلب عليها وأخذ أهلها باعطائه ثلث أموالهم وسار الحسين الى مرو وبها ابن خوارزم شاه يدعو لمحمد بن طاهر وفيها سير محمد صاحب الاندلس ابنه المنذر في جيش كثير وجعل طريقه على ماردة فلما جاز ماردة الى أرض العدو تبعه تسعمائة فارس من العسكر فخرج عليهم جمع كثير من المشركين قد استظهر فاقتتلوا قتالا كثيرا صبروا فيه وقتل من المشركين عدد كثير ثم استظهر ابن الجليقي ومن معه من المشركين على التسعمائة فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم أكرمهم الله بالشهادة وفيها ابتدأ ابراهيم أمير افريقية ببناء مدينة رقادة وفيها توفي أحمد ابن حرب الطائي الموصلي أخو علي بن حرب توفي باذنة من بلد الثغر

(ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين)

(ذكر أسر عبد الله بن كاوس)

في هذه السنة أسرت الروم عبد الله بن رشيد بن كاوس وكان سبب ذلك أنه دخل بلد الروم في

في الجود والكرم وغير ذلك من ١٠٢ المناقب وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما كان تزوج الحجاج اليه يبتذل بذلك الى أبي طالب وكتب الحجاج الى عبد الملك يغلظ له أمر الخوارج مع قطري فكتب اليه أما بعد فاني أحمد اليك السيف وأوصيك بما أوصى به البكري زيدا فلم يفهم الحجاج ما عناه عبد الملك وقال من جاءني بتفسير ما أوصى به البكري زيدا فله عشرة آلاف درهم فورد رجل من الحجاز يتظلم من بعض عماله فقيل له أتعلم ما أوصى به البكري زيدا قال نعم قال فأت الحجاج به ولك عشرة آلاف درهم فأتاه فاحضرت فقال أوصاه بان قال

أقول لزيد لا تبر فانهم ... يرون المنايا دون قتلك أو قتلي
فان وضعوا حربا فضعها وان أبوا ... فشب وقود الحرب بالحطب الجزل
وان عضت الحرب الضروس بنابها ... فعرضة حد السيف مثلك أو مثلي

فقال الحجاج صدق أمير المؤمنين وصدق البكري وكتب الى المهلب ان أمير المؤمنين أوصاني بما أوصى به البكري زيدا وأنا أوصيك به وبما أوصى به الحرث بن كعب بنيه فأتى المهلب بوصيته فاذا فيها يا بني كونوا جميعا ولا تكونوا شتى فتفرقوا وبروا قبل أن تبروا فموت في قوة وعز خير من ذل وعجز فقال المهلب صدق البكري

أربعة

أربعة آلاف من أهل الثغور الشامية فغنم وقتل فلما رحل عن البدندون خرج عليه بطريق سلوقية وبطريق قرة كوكب وخرشنة فاحدقوا بالمسلمين فنزل المسلمون وعرقبوا دوابهم وقاتلوا فقتلوا الا خمسمائة فانهم حملوا حملة رجل واحد ونجوا على دوابهم وقتل الروم من قتلوا وأسروا عبد الله بن رشيد بعد ضربات أصابته وحمل الى ملك الروم

﴿ذكر أخبار الزنج هذه السنة ودخولهم واسط﴾

قد ذكرنا سنة اثنتين وستين ومائتين مسير سليمان بن جامع الى البطائح وما كان منه مع اغرتمش فلما أوقع به كتب الى صاحبه يستأذنه فى المسير اليه ليحدث به عهدا ويصلح أمور منزله فاذن له فى ذلك فاشار عليه الجبائى ان يتطرق الى عسكر تكين البخارى وهو ببردودا فقبل قوله وسار الى تكين فلما كان على فرسخ منه قال له الجبائى الرأى ان تقيم أنت ههنا وأمضى أنا فى السميريات وأجر القوم اليك فيأتونك وقد تعبوا فتنال منهم حاجتك ففعل سليمان ذلك وجعل بعض أصحابه كمينا ومضى الجبائى الى تكين فقاتله ساعة ثم تطارد لهم فتبعوه فارسل الى سليمان يعلمه ذلك وقال لاصحابه وهو بين يدى أصحاب تكين شبه المنهزم ليسمع أصحاب تكين قوله فيطمعوا فيه غررتمونى وأهلكتمونى وكنت نهيتكم عن الدخول ههنا فابيتم ولا أرانا نجو منه وطمع أصحاب تكين وجدوا فى طلبه وجعلوا ينادون بلبل فى قفص فمازالوا كذلك حتى جازوا موضع الكمين وقاربوا عسكر سليمان وقد كمن أيضا خلف جدر هنالك فخرج سليمان اليهم فى أصحابه فقاتلهم وخرج الكمين من خلفهم وعطف الجبائى على من فى النهر فاشتد القتال فانهزم أصحاب تكين من الوجوه كلها وركبهم الزنج يقتلونهم ويسلبونهم أكثر من ثلاثة فراسخ وعادوا عنهم فلما كان الليل عاد الزنج اليهم وهم فى معسكرهم فكبسوهم فقاتلهم تكين وأصحابه فانكشف سليمان ثم عبى أصحابه فامر طائفة ان تأتيهم من جهة ذكرها لهم وطائفة فى الماء وأتى هو فى الباقين فقصدوا تكين من جهاته كلها فلم يقف من أصحابه أحد وانهزموا وتركوا عسكرهم فغنم الزنج مافيه وعادوا بالغنيمة واستخلف سليمان الجبائى على عسكره وسار الى صاحبه وكان ذلك سنة ثلاث وستين ومائتين فلما سار سليمان الى الخبيث خرج الجبائى بالعسكر الذى خلفه سليمان معه الى مازوران لطلب الميرة فاعترضه جعلان فقاتله فانهزم الجبائى وأخذت سفنه وأتته الاخبار ان منجورا ومحمد بن على بن حبيب اليشكرى قد بلغا الحاجية فكتب الى صاحبه بذلك فسير اليه سليمان فوصل الى طهثا مجدا وأظهر انه يريد قصد جعلان وقدم الجبائى وأمره ان يأتى جعلان ويقف بحيث يراه ولا يقاتله ثم سار سليمان نحو محمد بن على بن حبيب مجدا فاوقع به وقعة عظيمة وغنم غنائم كثيرة وقتل أخا لمحمد بن على ورجع وكان ذلك فى رجب من هذه السنة أيضا ثم سار فى شعبان الى قرية حسان وبها قائد يقال له حسن بن خمارتكين فاوقع به فهزمه ونهب القرية وأحرقها وعاد ثم سار فى شعبان أيضا الى مواضع فنهبها وعاد ثم سار فى رمضان وأظهر أنه يريد جعلان بمازوران فبلغت الاخبار الى جعلان بذلك فضبط عسكره فتركه سليمان وعدل الى أبا فاوقع به وهو غار وغنم منه ست شذاوات ثم أرسل الجبائى فى جماعة لينتهب فصادفهم جعلان فاخذ سفنهم وغنم منهم فاتاه سليمان فى البر فهزمه واستنقذ سفنهم وغنم شيأ آخر وعاد ثم سار سليمان الى الرصافة فى ذى القعدة فاوقع بمطر بن جامع وهو بها فغنم غنائم كثيرة وأحرق الرصافة واستباحها وحمل اعلاما وانحدر الى مدينة الخبيث وأقام ليعيد هنالك بمنزله فسار مطر الى الحاجية فاوقع باهلها وأسر جماعة وكان بها قاض لسليمان فاسره مطر وحمله الى واسط وسار

والحرث بن كعب وكتب عبد الملك الى الحجاج جنبنى دماء آل أبى طالب فانى رأيت الموت استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم فكان الحجاج يتجنبها خوفا من زوال الملك عنهم لاخوفا من الخالق عز وجل ودخلت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت أصلح الله الامير أتيت لاخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد قال فاخبرينى عن الارض قالت مقشعرة والفجاج مغبرة والمقتر معل وذو الغنى مجل والبائس مقل والناس مسنتون رحمة الله يرجون قال أى النساء تختارين تنزلين عندها قالت سمهن لى قال عندى هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة فاختارتها فدخلت عليها فصبت حليها عليها حتى أثقلتها لاختيارها اياها ودخولها عليها دون من سواها (حدثنا) المنقرى قال حدثنا العتبى عن أبيه قال قدم على الحجاج ابن عم له من البادية فنظر اليه يولى الناس فقال له أيها الامير لم لا توليني بعض هذا الحضر فقال الحجاج هؤلاء يكتبون ويحسبون وأنت لا تحسب ولا تكتب فغضب الاعرابى وقال بلى انى والله لاحسب منهم حسبا وأكتب منهم كتبا فقال له الحجاج فان كان كما تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس فمازال يقول ثلاثة دراهم بين أربعة ثلاثة بين أربعة لكل واحد منهم درهم يبقى الرابع

مطر الى قريب طهثا ورجع فكتب الجياني الى سليمان بذلك فسار نحوه فوافاه لليلتين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ثم صرف جعلان ووافى أحمد بن ليثويه فأقام بالشديدية ومضى سليمان الى نهر ابان وبه قائد من قواد أحمد فاوقع به فقتله ثم سار سليمان الى تكين في خمس شذاوات سنة أربع وستين فواقعه تكين بالشديدية وكان أحمد بن ليثويه حينئذ قد سار الى الكوفة وجنبلاء فظهر تكين على سليمان وأخذ الشذاوات بما فيها وكان بها صناديد سليمان وقواده فقتلهم ثم ان احمد عاد الى الشديدية وضبط تلك الاعمال حتى وافاه محمد بن المولد وقد ولاه الموفق مدينة واسط فكتب سليمان الى الخبيث يستمده فأمده بالخليل بن ابان في زهاء ألف وخمسمائة فارس فلما أتاه المدد قصد الى محاربة محمد بن المولد ودخل سليمان مدينة واسط فقتل فيها خلقا كثيرا ونهب واحرق وكان بها ابن منكجور البخاري فقاتله يومه الى العصر ثم قتل وانصرف سليمان عن واسط الى جنبلاء ليعيث ويخرب فأقام هناك تسعين ليلة وعسكرهم بنهر الامير

﴿ذكر وزارة سليمان بن وهب للخليفة ووزارة الحسن بن مخلد وعزله﴾

وفيها اخرج سليمان بن وهب من بغداد الى سامرا وشيعه الموفق والقواد فلما صار الى سامرا غضب عليه المعتمد وحبسه وقيده وانهب داره واستوزر الحسن بن مخلد في ذي القعدة فسار الموفق من بغداد الى سامرا ومعه عبد الله بن سليمان بن وهب فلما قرب من سامرا تحول المعتمد الى الجانب الغربي فعسكر به مغاضبا للموفق واختلفت الرسل بينه وبين الموفق واتفقا وخلع على الموفق ومسرور وكيغلغ واحمد بن موسى بن بغا واطلق سليمان بن وهب وعاد الى الجوسق وهرب الحسن بن مخلد واحمد بن صالح بن شيرزاد فكتب بقبض أموالهما وقبض احمد بن أبي الاصبغ وهرب القواد الذين كانوا بسامرا مع المعتمد خوفا من الموفق فوصلوا الى الموصل وجبوا الخراج

﴿ذكر وفاة اماجور وملك ابن طولون الشام وطرسوس وقتل سيما الطويل﴾

وفي هذه السنة توفي اماجور مقطع دمشق وولي ابنه مكانه فتجهز ابن طولون ليسير الى الشام فيملكه فكتب الى ابن اماجور يذكر له ان الخليفة قد اقطعه الشام والثغور فاجابه بالسمع والطاعة وسار أحمد واستخلف بمصر ابنه العباس فلقيه ابن اماجور بالرملة فاقره عليها وسار الى دمشق فملكها وأقر قواد أماجور على أقطاعهم وسار الى حمص فملكها وكذلك حماة وحلب وراسل سيما الطويل بانطاكية يدعوه الى طاعته ليقره على ولايته فامتنع فعاوده فلم يطعه فسار اليه احمد بن طولون فحصره بانطاكية وكان سيء السيرة مع أهل البلد فكاتبوا أحمد بن طولون ودلوه على عورة البلد فنصب عليه المجانيق وقاتله فملك البلد عنوة والحصن الذي له وركب سيما وقاتل قتالا شديدا حتى قتل ولم يعلم به احد فاجتاز به بعض قواده فرآه قتيلا فحمل رأسه الى احمد فساءه قتله ورحل عن انطاكية الى طرسوس فدخلها وعزم على المقام بها وملازمة الغزاة فغلا السعر بها وضاقت عنه وعن عساكره فركب أهلها اليه بالخيم وقالوا له قد ضيقت بلدنا واغليت اسعارنا فاما أقمت في عدد يسير واما ارتحلت عنا وأغلظوا له في القول وشغبوا عليه فقال احمد لاصحابه لتنهزموا من الطرسوسيين وترحلوا عن البلد ليظهر للناس وخاصة العدو ان ابن طولون على بعد صيته وكثرة عساكره لم يقدر على أهل طرسوس وانهزم عنهم ليكون اهيب لهم في قلب العدو وعاد الى الشام فاتاه خبر ولده العباس وهو الذي استخلفه بمصر انه قد عصى عليه وأخذ الاموال وسار الى برقة مشاقا لابيه فلم يكترث بذلك ولم ينزعج له وثبت وقضى اشغاله وحفظ

بلا شئ كم هم أيها الامير قال هم أربعة قال نعم أيها الامير قد وقفت على الحساب لكل واحد منهم درهم وانا أعطي الرابع منهم درهما من عندي وضرب يده الى تكته فاستخرج منها درهما وقال أبكم الرابع فلاها الله ما رأيت كاليوم زورا مثل حساب هؤلاء الحضر بين فضحك الحجاج ومن معه فذهب بهم الضحك كل مذهب ثم قال الحجاج ان أهل اصبهان كسروا خراجهم ثلاث سنين كلما أتاهم وال عجزوه فلا رمينهم ببدوية هذا وعنجهيته فاخلق به أن ينجب فكتب له عهده على أصبهان فلما خرج استقبله أهل أصبهان واستبشروا به وأقبلوا عليه يقبلون يده ورجله وقد استغمروه وقالوا أعرابي بدوي ما يكون منه فلما أكثروا عليه قال أعنوا على أنفسكم وتقبيلكم أطرافي وأخروا عني هذه الهمآت أما شغلكم ما أخرجني له الامير فلما استقر في داره باصبهان جمع أهلها فقال مالكم تعصون ربكم وتغضبون أميركم وتنقصون خراجكم فقال قائلهم جور من كان قبلك وظلم من ظلم قال فما الامر الذي فيه صلاحكم فقالوا تؤخرنا بالخراج ثمانية أشهر ونجمعه لك قال لكم عشرة وتأتوني بعشرة ضمناء يضمنون فاتوه بهم فلما توثق منهم أموالهم فلما قرب الوقت رآهم غير مكترثين لما ندبوا من الاجل فقال لهم فلم ينتفع بقوله فلما طال به ذلك جمع اطراف

اطراف بلاده وترك بحران عسكرا وبالرقة عسكرا مع غلامه لؤلؤ وكانت حران لمحمد بن اتامش وكان شجاعا فاخرجه عنها وهزمه هزيمة قبيحة واتصل خبره باخيه موسى بن اتامش وكان شجاعا بطلا فجمع عسكرا كثيرا وسار نحو حران وبها عسكر ابن طولون ومقدمهم احمد بن جيعويه فلما اتصل به خبر مسير موسى اقلقه ذلك وازعجه ففطن له رجل من الاعراب يقال له أبو الاغر فقال له أيها الامير أراك مفكرا منذ أتاك خبر ابن اتامش وما هذا محله فانه طياش قلق ولو شاء الامير ان آتيه به أسيرا لفعلت فغاظه قوله وقال قد شئت ان تأتي به أسيرا قال فاضمم الى عشرين رجلا أختارهم قال افعل فاختار عشرين رجلا وسار بهم الى عسكر موسى فلما قاربهم كمن بعضهم وجعل بينه وبينهم علامة اذا سمعوها ظهروا ثم دخل العسكر في الباقين في زي الاعراب وقارب مضارب موسى وقصد خيلا مربوطة فاطلقها وصاح هو وأصحابه فيها فنفرت وصاح هو ومن معه من الاعراب وأصحاب موسى غارون وقد تفرق بعضهم في حوائجهم وانزعج العسكر وركبوا وركب موسى فانهزم أبو الاغر من بين يديه فتبعه حتى أخرجه من العسكر وجاز به الكمين فنادى أبو الاغر بالعلامة التي بينهم فثاروا من النواحي وعطف أبو الاغر على موسى فاسروه فاخذوه وساروا حتى وصلوا الى ابن جيعويه فعجب الناس من ذلك وحاروا وانفذه ابن جيعويه الى ابن طولون فاعتقله وعاد الى مصر وكان ذلك في سنة خمس وستين ومائتين

(ذكر الفتنة ببلاد الصين)

وفي هذه السنة ظهر ببلاد الصين انسان لا يعرف فجمع جمعا كثيرا من أهل الفساد والعامة فاهمل الملك أمره استصغارا لشأنه فقوي وظهر حاله وكثف جمعه وقصده أهل الشر من كل ناحية فاغار على البلاد وأخربها ونزل على مدينة خانقوا وحصرها وهي حصينة ولها نهر عظيم وبها عالم كثير من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس وغيرهم من أهل الصين فلما حصر البلد اجتمع عساكر الملك وقصدته فهزمها وافتتح المدينة عنوة وبذل السيف فقتل منهم ما لا يحصى كثرة ثم سار الى المدينة التي فيها الملك وأراد حصرها فالتقاه ملك الصين ودامت الحرب بينهم نحو سنة ثم انهزم الملك وتبعه الخارجي الى ان تحصن منه في مدينة من اطراف بلاده واستولى الخارجي على أكثر البلاد والخزائن وعلم انه لا بقاء له في الملك اذ ليس هو من أهله فاخرب البلاد ونهب الاموال وسفك الدماء وكاتب ملك الصين ملوك الهند يستمدهم فامدوه بالعساكر فسار الى الخارجي فالتقوا واقتتلوا نحو سنة أيضا وصبر الفريقان ثم ان الخارجي عدم فقيل انه قتل وقيل بل غرق وظفر الملك باصحابه وعاد الى مملكته ولقب ملوك الصين بغفور ومعناه ابن السماء تعظيما لشأنه وتفرق الملك عليه وتغلب كل طائفة على طرف من البلاد وصار الصين على ما كان عليه ملوك الطوائف يظهرون له الطاعة وقنع منهم بذلك وبقي على ذلك مدة طويلة

(ذكر ملك المسلمين مدينة سرقوسة)

وفي هذه السنة رابع عشر رمضان ملك المسلمون سرقوسة وهي من أعظم صقلية وكان سبب ملكها أن جعفر بن محمد أمير صقلية غزاها فافسد زرعها وزرع قطانية وطبرمين ورمطة وغيرها من بلاد صقلية التي بيد الروم ونازل سرقوسة وحصرها برا وبحرا وملك بعض ارباضها ووصل مراكب الروم نجدة لها فسير اليها اسطولا فاصابوها فتمكنوا حينئذ من حصرها فاقام العسكر محاصرا لها تسعة أشهر وفتحت وقتل من أهلها عدة ألوف واصيب فيها من الغنائم ما لم يصب بمدينة اخرى ولم ينج من رجالها الا الشاذ الفذ وأقاموا فيها بعد فتحها شهرين ثم هدموها ثم وصل

في شهر رمضان حتى يجمع ماله أو يضرب أعناقهم ثم قدم أحدهم فضرب عنقه وكتب عليه فلان ابن فلان أدى ما عليه وجعل رأسه في بدرة وختم عليها ثم قدم الثاني ففعل به مثل ذلك فلما رأى القوم الرؤس تبدر وتجعل في الاكياس بدلا من البدر قالوا أيها الامير توقف علينا حتى نحضر لك المال ففعل فاحضروه في أسرع وقت فبلغ ذلك الحجاج فقال انا معاشر آل محمد يعني جده ولدنا نجيب فكيف رأيتم فراستي في الاعرابي ولم يزل عليها واليا حتى مات الحجاج وحبس الحجاج ابراهيم التيمي بواسط فلما دخل السجن وقف على مكان مشرف ونادى بأعلى صوته يا أهل بلاء الله في عافيته ويا أهل عافية الله في بلائه اصبروا فنادوه جميعا لبيك لبيك ومات في حبس الحجاج وانما كان الحجاج طلب ابراهيم النخعي فنجا ووقع ابراهيم التيمي (وحكي) عن الاعمش قال قلت لابراهيم النخعي أين كنت حين طلبك الحجاج فقال بحيث يقول الشاعر

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصوت انسان فكدت اطير

حدثنا الدمشقي الاموي أحمد بن سعيد وغيره عن

بعد هدمها من القسطنطينية اصطول فالتقوا هم والمسلمون فظفر بهم المسلمون وأخذوا منهم أربع قطع فقتلوا من فيها وانصرف المسلمون الى بلادهم آخر ذي القعدة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس ابنه المنذر في جيش الى مدينة بنبلونة وجعل طريقه على سرقسطة فقاتل أهلها ثم انتقل الى تطيلة وجال في مواضع بني موسى ثم دخل بنبلونة فخرب كثيرا من حصونه وأذهب زروعه وعاد سالما وفيها سار جمع من العرب الى مدينة جلقية فكان بينهم وقعة عظيمة قتل فيها من الطائفتين كثير وفيها فرغ ابراهيم بن محمد بن الاغلب صاحب افريقية من بناء رقادة وكان ابتداء عمارتها سنة ثلاث وستين ومائتين ولما فرغت انتقل ابراهيم اليها وفيها وجه يعقوب بن الليث جيشا الى الصيمرة مقدمة اليها وأخذوا صعون فاحضروه عنده فمات وفيها ماتت قبيحة ام المعتز وفيها وقع الطاعون بخراسان جميعها وقومس فافنى خلقا كثيرا وحج بالناس هذه السنة هرون بن محمد بن اسحق بن موسى الهاشمي وفيها توفي أبو زرعة الرازي واسمه عبيد الله بن عبد الكريم وكان حافظا للحديث ثقة ومحمد بن اسمعيل بن علية وكان موته بدمشق وفيها مات أبو ابراهيم المزني صاحب الشافعي وكان موته بمصر وعلي بن حرب الطائي وكان اماما في الحديث

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين﴾

﴿ذكر أخبار الزنج﴾

في هذه السنة كانت وقعة بين احمد بن ليثويه وبين سليمان بن جامع والزنج بناحية جنبلاء وكان سببها ان سليمان كتب الى الخبيث يخبره بحال نهر يسمى الزهري ويسأله ان يأذن في عمله فانه متى أنفذه تهيأ له حمل ما في جنبلاء وسواد الكوفة فانفذ اليه تكريه لذلك وأمره بمساعدته والنفقة على عمل النهر فمضى سليمان فيمن معه وأقام بالشريطة نحوا من شهر وشرعوا في عمل النهر وكان أصحاب سليمان في أثناء ذلك يتطرقون ما حولهم فواقعهم احمد بن ليثويه وهو عامل الموفق بجنبلاء فقتل من الزنوج نيفا وأربعين قائدا ومن عامتهم ما لا يحصى كثرة واحرق سفنهم فمضى سليمان مهزوما الى طهثا وفيها سار جماعة من الزنوج في ثلاثين سميرية الى جبل فاخذوا أربع سفن فيها طعام وانصرفوا وفيها دخل الزنج النعمانية فاحرقوها وسبوا فساروا الى جرجرايا ودخل أهل السواد بغداد

﴿ذكر استعمال مسرور البلخي على الاهواز وانهزام الزنج منه﴾

وفيها استعمل الموفق مسرورا البلخي على كور الاهواز فولى مسرور ذلك تكين البخاري فسار اليها تكين وكان علي بن ابان والزنج قد احاطوا بتستر فخاف أهلها وعزموا على تسليمها اليهم فوافاهم في تلك الحال تكين البخاري فواقع علي بن ابان قبل ان ينزع ثيابه فانهزم علي والزنج وقتل منهم كثير وتفرقوا ونزل تكين بتستر وهذه الوقعة تعرف بوقعة باب كورك وهي مشهورة ثم ان عليا أقدم عليه جماعة من قواد الزنج فامرهم بالمقام بقنطرة فارس فهرب منهم غلام رومي الى تكين وأخبره بمقامهم بالقنطرة وتشاغلهم بالنبيذ وتفرقهم في جمع الطعام فسار تكين اليهم ليلا فاوقع بهم وقتل من قوادهم جماعة فانهزم الباقون وسار تكين الى علي بن ابان فلم يقف له علي وانهزم وأسر غلام له يعرف بجعفرويه ورجع علي الى الاهواز ورجع تكين الى تستر وكتب علي الى تكين يسأله الكف عن قتل غلامه فحبسه ثم تراسل علي وتكين وتهاديا فبلغ الخبر مسرورا واتصل

ابن القرية أي النساء أحمد قال التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ويسعى لها مع الغلمان غلام قال فأي النساء شر قال الشديدة الأذى الكثيرة الشكوى المخالفة لما تهوى فقال أي النساء أعجب اليك قال الشفاء المعطول المنعاج الكسول التي لم يشنها قصر ولا طول قال فأي النساء أبغض اليك قال الزعينة القصيرة الباهق الشريرة قال فاخبرني عن أفضل النساء قال الفضة البضة التي أعلاها قضيب وأسفلها كثيب الملساء الورهاء التي لم تذهب طولا ولا تلحق قصرا في افراط الجعدة الغدائر الجشعة الظفائر الضخمة المآكم الطفلة البراجم اذا رأيت أناملها شبهتها بالمداري واذا قامت خلتها سارية من السواري فتلك تهيج المشتاق وتحيي العاشق بالعناق (قال المسعودي) وللوليد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان في أيامه من الكوائن والحروب وكذلك الحجاج وقد أتينا على كثير من مبسوطها في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب ما لم نورده في ذينك الكتابين كما أن ما ذكرناه في الكتاب الاوسط لم نورده في كتاب أخبار الزمان والله أعلم

تكين الى الزنج فسار حتى وافى تكين وقبض عليه وحبسه عند ابراهيم بن جعلان حتى مات وتفرق أصحاب تكين ففرقة سارت الى الزنج وفرقة الى محمد بن عبيد الله الكردى فبلغ ذلك مسرورا فآمنهم فجاءه منهم الباقون وكان بعض ماذكرناه من أمر مسرور سنة خمس وستين وبعضه سنة ست وستين ومائتين

(ذكر عصيان العباس بن أحمد بن طولون على أبيه)

وفيها عصى العباس بن أحمد بن طولون على أبيه وسبب ذلك ان أباه كان قد خرج الى الشام واستخلف ابنه العباس كما ذكرناه فلما أبعد عن مصر حسن للعباس جماعة كانوا عنده أخذ الاموال والانتزاح الى برقة ففعل ذلك وأتى برقة فى ربيع الاول وبلغ الخبر أباه فعاد الى مصر وأرسل الى ابنه ولاطفه واستعطفه فلم يرجع اليه وخاف من معه فاشاروا عليه بقصد افريقية فسار اليها وكاتب وجوه البربر فاتاه بعضهم وامتنع بعضهم وكتب الى ابراهيم بن الاغلب يقول ان أمير المؤمنين قد قلدنى أمر افريقية وأعمالها ورحل حتى أتى حصن لبدة ففتحه أهله له فعاملهم أسوأ معاملة ونهبهم فمضى أهل الحصن الى الياس بن منصور النفوسى رئيس الاباضية هناك فاستغاثوا به فغضب لذلك وسار الى العباس ليقاتله وكان ابراهيم بن الاغلب قد أرسل الى عامل طرابلس جيشا وأمره بقتال العباس فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا قاتل العباس فيه بيده فلما كان الغد وافاهم الياس بن منصور الاباضى فى اثنى عشر ألفا من الاباضية فاجتمع هو وعامل طرابلس على قتال العباس فقتل من أصحابه خلق كثير وانهزم أقبح هزيمة وكاد يؤسر فخلصه مولى له ونهبوا سواده وأكثر ما حمله من مصر وعاد الى برقة أقبح عود وشاع بمصر أن العباس انهزم فاغتم والده حتى ظهر عليه وسير اليه العساكر لما علم سلامته فقاتلوه قتالا صبر فيه الفريقان فانهزم العباس ومن معه وكثر القتلى فى أصحابه وأخذ العباس أسيرا وحمل الى أبيه فحبسه فى حجرة فى داره الى ان قدم باقى الاسرى من أصحابه فلما قدموا أحضرهم أحمد عنده والعباس معهم فأمره أبوه ان يقطع أيدى أعيانهم وأرجلهم ففعل فلما فرغ منه وبخه أبوه وذمه وقال له هكذا يكون الرئيس والمقدم كان الاحسن انك كنت ألقيت نفسك بين يدى وسألت الصفح عنك وعنهم فكان أعلى لمحلك وكنت قضيت حقوقهم فيما ساعدوك وفارقوا أوطانهم لاجلك ثم أمر به فضرب مائة مقرعة ودموعه تجرى على خده رقة لولده ثم رده الى الحجرة واعتقله وذلك سنة ثمان وستين ومائتين

(ذكر موت يعقوب وولاية أخيه عمرو)

وفيها مات يعقوب بن الليث الصفار تاسع شوال بجنديسابور من كور الاهواز وكانت علته القولنج فأمره الاطباء بالاحتقان بالدواء فلم يفعل واختار الموت وكان المعتمد قد انفذ اليه رسولا وكتابا يستميله ويترضاه ويقلده أعمال فارس فوصل الرسول ويعقوب مريض فجلس له وجعل عنده سيفا ورغيفا من الخبز الخشكار ومعه بصل وأحضر الرسول فأدى الرسالة فقال له قل للخليفة اننى عليل فان مت فقد استرحت منك واسترحت منى وان عوفيت فليس بينى وبينك الا هذا السيف حتى آخذ بثارى أو تكسرنى وتفقرنى وأعود الى هذا الخبز والبصل وأعاد الرسول فلم يلبث يعقوب ان مات وكان الحسن بن زيد العلوى يسمى يعقوب بن الليث السندان لثباته وكان يعقوب قد افتتح الرخج وقتل ملكها وأسلم أهلها على يده وكانت مملكته واسعة الحدود وكان اسم ملكها كنبير وكان يحمل على سرير من ذهب يحمله اثنا عشر رجلا وابتنى على جبل عال بيتا وسماه مكة وكان يدعى الالهية فقتله يعقوب وافتتح الخلجية وزابل وغير ذلك ولم أعلم أى سنة كان

(ذكر أيام سليمان بن عبد الملك)

بويع سليمان بن عبد الملك بدمشق فى اليوم الذى كانت فيه وفاة الوليد وذلك يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة وتوفى سليمان بمرج دابق من أعمال جبل قنسرين يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال وهلك وهو ابن تسع وثلاثين سنة وعهد الى عمر بن عبد العزيز وقيل ان وفاة سليمان كانت يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وان ولايته سنتان وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما على حسب ما وجدنا من تباين ما فى كتب التواريخ والسير وسنذكر جمل أيامهم فى باب نفرده فيما يرد من هذا الكتاب وقد تنوزع فى مقدار سن سليمان فذكر بعضهم أنه قبض وهو ابن خمس وأربعين ومنهم من زعم انه كان ابن ثلاث وخمسين وقد قدمنا قول من قال انه قبض وهو ابن تسع وثلاثين ووجدت أكثر شيوخ بنى مروان من ولده وولد غيره بدمشق وغيرها يذهبون الى أنه كان ابن تسع وثلاثين والله أعلم

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

لما أفضى الامر الى سليمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال الحمد لله الذى ما شاء صنع وما شاء أعطى وما شاء

ذلك حتى أذكره فيهما وكان يعقوب عاقلا حازما وكان يقول من عاشرته أربعين يوما فلم تعرف أخلاقه فلا تعرفها في أربعين سنة وقد تقدم من سيرته ما يدل على عقله ولما مات قام بالامر بعده أخوه عمرو بن الليث وكتب الى الخليفة بطاعته فولاه الموفق خراسان وفارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد وأشهد بذلك وسيره اليه مع الخلع

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة وثب القاسم بن مهاة بدلف بن عبد العزيز بن أبي دلف باصبهان فقتله ووثب جماعة من أصحاب أبي دلف بالقاسم فقتلوه ورئسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز وفيها لحق محمد المولد بيعقوب بن الليث فأكرمه يعقوب وأحسن اليه فأمر الخليفة بقبض أمواله وعقاره وفيها قتلت الاعراب جعلان المعروف بالعيار بدعما وكان خرج يسير قافلة فقتلوه فوجه في طلبهم فلم يلحقوا وفيها حبس الموفق سليمان بن وهب وابنه عبيد الله وعدة من أصحابهما وقبض أموالهم وضياعهم خلا أحمد بن سليمان ثم صالح سليمان وابنه عبيد الله على تسعمائة ألف دينار وجعلا في موضع يصل اليهما من أرادوا وعسكر موسى بن اتامش واسحق بن كنداجيق والفضل بن موسى بن بغا وعبروا جسر بغداد ومنههم الموفق فلم يرجعوا ونزلوا صرصر فاستكتب أبو أحمد الموفق صاعد بن مخلد فضى الى أولئك القواد فردهم من صرصر فخلع عليهم وفيها خرج خمسة بطارقة من الروم الى اذنة فقتلوا وأسروا وكان أرجوز والي الثغور فعزل عنها فاقام مرابطا وأسروا نحوا من أربعمائة وقتلوا نحوا من ألف وأربعمائة وذلك في جمادى الاولى وفيها غلب أحمد بن عبد الله الخجستاني على نيسابور وسار الحسن بن طاهر بن عبد الله الى مرو وهو عامل أخيه محمد بن طاهر وأخربت طوس وفيها استوزر أبو الصقر اسمعيل بن بلبل وفيها وثب جماعة من الاعراب من بني أسد على علي بن مسرور البلخي قبل وصوله الى المغيثة بطريق مكة وكان الموفق ولاه الطريق وفيها بعث ملك الروم الى أحمد بن طولون بعبد الله بن رشيد بن كاوس وعدة اسرى وأنفذ معهم عدة مصاحف منه هدية اليه وحج بالناس هرون بن محمد بن اسحق ابن موسى بن عيسى الهاشمي وفيها كانت موافاة أبي المغيرة عيسى بن محمد المخزومي الى مكة لصاحب الزنج وفيها توفي أبو بكر أحمد بن منصور الزنادي وعمره ثلاث وثمانون سنة وابراهيم ابن هانئ أبو اسحق النيسابوري وكان من الابدال قد صحب أحمد بن حنبل وعلي بن حرب بن محمد الطائي الموصلي ومولده سنة خمس وسبعين ومائة وقيل غير ذلك وقد تقدم وعلي بن موفق الزاهد وفيها قتل أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي قتله الزنج بالبصرة أخذ العلم عن أبي عبيدة والاصمعي

(ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين)

(ذكر أخبار الزنج مع اغرتمش)

في هذه السنة ولي اغرتمش ما كان يتولاه تكين البخاري من أعمال الاهواز فدخل تستر في رمضان ومعه انا ومطر بن جامع وقتل مطر بن جامع جعفر ويه غلام علي بن أبان وجماعة معه كانوا مأسورين وساروا الى عسكر مكرم وأتاهم الزنج هناك مع علي بن أبان فاقتتلوا فلما رأوا كثرة الزنج قطعوا الجسر وتحاجزوا ورجع علي الى الاهواز وأقام أخوه الخليل بالمسرقان في جماعة كثيرة من الزنج وسار اغرتمش ومن معه نحو الخليل ليعبروا اليه من قنطرة اربك فكتب الى أخيه علي يوافاه في النهر وأخاف أصحابه الذين خلفهم بالاهواز فارتحلوا الى نهر السدرة وتحارب

وتخيف آمنها وتؤمن خائفها وتثري فقيرها وتفقر مثريها ميالة باهلها عباد الله اتخذوا كتاب الله اماما وارضوا به حكما واجعلوه لكم هاديا ودليلا فانه ناسخ ما قبله ولا ينسخه ما بعده واعلموا عباد الله أنه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه كما يجلو ضوء الشمس الصبح اذا أسفر وادبار الليل اذا عسعس ثم نزل واذن للناس بالدخول عليه وأقر عمال من كان قبله على أعمالهم وأقر خالد بن عبد الله القسري على مكة وقد كان خالد أحدث بمكة أحداثا منها أنه أدار الصفوف حول الكعبة وقد كان قبل ذلك صفوف الناس في الصلاة بخلاف ذلك وبلغه قول الشاعر

يا حبذا الموسم من موقف
وحبذا الكعبة من مسجد
وحبذا اللاتي تزاحمننا
عند استلام الحجر الاسود

فقال خالد أما انهن لا يزاحمنك بعدها أبدا ثم أمر بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف وكان سليمان صاحب أكل كثير يجوز المقدار وكان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشي وفي أيامه عمل الوشي الجيد باليمن والكوفة والاسكندرية ولبس الناس جميعا الوشي جبابا وأردية وسراويل وعمائم وقلانس

علي واغرتمش يومهم ثم انصرف علي الى الاهواز فلم يجد أصحابه الذين خلفهم بالاهواز فوجه من
يردهم من نهر السدرة فصار عليهم ذلك فتبعهم وأقام معهم ورجع اغرتمش فنزل عسكر مكرم
واستعد علي لقتالهم وبلغ ذلك اغرتمش ومن معه من عسكر الخليفة فساروا اليه فكمن لهم علي
وقدم الخليل الى قتالهم فاقتتلوا فكان أول النهار لاصحاب الخليفة ثم خرج عليهم الكمين
فانهزموا وأسر مطر بن جامع وعدة من القواد فقتله علي بغلامه جعفرويه وعاد الى الاهواز
وأرسل رؤس القتلى الى الخبيث العلوي وكان علي واغرتمش بعد ذلك في حروبهم على السواء
وصرف صاحب الزنج أكثر جنوده الى علي بن أبان فلما رأى ذلك اغرتمش وادعه وجعل علي يغير
على النواحي فمن ذلك أنه أغار على قرية بيروذ فنهبها ووجه الغنائم الى صاحبه

﴿ذكر دخول الزنج رامهرمز﴾

وفيها دخل علي بن أبان والزنج رامهرمز وسبب ذلك ان محمد بن عبيد الله كان يخاف علي بن أبان
لما في نفس علي منه لما ذكرناه فكتب الى انكلاي بن العلوي وسأله ان يسأل أباه ليرفع يد علي
عنه ويضمه الى نفسه فزاد ذلك غيظ علي منه وكتب الى الخبيث بالايقاع بمحمد ويجعل ذلك
الطريق الى مطالبته بالخراج فاذن له فكتب الى محمد يطلب منه حمل الخراج فمطله ودافعه فسار
اليه علي وهو برامهرمز فهرب محمد عنها ودخلها علي والزنج فاستباحها ولحق محمد باقصى معاقله
وانصرف علي غانما وخاف محمد فكتب اليه يطلب المسالمة فاجابه الى ذلك على مال يؤديه اليه فحمل
اليه مائتي ألف درهم فانفذها الى صاحب الزنج وأمسك عن محمد بن عبيد الله وأعماله وفيها كانت
وقعة للزنج انهزموا فيها وكان سببها ان محمد بن عبيد الله كتب الى علي بن أبان بعد الصلح يسأله
المعونة على الاكراد الدارنان على ان يجعل له ولاصحابه غنائمهم وكتب علي الى صاحبه يستأذنه
فكتب اليه أن وجه اليه جيشا واقم أنت ولا تنفذ أحدا حتى تستوثق منه بالرهائن ولا يأمن
غزوه والطلب بثاره وكتب علي الى محمد يطلب منه اليمين والرهائن فبذل له اليمين ومطله بالرهائن
فلحرص علي على الغنائم أنفذ اليه جيشا فسير محمد معهم طائفة من أصحابه الى الاكراد فخرج
اليهم الاكراد فقاتلوهم ونشبت الحرب فتخلى أصحاب محمد عن الزنج فانهزموا وقتلت الاكراد
منهم خلقا كثيرا وكان محمد قد أعد لهم من يتعرضهم اذا انهزموا فصادفوهم واوقعوا بهم وسلبوهم
وأخذوا دوابهم ورجعوا بأسوأ حال فكتب علي الى الخبيث بذلك فعنفه وقال ضيعت أمري في
ترك الرهائن وكتب الى محمد يتهدده فخاف محمد وكتب يخضع ويذل ورد بعض الدواب وقال انني
كبست من كانت عندهم وخلصت هذه منهم فاظهر الخبيث الغضب عليه فارسل محمد الى بهبود
ومحمد بن يحيى الكرماني وكانا أقرب الناس الى علي فضمن لهما مالا ان أصلحا له عليا وصاحبه ففعلا
ذلك فاجابهما الخبيث الى الرضا عن محمد على ان يخطب له على منابر بلاده وأعلما محمدا ذلك فاجابهما
الى كل ما طلبا وجعل يراوغ في الدعاء له على المنابر ثم ان عليا استعد لمتوث وسار اليها فلم يظفر بها
فرجع وعمل السلاليم والآلات التي يصعد بها الى السور واستعد لقصدها فعرف ذلك مسرور
البلخي وهو يومئذ بكور الاهواز فلما سار علي اليها سار اليه مسرور فوافاه قبل المغرب وهو نازل
عليها فلما عاين الزنج أوائل خيل مسرور انهزموا أقبح هزيمة وتركوا جميع ما كانوا أعدوه وقتل
منهم خلق كثير وانصرف علي مهزوما فلم يلبث الا يسيرا حتى أتته الاخبار باقبال الموفق ولم يكن
لعلي بعد متوث وقعة حتى فتحت سوق الخميس وطهثا على الموفق فكتب اليه صاحبه يأمره
بالعود اليه ويستحثه حثا شديدا

وكان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته الا في الوشي وكذلك عماله وأصحابه ومن
في داره وكان لباسه في ركوبه
وجلوسه وعلى المنبر وكان
لا يدخل عليه أحد من
خدامه الا في الوشي حتى
الطباخ فانه كان يدخل
اليه في صدرة وشي وعلى
رأسه طويلة وشي وأمر
أن يكفن في الوشي المثقلة
وكان شبعه في كل يوم من
الطعام مائة رطل بالعراقي
وكان ربما أتاه الطباخون
بالسفافيد التي فيها الدجاج
المشوية وعليه الوشي
المثقلة فلنهمه وحرصه على
الاكل يدخل يده في كمه
حتى يقبض على الدجاجة
وهي حارة فيفصلها وذكر
الاصمعي قال ذكرت
للرشيد نهم سليمان
وتناوله الفراريج بكمه
من السفافيد فقال قاتلك
الله فما أعلمك بأخبارهم
انه عرضت علي جباب بني
أمية فنظرت الى جباب
سليمان واذا كل جبة
منها في كمها أثر دهن فلم
أدر ما ذلك حتى حدثني
بالحديث ثم قال علي
بجباب سليمان فأتي بها
فنظرنا فاذا تلك الآثار
فيها ظاهرة فكساني منها
جبة فكان الاصمعي ربما
يخرج أحيانا فيها فيقول
هذه جبة سليمان التي
كسانيها الرشيد وذكر أن
سليمان خرج من الحمام
ذات يوم وقد اشتد جوعه
فاستعجل الطعام ولم يكن فرغ منه فامر أن يقدم ما لحق من الشواء فقدم اليه عشرون خروفا فاكل أجوافها كلها مع أربعين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة ولى عمرو بن الليث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر خلافته على الشرطة ببغداد وسر من رأى في صفر وخلع عليه الموفق وعمرو بن الليث وفيها في صفر غلب اساتكين على الشرطة وهي الآن من أعمال سجستان وعلى الري وأخرج منها طلمجور العامل عليها ثم مضى الى قزوين وعليها أخو كيغلغ فصالحه ودخل اساتكين قزوين ثم رجع الى الري وفيها وردت سرية من سرايا الروم الى تل يسمى من ديار ربيعة فاسرت نحوا من مائتين وخمسين انسانا ومثلت بالمسلمين فنفر اليهم أهل الموصل ونصيبين فرجعت الروم وفيها مات أبو الساج بجنديسابور منصرفا من عسكر عمرو بن الليث الى بغداد ومات قبله سليمان بن عبد الله بن طاهر وولى عمرو بن الليث فيها أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف أصبهان وولى محمد بن أبي الساج طريق مكة والحرمين وفيها فارق اسحق بن كنداج أحمد بن موسى بن بغا وكان سبب ذلك ان أحمد لما سار الى الجزيرة وولى موسى بن اتامش ديار ربيعة فانكر ذلك اسحق بن كنداج وفارق عسكره وسار الى بلد فاوقع بالاكراد اليعقوبية فهزمهم وأخذ أموالهم ثم لقي ابن مساور الخارجي فقتله وسار الى الموصل فقاطع أهلها على مال قد أعدوه وكان قائد كبير بعلثايا اسمه علي بن داود وهو المخاطب له عن أهل الموصل والمدافع فسار ابن كنداج اليه فلما بلغه الخبر فارق معلثايا وعبر دجلة ومعه حمدان بن حمدون الى اسحق بن أيوب بن أحمد التغلبي العدوي فاجتمعوا كلهم فبلغت عدتهم نحو خمسة عشر ألفا وسمع ابن كنداج باجتماعهم فعبر الى بلد وعبر دجلة اليه وهو في ثلاثة آلاف وسار الى نهر أيوب فالتقوا بكراثا وهي التي تعرف اليوم بتل موسى وتصافوا للحرب فارسل مقدم ميسرة ابن أيوب الى ابن كنداج يقول له انني في الميسرة فاحمل علي لانهزم ففعل ذلك فانهزمت ميسرة ابن أيوب وتبعها الباقون فسار حمدان بن حمدون وعلي بن داود الى نيسابور وأخذ ابن أيوب نحو نصيبين فاتبعه ابن كنداج فسار ابن أيوب عن نصيبين الى آمد واستولى ابن كنداج على نصيبين وديار ربيعة واستجار ابن أيوب بعيسى بن الشيخ الشيباني وهو بآمد فانجده وطلب النجدة من أبي المعز بن موسى بن زرارة وهو بارزن فانجده أيضا وعاد ابن كنداج الى الموصل ووصل اليه من الخليفة المعتمد عهد بولاية الموصل فعاد اليها فارسل اليه ابن الشيخ وابن زرارة وغيرهم بذلوا له مائتي ألف دينار ليقرهم على أعمالهم فلم يجبهم فاجتمعوا على حربه فلما رأى ذلك أجابهم الى ما طلبوا وعاد عنهم وقصدوا بلادهم وفيها أمر محمد بن عبد الرحمن بانشاء مراكب بنهر قرطبة وحملها الى البحر المحيط وكان سبب عملها أنه قيل له ان جليقية ليس لها مانع من جهة البحر المحيط وان مالكها من هناك سهل فامر بعمل المراكب فلما فرغت وكملت برجالها وعدتها سيرها الى البحر المحيط فلما دخلته المراكب تقطعت ولم يجتمع منها مركبان ولم يرجع منها الا اليسير وفيها التقى اصطول المسلمين واصطول الروم عند صقلية فجرى بينهم قتال شديد فظفر الروم بالمسلمين وأخذوا مراكبهم وانهزم من سلم منهم الى مدينة بلرم بصقلية وفيها كان بافريقية غلاء شديد وقحط عظيم كادت الاقوات تعدم وفيها قتل أهل حمص عاملهم عيسى الكرخي وفيها أسرى لؤلؤ غلام أحمد ابن طولون من رابية بني تميم الى موسى بن اتامش وهو برأس عين فاخذه أسيرا وسيره الى الرقة ثم لقي لؤلؤ أحمد بن موسى بن اتامش ومن معه من الاعراب فانهزم لؤلؤ ورجع الاعراب الى عسكر أحمد لينهبوه فعطف عليه لؤلؤ وأصحابه فانهزموا فبلغت هزيمتهم قرقيسيا ثم ساروا الى بغداد وسامرا وقد ذكرت فيما تقدم ان الذي أسر موسى غير لؤلؤ على ما ذكره مؤرخو مصر وفيها

رقاقة ثم قرب بعد ذلك الطعام فاكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيأ وحكى أنه كان يتخذ سلال الحلوى ويجعل ذلك حول مرقده فكان اذا قام من نومه يمد يده فلا تقع الا على سلة يأكل منها (حدث) المنقري عن العتبي عن اسحق بن ابراهيم بن الصباح بن مروان وكان مولى لبني أمية من أرض البلقاء من اعمال دمشق وكان حافظا لاخبار بني أمية قال لبس سليمان يوم الجمعة في ولايته لباسا شهربه وتعطر ودعا بتخت فيه عمائم وبيده مرآة فلم يزل يعتم بواحدة بعد أخرى حتى رضي منها بواحدة فأرخى من سدولها وأخذ بيده مخصرة وعلا المنبر ناظرا في عطفيه وجمع جمعه وخطب خطبته التي أرادها فاعجبته نفسه فقال انا الملك الشاب السيد المهاب الكريم الوهاب فتمثلت له جارية من بعض جواريه كان يتحظاها فقال لها كيف ترين أمير المؤمنين قالت اراه منى النفس وقرة العين لولا ما قال الشاعر قال وما قال الشاعر قالت قال

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى
غير أن لا بقاء للانسان

أنت من لا يريبنا منك شيء
علم الله غير انك فاني

ليس فيما بدا لنا منك عيب
يا سليمان غير انك فان

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بالجارية فقال لها ما دعاك الى ما قلت لأمير المؤمنين قالت والله

ما

كانت بين أحمد بن عبد العزيز و بكتمر وقعة فانهزم بكتمر وسار الى بغداد وفيها أوقع الخجستانى بالحسن بن زيد بجرجان وهو غار فلحق بآمل وغلب الخجستانى على جرجان واطراف طبرستان فكان الحسن لما سار عن طبرستان الى جرجان استخلف بسارية الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن حسين الاصغر العقيقى فلما انهزم الحسن بن زيد أظهر العقيقى بسارية أنه قتل ودعا الى البيعة لنفسه فبايعه قوم ووافاه الحسن بن زيد فحاربه ثم ظفر به فقتله وفيها كانت وقعة بين الخجستانى وعمرو بن الليث انهزم فيها عمرو ودخل الخجستانى نيسابور وأخرج منها عامل عمرو ومن كان يميل اليه وفيها كانت فتنة بالمدينة ونواحيها بين العلويين والجعفرية وفيها وثب الاعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها وصار بعضها الى صاحب الزنج وأصاب الحجاج فيها شدة شديدة وفيها خرجت الروم على ديار ربيعة فاستنفر الناس فنفروا فى برد شديد لا يمكن فيه دخول الدرب وفيها غزا سيما خليفة أحمد بن طولون على الثغور الشامية فى ثلثمائة رجل من أهل طرسوس فخرج عليهم نحو من أربعة آلاف من بلاد هرقلة فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل المسلمون خلقا كثيرا من العدو وأصيب من المسلمين جماعة وفيها كانت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم حرب بين العلويين والجعفريين وغلا السعر بها حتى تعذرت الاقوات وعم الغلاء سائر البلاد من الحجاز والعراق والموصل والجزيرة والشام وغير ذلك الا انه لم يبلغ الشدة التى بالمدينة وفيها كان الناس فى البلاد التى تحت حكم الخليفة جميعها فى شدة عظيمة بتغلب القوّاد وأمراء الاجناد على الامر وقلة المراقبة والامن من انكار ما يأتونه ويفعلونه لاشتغال الموفق بقتال صاحب الزنج وعجز الخليفة المعتمد واشتغاله بغير ذلك وفيها اشتد الحر فى تشرين الثانى ثم اشتد فيه البرد حتى جمد الماء وفيها قدم محمد بن أبى الساج مكة فحاربه المخزومى فهزمه محمد واستباح ماله وذلك يوم التروية وفيها سار كيغلغ الى الجبل وبكتمر راجعا الى الدينور وحج بالناس فى هذه السنة هرون ابن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى الهاشمى وفيها توفى محمد بن شجاع أبو بكر الثلجى وكان من أصحاب الحسن بن زياد اللؤلؤى صاحب أبى حنيفة (الثلجى بالثاء المعجمة بثلاث والجيم) وفيها توفى صالح بن أحمد بن حنبل وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

﴿ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين﴾

﴿ذكر أخبار الزنج﴾

وفيها غلب أبو العباس بن الموفق على عامة ما كان بيد سليمان بن جامع والزنج من أعمال دجلة وهذا أبو العباس هو الذى صار خليفة بعد المعتمد فلقب المعتضد بالله وكان سبب مسيره ان الزنج لما دخلوا واسط وعملوا باهلها ما ذكرنا وبلغ ذلك الموفق فامر ابنه بتعجيل المسير بين يديه اليهم فسار فى ربيع الآخر سنة ست وستين ومائتين وشيعه أبوه وسير معه عشرة آلاف من الرجالة والخيالة فى العدة الكاملة وأخذ معه الشذاوات والسميريات والمعابر للرجالة فسار حتى وافى دير العاقول وكان على مقدمته فى الشذاوات نصير المعروف بابى حمزة فكتب اليه نصير يخبره ان سليمان بن جامع قد وافى فى خيله ورجله وشذاوات وسميريات والجبائى على مقدمته حتى نزل الجزيرة بحضرة بردرويا وان سليمان بن موسى الشعرانى قد وافى نهر ابان بخيله ورجله فى سميريات فركب أبو العباس حتى وافى الصلح ووجه طلائعه ليعرف أخبارهم فعادوا وأعلموه بموافاة الزنج وجيشهم وان أوّلهم بالصلح وآخرهم ببستان موسى بن بغا أسفل واسط وكان سبب جمع الزنج وحشدهم انهم قالوا ان أبا العباس فتى حدث غر بالحرب والرأى لنا أن نرميه بجدنا كله ونجتهد فى

مارأيت أمير المؤمنين اليوم ولا دخلت عليه فأكبره ذلك ودعا بقية جواريه فصدقتها فى قولها فراع ذلك سليمان ولم ينتفع بنفسه ولم يمكث بعد ذلك الا مدة حتى توفى وكان سليمان يقول قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره ولم يبق لذة الا صديق أطرح معه فيما بينى وبينه مؤنة التحفظ ودخل عليه يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج والمستولى عليه وهو مكبل بالحديد فلما رآه ازدراه فقال مارأيت كاليوم قط لعن الله رجلا أجرك رسنه وحكمك فى أمره فقال له يزيد لا تفعل يا أمير المؤمنين فانك رأيتنى والامر عنى مدبر وعليك مقبل ولو رأيتنى والامر مقبل علىّ لاستعظمت منى ما استصغرت ولاستجللت منى ما استحقرت قال صدقت فاجلس لا أم لك فلما استقر به المجلس قال له سليمان عزمت عليك لتخبرنى عن الحجاج ماظنك به أتراه يهوى بعد فى جهنم ام قد استقر فيها قال يا أمير المؤمنين لا تقل هذا فى الحجاج فقد بذل لكم نصحه وأحقن دونكم دمه وأمن وليكم واخاف عدوّكم وانه يوم القيامة لعن يمين أبيك عبد الملك ويسار أخيك الوليد فاجعله حيث شئت فصاح سليمان اخرج عنى الى لعنة الله ثم التفت الى جلسائه فقال قبحه الله ما كان أحسن ترتيبه لنفسه ولصاحبه ولقد أحسن المكافأة أطلقوا سبيله (ودخل) عليه أبو حازم الاعرج فقال يا أبا حازم مالنا

أوّل مرة نلقاه فى ازالته فافعل ذلك يروعه فينصرف عنا فجمعوا وحشدوا وأقبلوا فلما علم أبو العباس قربهم عدل عن سنن الطريق واعترض فى مسيره ولقى أصحابه أوائل الزنج فتطاردوا لهم حتى طمعوا فيهم واغتروا واتبعوهم وجعلوا يقولون اطلبوا أميرا للحرب فان أميركم قد اشتغل بالصيد فلما قربوا منه خرج عليهم فيمن معه من الخيل والرجل وصاح بنصير الى أين تتأخر عن هذه الاكلب فرجع نصير وركب أبو العباس سميرية وحف به أصحابه من جميع الجهات فانهزمت الزنج وكثر القتل فيهم وتبعوهم الى أن وصلوا قرية عبد الله وهى على ستة فراسخ من الموضع الذى لقوهم به وأخذوا منهم خمس شذاوات وعدة سميريات وأسروا جماعة واستأمن جماعة فكان هذا أوّل الفتح فسار سليمان بن جامع الى نهر الامير وسار سليمان بن موسى الشعرانى الى سوق الخميس وانحدر أبو العباس فأقام بالعمر وهو على فرسخ من واسط وأصلح شذاواته وجعل يراوح القوم القتال ويغاديهم ثم ان سليمان استعد وحشد وجعل أصحابه فى ثلاثة أوجه وقالوا انه حدث غر يغرر بنفسه وكمنوا له كمناء فبلغ الخبر أبا العباس فحذروا وأقبلوا وقد كمنوا الكمناء ليغتر باتباعهم فيخرج الكمين عليه فمنع أبو العباس أصحابه أن يتبعوهم فلما علموا أن كيدهم لم يتم خرج سليمان فى الشذاوات والسميريات فأمر أبو العباس نصيرا ان يبرز اليهم وركب هو شذاوة من شذاواته سماها الغزال ومعه جماعة من خاصته وأمر الخيالة بالمسير بازائه على شاطئ النهر الى ان ينقطع ويعبروا اليهم ونشبت الحرب بين الفريقين فوقعت الهزيمة على الزنج وغنم أبو العباس منهم أربع عشرة شذاة وأفلت سليمان والجبائى بعد ان اشفيا على الهلاك وبلغوا طهثا وأسلموا ما كان معهم ورجع أبو العباس الى معسكره وأمر باصلاح ما أخذ منهم من الشذاوات والسميريات وأقام الزنج عشرين يوما لا يظهر منهم أحد وجعلوا على طريق الخيل آبارا وجعلوا فيها سفافيد حديد وجعلوا على رؤسها البوارى والتراب ليسقط فيها المجتازون فاتفق انه سقط فيها رجل من الفراغنة ففطنوا لها وتركوا ذلك الطريق واستمد سليمان صاحب الزنج فأمده بأربعين سميرية بآلاتها ومقاتلتها فعادوا للتعرض للحرب فلم يكونوا يثبتون لابى العباس ثم سير اليهم عدة سميريات فأخذها الزنج فبلغه الخبر وهو يتغدى فركب فى سميرية ولم ينتظر أصحابه وتبعه منهم من خف فادرك الزنج فانهزموا وألقوا أنفسهم فى الماء فاستنقذ سميرياته ومن كان فيها وأخذ منهم احدى وثلاثين سميرية ورمى أبو العباس يومئذ عن قوس حتى دميت ابهامه فلما رجع أمر لمن معه بالخلع وأمر باصلاح السميريات المأخوذة من الزنج ثم ان أبا العباس رأى ان يتوغل مازروان حتى يصير الى الحاجية ونهر الامير ويعرف ماهنالك فقدم نصيرا فى أوّل السميريات وركب أبو العباس فى سميرية ومعه محمد بن شعيب ودخل مازروان وهو يظن ان نصيرا أمامه فلم يقف له على خبر وكان قد سار على غير طريق أبى العباس وخرج من مع أبى العباس من الملاحين الى غنم رأوها ليأخذوها فبقى هو ومحمد بن شعيب فأتاهما جمع من الزنج من جانبى النهر فقاتلهم أبو العباس بالنشاب وأفاه زيرك فى باقى الشذاوات فسلم أبو العباس وعاد الى عسكره ورجع نصير وجمع سليمان بن جامع أصحابه وتحصن بطهثا وتحصن الشعرانى وأصحابه بسوق الخميس وجعلوا يحملون الغلات اليها وكذلك اجتمع بالصينية جمع كثير فوجه أبو العباس جماعة من قواده على الخيل الى ناحية الصينية وأمرهم بالمسير فى البر واذا عرض لهم نهر عبروه وركب هو فى الشذاوات والسميريات فلما أبصرت الزنج الخيل خافوا ولجؤا الى الماء والسفن فلم يلبثوا أن وافتهم الشذاوات مع أبى العباس فلم يجدوا ملجأ فاستسلموا فقتل منهم فريق وأسر فريق وألقى نفسه فى الماء فريق

واخذوا

تكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال فأخبرنى كيف القدوم على الله قال أما المحسن فكالغائب يأتى أهله مسرورا وأما المسىء فكالعبد الآبق يأتى مولاه محزونا قال فأى الاعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى القول أعدل قال كلمة حق عند من تخاف وترجو قال فأى الناس أعقل قال من عمل بطاعة الله قال فأى الناس أجهل قال من باع آخرته بدنيا غيره قال عظنى وأوجز قال يا أمير المؤمنين نزه ربك وعظمه بحيث أن يراك تجتنب ما نهاك عنه أو يفقدك من حيث أمرك به فبكى سليمان بكاء شديدا فقال له بعض جلسائه أسرفت ويحك على أمير المؤمنين فقال له أبو حازم اسكت فان الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج فلما صار الى منزله بعث اليه سليمان بمال فرده وقال للرسول قل له والله يا أمير المؤمنين ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسى

وذكر اسحق بن ابراهيم الموصلى قال حدثنى الاصمعى عن شيخ من المهالبة قال دخل أعرابى على سليمان فقال له يا أمير المؤمنين انى أريد أن أكلمك بكلام فافهمه فقال له سليمان انا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه وأرجو أن تكون الناصح جيبا المأمون غيبا

وأخذوا اصحاب أبي العباس سفنهم وهي مملوءة أرزا وأخذ الصينية وازاح الزنج عنها فانحازوا الى طهثا وسوق الخميس وكان قد رأى أبو العباس كركيا فرماه بسهم فسقط في عسكر الزنج فعرفوا الزنج السهم فزاد ذلك في خوفهم ورجع أبو العباس الى عسكره وقد فتح الصينية وبلغه ان جيشا عظيما للزنج مع ثابت بن أبي دلف ولؤلؤ الزنجيين فسار اليهم وأوقع بهم وقعة عظيمة وقت السحر فقتل منهم خلقا كثيرا منهم لؤلؤ وأسر ثابتا فمن عليه وجعله مع بعض قواده واستنقذ من النساء خلقا كثيرا فأمر باطلاقهن وردهن الى أهلهن وأخذ كل ما كان الزنج جمعوه وأمر أصحابه ان يستريحوا للسير الى سوق الخميس وأمر نصيرا بتعبية أصحابه للمسير فقال له ان نهر سوق الخميس ضيق فاقم أنت ونسير نحن فأبى عليه فقال له محمد بن شعيب ان كنت لابد فاعلا فلا تكثر من الشذاوات ولا من الرجال فان النهر ضيق فسار اليه ونصير بين يديه الى فم ابن مساور فوقف أبو العباس وتقدمه نصير في خمسة عشر شذاة في نهر براطق وهو الذي يؤدي الى مدينة الشعراني التي سماها المنيعة في سوق الخميس فلما غاب عنه نصير خرج جماعة كثيرة في البر على أبي العباس فمنعوه من الوصول الى المدينة وقاتلوه قتالا شديدا من أول النهار الى الظهر وخفي عليه خبر نصير وجعل الزنج يقولون قد قتلنا نصيرا واغتم أبو العباس لذلك وأمر محمد بن شعيب بتعرف خبره فسار فرآه عند عسكر الزنج وقد أحرقه واضرم النار في مدينتهم وهو يقاتلهم قتالا شديدا فعاد الى أبي العباس فاخبره فسر بذلك وأسر نصير من الزنج جماعة كثيرة ورجع حتى وافى أبا العباس فاخبره ووقف أبو العباس يقاتلهم فرجعوا عنه وكمن بعض شذاواته وأمر أن يظهر واحدة منها ليطمعوا فيها وتبعوها حتى أدركوها فعلقوا بسكانها فخرجت عليهم السفن المكمنة وفيها أبو العباس فانهزم الزنج وغنم أبو العباس منهم ست سميريات وانهزموا لا يلوون على شيء من الخوف ورجع الى عسكره سالما وخلع على الملاحين وأحسن اليهم

(ذكر وصول الموفق الى قتال الزنج وفتح المنيعة)

وفيها في صفر سار الموفق عن بغداد الى واسط لحرب الزنج وكان سبب ذلك تأخره عن ابنه أبي العباس هذه المدة يجمع ويحشد الفرسان والرجالة ويستكثر من العدة التي يقوى بها على حرب الزنج ويسد الجهات التي يخاف فيها لئلا يبقى له ما يشغل قلبه الا ان الخبيث رئيس الزنج قد أرسل الى علي بن أبان المهلبي يأمره بالاجتماع مع سليمان بن جامع على حرب أبي العباس فخاف وهنا يتطرق الى ابنه أبي العباس فسار عن بغداد في صفر فوصل الى واسط في ربيع الاول فلقيه ابنه وأخبره بحال جنده وقواده فخلع عليه وعليهم ورجع أبو العباس الى معسكره بالعمر ثم نزل الموفق على نهر شداد بازاء قرية عبد الله وأمر ابنه فنزل شرقي دجلة بازاء فوهة بردودا وولاه مقدمته واعطى الجيش ارزاقهم وأمر ابنه ان يسير بما معه من آلات الحرب الى فوهة ابن مساور فرحل في نخبة أصحابه ورحل الموفق بعده فنزل فوهة ابن مساور فأقام يومين ثم رحل الى المدينة التي سماها صاحب الزنج المنيعة من سوق الخميس يوم الثلاثاء لثمان خلون من ربيع الآخر من هذه السنة وسلك بالسفن في نهر مساور وسارت الخيل بازائه شرقي ابن مساور حتى جاوز براطق الذي يوصل الى المنيعة وأمر بتعبير الخيل وتصييرها من الجانبين وأمر ابنه أبا العباس بالتقدم بالشذاوات بعامة الجيش ففعل فلقيه الزنج فحاربوه حربا شديدة ووافاهم أبو أحمد الموفق والخيل من جانبي النهر فلما رأوا ذلك انهزموا وتفرقوا وعلا أصحاب أبي العباس السور ووضعوا السيوف فيمن لقيهم ودخلوا المدينة فقتلوا فيها خلقا كثيرا وأسروا عالما عظيما وغنموا ما كان

فهات قال يا أمير المؤمنين أما اذا أمنت بادرة غضبك فسأطلق لساني بما خرست به الالسن من عظمتك تادية لحق الله وحق أمانتك يا أمير المؤمنين انه قد تكنفك رجال أساؤا الاحسان لانفسهم ابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ما أمنك الله عليه فانهم لم يألوا الاما فيه تضييع وللامة خسف وعسف وأنت مسؤل عما اجترموا وليسوا مسؤلين عما اجترمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان أما أنت يا اعرابي فقد سللت لسانك وهو أقطع من سيفك فقال أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك فقال سليمان أما وأبيك يا اعرابي لا تزال العرب بسلطاننا الا كناف العز ممنونة ولا تزال أيام دولتنا بكل خير مقبلة ولئن ساسكم ولاة غيرنا لتحمدن منا ما أصبحتم تذمون فقال الاعرابي أما اذا رجع الامر الى ولد العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه ووارث ما جعله الله له أهلا فلا فتغافل سليمان كأن لم يسمع شيأ وخرج الاعرابي فكان آخر العهد به هذا الخبر أخبرني به

فيهـا وهرب الشعرانى ومن معه وتبعه أصحاب الموفق الى البطائح فغرق منهـم خلق كثير ولجأ الباقون الى الآجام ورجع أبو أحمـد الى معسكره من يومه وقد استنقذ من المسلمات زهاء خمسة آلاف امرأة سـوى من ظفر به من الزنجيات وأمر أبو أحمـد بحفظ النساء وحملهن الى واسـط ليدفعن الى أهلهن ثم بكر الى المدينـة فأمر الناس بأخذ ما فيها فأخذ جميعه وأمر بهدم سورها وطم خنـدقها واحراق ما بقى فيها من السفن وأخـذوا من الطعام والشعير والارز وغـير ذلك ما لا حد عليه فأمر ببيع ذلك وصرفه الى الجند ولما انهزم سليمان لحق بالمراز وكتب الى الخائن صاحب الزنج بذلك فورد الكتاب عليه وهو يتحدث فانحل بطنه فقام الى الخلاء دفعات وكتب الى سليمان بن جامع يحذره مثل الذى نزل بالشعرانى ويأمره بالتيقظ وأقام الموفق بنهر مساور يومين يتعرف أخبار الشعرانى وسليمان بن جامع فأتاه من أخبره ان سليمان بن جامع بالحوانيت فسار حتى وافى الصينية وأمر ابنـه أبا العباس بالتقدم بالشـذاوات والسميريات الى الحوانيت مخففا فسار أبو العباس اليها فلم ير سليمان بها ورأى هنالك جمعا من الزنج مع قائدين لهم خلفهم سليمان ابن جامع هنالك لحفظ غلات كثيرة لهم فيها فحاربهم أبو العباس ودامت الحرب الى ان حجز بينهم الليل واستأمن الى أبى العباس رجل فسأله عن سليمان بن جامع فأخبره أنه مقيم بطهيثا بمدينته التى سماها المنصورة فعاد أبو العباس الى أبيه بالخبر فأمره بالمسير اليه فسار حتى نزل بردودا فأقام بها لاصلاح ما يحتاج اليه واستكثر من الآلات التى يسد بها الانهار ويصلح بها الطرق للخيل وخلف ببردودا بغراج التركى

﴿ذكر استيلاء الموفق على طهيثا﴾

لما فرغ الموفق من الذى يحتاج اليـه سار عن بردودا الى طهيثا لعشر بقين من ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين وكان مسـيره على الظهر فى خيله وانحدرت السفن والآلات فنزل بقرية الجوزية وعقد جسرا ثم غدا فعبر خيله عليه ثم عبر بعد ذلك فسار حتى نزل معسكرا على ميلين من طهيثا فأقام هنالك يومين ومطرت السماء مطرا شـديدا فشغل عن القتال ثم ركب لينظر موضعا للحرب فانتهى الى قريب من سور مدينـة سليمان بطهيثا وهى التى سماها المنصورة فتلقاه خلق كثير وخرج عليهم كمناء من مواضع شتى واشتدت الحرب وترجل جماعة من الفرسان وقاتلوا حتى خرجوا عن المضيق الذى كانوا فيـه وأسروا من غلمان الموفق جماعة ورمى أبو العباس بن الموفق أحمد بن هندى الحمامى بسهم خالط دماغه فسقط وحمل الى العلوى صاحب الزنج فلم يلبث ان مات بحضرة الخبيث وصلى عليـه وعظمت لديه المصيبة بموته اذ كان أعظم أصحابه غناء عنه وانصرف الموفق الى عسـكره وقت المغرب وأمر أصحابه بالتحارس ليلتهم والتأهب للحرب فلما أصبحوا وذلك يوم السبت لثـلاث بقـين من ربيـع الآخر عبى الموفق أصحـابه وجعلهـم كتائب يتلو بعضهم بعضا فرسانا ورجالة وأمر بالشـذاوات والسميريات ان يسار بها الى النهر الذى يشق مدينـة سليمان وهو النهر المعروف بنهر المنـذر ورتب أصحابه فى المواضع التى يخاف منها ثم نزل فصلى أربع ركعات وابتهل الى الله تعالى فى النصر ثم لبس سلاحه وأمر ابنـه أبا العباس ان يتقدم الى السور فتقدم اليـه فرأى خندقا فأحجم الناس عنه فحرضهم قوادهم وترجلوا معهم فاقتحموه وعبروه وانتهوا الى الزنج وهم على سورهـم فلما رأى الزنج تسرعهم اليهـم ولوا منهزمين واتبعهم أصحاب أبى العباس فدخلوا المدينـة وكان الزنج قد حصنوها بخمسة خنادق وجعـل امام كل خنـدق سورا فجعلوا يقفون عنـد كل سور وخنـدق فكشفهم أصحاب أبى العباس ودخلت

بعض شيوخ ولد العباس بمدينة السلام مدينة أبى جعفر المنصور وهو ابن بريهة المنصورى عن أبيه عن على بن جعفر النوفلى عن أبيه وذلك فى سنة ثلثمائة وذكر معاوية بن أبى سفيان فى مجلس سليمان فصلى على روحه وأرواح من سلف من آبائه وقال كان والله هزله جدا وجده علما والله ما رؤى مثل معاوية كان والله غضبه حلما وحلمه حكما وقيل ان هذا الكلام لعبد الملك وكتب سليمان الى خالد بن عبد الله القسرى وهو على العراق فى رجل استجار به من قريش وكان هرب من خالد أن لا يعرض له فأتاه بالكتاب فلم يفضه حتى ضربه مائة سوط ثم قرأه فقال هذه نقمة أراد الله أن ينتقم بها منك لترك قراءة الكتاب ولو كنت قرأته لانفذت ما فيه فخرج القرشى راجعا الى سليمان فسأله الفرزدق وأناس ممن كان بالباب عما صنع خالد فأخبرهم فقال الفرزدق فى ذلك

سلوا خالدا لا قدس الله خالدا ... متى وليت قسرا قريش تدينها
أقبل رسول الله أم بعد عهده ... فاضحت قريش قد أغث سمينها
رجونا هداه لا هدى الله سعيه ... وما أمه بالام يهدى جنينها

فلما بلغ سليمان ذلك وجه الى خالد من ضربه مائة سوط فقال الفرزدق فى ذلك من أبيات

لعمرى لقد صبت على ظهر خالد * شآبيب ليست من سحاب ولا قطر

الشذاوات

الشذاوات والسميريات المدينة من النهر فجعلت تغرق كل مامرت لهم به من سميرية وشذاة وقتلوا من بجانبي النهر وأسروا حتى أجلوهم عن المدينة وعما اتصل بها وكان مقدار العمارة فيها فرسخا وحوى الموفق ذلك كله وافلت سليمان بن جامع ونفر من أصحابه وكثر القتل فيهم والاسر واستنقذ أبو أحمد من نساء أهل واسط والكوفة والقرى وغيرها وصبيانهم أكثر من عشرين ألفا فامر أبو أحمد بحملهم الى واسط ودفعهم الى أهليهم وأخذ ما كان فيها من الذخائر والاموال وأمر بصرفه الى الاجناد وأسر من نساء سليمان وأولاده عدة وتخلص من كان أخذ من أصحاب الموفق ونجا جمع كثير الى الآجام فامر أصحابه بطلبهم فاقام سبعة عشر يوما وهدم سور المدينة وطم خنادقها وجعل لكل من أتاه برجل منهم جعلا فكان اذا أتى بالواحد منهم عفا عنه وضمه الى قواده وغلمانه لما كان دبره من استمالتهم وأرسل في طلب سليمان بن جامع حتى بلغوا دجلة العوراء فلم يظفروا به وأمر زيرك بالمقام بطهثا ليتراجع الى تلك الناحية أهلها ويأمنوا

(ذكر مسير الموفق الى الاهواز واجلاء الزنج عنها)

فلما فرغ أبو أحمد الموفق من المنصورة رحل نحو الاهواز لاصلاحها واجلاء الزنج عنها فامر ابنه أبا العباس ان يتقدمه فامر باصلاح الطريق للجيوش واستخلف على من ترك من عسكره بواسط ابنه هرون ولحقه زيرك فاخبره بعود أهل طهثا اليها وأمن الناس فامره الموفق بالانحدار في الشذاوات والسميريات مع نصير وتتبع المنهزمين والايقاع بهم وبمن ظفروا به من الزنج حتى ينتهي الى مدينة الخبيث بنهر أبي الخصيب وسار وارتحل الموفق مستهل جمادى الآخرة من واسط حتى أتى السوس وأمر مسرورا بالقدوم عليه وهو عامله هناك فاتاه وكان الخبيث لما بلغه ماعمل الموفق بسليمان بن جامع والزنج خاف أن يأتيه وهو على حال تفرق أصحابه عنه وكتب الى علي بن أبان بالقدوم عليه وكان بالاهواز في ثلاثين ألفا فترك جميع ما كان عنده من طعام ودواب واغنام وغير ذلك واستخلف عليه محمد بن يحيى الكرنبائي فلم يقم واتبع عليا وكتب صاحب الزنج أيضا الى بهبود بن عبد الوهاب وهو بالفيدم والباسيان وما اتصل بهما يأمره بالقدوم عليه فترك ما كان عنده من الذخائر وسار نحوه فحوى ذلك جميعه الموفق وقوي به على حرب الخبيث ولما سار علي بن ابان عن الاهواز تخلف بها جمع من أصحابه زهاء ألف رجل فارسلوا الى الموفق يطلبون الامان فامنهم فقدموا عليه فاجرى عليهم الارزاق ثم رحل عن السوس الى جنديسابور وتستر وجبى الاموال ووجه الى محمد بن عبيد الله الكردي وكان خائفا منه فامنه وعفا عنه فطلب منه الاموال والعساكر فحضر عنده فاحسن اليه ثم رحل الى عسكر مكرم ووافى الاهواز ثم رحل عنها الى نهر المبارك من فرات البصرة وكتب الى ابنه هرون ليوافيه بجميع الجيش الى نهر المبارك فلقيه الجيش بالمبارك منتصف رجب وكان زيرك ونصير لما خلفهما الموفق ليتبعا الزنج انحدرا حتى وافيا الابلة فاستأمن اليهما رجل أخبرهما أن الخبيث قد أنفذ اليهما عددا كثيرا في الشذاوات والسميريات الى دجلة ليمنع عنها من يريدها فانهم يريدون عسكر نصير وكان عسكره بنهر المرأة فرجع نصير الى عسكره من الابلة لما بلغه ذلك وسار زيرك من طريق آخر لانه قدر أن الزنج يأتي عسكر نصير من ذلك الوجه فكان كذلك فلقيهم في طريقهم فظفر بهم وانهزموا منه وكانوا قد جعلوا كمينا فدل زيرك عليه فتوغل حتى أتاه فقتل من الكمناء جماعة وأسر جماعة وكان ممن ظفر به مقدم الزنج وهو أبو عيسى محمد بن ابراهيم البصري وهو من أكابر قوادهم وأخذ منهم ما يزيد على ثلاثين سميرية فجزع لذلك جميع الزنج فاستأمن الى نصير منهم زهاء ألفي رجل

أتضرب في العصيان من ليس عاصيا * وتعصى أمير المؤمنين أخا قسر فلولا يزيد بن المهلب حلقت * بكفك فتخاء الى الفرخ في الوكر

لعمري لقد سار ابن سيبة سيرة * أرتك نجوم الليل مظهرة تجري

فخذ بيديك الخزي حقا فانما * جزيت قصاصا بالمرجرجة السمر

وقال سليمان لعمر بن عبد العزيز يوما وقد أعجبه سلطانه كيف ترى ما نحن فيه قال سرور لولا أنه غرور وحياة لولا أنه موت وملك لولا أنه هلك وحسن لولا أنه حزن ونعيم لولا أنه عذاب أليم فبكى سليمان من كلامه وكان سليمان بخلاف الوليد وعلى الضد منه في الفصاحة والبلاغة وقد كان الوليد أفسد في أرض لعبد الله بن يزيد بن معاوية فشكا ذلك أخوه خالد بن يزيد الى عبد الملك فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها الآية فقال له خالد واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها الآية فقال عبد الملك أفي عبد الله يتكلم وبالامس دخل علي فغير في لسانه ولحن في كلامه فقال أفعلي الوليد يقول قال ان كان الوليد يلحن فسليمان أخوه قال خالد وان كان عبد الله لحانا فاخوه خالد فقال الوليد أتتكلم ولست في العير ولا في النفير قال خالد ألم تسمع ما يقول أمير المؤمنين أنا والله ابن العير والنفير ولو قلت حبيلات

فكتب بذلك الى الموفق فأمره بقبولهم والاقبال اليه بالنهر المبارك فوافاه هناك وأمر الموفق ابنه أبا العباس بالمسير الى محاربة العلوى بنهر أبى الخصيب فسار اليه فحاربه من بكرة الى الظهر فاستأمن اليه قائد من قواد العلوى ومعه جماعة فكسر ذلك الخبيث وعاد أبو العباس بالظفر وكتب الموفق الى العلوى كتابا يدعوه الى التوبة والانابة الى الله تعالى مما ارتكب من سفك الدماء وانتهاك المحارم واخراب البلدان واستحلال الفروج والاموال وادّعاء النبوّة والرسالة ويبذل له الامان فوصل الكتاب اليه فقرأه ولم يكتب جوابه

﴿ذكر محاصرة مدينة صاحب الزنج﴾

لما أنفذ الموفق الكتاب الى العلوى ولم يرد جوابه عرض عسكره وأصلح آلاته ورتب قواده ثم سار هو وابنه أبو العباس فى العشرين من رجب الى مدينة الخبيث التى سماها المختارة وأشرف عليها وتأملها ورأى حصانتها بالاسوار والخنادق وغور الطريق اليها وما أعد من المجانيق والعرادات والقسى وسائر الآلات على سورها مما لم ير مثله لمن تقدم من منازعى السلطان ورأى من كثرة عدد المقاتلة ما استعظمه فلما عاين الزنج أصحاب الموفق ارتفعت أصواتهم حتى ارتجت الارض فأمر الموفق ابنه بالتقدم الى سور المدينة والرمى ان عليه بالسهام فتقدم حتى ألصق شذاواته بمسناة قصر الخبيث فكثر الزنج وأصحابهم على أبى العباس ومن معه وتتابعت سهامهم وحجارة مجانيقهم ومقاليعهم ورمى عوامهم بالحجارة عن أيديهم حتى ما يقع الطرف الا على سهم أو حجر وثبت أبو العباس فرأى العلوى من صبره وثبات أصحابه ما لا رأى مثله من أحد حاربهم ثم أمرهم الموفق بالرجوع ففعلوا واستأمن الى الموفق مقاتلة فى سميريتين فأمنهم فخلع على من فيهما من المقاتلة والملاحين على أقدارهم ووصلهم وأمر بادنائهم الى موضع يراهم فيه نظراؤهم وكان ذلك من أنجع المكايد فلما رآهم الباقون رغبوا فى الامان وتنافسوا فيه وابتدروا اليه فصار الى الموفق عدد كثير ذلك اليوم من أصحاب السميريات فعمهم بالخلع والصلات فلما رأى صاحب الزنج ذلك أمر برد أصحاب السميريات الى نهر أبى الخصيب ووكل بفوهة النهر من يمنعهم من الخروج وأمر بهبود وهو من أشد قواده ان يخرج فى الشذاوات فخرج وبرز اليه أبو العباس فى شذاواته وقاتله واشتدت الحرب فانهزم بهبود الى فناء قصر الخبيث واصابته طعنتان وجرح بالسهام وأوهنت اعضاؤه بالحجارة فاولجوه نهر أبى الخصيب وقد أشفى على الموت فقتل ممن كان معه قائد ذو بأس يقال له عميرة وظفر أبو العباس بشذاة فقتل أهلها ورجع هو ومن معه سالمين فاستأمن الى أبى العباس أهل شذاة منهم فأمنهم وأحسن اليهم وخلع عليهم ورجع الموفق ومن معه الى عسكره بالنهر المبارك واستأمن اليه عند منصرفه خلق كثير فأمنهم وخلع عليهم ووصلهم وأثبت اسماءهم مع أبى العباس وأقام فى عسكره يومين ثم نقل عسكره لست بقين من رجب الى نهر جطى فنزله وأقام به الى منتصف شعبان لم يقاتل ثم ركب منتصف شعبان فى الخيل والرجال واعد الشذاوات والسميريات وكان من معه من الجند والمتطوعة زهاء خمسين ألفا وكان من مع الخبيث أكثر من ثلثمائة ألف انسان كلهم ممن يقاتل بسيف أو رمح أو قوس أو مقلاع أو منجنيق وأضعفهم رماة الحجارة من أيديهم وهم النظارة والنساء تشركهم فى ذلك فأقام أبو أحمد ذلك اليوم ونودى بالامان للناس كافة الا الخبيث وكتب الامان فى رقاع ورماها فى السهام ووعد فيها الاحسان فمالت قلوب أصحاب الخبيث واستأمن ذلك اليوم خلق كثير فخلع عليهم ووصلهم ولم يكن ذلك اليوم حرب ثم رحل من نهر جطى من الغد فعسكر قرب مدينة الخبيث ورتب قواده

وغنيمات والطائف قلنا صدقت أراد بذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن أبى العاص الى الطائف فصار راعيا حتى رده عثمان وغضب سليمان على خالد القسرى فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظة وانك تجل عن العقوبة فان تعف فاهل لذلك أنت وان تعاقب فاهل ذلك أنا فعفى عنه وذم رجل فى مجلس سليمان الكلام فقال سليمان انه من تكلم فاحسن قدر على أن يصمت فيحسن ووقف سليمان على قبر ولده أيوب وبه كان يكنى فقال اللهم انى أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائى وأمن خوفى (قال المسعودى) ولما دفن سليمان سمع بعض كتابه وهو يقول أبياتا منها

وما سالم عما قليل بسالم
وان كثرت أحراسه وكتائبه
ومن يك ذا بأس شديد ومنعة
فعما قليل يهجر الباب حاجبه
ويصبح بعد الحجب للناس مقصيا
رهينة بيت لم تستر جوانبه
فما كان الا الدفن حتى تفرقت
الى غيره أحراسه ومواكبه
وأصبح مسرورا به كل كاشح
وأسلمه أحبابه وأقاربه
فنفسك أكسبها السعادة جاهدا
فكل امرئ رهن بما هو كاسبه

(قال المسعودى) ولسليمان أخبار حسان لما كان فى مدة ملكه من الكوائن واجناده

وأجناده وعين لكل طائفة موضعا يحافظون عليه ويضبطونه وكتب الموفق الى البلاد في عمل السميريات والشذاوات والزواريق والاكثار منها ليضبط بها الانهار ليقطع الميرة عن الخبيث واسس في منزلته مدينة سماها الموفقية وكتب الى عماله في النواحي بحمل الاموال والميرة في البر والبحر الى مدينته وأمرهم بانفاذ من يصلح للاثبات في الديوان وأقام ينتظر ذلك شهرا فوردت عليه الميرة متتابعة وجهز التجار صنوف التجارات الى الموفقية واتخذت فيها الأسواق ووردتها مراكب البحر وبنى الموفق بها المسجد الجامع وأمر الناس بالصلاة فيه فجمعت هذه المدينة من المرافق وسيق اليها من صنوف الاشياء ما لم يكن في مصر من الامصار القديمة وحملت الاموال وأدرت الارزاق وعبرت طائفة من الزنج فنهبوا أطراف عسكر نصير وأوقعوا به فأمر الموفق نصيرا بجمع عسكره وضبطهم وأمر الموفق ابنه أبا العباس بالمسير الى طائفة من الزنج كانوا خارج المدينة فقاتلهم فقتل منهم خلقا كثيرا وغنم ما كان معهم فصار اليه طائفة منهم في الامان فآمنهم وخلع عليهم ووصلهم وأقام أبو أحمد يكايد الخبيث ببذل الاموال لمن صار اليه ومحاصرة الباقين والتضييق عليهم وكانت قافلة قد اتت من الاهواز واسرى اليها بهبود في سميريات فأخذها وعظم ذلك على الموفق وغرم لاهلها ما أخذ منهم وأمر بترتيب الشذاوات على مخارج الانهار وقلد ابنه أبا العباس الشذاوات وحفظ الانهار بها من البحر الى المكان الذي هم به وفي رمضان عبر طائفة من أصحاب الخبيث يريدون الايقاع بنصير فنذر بهم الناس فخرجوا اليهم فردوهم خائبين وظفروا بصندل الزنجي وكان يكشف رؤس المسلمات ويقلبهن تقليب الاماء فلما أتى به أمر الموفق ان يرمى بالسهام ثم قتله واستأمن الى الموفق من الزنج خلق كثير فبلغت عدة من استأمن اليه في آخر رمضان خمسين ألفا وفي شوال انتخب صاحب الزنج من عسكره خمسة آلاف من شجعانهم وقوادهم وأمر علي بن ابان المهلبي بالعبور لكبس عسكر الموفق فكان فيهم أكثر من مائتي قائد فعبروا ليلا واختفوا في آخر النخل وأمرهم اذا ظهر أصحابهم وقاتلوا الموفق من بين يديه ظهروا وحملوا على عسكره وهم غارون مشاغيل بحرب من امامهم فاستأمن منهم انسان من الملاحين فاخبر الموفق فسير ابنه أبا العباس لقتالهم وضبط الطرق التي يسلكونها فقاتلوا قتالا شديدا وأسر أكثرهم وغرق منهم خلق كثير وقتل بعضهم ونجا بعضهم فأمر أبو العباس ان يحمل الاسرى والرؤس والسميريات ويعبر بهم على مدينة الخبيث ففعلوا ذلك وبلغ الموفق أن الخبيث قال لاصحابه ان الاسرى من المستأمنة وان الرؤس تمويه عليكم فأمر بالقاء الرؤس في منجنيق اليهم فلما رأوها عرفوها فاظهروا الجزع والبكاء وظهر لهم كذب الخبيث وفيها أمر الخبيث باتخاذ شذاوات فعملت له فكانت له خمسون شذاة فقسمها بين ثلاثة من قواده وأمرهم بالتعرض لعسكر الموفق وكانت شذاوات الموفق يومئذ قليلة لانه لم يصل اليه ما أمر بعمله والتي كانت عنده منها فرقها على أفواه الانهار لقطع الميرة عن الخبيث فخافهم أصحاب الموفق فورد عليهم شذاوات كان الموفق أمر بعملها فسير ابنه أبا العباس ليوردها خوفا عليها من الزنج فلما أقبل بها رآها الزنج فعارضوها بشذاواتهم فقصدهم غلام لابي العباس ليمنعهم وقاتلهم فانكشفوا بين يديه وتبعهم حتى أدخلهم نهر أبي الخصيب وانقطع عن أصحابه فعطفوا عليه فأخذوه ومن معه بعد حرب شديدة فقتلوا وسلمت الشذاوات مع أبي العباس وأصلحها ورتب فيها من يقاتل ثم أقبلت شذاوات العلوي على عادتها فخرج اليهم أبو العباس في أصحابه فقاتلهم فهزمهم وظفر منهم بعدة شذاوات فقتل منهم من ظفر به فيها فمنع الخبيث أصحابه من الخروج عن فناء قصره وقطع

وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا أخبار الزمان والأوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا طلبا للايجاز وميلا الى الاختصار وبالله التوفيق

(ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم)

واستخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين وهو اليوم الذي مات فيه سليمان وتوفى بدير سمعان من أعمال حمص مما يلي بلاد قنسرين يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وقبض وهو ابن تسع وثلاثين سنة وقبره مشهور في هذا الموضع الى هذه الغاية معظم يغشاه كثير من الناس من الحاضرة والبادية لم يتعرض لنبشه فيما سلف من الزمان كما تعرض لقبور غيره من بني أمية وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل انه قبض وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن احدى وأربعين سنة وقد تنوزع أيضا في مقدار مدته في الخلافة وقد أتينا على المحصل من ذلك في باب مقدار المدة من الزمان وما تملكت فيه بنو أمية من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب

(ذكر لمع من أخباره وسيره وزهده) لم تكن خلافة عمر في عهد تقدم وكان السبب فيها أن سليمان لما حضرته الوفاة

أبو العباس الميرة عنهم فاشتدّ جزع الزنج وطلب جماعة من وجوه أصحابه الامان فامنوا وكان منهم محمد بن الحرث القمى وكان اليه ضبط السور مما يلى عسكر الموفق فخرج ليلا فامنه الموفق ووصله بصلات كثيرة له ولمن خرج معه وحمله على عدة دواب بآلاتها وحليتها وأراد اخراج زوجته فلم يقدر فاخذها الخبيث فباعها ومنهم أحمد البربوعى وكان من أشجع رجال العلوى وغيرهما فخلع عليهم ووصلهم بصلات كثيرة ولما انقطعت الميرة والموادّ عن العلوى أمر شبلا وأبا البذى وهما من رؤساء قواده يثق بهم بالخروج الى البطيحة فى عشرة آلاف من ثلاث وجوه للغارة على المسلمين وقطع الميرة عن الموفق فسير الموفق اليهم زيرك فى جمع من أصحابه فلقيهم بنهر ابن عمر فرأى كثرتهم فراعه ذلك ثم استخار الله تعالى فى قتالهم فحمل عليهم وقاتلهم فقذف الله تعالى الرعب فى قلوبهم فانهزموا ووضع فيهم السيف وقتل منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم مثل ذلك وأسر خلقا كثيرا وأخذ من سفنهم ما أمكنه أخذه وغرق ما أمكنه تغريقه وكان ما أخذه من سفنهم نحو أربعمائة سفينة وأقبل بالاسارى والرؤس الى مدينة الموفق

﴿ذكر عبور الموفق الى مدينة صاحب الزنج﴾

وفيها عبر الموفق الى مدينة الخبيث لست بقين من ذى الحجة وكان سبب ذلك ان جماعة من قواد الخبيث لما رأوا ما حل بهم من البلاء من قبل من يظهر منهم وشدة الحصار على من لزم المدينة وحال من خرج بالامان جعلوا يهربون من كل وجه ويخرجون الى الموفق بالامان فلما رأى الخبيث ذلك جعل على الطرق التى يمكنهم الهرب منها من يحفظها فارسل جماعة من القوّاد الى الموفق يطلبون الامان وان يوجه لمحاربة الخبيث جيشا ليجدوا طريقا الى المسير اليه فامر ابنه أبا العباس بالمسير الى النهر الغربى وبه على بن ابان يحميه فنهض أبو العباس ومعه الشذاوات والسميريات والمعابر فقصده وتحارب هو وعلى بن ابان واشتدت الحرب واستظهر أبو العباس على الزنج وأمد الخبيث أصحابه بسليمان بن جامع فى جمع كثيف فاتصلت الحرب من بكرة الى العصر وكان الظفر لابى العباس وصار اليه القوم الذين كانوا طلبوا الامان واجتاز أبو العباس بمدينة الخبيث عند نهر الاتراك فرأى قلة الزنج هناك فطمع فيهم فقصدهم أصحابه وقد انصرف أكثرهم الى الموفقية فدخلوا ذلك المسلك وصعد جماعة منهم السور وعليه فريق من الزنج فقتلوهم وسمع العلوى فجهز أصحابه لحربهم فلما رأى أبو العباس اجتماعهم وحشدهم لحربه مع قلة أصحابه رحل فارسل الى الموفق يستمده فاتاه من خف من الغلمان فظهروا على الزنج فهزموهم وكان سليمان بن جامع لما رأى ظهور أبى العباس سار فى النهر مصعدا فى جمع كبير ثم أتى أصحاب أبى العباس من خلفهم وهم يحاربون من بازائهم وخفقت طبوله فانكشف أصحاب أبى العباس ورجع عليهم من كان انهزم عنهم من الزنج فاصيب جماعة من غلمان الموفق وغيرهم فاخذ الزنج عدة أعلام وحامى أبو العباس عن أصحابه فسلم أكثرهم ثم انصرف وطمع الزنج بهذه الوقعة وشدّت قلوبهم فاجمع الموفق على العبور الى مدينتهم بجيوشه أجمع وأمر الناس بالتأهب وجمع المعابر والسفن وفرقها عليهم وعبر يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة وفرق أصحابه على المدينة ليضطر الخبيث الى تفرقة أصحابه وقصد الموفق الى ركن من أركان المدينة وهو أحصن ما فيها وقد أنزله الخبيث ابنه وهو انكلاى وسليمان بن جامع وعلى بن ابان وغيرهما وعليه من المجانيق والآلات للقتال ما لا حد له فلما التقى الجمعان أمر الموفق غلمانه بالدنو من ذلك الركن وبينهم وبين ذلك السور نهر الاتراك وهو نهر عريض كثير الماء فاحجموا عنه فصاح بهم

الموفق

بمرج دابق دعا رجاء بن حيوة ومحمد بن شهاب الزهرى ومكحولا وغيرهم من العلماء ممن كان فى عسكره غازيا ونافرا فكتب وصيته وأشهدهم عليها وقال اذا أنا مت فأذنوا بالصلاة جامعة ثم اقرؤا هذا الكتاب على الناس فلما فرغ من دفنه نودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس وحضر بنو مروان فاشرأبوا للخلافة وتشوّفوا نحوها فقام الزهرى فقال أيها الناس أرضيتم من سماه أمير المؤمنين سليمان فى وصيته فقالوا نعم فقرأ الكتاب فاذا اسم عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك فقام مكحول فقال أين عمر وكان عمر فى أواخر الناس فاسترجع حين دعى باسمه مرتين أو ثلاثا فأتاه قوم فأخذوا بيده وعضديه فأقاموه وذهبوا به الى المنبر فصعد وجلس على المرقاة الثانية وللمنبر خمس مراقى فكان أول من بايعه من الناس يزيد بن عبد الملك وقام سعيد وهشام فانصرفا ولم يبايعا وبايع الناس جميعا ثم بايع سعيد وهشام بعد ذلك بيومين وكان عمر فى نهاية النسك والتواضع فصرف عمال من كان قبله من بنى أمية واستعمل أصلح من قدر عليه فسلك عماله طريقته وترك لعن علىّ عليه السلام على المنابر وجعل مكانه ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وقيل بل جعل

الموفق وحرضهم على العبور فعبروا سباحة والزنج ترميهم بالمجانيق والمقاليع والحجارة والسهام فصبروا حتى جاوزوا النهر وانتهوا الى السور ولم يكن عبر معهم من الفعلة من كان أعد لهدم السور فتولى الغلمان تشعيث السور بما كان معهم من السلاح وسهل الله تعالى ذلك وكان معهم بعض السلاليم فصعدوا على ذلك الركن ونصبوا علما من اعلام الموفق فانهزم الزنج عنه وأسلموه بعد قتال شديد وقتل من الفريقين خلق كثير ولما علا أصحاب الموفق السور أحرقوا ما كان عليه من منجنيق وقوس وغير ذلك وكان أبو العباس قصد ناحية أخرى فمضى على بن ابان الى مقاتلته فهزمه أبو العباس وقتل جمعا كثيرا من أصحابه ونجا على ووصل أصحاب أبى العباس الى السور فثلموا فيه ثلمة ودخلوه فلقيهم سليمان بن جامع فقاتلهم حتى ردهم الى مواضعهم ثم ان الفعلة وافوا السور فهدموه فى عدة مواضع فعملوا على الخندق جسرا فعبر عليه الناس من ناحية الموفق فانهزم الزنج عن سور باب كانوا قد اعتصموا به وانهزم الناس معهم وأصحاب الموفق يقتلونهم حتى انتهوا الى نهر ابن سمعان وقد صارت دار ابن سمعان فى أيدى أصحاب الموفق فأحرقوها وقاتلهم الزنج هناك ثم انهزموا حتى بلغوا ميدان الخبيث فركب فى جمع من أصحابه فانهزم أصحابه عنه وقرب منه بعض رجالة الموفق فضرب وجه فرسه بترسه وكان ذلك مع مغيب الشمس فأمر الموفق الناس بالرجوع فرجعوا ومعهم من رؤس أصحاب الخبيث شئ كثير وكان قد استأمن الى أبى العباس أول النهار نفر من قواد الخبيث فتوقف عليهم حتى حملهم فى السفن وأظلم الليل وهبت الريح عاصف وقوى الجزر فالصق أكثر السفن بالطين فخرج جماعة من الزنج فنالوا منها وقتلوا فيها نفرا وكان بهبود بازاء مسرور البلخى فاوقع بأصحاب مسرور وقتل منهم جماعة وأسر جماعة فكسر ذلك من نشاط أصحاب الموفق وكان بعض أصحاب الخبيث قد انهزم على وجهه نحو نهر الامير والقندل وعبادان وهرب جماعة من الاعراب الى البصرة وأرسلوا يطلبون الامان فامنهم الموفق وخلع عليهم وأجرى الارزاق عليهم وكان ممن رغب فى الامان من قواد الفاجر ريحان بن صالح المغربى وكان من رؤساء أصحابه أرسل يطلب الامان وان يرسل جماعة الى مكان ذكره ليخرج اليهم ففعل الموفق فصار اليه فخلع عليه وأحسن اليه ووصله وضمه الى أبى العباس واستأمن من بعده جماعة من أصحابه وكان خروج ريحان لليلة بقيت من ذى الحجة من السنة

﴿ذكر الحرب بين الخوارج ببلد الموصل﴾

فى هذه السنة كان بين هرون الخارجى وبين محمد بن خرزاد وهو من الخوارج أيضا وقعة ببعدرا من أعمال الموصل وسبب ذلك انا قد ذكرنا سنة ثلاث وستين ومائتين الحرب الحادثة بين هرون ومحمد بعد موت مساور فلما كان الآن جمع محمد بن خرزاد أصحابه وسار الى هرون محاربا له ونزل بواسط وهى محلة بالقرب من الموصل وكان يركب البقر لئلا يفر من القتال ويلبس الصوف الغليظ ويرقع ثيابه وكان كثير العبادة والنسك ويجلس على الارض ليس بينها وبينه حائل فلما نزل واسط خرج اليه وجوه أهل الموصل وكان هرون بعلثايا يجمع لحرب محمد فلما سمع بنزول محمد عند الموصل سار اليه ورحل ابن خرزاد نحوه فالتقوا بالقرب من قرية شمرح واقتتلوا قتالا شديدا كان فيه مبارزة وحملات كثيرة فانهزم هرون وقتل من أصحابه نحو مائتى رجل منهم جماعة من الفرسان المشهورين ومضى هرون منهزما فعبر دجلة الى العرب قاصدا بنى تغلب فنصروه واجتمعوا اليه ورجع ابن خرزاد من حيث أقبل وعاد هرون الى الحديثة فاجتمع عليه

مكان ذلك ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى الآية وقيل بل جعلهما جميعا فاستعمل الناس ذلك فى الخطبة الى هذه الغاية ولما استخلف عمر دخل عليه سالم السدى وكان من خاصته فقال له عمر أسرك ما وليت أم ساءك فقال سرنى للناس وساءنى لك قال انى أخاف ان أكون أوبقت نفسى قال ما أحسن حالك ان كنت تخاف انى أخاف عليك أن لا تخاف قال عظنى قال أبونا آدم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة وكتب طاوس الى عمر ان أردت ان يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير فقال عمر كفى بها موعظة ولما أفضى اليه الامر كان أول خطبة خطب الناس بها أن قال أيها الناس انما نحن من أصول قد مضت فروعها فما بقاء فرع بعد أصله وانما الناس فى هذه الدنيا أعراض تنتضل فيهم المنايا وهم فيها نصب المصائب مع كل جرعة شرق وفى كل أكلة غصص لا ينالون نعمة الا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من أجله وكتب الى عامله بالمدينة أن اقسم فى ولد على ابن أبى طالب عشرة آلاف دينار فكتب اليه ان عليا قد ولد له فى عدة قبائل من قريش ففى أى ولده فكتب اليه لو كتبت اليك فى شاة تذبحها لكتبت الى سوداء أو بيضاء اذا أتاك كتابى هذا فاقسم فى ولد على

خلق كثير وكاتب أصحاب ابن خرزاد واستمالهم فاتاه منهم الكثير ولم يبق مع ابن خرزاد الا عشيرته من الشمردلية وهم من أهل شهرزور وانما فارقه أصحابه لانه كان خشن العيش وهو ببلد شهرزور وهو بلد كثير الاعداء من الاكراد وغيرهم وكان هرون ببلد الموصل قد صلح حاله وحال أصحابه فلما رأى أصحاب ابن خرزاد ذلك مالوا اليه وقصدوه وواقع ابن خرزاد بنواحي شهرزور الاكراد الجلالية وغيرهم فقتل وتفرد هرون بالرياسة على الخوارج وقوى وكثر اتباعه وغلبوا على القرى والرساتيق وجعلوا على دجلة من يأخذ الزكاة من الاموال المنحدرة والمصعدة وبثوا نوابهم في الرساتيق يأخذون الاعشار من الغلات

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ابتدا ابن حفصون بالاندلس بالخلاف على محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس بناحية رية فخرج اليه جيش من تلك الناحية مع عاملها فقاتله فانهزم الجيش وقوى أمر عمر ابن حفصون وشاع ذكره وأتاه من يريد الشر والفساد فسير محمد صاحب الاندلس عاملا آخر في جيش فصالحه عمر فطالب العامل كل من كان له أثر في مساعدة عمر فاهلكه وفيهم من أبعده فاستقامت تلك الناحية وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام ومصر وبلاد الجزيرة وافريقية والاندلس وكان قبلها هدة عظيمة قوية وفيها ولى جزيرة صقلية الحسن بن العباس فبث السرايا الى كل ناحية وخرج الى قطانية فافسد زرعها وزرع طبرمين وقطع أشجارها وسار الى بقارة فافسد زرعها وانصرف الى بلرم وأخرجت الروم سرايا فاصابوا من المسلمين كثيرا وذلك أيام الحسن بن العباس وفيها حبس السلطان محمد بن عبد الله بن طاهر وعدة من أهل بيته بعد ظفر الخجستاني بعمرو بن الليث وكان عمرو اتهمه بمكاتبة الخجستاني والحسين بن طاهر حيث كان يذكرانه على منابر خراسان وفيها كانت بين كيغلغ التركي وبين أصحاب أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف حرب انهزم فيها أصحاب أحمد وسار كيغلغ الى همذان فوافاه أحمد بن عبد العزيز فيمن اجتمع اليه من أصحابه فانهزم كيغلغ وانحاز الى الصيمرة وفيها في ربيع الآخر ماتت أم حبيب بنت الرشيد وفيها كانت وقعة بين اسحق بن كنداجيق واسحق بن أيوب وعيسى بن الشيخ وأبي المغراء وحمدان بن حمدان ومن اجتمع اليهم من ربيعة وتغلب وبكر واليمن فهزمهم ابن كنداجيق الى نصيبين وتبعهم الى آمد وخاف على آمد من حصر عيسى فكانت بينهم وقعات عند آمد وفيها دخل الخجستاني نيسابور وانهزم عمرو بن الليث وأصحابه فاساء السيرة في أهلها وهدم دور معاذ ابن مسلم وضرب من قدر عليه منهم وترك ذكر محمد بن طاهر ودعا للمعتمد ولنفسه وفيها في شوال كانت لاصحاب أبي الساج وقعة بالهيصم العجلي قتلوا فيها مقدمته وغنموا عسكره وفيها أقبل أحمد بن عبد الله الخجستاني يريد العراق فبلغ سمنان وتحصن منه أهل الري فرجع الى خراسان وفيها رجع خلق كثير من الحجاج من طريق مكة لشدة الحر ومضى خلق كثير فمات منهم عالم عظيم من الحر والعطش وذلك كله في البيداء وأوقعت فزارة فيها بالتجار فاخذ فيما قيل سبعمائة حمل بز وفيها نفى الطباع من سامرا وفيها ضرب الخجستاني لنفسه دنانير ودراهم وحج بالناس هرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى الهاشمي وفيها توفي محمد بن حماد بن بكر بن حماد أبو بكر المقرئ صاحب خلف بن هشام في ربيع الآخر ببغداد

(ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين)

(ذكر أخبار الزنج)

من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة ١٢٠ آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم والسلام (وخطب) في بعض مقاماته فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أيها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ألا واني لست بقاض ولكني منفذ ألا واني لست بمبتدع ولكني متبع ان الرجل الهارب من الامام الظالم هو العاصي ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (وبعث) عمر وفدا الى ملك الروم في أمر من مصالح المسلمين وحق يدعوه اليه فلما دخلوا اذا ترجمان يفسر عليه وهو جالس على سرير ملكه والتاج على رأسه والبطارقة عن يمينه وشماله والناس على مراتبهم بين يديه فأدى اليه ما قصدوا له فتلقاهم بجميل وأجابهم بأحسن الجواب وانصرفوا عنه في ذلك اليوم فلما كان في غداة غد أتاهم رسوله فدخلوا عليه فاذا هو قد نزل عن سريره ووضع التاج عن رأسه وقد تغيرت صفاته التي شاهدوه عليها كأنه في مصيبة فقال هل تدرون لماذا دعوتكم قالوا لا قال ان صاحب مصلحتي التي تلي العرب جاءني كتابه في هذا الوقت ان ملك العرب الرجل الصالح قد مات فما ملكوا أنفسهم أن بكوا فقال لا تبكوا له وابكوا لانفسكم ما بدا لكم فانه خرج الى خير مما خلف قد كان يخاف أن يدع طاعة الله فلم يكن الله

في

في هذه السنة في المحرم خرج الى الموفق من قواد الخبيث جعفر بن ابراهيم المعروف بالسجان وكان من ثقات الخبيث فارتاع لذلك وخلع عليه الموفق وأحسن اليه وحمله في سميرية الى ازاء قصر الخبيث فكلم الناس من أصحابه وأخبرهم انهم في غرور وأعلمهم بما وقف عليه من كذب الخبيث وفجوره فاستأمن في ذلك اليوم خلق كثير من قواد الزنج وغيرهم فاحسن اليهم الموفق وتتابع الناس في طلب الامان ثم أقام الموفق لا يحارب ليريح أصحابه الى شهر ربيع الآخر فلما انتصف ربيع الآخر قصد الموفق الى مدينة الخبيث وفرق قواده على جهاتها وجعل مع كل طائفة منهم من النقابين جماعة لهدم السور وتقدم الى جميعهم أن لا يزيدوا على هدم السور ولا يدخلوا المدينة وتقدم الى الرماة ان يحموا بالسهام من يهدم السور وينقبه فتقدموا الى المدينة من جهاتها وقاتلوها فوصلوا الى السور وثلموه في مواضع كثيرة ودخل أصحاب الموفق من جميع تلك الثلم وجاء أصحاب الخبيث يحاربهم فهزمهم أصحاب الموفق وتبعوهم حتى أوغلوا في طلبهم فاختلفت بهم طرق المدينة فبلغوا أبعد من الموضع الذي وصلوا اليه في المرة الاولى وأحرقوا وأسروا وتراجع الزنج عليهم وخرج الكمناء من مواضع يعرفونها ويجهلها الآخرون فتحيروا ودافعوا عن أنفسهم وتراجعوا نحو دجلة بعد ان قتل منهم جماعة وأخذ الزنج اسلابهم ورجع الموفق الى مدينته وأمر بجمعهم فلامهم على مخالفة أمره والافساد عليه من رأيه وتدبيره وأمر باحصاء من فقد وأقر ما كان لهم من رزق على أولادهم وأهليهم فحسن ذلك عندهم وزاد في صحة نياتهم

﴿ذكر الوقعة بين المعتضد والاعراب﴾

وفي هذه السنة أوقع أبو العباس أحمد بن الموفق وهو المعتضد بالله بقوم من الاعراب كانوا يحملون الميرة الى عسكر الخبيث فقتل منهم جماعة وأسر الباقين وغنم ما كان معهم وأرسل الى البصرة من أقام بها لاجل قطع الميرة وسير الموفق رشيقا مولى أبي العباس فاوقع بقوم من بني تميم كانوا يجلبون الميرة الى الخبيث فقتل أكثرهم وأسر جماعة منهم فحمل الاسرى والرؤس الى الموفقية فامر بهم الموفق فوقفوا بازاء عسكر الزنج وكان فيهم رجل يسفر بين صاحب الزنج والاعراب بجلب الميرة فقطعت يده ورجله وألقي في عسكر الخبيث وأمر بضرب أعناق الاسارى وانقطعت الميرة بذلك عن الخبيث بالكلية فاضر بهم الحصار وأضعف أبدانهم فكان يسئل الاسير والمستأمن عن عهده بالخبز فيقول عهدي به منذ زمان طويل فلما وصلوا الى هذا الحال رأى الموفق ان يتابع عليهم الحرب ليزيدهم ضرا وجهدا فكثر المستأمنون في هذا الوقت وخرج كثير من أصحاب الخبيث فتفرقوا في القرى والانهار البعيدة في طلب القوت فبلغ ذلك الموفق فامر جماعة من قواد غلمانه السودان بقصد تلك المواضع ويدعون من بها اليه فمن أبى قتلوه فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأتاه أكثرهم فلما كثر المستأمنون عند الموفق عرضهم فمن كان ذا قوة وجلد أحسن اليه وخلطهم بغلمانه ومن كان منهم ضعيفا أو شيخا وجريحا قد أزمنته الجراحة كساه وأعطاه دراهم وأمر به ان يحمل الى عسكر الخبيث فيلقي هناك ويأمره بذكر ما رأى من احسان الموفق الى من صار اليه وان ذلك رأيه فيهم فتهيأ له بذلك ما أراد من استمالة أصحاب الخبيث وجعل الموفق وابنه أبو العباس يلازمان قتال الخبيث تارة هذا وتارة هذا وجرح أبو العباس ثم برأ وكان من جملة من قتل من أعيان قواد الخبيث بهبود بن عبد الوهاب وكان كثير الخروج في السميريات وكان ينصب عليها اعلاما تشبه اعلام الموفق فاذا رأى من استضعفه

ابصع عليه مخافة الدنيا ومخافة الآخرة لقد بلغني من بره وفضله وصدقته مالو كان أحد بعد عيسى يحيي الموتى لظننت أنه يحيي الموتى ولقد كانت تأتيني أخباره باطنا وظاهرا فلا أجد أمره مع ربه الا واحدا بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه ولم أعجب لهذا الراهب الذي قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته ولكني عجبت من هذا الذي صارت الدنيا تحت قدمه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب ان أهل الخير لا يبقون مع أهل الشر الا قليلا (وكتب عمر) الى أبي حازم المدني الاعرج أن أوصني وأوجز فكتب اليه كأنك يا أمير المؤمنين بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل والسلام ووقع الى عامل من عماله قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت والسلام وذكر المدائني قال كان يشترى لعمر قبل خلافته الحلة بألف دينار فاذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها فلما أتته الخلافة كان يشترى له قميص بعشرة دراهم فاذا لبسه استلانه وخرج مع جماعة من أصحابه فر بالمقبرة فقال لهم قفوا حتى آتي قبور الاحبة فاسلم عليهم فلما توسطها وقف فسلم وتكلم وانصرف الى أصحابه فقال ألا تسألوني ماذا قلت لهم وما قيل لي

أخـذه وأخذ من ذلك مالا جزيلا فواقعه فى بعض خرجاته أبو العباس فافلت بعدأن أشفى على الهـلاك ثم انه خرج مرة أخرى فرأى سميرية فيها بعض أصحاب أبى العباس فقصـدها طمعا فى أخذها لخار به أهلها فطعنه غلام من غلمان أبى العباس فى بطنه فسقط فى الماء فاخذه أصحابه فحملوه الى عسكر الخبيث فمات قبل وصوله فاراح الله المسلمين من شره وكان قتله من أعظم الفتوح وعظمت الفجيعة على الخبيث وأصحابه واشـتد جزعهم عليه وبلغ الخـبر الموفق بقتله فاحضر ذلك الغلام فوصـله وكساه وطوقه وزاد فى ارزاقه وفعل بكل من كان معه فى تلك السميرية بنحو ذلك ثم ظفر الموفق بالدوابى وكان مما يلى الا صاحب الزنج

(ذكر أخبار رافع بن هرثمة)

لما قتل أحمد بن عبد الله الخجستانى على ماذكرناه وكان قتله هذه السـنة اتفق أصحابه على رافع ابن هرثمة فولوه أمرهم وكان رافع هذا من أصحاب محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر فلما استولى يعقوب بن الليث على نيسابور وأزال الطاهرية صار رافع فى جملته فلما عاد يعقوب الى سجستان صحبه رافع وكان طويل اللحيـة كريه الوجه قليل الطلاقة فدخل يوما على يعقوب فلما خرج من عنده قال انا لا اميل الى هـذا الرجل فليلحق بما شاء من البلاد فقيل له ذلك ففارقه وعاد الى منزله بتامين وهى من باذغيس وأقام به الى ان استقدمه الخجسـتانى على ماذكرناه وجعله صاحب جيشه فلما قتل الخجسـتانى اجتمع الجيش عليه وهو بهراة فامروه كما ذكرنا وسار رافع من هراه الى نيسابور وكان أبو طلحة بن شركب قد وردها من جرجان فحصره فيها رافع وقطع الميرة عنه وعن نيسابور فاشـتد الغلاء بها ففارقها أبو طلحة ودخلها رافع فاقام بها وذلك سنة تسع وستين ومائتين فسار أبو طلحة الى مرو وولى محمد بن مهتدى هراة وخطب لمحمد بن طاهر بمرو وهراة فقصده عمرو ابن الليث فحاربه فهزمه واستخلف عمرو بمرو محمد بن سهل بن هاشم وعاد عنها وخرج شركب الى بيكند واستعان باسمعيـل بن أحمد السامانى فامده بعسكره فعاد الى مرو فاخرج عنها محمد بن سهل وأغار على أهل البلد وخطب لعمرو بن الليث وذلك فى شعبان سنة احدى وسبعين وقلد الموفق تلك السـنة أعمال خراسان محمد بن طاهر وكان ببغداد فاستخلف محمد على أعماله رافع بن هرثمة ماخلا ماوراء النهر فانه أقر عليه نصر بن أحمد ووردت كتب الموفق الى خراسان بذلك وبعزل عمرو ابن الليث ولعنه فسار رافع الى هراة وبها محمد بن مهتدى خليفة أبى طلحة شركب فقتله يوسف بن معبد وأقام بهراة فلما وافاه رافع استأمن اليه يوسف فامنه وعفا عنه فاستعمل على هراة مهدى ابن محسن فاستمد رافع اسمعيل بن أحمد فسار اليه بنفسه فى أربعة آلاف فارس واستقدم رافع أيضا على بن الحسين المروروذى فقدم عليه فسار وا باجمعهم الى شركب وهو بمرو فحاربوه فهزموه وعاد اسمعيل الى محازل وذلك سـنة اثنتين وسبعين ومائتين فسار شركب الى هراة فطابقه مهدى وخالف رافعا فقصدهما رافع فهزمهـما وأما شركب فانه لحق بعمرو بن الليث وأما مهدى فانه اختفى فى سرب فدل عليـه رافع فاخـذه وقال له تبا لك يا قليل الوفاء ثم عفا عنه وخلى سبيله وسار رافع الى خوارزم سنة اثنتين وسبعين فجبى أموالها ورجع الى نيسابور

(ذكر الحوادث بالاندلس وبافريقية)

فى هذه السـنة سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا مع ابنه المنذر الى المخالفين عليه فقصد مدينة سرقسطة فاهلك زرعها وخرب بلدها وافتتح حصن روطة فاخذ منه عبد الواحـد الروطى وهو من أشجع أهل زمانه وتقدم الى دير تروجـة وبلد محمد بن مركب بن موسى فهتكا

فقالوا وماذا قلت يا أمير المؤمنين وما قيل لك قال مررت بقبور الاحبة فسلمت فلم يرد واودعوت فلم يجيبوا فبينا أنا كذلك اذنوديت ياعمـر أتعرفنى أنا الذى غيرت محاسن وجوههـم ومزقت الاكفان عن جلودهـم وقطعت أيديهـم وأبنت أكفهم من سواعدهـم ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفأ فوالله مامضى بعد ذلك الأيام حتى لحق بهم (وذكر المدائنى) قال كتب مطرف الى عمـر أما بعـد فان الدنيا دار عقوبة لها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم له فكن بها كالمداوى جرحـه واصـبر على شدة الدواء لما تخاف من عاقبة الداء (وذكر بعض الاخباريين) أن عمر فى عنفوان حداثتـه جنى عليـه عبد له أسود جناية فبطحه وهم ليضربه فقـال له العبـد يا مولاى لم تضربنى قال لانك جنيت كذا وكذا قال فهل جنيت أنت جناية قط غضب بها عليك مولاك قال عمر نعم قال فهـل عجل عليك العقوبة قال اللهم لا قال العبد فلم تعجـل على ولم يعجل عليك فقال له قم فانت حر لوجـه الله وكان ذلك سبب توبته وكان عمر يكثر هذا الكلام فى دعائه فيقول يا حليما لا يعجل على من عصاه (وذكر جماعة من الاخباريين) أن عمر لما ولى الخلافة وفد عليه وفود العرب وفد عليه وفد الحجاز فاختـار الوفد غلاما منهم فقدموه عليهم ليبدأ

بالغارة

بالغارة وقصد مدينة لاردة وقرطاجنة فكان فيها اسمعيل بن موسى فحاربه فأذعن اسمعيل بالطاعة وترك الخلاف وأعطى رهائنه على ذلك وقصد مدينة أنقرة وهي للمشركين فافتتح هنالك حصونا وعاد وفيها أوقع ابراهيم بن أحمد بن الاغلب باهل بلد الزاب وكان قد حضر وجوههم عنده فأحسن اليهم ووصلهم وكساهم وحملهم ثم قتل أكثرهم حتى الاطفال وحملهم على العجل الى حفرة فالقاهم فيها وفيها سارت سرية بصقلية مقدمها رجل يعرف بابي الثور فلقيهم جيش الروم فاصيب المسلمون كلهم غير سبعة نفر وعزل الحسن بن العباس عن صقلية ووليها محمد بن الفضل فبث السرايا في كل ناحية من صقلية وخرج هو في حشد وجمع عظيم فسار الى مدينة قطانية فاهلك زرعها ثم رحل الى أصحاب الشلندية فقاتلهم فاصاب فيهم فاكثر القتل ثم رحل الى طبرمين فافسد زرعها ثم رحل فلقي عساكر الروم فاقتتلوا فانهزم الروم وقتل أكثرهم فكانت عدة القتلى ثلاثة آلاف قتيل ووصلت رؤسهم الى بلرم ثم سار المسلمون الى قلعة كان الروم بنوها عن قريب وسموها مدينة الملك فملكها المسلمون عنوة وقتلوا مقاتلتها وسبوا من فيها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها سار عمرو بن الليث الى فارس لحرب عاملها محمد بن الليث عليها فهزمه عمرو واستباح عسكره ونجا محمد ودخل عمرو اصطخر فنهبها أصحابه ووجه في طلب محمد فظفر به وأخذه أسيرا ثم سار الى شيراز فاقام بها وفيها زلزلت بغداد في ربيع الاول ووقع بها أربع صواعق وفيها زحف العباس ابن أحمد بن طولون لحرب أبيه فخرج اليه أبوه الى الاسكندرية فظفر به ورده الى مصر فرجع معه اليها وقد تقدم خبره سابقا وفيها أوقع أخو شركب بالخجستاني وأخذ أمه وفيها وثب ابن شبث بن الحسين فاسر عمر بن سيما عامل حلوان وفيها انصرف أحمد بن أبي الاصبغ من عند عمرو بن الليث وكان عمرو قد أنفذه الى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف فقدم معه بمال فارسل عمرو الى الموفق من المال ثلثمائة ألف دينار وخمسين منا مسكا وخمسين منا عنبرا ومائتي من عودا وثلثمائة ثوب وشي وآنية ذهب وفضة ودواب وغلمان بقيمة مائتي ألف دينار وفيها ولي كيغلغ الخليل بن رمال حلوان فنالهم بالمكاره بسبب عمر بن سيما وأخذهم بجزيرة ابن شبث وضمنوا له خلاص عمر واصلاح ابن شبث وفيها كانت وقعة بين اذكوتكين بن أساتكين وبين أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف فهزمه اذكوتكين وغلبه على قم وفيها وجه عمرو بن الليث قائدا بأمر أبي أحمد الى محمد بن عبيد الله الكردي فاسره القائد وحمله اليه وفيها في ذي القعدة خرج بالشام رجل من ولد عبد الملك بن صالح الهاشمي يقال له بكار بين سلمية وحلب وحمص فدعا لابي أحمد فحاربه ابن عباس الكلابي فانهزم الكلابي فوجه اليه لؤلؤ صاحب ابن طولون قائدا يقال له بوذر في عسكر فرجع وليس معه كبير أمر وفيها أظهر لؤلؤ الخلاف على مولاه أحمد بن طولون وفيها قتل أحمد بن عبد الله الخجستاني في ذي الحجة قتله غلام له وفيها قتل أصحاب أبي الساج محمد ابن علي بن حبيب اليشكري بالقرية بناحية واسط ونصب رأسه ببغداد وفيها حارب محمد بن كيجور علي بن الحسين كفتمر فاسر كفتمر ثم أطلقه وذلك في ذي الحجة وفيها سار أبو المغيرة المخزومي الى مكة وعاملها هرون بن محمد الهاشمي فجمع هرون جمعا احتمى بهم فسار المخزومي الى مشاش فغور ماءها والى جدة فنهب الطعام وأحرق بيوت أهلها فصار الخبز بمكة أوقيتان بدرهم وفيها خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلبية فنازل ملطية فاعانهم أهل مرعش والحدث فانهزم ملك الروم وغزا الصائفة من ناحية الثغور الشامية الفرغاني عامل ابن طولون فقتل من الروم بضعة

بالكلام فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو أصغر القوم سنا قال عمر مهلا يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فقال مهلا يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استجاد له الحلية يا أمير المؤمنين ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الامة من هو أسن منك قال تكلم يا غلام قال نعم يا أمير المؤمنين نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذي من بك علينا لم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبة أما الرغبة فقد أتانا منك الى بلدنا وأما الرهبة فقد أمننا الله بعدلك من جورك فقال عظنا يا غلام وأوجز قال نعم يا أمير المؤمنين ان أناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم وحسن ثناء الناس عليهم فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدمك فنظر عمر في سن الغلام فاذا هو قد أتت عليه بضع عشرة سنة فأنشأ عمر رحمه الله يقول

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده ... صغير اذا التفت عليه المحافل

وقد كان رجل من أهل العراق أتى المدينة في طلب جارية وصفت له فارهة قوالة فسأل عنها فوجدها عند قاضي المدينة فأتاه وسأله أن يعرضها عليه فقال

عشر ألفا وغنم الناس فبلغ السهم أربعين دينارا وحج بالناس فيها هرون بن محمد بن اسحق الهاشمي وابن أبي الساج على الاحداث والطريق وفيها مات محمد بن عبد الله بن عبد الحكم البصري الفقيه المالكي وكان قد صحب الشافعي وأخذ عنه العلم

﴿ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين﴾

﴿ذكر أخبار الزنج﴾

وفي هذه السنة رمي الموفق بسهم في صدره وكان سبب ذلك ان بهبود لما هلك طمع العلوي فيما له من الاموال وكان قد صح عنده ان ملكه قد حوى مائتي ألف دينار وجوهرا وفضة فطلب ذلك وأخذ أهله وأصحابه فضربهم وهدم ابنيته طمعا في المال فلم يجد شيأ فكان فعله مما أفسد قلوب أصحابه عليه ودعاهم الى الهرب منه فأمر الموفق بالنداء بالامان في أصحاب بهبود فسارعوا اليه فألحقهم في العطاء بمن تقدم ورأى الموفق ما كان يتعذر عليه من العبور الى الزنج في الاوقات التي تهب فيها الرياح لتحرك الامواج فعزم على ان يوسع لنفسه ولاصحابه موضعا في الجانب الغربي فأمر بقطع النخل واصلاح المكان وان يعمل له الخنادق والسور ليأمن البيات وجعل حماية العاملين فيه نوبا على قواده فعلم صاحب الزنج وأصحابه ان الموفق اذا جاورهم قرب على من يريد اللحاق به المسافة مع ما يدخل قلوب أصحابه من الخوف وانتقاض تدبيره عليه فاهتموا بمنع الموفق من ذلك وبذلوا الجهد فيه وقاتلوا أشد قتال فاتفق ان الريح عصفت في بعض تلك الايام وقائد من القواد هناك فانتهز الخبيث الفرصة في انفاذ هذا القائد وانقطاع المدد عنه فسير اليه جميع أصحابه فقاتلوه فهزموه وقتلوا كثيرا من أصحابه ولم يجد الشذاوات التي لاصحاب الموفق سبيلا الى القرب منهم خوفا من الزنج ان تلقيها على الحجارة فتنكسر فغلب الزنج عليهم وأكثروا القتل والاسر ومن سلم منهم ألقى نفسه في الشذاوات وعبروا الى الموفقية فعظم ذلك على الناس ونظر الموفق فرأى ان نزوله بالجانب الغربي لا يأمن عليه حيلة الزنج وصاحبهم وانتهاز فرصة لكثرة الادغال وصعوبة المسالك وان الزنج اعرف بتلك المضايق واجرأ عليها من أصحابه فترك ذلك وجعل قصده الى هدم سور الفاسق وتوسعة الطريق والمسالك فأمر بهدم السور من ناحية النهر المعروف بمنكي وباشر الحرب بنفسه واشتد القتال وكثر القتل والجراح من الجانبين ودام ذلك اياما عدة وكان أصحاب الموفق لا يستطيعون الولوج لقنطرتين كانتا في نهر منكي كان الزنج يعبرون عليهما وقت القتال فيأتون أصحاب الموفق من وراء ظهورهم فينالون منهم فعمل الحيلة في ازالتهما فأمر أصحابه بقصدهما عند اشتغال الزنج وغفلتهم عن حراستهما وأمرهم ان يعدوا الفؤس والمناشير وما يحتاجون اليه من الآلات فقصدوا القنطرة الاولى نصف النهار فأتاهم الزنج ا[illegible] فقاتلوا فانهزم الزنج وكان مقدمهم أبو الندى فأصابه سهم في صدره فقتله وقطع أصحاب الموفق القنطرتين ورجعوا وألح الموفق على الخبيث بالحرب وهدم أصحابه من السور ما أمكنهم ودخلوا المدينة وقاتلوا فيها وانتهوا الى دار ابن سمعان وسليمان بن جامع فهدموهما ونهبوا ما فيهما وانتهوا الى سويقة للخبيث سماها الميمونة فهدمت وأخربت وهدموا دار الجبائي وانتهبوا ما كان فيها من خزائن الفاسق وتقدموا الى الجامع ليهدموه فاشتدت محاماة الزنج عنه فلم يصل اليه أصحاب الموفق لانه كان قد خلص مع الخبيث نخبة أصحابه وأرباب البصائر فكان أحدهم يقتل أو يجرح فيجذبه الذي الى جنبه ويقف مكانه فلما رأى الموفق ذلك أمر أبا العباس بقصد الجامع من أحد أركانه بشجعان أصحابه وأضاف اليهم الفعول للهدم ونصب السلاليم ففعل ذلك

يا عبد الله لقد أبعدت الشقة في طلب هذه الجارية فما رغبتك فيها لما رأى من شدة اعجابه بها قال انها تغني فتجيد فقال القاضي ما علمت بهذا فالح عليه في عرضها فأمرضت بحضرة مولاها القاضي وقال لها الفتى هات فغنت

الى خالد حتى أنخن بخالد
فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

ففرح القاضي بجاريته وسر بغنائها وغشيه من الطرب أمر عظيم حتى اقعدها على فخذه وقال هات شيأ بأبي أنت فغنت

أروح الى القصاص كل عشية
أرجي ثواب الله في عدد الخطا

فزاد الطرب على القاضي ولم يدر ما يصنع وأخذ نعله فعلقها في اذنه وجثا على ركبتيه وجعل يأخذ بطرف أذنه والنعل معلقة فيها ويقول اهدوني الى البيت الحرام فاني بدنة حتى أدمى أذنه فلما أمسكت أقبل على الفتى فقال يا حبيبي انصرف قد كنا فيها راغبين قبل أن نعلم أنها تقول فنحن الآن فيها أرغب فانصرف الفتى وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتله الله لقد استفزه الطرب وأمر بصرفه عن عمله فلما صرف قال نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال اركبوني فاني مطية فبلغ ذلك عمر فأشخصه وأشخص الجارية فلما دخلا على عمر قال له أعد ما قلت قال نعم فأعاد ما قال فقال للجارية قولي فغنت

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وقائل

وقاتل عليه أشد قتال فوصلوا اليه فهدموه فأخذ منبره فأتى به الموفق ثم عاد الموفق لهدم السور فأكثر منه وأخذ أصحابه دواوين الخبيث وبعض خزائنه فظهر للموفق أمارات الفتح فانهم لعلى ذلك اذ وصل سهم الى الموفق فأصابه فى صدره رماه به رومى كان مع صاحب الزنج اسمه قرطاس وذلك لخمس بقين من جمادى الاولى فستر الموفق ذلك وعاد الى مدينته وبات ثم عاد الى الحرب على ما به من ألم الجراح ليشتد بذلك قلوب أصحابه فزاد فى علته وعظم أمرها حتى خيف عليه واضطرب العسكر والرعية وخافوا فخرج من مدينته جماعة وأتاه الخبر وهو فى هذه الحال بحادث فى سلطانه فأشار عليه أصحابه وثقاته بالعود الى بغداد ويخاف من يقوم مقامه فأبى ذلك وخاف ان يستقيم من حال الخبيث ما فسد واحتجب عن الناس مدة ثم برأ من علته وظهر لهم ونهض لحرب الخبيث وكان ظهوره فى شعبان من هذه السنة

(ذكر احراق قصر صاحب الزنج)

ولما صح الموفق من جراحه عاد الى ما كان عليه من محاربة العلوى وكان قد أعاد بعض الثلم فى السور فأمر الموفق بهدم ذلك وهدم ما يتصل به وركب فى بعض العشايا وكان القتال ذلك اليوم متصلا مما يلى نهر منكى والزنج مجتمعون فيه قد شغلوا بتلك الجهة وظنوا انهم لا يأتون الا منها فأتى الموفق ومعه الفعلة وقرب من نهر منكى وقاتلهم فلما اشتدت الحرب أمر الذين بالشذاوات بالمسير الى أسفل نهر أبى الخصيب وهو فارغ من المقاتلة والرجالة فقدم أصحاب الموفق وأخرجوا الفعلة فهدموا السور من تلك الناحية وصعد المقاتلة فقتلوا فى النهر مقتلة عظيمة وانتهوا الى قصور من قصور الزنج فأحرقوها وانتهبوا ما فيها واستنقذوا عددا كثيرا من النساء اللواتى كن فيها وغنموا منها وانصرف الموفق عند غروب الشمس بالظفر والسلامة وبكر الى حربهم وهدم السور فأسرع الهدم حتى اتصل بدار الكلابى وهى متصلة بدار الخبيث فلما أعيت الخبيث الحيل أشار عليه على بن أبان باجراء الماء على السباخ وان يحفر خنادق فى مواضع عدة يمنعهم عن دخول المدينة ففعل ذلك فرأى الموفق ان يجعل قصده لطم الخنادق والانهار والمواضع المغورة فدام ذلك فحامى عنه الخبثاء ودامت الحرب ووصل الى الفريقين من القتل والجراح أمر عظيم وذلك لتقارب ما بين الفريقين فلما رأى شدة الامر من هذه الناحية قصد لاحراق دار الخبيث والهجوم عليها من دجلة فكان يعوق عن ذلك كثرة ما أعد الخبيث لها من المقاتلة والحماة عن داره فكانت الشذا اذا قربت من قصره رميت من فوق القصر بالسهام والحجارة من المنجنيق والمقلاع وأذيب الرصاص وأفرغ عليهم فتعذر احراقها لذلك فأمر الموفق ان تسقف الشذا بالاخشاب ويعمل عليها الجبس ويطلى بالادوية التى تمنع النار من احراقها ففرغ منها ورتب فيها أنجاد أصحابه ومن النفاطين جمعا كثيرا واستأمن الى الموفق محمد بن سمعان كاتب الخبيث وكان أوثق أصحابه فى نفسه وكان سبب استئمانه ان الخبيث أطلعه على انه عازم على الخلاص وحده بغير أهل ولا مال فلما رأى ذلك من عزمه أرسل يطلب الامان فأمنه الموفق وأحسن اليه وقيل كان سبب خروجه انه كان كارها لصحبة الخبيث مطلعا على كفره وسوء باطنه ولم يمكنه التخلص منه الا الآن ففارقه وكان خروجه عاشر شعبان فلما كان الغد بكر الموفق الى محاربة الخبثاء فأمر أبا العباس بقصد دار محمد الكرنبائى وهى بازاء دار الخبيث واحراقها وما يليها من منازل قواد الزنج ليشغلهم بذلك عن حماية دار الخبيث وأمر المرتبين فى الشذا المطلية بقصد دار الخبيث واحراقها ففعلوا ذلك وألصقوا شذاواتهم بسور قصره وحاربهم الفجرة أشد حرب ونضحوهم بالنيران فلم تعمل شيأ

وأقبل يستعيدها الاثا وقد بلت دموعه لحيته ثم أقبل على القاضى فقال قد قاربت فى يمينك ارجع الى عملك راشدا (حدثنا) الطوسى والاموى الدمشقى وغيرهما عن الزبير بن بكار عن عبد الله ابن أحمد المدينى قال كان بالمدينة فتى من بنى أمية من ولد عثمان وكان ظريفا يختلف الى قينة لبعض قريش وكانت الجارية تحبه ولا يعلم ويحبها ولا تعلم ولم تكن محبة القوم اذ ذاك لريبة ولا فاحشة فأراد يوما ان يبلو ذلك فقال لبعض من عنده امض بنا اليها فانطلقا ووافاها وجوه أهل المدينة من قريش والانصار وغيرهما وما كان فيهم فتى يجد بها وجده ولا تجد بواحد منهم وجدها بالاموى فلما أخذ الناس مواضعهم قال لها الفتى أتحسنين أن تقولين

أحبكم حبا بكل جوارحى * فهل عندكم علم بما لكم عندى
أتجزون بالود المضاعف مثله * فان كريما من جزى الود بالود

قالت نعم وأحسن أحسن منه وقالت

للذى ودنا المودة بالضعف * وفضل البادى به لا يجازى
لو بدا ما بنا لكم ملأ الارض * وأقطار شامها والحجازا

قال فعجب الفتى

وأحرق من القصر الرواشين والابنية الخارجة وعملت النار فيها وسلم الذين كانوا في الشذا مما كان الخبثاء يرسلونه عليهم بالظلال التي كانت في الشذا وكان ذلك سببا لتمكينهم من قصره وأمر الموفق الذين في الشذا بالرجوع فرجعوا فاخرج من كان فيها ورتب غيرهم وانتظر اقبال المد وعلوه فلما أقبل عادت الشذا الى قصره وأحرقوا بيوتا منه كانت تشرع على دجلة وأضرمت النار فيها واتصلت وقويت فاعجلت الخبيث ومن كان معه عن التوقف على شئ مما كان له من الاموال والذخائر وغير ذلك فخرج هاربا وتركه كله وعلا غلمان الموفق قصره مع اصحابهم فانتهبوا مالم تأت النار عليه من الذهب والفضة والحلى وغير ذلك واستنقذوا جماعة من النساء اللواتي كان الخبيث يأنس بهن ممن كان استرقهن ودخلوا دوره ودور ابنه انكلاى فاحرقوها جميعا وفرح الناس بذلك وتحاربوا هم وأصحاب الخبيث على باب قصره فكثر القتل في أصحابه والجراح والاسر وفعل أبو العباس في دار الكرنبابي من النهب والهدم والاحراق مثل ذلك وقطع أبو العباس يومئذ سلسلة عظيمة كان الخبيث قطع بها نهر أبي الخصيب ليمنع الشذا من دخوله فحازها أبو العباس وأخذها معه وعاد الموفق بالناس مع المغرب مظفرا وأصيب الفاسق في ماله ونفسه وولده ومن كان عنده من نساء المسلمين مثل الذي أصاب المسلمين منه من الذعر والجلاء وتشتت الشمل والمصيبة وجرح ابنه انكلاى في بطنه جراحة اشفى منها على الهلاك

(ذكر غرق نصير)

وفي يوم الاحد لعشر بقين من شعبان غرق أبو حمزة نصير وهو صاحب الشذاوات وكان سبب غرقه ان الموفق بكر الى القتال وأمر نصيرا بقصد قنطرة كان الخبيث عملها في نهر أبي الخصيب دون الجسرين اللذين كان اتخذهما على النهر وفرق أصحابه من الجهات فحمل نصير فدخل نهر أبي الخصيب في أول المد في عدة من شذاواته فحملها الماء فالصقها بالقنطرة ودخلت عدة من شذاوات الموفق مع غلمانه لم يأمرهم بالدخول فصكت شذاوات نصير وصك بعضها بعضا ولم يبق للملاحين فيها عمل ورأى الزنج ذلك فاجتمعوا على جانبي النهر وألقى الملاحون أنفسهم في الماء خوفا من الزنج ودخل الزنج الشذاوات فقتلوا بعض المقاتلة وغرق أكثرهم وصابرهم نصير حتى خاف الاسر فقذف نفسه في الماء فغرق وأقام الموفق يومه يحاربهم وينهبهم ويحرق منازلهم ولم يزل يومه مستعليا عليهم وكان سليمان بن جامع ذلك اليوم من أشد الناس قتالا لاصحاب الموفق وثبت مكانه حتى خرج عليه كمين للموفق فانهزم أصحابه وجرح سليمان جراحة في ساقه وسقط لوجهه في موضع كان فيه حريق وفيه بعض الجمر فاحترق بعض جسده وحمله أصحابه بعد أن كاد يؤسر وانصرف الموفق سالما ظافرا وأصاب الموفق مرض المفاصل فبقي به شهر شعبان وشهر رمضان وأياما من شوال وأمسك عن حرب الزنج ثم برأ وتماثل فامر باعداد آلة الحرب

(ذكر احراق قنطرة العلوى صاحب الزنج)

ولما اشتغل الموفق بعلته اعاد الخبيث القنطرة التي غرق عندها نصير وزاد فيها واحكمها ونصب دونه أدقال ساج وألبسها الحديد وسكر امام ذلك سكرا من حجارة لتضييق المدخل على الشذا ولتحتد جرية الماء في النهر فندب الموفق أصحابه وسير طائفة من شرقي نهر أبي الخصيب وطائفة من غربيه وأرسل معهما النجارين والفعلة لقطع القنطرة وما جعل امامها وأمر بسفن مملوءة من القصب ان يصب عليها النفط وتدخل النهر ويلقى فيها النار ليحترق الجسر وفرق جنده على الخبثاء ليمنعوهم عن معاونة من عند القنطرة فسار الناس الى ما أمرهم به عاشر شوال وتقدمت

الطائفتان

من حذقها مع حسن جوابها وجودة حفظها فازداد كلفا بها وقال

أنت عذر الفتى اذا اهتك السـتـ ـر وان كان يوسف المعصوما

فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فاشتراها بعشر حدائق ووهبها له بما يصلحها فاقامت عنده حولا ثم ماتت فرثاها وقضى في حاله ثلاث فدفنها وكان من مرثيته لها قوله

قد تمنيت جنة الخلد للخا لد فادخلتها بلا استئهال
ثم أخرجت اذ تطمعت بالا قامة منها والموت أحد حال

وقال أشعب الطامع هذا سيد شهيد الهوى انحروا على قبره سبعين بدنة (وقال) أبو حازم الاعرج المدني أما محب لله يبلغ هذا وقد كان خرج في أيام عمر شوذب الخارجي وقوى أمره فيمن خرج معه من المحكمة من ربيعة وغيرها فحدث عباد ابن عباد المهلبي عن محمد ابن الزبير الحنظلي قال أرسلني عمر اليهم وأرسل معي عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان خروجهم بالجزيرة وكتب عمر معنا اليهم كتابا فاتيناهم فابلغناهم كتابه ورسالته فبعثوا معنا رجلين منهم أحدهما من بني شيبان والآخر فيه حبشة وهو أحدهما لسانا وعارضة فقدمنا بهما على عمر بن عبد العزيز وهو بخناصرة فصعدنا اليه الى غرفة هو فيها ومعه ابنه عبد الملك وكاتبه مزاحم وذكرنا مكانهما فقال فتشوهما لئلا يكون معهما حديد ففعلنا

الطائفتان الى الجسر فلقيهما انكلاي بن الخبيث وعلى بن ابان وسليمان بن جامع واشتبكت الحرب ودامت وحامى أولئك عن القنطرة لعلمهم بما عليهم فى قطعها من المضرة وان الوصول الى الجسرين العظيمين اللذين يأتى ذكرهما يسهل ودامت الحرب على القنطرة الى العصر ثم ان غلمان الموفق أزالوا الخبثاء عنها وقطعها النجارون ونقضوها وما كان عمل من الادقال الساج وكان قطعها قد تعذر عليهم فادخلوا تلك السفن التى فيها القصب والنفط واضرموها نارا فوافت القنطرة فاحرقوها فوصل النجارون بذلك الى ما أرادوا وأمكن أصحاب الشذاوات دخول النهر فدخلوا وقتلوا الزنج حتى أجلوهم عن مواقفهم الى الجسر الاول الذى يتلو هذه القنطرة وقتل من الزنج خلق كثير واستأمن بشر كثير ووصل أصحاب الموفق الى الجسر المغرب فكره أن يدركهم الليل فأمرهم بالرجوع فرجعوا وكتب الى البلدان ان يقرأ على المنابر ان يؤتى المحسن على قدر احسانه ليزداد واجدا فى حرب عدوه وأخرب من الغدر جين من حجارة كانوا عملوها ليمنعوا بهما الشذاوات من الخروج من النهر اذا دخلته فلما أخربهما سهل له ما أراد من دخول النهر والخروج منه

﴿ذكر انتقال صاحب الزنج الى الجانب الشرقى واحراق سوقه﴾

لما أحرقت دوره ومساكن أصحابه ونهبت أموالهم انتقلوا الى الجانب الشرقى من نهر أبى الخصيب وجمع عياله حوله ونقل اسواقه اليه فضعف أمره بذلك ضعفا شديدا ظهر للناس فامتنعوا من جلب الميرة اليه فانقطعت عنه كل مادة وبلغ الرطل من خبز البر عشرة دراهم فأكلوا الشعير وأصناف الحبوب ثم لم يزل الامر بهم الى ان كان أحدهم يأكل صاحبه اذا انفرد به والقوى يأكل الضعيف ثم أكلوا أولادهم ورأى الموفق ان يخرب الجانب الشرقى كما أخرب الغربى فأمر أصحابه بقصد دار الهمدانى ومعهم الفعلة وكان هذا الموضع محصنا بجمع كثير وعليه عرادات ومنجنيقات وقسى فاشتبكت الحرب وكثرت القتلى فانتصر أصحاب الموفق عليهم وقتلوهم وهزموهم وانتهوا الى الدار فتعذر عليهم الصعود اليها لعلو سورها فلم تبلغه السلاليم الطوال ورمى بعض غلمان الموفق بكلاليب كانت معهم فعلقوها فى اعلام الخبيث وجذبوها فتساقطت الاعلام منكوسة فلم يشك المقاتلة عن الدار فى ان أصحاب الموفق قد ملكوها فانهزموا لا يلوى أحدهم على صاحبه فأخذها أصحاب الموفق وصعد النفاطون وأحرقوها وما كان عليها من المجانيق والعرادات ونهبوا ما كان فيها من المتاع والاثاث وأحرقوا ما كان حولها من الدور واستنقذوا ما كان فيها من النساء وكن عالما كثيرا من المسلمات فحملن الى الموفقية وأمر الموفق بالاحسان اليهن واستأمن يومئذ من أصحاب الخبيث وخاصته الذين يلون خدمته جماعة كثيرة فامنهم الموفق وأحسن اليهم ودلت جماعة من المستأمنة الموفق على سوق عظيمة كانت للخبيث متصلة بالجسر الاول تسمى المباركة واعلموه ان أحرقها لم يبق لهم سوق غيرها وخرج عنهم تجارهم الذين كان بهم قوامهم فعزم الموفق على احراقها وأمر أصحابه بقصد السوق من جانبها فقصدوها وأقبلت الزنج اليهم فتحاربوا أشد حرب تكون واتصلت أصحاب الموفق الى طرف من أطراف السوق والقوا فيه النار فاحترق واتصلت النار وكان الناس يقتتلون والنار محيطة بهم واتصلت النار بظلال السوق فاحترقت وسقطت على المقاتلة واحترق بعضهم فكانت هذه حالهم الى مغيب الشمس ثم تحاجزوا ورجع أصحاب الموفق الى عسكرهم وانتقل تجار السوق الى اعلى المدينة وكانوا قد نقلوا معظم أمتعتهم وأموالهم من هذه السوق خوفا من مثل هذه ثم ان الخبيث

فلما دخلا قالا السلام عليك ثم جلسا فقال لهما عمر أخبرانى ما الذى أخرجكم مخرجكم هذا وما نقمتم علينا فتكلم الذى فيه حدة فقال والله ما نقمنا عليك فى سيرتك وانك لتحرى بالعدل والاحسان ولكن بيننا وبينك أمر ان أنت أعطيتناه فنحن منك وأنت منا وان منعتناه فلست منا ولسنا منك فقال عمر وما هو قال رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها المظالم وسلكت غير سبيلهم فان زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وتبرأ منهم فهذا الذى يجمع بيننا وبينك أو يفرق فتكلم عمر فقال انى قد علمت انكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لدنيا ولكن أردتم الآخرة وأخطأتم طريقها وانى سائلكم عن أمور فبالله لتصدقننى عنها أرأيتما أبابكر وعمر أليسا من أسلافكم ومن تتولونهما وتشهدون لهما بالنجاة قالا بلى قال فهل علمتم أن أبابكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب قاتلهم فسفك الدماء وأخذ الاموال وسبى الذرارى قالا نعم قال فهل علمتم أن عمر حين قام بعد أبى بكر رد تلك السبايا الى أصحابها قالا نعم قال فهل برئ عمر من أبى بكر قالا لا قال أفرأيتم أهل النهروان أليسوا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة قالا بلى قال فهل علمتم أن أهل الكوفة حين خرجوا اليهم كفوا أيديهم فلم يسفكوا دما ولم يخيفوا

فعل بالجانب الشرقى من حفر الخنادق وتعوير الطرق مثل ما كان فعل بالجانب الغربى بعد هذه الوقعة واحتفر خندقا عريضا حصن به منازل أصحابه التى على النهر الغربى فرأى الموفق ان يخرب باقى السور الى النهر الغربى ففعل ذلك بعد حرب طويلة فى مدة بعيدة وكان للخبيث فى الجانب الغربى جمع من الزنج قد تحصنوا بالسور وهو منيع وهم أشجع أصحابه فكانوا يحامون عنه وكانوا يخرجون على أصحاب الموفق عند محاربتهم على حرى كور وما يليه وأمر الموفق ان يقصد هذا الموضع ويخرب سوره ويخرج من فيه فأمر أبا العباس والقوّاد بالتأهب لذلك وتقدم اليهم وأمر بالشذاوات ان تقرب من السور ونشبت الحرب ودامت الى الظهر وهدم مواضع وأحرق ما كان عليه من العرادات وتحاجز الفريقان وهما على السواء سوى هدم السور واحراق عرادات كانت عليه فنال الفريقين من الجراح أمر عظيم وعاد الموفق فوصل أهل البلاء والجد وحين على قدر بلائهم وهكذا كان عمله فى محاربته وأقام الموفق بعد هذه الوقعة أياما ثم رأى معاودة هذا الموضع لما رأى من حصانته وشجاعة من فيه وانه لا يقدر على ما بينه وبين حرى كور الا بعد ازالة هؤلاء وأعد الآلات ورتب أصحابه وقصده وقاتل من فيه وأدخلت الشذاوات النهر واشتدت الحرب ودامت وأمد الخبيث أصحابه بالمهلبى وسليمان بن جامع فى جيشهما فحملوا على أصحاب الموفق حتى الحقوهم بسفنهم وقتلوا منهم جماعة فرجع الموفق ولم يبلغ منهم ما أراد وتبين له انه كان ينبغى ان يقاتلهم من عدة وجوه لتخف وطأتهم على من يقصد هذا الموضع ففعل ذلك وفرق أصحابه على جهات أصحاب الخبيث وسار هو الى جهة النهر الغربى وقاتل من فيه وطمع الزنج بما تقدم من تلك الوقعة فصدقهم أصحاب الموفق القتال فهزموهم فولوا منهزمين وتركوا حصنهم فى أيدى أصحاب الموفق فهدموه وغنموا ما فيه وأسروا وقتلوا خلقا لا يحصى وخلصوا من هذا الحصن خلقا كثيرا من النساء والصبيان ورجع الموفق الى عسكره بما أراد

﴿ذكر استيلاء الموفق على مدينة صاحب الزنج الغربية﴾

لما هدم الموفق دور الخبيث أمر باصلاح المسالك لتتسع على المقاتلة الطريق للحرب ثم رأى قلع الجسر الاول الذى على نهر أبى الخصيب لما فى ذلك من منع معاونة بعضهم بعضا وأمر بسفينة كبيرة ان تملأ قصبا ويجعل فيه النفط ويوضع فى وسطها دقل طويل يمنعها من مجاوزة الجسر اذا التصقت به ثم أرسلها عند غفلة الزنج وقوة المد فوافت الجسر وعلم بها الزنج فأتوها وطموها بالحجارة والتراب ونزل بعضهم فى الماء فنقبها فغرقت وكان قد احترق من الجسر شئ يسير فأطفأه الزنج فعند ذلك اهتم الموفق بالجسر فندب أصحابه وأعد النفاطين والنعلة والفؤس وأمرهم بقصده من غربى النهر وشرقيه وركب الموفق فى أصحابه وقصد فوهة نهر أبى الخصيب وذلك منتصف شوال سنة تسع وستين فسبق الطائفة التى فى غرب النهر فهزم الموكلين على الجسر وهم سليمان بن جامع وانكلاى ولد الخبيث واحرقوه وأتى بعد ذلك الطائفة الاخرى ففعلوا بالجانب الشرقى مثل ذلك واحرقوا الجسر وتجاوزوه الى جانب حظيرة كانت تعمل فيها سميريات الخبيث وآلاته واحترق ذلك عن آخره الا شيأ يسيرا من الشذاوات والسميريات كانت فى النهر وقصدوا سجن الخبيث فقاتلهم الزنج عليه ساعة من النهار ثم غلبهم أصحاب الموفق عليه فأطلقوا من فيه وأحرقوا كل ما مروا به الى دار مصلح وهو من قدماء أصحابه فدخلوها فنهبوها وما فيها وسبوا نساءه وولده واستنقذوا خلقا كثيرا وعاد الموفق وأصحابه سالمين وانحاز الخبيث وأصحابه من هذا الجانب الى الجانب الشرقى من نهر أبى الخصيب واستولى الموفق على الجانب الغربى غير طريق يسير على

الجسر

آمنا ولم يأخذوا مالا قالا نعم قال فهل علمتم أن أهل البصرة حين خرجوا اليهم مع الشيبانى وعبد الله بن وهب الراسبى وأصحابه استعرضوا الناس يقتلونهم ولقوا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه وقتلوا جاريته ثم صبحوا حيا من أحياء العرب فاستعرضوهم فقتلوا الرجال والنساء والاطفال حتى جعلوا يلقون الصبيان فى قدور الأقط وهى تفور قالا قد كان ذلك قال فهل تبرأ أهل البصرة من أهل الكوفة وأهل الكوفة من أهل البصرة قالا لا قال فهل تبرؤن أنتم من احدى الطائفتين قالا لا قال أرأيتم الدين واحدا أم اثنين قالا بل واحدا قال فهل يسعكم فيه شئ يعجز عنى قالا لا قال فكيف وسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر وتولى أحدهما صاحبه وتوليتم أهل البصرة وأهل الكوفة وتولى بعضهم بعضا وقد اختلفوا فى أعظم الاشياء فى الدماء والفروج والاموال ولا يسعنى فيما زعمتم الا لعن أهل بيتى والتبرؤ منهم أرأيتم لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد منها فان كانت كذلك فاخبرنى أيها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون قال ما اذكر متى لعنته قال ويحك لم لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق ويسعنى فيما زعمت لعن أهل بيتى والتبرؤ منهم ويحك انكم قوم جهال ثم

الجسر الثاني فاصلحوا الطرق فزاد ذلك في رعب الخبيث وأصحابه فاجتمع كثير من أصحابه وقواده وأصحابه الذين كان يرى انهم لا يفارقونه على طلب الامان فبذل لهم فخرجوا ارسالا فاحسن الموفق اليهم والحقهم بأمثالهم ثم ان الموفق أحب أن يتمرن أصحابه بسلوك النهر ليحرق الجسر الثاني فكان يأمرهم بادخال الشذاوات فيه واحراق ما على جانبه من المنازل فهرب اليه بعض الايام قائد للزنج ومعه قاض كان لهم ومنبر فقت ذلك في اعضاد الخبثاء ثم ان الخبيث وكل بالجسر الثاني من يحفظه وشحنه بالرجال فامر الموفق بعض أصحابه باحراق ما عند الجسر من سفن ففعلوا حتى أحرقوها فازداد ذلك في احتياط الخبيث وفي حراسته للجسر لئلا يحرق ويستولي الموفق على الجانب الغربي فيهلك وكان قد تخلف من أصحابه جمع في منازلهم المقاربة للجسر الثاني وكان أصحاب الموفق يأتونهم ويقفون على الطريق الخفية فلما عرفوا ذلك عزموا على احراق الجسر الثاني فأمر الموفق ابنه أبا العباس والقواد بالتجهز لذلك وامرهم ان يأتوا من عدة جهات ليوافوا الجسر وأعد معهم القوس والنفط والآلات ودخل هو في النهر بالشذاوات ومعه انجاد غلمانه ومعهم الآلات أيضا واشتبكت الحرب في الجانبين جميعا بين الفريقين واشتد القتال وكان في الجانب الغربي بازاء أبي العباس ومن معه انكلاي بن الخبيث وسليمان بن جامع وفي الجانب الشرقي بازاء راشد مولى الموفق ومن معه الخبيث والمهلبي في باقي الجيش فدامت الحرب مقدار ثلاث ساعات ثم انهزم الخبثاء لا يلوون على شئ وأخذت السيوف منهم ودخل أصحاب الشذاوات النهر ودنوا من الجسر فقاتلوا من يحميه بالسهام واضرموا نارا وكان من المنهزمين سليمان وانكلاي وكانا قد أثخنا بالجراح فوافيا الجسر والنار فيه فحالت بينهما وبين العبور وألقيا أنفسهما في النهر ومن معهما فغرق منهم خلق كثير وافلت انكلاي وسليمان بعد ان أشفيا على الهلاك وقطع الجسر وأحرق وتفرق الجيش في مدينة الخبيث في الجانبين فاحرقوا من دورهم وقصورهم واسواقهم شيأ كثيرا واستنقذوا من النساء والصبيان ما لا يحصى ودخلوا الدار التي كان الخبيث سكنها بعد احراق قصره واحرقوها ونهبوا ما كان فيها مما كان سلم معه وهرب الخبيث ولم يقف ذلك اليوم على مواضع أمواله واستنقذ في هذا اليوم نسوة من العلويات كن محبسات في موضع قريب من داره التي كان يسكنها فاحسن الموفق اليهن وحملهن وفتح سجنا كان له وأخرج منه خلقا كثيرا ممن كان يحارب الخبيث ففك الموفق عنهم الحديد وأخرج ذلك اليوم كل ما كان في نهر أبي الخصيب من شذاوات ومراكب بحرية وسفن صغار وكبار وحراقات وغير ذلك من أصناف السفن الى دجلة فأباحها الموفق أصحابه مع ما فيها من السلب وكانت له قيمة عظيمة وأرسل انكلاي بن الخبيث يطلب الامان وسأل أشياء فاجابه الموفق اليها فعلم أبوه بذلك فعزله وردّه عما عزم عليه فعاد الى الحرب ومباشرة القتال ووجه سليمان بن موسى الشعراني وهو أحد رؤساء الخبيث يطلب الامان فلم يجبه الموفق الى ذلك لما كان قد تقدم منه من سفك الدماء والفساد فاتصل به ان جماعة من رؤساء أصحاب الخبيث قد استوحشوا المنعة فأجابه الى الامان فارسل الشذاوات الى موضع ذكره فخرج هو وأخوه وأهله وجماعة من قواده فارسل الخبيث من يمنعهم عن ذلك فقاتلهم ووصل الى الموفق فزاد في الاحسان اليه وخلع عليه وعلى من معه وأمر باظهاره لاصحاب الخبيث ليزدادوا ثقة فلم يبرح من مكانه حتى استأمن جماعة من قواد الزنج منهم شبل بن سالم وأجابه الموفق وأرسل اليه شذاوات فركب فيها هو وعياله وولده وجماعة من قواده فلقيهم قوم من الزنج فقاتلهم ونجا ووصل الى الموفق فاحسن اليه ووصله

أردتم أمرا فاخطأتموه فانتم تردون على الناس ما قبله منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمن عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم من أمن عنده. قالا ما نحن كذلك قال عمر بل سوف تقرون بذلك الآن هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس وهم عبدة أوثان فدعاهم الى خلع الاوثان وشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فمن فعل ذلك حقن دمه وأحرز ماله ووجبت حرمته وكانت له أسوة المسلمين قالا نعم قال أفلستم أنتم تلقون من يخلع الاوثان ويشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فتستحلون دمه وماله وتلقون من ترك ذلك وأباه من اليهود والنصارى وسائر الاديان فيأمن عندكم وتحرمون دمه قال الحبشي ما سمعت كاليوم قط حجة أبين وأقرب مأخذا من حجتك أما أنا فاشهد أنك على الحق وأنا برئ ممن برئ منك فقال عمر للشيباني فانت ما تقول قال ما أحسن ما قلت وأبين ما وصفت ولكني لا أفتات على المسلمين بامر حتى أعرض قولك عليهم فأنظر ما حجتهم قال فانت أعلم فانصرف وأقام الحبشي فامر له عمر بعطائه فمكث خمسة عشر يوما ثم مات ولحق الشيباني باصحابه فقتل معهم بعد موت عمر رحمه الله تعالى

بصلة جابلة وهو من قدماء أصحاب الخبيث فعظم ذلك عليه وعلى أوليائه لما رأوا من رغبة رؤسائهم فى الامان ولما رأى الموفق مناصحة شبل وجودة فهمه أمره ان يكفيه بعض الامور فسار ليلا فى جمع من الزنج لم يخالطهم غيرهم الى عسكر الخبيث يعرف مكانهم وأوقع بهم وأسر منهم وقتل وعاد فاحسن اليه الموفق والى أصحابه وصار الزنج بعد هذه الوقعة لا ينامون الليل ولا يزالون يتحارسون للرعب الذى دخلهم وأقام الموفق ينفذ السرايا الى الخبيث ويكيده ويحول بينه وبين القوت وأصحاب الموفق يتدربون فى سلوك تلك المضايق التى فى أرضه ويوسعونها

(ذكر استيلاء الموفق على مدينة الخبيث الشرقية)

لما علم الموفق ان أصحابه قد تمرنوا على سلوك تلك الارض وعرفوها صمم العزم على العبور الى محاربة الخبيث من الجانب الشرقى من نهر أبى الخصيب فجلس مجلسا عاما وأحضر قواد المستأمنة وفرسانهم فوقفوا بحيث يسمعون كلامه ثم كلمهم فعرفهم ما كانوا عليه من الضلالة والجهل وانتهاك المحارم ومعصية الله عز وجل وان ذلك قد أحل له دماءهم وأنه غفر لهم زلاتهم ووصلهم وان ذلك يوجب عليهم حقه وطاعته وانهم لن يرضوا ربهم وسلطانهم بأكثر من الجد فى مجاهدة الخبيث انهم يعرفون مسالك العسكر ومضايق مدينته ومعاقلها التى أعدها فهم أولى ان يجتهدوا فى الولوج على الخبيث والوغول الى حصونه حتى يمكنهم الله منه فاذا فعلوا ذلك فلهم الاحسان والمزيد ومن قصر منهم فقد أسقط منزلته وحاله فارتفعت أصواتهم بالدعاء له والاعتراف باحسانه وبما هم عليه من المناصحة والطاعة وانهم يبذلون دماءهم فى كل ما يقربهم منه وسألوه ان يفردهم بناحية ليظهر من نكايتهم فى العدو ما يعرف به اخلاصهم وطاعتهم فاجابهم الى ذلك وأثنى عليهم ووعدهم وكتب فى جمع السفن والمعابر من دجلة والبطيحة ونواحيها ليضيفها الى ما فى عسكره اذ كان ما عنده يقصر عن الجيش لكثرته وأحصى من فى الشذاوات والسميريات وأنواع السفن فكانوا زهاء عشرة آلاف ملاح ممن يجرى عليه الرزق من بيت المال مشاهرة سوى سفن أهل العسكر التى يحمل فيها الميرة ويركبها الناس فى حوائجهم وسوى ما كان لكل قائد من السميريات والحربيات والزواريق فلما تكاملت السفن تقدم الى ابنه أبى العباس وقواده بقصد مدينة الخبيث الشرقية من جهاتها فسير ابنه أبا العباس الى ناحية دار المهلبى أسفل العسكر وكان قد شحنها بالرجال والمقاتلين وأمر جميع أصحابه بقصد دار الخبيث واحراقها فان عجزوا عنها اجتمعوا على دار المهلبى وسار هو فى الشذاوات وهى مائة وخمسون قطعة فيها انجاد غلمانه وانتخب من الفرسان والرجالة عشرة آلاف وأمرهم أن يسيروا على جانبى النهر معه اذا سار وأن يقفوا معه اذا وقف ليتصرفوا بأمره وبكر الموفق لقتال الفاسقين يوم الثلاثاء لثمان خلون من ذى القعدة سنة تسع وستين ومائتين وكانوا قد تقدموا اليهم يوم الاثنين وواقعوهم وتقدم كل طائفة الى الجهة التى أمرهم بها فلقيهم الزنج واشتدت الحرب وكثر القتل والجراح فى الفريقين وحامى الفسقة عن الذى اقتصروا عليه من مدينتهم واستماتوا وصبروا فنصر الله أصحاب الموفق فانهزم الزنج وقتل منهم خلق كثير وأسر من أنجادهم وشجعانهم جمع كثير فأمر الموفق فضرب أعناق الاسرى فى المعركة وقصد بجمعه الدار التى يسكنها الخبيث وكان قد لجأ اليها وجمع أبطال أصحابه للمدافعة عنها فلم يغنوا عنها شيأ وانهزموا عنها وأسلموها ودخلها أصحاب الموفق وفيها بقايا ما كان سلم للخبيث من ماله وولده وأثاثه فنهب ذلك أجمع وأخذوا حرمه وأولاده وكانوا عشرين ما بين صبية وصبى وسار الخبيث هاربا نحو دار المهلبى لا يلوى على أهل ولا مال وأحرقت

ولعمر مع الخوارج أخبار غير ماذكرنا ١٣٠ ومراسلات ومناظرات وكذلك لمن سلف من بنى أمية وغيرهم من ولاة الامصار وقد أتينا على ذكرها وذكر كل من سمته الخوارج بأمير المؤمنين وخاطبته بالامامة من الازارقة والاباضية والحمرية والنجدات والخلفية والصفرية وغيرهم من أنواع الحرورية وذكرنا مواضعهم من الارض فى هذا الوقت مثل من سكن منهم من بلاد شهرزور وسجستان وجواة اصطخر من بلاد فارس وبلاد كرمان وأذربيجان وبلاد مكران وجبال عمان وهراة من بلاد خراسان والجزيرة وتاهرت السفلى وغيرها من بقاع الارض فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وماذكرنا من الرد عليهم فى التحكيم وغير ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الاستبصار المحكم لفرق الخوارج وفى كتاب الاستبصار وقد ذكر جماعة من شعرائهم من سلف من أئمتهم من ذلك قول مصقلة بن عتبان الشيبانى وكان من غلاة الخوارج

وأبلغ أمير المؤمنين رسالة
وذو النصح ان لم يرع منك قريب
فانك أن لا ترض بكر بن وائل
يكن لك يوم بالعراق عصيب
فان يك منهم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا سويد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

داره

داره وأتى الموفق بأهل الخبيث وأولاده فسيرهم الى بغداد وكان أصحاب أبي العباس قد قصدوا دار المهلبي وقد لجأ اليها خلق كثير من المنهزمين فغلبوهم عليها واشتغلوا بنهبها وأخذوا ما فيها من حرم المسلمين وأولادهم وجعل من ظفر منهم بشئ حمله الى سفينته فعلوا في الدار ونواحيها فلما رآهم الزنج كذلك رجعوا اليهم فقتلوا فيهم مقتلة يسيرة وكان جماعة من غلمان الموفق الذين قصدوا دار الخبيث تشاغلوا بحمل الغنائم الى السفن أيضا فاطمع ذلك الزنج فيهم فاكبوا عليهم فكشفوهم واتبعوا آثارهم وثبت جماعة من أبطال الموفق فردوا الزنج حتى تراجع الناس الى مواقفهم ودامت الحرب الى العصر فأمر الموفق غلمانه بصدق الحملة عليهم ففعلوا فانهزم الخبيث وأصحابه وأخذتهم السيوف حتى انتهوا الى داره أيضا فرأى الموفق عند ذلك ان يصرف أصحابه الى احسانهم فردهم وقد غنموا واستنقذوا جماعة من النساء المأسورات كن يخرجن ذلك اليوم ارسالا فيحملن الى الموفقية وكان أبو العباس قد أرسل في ذلك اليوم قائدا فاحرق ثم بيادر كانت ذخيرة للخبيث وكان ذلك مما أضعف به الخبيث وأصحابه ثم وصل الى الموفق كتاب لؤلؤ غلام ابن طولون في القدوم عليه فأمره بذلك وأخر القتال الى ان يحضر

ذكر خلاف لؤلؤ على مولاه أحمد بن طولون

وفيها خالف لؤلؤ غلام أحمد بن طولون صاحب مصر على مولاه أحمد بن طولون وفي يده حمص وقنسرين وحلب وديار مضر من الجزيرة وسار الى بالس فنهبها وكاتب الموفق في المسير اليه واشترط شروطا فأجابه أبو أحمد اليها وكان بالرقة فسار الى الموفق فنزل قرقيسيا وبها ابن صفوان العقيلي فحاربه وأخذها منه وسلمها الى أحمد بن مالك بن طوق وسار الى الموفق فوصل اليه وهو يقاتل الخبيث العلوي

ذكر مسير المعتمد الى الشام وعوده من الطريق

وفيها سار المعتمد نحو مصر وكان سبب ذلك انه لم يكن له من الخلافة غير اسمها ولا ينفذ له توقيع لا في قليل ولا كثير وكان الحكم كله للموفق والاموال تجبى اليه فضجر المعتمد من ذلك وأنف منه وكتب الى أحمد بن طولون يشكو اليه حاله سرا من أخيه الموفق فأشار عليه أحمد باللحاق به بمصر ووعده النصرة وسير عسكرا الى الرقة ينتظر وصول المعتمد اليهم فاغتنم المعتمد غيبة الموفق عنه فسار في جمادى الاولى ومعه جماعة من القواد فأقام بالكحيل يتصيد فلما سار الى عمل اسحق بن كنداجيق وكان عامل الموصل وعامة الجزيرة وثب ابن كنداجيق بمن مع المعتمد من القواد فقبضهم وهم نيزك وأحمد بن خاقان وخطارمش فقيدهم وأخذ أموالهم ودوابهم وكان قد كتب اليه صاعد بن مخلد وزير الموفق عن الموفق وكان سبب وصوله الى قبضهم انه أظهر انه معهم في طاعة المعتمد اذ هو الخليفة ولقيهم لما صاروا الى عمله وسار معهم عدة مراحل فلما قارب عمل ابن طولون ارتحل الاتباع والغلمان الذين مع المعتمد وقواده ولم يترك ابن كنداجيق أصحابه يرحلون ثم خلا بالقواد عند المعتمد وقال لهم انكم قاربتم عمل ابن طولون والامر أمره وتصيرون من جنده وتحت يده أفترضون بذلك وقد علمتم انه كواحد منكم وجرت بينهم في ذلك مناظرة حتى تعالى النهار ولم يرحل المعتمد ومن معه فقال ابن كنداجيق قوموا بنا نتناظر في غير حضرة أمير المؤمنين وأخذ بأيديهم الى خيمته لان مضاربهم كانت قد سارت فلما دخلوا خيمته قبض عليهم وقيدهم وأخذ سائر من مع المعتمد من القواد فقيدهم فلما فرغ من أمورهم مضى الى المعتمد فعزله في مسيره من دار ملكه وملك آبائه وفراق أخيه الموفق على الحال التي هو بها من حرب من يريد قتله وقتل أهل

وكذلك ذكرنا أخبار أم شبيب وما كانت عليه من الاجتهاد في ديانة المحكمة وفيها يقول الشاعر

أم شبيب ولدت شبيبا * هل تلد الذئبة الا ذيبا

وأخبار علمائهم كاليمان وله كتب مصنفة في مذاهبهم وعبد الله بن يزيد الاباضي وأبي مالك الحضرمي وقعنب وغير هؤلاء من علمائهم وقد كان اليمان بن رباب من غلبة علماء الخوارج وأخوه علي بن رباب من غلبة علماء الرافضة هذا مقدم في أصحابه وهذا مقدم في أصحابه يجتمعان في كل سنة ثلاثة أيام يتناظران فيها ثم يفترقان ولا يسلم أحدهما على الآخر ولا يخاطبه وكذلك كان جعفر بن المبشر من علماء المعتزلة وحذاقها وزهادها وأخوه حسن بن المبشر من علماء أصحاب الحديث ورؤساء الحشوية بالضد من أخيه جعفر وطالت بينهما المناظرة والمباغضة والتباين وكل واحد منهما لا يخاطب الآخر الى أن لحق بخالقه وجعفر بن المبشر وجعفر ابن حرب من علماء البغداديين من المعتزلة وكان عبد الله ابن يزيد الاباضي بالكوفة تختلف اليه أصحابه يأخذون منه وكان خرازا شريكا لهشام بن الحكم وكان هشام مقدما في

بيته وزوال ملكهم ثم حمله والذين كانوا معه حتى أدخلهم سامرا

﴿ذكر الحرب بين عسكر ابن طولون وعسكر الموفق بمكة﴾

وفيها كانت وقعة بمكة بين جيش لاحمد بن طولون وبين عسكر الموفق في ذي القعدة وكان سببها ان أحمد بن طولون سير جيشا مع قائدين الى مكة فوصلوا اليها وجمعوا الحناطين والجزارين وفرقوا فيهم مالا وكان عامل مكة هرون بن محمد اذ ذاك ببستان ابن عامر قد فارقها خوفا منهم فوافى مكة جعفر الباغمردي في ذي الحجة في عسكر وتلقاه هرون بن محمد في جماعة فقوي بهم جعفر والتقوا هم وأصحاب ابن طولون فاقتتلوا وأعان أهل خراسان جعفرا فقتل من أصحاب ابن طولون مائتي رجل وانهزم الباقون وسلبوا وأخذت أموالهم وأخذ جعفر من القائدين نحو مائتي ألف دينار وأمن المصريين والجزارين والحناطين وقرئ كتاب في المسجد الجامع بلعن ابن طولون وسلم الناس وأموال التجار

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في المحرم من هذه السنة قطع الاعراب الطريق على قافلة من الحاج بين تور وسميراء فسلبوهم وساقوا نحوا من خمسة آلاف بعير باحمالها واناسا كثيرا وفيها انخسف القمر وغاب منخسفا وانكسفت الشمس فيه أيضا آخر النهار وغابت منكسفة فاجتمع في المحرم كسوفان وفيها في صفر وثبت العامة ببغداد بابراهيم الخليجي فانتهبوا داره وكان سبب ذلك ان غلاما له رمى امرأة بسهم فقتلها فاستعدى السلطان عليه فامتنع ورمى غلمانه الناس فقتلوا جماعة وجرحوا فثارت بهم العامة وقتلوا منهم رجلين من أصحاب السلطان ونهبوا منزله ودوابه وخرج هاربا فجمع محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكان نائب أبيه دواب ابراهيم وما أخذ له فرده عليه وفيها وجه الى أبي الساج جيش بعدما انصرف من مكة فسيره الى جدة فاخذ لمغروي مركبين فيهما مال وسلاح وفيها وثب خلف صاحب أحمد بن طولون بالثغور الشامية وعامله عليها بازمار الخادم مولى مفلح بن خاقان فحبسه فوثب به جماعة فاستنقذوا بازمار وهرب خلف وتركوا الدعاء لابن طولون فسار اليهم ابن طولون ونزل أذنة فاعتصم أهل طرسوس بها ومعهم بازمار فرجع عنهم ابن طولون الى حمص ثم الى دمشق فاقام بها وفيها اقام رافع بن هرثمة بما كان الخجستاني غلب عليه من مدن خراسان فاجتبى عدة من كور خراسان خراجها لبضع عشرة سنة فافقر أهلها وأخربها وفيها كانت وقعة بين الحسنيين والحسينيين بالحجاز والجعفريين فقتل من الجعفريين ثمانية نفر وخلصوا الفضل بن العباس العباسي عامل المدينة وفيها في جمادى الآخرة عقد هرون بن الموفق لابن أبي الساج على الانبار وطريق الفرات والرحبة وولي محمد بن أحمد الكوفة وسوادها فلقي محمد الهيصم العجلي فانهزم الهيصم وفيها توفي عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني وبيده أرمينية وديار بكر وفيها لعن المعتمد أحمد بن طولون في دار العامة وأمر بلعنه على المنابر وولي اسحق بن كنداجيق على اعمال ابن طولون وفوض اليه من باب الشماسية الى افريقية وولي شرطة الخاصة وكان سبب هذا اللعن ان ابن طولون قطع خطبة الموفق وأسقط اسمه من الطرز فتقدم الموفق الى المعتمد بلعنه ففعل مكرها لان هوى المعتمد كان مع ابن طولون وفيها كانت وقعة بين ابن أبي الساج والاعراب فهزموه ثم بيتهم فقتل منهم وأسر ووجه بالرؤس والاسرى الى بغداد وفيها في شوال دخل ابن أبي الساج رحبة مالك بن طوق بعد ان قاتله أهلها وقتلهم وهرب أحمد بن مالك بن طوق الى الشام ثم سار ابن أبي الساج الى قرقيسيا فدخلها وخرج بالناس هرون

القول بالجسم والقول بالامامة على مذهب القطيعية يختلف اليه أصحابه من الرافضة يأخذون عنه وكلاهما في حانوت واحد على ماذكرنا من التضاد في المذهب من التشري والرفض لم يجر بينهما مسابة ولاخروج عما يوجبه العلم وقضية العقل وموجب الشرع واحكام النظر والسبر وذكر ان عبد الله بن يزيد الاباضي قال لهشام بن الحكم في بعض الايام تعلم مابيننا من المودة ودوام الشركة وقد أحببت أن تنكحني ابنتك فاطمة فقال له هشام انها مؤمنة فامسك عبد الله ولم يعاوده في شئ من ذلك الى أن فرق الموت بينهما وكان من أمر هشام مع الرشيد وابن برمك ما أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وذكر عن عمر بن عبيد انه كان يقول أخذ عمر بن عبد العزيز الخلافة بغير حقها ولا باستحقاق ثم استحقها بالعدل حين أخذها وفي وفاة عمر رضي الله تعالى عنه يقول الفرزدق من أبيات يرثيه بها

أقول لما نعى الناعون لي عمرا
لقد نعيتم قوام الحق والدين
قد غيب الرامسون اليوم اذ رمسوا
بدير سمعان قسطاس الموازين
لم يلهه عمره عين يفجرها * ولا النخيل ولا ركض البراذين

ابن

ابن محمد بن اسحق الهاشمي وفيها اخرج محمد بن الفضل أمير صقلية في عسكر الى ناحية رمطة و بلغ العسكر الى قطانيسة فقتل كثيرا من الروم وسبى وغنم ثم انصرف الى بلرم في ذي الحجة وفيها توفي أحمد بن مخالد مولى المعتصم وهو من دعاة المعتزلة وأخذ الكلام عن جعفر بن مبشر وفيها توفي سليمان بن حفص بن أبي عصفور الافريقي وكان معتزليا يقول بخلق القرآن وأراد أهل القيروان قتله لذلك وصحب بشرا المريسي وأبا الهذيل وغيرهما من المعتزلة

﴿ثم دخلت سنة سبعين ومائتين﴾

﴿ذكر قتل الخبيث صاحب الزنج﴾

قد ذكرنا من حرب الزنج وعود الموفق عنهم مؤيدا بالظفر فلما عاد عن قتالهم الى مدينة الموفقية عزم على مناجزة الخبثاء فأتاه كتاب لؤلؤ غلام ابن طولون يستأذنه في المسير اليه فاذن له وترك القتال ينتظره ليحضر القتال فوصل اليه ثالث المحرم من هذه السنة في جيش عظيم فاكرمه الموفق وأنزله وخلع عليه وعلى أصحابه ووصلهم وأحسن اليهم وأمر لهم بالارزاق على قدر مراتبهم وأضعف ما كان لهم ثم تقدم الى لؤلؤ بالتأهب لحرب الخبثاء وكان الخبيث لما غلب على نهر أبي الخصيب وقطعت القناطر والجسور التي عليه أحدث سكرا في النهر من جانبيه وجعل في وسط النهر بابا ضيقا لتحتد جرية الماء فيه فتمتنع الشذاوات من دخوله في الجزر ويتعذر خروجها منه في المد فرأى الموفق ان حربه لا يتهيأ الا بقلع هذا السكر فحاول ذلك فاشتد محاماة الخبثاء عليه وجعلوا يزيدون كل يوم فيه وهو متوسط دورهم والمرورية تسهل عليهم وتعظم على من أراد قلعه فشرع في محاربتهم بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ ليتمرنوا على قتالهم ويقفوا على المسالك والطرق في مدينتهم فأمر لؤلؤا أن يحضر في جماعة من أصحابه للحرب على هذا السكر ففعل فرأى الموفق من شجاعة لؤلؤ واقدامه وشجاعة أصحابه ما سره فأمر لؤلؤا بصرفهم اشفاقا عليهم ووصلهم الموفق وأحسن اليهم وألح الموفق على هذا السكر وكان يحارب المحامين عليه بأصحابه وأصحاب لؤلؤ وغيرهم والفعلة يعملون في قلعه ويحارب الخبيث وأصحابه في عدة وجوه فيحرق مساكنهم ويقتل مقاتلهم واستأمن اليه الجماعة وكان قد بقي للخبيث وأصحابه بقية من أرضين بناحية النهر الغربي لهم فيها مزارع وحصون وقنطرتان وبه جماعة يحفظونه فسار اليهم أبو العباس وفرق أصحابه من جهاتهم وجعل كمينا ثم أوقع بهم فانهزموا فكلما قصدوا جهة خرج عليهم من يقاتلهم فيها فقتلوا عن آخرهم لم يسلم منهم الا الشريد فاخذوا من أسلحتهم ما أثقلهم حمله وقطع القنطرتين ولم يزل الموفق يقاتلهم على سكرهم حتى تهيأ له فيه ما أحبه في خرقه فلما فرغ منه عزم على لقاء الخبيث فأمر باصلاح السفن والآلات للماء والظهر وتقدم الى أبي العباس ابنه أن يأتي الخبيث من ناحية دار المهلبي وفرق العساكر من جميع جهاته وأضاف المستأمنة الى شبل وأمره بالجد في قتال الخبيث وأمر الناس أن لا يزحف أحد حتى يحرك علما أسود كان نصبه على دار الكرماني وحتى ينفخ في بوق بعيد الصوت وكان عبوره يوم الاثنين لثلاث بقين من المحرم فعجل بعض الناس وزحف نحوهم فلقيه الزنج فقتلوا منهم وردوهم الى مواقفهم ولم يعلم سائر العسكر بذلك لكثرتهم وبعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض وأمر الموفق بتحريك العلم الاسود والنفخ في البوق فزحف الناس في البر والماء يتلو بعضهم بعضا فلقيهم الزنج وقد حشدوا واجترؤا بما تهيأ لهم على من كان يسرع اليهم فلقيهم الجيش بنيات صادقة وبصائر نافذة واشتد القتال وقتل من الفريقين جمع كثير فانهزم أصحاب الخبيث وتبعهم أصحاب الموفق يقتلون ويأسرون واختلط بهم

ولعمر رحمة الله عليه خطب وأخبار حسان غير ما ذكرنا في هذا الكتاب في الزهد وغيره وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا والحمد لله رب العالمين

﴿ذكر أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان﴾

وملك يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه عمر بن عبد العزيز وهو يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة ويكنى أبا خالد وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وتوفي يزيد بن عبد الملك باربد من أرض البلقاء من أعمال دمشق يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة فكانت ولايته أربع سنين وشهرا ويومين

﴿ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان في أيامه﴾

كان الغالب على يزيد بن عبد الملك حب جارية يقال لها سلامة القس وكانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فاشتراها يزيد بثلاثة آلاف دينار فأعجب بها وغلبت على أمره وفيها يقول عبد الله ابن قيس الرقيات

لقد فتن الدنيا وسلامة القسا
فلم يتركا للقس عقلا ولا نفسا

فاحتالت ام سعيد العثمانية جدته بشراء جارية يقال لها حبابة قد كان في نفس يزيد بن عبد الملك قديما منها شيء فغلبت عليه ووهب سلامة لام سعيد فعزله مسلمة بن عبد الملك لما عم

ذلك اليوم أصحاب الموفق فقتل منهم مالا يحصى عددا وغرق منهم مثل ذلك وحوى الموفق المدينة بأسرها فغنمها أصحابه واستنقذوا من كان بقي من الاسرى من الرجال والنساء والصبيان وظفر بجميع عيال على بن ابان المهلبي وباخويه الخليل ومحمد وأولادهما وعبر بهما الى المدينة الموفقية ومضى الخبيث في أصحابه ومعه ابنه انكلاى وسليمان بن جامع وقواد من الزنج وغيرهم هرابا عامدين الى موضع كان الخبيث قد أعده ملجأ اذا غلب على مدينته وذلك المكان على النهر المعروف بالسفياني وكان أصحاب الموفق قد اشتغلوا بالنهب والاحراق وتقدم الموفق في الشذاوات نحو نهر السفياني ومعه لؤلؤ وأصحابه فظن أصحاب الموفق انه رجع الى مدينتهم الموفقية فانصرفوا الى سفنهم بما قد حووا ولما انتهى الموفق ومن معه الى عسكر الخبيث وهم منهزمون واتبعهم لؤلؤ في أصحابه حتى عبر السفياني فاقتحم لؤلؤ بفرسه واتبعه أصحابه حتى انتهى الى النهر المعروف بالقريري فوصل اليه لؤلؤ وأصحابه فاوقعوا به ومن معه فهزموهم حتى عبر نهر السفياني ولؤلؤ في أثرهم فاعتصموا بجبل وراءه وانفرد لؤلؤ وأصحابه باتباعهم الى هذا المكان في آخر النهار فأمر الموفق بالانصراف فعاد مشكورا محمود الفعل فحمله الموفق معه وجدد له من البر والكرامة ورفعة المنزلة ما كان مستحقا له ورجع الموفق فلم ير أحدا من أصحابه بمدينة الزنج فرجع الى مدينته واستبشر الناس بالفتح وهزيمة الزنج وصاحبهم وكان الموفق قد غضب على أصحابه بمخالفتهم أمره وتركهم الوقوف حيث أمرهم فجمعهم جميعا ووبخهم على ذلك وأغلظ لهم فاعتذروا واعتلوا بما ظنوه من انصرافه وانهم لم يعلموا بمسيره ولو علموا ذلك لاسرعوا نحوه ثم تعاقدوا وتحالفوا بمكانهم على ان لا ينصرف منهم أحد اذا توجهوا نحو الخبيث حتى يظفروا به فان أعياهم أقاموا بمكانه حتى يحكم الله بينهم وبينه وسألوا الموفق ان يرد السفن التي يعبرون فيها الى الخبيث لينقطع الناس عن الرجوع فشكرهم وأثنى عليهم وأمرهم بالتأهب وأقام الموفق بعد ذلك الى الجمعة يصلح ما يحتاج الناس اليه وأمر الناس عشية الجمعة بالمسير الى حرب الخبيث بكرة السبت وطاف عليهم هو بنفسه يعرف كل قائد مركزه والمكان الذي يقصده وغدا الموفق يوم السبت لثلاثين خلت من صفر فعبر بالناس وأمر برد السفن فردت وسار يقدمهم الى المكان الذي قدر ان يلقاهم فيه وكان الخبيث وأصحابه قد رجعوا الى مدينتهم بعد انصراف الجيش عنهم وأملوا ان تتطاول بهم الايام وتندفع عنهم المناجزة فوجد الموفق المتسرعين من فرسان غلمانه والرجالة قد سبقوا الجيش فاوقعوا بالخبيث وأصحابه وقعة هزموهم بها وتفرقوا لا يلوي بعضهم على بعض وتبعهم أصحاب الموفق يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم وانقطع الخبيث في جماعة من حماة أصحابه وفيهم المهلبي وفارقه ابنه انكلاى وسليمان بن جامع فقصد كل فريق منهم جمعا كثيفا من الجيش وكان أبو العباس قد تقدم فلقي المنهزمين في الموضع المعروف بعسكر ريحان فوضع أصحابه فيهم السلاح ولقيهم طائفة أخرى فأوقعوا بهم أيضا وقتلوا منهم جماعة وأسروا سليمان بن جامع فاتوا به الموفق من غير عهد ولا عقد فاستبشر الناس بأسره وكثر التكبير وأيقنوا بالفتح اذ كان أكثر أصحاب الخبيث عناء عنه وأسر من بعده ابراهيم بن جعفر الهمذاني وكان أحد أمراء جيوشه فأمر الموفق بالاستيثاق منهم وجعلوهم في شذاة لابي العباس ثم ان الزنج الذين انفردوا مع الخبيث حملوا على الناس حملة أزالوهم عن مواقفهم ففتروا فاحس الموفق بفتورهم فجد في طلب الخبيث وأمعن فتبعه أصحابه وانتهى الموفق الى آخر نهر أبي الخصيب فلقيه البشير بقتل الخبيث وأتاه بشير آخر ومعه كف ذكر انها كفه فقوى الخبر عنده ثم أتاه غلام

الناس من الظلم والجور باحتجابه واقباله على الشرب واللهو وقال اماتت عمر أمس وكان من عدله ما قد علمت فينبغي أن تظهر للناس العدل وترفض هذا اللهو فقد اقتدى بك عمالك في سائر أفعالك وسيرتك فارتدع عما كان عليه وأظهر الاقلاع والندم وأقام على ذلك مدة مديدة فغلظ ذلك على حبابة فبعثت الى الاحوص الشاعر ومعبد المغني انظراما أنتما صانعان فقال الأحوص في أبيات له

الا لا تلمه اليوم أن يتبلدا
فقد غلب المحزون أن يتجلدا

اذا كنت لا تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجرا من يابس الصلد جلمدا

فما العيش الا ما تلذ وتشتهي
وان لام فيه ذو الشنان وفندا

وغناه معبد وأخذته حبابة فلما دخل عليها يزيد قالت يا أمير المؤمنين اسمع مني صوتا واحدا ثم افعل ما بدا لك وغنته فلما فرغت منه جعل يردد قولها

فما العيش الا ما تلذ وتشتهي
وان لام فيه ذو الشنان وفندا

وعاد بعد ذلك الى لهوه وقصفه ورفض ما كان عليه وذكر اسحق بن ابراهيم الموصلي قال حدثني ابن سلام قال ذكر يزيد قول الشاعر صفحنا عن بني ذهل * وقلنا القوم اخوان

من

من أصحاب لؤلؤ يركض ومعه رأس الخبيث فأدناه منه وعرضه على جماعة من المستأمنة فعرفوه فخر لله ساجدا وسجد معه الناس وأمر الموفق برفع رأسه على قناة فتأمله الناس فعرفوه وكثر الضجيج بالتحميد وكان مع الخبيث لما أحيط به المهلبي وحده فولى عنه هاربا وقصد نهر الأمير فألقى نفسه فيه يريد النجاة وكان انكلاي قد فارق أباه قبل ذلك وسار نحو الديناري ورجع الموفق ورأس الخبيث بين يديه وسليمان معه وأصحابه الى مدينته وأتاه من الزنج عالم كبير يطلبون الأمان فأمنهم وانتهى اليه خبر انكلاي والمهلبي ومكانهما ومن معهما من مقدمي الزنج فبث الموفق أصحابه في طلبهم وأمرهم بالتضييق عليهم فلما أيقنوا أن لا ملجأ أعطوا بأيديهم فظفر بهم وبمن معهم وكانوا زهاء خمسة آلاف فأمر بالاستيثاق من المهلبي وانكلاي وكان ممن هرب قرطاس الرومي الذي رمى الموفق بالسهم في صدره فانتهى الى رامهرمز فعرفه رجل فدل عليه عامل البلد فأخذه وسيره الى الموفق فقتله أبو العباس وفيها استأمن درمويه الزنجي الى أبي أحمد وكان درمويه من أنجاد الزنج وأبطالهم وكان الخبيث قد وجهه قبل هلاكه بمدة الى موضع كثير الشجر والأدغال والآجام متصل بالبطيحة فكان هو ومن معه يقطعون الطريق هنالك على السابلة في زواريق خفاف فاذا طلبوا دخلوا الأنهار الصغار الضيقة واعتصموا بالأدغال واذا تعذر عليهم مسلك لضيقه حملوا سفنهم ولجؤا الى الأمكنة الوسيعة ويغيرون على قرى البطيحة ويقطعون الطريق فظفر بجماعة من عسكر الموفق معهم نساء قد عادوا الى منازلهم فقتل الرجال وأخذ النساء فسألهن عن الخبر فأخبرنه بقتل الخبيث وأسر أصحابه وقواده ومصير كثير منهم الى الموفق بالأمان واحسانه اليهم فسقط في يده ولم ير لنفسه ملجأ الا طلب الأمان والصفح عن جرمه فأرسل يطلب الأمان فأجابه الموفق اليه فخرج وجميع من معه حتى وافى بعسكر الموفق فأحسن اليهم وأمنهم فلما اطمأن درمويه أظهر ما كان في يده من الأموال والأمتعة وردها الى أربابها ردا ظاهرا فعلم بذلك حسن نيته فازداد احسان الموفق اليه وأمر أن يكتب الى أمصار المسلمين بالنداء في أهل النواحي التي دخلها الزنج بالرجوع الى أوطانهم فسار الناس الى ذلك وأقام الموفق بالمدينة الموفقية ليأمن الناس بمقامه وولى البصرة والأبلة وكور دجلة رجلا من قواده قد حمد مذهبه وعلم حسن سيرته يقال له العباس بن تركس وأمره بالمقام بالبصرة وولى قضاء البصرة والأبلة وكور دجلة محمد بن حماد وقدم ابنه أبا العباس الى بغداد ومعه رأس الخبيث ليراه الناس فبلغها لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة وكان خروج صاحب الزنج يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين وكانت أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام وقيل في أمر الموفق وأصحاب الزنج أشعار كثيرة فمن ذلك قول يحيى بن محمد الأسلمي

أقول وقد جاء البشير بوقعة * أعزت من الاسلام ما كان واهيا
جزى الله خير الناس للناس بعدما * أبيح حماهم خير ما كان جازيا
تفرد اذ لم ينصر الله ناصر * بتجديد دين كان أصبح باليا
وتجديد ملك قد وهى بعد عزه * وأخذ بثارات تبير الأعاديا
ورد عمارات أزيلت وأخربت * ليرجع فيء قد تخرم وافيا
وترجع أمصار أبيحت وأحرقت * مرارا فقد أمست قواء عوافيا
ويشفي صدور المسلمين بوقعة * يقر بها منا العيون البواكيا

عسى الأيام أن يرجعن قوما كالذي كانوا
فلما صرح الشر * فأمسى وهو عريان
مشينا مشية الليث * غدا والليث غضبان
بضرب فيه توهين * وتخضيع واقران
وطعن كفم الزق * وهى والزق ملآن
وفي الشر نجاة حين * لا ينجيك احسان

وهو شعر قديم يقال انه للفند في حرب البسوس فقال لحبابة غنيني به بحياتي فقالت يا أمير المؤمنين هذا شعر لا أعرف أحدا يغني به الا الأحول المكي فقال نعم قد كنت سمعت ابن عائشة يعمل فيه ويترك قالت انما أخذه عن فلان ابن أبي لهب وكان حسن الأداء فوجه يزيد الى صاحب مكة اذا أتاك كتابي هذا فادفع الى فلان ابن أبي لهب ألف دينار لنفقة طريقه واحمله على ما شاء من دواب البريد ففعل فلما قدم عليه قال غنني بشعر الفند فغناه فأجاد وأحسن وقال أعده فأعاده فأجاد وأحسن وأطرب يزيد فقال له عمن أخذت هذا الغناء فقال يا أمير المؤمنين أخذته عن أبي وأخذه أبي عن أبيه فقال لو لم ترث الا هذا الصوت لكان أبو لهب قد ورثكم خيرا كثيرا فقال يا أمير المؤمنين ان أبا لهب مات كافرا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد أعلم ما تقول ولكني دخلتني له رقة اذ كان مجيد الغناء ووصله وكساه ورده الى بلده مكرما وكان

و يتلى كتاب الله في كل مسجد * ويلقى دعاء الطالبيين خاسيا
فاعرض عن جناته ونعيمه * وعن لذة الدنيا وأصبح عاريا

وهي قصيدة طويلة وقال غيره في هذا المعنى أيضا شعرا كثيرا وقد انقضى أمر الزنج

(ذكر الظفر بالروم)

وفي هذه السنة خرجت الروم في مائة ألف فنزلوا على قلمية وهي على ستة أميال من طرسوس فخرج اليهم بازمار ليلا فبيتهم في ربيع الاول فقتل منهم فيما يقال سبعين ألفا وقتل مقدمهم وهو بطريق البطارقة وقتل أيضا بطريق القبادقين وبطريق الباطليق وأفلت بطريق قرة وبه عدة جراحات وأخذ لهم سبع صلبان من ذهب وفضة وصليبهم الاعظم من ذهب مكلل بالجوهر وأخذ خمسة عشر ألف دابة ومن السروج وغير ذلك وسيوفا محلاة وأربع كراسي من ذهب ومائتي كرسي من فضة وآنية كثيرة ونحوا من عشرة آلاف علم ديباج وديباجا كثيرا وبزيون وغير ذلك

(ذكر وفاة الحسن بن زيد وولاية أخيه محمد)

وفيها توفي الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان في رجب وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام وولي مكانه أخوه محمد بن زيد وكان الحسن جوادا امتدحه رجل فاعطاه عشرة آلاف درهم وكان متواضعا لله تعالى حكي عنه أنه مدحه شاعر فقال * الله فرد وابن زيد فرد * فقال بفيك الحجر يا كذاب هلا قلت * الله فرد وابن زيد عبد * ثم نزل عن مكانه وخر ساجدا لله تعالى وألصق خده بالتراب وحرم الشاعر وكان عالما بالفقه والعربية مدحه شاعر فقال

لا تقل بشرى ولكن بشريان * غرة الداعي ويوم المهرجان

فقال له كان الواجب ان تفتتح الابيات بغير لا فان الشاعر المجيد يتخير لاول القصيدة ما يعجب السامع ويتبرك به ولو ابتدأت بالمصراع الثاني لكان أحسن فقال له الشاعر ليس في الدنيا كلمة أجل من قول لا اله الا الله وأولها لا فقال أصبت وأجازه وحكي عنه انه غنى عنده مغن بأبيات الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب التي أولها

وأنا الاخضر من يعرفني * أخضر الجلدة من بيت العرب

فلما وصل الى قوله برسول الله وابني عمه * وبعباس بن عبد المطلب

غير البيت فقال * لا بعباس بن عبد المطلب * فغضب الحسن وقال يا ابن اللخناء تهجو بني عمنا بين يدي وتحرف ما مدحوا به لئن فعلتها مرة ثانية لاجعلتها آخر غنائك

(ذكر وفاة أحمد بن طولون وولاية ابنه خمارويه)

في هذه السنة توفي أحمد بن طولون صاحب مصر والشام والثغور الشامية وكان سبب موته أن نائبه بطرسوس وثب عليه بازمار الخادم وقبض عليه وعصى على أحمد وأظهر الخلاف فجمع أحمد العساكر وسار اليه فلما وصل اذنة كاتبه وراسله يستميله فلم يلتفت الى رسالته فسار اليه أحمد ونازله وحصره فخرق بازمار نهر البلد على منزلة العسكر فكاد الناس يهلكون فرحل أحمد مغيظا حنقا وكان الزمان شتاء وأرسل الى بازمار انني لم أرحل الا خوفا ان تخترق حرمة هذا الثغر فيطمع فيه العدو فلما عاد الى انطاكية أكل لبن الجواميس فاكثر منه فاصابه منه هيضة واتصلت حتى صار منها ذرب وكان الاطباء يعالجونه وهو يأكل سرا فلم ينجع الدواء فتوفي رحمه الله وكانت امارته نحو ست وعشرين سنة وكان عاقلا حازما كثير المعروف والصدقة متدينا يحب العلماء وأهل الدين وعمل كثيرا من أعمال البر ومصالح المسلمين وهو

في عهد عمر الى يزيد اذا أمكنتك القدرة بالعزة فاذكر قدرة الله عليك وقيل ان هذا الكلام كتب به عمر الى بعض عماله وفيه زيادة على ما ذكره الزبير ابن بكار وهي اذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد فاذكر قدرة الله عليك بما تأتي عليهم واعلم أنك لا تأتي عليهم أمرا الا كان زائلا عنهم باقيا عليك وأن الله يأخذ للمظلوم من الظالم ومهما ظلمت من أحد فلا تظلمن من لا ينتصر عليك الا بالله تعالى واعتلت حبابة فاقام يزيد أياما لا يظهر للناس ثم ماتت فاقام أياما لا يدفنها جزعا عليها حتى جيفت فقيل ان الناس يتحدثون بجزعك وان الخلافة تجل عن ذلك فدفنها وأقام على قبرها فقال

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو النفس لا بالتجلد

ثم أقام بعدها أياما قلائل ومات. حدث أبو عبد الله محمد بن ابراهيم عن أبيه عن اسحق الموصلي عن أبي الحويرث الثقفي قال لما ماتت حبابة حزن عليها يزيد ابن عبد الملك حزنا شديدا وضم اليه جويرية كانت تحدثها وكانت تخدمها فتمثلت الجارية يوما

كفى حزنا للهائم الصب أن يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

فبكى حتى كاد أن يموت ولم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حبابة حتى مات وكان يزيد ذات يوم في مجلسه وقد غنته حبابة

الذي بنى قلعة يافا وكانت المدينة بغير قلعة وكان يميل الى مذهب الشافعي ويكرم أصحابه وولي بعده ابنه خمارويه واطاعه القواد وعصى عليه نائب أبيه بدمشق فسير اليه العساكر فاجلوه وساروا من دمشق الى شيزر

﴿ذكر مسير اسحق بن كنداجيق الى الشام﴾

لما توفي أحمد بن طولون كان اسحق بن كنداجيق على الموصل والجزيرة فطمع هو وابن أبي الساج في الشام واستصغرا أولاد أحمد وكاتبا الموفق بالله في ذلك واستمداه فأمرهما بقصد البلاد ووعدهما انفاذ الجيوش فجمعا وقصدا ما يجاورهما من البلاد فاستوليا عليه وأعانهما النائب بدمشق لاحمد بن طولون ووعدهما الانحياز اليهما فتراجع من بالشام من نواب احمد بانطاكية وحلب وحمص وعصى متولي دمشق واستولى اسحق على ذلك وبلغ الخبر الى أبي الجيش خمارويه بن أحمد فسير الجيوش الى الشام فملكوا دمشق وهرب النائب الذي كان بها وسار عسكر خمارويه من دمشق الى شيزر لقتال اسحق بن كنداجيق وابن أبي الساج فطاولهم اسحق ينتظر المدد من العراق وهجم الشتاء على الطائفتين واضر باصحاب ابن طولون فتفرقوا في المنازل بشيزر ووصل العسكر العراقي الى كنداجيق وعليهم أبو العباس أحمد بن الموفق وهو المعتضد بالله فلما وصل سار مجدا الى عسكر خمارويه بشيزر فلم يشعروا حتى كبسهم في المساكن ووضع السيف فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وسار من سلم الى دمشق على اقبح صورة فسار المعتضد اليهم فجلوا عن دمشق الى الرملة وملك هو دمشق ودخلها في شعبان سنة احدى وسبعين ومائتين وأقام عسكر ابن طولون بالرملة فارسلوا الى خمارويه يعرفونه الحال فخرج من مصر في عساكره قاصدا الشام

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها في جمادى الاولى توفي هرون بن الموفق ببغداد وفيها كان فداء أهل سندية على يد بازمار وفيها في شعبان شغب أصحاب أبي العباس بن الموفق على صاعد بن مخلد وهو وزير الموفق وطلبوا الارزاق وقاتلهم أصحاب صاعد وكان بينهم حرب شديدة قتل فيها جماعة وأسر من أصحاب أبي العباس جماعة ولم يكن أبو العباس حاضرا كان قد خرج متصيدا ودامت الحرب الى بعد المغرب ثم كف بعضهم عن بعض ثم وضع العطاء من الغد واصطلحوا وفيها كانت وقعة بين اسحق بن كنداجيق وبين ابن دعباش وكان ابن دعباش بالرقة عاملا عليها وعلى الثغور والعواصم لابن طولون وابن كنداجيق على الموصل للخليفة وفيها ابتدأ اسمعيل بن موسى بناء مدينة لاردة من الاندلس وكان مخالفا لمحمد صاحب الاندلس ثم صالحه في العام الماضي فلما سمع صاحب برشلونة الفرنجي جمع وحشد وسار يريد منعه من ذلك فسمع به اسمعيل فقصده وقاتله فانهزم المشركون وقتل أكثرهم وبقي أكثر القتلى في تلك الارض دهرا طويلا وفيها توفي محمد بن اسحق بن جعفر الصاغاني الحافظ ومحمد بن مسلم بن عثمان المعروف بابن واره الرازي وكان اماما في الحديث وله فيه مصنفات وفيها توفي داود بن علي الاصبهاني الفقيه امام أصحاب الظاهر وكان مولده سنة اثنتين ومائتين وفيها توفي مصعب بن أحمد بن مصعب أبو أحمد الصوفي الزاهد وهو من اقران الجنيد وفيها مات ملك الروم وهو ابن الصقلابية وحج بالناس هرون بن محمد بن محمد بن اسحق بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وفيها توفي خالد بن أحمد بن خالد السدوسي الذهلي الذي كان أمير خراسان ببغداد وكان قد قصد الحج فقبض عليه الخليفة المعتمد وحبسه

وسلامة فطرب طربا شديدا ثم قال أريد أن أطير فقالت له حبابة يامولاي فعلى من تدع الامة وتدعنا وكان أبو حمزة الخارجي اذا ذكر بني مروان وعابهم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال أقعد حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره ثم قال أريد أن أطير فطار الى لعنة الله وأليم عذابه (قال المسعودي) وقد كان يزيد ابن المهلب بن أبي صفرة هرب من سجن عمر بن عبد العزيز حين أثقل وذلك في سنة احدى ومائة وصار الى البصرة وعليها عدي ابن أرطاة الفزاري فأخذه يزيد بن المهلب فاوثقه ثم خرج يريد الكوفة مخالفا على يزيد بن عبد الملك وحشدت له الأزد وأحلافها وانحاز اليه أهله وخاصته وعظم أمره واشتدت شوكته فبعث اليه أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في جيش عظيم فلما شارفاه رأى يزيد بن المهلب في عسكره اضطرابا فقال ماهذا الاضطراب قيل جاء مسلمة والعباس فوالله ما مسلمة الا جرادة صفراء وما العباس الا بسطوس ابن بسطوس وما أهل الشأم الا طغام قد حشدوا ما بين فلاح وزراع ودباغ وسفلة فأعيروني أكفكم ساعة تصفقون بها خراطيمهم فماهي الا غدوة وروحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين علي بفرسي فأتى بفرس

فمات بالحبس وهو الذى أخرج البخارى صاحب الصحيح من بخارى وخبره معه مشهور فدعا عليه البخارى فأدركته الدعوة

﴿ثم دخلت سنة احدى وسبعين ومائتين﴾

﴿ذكر خلاف محمد وعلى العلويين﴾

فى هذه السنة دخل محمد وعلى ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب المدينة وقتلا جماعة من أهلها وأخذا من قوم مالا ولم يصل أهل المدينة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جمع لا جمعة ولا جماعة فقال الفضل بن العباس العلوى فى ذلك

أخربت دار هجرة المصطفى البر * فأبكى خرابها المسلمينا
عين فابكى مقام جبريل والقبـ * ـر فبكى والمنبر الميمونا
وعلى المسجد الذى أسس التقـ * ـوى خلاء أمسى من العابدينا
وعلى طيبة التى بارك الله * عليها بخاتم المرسلينا

﴿ذكر عزل عمرو بن الليث عن خراسان﴾

وفيها ادخل المعتمد اليه حاج خراسان وأعلمهم انه قد عزل عمرو بن الليث عما كان قلده ولعنه بحضرتهم وأخبرهم انه قلد خراسان محمد بن طاهر وأمر ايضا بلعن عمرو على المنابر فلعن فسار صاعد ابن مخلد الى فارس لحرب عمرو واستخلف محمد بن طاهر رافع بن هرثمة على خراسان فلم يغير السامانية عما وراء النهر

﴿ذكر وقعة الطواحين﴾

وفى هذه السنة كانت وقعة الطواحين بين أبى العباس المعتضد وبين خمارويه بن أحمد بن طولون وسبب ذلك ان المعتضد سار من دمشق بعد ان ملكها نحو الرملة الى عساكر خمارويه فأتاه الخبر بوصول خمارويه الى عساكره وكثرة من معه من الجموع فهم بالعود فلم يمكنه من معه من أصحاب خمارويه الذين صاروا معه وكان المعتضد قد أوحش ابن كنداجيق وابن أبى الساج ونسبهما الى الجبن حيث انتظراه ليصل اليهما ففسدت نياتهما معه ولما وصل خمارويه الى الرملة نزل على الماء الذى عليه الطواحين فملكه فنسبت الوقعة اليه ووصل المعتضد وقد عبى أصحابه وكذلك أيضا فعل خمارويه وجعل له كمينا عليهم سعيد الايسر وحملت ميسرة المعتضد على ميمنة خمارويه فانهزمت فلما رأى ذلك خمارويه ولم يكن رأى مصافا قبله ولى منهزما فى نفر من الاحداث الذين لا علم لهم بالحرب ولم يقف دون مصر ونزل المعتضد الى خيام خمارويه وهو لا يشك فى تمام النصر فخرج الذين عليهم سعيد الايسر وانضاف اليه من بقى من جيش خمارويه ونادوا بشعارهم وحملوا على عسكر المعتضد وهم مشغولون بنهب السواد ووضع المصريون السيف فيهم وظن المعتضد أن خمارويه قد عاد فركب فانهزم ولم يلو على شئ فوصل الى دمشق ولم يفتح له أهلها بابها فمضى منهزما حتى بلغ طرسوس وبقى العسكران يضطربان بالسيوف وليس لواحد منهما أمير وطلب سعيد الايسر خمارويه فلم يجده فأقام أخاه أبا العشائر وتمت الهزيمة على العراقيين وقتل منهم خلق كثير وأسر كثير وقال سعيد للعساكر ان هذا أخو صاحبكم وهذه الاموال تنفق فيكم ووضع العطاء فاشتغل الجند عن الشغب بالاموال وسيرت البشارة الى مصر ففرح خمارويه بالظفر وخجل للهزيمة غير انه أكثر الصدقة وفعل مع الاسرى فعلة لم يسبق الى مثلها قبله فقال

أباق فركب غير متسلح فالتقى الجيشان فاقتتلوا اقتتالا شديدا وولى أصحاب يزيد عنه فقتل يزيد فى المعركة وصبر اخوته أنفسهم فقتلوا جميعا فى ذلك يقول الشاعر

كل القبائل بايعوك على الذى * تدعو اليه طائعين وساروا
حتى اذا حضر الوغى وجعلتهم * نصب الاسنة أسلموك وطاروا
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن * عارا عليك وبعض قتل عار

فلما ورد الخبر على يزيد بن عبد الملك استبشر وأخذ الشعراء جميعا يهجون آل المهلب الا كثيرا فانه امتنع من ذلك فقال له يزيد حركتك الرحم يا أبا صخر لانهم يمانيون فى ذلك يقول جرير يهجو آل المهلب

يارب قوم وقوم حاسدين لكم * ما فيهم بدل منكم ولا خلف
آل المهلب جز الله دابرهم * أمسوا رمادا فلا أصل ولا طرف
ما نالت الازد من دعوى مضلهم * الا المعاجم والاعناق تختطف
والازد قد جعلوا المنتوف قائدهم * فقتلتهم جنود الله وانتسفوا

وهى طويلة وفى ذلك يقول جرير أيضا ليزيد من كلمة

اقد نزكت فلا تعدمك اذ كفروا * آل المهلب عظما غير مجبور

لاصحابه

لاصحابه ان هؤلاء اضيافكم فاكرموهم ثم احضرهم بعد ذلك وقال لهم من اختار المقام عندنا فله الاكرام والمواساة ومن أراد الرجوع جهزناه وسيرناه فمنهم من أقام ومنهم من سار مكرما وعادت عساكر خمارويه الى الشام فتحته أجمع فاستقر ملك خمارويه له

﴿ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وعمرو الصفار﴾

في هذه السنة عاشر ربيع الاول كانت وقعة بين عساكر الخليفة وفيها أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وبين عمرو بن الليث الصفار ودامت الحرب من أول النهار الى الظهر فانهزم عمرو وعساكره وكانوا خمسة عشر ألفا بين فارس وراجل وجرح الدرهمي مقدم جيش عمرو بن الليث وقتل مائة رجل من حماتهم وأسر ثلاثة آلاف أسير واستأمن منهم ألف رجل وغنموا من معسكر عمرو من الدواب والبقر والحمير ثلاثين ألف رأس وما سوى ذلك فخارج عن الحد

﴿ذكر حروب الاندلس وافريقية﴾

في هذه السنة سير محمد صاحب الاندلس جيشا مع ابنه المنذر الى مدينة بطليوس فزال عنها ابن مروان الجليقي وكان مخالفا كما ذكرنا وقصد حصن أشبرغرة فتحصن به فاحرق المنذر بطليوس وسير محمد أيضا جيشا مع هاشم بن عبد العزيز الى مدينة سرقسطة وبها محمد بن لب بن موسى فملكها هاشم واخرج منها محمدا وكان معه عمر بن حفصون الذي ذكرنا خروجه على صاحب الاندلس وصالحه فلما عادوا الى قرطبة هرب عمر بن حفصون وقصد ببشتر مخالفا فاهتم صاحب الاندلس به على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها سارت سرية للمسلمين عظيمة بصقلية الى رمطة فخربت وغنمت وسبت وأسرت كثيرا وعادت وتوفي أمير صقلية وهو الحسين بن أحمد فولي بعده سوادة ابن محمد بن خفاجة التميمي وقدم اليها فسار بعسكر كبير الى مدينة قطانية فاهلك ما فيها وسار الى طبرمين بقاتل أهلها وأفسد زرعها وتقدم فيها فأتاه رسول بطريق الروم يطلب الهدنة والمفاداة فهادنه ثلاثة أشهر وفاداه ثلثمائة أسير من المسلمين فرجع سوادة الى بلرم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عقد لاحمد بن محمد الطائي على المدينة وطريق مكة فوثب يوسف بن أبي الساج وهو والي مكة على بدر غلام الطائي وكان أميرا على الحاج فحاربه وأسره فثار الجند والحاج بيوسف وقاتلوه واستنقذوا بدرا وأسروا يوسف وحملوه الى بغداد وكانت الحرب بينهم على أبواب المسجد الحرام وفيها أخربت العامة الدير العتيق الذي وراء نهر عيسى وانتهبوا ما فيه وقلعوا أبوابه فسار اليهم الحسين بن اسمعيل صاحب شرطة بغداد من قبل محمد بن طاهر فمنعهم من هدم ما بقي منه وكان يتردد هو والعامة اليه أياما حتى كاد ان يكون بينهم حرب ثم بني ما هدم بعد ايام وكانت اعادة بنائه بقوة عبدون أخي صاعد بن مخلد وحج بالناس هرون بن اسحق وفيها توفي عبد الرحمن بن محمد ابن منصور البصري

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائتين﴾

﴿ذكر الحرب بين اذكوتكين ومحمد بن زيد العلوي﴾

في هذه السنة منتصف جمادى الاولى كانت حرب شديدة بين اذكوتكين وبين محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان ثم سار اذكوتكين من قزوين الى الري ومعه أربعة آلاف فارس وكان مع محمد بن زيد من الديلم والطبرية والخراسانية عالم كبير فاقتتلوا فانهزم عسكر محمد بن زيد وتفرقوا وقتل منهم ستة آلاف وأسر ألفان وغنم اذكوتكين وعسكره من أثقالهم وأموالهم

يا ابن المهلب ان الناس قد علموا * أن الخلافة للشم المغاوير

وبعث يزيد هلال بن أحوز المازني في طلب آل المهلب وأمره أن لا يلقى منهم من بلغ الحلم الا ضرب عنقه فاتبعهم حتى قندابيل من أرض السند وأتى هلال بغلامين من آل المهلب فقال لاحدهما أدركت قال نعم ومد عنقه فكان الآخر أشفق عليه فعض شفته لئلا يظهر جزعا فضرب عنقه وأثخن القتل في آل المهلب حتى كاد أن يفنيهم فذكر ان آل المهلب مكثوا بعد ايقاع هلال بهم عشرين سنة يولد فيهم الذكور فلا يموت منهم أحد وفي مدح هلال بن أحوز وما فعل يقول جرير

أقول لها من ليلة ليس طولها * كطول الليالي ليت صبحك نورا

أخاف على نفسي ابن أحوز انه * جلا كل هم في النفوس فأسفرا

جعلت لقبر بالحساب ومالك * وقبر عدي بالمقابر أقبرا

فلم يبق منهم راية تعرفونها * ولم يبق من آل المهلب عسكرا

وهي أبيات وقد كان يزيد بن عبد الملك حين ولى عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضاف اليه خراسان واستقام أمره هنالك بعث ابن هبيرة الى الحسن بن أبي الحسن البصري وعامر بن شرحبيل الشعبي ومحمد بن سيرين وذلك في سنة ثلاث ومائة فقال اللهم ان يزيد بن

ودوابهم شيأ لم يروا مثله ودخل اذكوتكين الري فاقام بها واخذ من أهلها مائة ألف ألف دينار وفرق عماله في أعمال الري

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها وقع بين أبي العباس بن الموفق وبين بازمار بطرسوس فثار أهل طرسوس بابي العباس فاخرجوه فسار الى بغداد في النصف من المحرم وفيها توفي سليمان بن وهب في حبس الموفق في صفر وفيها خرج خارجي بطريق خراسان وسار الى دسكرة الملك فقتل وفيها دخل حمدان بن حمدون وهرون الشاري مدينة الموصل وصلى بهم الشاري في جامعها وفيها انقب المطبق من داخله وأخرج منه الدوباني العلوي وفتيان معه فركبوا دواب اعدت لهم وهربوا فاغلقت أبواب بغداد فاخذ الدوباني ومن معه فامر الموفق وهو بواسط ان تقطع يده ورجله من خلاف فقطع وفيها قدم صاعد بن مخلد من فارس الى واسط فامر الموفق جميع القوّاد أن يستقبلوه فاستقبلوه وترجلوا له وقبلوا يده وهو لا يكلمهم كبرا وتيها ثم قبض الموفق عليه وعلى جميع أهله وأصحابه ونهب منازلهم بعد أيام وكان قبضه في رجب وقبض ابناه أبو عيسى وصالح وأخوه عبدون ببغداد واستكتب مكانه أبا الصقر اسمعيل بن بلبل واقتصر به على الكتابة دون غيرها وفيها نزل بنو شيبان ومن معهم بين الزابين من أعمال الموصل وعاثوا في البلد وأفسدوا وجمع هرون الخارجي على قصدهم وكتب الى حمدان بن حمدون التغلبي في المجيء اليه الى الموصل فسار هرون نحو الموصل وسار حمدان ومن معه اليه فعبروا اليه بالجانب الشرقي من دجلة وساروا جميعا الى نهر الخازر وقاربوا حلل بني شيبان فوافقت طليعة لبني شيبان على طليعة هرون فانهزمت طليعة هرون وانهزم هرون وجلا أهل نينوى عنها الا من تحصن بالقصور وفيها زلزلت مصر في جمادى الآخرة زلزلة شديدة أخربت الدور والمسجد الجامع وأحصى بها في يوم واحد ألف جنازة وفيها غلا السعر ببغداد وكان سببه ان أهل سامرا منعوا من انحدار السفن بالطعام ومنع الطائي أرباب الضياع من الدياس انتظارا لغلاء الاسعار ومنع أهل بغداد عن سامرا الزيت والصابون وغير ذلك واجتمعت العامة ووثبوا بالطائي فجمع أصحابه وقاتلهم فجرح بينهم جماعة وركب محمد بن طاهر وسكن الناس وصرفهم عنه وفيها توفي اسمعيل بن بريهة الهاشمي في شوال وعبيد الله بن عبد الله الهاشمي وفيها تحركت الزنج بواسط وصاحوا انكلاي يا منصور وكان هو والمهلبي وسليمان بن جامع وجماعة من قوادهم في حبس الموفق ببغداد فكتب الموفق بقتلهم فقتلوا وأرسلت رؤسهم اليه وصلبت أبدانهم ببغداد وفيها اصلح أمر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتراجع الناس اليها وفيها غزا الصائفة بازمار وحج بالناس هرون بن محمد بن اسحق وفيها اسير صاحب الاندلس الى ابن مروان الجليقي وهو بحصن اشبرغرة فحصروه وضيقوا عليه وسير جيشا آخر الى محاربة عمر بن حفصون بحصن بربشتر وفيها انقضت الهدنة بين سوادة أمير صقلية والروم فاخرج سوادة السرايا الى بلد الروم بصقلية فغنمت وعادت وفيها قدم من القسطنطينية بطريق يقال له انجفور في عسكر كبير فنزل على مدينة سبرينة فحصرها وضيق على من بها من المسلمين فسلموها على أمان ولحقوا بارض صقلية ثم وجه انجفور عسكرا الى مدينة منتية فحصروها حتى سلمها أهلها بامان الى بلرم من صقلية وفيها مات أبو بكر محمد بن صالح بن عبد الرحمن الانماطي المعروف بكيلجة وهو من أصحاب يحيى بن معين وهو لقبه وفيها توفي أحمد ابن عبد الجبار بن محمد بن عطارد العطاردي التميمي وهو يروي مغازي ابن اسحق عن يونس عن

عبد الملك خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ ميثاقهم بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة وقد ولاني ما ترون يكتب الي بالامر من أمره فانفذه وأقلده ما يقلده من ذلك فما ترون فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية فقال عمر ما تقول يا حسن فقال الحسن يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ان الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وأوشك أن يبعث اليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لا ينجيك الا عملك يا ابن هبيرة اني أحذرك ان تعصي الله فانما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تركن دين الله وعباده بسلطان الله فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وحكى في هذا الخبر أن ابن هبيرة أجازهم وأضعف جائزة الحسن فقال الشعبي سفسفنا فسفسف لنا وذكر أن يزيد بن عبد الملك بلغه أن أخاه هشام بن عبد الملك ينتقصه ويتمنى موته ويعيب عليه لهوه بالقينات فكتب اليه يزيد أما بعد فقد بلغني استثقالك حياتي واستبطاؤك موتي ولعمري انك بعدي لواهي الجناح أجذم الكف وما استوجبت منك ما بلغني عنك فاجابه هشام أما بعد فان أمير المؤمنين متى فرغ سمعه لقول أهل الشنآن وأعداء النعم يوشك أن يقدح

ابن

ابن اسحق ومن طريقه بمعناه وفيها توفى ابراهيم بن الوليد بن الخشخاش وفيها توفى شعيب ابن بكار الكاتب وله حديث عن أبى عاصم النبيل

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين﴾

﴿ذكر اختلاف بين ابن أبى الساج وابن كنداج والخطبة بالجزيرة لابن طولون﴾

فى هذه السنة فسد الحال بين محمد بن أبى الساج واسحق بن كنداج وكانا متفقين فى الجزيرة وسبب ذلك ان ابن أبى الساج نافر اسحق فى الاعمال وأراد التقدم وامتنع عليه اسحق فارسل ابن أبى الساج الى خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر وأطاعه وصار معه وخطب له باعماله وهى قنسرين وسير ولده ديوداد الى خمارويه رهينة فارسل اليه خمارويه مالا جزيلا له ولقواده وسار خمارويه الى الشام فاجتمع هو وابن ابى الساج ببالس وعبر ابن أبى الساج الفرات الى الرقة فلقيه ابن كنداج وجرى بينهما حرب انهزم فيها ابن كنداج واستولى ابن أبى الساج على ما كان لابن كنداج وعبر خمارويه الفرات ونزل الرافقة ومضى اسحق منهزما الى قلعة ماردين فحصره ابن أبى الساج وسار عنها الى سنجار فاوقع بها بقوم من الاعراب وسار ابن كنداج من ماردين نحو الموصل فلقيه ابن أبى الساج ببرقعيد فكمن كمينا فخرجوا على ابن كنداج وقت القتال فانهزم عنها وعاد الى ماردين فكان فيها وقوى ابن أبى الساج وظهر أمره واستولى على الجزيرة والموصل وخطب لخمارويه فيها ثم لنفسه بعده

﴿ذكر وقعة بين عسكر ابن أبى الساج والشراة﴾

لما استولى ابن ابى الساج على الموصل أرسل طائفة من عسكره مع غلامه فتح وكان شجاعا مقدما عنده الى المرج من أعمال الموصل فساروا اليها وجبوا الخراج منها وكان اليعقوبية الشراة بالقرب منه فارسل اليهم فهادنهم وقال انما مقامى بالمرج مدة يسيرة ثم أرحل عنه فسكنوا الى قوله وتفرقوا فنزل بعضهم بالقرب من سوق الاحد فاسرى اليهم فتح فى السحر فكبسهم وأخذ أموالهم وانهزم الرجال عنه وكان باقى اليعقوبية قد خرجوا الى أصحابهم الذين أوقع بهم فتح من غير ان يعلموا بالوقعة فلقيهم المنهزمون من أصحابهم فاجتمعوا وعادوا الى فتح فقاتلوه وحملوا حملة رجل واحد فهزموه وقتلوا من أصحابه ثمانمائة رجل وكان أصحابه ألف رجل فافلت فى نحو مائة رجل وتفرق مائة فى القرى واختفوا وعادوا الى الموصل متفرقين وأقاموا بها

﴿ذكر وفاة محمد بن عبد الرحمن وولاية ابنه المنذر﴾

فى هذه السنة توفى محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الاموى صاحب الاندلس سلخ صفر وكان عمره نحوا من خمس وستين سنة وكانت ولايته أربعا وثلاثين سنة وأحد عشر شهرا وكان أبيض مشربا بحمرة ربعة أوقص يخضب بالحناء والكتم وخلف ثلاثة وثلاثين ولدا ذكورا وكان ذكيا فطنا بالامور المشتبهة متعانيا منها ولما مات ولى بعده ابنه المنذر بن محمد بويع له بعد موت أبيه بثلاث ليال وأطاعه الناس وأحسن اليهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها أيضا كانت وقعة بالرقة فى جمادى الاولى بين اسحق بن كنداجيق وبين محمد بن أبى الساج انهزم اسحق ثم كانت بينهما وقعة أخرى فى ذى الحجة فانهزم اسحق أيضا وفى هذه السنة وثب أولاد ملك الروم على أبيهم فقتلوه وملك أحدهم بعده وفيها قبض الموفق على لؤلؤ غلام ابن طولون

الذنوب فاما أنا فمعاذ الله أن أستثقل حياتك أو أستبطئ وفاتك فكتب اليه نحن مغتفرون ما كان منك ومكذبون ما بلغنا عنك فاحفظ وصية عبد الملك ايانا وقوله لنا فى ترك التباغى والتخاذل وما أمر به وحض عليه من صلاح ذات البين واجتماع الاهواء فهو خير لك وأملك بك وانى لا كتب اليك وأعلم انك كما قال الاول

وانى على أشياء منك تريبنى قديما لذو صفح على ذاك مجمل

ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى يمينك فانظر أى كف تبدل

وان أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل

فلما أتى الكتاب هشاما ارتحل اليه فلم يزل فى جواره مخافة أهل البغى والسعاية حتى مات يزيد وممن مات فى أيام يزيد بن عبد الملك عطاء بن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويكنى أبا محمد وهو ابن أربع وثمانين سنة وذلك فى سنة ثلاث ومائة وفيها مات مجاهد بن جبير مولى قيس بن السائب المخزومى ويكنى أبا الحجاج وهو ابن أربع وثمانين سنة وجابر بن زيد مولى الازد من أهل البصرة ويكنى أبا الشعثاء ويزيد بن الاصم من أهل الرقة وهو ابن أخت

الذي كان قدم عليه بالامان حين كان يقاتل الزنج بالبصرة ولما قبضه قيده وضيق عليه وأخذ منه أربعمائة ألف دينار فكان لؤلؤ يقول ليس لي ذنب الا كثرة مالي ولم تزل أموره في ادبار الى ان افتقر ولم يبق له شئ ثم عاد الى مصر في آخر أيام هرون بن خمارويه فريدا وحيدا بغلام واحد فكان هذا ثمرة العقل السخيف وكفر الاحسان وحج بالناس فيها هرون بن محمد بن اسحق وفيها ثار السودان بمصر وحصروا صاحب الشرطة فسمع خمارويه بن أحمد بن طولون الخبر فركب وفي يده سيف مسلول وقصد دار صاحب الشرطة وقتل كل من لقيه من السودان فانهزموا منه وأكثر القتل فيهم وسكنت مصر وأمن الناس وفيها مات أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني صاحب كتاب السنن ومحمد بن زيد بن ماجه القزويني وله أيضا كتاب السنن وكان عاقلا اماما عالما وتوفي الفتح بن شخرف أبو داود الكشي الصوفي وكان موته ببغداد وهو من أصحاب الاحوال الشريفة وتوفي حنبل بن اسحق

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائتين ﴾

﴿ ذكر الحرب بين عسكر عمرو بن الليث وبين عسكر الموفق ﴾

في هذه السنة سار الموفق الى فارس لحرب عمرو بن الليث الصفار فبلغ الخبر الى عمرو فسير العباس بن اسحق في جمع كثير من العسكر الى سيراف وأنفذ ابنه محمد بن عمرو الى أرجان وسير أبا طلحة شيركب صاحب جيشه على مقدمته فاستأمن أبو طلحة الى الموفق وسمع عمرو ذلك فتوقف عن قصد الموفق ثم ان أبا طلحة عزم على العود الى عمرو فبلغ الموفق خبره فقبض عليه بقرب شيراز وحمل ماله لابنه المعتضد أبي العباس وسار يطلب عمرا فعاد عمرو الى كرمان ومنها الى سجستان على المفازة فتوفي ابنه محمد بالمفازة ولم يقدر الموفق على أخذ كرمان وسجستان من عمرو فعاد عنه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة غزا بازمار فاوغل في أرض الروم فاوقع فيها بكثير من أهلها وقتل وغنم وسبى وأسر وعاد سالما الى طرسوس وفيها دخل صديق الفرغاني دور سامرا فنهبها وأخذ أموال التجار منها وأفسد وكان صديق هذا يخفر الطريق ويحميه ثم صار يقطعها وحج بالناس هرون بن محمد وفيها توفي أبو العباس بن الكشن بن المتوكل وكان قد حبسه أخوه المعتمد ثم أطلقه وفيها توفي الحسن ابن مكرم وعلي بن عبد الحميد الواسطي وفيها جمع اسحق بن كنداج جمعا كثيرا وسار نحو الشام فبلغ الخبر خمارويه فسار اليه وقد عبر الفرات فالتقيا وجرى بين الطائفتين قتال شديد انهزم فيه اسحق هزيمة عظيمة لم يرده شئ حتى عبر الفرات وتحصن بها وسار خمارويه الى الفرات فعمل جسرا فلما علم اسحق بذلك سار من هناك الى قلاع له قد أعدها وحصنها وأرسل الى خمارويه يخضع له ويبذل له الطاعة في جميع ولايته وهي الجزيرة وما والاها فاجابه الى ذلك وصالحه ابن أبي الساج وجمع جمعا كثيرا وسار نحو الشام قاصدا منازعة خمارويه حيث كان أبعد الى مصر فبلغ الخبر خمارويه فخرج عن مصر في عساكره فالتقيا في البثنية من أعمال دمشق فاقتتلا قتالا عظيما انهزم ابن أبي الساج وعاد منهزما حتى عبر الفرات فاحضر خمارويه ولد ابن أبي الساج وكان رهينة عنده فخلع عليه وأطلقه وسيره الى أبيه وعاد الى مصر

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائتين ﴾

﴿ ذكر الاختلاف بين خمارويه وابن أبي الساج ﴾

الاشعري واسمه عامر كوفي وفي سنة أربع ومائة مات وهب بن منبه ويقال مات سنة عشرة ومائة وفي سنة أربع ومائة هذه أيضا مات طاوس وفي سنة خمس ومائة مات عبد الله ابن جبير مولى العباس ابن عبد المطلب ويقال انه مولى مولى العباس وقيل ان طاوس بن كيسان ويكنى أبا عبد الرحمن مولى بحير الحميري مات بمكة سنة ست ومائة وصلى عليه هشام بن عبد الملك وفي سنة سبع ومائة مات سليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخو عطاء بن يسار ويكنى أبا أيوب وهو ابن ثلاث وسبعين سنة بالمدينة وقيل انه مات في سنة مائة وفي سنة ثمان ومائة مات القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق ومات الحسن بن أبي الحسن البصري ويكنى أبا سعيد في سنة عشر ومائة واسم أبيه يسار مولى لامرأة من الانصار مات وله تسع وثمانون سنة وقيل تسعون سنة وكان أكبر من محمد بن سيرين ومات محمد بعده بمائة ليلة في هذه السنة وهو ابن احدى وثمانين سنة وقيل ابن ثمانين وكان أولاد سيرين خمسة اخوة محمد وسعيد ويحيى وخالد وأنس

قد ذكرنا اتفاق ابن أبي الساج وخمارويه بن طولون وطاعة ابن أبي الساج له فلما كان الآن خالف ابن أبي الساج على خمارويه فسمع خمارويه الخبر فسار عن مصر في عساكره نحو الشام فقدم اليه آخر سنة أربع وسبعين فسار ابن أبي الساج اليه فالتقوا عند ثنية العقاب بقرب دمشق واقتتلوا في المحرم من هذه السنة وكان القتال بينهما فانهزمت ميمنة خمارويه وأحاط باقي عسكره بابن أبي الساج ومن معه فمضى منهزما واستبيح معسكره وأخذت الاثقال والدواب وجميع ما فيه وكان خلف بحمص شيأ كثيرا فسير اليه خمارويه قائدا في طائفة من العسكر جريدة فسبقوا ابن أبي الساج اليها ومنعوه من دخوله والاعتصام بها واستولوا على ماله فيها فمضى ابن أبي الساج منهزما الى حلب ثم منها الى الرقة فتبعه خمارويه ففارق الرقة فعبر خمارويه الفرات وسار في أثر ابن أبي الساج فوصل خمارويه الى مدينة بلد وكان قد سبقه ابن أبي الساج الى الموصل فلما سمع ابن أبي الساج بوصوله الى بلد سار عن الموصل الى الحديثة وأقام خمارويه ببلد وعمل له سرير طويل الارجل فكان يجلس عليه في دجلة هكذا ذكر أبو زكريا يزيد بن اياس الازدي الموصلي صاحب تاريخ الموصل ان خمارويه وصل الى بلد وكان اماما فاضلا عالما بما يقول وهو بشاهد الحال

﴿ذكر الحرب بين ابن كنداج وابن أبي الساج﴾

لما انهزم ابن كنداج من ابن أبي الساج كما ذكرناه أقام الى أن انهزم ابن أبي الساج من خمارويه فلما وافى خمارويه بلد أقام بها وسير مع اسحق بن كنداج جيشا كثيرا وجماعة من القواد ورحل يطلب ابن أبي الساج فمضى بين يديه وابن كنداج يتبعه الى تكريت فعبر ابن أبي الساج دجلة وأقام ابن كنداج وجمع السفن ليعمل جسرا يعبر عليه وكان يجري بين الطائفتين مراماة وكان ابن أبي الساج في نحو ألفي فارس وابن كنداج في عشرين ألفا فلما رأى ابن أبي الساج اجتماع السفن سار عن تكريت الى الموصل ليلا فوصل اليها في اليوم الرابع فنزل بظاهرها عند الدير الاعلى وسار ابن كنداج يتبعه فوصل الى العزيق فلما سمع ابن أبي الساج خبره سار اليه فالتقوا واقتتلوا عند قصر حرب فاشتد القتال بينهم وصبر محمد بن أبي الساج صبرا عظيما لانه كان في قلة فنصره الله وانهزم ابن كنداج وجميع عسكره ومضى منهزما وكان اعظم الاسباب في هزيمته بغيه فانه لما قيل له ان ابن أبي الساج قد اقبل نحوك من الموصل ليقاتلك قال استقبل الكلاب فعد الناس هذا بغيا وخافوا منه فلما انهزم وسار الى الرقة وتبعه محمد اليها وكتب الى أبي احمد الموفق يعرفه ما كان منه ويستأذنه في عبور الفرات الى الشام بلاد خمارويه فكتب اليه الموفق يشكره ويأمره بالتوقف الى أن يصله الامداد من عنده واما ابن كنداج فانه سار الى خمارويه فسير معه جيشا فوصلوا الى الفرات فكان اسحق بن كنداج على الشام وابن أبي الساج بالرقة ووكل بالفرات من يمنع من عبورها فبقوا كذلك مدة ثم ان ابن كنداج سير طائفة من عسكره فعبروا الفرات في غير ذلك الموضع وساروا فلم تشعر طائفة من عسكر ابن أبي الساج كانوا طليعة الا وقد أوقعوا بهم فانهزموا من عسكر اسحق الى الرقة فلما رأى ابن أبي الساج ذلك سار عن الرقة الى الموصل فلما وصل اليها طلب من أهلها المساعدة بالمال وقال لهم ليس بالاضطرار مروءة فأقام بها نحو شهر وانحدر الى بغداد فاتصل بأبي أحمد الموفق في ربيع الاول من سنة ست وسبعين ومائتين فاستصحبه معه الى الجبل وخلع عليه ووصله بمال وأقام ابن كنداج بديار ربيعة وديار مضر من أرض الجزيرة

ابن سيرين وسيرين مولى أنس بن مالك والخمسة قد رووا السنن ونقلت عنهم ووجدت أصحاب التواريخ متباينين ومختلفين غير متفقين في وفاة وهب بن منبه ويكنى أبا عبد الله فمنهم من ذكر وفاته على حسب ما قدمنا في هذا الباب ومنهم من رأى أنه مات سنة عشر ومائة بصنعاء وكان من الابناء وهو ابن تسعين سنة وفي سنة خمس عشرة ومائة مات الحكم بن عتيبة الكندي وقيل انه مات فيها عطاء بن أبي رباح وفي سنة ثلاث وعشرين ومائة مات أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري وذكر الواقدي أنه مات سنة أربع وعشرين ومائة وليزيد بن عبد الملك أخبار حسان ولما كان في أيامه من الكوائن والاحداث وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما ذكرنا وفاة من سمينا من أهل العلم ونقلة الآثار وحملة الاخبار ليكون ذلك زيادة في فائدة الكتاب فتكون فوائده عامة اذ كان الناس في أغراضهم متباينين وفيما يتيممونه من مأخذ العلم مختلفين فمنهم طالب خبر ومقلد لاثر ومنهم ذو بحث ونظر ومنهم صاحب حديث ومنقر عن عال ومراع لوفاة مثل من ذكرنا فجعلنا فيه لكل ذي رأي نصيبا وبالله التوفيق

﴿ذكر الحرب بين الطائي وفارس العبدي﴾

وفيها ظهر فارس العبدي في جمع فاخاف السبيل وسار الى دور سامرا ونهب فسار اليه الطائي مقاتلا فهزمه الطائي وأخذ سواده ثم سار الطائي الى دجلة ليعبرها فدخل طيارة له فادركه بعض أصحاب فارس فتعلقوا بكوثل الطيارة فرمى الطائي نفسه في الماء وسبح فلما خرج منه نفض لحيته وقال ايش ظن العبدي أليس أنا أسبح من سمكة ثم نزل الطائي السن والعبدي بازائه وقال على بن بسام في الطائي

قد أقبل الطائي ما اقبلا * يفتح في الافعال ما أجملا
كانه من لين ألفاظه * صبية تمضغ جهد البلا

وجهد البلا ضرب من النافط يتعلك وفيها قبض الموفق على الطائي وقيده وختم على كل شئ له وكان يلي الكوفة وسوادها وطريق خراسان وسامرا والشرطة ببغداد وخراج بادوريا وقطربل ومسكن

﴿ذكر قبض الموفق على ابنه المعتضد بالله﴾

في هذه السنة في شوال قبض الموفق على ابنه المعتضد بالله أبي العباس أحمد وسبب ذلك ان الموفق دخل الى واسط ونزل بها ثم عاد الى بغداد وتخلف المعتمد على الله بالمدائن وأمر الموفق ابنه أن يسير الى بعض الوجوه فقال لا أخرج الا الى الشام لانها الولاية التي ولى فيها أمير المؤمنين فلما امتنع عليه باحضاره أمر باحضاره فلما حضر أمر بعض خدمه أن يحبسه في حجرة في داره فلما قام المعتضد تقدم اليه الخادم وأمره بدخول تلك الدار فدخل ووكل به فيها وثار القوّاد من أصحابه ومن تبعهم وركبوا واضطربت بغداد لما رأوا السلاح والقواد فركب الموفق الى الميدان وقال لهم ما شأنكم أترون انكم أشفق على ولدي مني وقد احتجت الى تقويمه فانصرفوا وفي هذه السنة سار الطائي الى سامرا بسبب صديق فراسله وآمنه ودخل سامرا في جماعة من أصحابه فاخذهم الطائي وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وحملهم الى بغداد وفيها غرا بازمار في البحر فغنم من الروم أربع مراكب

﴿ذكر استيلاء رافع بن هرثمة على جرجان﴾

في هذه السنة سار رافع بن هرثمة الى جرجان فازال عنها محمد بن زيد وسار محمد الى استراباذ فحصره فيها رافع وأقام عليه نحو سنتين فغلت الاسعار بحيث لم يوجد ما يؤكل وبيع وزن درهم ملح بدرهمين فضة وفارقها محمد بن زيد ليلا في نفر يسير الى سارية فسير اليه رافع عسكرا فحار باوسار محمد عن سارية وعن طبرستان وذلك في ربيع الاول سنة سبع وسبعين ومائتين واستأمن رستم بن قارن الى رافع بطبرستان فصاهره ابن قوله وقدم على رافع وهو بطبرستان على بن الليث وكان قد حبسه أخوه عمرو بكرمان فاحتال حتى تخلص هو وابناه المعدل والليث وانفذ رافع الى شالوس محمد بن هرون نائبا عنه فأتاه بها على بن كالى مستأمنا فأتاهما محمد بن زيد وحصرهما بشالوس وأخذ الطريق عليهما فلم يصل منهما الى رافع خبر فلما تأخر خبرهما عنه أرسل جاسوسا يأتيه باخبارهما فعاد اليه فاخبره بحصر محمد بن زيد اياهما بشالوس فعظم عليه وسار اليهما فرحل عنهما محمد بن زيد الى أرض الديلم فدخل رافع خلفه أرض الديلم فخربها حتى اتصل بحدود قزوين وعاد الى الري وأقام بها الى ان توفي الموفق في رجب سنة ست وسبعين ومائتين

عبد الملك وهو يوم الجمعة لخمس بقين من شوال سنة خمس ومائة وقبض يزيد وله يومئذ ثمان وثلاثون سنة وقيل أربعون وتوفي هشام ابن عبد الملك بالرصافة من أرض قنسرين يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر واحدى عشرة ليلة

﴿ذكر لمع من أخباره وسيره﴾

وكان هشام أحول خشنا فظا غليظا يجمع الاموال ويعمر الارض ويستجيد الخيل وأقام الحلبة فاجتمع له فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس ولم يعرف ذلك في جاهلية ولا اسلام لاحد من الناس وقد ذكرت الشعراء ما اجتمع له من الخيل واستجاد الكسى والفرش وعدد الحرب ولامتها واصطنع الرجال وقوى الثغور واتخذ القنى والبرك بطريق مكة وغير ذلك من الآثار التي اتى عليها داود بن على في صدر الدولة العباسية وفي أيامه عمل الخز والقطف الخز فسلك الناس جميعا في أيامه مذهبه ومنعوا ما في أيديهم فقل الافضال وانقطع الرفد ولم ير زمان أصعب من زمانه وفي أيامه استشهد زيد

﴿ذكر وفاة المنذر بن محمد الاموى﴾

وفيها فى المحرم توفى المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الاموى صاحب الاندلس وقيل فى صفر وكانت ولايته سنة واحده وأحد عشر شهرا وعشرة أيام وكان عمره نحوا من ستة وأربعين سنة وكان أسمر طويلا بوجهه أثر جدرى جعدا كث اللحية وخاف ستة ذكور وكان جوادا يصل الشعراء ويحب الشعر ولما توفى بويع أخوه عبد الله بن محمد بويع له يوم موت أخيه وكنيته أبو محمد أمه أم ولد اسمها عشار توفيت قبل ابنها بسنة وفى أيامه امتلأت الاندلس بالفتن وصار فى كل جهة متغلب ولم تزل كذلك طول ولايته

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها توفى أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروروذى وهو صاحب أحمد بن حنبل وعبد الله ابن يعقوب بن اسحق العطار الموصلى التيمى وكان كثير الحديث والرواية وكان معدلا عند الحكام وفيها توفى أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله البكرى النحوى اللغوى المشهور صاحب التصانيف وقيل توفى سنة سبعين والاول أصح

﴿ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين﴾

فى هذه السنة جعلت شرطة بغداد الى عمرو بن الليث وكتب اسمه على الاعلام والترسة وغيرها وكان ذلك فى شوال ثم ترتب فى الشرطة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر من قبل عمرو ثم أمر بطرح اسم عمرو من الاعلام وغيرها فى شوال من هذه السنة وفيها فى منتصف ربيع الاول سار الموفق الى بلاد الجبل وسبب مسيره ان الماذرائى كاتب اذكوتكين أخبره ان له هناك مالا عظيما وانه ان سار معه أخذه جميعه فسار اليه فلم يجد المال فلما لم يجد شيأ سار الى الكرج ثم الى اصبهان يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف فتنحى أحمد عن البلد بجيشه وعياله وترك داره بفرشها لينزلها الموفق اذا قدم وفيها استعمل الموفق بالله على اذربيجان ابن أبى الساج فسار اليها فخرج اليه عبد الله ابن الحسن الهمذانى صاحب مراغة ليصده عنها فحاربه فانهزم عبد الله وحصر وأخذت منه سنة ثمانين ومائتين كما نذكره واستقر ابن أبى الساج لعمله وفيها قتل عامل الموصل لابن كنداج انسانا من الخوارج اسمه نعيم فسمع هرون مقدم الخوارج بذلك وهو بحديثة الموصل فجمع أصحابه وسار الى الموصل يريد حرب أهلها فنزل شرقى دجلة فارسل اليه أعيانهم ومقدموهم يسألونه ما الذى أقدمه فذكر قتل نعيم فقيل لو اتفقنا له عامل السلطان من غير اختيار منا وطلبوا منه الامان ليحضروا عنده يعتذرون ويتبرؤن من قتله فامنهم فخرج اليه جماعة من أهل الموصل وأعيانهم وتبرؤا من قتله فرحل عنهم وفيها عاد حجاج اليمن عن مكة فنزلوا واديا فأتاهم السيل فحملهم جميعهم وألقاهم فى البحر وفيها توفى أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشى البصرى وكان يسكن بغداد وفيها ورد الخبر بانفراج تل من نهر البصرة يعرف بتل شقيق عن سبعة أقبر فيها سبعة أبدان صحيحة والقبور فى شبه الحوض عن حجر فى لون المسن عليه كتاب لا يدرى ما هو وعليهم أكفان جدد يفوح منها ريح المسك أحدهم شاب له جمة وعلى شفتيه بلل كأنه قد شرب ماء وكأنه قد كحل وبه ضربة فى خاصرته وجح بالناس هرون بن محمد الهاشمى وفيها توفى أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة صاحب كتاب أدب الكاتب وكتاب المعارف وهو كوفى وانما قيل له الدينورى لانه كان قاضيها وقيل مات سنة سبعين وأبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله اليشكرى النحوى الراوية وكان مولده سنة اثنتى عشرة ومائتين وفيها توفى محمد بن على أبو جعفر

كان زيد بن على شاور أخاه أبا جعفر بن على بن الحسين ابن على فاشار عليه بأن لا يركن الى أهل الكوفة اذ كانوا أهل غدر ومكر وقال له بها قتل جدك على وبها طعن عمك الحسن وبها قتل أبوك الحسين وفيها وفى أعمالها شتمنا أهل البيت وأخبره بما كان عنده من العلم فى مدة بنى مروان وما يتعقبهم من الدولة العباسية فابى الا ما عزم عليه من المطالبة بالحق فقال له انى أخاف عليك يا أخى ان تكون غدا المصلوب بكناسة الكوفة وودعه أبو جعفر وأعلمه انهما لا يلتقيان وقد كان زيد دخل على هشام بالرصافة فلما مثل بين يديه لم ير موضعا يجلس فيه فجلس حيث انتهى به مجلسه وقال يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله فقال هشام اسكت لا أم لك أنت الذى تنازعك نفسك فى الخلافة وأنت ابن أمة قال يا أمير المؤمنين ان لك جوابا ان أحببت أجبتك به وان أحببت أمسكت عنه فقال بل أجب قال ان الامهات لا يقعدن بالرجال

عن الغايات وقد كانت أم اسمعيل أمة لام اسحق

القصاب الصوفي وهو من أقران السري وصحبه الجنيد كثيرا

﴿ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين﴾

في هذه السنة دعا يازمار بطرسوس لخماريه بن أحمد بن طولون وسبب ذلك أن خمارويه أنفذ اليه ثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مطرف وسلاحا كثيرا فلما وصل اليه دعا له ثم وجه اليه بخمسين ألف دينار وفيها في ربيع الآخر كان بين وصيف خادم ابن أبي الساج والبرابرة أصحاب أبي الصقر فتنة فاقتتلوا وقتل بينهم جماعة كان ذلك بباب الشام فركب أبو الصقر ففرقهم وفيها ولي يوسف بن يعقوب المظالم وأمر من ينادي من كانت له مظلمة قبل الامير الناصر لدين الله الموفق أو أحد من الناس فليحضر وفيها في شعبان قدم بغداد قائد عظيم من قواد خمارويه ابن أحمد بن طولون في جيش عظيم وحج بالناس هرون بن محمد بن عيسى الهاشمي وفيها توفي أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي المثنى الموصلي وكان كثير الحديث وهو من أهل الصدق والامانة وفيها توفي أبو حاتم الرازي واسمه محمد بن ادريس بن المنذر وهو من أقران البخاري ومسلم ومات فيها يعقوب ابن سفيان بن حوان السري وكان يتشيع ويعقوب بن يوسف بن معقل الاموي والد أبي العباس الاصم وفيها توفيت عريب المغنية المامونية وقيل انها ابنة جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وكان مولدها سنة احدى وثمانين ومائة وفيها توفي أبو سعيد الخراز واسمه أحمد بن عيسى وقيل سنة ست وثمانين والاول أشبه بالصواب (الخراز بالخاء المعجمة والراء والزاي)

﴿ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين﴾

﴿ذكر الفتنة ببغداد﴾

فيها كانت الحرب ببغداد بين أصحاب وصيف الخادم والبربر وأصحاب موسى ابن أخت مفلح أربعة أيام من المحرم ثم اصطلحوا وقد قتل بينهم جماعة ثم وقع بالجانب الشرقي وقعة بين أصحاب يونس قتل فيها رجل ثم انصرفوا

﴿ذكر وفاة الموفق﴾

وفيها توفي أبو أحمد الموفق بالله بن المتوكل وكان قد مرض في بلاد الجبل فانصرف وقد اشتد به وجع النقرس فلم يقدر على الركوب فعمل له سرير عليه قبة فكان يقعد عليه وخادم له يبرد رجله بالاشياء الباردة حتى انه يضع عليها الثلج ثم صارت علة رجله داء الفيل وهو ورم عظيم يكون في الساق يسيل منه ماء وكان يحمل سريره أربعون رجلا بالنوبة فقال لهم يوما قد ضجرتم من حملي بودي أن أكون كواحد منكم أحمل على رأسي وآكل وأنا في عافية وقال في مرضه أطبق ديواني على مائة ألف مرتزق ما أصبح فيهم اسوأ حالا مني فوصل الى داره لليلتين خلتا من صفر وشاع موته بعد انصراف أبي الصقر من داره وكان تقدم بحفظ أبي العباس وأغلقت عليه أبواب دون أبواب وقوي الارجاف بموته وكان قد اعترته غشية فوجه أبو الصقر الى المدائن فحمل منها المعتمد وأولاده فجيء بهم الى داره ولم يسر أبو الصقر الى دار الموفق فلما رأى غلمان الموفق المائلون الى أبي العباس والرؤساء من غلمان أبي العباس ما نزل بالموفق كسروا الاقفال والابواب المغلقة على أبي العباس فلما سمع أبو العباس ذلك ظن أنهم يريدون قتله وأخذ سيفه بيده وقال لغلام عنده والله لا يصلون الي وفي شيء من الروح فلما وصلوا اليه رأى في أولهم غلامه وصيفا موشكير فلما رآه ألقى السيف من يده وعلم انهم ما يريدون الا الخير فاخرجوه وأقعدوه عند أبيه فلما فتح عينه رآه فقربه وأدناه اليه وجمع أبو الصقر عنده القواد والجند وقطع الجسرين وحاربه قوم من الجانب

الشرقي

صلى الله عليهما وسلم فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيا وجعله للعرب أبا فاخرج من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي وقام وهو يقول

شرده الخوف وأزرى به كذاك من يكره حر الجلاد
منخرق الكفين يشكو الجوى تنكبه أطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد
ان يحدث الله له دولة يترك آثار العدا كالرماد

فمضى عليها الى الكوفة وخرج منها ومعه القراء والاشراف فحاربه يوسف ابن عمر الثقفي فلما قامت الحرب انهزم أصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة فقاتلهم أشد قتال وهو يقول متمثلا

أذل الحياة وعز الممات وكلا أراه طعاما وبيلا
فان كان لا بد من واحد فسيري الى الموت سيرا جميلا

وحال المساء بين الفريقين فراح زيد مثخنا بالجراح وقد أصابه سهم في جبهته فطلبوا من ينزع النصل فاتي بحجام من بعض القرى فاستكتموه أمره فاستخرج النصل فمات من ساعته فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجرى الماء على ذلك وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع فلما أصبح مضى الى يوسف متنصحا فدله على موضع قبره فاستخرجه

الشرقى فقتل بينهم قتلى فلما بلغ الناس ان الموفق حى حضر عنده محمد بن أبى الساج وفارق أبا الصقر وتسلل القواد والناس عن أبى الصقر فلما رأى أبو الصقر ذلك حضر هو وابنه دار الموفق فما قال له الموفق شيأ مما جرى وأقام فى دار الموفق فلما رأى المعتمد انه بقى فى الدار نزل هو وبنوه وبكتمر فركب زورقا فلقيهم طيار لابى ليلى بن عبد العزيز بن أبى دلف فحمله فيه الى دار على ابن جهشيار وذكر أعداء أبى الصقر انه أراد ان يتقرب الى المعتمد بمال الموفق وأسبابه وأشاعوا ذلك عنه عند أصحاب الموفق فنهب دار أبى الصقر حتى أخرجت نساؤه منها حفاة بغير ازر ونهب مايجاوره من الدور وكسرت أبواب السجون وخرج من كان فيها وخلع الموفق على ابنه أبى العباس وعلى أبى الصقر وركبا جميعا فمضى أبو العباس الى منزله وأبو الصقر الى منزله وقد نهب فطلب حصيرة يقعد عليها عارية فولى أبو العباس غلامه بدرا الشرطة واستخلف محمد بن غانم بن الشاه على الجانب الشرقى ومات الموفق يوم الاربعاء لثمان بقين من صفر من هذه السنة ودفن ليلة الخميس بالرصافة وجلس أبو العباس للتعزية وكان الموفق عادلا حسن السيرة يجلس للمظالم وعنده القضاة وغيرهم فينتصف الناس بعضهم من بعض وكان عالما بالادب والنسب والفقه وسياسة الملك وغير ذلك قال يوما ان جدى عبد الله بن العباس قال ان الذباب ليقع على جليسى فيؤذينى ذلك وهذا نهاية الكرم وأنا والله أرى جلسائى بالعين التى أرى بها اخوانى والله لولم يأب أن أغير أسماءهم لنقلتها من الجلساء الى الاصدقاء والاخوان وقال يحيى بن على دعا الموفق يوما جلساءه فسبقتهم وحدى فلما رآنى وحدى أنشد يقول

وأستصحب الاصحاب حتى اذا دنوا * وملوا من الادلاج جئتكم وحدى

فدعوت له واستحسنت انشاده فى موضعه وله محاسن كثيرة ليس هذا موضع ذكرها

(ذكر البيعة للمعتضد بولاية العهد)

لما مات الموفق اجتمع القواد وبايعوا ابنه أبا العباس بولاية العهد بعد المفوض ابن المعتمد ولقب المعتضد بالله وخطب له يوم الجمعة بعد المفوض وذلك لسبع ليال بقين من صفر واجتمع عليه أصحاب أبيه وتولى ما كان أبوه يتولاه وفيها قبض المعتمد على أبى الصقر وأصحابه وانتهب منازلهم وطلب بنى الفرات فاختفوا وخلع على عبيد الله بن سليمان بن وهب وولاه الوزارة وسير محمد بن أبى الساج الى واسط ليرد غلامه وصيفا الى بغداد فمضى وصيف الى السوس فمات بها ونهب الطيب وأبى الرجوع الى بغداد وفيها قتل على بن الليث أخو الصفار قتله رافع بن هرثمة وكان قد لحق به وترك أخاه وفيها غار ماء النيل فغلت الاسعار بمصر

(ذكر ابتداء أمر القرامطة)

وفيها تحرك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة وكان ابتداء أمرهم فيما ذكر ان رجلا منهم قدم من ناحية خوزستان الى سواد الكوفة فكان بموضع يقال له النهرين يظهر الزهد والتقشف ويسف الخوص ويأكل من كسب يده ويكثر الصلاة فأقام على ذلك مدة فكان اذا قعد اليه رجل ذاكره أمر الدين وزهده فى الدنيا وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة فى كل يوم وليلة حتى فشا ذلك بموضعه ثم أعلمهم انه يدعو الى امام من آل بيت الرسول فلم يزل على ذلك حتى استجاب له جمع كثير وكان يقعد الى بقال هناك فجاء قوم الى البقال يطلبون منه رجلا يحفظ عليهم ماصرموا من نخلهم فدلهم عليه وقال لهم ان أجابكم الى حفظ تمركم فانه بحيث تحبون فكلموه فى ذلك فأجابهم على أجرة معلومة فكان يحفظ لهم ويصلى أكثر

شعراء بنى أمية يخاطب آل أبى طالب وشيعتهم من أبيات

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة
ولم أر مهديا على الجذع يصلب

وبنى تحت خشبته عمودا ثم كتب هشام الى يوسف باحراقه وذروه فى الرياح (قال المسعودى) وحكى الهيثم بن عدى الطائى عن عمرو بن هانئ قال خرجت مع عبد الله بن على لنبش قبور بنى أمية فى أيام أبى العباس السفاح فانتهينا الى قبر هشام فاستخرجناه صحيحا مافقدنا منه الا خرمة انفه فضربه عبد الله بن على ثمانين سوطا ثم أحرقه واستخرجنا سليمان من أرض دابق فلم نجد منه شيأ الا صلبه وأضلاعه ورأسه فأحرقناه وفعلنا ذلك بغيرهما من بنى أمية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا الى دمشق فاستخرجنا الوليد ابن عبد الملك فما وجدنا فى قبره قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤون رأسه ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا فيه الا عظما واحدا ووجدنا مع لحده خطا أسود كأنما خط بالرماد فى الطول فى لحده ثم اتبعنا قبورهم فى جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم وانما ذكرنا هذا الخبر فى هذا الموضع

نهاره ويصوم ويأخذ عند افطاره من البقال رطل تمر فيفطر عليه ويجمع نوى ذلك التمر ويعطيه البقال فلما حمل التجار تمرهم حاسبوا أجيرهم عند البقال ودفعوا اليه أجرته وحاسب الاجير البقال على ما أخذ منه من التمر وحط ثمن النوى فسمع أصحاب التمر محاسبته للبقال بثمن النوى فضربوه وقالوا لم ترض بأكل تمرنا حتى بعت النوى فقال لهم البقال لا تفعلوا وقص عليهم القصة فندموا على ضربه واستحلوا منه ففعل وازداد بذلك عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زهده ثم مرض فمكث على الطريق مطروحا وكان في القرية رجل أحمر العينين يحمل على أثوار له يسمونه كرميتة لحمرة عينيه وهو بالنبطية أحمر العين فكلم البقال كرميتة في حمل المريض الى منزله والعناية به ففعل وأقام عنده حتى برأ ودعا أهل تلك الناحية الى مذهبه فأجابوه وكان يأخذ من الرجل اذا أجابه دينارا ويزعم انه للامام واتخذ منهم اثني عشر نقيبا أمرهم ان يدعوا الناس الى مذهبهم وقال أنتم كحواريي عيسى بن مريم فاشتغل أهل كور تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الصلوات وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع فرأى تقصير الاكرة في عمارتها فسأل عن ذلك فأخبر بخبر الرجل فأخذه وحبسه وحلف ان يقتله لما اطلع على مذهبه وأغلق باب البيت عليه وجعل مفتاح البيت تحت وسادته واشتغل بالشرب فسمع بعض من في الدار من الجواري بحبسه فرقت للرجل فلما نام الهيصم أخذت المفتاح وفتحت الباب وأخرجته ثم أعادت المفتاح الى مكانه فلما أصبح الهيصم فتح الباب ليقتله فلم يجده وشاع ذلك في الناس فافتتن أهل تلك الناحية وقالوا رفع ثم ظهر في ناحية أخرى ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم وسألوه عن قصته فقال لا يمكن أحدا أن ينالني بسوء فعظم في أعينهم ثم خاف على نفسه فخرج الى ناحية الشام فلم يوقف له على خبر وسمي باسم الرجل الذي كان في دار كرميتة صاحب الاثوار ثم خفف فقيل قرمط هكذا ذكره بعض أصحاب زكرويه عنه وقيل ان قرمط لقب رجل كان بسواد الكوفة يحمل غلة السواد على أثوار له واسمه حمدان ثم فشا مذهب القرامطة بسواد الكوفة ووقف الطائي أحمد بن محمد على أمرهم فجعل على الرجل منهم في السنة دينارا فقدم قوم من الكوفة فرفعوا أمر القرامطة والطائي الى السلطان وأخبروه انهم قد أحدثوا دينا غير دين الاسلام وانهم يرون السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا من بايعهم فلم يلتفت اليهم ولم يسمع قولهم وكان فيما حكي عن القرامطة من مذهبهم أنهم جاؤا بكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم يقول الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانة داعية المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو أحمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل وذكر أن المسيح تصور له في جسم انسان وقال له انك الداعية وانك الحجة وانك الناقة وانك الدابة وانك يحيى بن زكريا وانك روح القدس وعرفه ان الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان بعد غروبها وان الاذان في كل صلاة ان يقول المؤذن الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله مرتين أشهد ان آدم رسول الله أشهد أن نوحا رسول الله أشهد ان ابراهيم رسول الله أشهد ان موسى رسول الله أشهد ان عيسى رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله وان يقرأ في كل ركعة الاستفتاح وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية والقبلة الى بيت المقدس وان الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء والسورة الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لاوليائه باوليائه قل ان الاهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والايام وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي اتقوني يا أولي الالباب وأنا الذي لا أسئل عما أفعل وأنا العليم الحكيم وانا

الذي

اقتل هشام زيد بن علي وما نال هشاما من المثلة بما فعل بسلفه من الاحراق كفعله بزيد بن علي وقد ذكر أبو بكر ابن عياش وجماعة أن زيدا مكث مصلوبا خمسين شهرا عريانا فلم ير له أحد عورة سترا من الله له وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان في أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك وظهر ابنه يحيى بن زيد بخراسان كتب الوليد الى عامله بالكوفة أن أحرق زيدا بخشبته ففعل به ذلك وأذرى في الرياح على شاطئ الفرات وقد أتينا في كتابنا المقالات في أصول الديانات على السبب الذي من أجله سميت الزيدية بهذا الاسم وان ذلك بخروجهم مع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم هذا وقد قيل غير ذلك مما قد أتينا عليه فيما سلف من كتبنا والخلاف في الزيدية والامامية والفرق بين هذين المذهبين وكذلك غيرهم من فرق الشيعة وغيرهم كأبي عيسى محمد بن هرون الوراق وغيره فقال ان الزيدية كانت في عصرهم ثمانية فرق أولها الفرقة المعروفة بالجارودية وهم أصحاب أبي الجارود زياد ابن المنذر العبدي وذهبوا الى أن الامامة مقصورة في ولد الحسن والحسين دون غيرهما ثم الفرقة الثانية المعروفة بالمرئية ثم الفرقة الثالثة المعروفة بالابرقية ثم الفرقة الرابعة

الذي أبلو عبادي وامتحن خلقي فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ألقيته في جنتي وأخلدته في نعمتي ومن زل عن أمري وكذب رسلي أخلدته مهانا في عذابي وأتممت أجلي وأظهرت أمري على ألسنة رسلي وأنا الذي لم يعل علي جبار الا وضعته ولا عزيز الا أذللته وليس الذي أصر على أمري ودام على جهالته وقالوا لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين أولئك هم الكافرون ثم يركع ويقول في ركوعه سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون يقولها مرتين فاذا سجد قال الله أعلى الله أعلى الله أعظم الله أعظم ومن شريعته أن يصوم يومين في السنة وهما المهرجان والنيروز وان النبيذ حرام والخمر حلال ولا غسل من جنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة وان من حاربه وجب قتله ومن لم يحاربه ممن يخالفه أخذت منه الجزية ولا يأكل كل ذي ناب ولا كل ذي مخلب وكان مسير قرمط الى سواد الكوفة قبل قتل صاحب الزنج فسار قرمط اليه وقال له اني على مذهب ورأي ومعي مائة ألف ضارب سيف فتناظرني فان اتفقنا على المذهب ملت اليك بمن معي وان تكن الاخرى انصرفت عنك فتناظرا فاختلفت آراؤهما فانصرف قرمط عنه

﴿ ذكر غزو الروم ووفاة بازمار ﴾

فيها في جمادى الآخرة دخل أحمد العجيفي طرسوس وغزا مع بازمار الصائفة فبلغوا اشكند فاصاب بازمار شظية من حجر منجنيق في اضلاعه فارتحل عنها بعد أن أشرف على أخذها فتوفي في الطريق منتصف رجب وحمل الى طرسوس فدفن بها وكان قد أطاع خمارويه بن أحمد بن طولون فلما توفي خلفه ابن عجيف وكتب الى خمارويه يخبره بموته فاقره على ولاية طرسوس وأمده بالخيل والسلاح والذخائر وغيرها ثم عزله واستعمل عليها ابن عمه محمد بن موسى بن طولون

﴿ ذكر الفتنة بطرسوس ﴾

وفيها ثار الناس بطرسوس بالامير محمد بن موسى فقبضوا عليه وسبب ذلك ان الموفق لما توفي كان له خادم من خواصه يقال له راغب فاختار الجهاد فسار الى طرسوس على عزم المقام بها فلما وصل الى الشام سير ما معه من دواب وآلات وخيام وغير ذلك الى طرسوس وسار هو جريدة الى خمارويه ليزوره ويعرفه عزمه فلما لقيه بدمشق أكرمه خمارويه وأحبه وأنس به واستحيا راغب ان يطلب منه المسير الى طرسوس فطال مقامه عنده فظن أصحابه ان خمارويه قبض عليه فاذاعوا ذلك فاستعظمه الناس وقالوا يعمد الى رجل قصد الجهاد في سبيل الله فيقبض عليه ثم شغبوا على أميرهم محمد ابن عم خمارويه وقبضوا عليه وقالوا لا يزال في الحبس الى ان يطلق ابن عمك راغبا ونهبوا داره وهتكوا حرمه وبلغ الخبر الى خمارويه فاطلع راغبا عليه وأذن له في المسير الى طرسوس فلما بلغ اليها أطلق أهلها أميرهم فلما أطلقوه قال لهم قبح الله جواركم وسار عنهم الى البيت المقدس فاقام به ولما سار عن طرسوس عاد العجيفي الى ولايتها

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها ظهر كوكب ذو جمة وصارت الجمة ذؤابة وحج بالناس هذه السنة هرون بن محمد بن اسحق الهاشمي وتوفي فيها عبد الكريم لدير عاقولي وفيها توفي اسحق بن كنداج وولي ما كان اليه من أعمال الموصل وديار ربيعة ابنه محمد وتوفي ادريس بن سليم الفقعسي الموصلي وكان كثير الحديث والصلاح

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين ﴾

﴿ ذكر خلع جعفر بن المعتمد وولاية المعتضد ﴾

المعروفة بالابترية وهم أصحاب كثير الابتر والحسن بن صالح بن حي ثم الفرقة السابعة المعروفة بالجريرية وهم أصحاب سليمان بن جرير ثم الفرقة الثامنة المعروفة باليمانية وهم أصحاب محمد بن اليمان الكوفي وقد زاد هؤلاء في المذهب وفرعوا مذاهب على ما سلف من أصولهم وكذلك فرق أهل الامامة فكانوا على ذكر من سلف من أصحاب الكتب ثلاثا وثلاثين فرقة وقد ذكرنا تنازع القطعية بعد مضي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما قالت الكيسانية وما تباينت فيه وغيرها من سائر طوائف الشيعة وهم ثلاث وسبعون فرقة دون ما تباينوا فيه من التفريع وتنازعوا فيه من التأويل والعلة أيضا ثمان فرق المحمدية منهم أربع والمعتزلة أربع وهم العلوية ولولا أن كتابنا هذا كتاب خبر لبسطنا من مذاهبهم ووصفنا من آرائهم ما تقدم قبلنا وحدث في وقتنا هذا وما قالوه من دلائل ظهور المنتظر الموعود بظهوره وما ذهب اليه كل فريق منهم في ذلك من أصحاب الدور والمروة والتشريق وغيرهم من أهل الامامة * وعرض هشام يوما الجند

في هذه السنة في المحرم خرج المعتمد على الله وجلس للقواد والقضاة ووجوه الناس وأعلمهم انه خلع ابنه المفوض الى الله جعفرا من ولاية العهد وجعل ولاية العهد للمعتضد بالله أبي العباس أحمد ابن الموفق وشهدوا على المفوض انه قد تبرأ من العهد وأسقط اسمه من السكة والخطبة والطرز وغير ذلك وخطب للمعتضد وكان يوما مشهودا فقال يحيى بن علي يهني المعتضد

ليهنك عقد أنت فيه المقدم * حباك به رب بفضلك أعلم
فان كنت قد أصبحت والي عهدنا * فانت غدا فينا الامام المعظم
ولا زال من والاك فينا مبلغا * مناك ومن عاداك يشجى ويرغم
وكان عمود الدين فيه تأود * فعاد بهذا العهد وهو مقوم
وأصبح وجه الملك جذلان ضاحكا * يضيء لنا منه الذي كان يظلم
فدونك فاشدد عقد ما قد حويته * فانك دون الناس فيه المحكم

وفيها نودي بمدينة السلام أن لا يقعد على الطريق ولا في المسجد الجامع قاض ولا منجم ولا زاجر وحلف الوراقون أن لا يبيعوا كتب الكلام والجدل والفلسفة وفيها قبض على جرادة كاتب أبي الصقر اسمعيل بن بلبل وفيها انصرف أبو طلحة منصور بن مسلم من شهرزور وكانت له فقبض عليه

﴿ذكر الحرب بين الخوارج وأهل الموصل والاعراب﴾

في هذه السنة اجتمعت الخوارج ومقدمهم هرون ومعهم متطوعة أهل الموصل وغيرهم وحمدان بن حمدون التغلبي على قتال بني شيبان وسبب ذلك أن جمعا كثيرا من بني شيبان عبروا الزاب وقصدوا نينوى من أعمال الموصل للاغارة عليها وعلى البلد فاجتمع هرون الشاري وحمدان ابن حمدون وكثير من المتطوعة المواصلة وأعيان أهلها على قتالهم ودفعهم وكان بنو شيبان نزلوا على باعشيقا ومعهم هرون بن سليمان مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني صاحب ديار بكر وكان قد أنفذه محمد بن اسحق بن كنداج واليا على الموصل فلم يمكنه أهلها من المقام عندهم وطردوه فقصد بني شيبان معاونا على الخوارج وأهل الموصل فالتقوا وتصافوا واقتتلوا فانهزمت بنو شيبان وتبعهم حمدان والخوارج وملكوا بيوتهم واشتغلوا بالنهب وكان الزاب لما عبر بنو شيبان زائدا فلما انهزموا علموا أن لا ملجأ ولا منجى غير الصبر فعادوا الى القتال والناس مشغولون بالنهب فأوقعوا بهم وقتل كثير من أهل الموصل ومن معهم وعاد الظفر للاعراب وكتب هرون بن سيما الى محمد بن اسحق بن كنداج يعرفه أن البلد خارج عن يده ان لم يحضر هو بنفسه فسار في جيش كثيف يريد الموصل فخافه أهلها فانحدر بعضهم الى بغداد يطلبون ارسال وال اليهم وازالة ابن كنداج عنهم فاجتازوا في طريقهم بالحديثة وبها محمد بن يحيى المجروح يحفظ الطريق قد ولاه المعتضد ذلك وقد وصل اليه عهد بولايته الموصل فحثوه على تعجيل السير وان يسبق محمد بن كنداج اليها وخوفوه من ابن كنداج ان دخل الموصل قبله فسار فسبق محمد اليها ووصل محمد بن كنداج الى بلد فبلغه دخول المجروح الموصل فندم على التباطؤ وكتب الى خمارويه بن طولون يخبره الخبر فأرسل أبا عبد الله بن الجصاص بهدايا كثيرة الى المعتضد ويطلب أمورا منها امرة الموصل كما كانت له قبل فلم يجب الى ذلك وأخبره كراهة أهل الموصل من عماله فأعرض عن ذكرها وبقي المجروح بالموصل يسيرا وعزله المعتضد واستعمل بعده علي بن داود ابن رهزاد الكردي فقال له شاعر يقال له العجيفي

لا والرحمن الرحيم يا أمير المؤمنين ما هو بنفور ولكنه أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار فقال له هشام تنح فعليك وعلى فرسك لعنة الله وكان غزوان البيطار نصرانيا ببلاد حمص كانه هشام في حولته وكشفته وبينما هشام ذات يوم جالسا اذ أتيا وعنده الابرش الكلبي اذ طلعت وصيفة لهشام عليها حلة فقال للابرش مازحها فقال لها هبي لي حلتك فقالت له لأنت أطمع من أشعب فقال لها هشام ومن أشعب فقالت كان مضحكا بالمدينة وحدثته بعض أحاديثه فضحك هشام وقال اكتبوا الى ابراهيم ابن هشام وكان عامله على المدينة في حمله الينا فلما ختم الكتاب أطرق هشام طويلا ثم قال يا أبرش هشام يكتب الى بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل اليه مضحك لا ها ثم تمثل

اذا أنت طاوعت الهوى قادك الهوى
الى بعض ما فيه عليك مقال

وأوقف الكتاب وذكر أن هشاما أهدى له رجل طائرين فاعجب بهما فقال له الرجل جائزتي يا أمير المؤمنين قال وما جائزة طائرين قال له ما شئت قال خذ أحدهما فقصد الرجل لاحسنهما

ما

مارأى الناس لهذا الدهر مذ كانوا شبيها
ذات الموصل حتى * أمر الاكراد فيها

(الجيني بالنون)

(ذكر وفاة المعتمد)

وفيها توفى المعتمد على الله ليلة الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ببغداد وكان قد شرب على الشط فى الحسنى ببغداد يوم الاحد شرابا كثيرا وتعشى فاكثر فمات ليلا وأحضر المعتضد القضاة وأعيان الناس فنظروا اليه وحمل الى سامرا فدفن بها وكان عمره خمسين سنة وستة أشهر وكان أسن من الموفق بستة أشهر وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر وكان فى خلافته محكوما عليه قد تحكم عليه أخوه أبو أحمد الموفق وضيق عليه حتى أنه احتاج فى بعض الاوقات الى ثلثمائة دينار فلم يجدها ذلك الوقت فقال

أليس من العجائب ان مثلى * يرى ماقل ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا * وما من ذاك شئ فى يديه
اليه تحمل الاموال طرا * ويمنع بعض مايجبى اليه

وكان أول الخلفاء انتقل من سر من رأى مذ بنيت ثم لم يعد اليها أحد منهم

(ذكر خلافة أبى العباس المعتضد)

وفى صبيحة الليلة التى مات فيها المعتمد بويع لابى العباس المعتضد بالله أحمد بن الموفق أبى أحمد طلحة بن المتوكل بالخلافة فولى غلامه بدرا الشرطة وعبيد الله بن سليمان الوزارة ومحمد بن الشاه ابن مالك الحرس ووصله فى شوّال رسول عمرو بن الليث ومعه هدايا كثيرة وسأله ان يوليه خراسان فعقد له عليها وسير اليه الخلع واللواء والعهد فنصب اللواء فى داره ثلاثة أيام

(ذكر وفاة نصر السامانى)

وفيها مات نصر بن أحمد السامانى وقام بما كان اليه من العمل بما وراء النهر أخوه اسمعيل بن أحمد وكان نصر دينا عاقلا له شعر حسن منه ماقاله فى رافع بن هرثمة

أخوك فيك على خبر ومعرفة * ان الذليل ذليل حيثما كانا
لولا زمان خؤن فى تصرفه * ودولة ظلمت ما كنت انسانا

(ذكر عزل رافع بن هرثمة عن خراسان وقتله)

وفيها عزل المعتضد رافع بن هرثمة عن خراسان وسبب ذلك ان المعتضد كتب الى رافع بتخلية قرى السلطان بالرى فلم يقبل فاشار على رافع أصحابه برد القرى لئلا يفسد حاله بكتاب فلم يقبل أيضا وكتب المعتضد الى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف يأمره بمحاربة رافع واخراجه عن الرى وكتب الى عمرو بن الليث بتولية خراسان ثم ان أحمد بن عبد العزيز لقى رافعا فقاتله فانهزم رافع عن الرى وسار الى جرجان ومات أحمد بن عبد العزيز سنة ثمانين ومائتين فعاد رافع الى الرى فلاقاه عمرو وبكر ابنا عبد العزيز فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عمرو وبكر وقتل من أصحابهما مقتلة عظيمة ووصلوا الى أصبهان وذلك فى جمادى الاولى سنة ثمانين وأقام رافع بالرى باقى سنته ومات على بن الليث معه فى الرى ثم ان عمرو بن الليث وافى نيسابور فى جمادى الاولى سنة ثمانين واستولى عليها وعلى خراسان فبلغ الخبر الى رافع فجمع أصحابه واستشارهم فيما يفعل وقال لهم ان الاعداء قد أحدقوا بنا ولا آمن ان يتفقوا علينا هذا محمد بن زيد بالديلم ينتظر فرصة لينتهزها وهذا عمرو بن عبد العزيز

فأخذه فقال له هشام وتختار أيضا قال نعم والله أختار فقال دعه وأمر له بدريهمات ودخل هشام بستانا له ومعه ندماؤه فطافوا به وبه من كل الثمار فجعلوا يأكلون ويقولون بارك الله لامير المؤمنين فقال وكيف يبارك لى فيه وأنتم تأكلونه ثم قال ادع قيمه فدعا به فقال له اقلع شجره واغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل منه أحد شيأ وكتب اليه ابنه سليمان ان بغلتى قد عجزت فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بدابة فكتب اليه أمير المؤمنين قد فهم كتابك وماذكرت من ضعف دابتك وقد ظن أن ذلك من قلة تعاهدك لعلفها وضياع العلف فقم عليها بنفسك ولعل أمير المؤمنين يرى رأيه فى حملانك ونظر هشام الى رجل على برذون طخارى فقال من أين لك هذا قال حملنى عليه الجنيد ابن عبد الرحمن قال وقد كثرت الطخارية حتى ركبها العامة لقد مات عبد الملك وفى مربطه برذون واحد طخارى فتنافس فيه ولده حتى ظن من فاته أن الخلافة فاتته قال الرجل فحسدنى اياه وقد كان أخوه مسلمة مازحه قبل أن يلى الامر فقال له ياهشام أتؤمل الخلافة وأنت جبان بخيل فقال والله انى عليم حليم (وذكر الهيثم بن عدى والمدائنى وغيرهما) أن السواس من بنى أمية ثلاثة معاوية وعبد الملك وهشام وختمت أبواب السياسة وحسن السيرة وأن المنصور كان فى أكثر أموره

قد فعلت به مافعلت فهو يتربص الدوائر وهذا عمرو بن الليث قد وافى خراسان بجموعه وقد رأيت ان أصالح محمد بن زيد وأعيد اليه طبرستان وأصالح ابن عبد العزيز ثم أسير الى عمرو فاخرجه عن خراسان فوافقوه على ذلك وأرسل الى ابن عبد العزيز فصالحه واستقر الامر بينهما في شعبان سنة ثمانين ثم سار الى طبرستان فوردها في شعبان سنة احدى وثمانين وكان قد أقام بجرجان فاحكم أمورها ولما استقر بطبرستان راسل محمد بن زيد وصالحه ووعده محمد بن زيد أن ينجده بأربعة آلاف رجل من شجعان الديلم وخطب لمحمد بطبرستان وجرجان في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين وبلغ خبر مصالحة محمد بن زيد ورافع الى عمرو بن الليث فارسل الى محمد يذكر مافعل به ويحذره منه وغدره ان استقام أمره فعاد عن انجاده بعسكر فلما قوى عمرو عرف لمحمد بن زيد ذلك وخلى عليه طبرستان ولما أحكم رافع أمر محمد بن زيد سار الى خراسان فورد نيسابور في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين وجرى بينه وبين عمرو حرب شديدة فانهزم فيها رافع الى ابيورد وأخذ عمرو منه المعدل والليث ولدى أخيه على بن الليث وكانا عنده بعد موت أخيه على ولما ورد رافع أبيورد أراد المسير الى هراة أو مرو فعلم عمرو بذلك فاخذ عليه الطريق بسرخس فلما علم رافع بمسير عمرو عن نيسابور سار على مضايق وطرق غامضة غير طريق الجيش الى نيسابور فدخلها وعاد اليه عمرو من سرخس فحصره فيها وتلاقيا واستأمن بعض قواد رافع الى عمرو فانهزم رافع وأصحابه وسير أخاه محمد بن هرثمة الى محمد بن زيد يستمده ويطلب ماوعده من الرجال فلم يفعل ولم يمده برجل واحد وتفرق عن رافع أصحابه وغلمانه وكان له أربعة آلاف غلام ولم يملك أحد من ولاة خراسان قبله مثله وفارقه محمد بن هرون الى اسمعيل بن أحمد الساماني ببخارا وخرج رافع منهزما الى خوارزم على الجمازات وحمل مابقي معه من مال وآلة وهو في شرذمة قليلة وذلك في رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين فلما بلغ رباط جبوه وجه اليه خوارزمشاه أباسعيد الدرغاني ليقيم له الانزال ويخدمه الى خوارزم فرآه أبو سعيد في قلة من رجاله وغدر به وقتله لسبع خلون من شوال سنة ثلاثة وثمانين ومائتين وحمل رأسه الى عمرو بن الليث وهو بنيسابور وأنفذ عمرو الرأس الى المعتضد بالله فوصل اليه سنة أربعة وثمانين فنصب ببغداد وصفت خراسان الى شاطئ جيحون لعمرو

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها اقدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص من مصر بهدايا عظيمة من خمارويه فتزوج المعتضد ابنة خمارويه وفيها ملك أحمد بن عيسى بن الشيخ قلعة ماردين وكانت بيد محمد بن اسحق ابن كنداجيق وحج بالناس هذه السنة هرون بن محمد وهى آخر حجة حجها وأول حجة حجها بالناس سنة أربعة وستين ومائتين الى هذه السنة وفيها توفي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى السلمى بترمذ في رجب وكان اماما حافظا له تصانيف حسنة منها الجامع الكبير في الحديث وهو أحسن الكتب وكان ضريرا وتوفي ابراهيم بن محمد المدبر في شوال

﴿ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين﴾

﴿ذكر حبس عبد الله بن المهتدى﴾

في هذه السنة أخذ المعتضد عبد الله بن المهتدى ومحمد بن الحسين المعروف بشميلة وكان شميلة هذا مع صاحب الزنج الى آخر أيامه ثم لحق بالموفق في الامان فامنه وكان سبب أخذه اياهما ان بعض المستأمنة سعى به الى المعتضد وانه يدعو لرجل لا يعرف اسمه وأنه قد أفسد جماعة من الجند وغيرهم

فاخذه

وتدبيره وسياسته متبع لهشام في أفعاله لكثرة كشفه عن أخبار هشام وسيره وقد أتينا على غرر أخباره وسيره وسياساته وماحفظ من اشعاره وخطبه وما كان في أيامه في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وكذلك ذكرنا بدء الكلام الذى أثار تصنيف الكتاب المعروف بكتاب الواحدة في مناقب العرب ومثالبها مفردة لا يشاركها فيها غيرها وماأضيف الى كل حى من العرب من قحطان وغيرهم من نزار وماجرى في مجالس هشام في أوقات مختلفة بين الابرش الكلبى والعباس بن الوليد بن عبد الملك وخالد بن مسلمة المخزومى والنضر بن مريم الحميرى وماأورده الحميرى من مناقب قومه من نزار ابن معد بن عدنان وماذكره كل واحد منهم من المثالب فيما عدا قومه وبان عن عشيرته ورهطه وقد قيل ان هذا الكتاب ألفه أبو عبيدة معمر بن المثنى مولى آل تيم بن مرة بن كعب بن لؤى على لسان من ذكرنا وعزاه الى من وصفنا أو غيره من الشعوبية

﴿ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان﴾

وبويع الوليد بن يزيد في اليوم الذى توفي فيه هشام وهو يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ثم قتل بالبخراء يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة

فأخذه المعتضد فقرره فلم يقر بشئ وقال لو كان الرجل تحت قدمي ما رفعتهما عنه فأمر به فشد على خشبة من خشب الخيم ثم أوقدت نار عظيمة وأدير على النار حتى تقطع جلده ثم ضربت عنقه وصلب عند الجسر وحبس عبد الله بن المهتدي الى ان علم براءته وأطلقه وكان المعتضد قال للشميلة بلغني انك تدعو الى ابن المهتدي فقال المشهور عني انني أتولى آل أبي طالب

(ذكر قصد المعتضد بني شيبان وصلحه معهم)

وفيها في أول صفر سار المعتضد من بغداد يريد بني شيبان بالموضع الذي يجتمعون به من أرض الجزيرة فلما بلغهم قصده جمعوا اليهم أموالهم وأغار المعتضد على اعراب عند السن ونهب أموالهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم في الزاب مثل ذلك وعجز الناس عن حمل ما غنموه فبيعت الشاة بدرهم والبعير بخمسة دراهم وسار الى الموصل وبلد فلقيه بنو شيبان يسألونه العفو وبذلوا له رهائن فاجابهم الى ماطلبوا وعاد الى بغداد وأرسل الى أحمد بن عيسى بن الشيخ يطالب منه ما أخذه من أموال ابن كنداجيق بآمد فبعثه اليه ومعه هدايا كثيرة

(ذكر خروج محمد بن عبادة على هرون وكلاهما خارجيان)

في هذه السنة خرج محمد بن عبادة ويعرف بأبي حوزة وهو من بني زهير من أهل قبراثا من البقعاء على هرون وكلاهما من الخوارج وكان أول أمره فقيرا وكان هو وابنان له يلتقطان الكمأة ويبيعانها الى غير ذلك من الاعمال ثم انه جمع جماعة وحكم فاجتمع اليه أهل تلك النواحي من الاعراب وقوي أمره وأخذ عشر الغلات وقبض الزكاة وسار الى معلثايا وقاطعه أهلها على خمسمائة دينار وجبى تلك الاعمال وعاد وبنى عند سنجار حصنا وحمل اليه الامتعة والميرة وجعل فيه ابنه أبا هلال ومعه مائة وخمسون رجلا من وجوه بني زهير وغيرهم ووصل خبرهم الى هرون الشاري فاجتمع رأيه ورأي وجوه أصحابه على قصد الحصن أولا فاذا فرغوا منه ساروا الى محمد بن عبادة فجمع أصحابه فبلغوا ثلثمائة راجل وألف ومائتي فارس وساراليه فبادروا وأحدقوا به وحصروه ومحمد بن عبادة في قبراثا لا يعلم بذلك وجد هرون في قتال الحصن وكان معه سلاليم قد أخذها ورحف اليه وكان أصحابه قد منعوا أحدا يخرج رأسه من أعلى السور فلما رأى من معه من بني تغلب تغلبه على الحصن أعطوا من فيه من بني زهير الامان بغير أمر هرون فشق عليه ولم يقدر على تغيير ذلك الا انه قتل أبا هلال بن محمد بن عبادة ونفرا معه قبل الامان وفتحوا الحصن وملكوا ما فيه وساروا الى محمد وهو بقبراثا فلقوه وهو في أربعة آلاف رجل فاقتتلوا فانهزم هرون ومن معه ووقف بعض أصحابه ونادى رجالا بأسمائهم فاجتمعوا وانحاز بهم رجلا وحملوا على ميمنة محمد ابن عبادة فانهزمت الميمنة وعاد الحرب فانهزم محمد ومن معه ووضعوا السيف فيهم فقتل منهم ألف وأربعمائة رجل وحجز بينهم الليل وجمع هرون مالهم فقسمه بين أصحابه وانهزم محمد الى آمد فاخذه صاحبها أحمد بن عيسى بن الشيخ بعد حرب وظفر به فاخذه أسيرا وسيره الى المعتضد فسلخ جلده كما يسلخ الشاة

(ذكر عدة حوادث)

لما افتتح محمد بن أبي الساج مراغة بعد حرب شديدة وحصار عظيم أخذ عبد الله بن الحسين بعد ان أمنه وأصحابه وقيده وحبسه وقرره بجميع أمواله ثم قتله وفيها مات أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وقام بعده أخوه عمر بن عبد العزيز وفيها افتتح محمد بن ثور عمان وبعث رؤس جماعة من أهلها وفيها توفي جعفر بن المعتمد في ربيع الآخر وكان ينادم المعتضد وفيها دخل عمرو بن

سنة ست وعشرين ومائة فكانت ولايته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما وقتل وهو ابن أربعين سنة والموضع الذي قتل فيه دفن فيه وهي قرية من قرى دمشق تعرف بالبخراء على ماذكرنا وقد أتينا على خبر مقتله في كتابنا الاوسط

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

ظهر في أيام الوليد بن يزيد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بالجوزجان من بلاد خراسان منكرا للظلم وما عم الناس من الجور فسير اليه نصر بن سيار سلم بن أحوز المازني وقتل يحيى في المعركة بقرية يقال لها أرغونة ودفن هنالك وقبره مشهور مزور الى هذه الغاية وليحيى وقائع كثيرة وقتل في المعركة بسهم اصابه في صدغه فولى أصحابه عنه يومئذ واحتز رأسه فحمل الى الوليد وصلب جسده بالجوزجان فلم يزل مصلوبا الى أن خرج أبو مسلم صاحب الدولة العباسية فقتل أبو مسلم سلم بن أحوز وأنزل جثة يحيى فصلى عليها ودفنت هنالك وأظهر أهل خراسان النياحة

الليث نيسابور فى جمادى الاولى وفيها وجه محمد بن أبى الساج ثلاثين نفسا من الخوارج من طريق الموصل فضربت اعناق أكثرهم وحبس الباقون وفيها دخل أحمد بن أبا طرسوس للغزاة من قبل خمارويه بن أحمد بن طولون ودخل بعده بدر الحمامى فغزوا جميعا مع العجيفى أمير طرسوس حتى بلغوا البلقسون وفيها غزا اسمعيل بن أحمد السامانى بلاد الترك وافتتح مدينة ملكهم واسر أباه وامرأته خاتون ونحوا من عشرة آلاف وقتل منهم خلقا كثيرا وغنم من الدواب مالا يعلم عددا وأصاب الفارس من الغنيمة ألف درهم وفيها توفى راشد مولى الموفق بالدينور وحمل الى بغداد فى رمضان وفى شوال مات مسرور البلخى وفيها غارت المياه بالرى وطبرستان حتى بلغ الماء ثلاثة أرطال بدرهم وغلت الاسعار وفى شوال انكسف القمر وأصبح أهل دبيل والدنيا مظلمة ودامت الظلمة عليهم فلما كان عند العصر هبت ريح سوداء فدامت الى ثلث الليل فلما كان ثلث الليل زلزلوا فخربت المدينة ولم يبق من منازلهم الاقدر مائة دار وزلزلوا بعد ذلك خمس مرار وكان جملة من أخرج من تحت الردم مائة ألف وخمسون ألفا كلهم موتى وحج بالناس هذه السنة أبو بكر محمد بن هرون بن اسحق المعروف بابن ترنجة وفيها توفى محمد بن اسمعيل بن يوسف أبو اسمعيل الترمذى فى رمضان وله تصانيف حسنة وأحمد بن سيار بن أيوب الفقيه المروزى وكان زاهدا عالما وأبو جعفر أحمد بن أبى عمران الفقيه الحنفى بمصر

ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائتين

ذكر مسير المعتضد الى ماردين وملكه اياها

وفيها خرج المعتضد الخرجة الثانية الى الموصل قاصدا لحمدان بن حمدون لانه بلغه ان حمدان مال الى هرون الشارى ودعا له فلما بلغ الاعراب الاكراد مسير المعتضد تحالفوا أنهم يقتلون على دم واحد واجتمعوا وعبوا عسكرهم وسار المعتضد اليهم فى خيله جريدة فاوقع بهم وقتل منهم وغرق منهم فى الزاب خلق كثير وسار المعتضد الى الموصل يريد قلعة ماردين وكانت لحمدان بن حمدون فهرب حمدان منها وخلف ابنه بها فنازلها المعتضد وقاتل من فيها يومه ذلك فلما كان من الغد ركب المعتضد فصعد الى باب القلعة وصاح يابن حمدان فاجابه فقال افتح الباب ففتحه فقعد المعتضد فى الباب وأمر بنقل ما فى القلعة وهدمها ثم وجه خلف بن حمدون وطلب أشد الطلب وأخذت أموال له ثم ظفر به المعتضد بعد عوده الى بغداد وفى عوده قصد الحسنية وبها رجل كردى يقال له شداد فى جيش كثير قيل كانوا عشرة آلاف رجل وكان له قلعة فظفر به المعتضد وهدم قلعته

ذكر عدة حوادث

وفيها ورد ترك بن العباس عامل المعتضد على ديار مضر من الجزيرة الى بغداد ومعه نيف وأربعون من أصحاب ابن الاغر صاحب سميساط على جمال عليهم برانس ودراريع حرير فمضى بهم الى الحبس وعاد الى داره وفيها كانت وقعة لوصيف خادم ابن أبى الساج لعمر بن عبد العزيز فهزمه ثم سار وصيف الى مولاه محمد بن أبى الساج وفيها دخل طغج بن جف طرسوس لغزو الصائفة من قبل خمارويه بن أحمد بن طولون فبلغ طرابزون وفتح بلودية فى جمادى الآخرة وفيها مات أحمد بن محمد الطائى بالكوفة فى جمادى وفيها غارت المياه بالرى وطبرستان وفيها سار المعتضد الى ناحية الجبل وقصد الدينور وولى ابنه عليا وهو المكتفى الرى وقزوين وزنجان وابهر وقم وهمذان والدينور وجعل على كتابته أحمد بن الاصبغ وقلد عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف اصبهان ونهاوند والكرج وعاد الى بغداد لاجل غلاء السعر وفيها استأمن الحسن بن على كوره

على يحيى بن زيد سبعة أيام فى سائر أعمالها فى حال أمنهم على أنفسهم من سلطان بنى امية ولم يولد فى تلك السنة بخراسان مولود الا وسمى بيحيى أو بزيد لما داخل أهل خراسان من الجزع والحزن عليه وكان ظهور يحيى فى آخر سنة خمس وعشرين وقيل أول سنة ست وعشرين ومائة وقد أتينا على أخباره وما كان من حروبه فى الكتاب الأوسط وفى غيره مما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن اعادته وكان يحيى يوم قتل يكثر من التمثل بشعر الخنساء

نهين النفوس وهون النفو س يوم الكريهة أوفى لها

وكان الوليد بن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء وهو أول من حمل المغنين من البلدان اليه وجالس الملهين وأظهر الشرب والملاهى والعزف وفى أيامه كان ابن شريح المغنى ومعبد والغريض وابن عائشة وابن محرز وطويس ودحمان وغلبت عليه شهوة الغناء فى أيامه وعلى الخاص والعام واتخذ القيان وكان متهتكا ماجنا خليعا وطرب الوليد ليلتين

عامل

عامل رافع على الري الى على بن المعتضد فوجهه ومن معه الى أبيه وفيها دخل الاعراب سامرا فقتلوا ابن سيما فى ذى القعدة وفيها غزا المسلمون الروم فدامت الحرب بينهم اثنى عشر يوما فظفر المسلمون وغنموا غنيمة كثيرة وعادوا وفيها توفى عبيد الله بن محمد بن عبيد بن أبى الدنيا صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائتين﴾

﴿ذكر النيروز المعتضدى﴾

فيها أمر المعتضد بالكتابة الى الاعمال كلها والبلاد جميعها بترك افتتاح الخراج فى النيروز العجمى وتأخير ذلك الى الحادى عشر من حزيران وسماه النيروز المعتضدى وأنشئت الكتب بذلك من الموصل والمعتضد بها وأراد بذلك الترفيه على الناس والرفق بهم

﴿ذكر قصد حمدان وانهزامه وعوده الى الطاعة﴾

فى هذه السنة كتب المعتضد الى اسحق بن أيوب وحمدان بن حمدون بالمسير اليه وهو فى الموصل فبادر اسحق وتحصن حمدان بقلاعه وأودع أمواله وحرمه فسير المعتضد الجيوش نحوه مع وصيف موشكير ونصر القشورى وغيرهما فصادفوا الحسن بن على كوره وأصحابه متحصنين بموضع يعرف بدير الزعفران من أرض الموصل وفيها وصل الحسين بن حمدان بن حمدون فلما رأى الحسين أوائل العسكر طلب الامان فأمن وسير الى المعتضد وسلم القلعة فأمر المعتضد بهدمها وسار وصيف فى طلب حمدان وكان بباسورين فواقعه وصيف وقتل من أصحابه جماعة وانهزم حمدان فى زورق كان له فى دجلة وحمل معه مالا كان له وعبر الى الجانب الغربى من دجلة فصار فى ديار ربيعة وعبر نفر من الجند فاقتصوا أثره حتى أشرفوا على دير قد نزله فلما رآهم هرب وترك ماله فأخذ وأتى به المعتضد وسار أولئك فى طلب حمدان فضاقت عليه الارض فقصد خيمة اسحق بن أيوب وهو مع المعتضد واستجار به فأحضره اسحق عند المعتضد فأمر بالاحتفاظ به وتتابع رؤساء الاكراد فى طلب الامان وكان ذلك فى المحرم

﴿ذكر انهزام هرون الخارجى من عسكر الموصل﴾

كان المعتضد بالله قد خلف بالموصل نصرا القشورى يجبى الاموال ويعين العمال على جبايتها فخرج عامل معلثايا اليها ومعه جماعة من أصحاب نصر فوقع عليهم طائفة من الخوارج فاقتتلوا الى ان أدركهم الليل وفرق بينهم وقتل من الخوارج انسان اسمه جعفر وهو من أعيان أصحاب هرون فعظم عليه قتله وأمر أصحابه بالافساد فى البلاد فكتب نصر القشورى الى هرون الخارجى كتابا يتهدده بقرب الخليفة وانه ان همّ به أهلكه وأهلك أصحابه وانه لا يغتر بمن سار الى حربه فعاد عنه بمكر وخديعة فكتب اليه هرون كتابا منه أما ما ذكرت ممن أراد قصدى ورجع عنى فانهم لما رأوا جدنا واجتهادنا كانوا باذن الله فراشا متتابعا وقصبا أجوف ومن صبر لنا منهم ما زاد على الاستتار بالحيطان ونحن على ورع منهم وما غرك الا ما أصبت به صاحبنا فظننت ان دمه مطلول أوان وتره متروك لك كلا ان الله تعالى من ورائك وآخذ بناصيتك ومعين على ادراك الحق منك ولم تعيرنا بغيرك وتدع ان يكون مكان ذلك ابداء صفحتك واظهار عداوتك وأنا واياك كما قيل

فلا توعدونا باللقاء وأبرزوا * الينا سوادا نلقه بسواد

ولعمر الله ما ندعو الى البراز ثقة بأنفسنا ولا عن ظن أن الحول والقوة لنا لكن ثقة بربنا واعتمادا على جميل عوائده عندنا وأما ما ذكرت من أمر سلطانك فان سلطانك لا يزال منا قريبا وبحالنا

خاتما من ملكه وأرق فأنشأ يقول

طال ليلى وبت أسقى السلافه
وأتانى نعى من بالرصافه
وأتانى ببردة وقضيب
وأتانى بخاتم للخلافه

ومن مجونه قوله عند وفاة هشام وقد أتاه البشير بذلك وسلم عليه بالخلافة

انى سمعت خليلى
نحو الرصافة رنه
أقبلت أسحب ذيلى
أقول ما حالهنه
اذا بنات هشام
يندبن والدهنه
يدعون ويلا وعولا
والويل حل بهنه
أنا المخنث حقا
ان لم أنيكهنه

وقيل للوليد ما بقى من لذاتك قال محادثة الاخوان فى الليالى القمر على الكثبان العفر وبلغ الوليد عن شراعة بن الزيدبود حسن عشرة وحلاوة مجالسة فبعث فى احضاره فلما دخل اليه قال انى ما بعثت اليك لاسألك عن كتاب ولا سنة قال ولست من أهلها قال انما أسألك عن القهوة قال سل عن أى ذلك شئت يا أمير المؤمنين قال ما تقول فى

عالماء فلا قدم أجلا ولا أخره ولا بسط رزقا ولا قبضه وقد بعثنا الى مقابلتك وستعلم عن قريب ان شاء الله تعالى فمرض نصر كتاب هرون على المعتضد فجد فى قصده وولى الحسن بن على كوره الموصل وأمره بقصد الخوارج وأمر كافة مقدمى الولايات والاعمال بطاعته فجمعهم وسار الى أعمال الموصل وخندق على نفسه وأقام الى ان رفع الناس غلاتهم ثم سار الى الخوارج وعبر الزاب اليهم فلقيهم قريبا من المغلة وتصافوا للحرب فاقتتلوا قتالا شديدا وانكشف الخوارج عنه ليفرقوا جمعيته ثم يعطفوا عليه فامر الحسن أصحابه بلزوم مواقفهم ففعلوا فرجع الخوارج وحملوا عليهم سبع عشرة حملة فانكشفت ميمنة الحسن وقتل من أصحابه وثبت هو فحمل الخوارج عليه حملة رجل واحد فثبت لهم وضرب على رأسه عدة ضربات فلم يؤثر فيه فلما رأى أصحابه ثباته تراجعوا اليه وصبر فانهزم الخوارج أقبح هزيمة وقتل منهم خلق كثير وفارقوا موضع المعركة ودخلوا اذربيجان وأما هرون فانه تحير فى أمره وقصد البرية ونزل عند بنى تغلب ثم عاد الى معلثايا ثم عاد الى البرية ثم رجع وعبر دجلة الى حزة وعاد الى البرية وأما وجوه أصحابه فانهم لما رأوا اقبال دولة المعتضد وقوته وما لحقهم فى هذه الوقعة راسلوا المعتضد يطلبون الامان فامنهم فاتاه كثير منهم يبلغون ثلثمائة وستين رجلا وبقى معه بعضهم يجول بهم فى البلاد الى ان قتل سنة ثلاث وثمانين على ما نذكره

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الاول قبض على تكتمر بن طاشتمر وقيد وأخذ ماله وكان أميرا على الموصل واستعمل بعده عليها الحسن بن على الخراسانى ويعرف بكوره وفيها قدم ابن الجصاص بابنة خمارويه زوجة المعتضد ومعها أحد عمومتها وكان المعتضد بالموصل وفيها عاد المعتضد الى بغداد وزفت اليه ابنة خمارويه فى ربيع الآخر وفيها سار المعتضد الى الجبل فبلغ الكرج وأخذ أموالا لابن أبى دلف وكتب الى عمر بن عبد العزيز يطلب منه جوهرا كان عنده فوجه به اليه وتنحى من بين يديه وفيها أطلق لؤلؤ غلام ابن طولون وحمل على دواب وبغال وفيها وجه يوسف بن أبى الساج الى الصيمرة مددا لفتح القلانسى غلام الموفق فهرب يوسف فيمن أطاعه الى أحيد بن محمد بمراغة ولقى مالا للمعتضد فأخذه وقال فى ذلك عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

امام الهدى أنصاركم آل طاهر * بلا سبب يجفون والدهر يذهب
وقد خلطوا شكرا بصبر ورابطوا * وغيرهم يعطى ويحبى ويهرب

وفيها وجه المعتضد وزيره عبيد الله بن سليمان الى ابنه بالرى وعاد منها وفيها وجه محمد بن زيد العلوى من طبرستان الى محمد بن ورد العطار باثنين وثلاثين ألف دينار ليفرقها على أهل بيته ببغداد والكوفة والمدينة فسعى به الى المعتضد فاحضر محمد عند بدر وسئل عن ذلك فاقر انه يوجه اليه كل سنة مثل ذلك ففرقه وأنهى بدر الى المعتضد ذلك فقال له المعتضد اما تذكر الرؤيا التى خبرتك بها فقال لا يا أمير المؤمنين قال رأيت فى النوم كأنى أريد ناحية النهروان وأنا فى جيشى اذ مررت برجل واقف على تل يصلى ولا يلتفت الى فعجبت فلما فرغ من صلاته قال لى أقبل فاقبلت اليه فقال لى أتعرفنى قلت لا قال أنا على بن أبى طالب خذ هذه فاضرب بها الارض بمسحاة بين يديه فأخذتها فضربت بها ضربات فقال لى انه سيلى من ولدك هذا الامر بعدد الضربات فأوصهم بولدى خيرا وأمر بدرا باطلاق المال والرجل وأمره ان يكتب الى صاحبه بطبرستان ان يوجه ما يريد ظاهرا وان يفرق ما يأتيه ظاهرا وتقدم بمعونته على ذلك وفيها توفى أبو طلحة منصور ابن مسلم فى حبس المعتضد وفيها ولدت جارية اسمها شغب للمعتضد ولدا سماه جعفرا وهو المقتدر

وفيها

الشراب قال عن أيه تسأل قال ما تقول فى الماء قال يشاركنى فيه البغل والحمار قال فنبيذ الزبيب قال خمار وأذى قال فنبيذ التمر قال ضراط كله قال فالخمر قال شقيقة روحى واليفة نفسى قال فما تقول فى السماع قال يبعث مع التانى على ذكر الاشجان ويجدد اللهو على مواقع الاحزان ويؤنس الخل الوحيد ويسر العاشق الفريد ويبرد غليل القلوب ويثير من خواطر الضمائر خطرة ليست من الملاهى لغيره يسرع ترقيها فى أجزاء الجسد فتهيج النفس وتقوى الحس قال فأى المجالس أحب اليك قال ما رأيت فيه السماء من غير أن ينالنى فيه أذى قال فما تقول فى الطعام قال ليس لصاحب الطعام اختيار ما وجده أكله فاتخذه الوليد نديما ومن مليح قوله فى الشراب من أبيات

وصفراء فى الكاس كالزعفران
سباها النخاس من عسقلان
تريك القذاة وعرض الاناء
ستر لها دون مس البنان
لها حبب كلما صفقت
تراها كلمعة برق يمانى

وفيها اقتل خمارويه بن أحمد بن طولون ذبحه بعض خدمه على فراشه في ذي الحجة بدمشق وقتل من خدمه الذين اتهموا نيف وعشرون نفسا وكان سبب قتله انه سعى اليه بعض الناس وقال له ان جواري داره قد اتخذت كل واحدة منهن خصيا من خصيان داره لها كالزوج وقال ان شئت ان تعلم صحة ذلك فاحضر بعض الجواري فاضربها وقررها حتى تعلم صحة ذلك فبعث من وقته الى نائبه بمصر يأمره باحضار عدة من الجواري ليعلم الحال منهن فاجتمع جماعة من الخدم وقرروا بينهم الاتفاق على قتله خوفا من ظهور ما قيل له وكانوا خاصته فذبحوه ليلا وهربوا فلما اقتل اجتمع القواد وأجلسوا ابنه جيش بن خمارويه في الامارة وكان معه بدمشق وهو أكبر ولده فبايعوه ففرقت فيهم الاموال وكان صبيا غرا وفيها توفي عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الدارى الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن البويطي صاحب الشافعي والادب عن ابن الاعرابي وفيها توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري اللغوي صاحب كتاب النبات وغيره وفيها توفي الحرث بن أبي اسامة وله مسند يروى غالبا في زماننا هذا وأبو العيناء محمد بن القاسم وكان يروى عن الاصمعي

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين﴾

﴿ذكر الظفر بهرون الخارجي﴾

في هذه السنة سار المعتضد الى الموصل بسبب هرون الشارى وظفر به وسبب الظفر انه وصل الى تكريت وأقام بها وأحضر الحسين بن حمدان التغلبي وسيره في طلب هرون بن عبد الله الخارجي في جماعة من الفرسان والرجالة فقال له الحسين ان أنا جئت به فلى ثلاث حوائج عند أمير المؤمنين قال اذكرها قال احداهن اطلاق أبي وحاجتان أذكرهما بعد مجيئي به فقال له المعتضد لك ذلك فانتخب ثلثمائة فارس وسار بهم ومعهم وصيف بن موشكير فقال له الحسين تأمره بطاعتي يا أمير المؤمنين فامره بذلك وسار بهم الحسين حتى انتهى الى مخاضة في دجلة فقال الحسين لوصيف ولمن معه لتقفوا ههنا فانه ليس له طريق ان هرب غير هذا فلا تبرحن من هذا الموضع حتى يمر بكم فتمنعوه عن العبور وأجيء أنا أو يبلغكم اني قتلت ومضى حسين في طلب هرون فلقيه وواقعه وقتل بينهما قتلى وانهزم هرون وأقام وصيف على المخاضة ثلاثة أيام فقال له أصحابه قد طال مقامنا ولسنا نأمن ان يأخذ حسين الشارى فيكون له الفتح دوننا والصواب ان نمضى في آثارهم فاطاعهم ومضى وجاء هرون منهزما الى موضع المخاضة فعبر وجاء حسين في أثره فلم ير وصيفا وأصحابه في الموضع الذي تركهم فيه ولا عرف لهم خبرا فعبر في أثر هرون وجاء الى حي من أحياء العرب فسأل عنه فكتموه فتهددهم فاعلموه أنه اجتاز بهم فتبعه حتى لحقه بعد أيام وهرون في نحو مائة رجل فناشده الشارى ووعده وأبى حسين الا محاربته فحاربه فالقى الحسين نفسه عليه فاخذه أسيرا وجاء به الى المعتضد فانصرف المعتضد الى بغداد فوصلها لثمان بقين من ربيع الاول وخلع المعتضد على الحسين بن حمدان وطوقه وخلع على اخوته وأدخل هرون على الفيل وأمر المعتضد بحل قيود حمدان بن حمدان والتوسعة عليه والاحسان اليه ووعد باطلاقه ولما أركبوا هرون على الفيل أرادوا ان يلبسوه ديباجا مشهرا فامتنع وقال هذا لا يحل فالبسوه كارها ولما صلب نادى بأعلى صوته لا حكم الا لله ولو كره المشركون وكان هرون صفريا

﴿ذكر عصيان دمشق على جيش بن خمارويه وخلاف جنده عليه وقتله﴾

في هذه السنة خرج جماعة من قواد جيش بن خمارويه عليه وجاهروا بالمخالفة وقالوا لا نرضى بك أميرا فاتنزل حتى نولى عمك الامارة وكان سبب ذلك انه لما ولى وكان صبيا فقرب الاحداث والسفل وأخلد الى استماع أقوالهم فغير وانبته على قواده وأصحابه وصار يقع فيهم ويذمهم

ومن مجونه أيضا على شرابه قوله لساقيه

اسقني يا يزيد بالقرقاره
قد طربنا وحنت الزماره
اسقني اسقني فان ذنوبي
قد أحاطت فمالها كفاره

وأخبرنا أبو خليفة الفضل ابن الحباب الجمحي القاضي عن محمد بن سلام الجمحي قال حدثني رجل من شيوخ أهل الشام عن أبيه قال كنت سمير الوليد ابن يزيد فرأيت ابن عائشة القرشي عنده وقد قال له غنني فغناه

اني رأيت صبيحة النفر
حورا نفين عزيمة الصبر
مثل الكواكب في مطالعها
عند العشاء أطفن بالبدر
وخرجت أبغي الاجر محتسبا
فرجعت موقورا من الوزر

فقال له الوليد أحسنت والله يا أمير المؤمنين أعد بحق عبد شمس فأعاد فقال أحسنت والله بحق أمية أعد فأعاد فجعل يتخطى من أب الى أب ويأمره بالاعادة حتى بلغ نفسه فقال أعد بحياتي فأعاد فقام الى ابن عائشة فاكب عليه ولم يبق عضوا من أعضائه الا قبله وأهوى الى أيره فجعل ابن عائشة يضم ذكره بين فخذيه فقال

ويظهر العزم على الاستبدال بهم وأخذ نعمهم وأموالهم فاتفقوا عليه ليقتلوه ويقيموا عمه فبلغه ذلك فلم يكلمه بل أطلق لسانه فيهم ففارقه بعضهم وخلعه طغج بن جف أمير دمشق وسائر القواد الذين فارقوه الى بغداد وهم محمد بن اسحق بن كنداجيق وخاقان المفلحي وبدر بن جف أخو طغج وغيرهم من قواد مصر فسلكوا البرية وتركوا أهاليهم وأموالهم فتاهوا أياما ومات من أصحابهم جماعة من العطش وخرجوا فوق الكوفة بمرحلتين وقدموا على المعتضد فخلع عليهم وأحسن اليهم وبقي سائر الجنود بمصر على خلافهم ابن خمارويه فسألهم كاتبه على بن أحمد الماردانى أن ينصرفوا يومهم ذلك فرجعوا وقتل جيش عمين له وبكر الجند اليه فرمى بالرأسين اليهم فهجم الجند اليه فقتلوه ونهبوا داره ونهبوا مصر وأحرقوها وأقعدوا أخاه هرون فى الامرة بعده فكانت ولايته تسعة أشهر

﴿ ذكر حصر الصقالبة القسطنطينية ﴾

وفى هذه السنة سارت الصقالبة الى الروم فحصروا القسطنطينية وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وخربوا البلاد فلم لم يجد ملك الروم منهم خلاصا جمع من عنده من أسارى المسلمين وأعطاهم السلاح وسألهم معونته على الصقالبة ففعلوا وكشفوا الصقالبة وأزاحوهم عن القسطنطينية ولما رأى ملك الروم ذلك خاف المسلمين على نفسه فردهم وأخذ السلاح منهم وفرقهم فى البلاد حذرا من جنايتهم عليه

﴿ ذكر الفداء بين المسلمين والروم ﴾

فى هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم فكان جملة من فدى به من المسلمين الرجال والنساء والصبيان ألفين وخمسمائة وأربعة أنفس

﴿ ذكر الحرب بين عسكر المعتضد وأولاد أبى دلف ﴾

وفيها سار عبيد الله بن سليمان الى عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف بالجبل فسار عمر اليه بالامان فى شعبان وأذعن بالطاعة فخلع عليه وعلى أهل بيته وكان قبل ذلك قد دخل بكر بن عبد العزيز بالامان الى عبيد الله بن سليمان وبدر فولياه عمل أخيه على ان يسير اليه فيحاربه فلما دخل عمر فى الامان قالا لبكران أخاك قد دخل فى الطاعة وانما وليناك عمله على انه عاص والمعتضد يفعل فى أمركما ما يراه فامضيا الى بابه وولى النوشرى اصبهان وأظهر انه من قبل عمر بن عبد العزيز فهرب بكر بن عبد العزيز فكتب عبيد الله الى المعتضد بذلك فكتب الى بدر ليقيم بمكانه الى ان يعرف حال بكر وسار الوزير الى على بن المعتضد بالرى ولحق بكر بن عبد العزيز بالاهواز فسير المعتضد اليه وصيف بن موشكير فسار اليه فلحقه بحدود فارس وباتا متقابلين وارتحل بكر الى اصبهان ليلا فلم يتبعه وصيف بل رجع الى بغداد وسار بكر الى اصبهان فكتب المعتضد الى بدر يأمره بطلب بكر وحربه فأمر بدر عيسى النوشرى بذلك فقال بكر

عنى مـلامك ليس حين ملام * هيهات أجدب زائد الايام
طارت عنايات الصبا عن مفرقى * ومضى أوان شراستى وعرامى
ألفى الاحبة بالعراق عصيهم * وبقيت نصب حوادث الايام
وتقادمت بأخى النوى ورمت به * رمى البعيد قطيعة الارحام
فلأقرعن صفاة دهر نابهم * قرعا يهز رواسى الاعلام
ولاضربن الهام دون حريمهم * ضرب القدار نقيعة القدام
ولانركن الواردين حياضهم * بقرارة لمواطئ الاقدام

الوليد والله لازلت حتى أقبله فقبل رأسه وقال واطرباه واطرباه ونزع ثيابه فألقاها على ابن عائشة وبقى مجردا الى أن أتوه بثياب غيرها ودعا له بألف دينار فدفعت اليه وحمله على بغلة وقال اركبها على بساطى وانصرف فقد تركتنى على أحر من جمر الغضى (قال المسعودى) وقد كان ابن عائشة غنى بهذا الشعر يزيد بن عبد الملك أباه فاطربه وقيل انه ألحد وكفر فى طربه وكان فيما قال اسقنا بالسماء الرابعة وكان الوليد بن يزيد قد ورث الطرب فى هذا الشعر عن أبيه والشعر لرجل من قريش والغناء لابن سريج وقيل لمالك على حسب ما فى كتب الاغانى من الخلاف فى ذلك مما ذكره اسحق بن ابراهيم الموصلى فى كتابه فى الاغانى وابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة فى كتابه فى الاغانى أيضا وغيرهما ممن صنف فى هذا المعنى والوليد يدعى خليع بنى مروان وقرأ ذات يوم واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم

يابدر انك لوشهدت مواقفى * والموت يلحظ والسيوف دوامى
لذممت رأيك فى اضاعة حرمتى * ولضاق ذرعك فى اطراح ذمامى
حركتنى بعد السكون وانما * حركت من حصن جبال تهام
وعجمتنى فعجمت منى من جمى * خشن المناكب كل يوم زحام
قل للامير أنا محمد الذى * تجلو بغرته دجى الاظلام
أسكنتنى ظل العلا فسكنته * فى عيشة رغد وعز نامى
حتى اذا خليت عنى نابنى * نوب أتت وتنكرت أيامى
فلأشكرن جميل ما أوليتنى * ماغردت فى الايك ورق حمام
هذا أبو حفص يدى وذخيرتى * للنائبات وعدتى وسنامى
ناديته فاجابنى وهززته * فهززت حد الصارم الصمصام
من رام ان يغضى الجفون على القذى * أو يستكين يروم غير مرامى
ويخيم حين يرى الاسنة شرعا * والبيض مصلتة لضرب الهام

ثم ان النوشرى انهزم عن بكر فقال بكر يذكر هربه و يعير وصيفا بالاحجام عنه و يتهدد بدرا فى أبيات منها

قد رأى النوشرى حين التقينا * من اذا أشرع الرماح يفر
جاء فى قسطل لهام فصلنا * صولة دونها الكماة تهر
وكوى النوشرى آثار نار * روّيت عند ذاك بيض وسمر
غره بدر احلمى وفضل أناتى * واحتمالى للغر مما يغر
سوف يأتيه من خيولى قب * لاحقات البطون جون وشقر
يتبادرون كالسعالى عليها * من بنى وائل أسود تكر
لست بكرا ان لم أدعهم حديثا * ماسرى كوكب وما كر دهر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أمر المعتضد بالكتابة الى جميع البلدان أن يرد الفاضل من سهام المواريث الى ذوى الارحام وأبطل ديوان المواريث وفيها فى شوّال مات محمد بن أبى الشوارب القاضى وكانت ولايته للقضاء بمدينة المنصور ستة أشهر وفيها قدم عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف بغداد فامر المعتضد الناس والقوّاد باستقباله وقعد له المعتضد فدخل عليه وأكرمه وخلع عليه وفيها فى رمضان تحارب عمرو بن الليث الصفار ورافع بن هرثمة فانهزم رافع وكان سبب ذلك ان عمرا فارق نيسابور فخالفه اليها رافع وملكها وخطب فيها لمحمد بن زيد العلوى فرجع عمرو من مرو الى نيسابور فحصرها فانهزم رافع منها ووجه عمرو فى طلبه عسكرا فلحقوه بطوس فانهزم منهم الى خوارزم فلحقوه بها فقتلوه وأرسلوا رأسه الى المعتضد فوصله سنة أربع وثمانين فى المحرم فامر بنصبه ببغداد وخلع على القاصد به وفيها مات البحترى الشاعر واسمه الوليد بن عبادة بمنبج أو حلب وكان مولده سنة ست ومائتين وفيها توفى محمد بن سليمان أبو بكر المعروف بابن الباغندى وأبو الحسن على بن العباس بن جريج الشاعر المعروف بابن الرومى وقيل توفى سنة أربع وثمانين وديوانه معروف رحمه الله تعالى وفيها توفى سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع السترى ومولده سنة مائتين وقيل وثلاثين

﴿ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين﴾

فى هذه السنة كان فتنة بطرسوس بين راغب مولى الموفق و بين دميانه وكان سبب ذلك

ويسقى من ماء صديد فدعا بالمصحف فنصبه غرضا للنشاب وأقبل يرميه وهو يقول

أتوعد كل جبار عنيد
فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر
فقل يارب خرقنى الوليد

وذكر محمد بن يزيد المبرد أن الوليد ألحد فى شعر له ذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم وأن الوحى لم يأته عن ربه كذب أخزاه الله ومن ذلك فى الشعر

تلعب بالخلافة هاشمى
بلا وحى أتاه ولا كتاب
فقل لله يمنعنى طعامى
وقل لله يمنعنى شرابى

فلم يمهل بعد قوله الا أياما حتى قتل وأم الوليد بن يزيد أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفية ويكنى أبا العباس وقد كان حمل اليه جفنة من البلور وقيل من الحجر المعروف باليشب وقد ذهب جماعة من الفلاسفة الى أن من شرب فيه الخمر لا يسكر وقد ذكرنا خاصية ذلك فى كتاب القضايا والتجارب وأن من وضع تحت رأسه منه قطعة أو كان فص خاتمه منه لم ير الا رؤيا حسنة فأمر الوليد فملئت خمرا

منصلة ثم سقط بعد ساعة بقرية تعرف باحمد اباذ ونواحيها أحجار بيض وسود مختلفة الالوان في أوساطها طبق وحمل منها الى بغداد فرآه الناس وفيها سار فاتك مولى المعتضد الى الموصل لينظر في اعمالها واعمال الجزيرة والثغور الشامية والجزرية واصلاحها مضافا الى ما كان يتقلده من البريد بها وفيها كان بالبصرة ريح صفراء ثم عادت خضراء ثم سوداء ثم تتابعت الامطار بما لم ير وا مثله ثم وقع برد كبار وزن البردة مائة وخمسون درهما فيما قيل وفيها مات الخليل بن رمال بحلوان وفيها ولى المعتضد محمد بن أبي الساج اعمال اذربيجان وارمينية وكان قد تغلب عليها وخالف وبعث اليه بخلع وفيها غزا راغب مولى الموفق في البحر فغنم مراكب كثيرة فضرب أعناق ثلاثة آلاف من الروم كانوا فيها وأحرق المراكب وفتح حصونا كثيرة وعاد سالما ومن معه وفيها توفي أحمد بن عيسى بن الشيخ وقام بعده ابنه محمد بآمد وما يليها على سبيل التغلب فسار المعتضد الى آمد بالعساكر ومعه ابنه أبو محمد علي المكتفي في ذي الحجة وجعل طريقه على الموصل فوصل آمد وحصرها الى ربيع الآخر من سنة ست وثمانين ومائتين ونصب عليها المجانيق فأرسل محمد بن أحمد بن عيسى يطلب الامان لنفسه ولمن معه ولاهل البلد فأمنهم المعتضد فخرج اليه وسلم البلد فخلع عليه المعتضد وأكرمه وهدم سورها ثم بلغه ان محمد بن الشيخ يريد الهرب فقبض عليه وعلى آله وفيها وجه هرون بن خمارويه الى المعتضد يسأله ان يقاطعه على ما في يده ويد نوابه من مصر والشام ويسلم اعمال قنسرين الى المعتضد ويحمل كل سنة أربعمائة ألف وخمسين ألف دينار فأجابه الى ذلك وسار من آمد واستخلف فيها ابنه المكتفي ووصل الى قنسرين والعواصم فتسلمها من أصحاب هرون وكان ذلك سنة ست وثمانين ومائتين وفيها غزا ابن الاخشيد بأهل طرسوس ففتح الله على يديه وبلغ اسكندرون وحج بالناس محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي وفيها توفي ابراهيم بن اسحق الحربي ببغداد وهو من أعيان المحدثين واسحق بن ابراهيم الدبري صاحب عبد الرزاق بصنعاء وهو آخر من روى عن عبد الرزاق (الدبري بفتح الدال المهملة والباء الموحدة وبعدها راء) وفيها توفي أبو العباس محمد بن يزيد الازدي اليماني النحوي المعروف بالمبرد وكان قد أخذ النحو عن أبي عثمان المازني

﴿ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين﴾

وفي هذه السنة وجه محمد بن أبي الساج المعروف بابي المسافر الى بغداد برهينة بما ضمن من الطاعة والمناصحة ومعه هدايا جليلة وفيها أرسل عمرو بن الليث هدية الى المعتضد من نيسابور فكانت قيمتها أربعة آلاف درهم

﴿(ذكر ابتداء أمر القرامطة بالبحرين)﴾

وفيها اظهر رجل من القرامطة يعرف بابي سعيد الجنابي بالبحرين فاجتمع اليه جماعة من الاعراب والقرامطة وقوي أمره فقتل ما حوله من أهل القرى ثم سار الى القطيف فقتل بها وأظهر أنه يريد البصرة فكتب احمد بن محمد بن يحيى الواثقي وكان متولي البصرة الى المعتضد بذلك فأمره بعمل سور على البصرة وكان مبلغ الخراج عليه أربعة عشر ألف دينار وكان ابتداء القرامطة بناحية البحرين ان رجلا يعرف بيحيى بن المهدي قصد قطيف فنزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى ابن حمدان مولى الزياديين وكان يغالي في التشيع فاظهر له يحيى أنه رسول المهدي وكان ذلك سنة احدى وثمانين ومائتين وذكر أنه خرج الى شيعته في البلاد يدعوهم الى أمره وان ظهوره قد قرب فوجه علي بن المعلى الى الشيعة من أهل القطيف فجمعهم وأقرأهم الكتاب الذي مع يحيى

ابن

بنفسه عليه ودخل سابقا فكان الوليد أول من فعل ذلك وسنه في الحلبة ثم تلاه في الفعل كذلك المهدي في أيام المنصور والهادي في أيام المهدي ثم عرضت على الوليد الخيل في الحلبة الثانية فغربه فرس لسعيد فقال لا نسابقك أبا عنبسة وأنت القائل

نحن سبقنا اليوم خيل اللومه

فقال سعيد ليس كذا قلت يا أمير المؤمنين وانما قلت

نحن سبقنا اليوم خيلا لؤمه

فضحك الوليد وضمه الى نفسه وقال لا عدمت قريش أمثالك وللوليد ابن يزيد أخبار حسان في جمعه الخيول في الحلبة فانه اجتمع له في الحلبة ألف قارح وجمع بين الفرس المعروف بالزائد والفرس المعروف بالسندي وكانا قد برزا في الجري على خيول زمانهما وقد ذكر ذلك جماعة من الاخباريين وأصحاب التواريخ مثل ابن نمير والاصمعي وأبي عبيدة وجعفر بن سليمان وقد أتينا على الغرر من أخباره في أخبار الخيل وأخبار الحلبات وخبر الفرس المعروف بالزائد والسندي وأشقر مروان

ابن المهدى اليهم من المهدى فاجابوه وانهم خارجون معه اذا ظهر أمره ووجه الى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فاجابوه وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابى وكان يبيع للناس الطعام ويحسب لهم بيعهم ثم غاب عنهم يحيى بن المهدى مدة ثم رجع ومعه كتاب يزعم انه من المهدى الى شيعته فيه قد عرفنى رسولى يحيى بن المهدى مسارعتكم الى أمرى فليدفع اليه كل رجل منكم ستة دنانير وثلثين ففعلوا ذلك ثم غاب عنهم وعاد ومعه كتاب فيه أن ادفعوا الى يحيى خمس أموالكم فدفعوا اليه الخمس وكان يحيى يتردد فى قبائل قيس ويورد اليهم كتبا يزعم انها من المهدى وانه ظاهر فكونوا على أهبة وحكى انسان منهم يقال له ابراهيم الصائغ انه كان عند أبى سعيد الجنابى وأتاه يحيى فاكلوا طعاما فلما فرغوا خرج أبو سعيد من بيته وأمر امرأته أن تدخل الى يحيى وأن لا تمنعه ان أراد فانتهى هذا الخبر الى الوالى فاخذ يحيى فضربه وحلق رأسه ولحيته وهرب أبو سعيد الجنابى الى جنابا وسار يحيى بن المهدى الى بنى كلاب وعقيل والحريس فاجتمعوا معه ومع أبى سعيد فعظم أمر أبى سعيد وكان منه ما يأتى ذكره

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها سار المعتضد من آمد بعد أن ملكها كما ذكرناه الى الرقة فولى ابنه عليا المكتفى قنسرين والعواصم والجزيرة وكاتبه النصرانى واسمه الحسين بن عمرو وكان ينظر فى الاموال فقال الخليع فى ذلك

حسين بن عمرو عدو القرا ... ن يصنع فى العرب ما يصنع
يقوم لهيبته المسلمون ... صفوفا لفرد اذا يطلع
فان قيل قد أقبل الجاثليق ... تخفى له ومشى يظلع

وفيها توفى ابن الاخشيد أمير طرسوس واستخلف أبا ثابت على طرسوس وفيها سار الى الانبار جماعة اعراب من بنى شيبان وأغاروا على القرى وقتلوا من لحقوا من الناس وأخذوا المواشى فخرج اليهم احمد بن محمد بن كمشجور ومن معه فلم يطقهم فكتب الى المعتضد بذلك فامده بجيش فادركوا الاعراب وقاتلوهم فهزمهم الاعراب وقتلوا فيهم وغرق أكثرهم وتفرقوا وعاث الاعراب فى تلك الناحية وبلغ خبر الهزيمة الى المعتضد فسير جيشا آخر فرحل الاعراب الى عين التمر فافسدوا وعاثوا وذلك فى شعبان ورمضان فوجه اليهم عسكرا آخر الى عين التمر فسلكوا البرية الى نواحى الشام فعاد العسكر الى بغداد ولم يلقهم وفيها استدعى المعتضد راغبا مولى الموفق من طرسوس فقدم عليه وهو بالرقة فحبسه وأخذ جميع ما كان له فمات بعد أيام من حبسه وكان ذلك فى شعبان وقبض على بكنون غلام راغب وأخذ ماله بطرسوس وفيها قلد المعتضد ديوان المشرق محمد بن داود بن الجراح وعزل عنه أحمد بن محمد بن الفرات وقلد ديوان المغرب على بن عيسى بن داود بن الجراح وفيها توفى أبو جعفر محمد بن ابراهيم الانماطى المعروف بالمربع صاحب يحيى بن معين وكان حافظا للحديث ومحمد بن يوسف الكريمى البصرى

﴿ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين﴾

﴿ذكر قتل ابى ثابت أمير طرسوس وولاية ابن الاعرابى﴾

فى هذه السنة اجتمعت الروم وحشدت فى ربيع الآخر ووافت باب قلمية من طرسوس فنفر أبو ثابت أمير طرسوس بعد موت ابن الاخشيد وكان استخلفه عند موته فبلغ أبو ثابت فى نفيره الى نهر الرجان فى طلبهم فاسر أبو ثابت وأصيب الناس معه وكان ابن كلوب غازيا فى درب السلامة

وغير ذلك من أخبار من سلف من الامويين ومن تأخر فى كتابنا المترجم بالاوسط وانما الغرض من هذا الكتاب ايراد جوامع تاريخهم ولمع من أخبارهم وسيرهم وكذلك أتينا على ذكر ما يستحب من معرفة خلق الخيل وصفاتها من سائر أعضائها وعيونها وخلقها والشاب منها والهرم ووصف ألوانها ودوائرها وما يستحسن من ذلك ومقادير أعمارها ومنتهى بقائها وتنازع الناس فى اعداد هذه الدوائر والمحمودة منها والمذمومة ومن رأى انها ثمانى عشرة أو أقل من ذلك أو أكثر على حسب ما أدرك من طرق العادات بها والتجارب ووصف السوابق من الخيل وغير ذلك مما تكلم الناس به فى شأنها وأعرافها فيما سلف من كتبنا وفى أيام الوليد بن يزيد كانت وفاة ابى جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وقد تنوزع فى ذلك فمن الناس من رأى أن وفاته كانت فى أيام هشام وذلك سنة عشرة ومائة ومن الناس من رأى انه مات فى أيام يزيد بن عبد الملك وهو ابن سبع وخمسين سنة بالمدينة ودفن بالبقيع مع

فلما عاد جمع مشايخ الثغر ليتراضوا بامير فاجمعوا رأيهم على ابن الاعرابي فولوه أمرهم وذلك في ربيع الآخر من هذه السنة

﴿ذكر ظفر المعتضد بوصيف ومن معه﴾

في هذه السنة هرب وصيف خادم محمد بن أبي الساج من برذعة الى ملطية من أعمال مولاه وكتب الى المعتضد يسأله ان يوليه الثغور فاخذ رسله وقررهم عن سبب مفارقة وصيف مولاه فذكروا له انه فارقه على مواطأة منهما انه متى ولى وصيف الثغور سار اليه مولاه وقصدا ديار مضر وتغلبا عليها فسار المعتضد نحوه فنزل العين السوداء وأراد الرحيل في طريق المصيصة فاتته العيون فاخبروه ان وصيفا يريد عين زربة فسأل أهل المعرفة بذلك الطريق وسألهم عن أقرب الطرق الى لقاء وصيف فاخذوه وسار وابه نحوه وقدم جماعة من عسكره بين يديه فلقوا وصيفا فقاتلوه وأخذوه أسيرا فاحضروه عند المعتضد فحبسه فامر ونودي في أصحاب وصيف بالامان رأمر العسكر بردما نهبوه منهم ففعلوا ذلك وكانت الوقعة لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة فلما فرغ منه رحل الى المصيصة وأحضر رؤساء طرسوس فقبض عليهم لانهم كانوا كاتبوا وصيفا وأمر باحراق مراكب طرسوس التي كانوا يغزون فيها وجميع آلاتها وكان من جملتها نحو من خمسين مركبا قديمة قد أنفق عليها من الاموال مالا يحصى ولا يمكن عمل مثلها فاضر ذلك بالمسلمين وفت في اعضادهم وأمن الروم ان يغزوا في البحر وكان احراقها باشارة دميانة غلام بازمار لشئ كان في نفسه على أهل طرسوس واستعمل على أهل الثغور الحسن بن علي كورة وسار المعتضد الى انطاكية وحلب وغيرهما وعاد الى بغداد وفيها توفيت ابنة خمارويه زوج المعتضد

﴿ذكر أمر القرامطة وانهزام العباس الغنوي منهم﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر عظم أمر القرامطة بالبحرين وأغاروا على نواحي هجر وقرب بعضهم من نواحي البصرة فكتب أحمد الواثقي يسأل المدد فسير اليه سميريات فيها ثلثمائة رجل وأمر المعتضد باختيار رجل ينفذه الى البصرة وعزل العباس بن عمرو الغنوي عن بلاد فارس واقطعه اليمامة والبحرين وأمره بمحاربة القرامطة وضم اليه زهاء ألفي رجل فسار الى البصرة واجتمع اليه جمع كثير من المتطوعة والجند والخدم ثم سار منها الى أبي سعيد الجنابي فلقوه مساء وتناوشوا القتال وحجز بينهم الليل فلما كان الليل انصرف عن العباس من كان معه من اعراب بني ضبة وكانوا ثلثمائة الى البصرة وتبعهم مطوعة البصرة فلما أصبح العباس باكر الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا ثم حمل نجاح غلام أحمد بن عيسى بن الشيخ من ميسرة العباس في مائة رجل على ميمنة أبي سعيد فوغلوا فيهم وقتلوا عن آخرهم وحمل الجنابي ومن معه على أصحاب العباس فانهزموا وأسر العباس واحتوى الجنابي على ما كان في عسكره فلما كان من الغد أحضر الجنابي الاسرى فقتلهم جميعا وحرقهم وكانت الوقعة آخر شعبان ثم سار الجنابي الى هجر بعد الوقعة فدخلها وأمن أهلها وانصرف من سلم من المنهزمين وهم قليل نحو البصرة بغير زاد فخرج اليهم من البصرة نحو أربعمائة رجل على الرواحل ومعهم الطعام والكسوة والماء فلقوا بها المنهزمين فخرج عليهم بنو أسد وأخذوا الرواحل وما عليها وقتلوا من سلم من المعركة فاضطربت البصرة لذلك وعزم أهلها على الانتقال منها فمنعهم الواثقي وبقي العباس عند الجنابي اياما ثم اطلقه وقال له امض الى صاحبك وعرفه مارأيت وحمله على رواحل فوصل الى بعض السواحل وركب البحر فوافى الابلة ثم سار منها الى بغداد فوصلها في رمضان فدخل على المعتضد فخلع عليه بلغني ان

أي علي بن الحسين وغيره من سلفه عليهم السلام مما سنورد ذكرهم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق

﴿ذكر أيام يزيد وابراهيم ابني الوليد بن عبد الملك بن مروان﴾

ولي يزيد بن الوليد بدمشق ليلة الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة فبايعه الناس بعد قتل الوليد بن يزيد وتوفي يزيد بن الوليد بدمشق يوم الاحد هلال ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة فكانت ولايته من مقتل الوليد بن يزيد الى ان مات خمسة أشهر وليلتين وقد كان ابراهيم بن الوليد أخوه قام بالامر من بعده فبايعه الناس بدمشق أربعة أشهر وقيل شهرين ثم خلع وكانت أيامه عجيبة الشأن من كثرة الهرج والاختلاط واختلاف الكلمة وسقوط الهيبة وفيه يقول بعض أهل ذلك العصر

نبايع ابراهيم في كل جمعة
ألا ان أمرا أنت واليه ضائع

ودفن يزيد بن الوليد بدمشق بين باب الجابية وباب الصغير وهو ابن سبع وثلاثين سنة ويقال ابن ست وأربعين سنة

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال عجائب الدنيا ثلاث جيش العباس بن عمرو يؤسر وحده وينجو وحده ويقتل جميع جيشه وجيش عمرو بن الصفار يؤسر وحده ويسلم جميع جيشه وانا انزل في بيتي ويتولى ابني أبو العباس الجسر ببغداد ولما أطلق أبو سعيد العباس أعطاه درجا ملصقا وقال له أوصله الى المعتضد فان لى فيه اسرارا فلما دخل العباس على المعتضد عاتبه المعتضد فأوصل اليه العباس الكتاب فقال والله ليس فيه شئ وانما أراد ان يعلمني انى أنفذتك اليه في العدد الكثير فردك فردا وفتح الكتاب واذ ليس فيه شئ وفيها في ذى القعدة أوقع بدر غلام الطائى بالقرامطة على غرة منهم بنواحى ميسان وغيرها وقتل منهم مقتلة ثم تركهم خوفا أن تخرب السواد وكانوا فلاحيه وطلب رؤساءهم فقتل من ظفر به منهم

﴿ذكر اسر عمرو الصفار وملك اسمعيل خراسان﴾

في هذه السنة في ربيع الاول أسر عمرو بن الليث الصفار وكان سبب ذلك أن عمرا أرسل الى المعتضد برأس رافع بن هرثمة وطلب منه ان يوليه ماوراء النهر فوجه اليه الخلع واللواء بذلك وهو بنيسابور فوجه لمحاربة اسمعيل بن احمد الساماني صاحب ماوراء النهر محمد بن بشير وكان خليفته وحاجبه واخص أصحابه بخدمته وأكبرهم عنده وغيره من قواده الى آمل فعبر اليهم اسمعيل جيحون لحاربهم فهزمهم وقتل محمد بن بشير في نحو ستة آلاف رجل وبلغ المنهزمون الى عمرو وهو بنيسابور وعاد اسمعيل الى بخارا فتجهز عمرو لقصد اسمعيل فاشار اليه أصحابه بانفاذ الجيوش ولا يخاطر بنفسه فلم يقبل منهم وسار عن نيسابور نحو بلخ فارسل اليه اسمعيل انك قد وليت دنيا عريضة وانما في يدى ماوراء النهر وأنا في ثغر فاقنع بما في يدك واتركنى في هذا الثغر فأبى فذكر لعمرو وأصحابه شدة العبور بنهر بلخ فقال لو شئت ان أسكره ببدر الاموال وأعبره لفعلت فسار اسمعيل نحوه وعبر النهر الى الجانب الغربى وجاء عمرو فنزل بلخ وأخذ اسمعيل عليه النواحى لكثرة جمعه وصار عمرو كالمحاصر وندم على مافعل وطلب المحاجزة فأبى اسمعيل عليه فاقتتلوا فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم عمرو فولى هاربا ومر باجمة في طريقه فقيل له انها أقرب الطرق فقال لعامة من معه امضوا في الطريق الواضح وسار هو في نفر يسير فدخل الاجمة فوحلت به دابته فلم يكن له في نفسه حيلة ومضى من معه ولم يعرجوا عليه وجاء أصحاب اسمعيل فاخذوه أسيرا فسيره اسمعيل الى سمرقند ولما وصل الخبر الى المعتضد ذم عمرا ومدح اسمعيل ثم ان اسمعيل خير عمرا بين مقامه عنده أو انفاذه الى المعتضد فاختار المقام عند المعتضد فسيره اليه فوصل الى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائتين فلما وصل ركب على جمل وأدخل بغداد ثم حبس فبقى محبوسا حتى قتل سنة تسع وثمانين على مانذكره وأرسل المعتضد الى اسمعيل بالخلع وولاه ما كان بيد عمرو وخلع على نائبه بالحضرة المعروف بالمرزبانى واستولى اسمعيل على خراسان وصارت بيده وكان عمرو أعور شديد السمرة عظيم السياسة قد منع أصحابه وقواده ان يضرب أحد منهم غلاما الا بأمره أو يتولى عقوبة الغلام نائبه أو أحد حجابه وكان يشترى المماليك الصغار ويربيهم ويهبهم لقواده ويجرى عليهم الجرايات الحسنة سرا ليطالعوه باحوال قواده ولا ينكتم عنه من أخبارهم شئ ولم يكونوا يعلمون من ينقل اليه عنهم فكان أحدهم يحذره وهو وحده حكى عنه انه كان له عامل بفارس يقال له أبو حصين فسخط عليه عمرو وألزمه ان يبيع أملاكه ويوصل ثمنها اليه ففعل ذلك ثم طلب منه مائة ألف درهم فان أداها في ثلاثة أيام والا قتله فلم يقدر على شئ منها فارسل الى أبى سعيد الكاتب يطلب منه ان يجتمع به فاذن له فاجتمع به وعرفه ضيق يده وسأله

﴿ذكر لمع مما كان في أيامهما﴾

كان يزيد بن الوليد أحول وكان يلقب بيزيد الناقص ولم يكن ناقصا في جسمه ولا عقله وانما نقص بعض الجند من أرزاقهم فقالوا يزيد الناقص وكان يذهب الى قول المعتزلة ومايذهبون اليه في الاصول الخمسة من التوحيد والعدل والوعد والوعيد والاسماء والأحكام وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتفسير قولهم فيما ذهبوا اليه من الباب الاول وهو باب التوحيد هو ما اجتمعت عليه المعتزلة من البصريين والبغداديين وغيرهم وان كانوا في غير ذلك من فروعهم متباينين من أن الله عز وجل لا كالاشياء وانه ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر بل هو الخالق للجسم والعرض والعنصر والجزء والجوهر وأن شيأ من الحواس لا يدركه في الدنيا ولا في الآخرة وأنه لا يحصره المكان ولا تحويه الأقطار بل هو الذى لم يزل ولا زمان ولا مكان ولا نهاية ولا حد وأنه الخالق للاشياء المبدع لها لا من

ان يضمنه فيخرج من محبسه ويسعى فى تحصيل المبلغ المطلوب منه ففعل وأخرجه فلم يفتح عليه بشئ فعاد الى أبى سعيد الكاتب فبلغ خبره عمرا فقال والله ما أدرى من أيهما أعجب من أبى سعيد فيما فعل من بذل مائة ألف درهم أم فى أبى حصين كيف عاد وقد علم انه القتل ثم أمر باطلاق ما عليه ورده الى منزلته وحكى عنه انه كان يحمل احمالا كثيرة من الجرب ولم يعلم أحد ما مراده فاتفق فى بعض السنين انه قصد طائفة من العصاة عليه للايقاع بهم فسلك طريقا لا تظن العصاة انهم يؤتون منه وكان فى طريقه واد فامر بتلك الجرب فملئت ترابا وأحجارا ونضد بعضها الى بعض وجعلها طريقا فى الوادى فعبر أصحابه عليها وأتاهم وهم آمنون فأثخن فيهم وبلغ منهم ما أراد وحكى أيضا ان أكبر حجابه كان اسمه محمد بن بشير وكان يخلفه فى كثير من أموره العظام فدخل عليه يوما وأخذ يعتد عليه ذنوبه فحلف محمد بالله والطلاق والعتق انه لا يملك الا خمسين بدرة وهو يحملها الى الخزانة ولا يجعل له ذنبا لم يعلمه فقال عمرو ما أعقلك من رجل احملها الى الخزانة فحملها فرضى عنه وما أوحش هذا من فعل وشره الى أموال من أذهب عمره فى خدمته

(ذكر قتل محمد بن زيد العلوى)

فى هذه السنة قتل محمد بن زيد العلوى صاحب طبرستان والديلم وكان سبب قتله انه لما اتصل به أسر عمرو بن الليث الصفار خرج من طبرستان نحو خراسان ظنا منه ان اسمعيل السامانى لا يتجاوز عمله ولا يقصد خراسان وانه لا دافع له عنها فلما سار الى جرجان أرسل اليه اسمعيل وقد استولى على خراسان يقول له الزم عملك ولا تتجاوزه عمله ولا تقصد خراسان وترك جرجان له فابى ذلك محمد فندب اليه اسمعيل بن أحمد محمد بن هرون وهذا محمد كان يخلف رافع بن هرثمة أيام ولايته خراسان فجمع محمد جمعا كثيرا من فارس وراجل وسار نحو محمد بن زيد فالتقوا على باب جرجان فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم محمد بن هرون أولا ثم رجع وقد تفرق أصحاب محمد بن زيد فى الطلب فلما رأوه قد رجع اليهم ولوا هاربين وقتل منهم بشر كثير وأصابت ابن زيد ضربات وأسر ابنه زيد وغنم ابن هرون عسكره وما فيه ثم مات محمد بن زيد بعد أيام من جراحاته التى أصابته فدفن على باب جرجان وحمل ابنه زيد بن محمد الى اسمعيل بن أحمد فاكرمه ووسع فى الانزال عليه وأنزله بخارا وسار محمد بن هرون الى طبرستان وكان محمد بن زيد فاضلا أديبا شاعرا عارفا حسن السيرة قال أبو عمر الاستراباذى كنت أورد على محمد بن زيد أخبار العباسيين فقلت له انهم قد لقبوا أنفسهم فاذا ذكرتهم عندك أسميهم أو ألقبهم فقال الامر موسع عليك سمهم ولقبهم باحسن ألقابهم وأسمائهم وأحبها اليهم وقيل حضر عنده خصمان أحدهما اسمه معاوية والآخر اسمه على فقال الحكم بينكما ظاهر فقال معاوية ان تحت هذين الاسمين خبرا فقال محمد وما هو قال ان أبى كان من صادقى الشيعة فسمانى معاوية ليكفى شر النواصب وان أبا هذا كان ناصبيا فسماه عليا خوفا من العلوية والشيعة فتبسم اليه محمد وأحسن اليه وقربه وقيل استأذن عليه جماعة من أضراء الشيعة وقرائهم فقال ادخلوا فانه لا يحبنا الا كل كسير واعور

(ذكر ولاية أبى العباس صقلية)

كان ابراهيم بن الامير أحمد أمير افريقية قد استعمل على صقلية أبا مالك أحمد بن عمر بن عبد الله فاستضعفه فولى بعده ابنه أبا العباس بن ابراهيم بن أحمد بن الاغلب فوصل اليها غرة شعبان من هذه السنة فى مائة وعشرين مركبا وأربعين حربى وحصر طرابلس واتصل خبره بعسكر المسلمين بمدينة بلرم وهم يقاتلون أهل جرجنت فعادوا الى بلرم وأرسلوا جماعة من شيوخهم اليه بطاعتهم

شئ وأنه القديم وأن ما سواه محدث (وأما القول بالعدل) وهو الاصل الثانى فهو أن الله لا يحب الفساد ولا يخلق أفعال العباد بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التى جعلها الله لهم وركبها فيهم وأنه لم يأمر الا بما أراد ولم ينه الا عما كره وانه ولى كل حسنة أمر بها برىء من كل سيئة نهى عنها لم يكلفهم ما لا يطيقونه ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه وأن أحدا لا يقدر على قبض ولا بسط الا بقدرة الله التى أعطاهم اياها وهو المالك لها دونهم يفنيها اذا شاء ويبقيها اذا شاء ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطرارا عن معصيته ولكان على ذلك قادرا غير انه لا يفعل اذ كان فى ذلك رفع للمحنة وازالة للبلوى (وأما القول بالوعيد) وهو الاصل الثالث فهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر الا بالتوبة وانه الصادق فى وعده ووعيده لا مبدل لكلماته (وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين) وهو الاصل الرابع فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقا على

واعتذروا من قصدهم جرجنت ووصل اليه جماعة من أهل جرجنت وشكوا منهم وأخبروه انهم مخالفون عليه وانهم اغتاسيروا مشايخهم خديعة ومكرا وانهم لا أيمان لهم ولا عهد وان شئت ان تعلم مصداق هذا فاطلب اليك منهم فلانا وفلانا فأرسل اليهم يطلبهم فامتنعوا من الحضور عنده وخالفوا عليه وأظهروا ذلك فاعتقل الشيوخ الواصلين اليه منهم واجتمع أهل بلرم وساروا اليه منتصف شعبان ومقدمهم مسعود الباجي وأمير السفهاء منهم ركويه وصحبهم ثم اصطول في البحر نحو ثلاثين قطعة فهاج البحر على الاصطول فعطب أكثره وعاد الباقي الى بلرم وأما العسكر الذين في البر فانهم وصلوا اليه وهو على طرابلس فاقتتلوا أشد القتال فقتل من الفريقين جماعة وافترقوا ثم أعادوا القتال في الثاني والعشرين فانهزم أهل بلرم وقت العصر وتبعهم أبو العباس الى بلرم برا وبحرا وأعادوا قتاله عاشر رمضان من بكرة الى العصر فانهزم أهل البلد ووقع القتل فيهم الى المغرب واستعمل أبو العباس على أرباضها ونهبت الاموال وهرب كثير من الرجال والنساء الى طبرمين وهرب ركويه وأمثاله من رجال الحرب الى بلاد النصرانية كالقسطنطينية وغيرها وملك أبو العباس المدينة ودخلها وأمن أهلها وأخذ جماعة من وجوه أهلها فوجههم الى أبيه بافريقية ثم رحل الى طبرمين فقطع كرومها وقاتلهم ثم رحل الى قطانية لحصرها فلم ينل منها غرضا فرجع الى المدينة وأقام الى أن دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين فتجهز للغزو وطاب الزمان وعمر الاصطول وسيره أول ربيع الآخر ونزل على دمشق ونصب عليها المجانيق وأقام أياما ثم انصرف الى مسيني وجاز في الحربية الى ريو وقد اجتمع بها كثير من الروم فقاتلوهم على باب المدينة وهزمهم وملك المدينة بالسيف في رجب وغنم من الذهب والفضة مالا يحد وشحن المراكب بالدقيق والامتعة ورجع الى مسيني وهدم سورها ووجد بها مراكب قد وصلت من القسطنطينية وأخذ منها ثلاثين مركبا ورجع الى المدينة وأقام الى سنة تسع وثمانين فأتاه كتاب أبيه ابراهيم يأمره بالعود الى أفريقية فرجع اليها جريدة في خمس قطع شواني وترك العسكر مع ولديه أبي مضر وأبي معد فلما وصل الى افريقية استخلفه أبوه بها وسار هو الى صقلية مجاهدا عازما على الحج بعد الجهاد فوصلها في رجب سنة سبع وثمانين ومائتين وقد ذكرنا خبره سنة احدى وستين ومائتين

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة جمعت طيء من قدرت عليه من الاعراب وخرجوا على قفل الحاج فواقعوهم بالمعدن وقاتلوهم يومين بين الخميس والجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة فانهزم العرب وقتل كثير وسلم الحاج وفيها مات اسحق بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي عدي ربيعة أمير ديار ربيعة من بلاد الجزيرة فولى مكانه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمر وفيها توفيت قطر الندى ابنة خمارويه ابن أحمد بن طولون صاحب مصر وهي امرأة المعتضد وحج بالناس هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود وفيها استعمل المعتضد عيسى النوشري وهو أمير أصبهان على بلاد فارس وأمره بالمسير اليه وفيها توفي فهد بن أحمد بن فهد الازدي الموصلي وكان من الاعيان وعلي بن عبد العزيز البغوي توفي بمكة وهو صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام بالتشديد

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين)

في هذه السنة وقع الوباء باذربيجان فمات منه خلق كثير الى ان فقد الناس ما يكفنون به الموتى وكانوا يتركونهم على الطرق غير مكفنين ولا مدفونين وفيها توفي محمد بن أبي الساج باذربيجان في

حسب ما ورد التوقيف بتسميته وأجمع أهل الصلاة على فسوقه (قال المسعودي) وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال وهو الموصوف بالاسماء والاحكام مع ما تقدم من الوعيد في الفاسق من الخلود في النار (وأما القول بوجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) وهو الاصل الخامس فهو أن ما ذكر على سائر المؤمنين واجب على حسب استطاعتهم في ذلك بالسيف فما دونه وان كان كالجهاد ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة ومن اعتقد ما ذكرنا من هذه الاصول الخمسة كان معتزليا فان اعتقد الاكثر أو الاقل لم يستحق اسم الاعتزال فلا يستحقه الا باعتقاد هذه الاصول الخمسة وقد تنوزع فيما عدا ذلك من فروعهم وقد أتينا على سائر قولهم في أصولهم وفروعهم وأقاويلهم وأقاويل غيرهم من فرق الامة من الخوارج والمرجئة والرافضة والزيدية والحشوية وغيرهم في كتابنا المقالات في أصول الديانات وأفردنا بذلك كتابنا المترجم بكتاب الابانة اجتنبناه لانفستنا

الوباء الكثير المذكور فاجتمع أصحابه فولوا ابنه ديوداد واعتزلهم عمه يوسف بن أبي الساج مخالفا لهم فاجتمع اليه نفر يسير فاوقع بابن أخيه ديوداد وهو في عسكر أبيه فهزمه وعرض عليه يوسف المقام معه فأبى وسلك طريق الموصل الى بغداد وكان ذلك في رمضان وفيها في صفر دخل طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث بلاد فارس في عسكره وأخرجوا عنها عامل الخليفة فكتب الامير اسمعيل بن أحمد الساماني الى طاهر يذكر له ان الخليفة المعتضد قد ولاه سجستان وانه سائر اليها فعاد طاهر لذلك وفيها ولى المعتضد مولاه بدرا فارس وأمره بالشخوص اليها لما بلغه ان طاهرا تغلب عليها فسار اليها في جيش عظيم في جمادى الآخرة فلما قرب من فارس تنحى عنها من كان بها من أصحاب طاهر فدخلها بدر وجبى خراجها وعاد طاهر الى سجستان كما ذكرناه من مراسلة اسمعيل الساماني اليه بأنه يريد قصد سجستان* وفيها تغلب بعض العلويين على صنعاء فقصده بنو يعفر في جمع كثير فقاتلوه فهزموه ونجا هاربا في نحو خمسين فارسا وأسر وابناله ودخلها بنو يعفر وخطبوا فيها للمعتضد وفيها سير الحسين بن علي كوره صاحبه نزار بن محمد الى صائفة الروم فغزا وفتح حصونا كثيرة للروم وعاد ومعه الاسرى ثم ان الروم ساروا في البر والبحر الى ناحية كيسوم وأخذوا من المسلمين اكثر من خمسة عشر ألفا وعادوا وفيها قرب أصحاب أبي سعيد الجنابي من البصرة فخاف أهلها وهموا بالهرب منهم فنعهم من ذلك واليهم وفيها في ذي الحجة قتل وصيف خادم ابن أبي الساج وصلبت جثته ببغداد وقيل انه مات ولم يقتل وحج بالناس هذه السنة هرون بن محمد المكي أبابكر وفيها في ربيع الآخر توفي عبيد الله بن سليمان الوزير فعظم موته على المعتضد وجعل ابنه أبا الحسين القاسم بن عبيد الله بعد أبيه في الوزارة وفيها توفي ابراهيم الحربي وبشر بن موسى الاسدي وهو من الحفاظ للحديث وفيها في صفر توفي ثابت بن قرة بن سنان الصابي الطبيب المشهور ومعاذ بن المثنى

﴿ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين﴾

﴿ذكر أخبار القرامطة بالشام﴾

في هذه السنة ظهر بالشام رجل من القرامطة وجمع جموعا من الاعراب وأتى دمشق وأميرها طغج بن جف من قبل هرون بن خمارويه بن أحمد بن طولون وكانت بينهما وقعات وكان ابتداء حال هذا القرمطي أن ذكرويه بن مهرويه الذي ذكرنا انه داعية قرمط لما رأى ان الجيوش من المعتضد متتابعة الى من بسواد الكوفة من القرامطة وأن القتل قد أبادهم سعى في استغواء من قرب من الكوفة من الاعراب اسد وطيء وغيرهم فلم يجبه منهم أحد فارسل أولاده الى كلب بن وبرة فاستغووهم فلم يجبهم منهم الا الفخذ المعروف ببني القليص بن ضمضم بن عدي بن خباب ومواليهم خاصة فبايعوا في سنة تسع وثمانين ومائتين بناحية السماوة ذكرويه المسمى بيحيى المكنى أبا القاسم فلقبوه الشيخ وزعم انه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسمعيل بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب وقيل لم يكن لمحمد بن اسمعيل ولد اسمه عبد الله وزعم أن له بالبلاد مائة ألف تابع وان ناقته التي يركبها مأمورة فاذا تبعوها في مسيرها نصروا وأظهر عضدا له ناقصة وذكر انها آية وأتاه جماعة من بني الاصبغ وسموا الفاطميين ودانوا بدينه فقصدهم شبل غلام المعتضد من ناحية الرصافة فاغتروه فقتلوه واحرقوا مسجد الرصافة واعترضوا كل قرية اجتازوا بها حتى بلغوا ولاية هرون بن خمارويه التي قد طمع عليها طغج بن جف فأكثروا القتل بها والاغارة فقاتلهم طغج فهزموه غير مرة

﴿ذكر

وذكرنا فيه الفرق بين المعتزلة وأهل الامامة وما بانت به كل فريق منهم عن الآخر اذ كانت المعتزلة وغيرها من الطوائف تذهب الى أن الامامة اختيار من الامة وذلك أن الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه وأن اختيار ذلك مفوض الى الامة تختار رجلا منها ينفذ فيها أحكامه سواء كان قرشيا أو غيره من أهل ملة الاسلام وأهل العدالة والايمان ولم يراعوا في ذلك النسب ولا غيره وواجب على أهل كل عصر أن يفعلوا ذلك والذي ذهب الى أن الامامة قد تجوز في قريش وغيرهم من الناس هو المعتزلة بأسرها وجماعة من الزيدية مثل الحسن بن صالح بن حي ومن قال بقوله على حسب ما قدمنا من ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار هشام ويوافق من ذكرنا على هذا القول جميع الخوارج من الاباضية وغيرهم الا النجدات من فرق الخوارج فزعموا أن الامامة غير واجب نصبها ووافقهم على هذا القول أناس من المعتزلة ممن تقدم وتأخر الا أنهم قالوا ان عدلت الامة ولم يكن فيها فاسق لم يحتج الى امام وذهب من قال بهذا القول

ذكر أخبار القرامطة بالعراق

وفيها انتشر القرامطة بسواد الكوفة فوجه المعتضد اليهم شبلا غلام أحمد بن محمد الطائى وظفر بهم وأخذ رئيسالهم يعرف بأبى الفوارس فسيره الى المعتضد فاحضره بين يديه وقال له أخبرنى هل تزعمون أن روح الله تعالى وأرواح أنبيائه تحل فى أجسادكم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل فقال له ياهذا ان حلت روح الله فينا فما يضرك وان حلت روح ابليس فما ينفعك فلا تسأل عما لا يعنيك وسل عما يخصك فقال ما تقول فيما يخصنى قال أقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبوكم العباس حى فهل طلب بالخلافة أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك ثم مات أبو بكر فاستخلف عمر وهو يرى موضع العباس ولم يوص اليه ثم مات عمر وجعلها شورى فى ستة أنفس ولم يوص اليه ولا أدخله فيهم فبماذا تستحقون أنتم الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها فأمر به المعتضد فعذب وخلعت عظامه ثم قطعت يداه ورجلاه ثم قتل

ذكر وفاة المعتضد

فى هذه السنة فى ربيع الآخر توفى المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق بن المتوكل ليلة الاثنين لثمان بقين منه وكان مولده فى ذى الحجة من سنة اثنتين وأربعين ومائتين ولما اشتد مرضه اجتمع القواد منهم يونس الخادم وموشكير وغيرهما وقالوا للوزير القاسم بن عبيد الله ليجدد البيعة للمكتفى وقالوا انا لا نأمن فتنة فقال ان هذا المال لامير المؤمنين ولولده من بعده وأخاف ان اطلق المال فيبرأ من علته فينكر على ذلك فقال ان برئ من مرضه فنحن المحتجون والمناظرون وان صار الامر الى ولده فلا يلومنا ونحن نطالب الامر له فاطلق المال وجدد عليه البيعة واحضر عبد الواحد بن الموفق وأخذ عليه البيعة فوكل به وأحضر ابن المعتز ومضى ابن المؤيد وعبد العزيز بن المعتمد ووكل بهم فلما توفى احضر يوسف بن يعقوب وأبا حازم وأبا عمر بن يوسف بن يعقوب فتولى غسله محمد بن يوسف وصلى عليه الوزير ودفن ليلا فى دار محمد بن طاهر وجلس الوزير فى دار الخلافة للعزاء وجدد البيعة للمكتفى وكانت أم المعتضد واسمها ضرار قد توفيت قبل خلافته وكانت خلافته سبع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما وخلف من الولد المذكور عليا وهو المكتفى وجعفرا وهو المقتدر وهرون ومن البنات احدى عشرة بنتا وقيل سبع عشرة ولما حضرته الوفاة أنشد

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى * وخذ صفوها ما ان صفت ودع الرنقا
ولا تأمنن الدهر انى أمنته * فلم يبق لى حالا ولم يرع لى حقا
قتلت صناديد الرجال ولم أدع * عدوا ولم أمهل على طغيه خلقا
وأخليت دار الملك من كل نازع * فشردتهم غربا ومزقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة * وصارت رقاب الخلق أجمع لى رقا
رمانى الردى سهما فاخمد جمرتى * فها أنا ذا فى حفرتى عاجلا ألقى
ولم يغن عنى ما جمعت ولم أجد * لذى الملك والاحياء فى حسنها رفقا
فياليت شعرى بعد موتى ما ألقى * الى نعم الرحمن أم ناره ألقى

ذكر صفته وسيرته

كان المعتضد أسمر نحيف الجسم معتدل الخلق قد وخطه الشيب وكان شهما شجاعا مقداما وكان ذا عزم وكان فيه شح بلغه خبر وصيف خادم ابن أبى الساج وعليه قباء أصفر فسار من ساعته وظفر

الى دلائل ذكروها منها قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو أن سالما حى ما داخلنى فيه الظنون وذلك حين فوض الامر الى أهل الشورى قالوا وسالم مولى امرأة من الانصار فلولم ير عمر أن الامامة جائزة فى سائر المؤمنين لم يطلق هذا القول ولم يتأسف على موت سالم مولى أبى حذيفة قالوا وقد صح بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة منها قوله اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع وقد قال الله عز وجل ان أكرمكم عند الله أتقاكم وذهب أبو حنيفة وأكثر المرجئة وأكثر الزيدية من الجارودية وغيرها وسائر فرق الشيعة والرافضة والراوندية الى أن الامامة لا تجوز الا فى قريش لقول النبى صلى الله عليه وسلم الامامة فى قريش وقوله عليه السلام قدموا قريشا ولا تقدموها ولما احتج المهاجرون به على الانصار يوم سقيفة بنى ساعدة من أن الامامة فى قريش لانهم اذا ولوا عدلوا ولرجوع كثير من الانصار الى ذلك ولما انفرد به أهل الامامة من أن الامامة لا تكون الا نصا من الله ورسوله على عين الامام

وصيف وعاد فدخل انطاكية وعليه القباء فقال بعض أهلها الخليفة بغير سواد فقال بعض أصحابه انه سار فيه ولم ينزعه عنه الى الآن وكان عفيفا حكى القاضي اسمعيل بن اسحق قال دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداث روم صباح الوجوه فاطلقت النظر اليهم فلما قمت أمرني بالقعود فجلست فلما تفرق الناس قال يا قاضي والله ما حللت سراويلي على غير حلال قط وكان مهيبا عند أصحابه يتقون سطوته ويكفون عن الظلم خوفا منه

﴿ ذكر خلافة المكتفي بالله ﴾

ولما توفي المعتضد كتب الوزير الى أبي محمد علي بن المعتضد وهو المكتفي بالله يعرفه بذلك ويأخذ البيعة له وكان بالرقة فلما وصله الخبر أخذ البيعة على من عنده من الاجناد ووضع لهم العطاء وسار الى بغداد ووجه الى النواحي من ديار ربيعة ومضر ونواحي العرب من يحفظها ودخل بغداد لثمان خلون من جمادى الاولى فلما سار الى منزله أمر بهدم المطامير التي كان أبوه اتخذها لاهل الجرائم

﴿ ذكر قتل عمرو بن الليث الصفار ﴾

وفي هذا اليوم الذي دخل فيه المكتفي بغداد قتل عمرو بن الليث الصفار ودفن من الغد وكان المعتضد بعدما امتنع من الكلام أمر صافيا الحرمي بقتل عمرو بن الليث بالايماء والاشارة ووضع يده على رقبته وعلى عينه بان اذبح الاعور وكان عمرو أعور فلم يفعل ذلك صافي لعلمه بقرب وفاة المعتضد وكره قتل عمرو فلما وصل المكتفي بغداد سأل الوزير عنه فقال هو حي فسر بذلك وأراد الاحسان اليه لانه كان يكثرون الهدية اليه لما كان بالري فكره الوزير ذلك فبعث اليه من قتله

﴿ ذكر استيلاء محمد بن هرون على الري ﴾

وفي هذه السنة كاتب أهل الري محمد بن هرون الذي كان حارب محمد بن زيد العلوي وتولى طبرستان لاسمعيل بن أحمد وكان محمد بن هرون قد خلع طاعة اسمعيل فسأله أهل الري المسير اليهم ليسلموها اليه وكان سبب ذلك ان الوالي عليهم كان قد أساء السيرة فيهم فسار محمد بن هرون اليهم فحاربه واليها وهو الدغمش التركي فقتله محمد وقتل ابنين له وأخا كيغلغ وهو من قواد الخليفة ودخل محمد بن هرون الري واستولى عليها في رجب

﴿ ذكر قتل بدر ﴾

وفيها قتل بدر غلام المعتضد وكان سبب ذلك ان القاسم الوزير كان قد هم بنقل الخلافة عن ولد المعتضد بعده فقال لبدر في ذلك في حياة المعتضد بعد ان استحلفه واستكتمه فقال بدر ما كنت لاصرفها عن ولد مولاي وولي نعمتي فلم يمكنه مخالفة بدر اذ كان صاحب الجيش وحقدها على بدر فلما مات المعتضد كان بدر بفارس فعقد القاسم البيعة للمكتفي وهو بالرقة وكان المكتفي أيضا متباعدا لبدر في حياة أبيه وعمل القاسم في هلاك بدر خوفا على نفسه ان يذكر ما كان منه للمكتفي فوجه المكتفي محمد بن كمشجور برسائل الى القواد الذين مع بدر يأمرهم بالمسير اليه ومفارقة بدر ففارقه جماعة منهم العباس بن عمرو الغنوي ومحمد بن اسحق بن كنداج وخاقان المفلحي وغيرهم فاحسن اليهم المكتفي وسار بدر الى واسط فوكل المكتفي بداره وقبض على أصحابه وقواده وحبسهم وأمر بمحو اسم بدر من التراس والاعلام وسير الحسين بن علي كورة في جيش الى واسط وأرسل الى بدر يعرض عليه أي النواحي شاء فأبى ذلك وقال لابد لي من المسير الى باب مولاي فوجد القاسم مساغا للقول وخوف المكتفي غائلته وبلغ بدرا ما فعل باهله وأصحابه وأرسل من يأتيه بولده هلال

سرا

واسمه واشتهاره كذلك وفي سائر الاعصار لا تخلو الناس من حجة الله فيهم ظاهرا أو باطنا على حسب استعماله التقية والخوف على نفسه واستدلوا بالنص على أن الامامة في قريش وبدلائل كثيرة من العقول وجوامع من النصوص في وجوبها وفي النص عليهم وفي عصمتهم من ذلك قوله عز وجل مخبرا عن ابراهيم اني جاعلك للناس اماما ومسئلة ابراهيم بقوله ومن ذريتي واجابة الله له بأنه لا ينال عهدي الظالمين قالوا فنبه الله بذلك على أن الامامة نص من الله ولو كان نصبها الى الناس ما كان لمسئلة ابراهيم ربه وجه ولما كان الله قد أعلمه أنه اختاره وقوله لا ينال عهدي الظالمين دلالة على أن عهده يناله من ليس بظالم ووصف هؤلاء الامام فقالوا انه يجب الامام في نفسه (أن يكون معصوما من الذنوب) لانه ان لم يكن معصوما لم يؤمن أن يدخل فيما يدخل فيه غيره من الذنوب فيحتاج أن يقام عليه الحد كما يقيمه هو على غيره فيحتاج الامام الى امام الى غير نهاية ولم يؤمن عليه أيضا أن يكون في الباطن فاسقا فاجرا كافرا (وأن يكون أعلم الخليفة) لانه ان لم يكن

سرا فعلم الوزير بذلك فاحتاط عليه ودعا أباحازم قاضي الشرقية وأمره بالمسير الى بدر وتطييب نفسه عن المكتفي واعطائه الامان عنه لنفسه وولده وماله فقال أبوحازم أحتاج الى سماع ذلك من أمير المؤمنين فصرفه ودعا أباعمر القاضي وأمره بمثل ذلك فأجابه وسار ومعه كتاب الامان فسار بدر عن واسط نحو بغداد فارسل اليه الوزير من قتله فلما أيقن بالقتل سأل ان يمهل حتى يصلي ركعتين فصلاهما ثم ضربت عنقه يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان ثم اخذ رأسه وتركت جثته هنالك فوجه عياله من اخذها سرا وجعلوها في تابوت فلما كان وقت الحج حملوها الى مكة فدفنوها بها وكان أوصى بذلك واعتق قبل ان يقتل كل مملوك كان له ورجع أبوعمر الى داره كئيبا حزينا لما كان منه وقال الناس فيه أشعارا وتكلموا فيه فما قيل فيه

قل لقاضي مدينة المنصور * بم أحللت أخذ رأس الامير
بعد اعطائه المواثيق والعهـ * ـد وعقد الايمان في منشور
أين أيمانك التي شهد اللـ * ـه على أنها يمين فجور
ان كفيك لاتفارق كفيـ * ـه الى أن ترى مليك السرير
يا قليل الحياء يا أكذب الامـ * ـة يا شاهدا شهادة زور
ليس هذا فعل القضاة ولا يحـ * ـسن أمثاله ولاة الجسور
أي أمر ركبت في الجمعة الزهـ * ـراء منه في خير هذي الشهور
قد مضى من قتلت في رمضان * صائما بعد سجدة التعفير
يا بني يوسف بن يعقوب أضحى * أهل بغداد منكم في غرور
بدد الله شملكم وأراني * ذلكم في حياة هذا الوزير
فأعدوا الجواب للحكم العد * ل ومن بعد منكر ونكير
أنتم كلكم فدا لابي حا * زم المستقيم كل الامور

(ذكر ولاية أبي العباس عبدالله بن ابراهيم افريقية)

قد ذكرنا سنة احدى وستين ومائتين ان ابراهيم بن أحمد أمير افريقية عهد الى ولده أبي العباس عبدالله سنة تسع وثمانين ومائتين وتوفي فيها فلما توفي والده قام بالملك بعده وكان أديبا لبيبا شجاعا أحد الفرسان المذكورين مع علمه بالحرب وتصرفها وكان عاقلا عالما له نظر حسن في الجدل وفي أيامه عظم أمر أبي عبدالله الشيعي فارسل أخاه الاحول ولم يكن أحول وانما لقب بذلك لانه كان اذا نظر دائما كأنه يكسر جفنه فلقب بالاحول الى قتال أبي عبدالله الشيعي فلما بلغه حركته خرج اليهم في جموع كثيرة والتقوا عند كوشة فقتل بينهم خلق عظيم وانهزم الاحول الا أنه أقام في مقابلة أبي عبدالله وكان أبو العباس أيام أبيه على خوف شديد منه لسوء أخلاقه واستعمله أبوه على صقلية ففتح فيها مواضع متعددة وقد تقدم ذكر ذلك أيام والده ولما ولي أبو العباس افريقية كتب الى العمال كتابا يقرأ على العامة يعدهم فيه الاحسان والعدل والرفق والجهاد ففعل ما وعد من نفسه وأحضر جماعة من العلماء ليعينوه على أمر الرعية وله شعر فمن ذلك قوله بصقلية وقد شرب دواء

شربت الدواء على غربة * بعيدا من الاهل والمنزل
وكنت اذا ما شربت الدوا * أطيب بالمسك والمندل
وقد صار شربي بحار الدما * ونقع العجاجة والقسطل

عالما لم يؤمن عليه أن يقلب شرائع الله وأحكامه فيقطع من يجب عليه الحد ويحد من يجب عليه القطع ويضع الاحكام في غير المواضع التي وضعها الله (وأن يكون أشجع الخلق) لانهم يرجعون اليه في الحرب فان جبن وهرب يكون قد باء بغضب من الله (وأن يكون أسخى الخلق) لانه خازن المسلمين وأمينهم فان لم يكن سخيا تاقت نفسه الى أموالهم وشرهت الى مافي أيديهم وفي ذلك الوعيد بالنار وذكروا خصالا كثيرة ينال بها أعلى درجات الفضل لا يشاركه فيها أحد وأن ذلك كله وجد في علي بن أبي طالب وولده رضي الله عنهم في السبق الى الايمان والهجرة والقرابة والحكم بالعدل والجهاد في سبيل الله والورع والزهد وأن الله قد أخبر عن بواطنهم وموافقتها لظواهرهم بقوله عز وجل ووصفه لهم فيما صنعوه من الاطعام للمسكين واليتيم والاسير وأن ذلك لوجهه خالصا لا أنهم أبدوه بالسنتهم فقط وأخبر عن أمرهم في المنقلب وحسن المؤئل في المحشر ثم في اخباره عز وجل عما أذهب عنهم من الرجس وفعل بهم من التطهير وفي

واتصل بأبي العباس عن ولده أبي مضر زيادة الله والى صقلية له اعتكافه على اللهو وادمانه شرب الخمر فعزله وولى محمد بن السرقوسي وحبس ولده فلما كان ليلة الاربعاء آخر شعبان من سنة تسعين ومائتين قتل أبو العباس قتله ثلاثة نفر من خدمه الصقالبة بوضع من ولده وحملوا رأسه الى ولده أبي مضر وهو في الحبس فقتل الخدم وصلبهم وكان هو الذي وضعهم فكانت امارته سنة واثنتين وخمسين يوما وكان سكناه وقتله رحمه الله بمدينة تونس وكان كثير العدل أحضر جماعة كثيرة عنده ليعينوه على العدل ويعرفوه من أحوال الناس ما يفعل فيه على سبيل الانصاف وأمر الحاكم في بلده ان يقضي عليه وعلى جميع أهله وخواص أصحابه ففعل ذلك ولما قتل ولي ابنه أبو مضر وكان من أمره ما نذكره سنة ست وتسعين ومائتين

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة منتصف رمضان قتل عبد الواحد بن الموفق وكانت والدته اذا سألت عنه قيل لها انه في دار المكتفي فلما مات المكتفي ايست منه فأقامت عليه مأتما وفيها كانت وقعة بين أصحاب اسمعيل بن أحمد وبين جستان الديلمي بطبرستان فانهزم ابن جستان وفيها لحق اسحق الفرغاني وهو من أصحاب بدر بالبادية وأظهر الخلاف على الخليفة المكتفي فحاربه أبو الاغر فهزمه اسحق وقتل من أصحابه جماعة وفيها سير خاقان المفلحي الى الري في جيش كثيف ليتولاها وفيها صلى الناس العصر بحمص وبغداد في الصيف ثم هب هواء من ناحية الشمال وبرد الوقت واشتد البرد حتى احتاج الناس الى النار ولبس الجباب وجعل البرد يزداد حتى جمد الماء وفيها كانت وقعة بين اسمعيل بن أحمد وبين محمد بن هرون بالري فانهزم محمد ولحق بالديلم مستجيرا بهم ودخل اسمعيل الري وفيها زادت دجلة قدر خمسة عشر ذراعا وفيها خلع المكتفي على هلال بن بدر وغيره من أصحاب أبيه في جمادى الاولى وفيها هبت ريح عاصف بالبصرة فقلعت كثيرا من نخلها وخسف بموضع منها هلك فيه ستة آلاف نفس وزلزلت بغداد في رجب عدة مرات فتضرع أهلها في الجامع فكشف عنهم وفيها مات أبو حمزة بن محمد بن ابراهيم الصوفي وهو من أقران سري السقطي

(ثم دخلت سنة تسعين ومائتين)

(ذكر أخبار القرامطة)

في هذه السنة في ربيع الآخر سير طغج بن جف جيشا من دمشق الى القرمطي عليهم غلام له اسمه بشير فهزمهم القرمطي وقتل بشيرا وفيها حصر القرمطي دمشق وضيق على أهلها وقتل أصحاب طغج ولم يبق منهم الا القليل وأشرف أهلها على الهلكة فاجتمع جماعة من أهل بغداد وأنهوا ذلك الى الخليفة فوعدهم النجدة وأمد المصريون أهل دمشق ببدر وغيره من القواد فقاتلوا الشيخ مقدم القرامطة فقتل على باب دمشق رماه بعض المغاربة بزراق وزرقه نفاط بالنار فاحترق وقتل منهم خلق كثير وكان هذا القرمطي يزعم انه اذا أشار بيده الى جهة من التي فيها المحاربون انهزموا ولما قتل يحيى المعروف بالشيخ وقتل أصحابه اجتمع من بقي منهم على أخيه الحسين وسمى نفسه أحمد وكناه أبا العباس ودعا الناس فاجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم فاشتدت شوكته وأظهر شامة في وجهه وزعم انها آيته فسار الى دمشق فصالحه أهلها على خراج دفعوه اليه وانصرف عنهم ثم سار الى أطراف حمص فغلب عليها وخطب له على منابرها وتسمى المهدي أمير المؤمنين وأتاه ابن عمه عيسى بن المهدي المسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسمعيل

ملقبه

غير ذلك مما أوردوه دلائل لما قالوه وأن عليا نص على ابنه الحسن ثم الحسين والحسين على علي بن الحسين وكذلك من بعده الى صاحب الوقت الثاني عشر على حسب ما ذكرنا وسمينا في غير هذا الموضع من هذا الكتاب ولأهل الامامة من فرق الشيعة في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة كلام كثير في الغيبة واستعمال التقية وما يذكرونه من أبواب الائمة والاوصياء لا يسعنا ايراده في هذا الكتاب اذ كان كتاب خبر وانما تغلغل بنا الكلام الى ايراد لمع من هذه المذاهب والآراء وكذلك ما عليه غير أهل الامامة من أصحاب دين الهجرة والمشورة وما يراعونه من الظهور وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وما وصفنا فيها من الاقاويل في الظاهر والباطن والساتر والداثر والوافر وغير ذلك من أمورهم وأسرارهم (قال المسعودي) وكان خرج يزيد بن الوليد بدمشق مع سابقة من المعتزلة وغيرهم من أهل داريا والمزة من غوطة دمشق على الوليد بن يزيد لما ظهر من فسقه وشمل الناس من جوره فكان

فلقبه المدثر وعهد اليه وزعم انه المدثر الذى فى القرآن ولقب غلاما من أهله المطوق وقلده قتل اسرى المسلمين ولما أطاعه أهل حمص وفتحوا له بابها خوفا منه سار الى حماة ومعرة النعمان وغيرهما فقتل أهلها وقتل النساء والصبيان ثم سار الى بعلبك فقتل عامة أهلها ولم يبق منهم الا اليسير ثم سار الى سلمية فمنعه أهلها ثم صالحهم وأعطاهم الامان ففتحوا له بابها فبدأ بمن فيها من بنى هاشم وكانوا جماعة فقتلهم أجمعين ثم قتل البهائم والصبيان بالمكاتب ثم خرج منها وليس بها عين تطرف وسار فيما حولها من القرى يسبى ويقتل ويخيف السبيل فذكر عن متطبب بباب المحوّل يدعى أبا الحسين قال جاءتنى امرأة بعدما أدخل القرمطى صاحب الشامة بغداد وقالت أريد أن تعالج جرحا فى كتفى فقلت ههنا امرأة تعالج النساء فانتظرتها فقعدت وهى باكية مكروبة فسألتها عن قصتها فقالت كان لى ولد طالت غيبته عنى فخرجت أطوف عليه البلاد فلم أره فخرجت من الرقة فى طلبه فوقعت فى عسكر القرمطى اطلبه فرأيته فشكوت اليه حالى وحال أخواته فقال دعينى من هذا أخبرينى ما دينك فقلت أما تعرف ما دينى فقال ما كنا فيه باطل والدين ما نحن فيه اليوم فعجبت من ذلك وخرج وتركنى ووجه بخبز ولم أمسه حتى عاد فاصلحه وأتاه رجل من أصحابه فسألنى هل احسن من أمر النساء شيأ فقلت نعم فادخلنى دارا فاذا امرأة تطلق فقعدت بين يديها وجعلت أكلمها ولا تكلمنى حتى ولدت غلاما فاصلحت من شأنه وتلطفت بها حتى كلمتنى فسألتها عن حالها فقالت أنا امرأة هاشمية أخذنا هؤلاء الاقوام فذبحوا أبى وأهلى جميعا وأخذنى صاحبهم وأقمت عنده خمسة أيام ثم أمر بقتلى فطلبنى منه أربعة أنفس من قواده فوهبنى لهم وكنت معهم فوالله ما أدرى ممن هذا الولد منهم قالت فجاء رجل فقالت لى هنيه فهنيته فاعطانى سبيكة فضة وجاء آخر وآخر أهنى كل واحد منهم ويعطينى سبيكة فضة ثم جاء الرابع ومعه جماعة فهنيته فاعطانى ألف درهم وبتنا فلما أصبحنا قلت للمرأة قد وجب حقى عليك فالله الله خلصينى قالت ممن أخلصك فاخبرتها خبر ابنى فقالت عليك بالرجل الذى جاء آخر القوم فاقمت يومى فلما أمسيت وجاء الرجل قمت له وقبلت يده ورجله ووعدته انى أعود بعد أن أوصل ما معى الى نياقى فدعا قوما من غلمانه وأمرهم بحملى الى مكان ذكره وقال اتركوها فيه وارجعوا فساروا بى عشرة فراسخ فلحقنا ابنى فضربنى بالسيف فجرحنى ومنعه القوم وساروا بى الى المكان الذى سماه لهم صاحبهم وتركونى وجئت الى ههنا قالت ولما قدم الامير بالقرامطة وبالاسارى رأيت ابنى فيهم على جمل عليه برنس وهو يبكى فقلت لا خفف الله عنك ولا خلصك ثم ان كتب أهل الشام ومصر وصلت الى المكتفى يشكون ما يلقون من القرمطى من القتل والسبى وتخريب البلاد فامر الجند بالتأهب وخرج من بغداد فى رمضان وسار الى الشام وجعل طريقه على الموصل وقدم بين يديه أبا الاغر فى عشرة آلاف رجل فنزل قريبا من حلب فكبسهم القرمطى صاحب الشامة فقتل منهم خلقا كثيرا وسلم أبو الاغر فدخل حلب فى ألف رجل وكانت هذه الوقعة فى رمضان وسار القرمطى الى باب حلب فحاربه أبو الاغر بمن بقى معه وأهل البلد فرجع عنهم وسار المكتفى حتى نزل الرقة وسير الجيوش اليه وجعل أمرهم الى محمد بن سليمان الكاتب وفيها فى شوّال تحارب القرمطى صاحب الشامة وبدر مولى ابن طولون فانهزم القرمطى وقتل من أصحابه خلق كثير ومضى من سلم منهم نحو البادية فوجه المكتفى فى أثرهم الحسين بن حمدان وغيره من القواد وفيها كبس ابن بانو أمير البحرين حصنا للقرامطة فظفر بمن فيه وواقع قرابة أبى سعيد الجنابى فهزمه ابن بانو وكان مقام هذا القرمطى بالقطيف وهو ولى عهد أبى سعيد ثم

خبر مقتل الوليد ما قد ذكرناه فيما سلف من كتبنا مفصلا وذكرناه فى هذا الكتاب مجملا وكان يزيد بن الوليد أوّل من ولى هذا الامر وأمه أم ولد وكانت أمه سارية بنت فيروز وهو الذى يقول فى ذلك

أنا ابن كسرى وأبى مروان
وقيصر جدى وجدى خاقان

وكان يكنى بأبى خالد وأم أخيه ابراهيم أم ولد تدعى بريرة والمعتزلة تفضل فى الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز لما ذكرناه من الديانة وفى سنة سبع وعشرين ومائة أقبل مروان ابن محمد بن مروان من الجزيرة فدخل دمشق وخرج ابراهيم بن الوليد هاربا من دمشق ثم ظفر به مروان فقتله وصلبه وقتل من مالأه ووالاه وقتل عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد القسرى وبدا أمر بنى أمية يؤول الى ضعف وذكر الحمصى عن الخليل بن ابراهيم السبيعى قال سمعت ابن الحمى يقول قال لى العلاء ابن بنت ذى الكلاع انه كان مؤانسا لسليمان بن عبد الملك لا يكاد يفارقه وكان أمر المسودة بخراسان

انه وجد بعد ما انهزم أصحابه قتيلا فأخذ رأسه وسار ابن بانوا الى القطيف فافتتحها

﴿ذكر أسر محمد بن هرون﴾

وفيها أخذ محمد بن هرون أسيرا وكان سبب ذلك ان المكتفي أنفذ عهدا الى اسمعيل بن أحمد الساماني بولاية الرى فسار اليها وبها محمد بن هرون فسار عنها محمد الى قزوين وزنجان ثم عاد الى طبرستان فاستعمل اسمعيل بن احمد على جرجان بارس الكبير وألزمه باحضار محمد بن هرون قسرا أو صلحا وكاتبه بارس وضمن له اصلاح حاله مع الامير اسمعيل فقبل محمد قوله وانصرف عن جستان الديلمي وقصد بخارا فلما بلغ مرو قيدها وذلك في شعبان سنة تسعين ومائتين ثم حمل الى بخارا فأدخلها على جمل وحبس بها فمات بعد شهرين محبوسا وكان ابتداء أمره انه كان خياطا ثم انه جمع جمعا من الرعاء وأهل الفساد فقطع الطريق بمفازة سرخس مدة ثم استأمن الى رافع بن هرثمة وبقي معه الى أن انهزم عمرو الصفار فاستأمن الى اسمعيل بن أحمد الساماني صاحب ماوراء النهر بعد قتل رافع فسيره اسمعيل الى قتال محمد بن زيد على ما تقدم ذكره وقد ذكره الحواني في شعره فقال

كان ابن هرون خياطا له ابر * وراية سامها عشر بقيراط
فاسل في الارض يبغي الملك في عصب * زط ونوب واكراد وأنباط
أني ينال الثريا كف ملترق * بالترب عن ذروة العلياء هباط
صبرا أميرك اسمعيل منتقم * منه ومن كل غدار وخياط
رأيت عيرا سما جهلا على أسد * ياعين ويحك ما أشقاك من شاطي

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها في ربيع الآخر خلع على أبي العشائر أحمد بن نصر وولى طرسوس وعزل عنها مظفر بن حاج لشكوى أهل الثغور منه وفيها قوطع طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث على مال يحمله عن بلاد فارس وعقد له المكتفي عليها وفيها في جمادى الاولى هرب القائد أبو سعيد الخوارزمي الذي استأمن الى الخليفة وأخذ نحو طريق الموصل فكتب الى عبد الله المعروف بغلام نون بتكريت وهو يتولى تلك النواحي فعارضه عبد الله واجتمع به فخدعه أبو سعيد وقتله وسار نحو شهرزور واجتمع هو وابن الربيع الكردي على عصيان الخليفة وفيها أراد المكتفي البناء بسامرا وخرج اليها ومعه الصناع فقدروا له ما يحتاج وكان مالا جليلا وطول له مدة الفراغ فعظم الوزير ذلك عليه وصرفه الى بغداد وحج بالناس هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وفيها توفي محمد بن علي بن علوية بن عبد الله الفقيه الشافعي الجرجاني وكان قد تفقه على المزني صاحب الشافعي وتوفي عبد الله بن أحمد بن حنبل في جمادى الآخرة وكان مولده سنة ثلاث عشرة ومائتين

﴿ثم دخلت سنة احدى وتسعين ومائتين﴾

﴿ذكر اخبار القرامطة وقتل صاحب الشامة﴾

قد ذكرنا مسير المكتفي الى الرقة وارساله الجيوش الى صاحب الشامة وتولية حرب صاحب الشامة محمد بن سليمان الكاتب فلما كانت هذه السنة أمر محمد بن سليمان بمناهضة صاحب الشامة فسار اليه في عساكر الخليفة حتى لقوه وأصحابه بمكان بينهم وبين حماة اثنا عشر ميلا لست خلون من المحرم فقدم القرمطي أصحابه اليهم وبقي في جماعة من أصحابه معه مال كان جمعه وسواد عسكره والتحمت الحرب بين أصحاب الخليفة والقرامطة واشتدت وانهزمت القرامطة

وقتلوا

والمشرق قد بان ودنا من الجبل وقرب من العراق واشتد ارجاف الناس ونطق العدو بما أحب في بني أمية وأوليائهم قال العلاء فاني لمع سليمان وهو يشرب حذاء رصافة أبيه وذلك في آخر أيام يزيد الناقص وعنده حكم الوادي وهو يغنيه بشعر العرجي

ان الحبيب تروحت أجماله
أصلا فدمعك دائم اسباله
أفي الحياة فقد بكيت بعولة
لو كان ينفع باكيا اعواله
ياحبذا تلك الحمول وحبذا
شخص هناك وحبذا أمثاله

فاجاد ما شاء فشرب سليمان بالرطل وشربنا معه حتى توسدنا أيدينا فلم أنتبه الا بتحريك سليمان اياي فقمت اليه مسرعا فقلت ما شان الامير فقال لي على رسلك رأيت كأني في مسجد دمشق وكأن رجلا في يده خنجر وعليه تاج أرى بصيص ما فيه من جوهر وهو رافع صوته بهذه الابيات

أبني امية قد دنا تشتيتكم
وذهاب ملككم وأن لا يرجع
وينال صفوته عدو ظالم
للمحسنين اليه ثمة يفجع
بعد الممات بكل ذكر صالح
ياويله من قبح ما قد يصنع

وقتلوا كل قتلة وأسر من رجالهم بشر كثير وتفرق الباقون في البوادي وتبعهم أصحاب الخليفة
فلما رأى صاحب الشامة ما نزل بأصحابه حمل أخاله يكنى أبا الفضل مالا وأمره أن يلحق بالبوادي
الى ان يظهر بمكان فيسير اليه وركب هو وابن عمه المسمى بالمدثر والمطوق صاحبه وغلام له
رومي وسار يريد الكوفة عرضا في البرية فانتهى الى الدالية من أعمال الفرات وقد نفد ما معهم
من الزاد والعلف فوجه بعض أصحابه الى الدالية المعروفة بابن طوق ليشتري لهم ما يحتاجون
اليه فانكروا زيه فسألوه عن حاله فكتمه فرفعوه الى متولي تلك الناحية خليفة أحمد بن محمد بن
كشمرد فسأله عن خبره فاعلمه ان صاحب الشامة خلف رابية هناك مع ثلاثة نفر فمضى اليهم
وأخذهم وأحضرهم عند ابن كشمرد فوجه بهم الى المكتفي بالرقة ورجعت الجيوش من الطلب
بعد ان قتلوا وأسروا وكان أكثر الناس أثرا في الحرب الحسين بن حمدان وكتب محمد بن سليمان
يثني عليه وعلى بني شيبان فانهم اصطلوا الحرب وهزموا القرامطة وأكثروا القتل فيهم والاسر
حتى لم ينج منهم الا القليل وفي يوم الاثنين لاربع بقين من المحرم أدخل صاحب الشامة الرقة
ظاهرا للناس على فالج وهو الجمل ذو السنامين وبين يديه المدثر والمطوق وسار المكتفي الى بغداد
ومعه صاحب الشامة وأصحابه وخلف العساكر مع محمد بن سليمان وأدخل القرمطي بغداد على
فيل وأصحابه على الجمال ثم أمر المكتفي بحبسهم الى ان تقدم محمد بن سليمان فقدم بغداد وقد
استقصى في طلب القرامطة فظفر بجماعة من أعيانهم ورؤسهم فامر المكتفي بقطع أيديهم
وأرجلهم وضرب أعناقهم بعد ذلك وأخرجوا من الحبس وفعل بهم ذلك وضرب صاحب الشامة
مائتي سوط وقطعت يداه وكوى فغشي عليه وأخذوا خشبا وجعلوا فيه نارا ووضعوه على
خواصره فجعل يفتح عينه ويغمضها فلما خافوا موته ضربوا عنقه ورفعوا رأسه على خشبة فكبر
الناس لذلك ونصب على الجسر وفيها قدم رجل من بني العليص من وجوه القرامطة يسمى
اسمعيل بن النعمان وكان نجا في جماعة لم ينج من رؤسائهم غيره فكاتبه المكتفي وبذل له الامان
فحضر في الامان هو ونيف مائة وستين نفسا فامنوا وأحسن اليهم ووصلوا بمال وصاروا الى
رحبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيما وهي من عمله فأقاموا معه مدة ثم أرادوا الغدر بالقاسم
وعزموا على ان يثبوا بالرحبة يوم الفطر عند اشتغال الناس بالصلاة وكان قد صار معهم جماعة
كثيرة فعلم بذلك فقتلهم فارتدع من كان بقي من موالي بني العليص وذلوا ولزموا السماوة حتى
جاءهم كتاب من الخبيث زكرويه يعلمهم انه مما أوحي اليه ان صاحب الشامة وأخاه المعروف
بالشيخ يقتلان وان امامه الذي هو حي يظهر بعدهما ويظفر

(ذكر عدة حوادث)

وفيها جاءت اخبار أن حوى وما يليها جاءها سيل فغرق نحو من ثلاثين فرسخا وغرق خلق كثير
وغرقت المواشي والغلات وخربت القرى وأخرج من الغرقى ألف ومائتا نفس سوى من لم يلحق
منهم وفيها خلع المكتفي على محمد بن سليمان كاتب الجيش وعلى جماعة من القواد وأمرهم بالمسير
الى الشام ومصر لاخذ الاعمال من هرون بن خمارويه لما ظهر من عجزه وذهاب رجاله بقتل
القرمطي فسار عن بغداد في رجب وهو في عشرة آلاف رجل وجد في السير وفيها خرجت الترك
في خلق كثير لا يحصون الى ما وراء النهر وكان في عسكرهم سبعمائة قبة تركية ولا تكون الا
للرؤساء منهم فوجه اليهم اسمعيل بن أحمد جيشا كثيرا وتبعهم من المتطوعة خلق كثير فساروا
نحو الترك فوصلوا اليهم وهم غارون فكبسهم المسلمون مع الصبح فقتلوا منهم خلقا عظيما

فقلت بل لا يكون ذلك
وعجبت من حفظه ولم
يكن من أصحاب ذلك فوجم
ساعة ثم قال يا جبيري بعيد
ما يأتي به الزمان قريب قال
فما اجتمعنا على شراب بعد
ذلك ودخلت سنة اثنتين
وثلاثين ومائة وكان من
أمر المسودة ومروان بن
محمد الجعدي ما كان وذكر
المقري قال سئل بعض
شيوخ بني أمية ومحصليها
عقيب زوال الملك عنهم
الى بني العباس ما كان
سبب زوال ملككم قال انا
شغلنا بلذاتنا عن تفقد
ما كان تفقده يلزمنا
فظلمنا رعيتنا فيئسوا من
انصافنا وتمنوا الراحة منا
وتحومل على أهل خراجنا
فتخلوا عنا وخربت ضياعنا
فخلت بيوت أموالنا ووثقنا
بوزرائنا فآثروا مرافقهم
على منافعنا وأمضوا أمورا
دوننا أخفوا علمها عنا
وتأخر عطاء جندنا فزالت
طاعتهم لنا واستدعاهم
أعادينا فتظافروا معهم
على حربنا وطلبنا أعداءنا
فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا
وكان استتار الاخبار عنا
من أوكد أسباب زوال
ملكنا

لا يحصون وانهزم الباقون واستبيح عسكرهم وعاد المسلمون سالمين غانمين وفيها خرج من الروم عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف الى الثغور فقصد جماعة منهم الى الحدث فأغاروا وسبوا وأحرقوا وفيها سار المعروف بغلام زرافة من طرسوس نحو بلاد الروم ففتح مدينة انطاكية وهي تعادل القسطنطينية فتحها بالسيف عنوة فقتل خمسة آلاف رجل وأسر مثلهم واستنقذ من الاسارى خمسة آلاف وأخذ لهم ستين مركبا فحمل فيها ما غنم لهم من الاموال والمتاع والرقيق وقدر نصيب كل رجل ألف دينار وهذه المدينة على ساحل البحر فاستبشر المسلمون بذلك وحج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس وفيها توفي القاسم بن عبد الله وزير الخليفة في ذي القعدة وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما ولما مات قال ابن سيار

أمات ليحيا فان حي * وأفنى ليبقى فان بقي
ومازال في كل يوم يرى * امارة حتف وشيك وحي
ومازال يسلح من دبره * الى ان خرى النفس فيما خرى

وفيها مات أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن الماستوي الفقيه بنيسابور ومحمد بن محمد الجزوعي قاضي الموصل ببغداد وفيها توفي أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني النحوي وكان عالما بنحو الكوفيين وكان موته ببغداد

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائتين﴾

﴿ذكر استيلاء المكتفي على الشام ومصر وانقراض ملك الطولونية﴾

وفي المحرم منها سار محمد بن سليمان الى حدود مصر لحرب هرون بن خمارويه بن أحمد بن طولون وسبب ذلك ان محمد بن سليمان لما تخلف عن المكتفي وعاد عن محاربة القرامطة واستقصى محمد في طلبهم فلما بلغ ما أراد عزم على العود الى العراق فأتاه كتاب بدر الحمامي غلام ابن طولون وكتاب فائق وهما بدمشق يدعوانه الى قصد البلاد بالعساكر ويساعدانه على أخذها فلما عاد الى بغداد انهى ذلك الى المكتفي فأمره بالعود وسير معه الجنود والاموال ووجه المكتفي دميانة غلام بازمار وأمره بركوب البحر الى مصر ودخول النيل وقطع المواد عن مصر ففعل ذلك وضيق عليهم وزحف اليهم محمد بن سليمان في الجيوش في البر حتى دنا من مصر وكاتب من بها من القواد وكان أول من خرج اليه بدر الحمامي وكان رئيسهم فكسرهم ذلك وتتابع المستأمنة من قواد المصريين فلما رأى ذلك هرون خرج فيمن معه لقتال محمد بن سليمان فكانت بينهم وقعات ثم وقع بين أصحاب هرون في بعض الايام عصبية فاقتتلوا فخرج هرون يسكنهم فرماه بعض المغاربة بزراق معه فقتله فلما قتل قام عمه شيبان بالامر من بعده وبذل المال للجند فاطاعوه وقاتلوا معه فأتتهم كتب بدر يدعوهم الى الامان فأجابوه الى ذلك فلما علم محمد بن سليمان الخبر سار الى مصر فأرسل اليه شيبان يطلب الامان فأجابه فخرج اليه ليلا ولم يعلم به أحد من الجند فلما أصبحوا قصدوا داره ولم يجدوه فبقوا حيارى ولما وصل محمد مصر دخلها واستولى على دور آل طولون وأموالهم وأخذهم جميعا وهم بضعة عشر رجلا فقيدهم وحبسهم واستقصى أموالهم وكان ذلك في صفر وكتب بالفتح الى المكتفي فأمره باشخاص آل طولون وأسبابهم من مصر والشام الى بغداد ولا يترك منهم أحدا ففعل ذلك وعاد الى بغداد وولي معونة مصر عيسى النوشري ثم ظهر بمصر انسان يعرف بالخلنجي وهو من قوادهم وكان تخلف عن محمد بن سليمان فاستمال جماعة وخالف على السلطان وكثر جمعه وعجز النوشري عنه فسار الى الاسكندرية ودخل ابراهيم الخلنجي مصر وكتب النوشري الى المكتفي بالخبر فسير اليه الجنود مع فاتك مولى المعتضد وبدر الحمامي فساروا في شوال نحو مصر

﴿ذكر السبب في العصبية بين النزارية واليمانية﴾

ذكر أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني أبي قال لما قال الكميت بن زيد الاسدي من أسد مضر بن نزار الهاشميات قدم البصرة فأتى الفرزدق فقال يا أبا فراس أنا ابن أخيك قال ومن أنت فانتسب له فقال صدقت فما حاجتك قال نفث على لساني وأنت شيخ مضر وشاعرها وأحببت أن أعرض عليك ما قلت فان كان حسنا أمرتني باذاعته وان كان غير ذلك أمرتني بستره وسترته علي فقال يا ابن أخي أحسب شعرك على قدر عقلك فهات ما قلت راشدا فأنشده

طربت وما شوقا الى البيض أطرب
ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

قال بلى فالعب فقال

ولم يلهني دار ولا رسم منزل
ولم يتطربني بنان مخضب

قال فما يطربك اذا قال

وما أنا ممن يزجر الطير همه
أصاح غراب أو تعرض ثعلب

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها أخذ بالبصرة رجل ذكروا أنه أراد الخروج وأخذ معه ولده وتسعة وثلاثون رجلا وحملوا الى بغداد فكانوا يبكون ويستغيثون ويحلفون انهم برآء فأمر بهم المكتفي فحبسوا وفيها أغار اندرونقس الرومي على مرعش ونواحيها فنفر أهل المصيصة وأهل طرسوس فأصيب أبو الرجال ابن أبي بكار في جماعة من المسلمين فعزل الخليفة أبا العشائر عن الثغور واستعمل عليهم رستم ابن بردو وفيها كان الفداء على يد رستم فكان جملة من فودي به من المسلمين ألف نفس ومائتي نفس وحج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن عباس بن محمد وفيها زادت دجلة زيادة مفرطة حتى تهدمت الدور التي على شاطئها بالعراق وفيها في العشرين من ايار طلع كوكب له ذنب عظيم جدا في برج الجوزاء وفيها وقع الحريق ببغداد بباب الطاق من الجانب الشرقي الى طرق الصفارين فاحترق ألف دكان مملوأة متاعا للتجار وفيها توفي أبو مسلم ابراهيم بن عبد الله الكجي ويقال الكشي وفيها توفي القاضي عبد الحميد بن عبد العزيز أبو حازم قاضي المعتضد بالله ببغداد وكان من أفاضل القضاة

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين﴾

﴿ذكر أول امارة بني حمدان بالموصل وما فعلوه بالاكراد﴾

في هذه السنة ولى المكتفي بالله الموصل وأعمالها أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي فسار اليها فقدمها أول المحرم فأقام بها يومه وخرج من الغد لعرض الرجال الذين قدموا معه والذين بالموصل فأتاه الصريخ من نينوى بأن الاكراد الهذبانية ومقدمهم محمد بن بلال قد أغاروا على البلاد وغنموا كثيرا منه فسار من وقته وعبر الجسر الى الجانب الشرقي فلحق الاكراد بالمعروبة على الخازر فقاتلوه فقتل رجل من أصحابه اسمه سيما الحمداني فعاد عنهم وكتب الى الخليفة يستدعي النجدة فأتته النجدة بعد شهور كثيرة وقد انقضت سنة ثلاث وتسعين ودخلت سنة أربع وتسعين في ربيع الاول منها سار فيمن معه الى الهذبانية وكانوا قد اجتمعوا في خمسة آلاف بيت فلما رأوا جده في طلبهم ساروا الى البابة التي في جبل السلق وهو مضيق في جبل عال مشرف على شهرزور فامتنعوا وغار مقدمهم محمد بن بلال وقرب من ابن حمدان وراسله في ان يطيعه ويحضر هو وأولاده ويجعلهم عنده يكونون رهينة ويتركون الفساد فقبل ابن حمدان ذلك فرجع محمد ليأتي بمن ذكر فحث أصحابه على المسير نحو اذربيجان وانما أراد في الذي فعله مع ابن حمدان أن يترك الجد في الطلب ليأخذ أصحابه أهبتهم ويسيرون آمنين فلما تأخر عود محمد عن ابن حمدان علم مراده فجرد معه جماعة من جماتهم اخوته سليمان وداود وسعيد وغيرهم ممن يثق به وبشجاعته وأمر النجدة التي جاءته من الخليفة ان يسيروا معه فتثبطوا وافتركهم وسار يقفوا آثارهم فلحقهم وقد تعلقوا بالجبل المعروف بالقنديل فقتل منهم جماعة وصعدوا ذروة الجبل وانصرف ابن حمدان عنهم ولحق الاكراد باذربيجان وأنهى ابن حمدان ما كان من حالهم الى الخليفة والوزير فأنجده بجماعة صالحة وعاد الى الموصل فجمع رجاله وسار الى جبل السلق وفيه محمد بن بلال ومعه الاكراد فدخله ابن حمدان والجواسيس بين يديه خوفا من كمين يكون فيه وتقدم من بين يدي أصحابه وهم يتبعونه فلم يتخلف منهم أحد وجاوزوا الجبل وقاربوا الاكراد وسقط عليهم الثلج واشتد البرد وقلت الميرة والعلف عندهم وأقام على ذلك عشرة أيام وبلغ الحمل التبن ثلاثين درهما ثم عدم عندهم وهو صابر فلما رأى الاكراد صبرهم وأنهم لا حيلة لهم في دفعهم لجأ محمد بن

قال فما أنت ويحك والي من تسمو فقال
وما السانحات البارحات عشية
أمر سليم القرن أم مر أعضب
قال أما هذا فقد أحسنت فيه فقال
ولكن الى أهل الفضائل والنهى
وخير بني حواء والخير يطلب
قال من هم ويحك قال
الى النفر البيض الذين بحبهم
الى الله فيما نابني أتقرب
قال أرحني ويحك من هؤلاء قال
بني هاشم رهط النبي فانني
بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
قال لله درك يا بني أصبت فاحسنت اذ عدلت عن الزعانف والاوباش اذا لا يصرد سهمك ولا يكذب قولك ثم مر فيها فقال له أظهر ثم أظهر وكد الاعداء فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي فحينئذ قدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم فأذن له

بلال وأولاده ومن لحق به واستولى ابن حمدان على بيوتهم وسوادهم وأهاليهم وأموالهم وطلبوا الامان فأمنهم وأبقى عليهم وردهم الى بلد حرة ورد عليهم أموالهم وأهاليهم ولم يقتل منهم غير رجل واحد وهو الذى قتل صاحبه سيما الحمدانى وأمنت البلاد معه وأحسن السيرة فى أهلها ثم ان محمد ابن بلال طلب الامان من ابن حمدان فأمنه وحضر عنده وأقام بالموصل وتتابع الاكراد الحميدية وأهل جبل داسن اليه بالامان فأمنت البلاد واستقامت

﴿ذكر الظفر بالخلنجى﴾

فى هذه السنة فى صفر وصل عسكر المكتفى الى نواحى مصر وتقدم أحمد بن كيغلغ فى جماعة من القواد فلقيهم الخلنجى بالقرب من العريش فهزمهم أقبح هزيمة فندب جماعة من القواد اليهم ببغداد وفيهم ابراهيم بن كيغلغ فخرجوا فى ربيع الاول وساروا نحو مصر واتصلت الاخبار بقوة الخلنجى فبرز المكتفى الى باب الشماسية ليسير الى مصر فى رجب فوصل اليه كتاب فاتك فى شعبان يذكر انه والقواد رجعوا الى الخلنجى وكانت بينهم حروب كثيرة قتل بينهم فيها خلق كثير فان آخر حرب كانت بينهم قتل فيها معظم أصحاب الخلنجى وانهزم الباقون وظفر وابهم وغنموا عسكرهم وهرب الخلنجى فدخل فسطاط مصر فاستتر بها عند رجل من أهل البلد فدخلنا المدينة فدلونا عليه فأخذناه ومن استتر عنده وهم فى الحبس فكتب المكتفى الى فاتك فى حمل الخلنجى ومن معه الى بغداد وعاد المكتفى فدخل بغداد وأمر برد خزائنه وكانت قد بلغت تكريت فوجه فاتك الخلنجى الى بغداد فدخلها هو ومن معه فى شهر رمضان فأمر المكتفى بحبسهم

﴿ذكر أمر القرامطة﴾

فيها أنفذ زكرويه بن مهرويه بعد قتل صاحب الشامة رجلا كان يعلم الصبيان بالرافوفة من الفلوجة يسمى عبد الله بن سعيد ويكنى أبا غانم فسمى نصرا وقيل كان المنفذ ابن زكرويه فدار على أحياء العرب من كلب وغيرهم يدعوهم الى رأيه فلم يقبله منهم أحد الا رجل من بنى زياد يسمى مقدام بن الكيال واستغوى طوائف من الاصبغيين المنتمين الى الفواطم وغيرهم من العليصيين وصعاليك من سائر بطون كلب وقصد ناحية الشام والعامل بدمشق والاردن أحمد بن كيغلغ وهو بمصر يحارب الخلنجى فاغتنم ذلك عبد الله بن سعيد وسار الى بصرى واذرعات والبثنية فحارب أهلها ثم أمنهم فلما استسلموا اليه قتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم ثم قصد دمشق فخرج اليهم نائب ابن كيغلغ وهو صالح بن الفضل فهزمه القرامطة وأثخنوا فيهم ثم أمنوهم وغدروهم بالامان وقتلوا صالحا وفضوا عسكره وساروا الى دمشق فنعهم أهلها فقصدوا طبرية وانضاف اليه جماعة من جند دمشق افتتنوا به فواقعهم يوسف بن ابراهيم بن بغامردى (٣) وهو خليفة أحمد بن كيغلغ بالاردن فهزموه وبذلوا له الامان وغدروا به وقتلوه ونهبوا طبرية وقتلوا خلقا كثيرا من أهلها وسبوا النساء فانفذ الخليفة الحسين بن حمدان وجماعة من القواد فى طلبهم فورد دمشق فلما علم بهم القرامطة رجعوا نحو السماوة وتبعهم الحسين فى السماوة وهم ينتقلون فى المياه ويغورونها حتى لجؤا الى ماءين يعرف أحدهما بالدمعانة والآخر بالحبالة وانقطع ابن حمدان عنهم لعدم الماء وعاد الى الرحبة وأسرى القرامطة مع نصر الى هيت وأهلها غافلون فنهبوا ربضها وامتنع أهل المدينة بسورهم ونهبوا السفن وقتلوا من أهل المدينة مائتى نفس ونهبوا الاموال والمتاع وأوقروا ثلاثة آلاف راحلة من الحنطة وبلغ الخبر الى المكتفى فسير محمد بن اسحق بن كنداج فلم يقيموا لمحمد ورجعوا الى الماءين فنهض محمد خلفهم فوجدهم قد غوروا

ليلا وأنشده فلما بلغ من الميمية قوله
وقتيل بالطف غودر منهم
بين غوغاء أمة وطغام
بكى أبو جعفر ثم قال يا كميت لو كان عندنا مال لاعطيناك ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لازلت مؤيدا بروح القدس ماذببت عنا أهل البيت فخرج من عنده فأتى عبد الله بن الحسن بن على فأنشده فقال يا أبا المستهل ان لى ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها وقد أشهدت لك بذلك شهودا وناوله اياه فقال بأبى أنت وأمى انى كنت أقول الشعر فى غيركم أريد بذلك الدنيا والمال ولا والله ماقلت فيكم الا لله وما كنت لآخذ على شئ جعلته لله مالا ولا ثمنا فألح عبد الله عليه وأبى من اعفائه فأخذ الكميت الكتاب ومضى فمكث أياما ثم جاء الى عبد الله فقال بأبى أنت وأمى يا ابن رسول الله ان لى حاجة قال وما هى وكل حاجة لك

المياه فانفذ اليه من بغداد الازواد والدواب وكتب الى ابن حمدان بالمسير اليهم من جهة الرحبة ليجتمع هو ومحمد على الايقاع بهم ففعل ذلك فلما أحس الكلبيون باقبال الجيش اليهم وثبوا بنصر فقتلوه قتله رجل منهم يقال له الذئب بن القائم وسار برأسه الى المكتفى متقربا بذلك مستأمنا فاجيب الى ذلك وأجيز بجائزة سنية وأمر بالكف عن قومه واقتتلت القرامطة بعد نصر حتى صارت بينهم الدماء وسارت فرقة كرهت أمورهم الى بنى أسد بنواحى عين التمر واعتذروا الى الخليفة فقبل عذرهم وبقى على الماء من بقيتهم من له بصيرة فى دينه فكتب الخليفة الى ابن حمدان يأمره بمعاودتهم واجتثاث أصلهم فارسل اليهم زكرويه بن مهرويه داعية له يسمى القاسم بن أحمد ويعرف بابى محمد وأعلمهم ان فعل الذئب قد نفره منهم وانهم قد ارتدوا عن الدين وان وقت ظهورهم قد حضر وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفا وان يوم موعدهم الذى ذكره الله فى شأن موسى صلى الله عليه وسلم وعدوه فرعون اذ يقول ان موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ويأمرهم ان يخفوا أمرهم وان يسيروا حتى يصبحوا الكوفة يوم النحر سنة ثلاث وتسعين ومائتين فانهم لا يمنعون منها وانه يظهر لهم وينجز لهم وعده الذى يعدهم اياه وان يحملوا اليه القاسم بن أحمد فامتثلوا رأيه ووافوا باب الكوفة وقد انصرف الناس عن مصلاهم وعاملهم اسحق بن عمران ووصلوها فى ثمانمائة فارس عليهم الدروع والجواشن والآلات الحسنة وقد ضربوا على القاسم بن أحمد قبة وقالوا هذا أثر رسول الله ودعوا يالثارات الحسين يعنون الحسين ابن زكرويه المصلوب ببغداد وشعارهم يا أحمد يا محمد يعنون ابنى زكرويه المقتولين فاظهروا الاعلام البيض وأرادوا استمالة رعاع الناس بالكوفة بذلك فلم يمل اليهم أحد فاوقع القرامطة بمن لحقوه من أهل الكوفة وقتلوا نحوا من عشرين نفسا وبادر الناس الكوفة وأخذوا السلاح ونهض بهم اسحق ودخل مدينة الكوفة من القرامطة مائة فارس فقتل منهم عشرين نفسا وأخرجوا عنها وظهر اسحق وحاربهم الى العصر ثم انصرفوا نحو القادسية وكان فيمن يقاتلهم مع اسحق جماعة من الطالبية وكتب اسحق الى الخليفة يستمده فامده بجماعة من قواده منهم وصيف بن صوارتكين التركى والفضل بن موسى بن بغا وبشر الخادم والافشينى ورائق الحررى مولى امير المؤمنين وغيرهم من الغلمان الحجرية فساروا وامتصف ذى الحجة حتى قاربوا القادسية فنزلوا بالصوان فلقيهم زكرويه وأما القرامطة فانهم أنفذوا واستخرجوا زكرويه من جب فى الارض كان منقطعا فيه سنين كثيرة بقرية الدرية وكان على الجب باب حديد محكم العمل وكان زكرويه اذا خاف الطلب جعل تنورا هناك على باب الجب وقامت امرأة تسجره فلا يفطن اليه وكان ربما أخفى فى بيت خلف باب الدار التى كان بها ساكنا فاذا انفتح باب الدار انطبق على باب البيت فيدخل الداخل الدار ولا يرى شيأ فلما استخرجوه حملوه على أيديهم وسموه ولى الله ولما رأوه سجدوا له وحضر معه جماعة من دعاته وخاصته وأعلمهم ان القاسم بن أحمد من أعظم الناس عليهم ذمة ومنة وانه ردهم الى الدين بعد خروجهم عنه وانهم ان امتثلوا أوامره أنجز موعدهم وبلغوا آمالهم ورمز لهم رموزا ذكر فيها آيات من القرآن نقلها عن الوجه الذى أنزلت فيه فاعترف له من رسخ حب الكفر فى قلبه انه رئيسهم وكهفهم وايقنوا بالنصر وبلوغ الامل وسار بهم وهو محجوب يدعونه السيد ولا يبرزونه والقاسم يتولى الامور وأعلمهم ان أهل السواد قاطبة خارجون اليه فاقام يسقى الفرات عدة أيام فلم يصل اليه منهم الا خمسمائة رجل ثم وافته الجنود المذكورة من عند الخليفة فلقيهم زكرويه بالصوان وقاتلهم واشتدت الحرب بينهم وكانت

مقضية قال كائنة ما كانت قال ثم قال هذا الكتاب تقبله وترتجع الضيعة ووضع الكتاب بين يديه فقبله عبد الله ونهض عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فاخذ ثوبا جلدا فدفعه الى أربعة من غلمانه ثم جعل يدخل دور بنى هاشم ويقول يا بنى هاشم هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم وعرض دمه لبنى أمية فاثيبوه بما قدرتم فيطرح الرجل فى الثوب ما قدر عليه من دنانير ودراهم وأعلم النساء بذلك فكانت المرأة تبعث ما أمكنها حتى انها لتخلع الحلى عن جسدها فاجتمع من الدنانير والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم فجاء بها الى الكميت فقال يا أبا المستهل أتيناك بجهد المقل ونحن فى دولة عدونا وقد جمعنا هذا المال وفيه حلى النساء كما ترى فاستعن به على دهرك فقال بأبى أنت وأمى قد أكثرتم

الهزيمة أوّل النهار على القرامطة وكان زكرويه قد كمن لهم كمينا من خلفهم فلم يشعر أصحاب الخليفة الا والسيف فيهم من ورائهم فانهزموا أقبح هزيمة ووضع القرامطة السيف فيهم فقتلوهم كيف شاؤا وغنموا سوادهم ولم يسلم من أصحاب الخليفة الامن دابته قوية أو من أثخن بالجراح فوضع نفسه بين القتلى فتحاملوا بعد ذلك وأخذ للخليفة فى هذا العسكر أكثر من ثلثمائة جمازة عليها المال والسلاح وخمسمائة بغل وقتل من أصحاب الخليفة سوى الغلمان ألف وخمسمائة رجل وقوى القرامطة بما غنموا ولما ورد خبر هذه الوقعة الى بغداد أعظمها الخليفة والناس وندب الى القرامطة محمد بن اسحق بن كنداج وضم اليه من الاعراب بنى شيبان وغيرهم أكثر من ألفى رجل وأعطاهم الارزاق ورحل زكرويه من مكانه الى نهر المثنية لنتن القتلى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها فى ربيع الآخر قدم الى بغداد قائد من أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث مستأمنا يعرف بأبى قابوس وسبب ذلك ان طاهرا تشاغل باللهو والصيد ومضى الى سجستان للصيد والتنزه فغلب على الامر بفارس الليث بن على بن الليث وسبكرى مولى عمرو بن الليث فوقع بينهما وبين هذا القائد تباعد ففارقهم ووصل الى بغداد فخلع عليه الخليفة وأحسن اليه فكتب طاهر بن محمد يسأل رد أبى قابوس ويذكر أنه جبى المال وأخذه ويقول له اما ان ترده اليه أو تحتسب له بما ذهب معه من المال من جملة القرار الذى عليه فلم يجبه الخليفة الى ذلك وفيها صارت الداعية التى للقرامطة باليمن الى مدينة صنعاء فحاربه أهلها فظفر بهم وقتلهم فلم يفلت الا اليسير وتغلب على سائر مدن اليمن ثم اجتمع أهل صنعاء وغيرها فحاربوا الداعية فهزموه فانحاز الى موضع من نواحى اليمن وبلغ الخبر الخليفة فخلع على المظفر بن حاج فى شوّال وسيره الى عمله باليمن وأقام بها الى ان مات وفيها أغارت الروم على قورس من أعمال حلب فقاتلهم أهلها قتالا شديدا ثم انهزموا وقتلوا أكثرهم وقتلوا رؤساء بنى تميم ودخل الروم قورس فاحرقوا جامعها وساقوا من بقى من أهلها وفيها افتتح اسمعيل بن أحمد السامانى ملك ماوراء النهر مواضع من بلاد الترك ومن بلاد الديلم وحج بالناس محمد بن عبد الملك الهاشمى وفيها توفى نصر بن أحمد الحافظ فى رمضان وأبو العباس عبد الله ابن محمد الشاشى الشاعر الكاتب الانبارى

﴿ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين﴾

﴿ذكر أخبار القرامطة وأخذهم الحاج﴾

فى هذه السنة فى المحرم ارتحل زكرويه من نهر المثنية يريد الحاج فبلغ السلمان وأقام ينتظرهم فبلغت القافلة الاولى واقصة سابع المحرم فانذرهم أهلها وأخبروهم بقرب القرامطة فارتحلوا لساعتهم وسار القرامطة الى واقصة فسألوا أهلها عن الحاج فاخبروهم انهم ساروا ففاتهم زكرويه فقتل العلافة وأحرق العلف وتحصن أهل واقصة فى حصنهم فحصرهم أياما ثم ارتحل عنهم نحو زباله وأغار فى طريقه على جماعة من بنى أسد ووصلت العساكر المنفذة من بغداد الى عيون الطف فبلغهم مسير زكرويه من السلمان فانصرفوا وسار علان بن كشمرد جريدة فنزل واقصة بعد ان جازت القافلة الاولى واتى زكرويه القرمطى قافلة الخراسانية بعقبة الشيطان راجعين من مكة فحاربهم حربا شديدا فلما رأى شدة حربهم سألهم هل فيكم نائب للسلطان فقالوا ما معنا أحد فقال فلست أريدكم فاطمأنوا وساروا فلما ساروا أوقع بهم وقتلهم عن آخرهم ولم ينج الا الشريد وسبوا من النساء ما أرادوا وقتلوا منهن واتى بعض المنهزمين علان بن كشمرد فاخبروه

وأطيتم وما أردت بمدحى اياكم الا الله ورسوله ولم أك لآخذ لذلك ثمنا من الدنيا فاردده الى أهله فجهد به عبد الله أن يقبله بكل حيلة فابى فقال ان أبيت ان تقبل فانى رأيت ان تقول شيأ تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما تحب فابتدأ الكميت وقال قصيدته التى يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار واياد وأنمار ابنى نزار ويكثر فيها من تفضيلهم ويطنب فى وصفهم وأنهم أفضل من قحطان فغضب بها بين اليمانية والنزارية فيما ذكرناه وهى قصيدته التى أوّلها

ألا حييت عنا يا مدينا
وهل ناس تقول مسلمينا

الى أن انتهى الى قوله نصر يحاو تعريضا باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم فيها وهو قوله

لنا قمر السماء وكل نجم
تشير اليه أيدى المهتدينا
وجدت الله اذ سمى نزارا

خبرهم وقالوا والله ما بينك وبينهم الا القليل ولو رأوك لقويت نفوسهم فالله الله فيهم فقال لا أعرض أصحاب السلطان للقتل ورجع هو وأصحابه وكتب من نجا من الحجاج من هذه القافلة الثانية الى رؤساء القافلة الثالثة من الحجاج يعلمونهم ما جرى من القرامطة ويأمرونهم بالتحذر والعدول عن الجادة نحو واسط والبصرة والرجوع الى فيد والمدينة الى ان تأتيهم جيوش السلطان فلم يسمعوا ولم يقيموا وسارت القرامطة من العقبة بعد أخذ الحجاج وقد طموا الآبار والبرك بالجيف والتراب والحجارة بواقصة والثعلبية والعقبة وغيرها من المناهل في جميع طريقهم وأقام بالهبير ينتظر القافلة الثالثة فسار واقصادفوه هناك فقاتلهم زكرويه ثلاثة أيام وهم على غير ماء فاستسلموا لشدة العطش فوضع فيهم السيف وقتلهم عن آخرهم وجمع القتلى كالتل وأرسل خلف المنهزمين من يبذل لهم الامان فلما رجعوا قتلهم وكان في القتلى مبارك القمي وولده أبو العشائر بن حمدان وكان نساء القرامطة يطفن بالماء بين القتلى يعرضن عليهم الماء فمن كلمهن قتلنه فقيل ان عدة القتلى بلغت عشرين ألفا ولم ينج الا من كان بين القتلى فلم يفطن له فنجا بعد ذلك ومن هرب عند اشتغال القرامطة بالقتل والنهب فكان من مات من هؤلاء أكثر ممن سلم ومن استعبدوه وكان مبلغ ما أخذوه من هذه القافلة ألفي ألف دينار وكان في جملة ما أخذوا فيها أموال الطولونية وأنشابهم فانهم لما عزموا على الانتقال من مصر الى بغداد خافوا ان يستصحبوها فتؤخذ منهم فعملوا الذهب والنقرة سبائك وجعلوها في حدائج الجمال وجميع مالهم من الحلي والجوهر وسيروا الجميع الى مكة سرا وساروا من مكة في هذه القافلة فأخذت وبث زكرويه الطلائع خوفا من عسكر الخليفة الذي كان بالقادسية وأقام ينتظر وصول من كان في الحج من عسكر الخليفة وأصحابه وكانوا بفيد ينتظرون هل تعرض القرامطة للحجاج أم لا وكان معهم جماعة من التجار أرباب الاموال فلما بلغهم ما صنع القرامطة أقاموا ينتظرون وصول عسكر من عند الخليفة فسار زكرويه اليهم وغور الآبار والمصانع والمياه الى فيد فاحتمى أهل فيد ومن بها من الحجاج بالحصنين اللذين بفيد وحصرهم فيهما القرامطة وأرسل زكرويه الى أهل فيد يأمرهم باخراجهم أو بتسليم الحصنين اليه وبذل لهم الامان على ذلك فلم يجيبوه فتهددهم بالنهب والقتل فازداد امتناعهم وأقام عليهم عدة أيام ثم سار الى الساج ثم الى جعفر أبي موسى

(ذكر قتل زكرويه لعنه الله)

لما فعل زكرويه بالحجاج ما ذكرناه عظم ذلك على الخليفة خاصة وعلى كافة المسلمين عامة فجهز المكتفي الجيوش فلما كان أول ربيع الاول سير وصيف بن صوارتكين مع جماعة من القواد والعساكر الى القرامطة فساروا على طريق حفان فلقيهم زكرويه ومن معه من القرامطة ثامن ربيع الاول فاقتتلوا يومهم ثم حجز بينهم الليل وباتوا يتحارسون ثم بكروا الى القتال فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل من القرامطة مقتلة عظيمة ووصل عسكر الخليفة الى عدو الله زكرويه فضربه بعض الجند وهو مول بالسيف على رأسه فبلغت الضربة دماغه وأخذ أسيرا وأخذ خليفته وجماعة من خواصه وأقربائه وفيهم ابنه وكاتبه وزوجته واحتوى الجند على ما في العسكر وعاش زكرويه خمسة أيام ومات فسيرت جيفته والاسرى الى بغداد وانهزم جماعة من أصحابه الى الشام فاوقع بهم الحسين بن حمدان فقتلوهم جميعا وأخذوا جماعة من النساء والصبيان وحمل رأس زكرويه الى خراسان لئلا يقطع الحجاج وأخذ الاعراب رجلين من أصحاب زكرويه يعرف أحدهما بالحداد والآخر بالمنتقم وهو اخو امرأة زكرويه كانا قد سارا اليهم يدعوانهم الى

وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات
وللناس القفا ولنا الجبينا
وما ضربت هجائن من نزار
فوالج من فحول الأعجمينا
وما حملوا الحمير على عتاق
مطهرة فيلفوا مبلغينا
وما وجدت بنات بني نزار
حلائل أسودين وأحمرينا
وقد نقض دعبل بن علي الخزاعي هذه القصيدة على الكميت وغيرها وذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها وغيرها وصرح وعرض بغيرهم كما فعل الكميت وذلك في قصيدته التي أولها
أفيقي من ملامك يا ظعينا
كفاك اللوم مر الاربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالي
يشيبن الذوائب والقرونا
أحيي الغر من سروات قومي
لقد حييت عنا يا مدينا
فان يك آل اسرائيل منكم
وكنتم بالأعاجم فاخرينا
فلا تنس الخنازير اللواتي
مسخن مع القرود الخاسئينا
بأيلة والخليج لهم رسوم
وآثار قدمن وما محينا

الخروج معهم فلما أخذوهما سيروهما الى بغداد وتتبع الخليفة القرامطة بالعراق فقتل بعضهم وحبس بعضهم ومات بعضهم فى الحبس

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا ابن كيغلغ الروم من طرسوس فاصاب من الروم أربعة آلاف رأس سبى ودواب ومتاعا ودخل بطريق من بطارقة الروم فى الامان وأسلم وفيها غزا ابن كيغلغ فبلغ شكند وافتتح الله عليه وسار الى الليس فغنموا نحوا من خمسين ألف رأس وقتلوا مقتلة عظيمة من الروم وانصرفوا سالمين وكاتب اندرونقس البطريق المكتفى بالله يطلب منه الامان وكان على حرب أهل الثغور من قبل ملك الروم فاعطاه المكتفى ماطلب فخرج ومعه مائتا أسير من المسلمين كانوا فى حصنه وكان ملك الروم قد أرسل للقبض عليه فاعطى المسلمين سلاحا وخرجوا معه فقبضوا على الذى أرسله ملك الروم ليقبض عليه ليلا فقتلوا ممن معه خلقا كثيرا وغنموا ما فى عسكرهم فاجتمعت الروم على اندرونقس ليحاربوه فسار اليهم جمع من المسلمين ليخلصوه ومن معه من أسرى المسلمين فبلغوا قونية فبلغ الخبر الى الروم فانصرفوا عنه وسار جماعة من ذلك العسكر الى اندرونقس وهو بحصنه فخرج ومعه أهله وماله اليهم وسار معهم الى بغداد وأخرب المسلمون قونية فارسل ملك الروم الى الخليفة المكتفى فطلب الفداء وفيها ظهر بالشام رجل يدعى أنه السفيانى فاخذ وحمل الى بغداد وقيل انه موسوس وفيها كانت وقعة بين الحسين بن حمدان وبين اعراب من بنى كلب وطئ واليمن وأسد وغيرهم وفيها حاصر اعراب طئ وصيف بن صوارتكين بفيد وقد سيره المكتفى أميرا على الموسم فحصروه ثلاثة أيام ثم خرج فواقعهم فقتل منهم قتلى ثم انهزمت الاعراب ورحل وصيف بمن معه وحج بالناس هذه السنة الفضل بن عبد الله الهاشمى وفيها توفى صالح بن محمد الحافظ الملقب بجزرة البغدادى وأبو عبيد الله محمد بن نصر المروزى الفقيه الشافعى وكان موته بسمرقند وله تصانيف كثيرة وفيها قتل محمد بن اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه بطريق مكة قتله القرامطة حين أخذوا الحاج

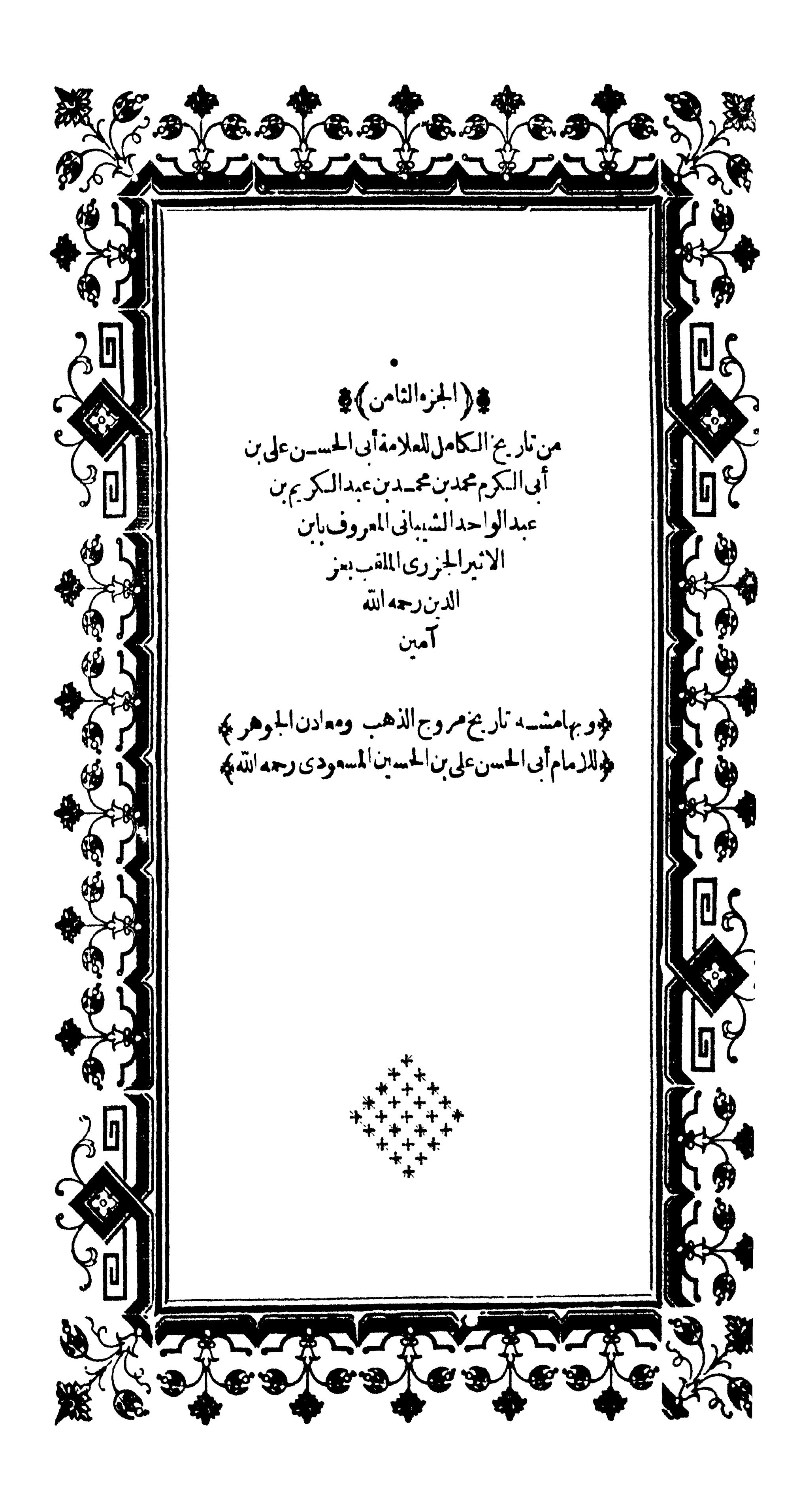
﴿تم الجزء السابع ويليه الثامن أوله ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين﴾

وماطلب الكميت طلاب وتر ولكن النصر تناهجينا لقد علمت نزار أن قومى الى نصر النبوة فاخربنا وهى طويلة ونعى قول الكميت فى النزارية واليمانية وافتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار وأدلى كل فريق بماله من المناقب وتحزبت الناس وثارت العصبية فى البدو والحضر فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدى وتعصبه لقومه من نزار على اليمن وانحراف اليمن عنه الى الدعوة العباسية وتغلغل الأمر الى انتقال الدولة عن بنى أمية الى بنى هاشم ثم ماتلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن وقتله أهلها تعصبا لقومه من ربيعة وغيرها من نزار وقطعه الحلف الذى كان بين اليمن وربيعة فى القدم وفعل عقبة بن سالم بعمان والبحرين وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة كياد المعن وتعصبا من عقبة ابن سالم لقومه من قحطان وغير ذلك مما تقدم وتأخر مما كان بين نزار وقحطان

﴿فهرسة الجزء الثامن من تاريخ الكامل للعلامة ابن الاثير الجزرى﴾

﴿فهرسة مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي الذي بهامش هذا الجزء﴾

صحيفة



﴿الجزء الثامن﴾

من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن
أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه الله
آمين

﴿وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر﴾
﴿للامام أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي رحمه الله﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين﴾

﴿ذكر وفاة اسمعيل بن أحمد الساماني وولاية ابنه أحمد﴾

في هذه السنة منتصف صفر توفي اسمعيل بن أحمد أمير خراسان وما وراء النهر ببخارا وكان يلقب بعد موته بالماضي وولي بعده ابنه أبو نصر أحمد وأرسل اليه المكتفي عهده بالولاية وعقد لواءه بيده وكان اسمعيل عاقلا عادلا حسن السيرة في رعيته حليما حكي عنه انه كان لولده أحمد مؤدب يؤدبه فمر به الامير اسمعيل يوما والمؤدب لا يعلم به فسمعه وهو يسب ابنه ويقول له لا بارك الله فيك ولا فيمن ولدك فدخل اليه وقال له يا هذا نحن لم نذنب ذنبا لتسبنا فهل ترى ان تعفينا من سبك وتخص المذنب بشتمك وذمك فارتاع المؤدب فخرج اسمعيل عنه وأمر له بصلة جزاء لخوفه منه وقيل جرى بين يديه ذكر الانساب والاحساب فقال لبعض جلسائه كن عصاميا ولا تكن عظاميا فلم يفهم مراده فذكر له معنى ذلك وسأل يوما يحيى بن زكريا النيسابوري فقال له ما السبب في أن آل معاذ لما زالت دولتهم بقيت عليهم نعمتهم بخراسان مع سوء سيرتهم وظلمهم وأن آل طاهر لما زالت دولتهم عن خراسان زالت معها نعمتهم مع عدلهم وحسن سيرتهم ونظرهم لرعيتهم فقال له يحيى السبب في ذلك ان آل معاذ لما تغير أمرهم كان الذي ولي البلاد بعدهم آل طاهر في عدلهم وانصافهم واستعفافهم عن أموال الناس ورغبتهم في اصطناع أهل البيوتات فقدموا آل معاذ وأكرموهم وان آل طاهر لما زالت عنهم كان سلطان بلادهم آل الصفار في ظلمهم وغشمهم ومعاداتهم لاهل البيوتات ومناصبتهم لاهل الشرف والنعم فاتوا عليهم وأزالوا نعمتهم فقال اسمعيل لله درك يا يحيى فقد شفيت صدري وأمر له بصلة ولما ولي بعد أخيه كان يكاتب أصحابه واصدقاءه بما كان يكاتبهم أولا فقيل له في ذلك فقال يجب علينا اذا زادنا الله رفعة ان لا ننقص اخواننا بل نزيدهم رفعة وعلاء وجاها ليزيدوا لنا اخلاصا وشكرا ولما ولي بعده ابنه أبو نصر أحمد واستوثق أمره أراد الخروج الى الري فاشار عليه ابراهيم بن زيدويه

﴿ذكر أيام مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم وهو الجعدي﴾

بويع مروان بن محمد بن مروان بدمشق يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومائة وقيل انه دعا الى نفسه بمدينة حران من ديار مضر وبويع له بها وأمه أم ولد يقال لها ريا وقيل طرونة كانت لمصعب بن الزبير فصارت بعد مقتله لمحمد ابن مروان أبيه وكان مروان يكنى أبا عبد الملك واجتمع أهل الشام على بيعته الا سليمان بن هشام ابن عبد الملك وغيره من بني أمية وكانت أيامه منذ بويع بمدينة دمشق من أرض الشام الى مقتله خمس سنين وعشرة أيام وقيل خمس سنين وثلاثة أشهر وكان مقتله في أول سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومنهم من رأى أن ذلك كان في المحرم ومنهم من رأى أنه كان في صفر وقيل غير ذلك مما تنازع فيه أهل التواريخ والسير على حسب تنازعهم في مقدار ملكه فمنهم من ذهب الى ان مدته خمس سنين وثلاثة أشهر ومنهم

بالخروج الى سمرقند والقبض على عمه اسحق بن أحمد لئلا يخرج عليه ويشغله ففعل ذلك واستدعى عمه الى بخارا لحضر فاعتقله بها ثم عبر الى خراسان فلما ورد نيسابور هرب بارس الكبير من جرجان الى بغداد خوفا منه وكان سبب خوفه ان الامير اسمعيل كان قد استعمل ابنه أحمد على جرجان لما أخذها من محمد بن زيد ثم عزله عنها واستعمل عليها بارس الكبير على ما ذكرناه فاجتمع عند بارس أموال جمة من خراج الرى وطبرستان وجرجان فبلغت ثمانين وقر فحملها الى اسمعيل فلما سارت عنه بلغه خبر موت اسمعيل فردها وأخذها فلما سار اليه أحمد خافه وكتب الى المكتفى يستأذنه فى المسير اليه فاذن له فى ذلك فسار اليه فى أربعة آلاف فارس فأرسل أحمد خلفه عسكرا فلم يدركوه واجتاز الرى فتحصن بها نائب أحمد بن اسمعيل فسار الى بغداد فوصلها وقد مات المكتفى وولى المقتدر بعده فاعجبه المقتدر وكان وصوله بعد حادثة ابن المعتز فسيره المقتدر فى عسكره الى بنى حمدان وولاه ديار ربيعة فخافه أصحاب الخليفة ان يتقدم عليهم فوضعوا عليه غلاما له فسمه فمات واستولى غلامه على ماله وتزوج امرأته وكان موته بالموصل

﴿ذكر وفاة المكتفى﴾

فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى أمير المؤمنين المكتفى بالله أبو محمد على بن المعتضد بالله أبى العباس أحمد بن الموفق بن المتوكل وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوما وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وقيل اثنتين وثلاثين سنة وكان ربعة جميلا رقيق البشرة حسن الشعر وافر اللحية وكنيته أبو محمد وأمه أم ولد تركية اسمها جيجك وطال عليه مرضه عدة شهور ولما مات دفن بدار محمد بن طاهر رحمه الله

﴿ذكر خلافة المقتدر بالله﴾

وكان السبب فى ولاية المقتدر بالله الخلافة وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد أن المكتفى لما ثقل فى مرضه فكر الوزير حينئذ وهو العباس بن الحسن فيمن يصلح للخلافة وكان عادته ان يسايره اذا ركب الى دار الخلافة واحد من هؤلاء الاربعة الذين يتولون الدواوين وهم أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح وأبو الحسن محمد بن عبدان وأبو الحسن على بن محمد بن الفرات وأبو الحسن على بن عيسى فاستشار الوزير يوما محمد بن داود بن الجراح فى ذلك فاشار بعبد الله بن المعتز ووصفه بالعقل والادب والرأى واستشار بعده أبا الحسن بن الفرات فقال هذا شئ ما جرت به عادتى أشير فيه وانما اشاور فى العمال لا فى الخلفاء فغضب الوزير وقال هذه مقاطعة باردة وليس يخفى عليك الصحيح وألح عليه فقال ان كان رأى الوزير قد استقر على أحد بعينه فليفعل فعلم انه عنى ابن المعتز لاشتهار خبره فقال الوزير لا أقنع الا ان تمحضنى النصيحة فقال ابن الفرات فليتق الله الوزير ولا ينصب الا من قد عرفه واطلع على جميع أحواله ولا ينصب بخيلا فيضيق على الناس ويقطع ارزاقهم ولا طماعا فيشره فى أموالهم فيصادرهم ويأخذ أموالهم وأملاكهم ولا قليل الدين فلا يخاف العقوبة والآثام ويرجو الثواب فيما يفعله ولا يولى من عرف نعمة هذا وبستان هذا وضيعة هذا وفرس هذا ومن قد لقى الناس ولقوه وعاملهم وعاملوه ويتخيل ويحسب حساب نعم الناس وعرف وجوه دخلهم وخرجهم فقال الوزير صدقت ونصحت فيمن تشير فقال اصلح الموجود جعفر بن المعتضد فقال ويحك هو صبى قال ابن الفرات الا انه ابن المعتضد ولم نأت برجل كامل يباشر الامور بنفسه غير محتاج

من قال خمسا وشهرين وعشرة أيام ومنهم من قال خمسا وعشرة أيام وكان مقتله ببوصير قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر وقد تنوزع فى مقدار سنه كتنازعهم فى مقدار ملكه فنهم من زعم أنه قتل وهو ابن سبعين سنة ومنهم من قال ابن تسع وستين ومنهم من قال اثنين وستين ومنهم من قال ثمان وخمسين وانما نذكر هذا الخلاف من قولهم لئلا يظن ظان أننا قد أغفلنا ما ذكروه أو تركنا شيأ مما وصفوه مما اليه قصدنا فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملا من كيفية مقتله وأخباره وجوامع من سيره وحروبه وما كان أمر الدولتين فى ذلك من الماضية وهى الأموية والمستقبلة فى ذلك الزمان وهى العباسية مع افرادنا بابا نذكر فيه جوامع تاريخ ملك الامويين وهو الباب المترجم بذكر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو أمية من الاعوام ثم نعقب ذلك بلمع من أخبار الدولة العباسية وأخبار أبى مسلم وخلافة أبى العباس السفاح ومن تلا عصره من خلفاء بنى العباس الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة أبى اسحق المتقى لله ابراهيم بن المقتدر بالله ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق

﴿ذكر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو أمية من الاعوام﴾

كان جميع ملك بنى أمية

الميناتم ان الوزير استشار علي بن عيسى فلم يسم أحدا وقال لكن ينبغي ان يتقى الله وينظر من يصلح الدين والدنيا فمالت نفس الوزير الى ما أشار به ابن الفرات وانضاف الى ذلك وصية المكتفي فانه أوصى لما اشتد مرضه بتقليد أخيه جعفر الخلافة فلما مات المكتفي نصب الوزير جعفرا للخلافة وعينه لها وأرسل صافيا الحرمي اليه ليحدره من دور آل طاهر بالجانب الغربي وكان يسكنها فلما حطه في الحراقة وحدره وصارت الحراقة مقابل دار الوزير صاح غلمان الوزير بالملاح ليدخل الى دار الوزير فظن صافي الحرمي ان الوزير يريد القبض على جعفر وينصب في الخلافة غيره فمنع الملاح من ذلك وسار الى دار الخلافة وأخذ له صافي البيعة على الخدم وحاشية الدار ولقب نفسه المقتدر بالله ولحق الوزير به وجماعة الكتاب فبايعوه ثم جهزوا المكتفي ودفنوه بدار محمد بن طاهر ولما بويع المقتدر كان في بيت المال حين بويع خمسة عشر ألف ألف دينار فاطلق يد الوزير في بيت المال فاخرج منه حق البيعة وكان مولد المقتدر ثامن رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين وأمه أم ولد يقال لها شغب فلما بويع استصغره الوزير وكان عمره اذ ذاك ثلاث عشرة سنة وكثر كلام الناس فيه فعزم على خلعه وتقليد الخلافة أبا عبد الله محمد بن المعتمد على الله وكان حسن السيرة جميل الوجه والفعل فراسله في ذلك واستقر الحال وانتظر الوزير قدوم بارس حاجب اسمعيل صاحب خراسان وكان قد أذن له في القدوم كما ذكرناه وأراد الوزير أن يستعين به على ذلك ويتقوى به على غلمان المعتضد فتأخر بارس واتفق أنه وقع بين أبي عبد الله بن المعتضد وبين ابن عمرويه صاحب الشرطة منازعة في ضيعة مشتركة بينهما فاغلظ له ابن عمرويه فغضب ابن المعتمد غضبا شديدا وأغمي عليه وفلج في المجلس فحمل الى بيته في محفة فمات في اليوم الثاني فاراد الوزير البيعة لابي الحسين بن المتوكل فمات أيضا بعد خمسة ايام وتم أمر المقتدر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة كانت وقعة بين نجح بن جاخ وبين الاجناد يعني ثاني عشر ذي الحجة فقتل منهم جماعة لانهم طلبوا جائزة بيعة المقتدر بالله وهرب الناس الى بستان ابن عامر واصاب الحجاج في عودهم عطش عظيم فمات منهم جماعة وحكي ان أحدهم كان يبول في كفه ثم يشربه وفيها اخرج عبد الله بن ابراهيم المسمعي عن اصبهان الى قرية من قراها مخالفا للخليفة واجتمع اليه نحو من عشرة آلاف من الاكراد وغيرهم فأمر بدرا الحمامي بالمسير اليه فسار في خمسة آلاف من الجند وارسل اليه منصور بن عبد الله بن منصور الكاتب يخوفه عاقبة الخلاف فسار اليه وأدى اليه الرسالة فرجع الى الطاعة وسار الى بغداد واستخلف على عمله باصبهان فرضي عنه المكتفي بالله وفيها كانت وقعة للحسين بن موسى على اعراب طيئ الذين كانوا حصروا وصيفا على غرة منهم فقتل فيهم كثيرا وأسر وفيها أوقع الحسن بن أحمد بالاكراد الذين تغلبوا على نواحي الموصل فظفر بهم واستباحهم ونهب أموالهم وهرب رئيسهم الى رؤس الجبال فلم يدرك وفيها فتح المظفر بن حاج بعض ما كان غلب عليه الخارجي باليمن وأخذ رئيسا من رؤساء أصحابه يعرف بالحكيمي وفيها تم الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة وكان عدة من فودي به من الرجال والنساء ثلاثة آلاف نفس وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي وفيها توفي أبو بكر محمد بن اسمعيل بن مهران الجرجاني الاسمعيلي الفقيه الشافعي المحدث ومحمد بن أحمد بن نصر أبو جعفر الترمذي الفقيه الشافعي توفي ببغداد وأبو الحسين احمد بن محمد النوري شيخ الصوفية وتوفي الحسين بن عبد الله بن أحمد أبو علي الخرقي الفقيه الحنبلي يوم الفطر (الخرقي بالخاء المعجمة والقاف) وعبد الله بن أبي دارة

نجوم

الى أن بويع أبو العباس السفاح ألف شهر كاملة لاتزيد ولاتنقص لانهم ملكوا تسعين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما (قال المسعودي) والناس متباينون في تواريخ أيامهم والمعول على ما نورده وهو الصحيح عند أهل البحث ومن عني بأخبار هذا العالم وهو أن (معاوية) بن أبي سفيان ملك عشرين سنة (ويزيد) بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما (ومعاوية) بن يزيد شهرا وأحد عشر يوما (ومروان) بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام (وعبد الملك) بن مروان احدى وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما (والوليد) بن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر ويومين (وسليمان) بن عبد الملك سنتين وستة أشهر وخمسة عشر يوما (وعمر) بن عبد العزيز رضي الله عنه سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام (ويزيد) ابن عبد الملك أربع سنين وثلاثة عشر يوما (وهشام) ابن عبد الملك تسعة عشر سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام (والوليد) بن يزيد بن عبد الملك سنة وثلاثة أشهر (ويزيد) بن الوليد بن عبد الملك شهرين وعشرة أيام وأسقطنا أيام ابراهيم ابن الوليد بن عبد الملك كاسقاطنا أيام ابراهيم بن المهدي أن يعد في الخلفاء العباسيين (ومروان) بن محمد بن مروان خمس سنين وشهرين وعشرة أيام الى

﴿ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين﴾

﴿ذكر خلع المقتدر وولاية ابن المعتز﴾

وفي هذه السنة اجتمع القواد والقضاة والكتاب مع الوزير العباس بن الحسن على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز وأرسلوا الى ابن المعتز في ذلك فاجابهم على ان لا يكون فيه سفك دم ولا حرب فاخبروه باجتماعهم عليه وانهم ليس لهم منازع ولا محارب وكان الرأس في ذلك العباس بن الحسن ومحمد بن داود بن الجراح وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي ومن القواد الحسين بن حمدان وبدر الاعجمي ووصيف بن صوارتكين ثم ان الوزير رأى امره صالحا مع المقتدر وانه على ما يحب فبدا له في ذلك فوثب به الآخرون فقتلوه وكان الذي تولى قتله منهم الحسين بن حمدان وبدر الاعجمي ووصيف ولحقوه وهو سائر الى بستان له فقتلوه في طريقه وقتلوا معه فاتكا المعتضدي وذلك في العشرين من ربيع الاول وخلع المقتدر من الغد وبايع الناس لابن المعتز وركض الحسين بن حمدان الى الحلبة ظنا منه ان المقتدر يلعب هناك بالكرة فيقتله فلم يصادفه لانه كان هناك فبلغه قتل الوزير وفاتك فركض دابته فدخل الدار وغلقت الابواب فندم الحسين حيث لم يبدأ بالمقتدر وأحضروا ابن المعتز وبايعوه بالخلافة وكان الذي يتولى أخذ البيعة له محمد بن سعيد الازرق وحضر الناس والقواد وأصحاب الدواوين سوى أبي الحسن بن الفرات وخواص المقتدر فانهم لم يحضروا ولقب ابن المعتز المرتضى بالله واستوزر محمد بن داود بن الجراح وقلد علي بن عيسى الدواوين وكتبت الكتب الى البلاد من أمير المؤمنين المرتضى بالله أبي العباس عبد الله بن المعتز بالله ووجه الى المقتدر يأمره بالانتقال الى دار ابن طاهر التي كان مقيما فيها لينتقل هو الى دار الخلافة فاجابه بالسمع والطاعة وسأل الامهال الى الليل وعاد الحسين بن حمدان بكرة غد الى دار الخلافة فقاتله الخدم والغلمان والرجالة من وراء الستور عامة النهار فانصرف عنهم آخر النهار فلما جنه الليل سار عن بغداد بأهله وكل ماله الى الموصل لا يدرى لم فعل ذلك ولم يكن بقي مع المقتدر من القواد غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن وغريب الخال وحاشية الدار فلما هم المقتدر بالانتقال عن الدار قال بعضهم لبعض لا نسلم الخلافة من غير ان نبلي عذرا ونجتهد في دفع ما أصابنا فاجمع رأيهم على ان يصعدوا في الماء الى الدار التي فيها ابن المعتز بالمخرم يقاتلونه فاخرج لهم المقتدر السلاح والزرديات وغير ذلك وركبوا في السميريات وأصعدوا في الماء فلما رآهم من عند ابن المعتز هالهم كثرتهم واضطربوا وهربوا على وجوههم من قبل ان يصلوا اليهم وقال بعضهم لبعض ان الحسين بن حمدان عرف ما يريد أن يجري فهرب من الليل وهذه مواطأة بينه وبين المقتدر وهذا كان سبب هربه ولما رأى ابن المعتز ذلك ركب ومعه وزيره محمد بن داود وهربا وغلام له ينادي بين يديه يا معشر العامة ادعوا للخليفة السني البربهاري وانما نسب هذه النسبة لان الحسن بن القاسم بن عبيد الله البربهاري كان مقدم الحنابلة والسنة من العامة ولهم فيه اعتقاد عظيم فاراد استمالتهم بهذا القول ثم ان ابن المعتز ومن معه ساروا نحو الصحراء ظنا منهم ان من بايعه من الجند يتبعونه فلم يلحقه منهم أحد فكانوا عزموا ان يسيروا الى سر من رأى بمن يتبعهم من الجند فيشتد سلطانهم فلما رأوا انهم لم يأتهم أحد رجعوا عن ذلك الرأي واختفى محمد بن داود في داره ونزل ابن المعتز عن دابته ومعه غلامه يمن وانحدر الى دار أبي عبد الله بن الجصاص فاستجار به واستتر أكثر من بايع ابن المعتز ووقعت الفتنة والنهب والقتل ببغداد وثار العيارون والسفل ينهبون الدور وكان ابن عمرويه صاحب الشرطة ممن بايع ابن المعتز فلما هرب جمع ابن عمرويه أصحابه

أن بويع السفاح فتكون الجملة تسعين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما يضاف الى ذلك الثمانية أشهر التي كان مروان يقاتل فيها بني العباس الى أن قتل فيصير ملكهم احدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما يوضع من ذلك أيام الحسن بن علي وهي خمسة أشهر وعشرة أيام ويوضع أيام عبد الله بن الزبير الى الوقت الذي قتل فيه وهي سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيام فيصير الباقي بعد ذلك ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر يكون ذلك ألف شهر سواء وقد ذكر قوم أن تأويل قوله عز وجل ليلة القدر خير من ألف شهر ما ذكرناه من أيامهم وقد روي عن ابن عباس أنه قال والله ليملكن بنو العباس ضعف ما ملكته بنو أمية باليوم يومين وبالشهر شهرين وبالسنة سنتين وبالخليفة خليفتين (قال المسعودي) فملك بنو العباس في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقضى ملك بني أمية فلبني العباس من وقت ملكهم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة مائتا سنة وذلك أن أبا العباس السفاح بويع له بالخلافة في ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانتهينا في تصنيفنا من هذا الكتاب الى هذا الموضع في شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة في خلافة أبي اسحق المتقي لله والله أعلم بما يكون من

ونادى بشعار المقتدر يدلس بذلك فناداه العامة يامرائي يا كذاب وقاتلوه فهرب واستتر وتفرق أصحابه فهجاه يحيى بن على بأبيات منها

بايعوه فلم يكن عنده الا * ـوك الا التغيير والتخبيط
رافضيون بايعوا أنصب الامة هذا لعمرى التخليط
ثم ولى من زعقة ومحامو * ومن خلفهم لهم تضريط

وقلد المقتدر تلك الساعة الشرطة مؤنسا الخازن وهو غير مؤنس الخادم وخرج بالعسكر وقبض على وصيف بن صوارتكين وغيره فقتلهم وقبض على القاضى أبى عمر وعلى بن عيسى والقاضى محمد بن خلف وكيع ثم أطلقهم وقبض على القاضى المثنى أحمد بن يعقوب فقتله لانه قيل له بايع المقتدر فقال لا أبايع صبيا فذبح وأرسل المقتدر الى أبى الحسن بن الفرات وكان مختفيا فاحضره واستوزره وخلع عليه وكان فى هذه الحادثة عجائب منها ان الناس كلهم أجمعوا على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز فلم يتم ذلك بل كان على العكس من ارادتهم وكان أمر الله مفعولا ومنها ان ابن حمدان على شدة تشيعه وميله الى على عليه السلام وأهل بيته يسعى فى البيعة لابن المعتز على انحرافه عن على وغلوه فى النصب الى غير ذلك ثم ان خادما لابن الجصاص يعرف بسوسن أخبر صافيا الحرمى بان ابن المعتز عند مولاه ومعه جماعة فكبست دار ابن الجصاص وأخذ ابن المعتز منها وحبس الى الليل وعصرت خصيتاه حتى مات ولف فى زلى وسلم الى أهله وصودر ابن الجصاص على مال كثير وأخذ محمد بن داود وزير ابن المعتز وكان مستترا فقتل ونفى على بن عيسى الى واسط فارسل الى الوزير ابن الفرات يطلب منه ان يأذن له فى المسير الى مكة فاذن له فى ذلك فسار اليها على طريق البصرة وأقام بها وصودر القاضى أبو عمر على مائة ألف دينار وسيرت العساكر من بغداد فى طلب الحسين بن حمدان فتبعوه الى الموصل ثم الى بلد فلم يظفروا به فعادوا الى بغداد وكتب الوزير الى أخيه أبى الهيجاء بن حمدان وهو الامير على الموصل يأمره بطلبه فسار اليه الى بلد ففارقها الحسين الى سنجار وأخوه فى اثره فدخل البرية فتبعه أخوه عشرة أيام فادركه فاقتتلوا فظفر أبو الهيجاء واسر بعض أصحابه واخذ منه عشرة آلاف دينار وعاد عنه الى الموصل ثم انحدر الى بغداد فلما كان فوق تكريت أدركه أخوه الحسين فبيته فقتل منهم قتلى وانحدر أبو الهيجاء الى بغداد وأرسل الحسين الى ابن الفرات وزير المقتدر يسأله الرضا عنه فشفع فيه الى المقتدر بالله ليرضى عنه وعن ابراهيم بن كيغلغ وابن عمرويه صاحب الشرطة وغيرهم فرضى عنهم ودخل الحسين بغداد فرد عليه أخوه ما أخذ منه وأقام الحسين ببغداد الى ان ولى قم فسار اليها وأخذ الجرائد التى فيها أسماء من أعان على المقتدر فغرقها فى دجلة وبسط ابن الفرات العدل والاحسان وأخرج الادرارات للعباسيين والطالبيين وأرضى القواد بالاموال ففرق معظم ما كان فى بيوت الاموال

﴿ ذكر حادثة ينبغى ان يحتاط من مثلها او يفعل فيها مثل فعل صاحبها ﴾

كان سليمان بن الحسن بن مخلد متصلا بابن الفرات وبينهما مودة وصداقة فوجد الوزير كتب البيعة لابن المعتز بخط سليمان لاتصاله بمحمد بن داود بن الجراح وقرابة بينهما فلم يظهر عليها المقتدر واخفاها عنه وأحسن ابن الفرات الى سليمان وقلده الاعمال فسعى سليمان بابن الفرات الى المقتدر وكتب بخطه مطالعة تتضمن ذكر املاك الوزير وضياعه ومستغلاته وما يتعلق باسبابه وأخذ الرقعة ليوصلها الى المقتدر فلم يتهيأ له ذلك وحضر دار الوزير وهى معه وسقطت من كمه فظفر بها بعض الكتاب فاوصلها الى الوزير فلما قرأها قبض على سليمان

أمرهم فيما يأتى به الزمان المستقبل بعد هذا الوقت من الايام وقد أتينا بحمد الله فيما سلف من كتابينا أخبار الزمان والاوسط على الغرر من أخبارهم والنوادر من أسمائهم والطرائف مما كان فى أيامهم وعهودهم ووصاياهم ومكاتباتهم وأخبار الحوادث والخوارج فى أيامهم من الازارقة والاباضية وغيرهم ومن ظهر من الطالبيين طالبا بحق أو آمرا بمعروف أو ناهيا عن منكر فقتل فى أيامهم وكذلك من تلاهم من بنى العباس الى خلافة المتقى لله من سنتنا هذه وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما ذكرنا فى هذا الكتاب من جوامع التاريخ قد يخالف ما تقدم بسطه باليوم أو العشرة أو الشهر عند ذكرنا لدولة كل واحد منهم وأيامه وهذا هو المعوّل عليه من تاريخهم وسنيهم والمفصل من مددهم والله أعلم ومنه التوفيق

﴿ ذكر الدولة العباسية ولمع من أخبار مروان ومقتله وجوامع من حروبه وسيره ﴾

قد تقدم فى الكتاب الاوسط ما ذكرته الراوندية وهم شيعة ولد العباس بن عبد المطلب من أهل خراسان وغيرهم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وأن أحق الناس بالامامة بعده العباس بن عبد المطلب لانه عمه ووارثه وعصبته لقول الله عزوجل وأولو الارحام بعضهم

وجمله

وجعله فى زورق وأحدره الى واسط ووكل به هنالك وصادره ثم أراد المفو عنه فكتب اليه نظرت أعزك الله فى حقك على وجرمك الى فرأيت الحق موفى على الجرم وتذكرت من سالف خدمتك ما عطفنى عليك وثنانى اليك وأعادنى لك الى أفضل ما عهدت وأجمل ما ألفت وأطلق له عشرة آلاف درهم وعفا عنه واستعمله وأكرمه

(ذكر ولاية أبى مضر افريقية وهربه الى العراق وما كان من أمره)

فى هذه السنة مستهل شهر رمضان ولى أبو مضر زيادة الله بن أبى العباس بن عبد الله افريقية بعد قتل أبيه فانعكف على اللذات والشهوات وملازمة الندماء والمضحكين وأهمل أمور المملكة وأحوال الرعية وأرسل كتابا يوم ولى الى عمه الاحول على لسان أبيه يستعجله فى القدوم عليه ويحثه على السرعة فسار مجدا ولم يعلم بقتل أبى العباس فلما وصل قتله وقتل من قدر عليه من أعمامه واخوته واشتدت شوكة ابى عبد الله الشيعى فى أيامه وقوى امره وكان الاحول قباتله فلما قتل صفت له البلاد ودانت له الامصار والعباد فسير اليه زيادة الله جيشا مع ابراهيم بن أبى الاغلب وهو من بنى عمه بلغت عدتهم أربعين ألفا سوى من انضاف اليه فهزمه أبو عبد الله الشيعى على ما ذكره آنفا فلما اتصل بزيادة الله خبر الهزيمة علم انه لا مقام له لان هذا الجمع هو آخر ما انتهت قدرته اليه فجمع ما عز عليه من أهل ومال وغير ذلك وعزم على الهرب الى بلاد الشرق وأظهر للناس انه قد جاء خبر هزيمة ابى عبد الله الشيعى وأمر باخراج رجال من الحبس فقتلهم واعلم خاصته حقيقة الحال وأمرهم بالخروج معه فاشار عليه بعض أهل دولته بان لا يفعل ولا يترك ملكه وقال ان عبد الله لا يجسر عليك فشتمه ورد عليه رأيه وقال أحب الاشياء اليك ان يأخذنى بيدى وانصرف كل واحد من خاصته وأهله يتجهز للمسير معه وأخذ ما أمكنه حمله وكانت دولة آل الاغلب بافريقية قد طالت مدتها وكثرت عبيدها وقوى سلطانها وسار عن افريقية الى مصر فى سنة ست وتسعين ومائتين واجتمع معه خلق عظيم فلم يزل سائرا حتى وصل طرابلس فدخلها فاقام بها تسعة عشر يوما ورأى بها أبا العباس أخا أبى عبد الله الشيعى وكان محبوسا بالقيروان حبسه زيادة الله فهرب الى طرابلس فلما رآه أحضره وقرره هل هو أخو ابى عبد الله فانكر وقال أنا رجل تاجر قيل عنى انى أخو ابى عبد الله فحبستنى فقال له زيادة الله أنا أطلقك فان كنت صادقا فى انك تاجر فلا نأثم فيك وان كنت كاذبا وأنت أخو ابى عبد الله فليكن للصنيعة عندك موضع وتحفظنا فيمن خلفناه وأطلقه وكان من كبار أهله وأصحابه ابراهيم بن أبى الاغلب فاراد قتله وقتل رجل آخر كانا قد عرضا أنفسهما على ولاية القيروان فعلما ذلك وهربا الى مصر وقدما على العامل بها وهو عيسى النوشرى فحدثاه وسعيا بزيادة الله وقالا له انه يحدث نفسه بولاية مصر فوقع ذلك فى نفسه وأراد منعه من دخول مصر الا بأمر الخليفة من بغداد فوصل زيادة الله ليلا وعبر الجسر الى الجيزة قهرا فلما رأى ذلك النوشرى لم يمكنه منعه فانزله بدار ابن الجصاص ونزل أصحابه فى مواضع كثيرة فاقام ثمانية أيام ورحل يريد بغداد فهرب عنه بعض أصحابه وفيهم غلام له وأخذ منه مائة ألف دينار فاقام عند النوشرى فارسل النوشرى الى الخليفة وهو المقتدر بالله يعرفه حال زيادة الله وحال من تخلف عنه بمصر فامره برد من تخلف عنه اليه مع المال ففعل وسار زيادة الله حتى بلغ الرقة وكتب الى الوزير وهو ابن الفرات يسأله فى الاذن له لدخول بغداد فامره بالتوقف فبقى على ذلك سنة فتفرق عنه أصحابه وهو مع هذا امدمن الخمر واستماع الملاهى وسعى به الى المقتدر وقيل له برده الى المغرب يطلب بثاره فكتب اليه بذلك وكتب الى النوشرى بانجاده

أولى ببعض فى كتاب الله وأن الناس اغتصبوه حقه وظلموه أمره الى أن رده الله اليهم وتبرؤا من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأجازوا بيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه باجازته لها وذلك لقوله يا ابن أخى هلم الى أن أبايعك فلا يختلف عليك اثنان ولقول داود بن على على منبر الكوفة يوم بويع لابى العباس يا أهل الكوفة لم يقم فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن أبى طالب وهذا القائم فيكم يعنى أبا العباس السفاح وقد صنف هؤلاء كتبا فى هذا المعنى الذى ادعوه وهى متداولة فى أيدى أهلها ومنتحليها منها كتاب صنفه عمرو بن بحر الجاحظ وهو المترجم بكتاب امامة ولد العباس يحتج فيه لهذا المذهب ويذكر فعل أبى بكر فى فدك وغيرها وقصته مع فاطمة رضى الله عنها ومطالبتها بارثها من أبيها صلى الله عليه وسلم واستشهادها ببعلها وابنيها وأم أيمن وما جرى بينها وبين أبى بكر من المخاطبة وما كثر بينهم من المنازعة وما قالت وما قيل لها عن أبيها عليه السلام من انه قال نحن معاشر الانبياء لا نرث ولا نورث وما احتجت به من قوله عز وجل وورث سليمان داود على أن النبوة لا تورث فلم يبق الا التوارث وغير ذلك من الخطاب ولم يصنف الجاحظ هذا الكتاب ولا استقصى فيه الحجاج للراوندية وهم شيعة ولد العباس لانه لم يكن

بالرجال والعدد والاموال من مصر ليعود الى المغرب فعاد الى مصر فامره النوشرى بالخروج الى ذات الحمام ليكون هناك الى ان يجتمع اليه ما يحتاج اليه من الرجال والمال ففعل ومطله فطال مقامه وتتابعت به الامراض وقيل بل سمه بعض غلمانه فسقط شعر لحيته فعاد الى مصر وقصد البيت المقدس فتوفى بالرملة ودفن بها فسبحان الحى الذى لا يموت ولا يزول ملكه ولم يبق بالمغرب من بنى الاغلب أحد وكانت مدة ملكهم مائة سنة واثنتى عشرة سنة وكانوا يقولون اننا نخرج الى مصر والشام ونربط خيلنا فى زيتون فلسطين فكان زيادة الله هو الخارج الى فلسطين على هذه الحال لا على ما ظنوه

﴿ ذكر ابتداء الدولة العلوية بافريقية ﴾

هذه دولة اتسعت أكناف مملكتها وطالت مدتها فانها ملكت افريقية هذه السنة وانقرضت دولتهم بمصر سنة سبع وستين وخمسمائة فنحتاج ان نستقصى ذكرها فنقول أول من ولى منهم أبو محمد عبيد الله فقيل هو محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسمعيل بن جعفر بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ومن ينسبه هذا النسب يجعله عبد الله بن ميمون القداح الذى ينسب اليه القداحية وقيل هو عبيد الله بن أحمد بن اسمعيل الثانى محمد بن اسمعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وقد اختلف العلماء فى صحة نسبه فقال هو وأصحابه القائلون بامامته ان نسبه صحيح على ما ذكرناه ولم يرتابوا فيه وذهب كثير من العلويين العالمين بالانساب الى موافقتهم أيضا ويشهد بصحة هذا القول ما قاله الشريف الرضى

ما مقامى على الهوان وعندى * مقول صارم وأنف حمى
ألبس الذل فى بلاد الاعادى * وبمصر الخليفة العلوى
من أبوه أبى ومولاه مولا * ى اذا ضامنى البعيد القصى
لف عرقى بعرقه سيدا الناس جميعا محمد وعلى
ان ذلى بذلك الجو عز * وأوامى بذلك الربع رى

وانما لم يودعه فى بعض دواوينه خوفا ولا حجة بما كتبه فى المحضر المتضمن القدح فى انسابهم فان الخوف يحمل على أكثر من هذا على انه قد ورد ما يصدق ما ذكرته وهو ان القادر بالله لما بلغته هذه الابيات أحضر القاضى أبا بكر بن الباقلانى فارسله الى الشريف أبى أحمد الموسوى والد الشريف الرضى يقول له قد عرفت منزلتك منا وما لا نزال عليه من الاعتداد بك بصدق الموالاة منك وما تقدم لك فى الدولة من مواقف محمودة ولا يجوز أن تكون أنت على خليفة ترضاه ويكون ولدك على ما يضادها وقد بلغنا انه قال شعرا وهو كذا وكذا فياليت شعرى على أى مقام ذل أقام وهو ناظر فى النقابة والحج وهما من أشرف الاعمال ولو كان بمصر لكان كبعض الرعايا وأطال القول فحلف أبو أحمد انه ما علم بذلك وأحضر ولده وقال له فى المعنى فانكر الشعر فقال له اكتب خطك الى الخليفة بالاعتذار واذكر فيه ان نسب المصرى مدخول وانه مدع فى نسبه فقال لا أفعل فقال أبوه تكذبنى فى قولى فقال ما أكذبك ولكنى أخاف من الديلم وأخاف من المصرى ومن الدعاة فى البلاد فقال أبوه أتخاف ممن هو بعيد عنك وتراقبه وتسخط من هو قريب وأنت بمرأى منه ومسمع وهو قادر عليك وعلى أهل بيتك وتردد القول بينهما ولم يكتب الرضى خطه فحرد عليه أبوه وغضب وحلف انه لا يقيم معه فى بلد فآل الامر الى ان حلف الرضى أنه ما قال هذا

الشعر

مذهبه ولا كان يعتقده لكن فعل ذلك تماجنا وتطربا وقد صنف أيضا كتابا استقصى فيه الحجاج عند نفسه وأيده بالبراهين وعضده بالادلة فيما تصور من عقله ترجمه بكتاب العثمانية يحل فيه عند نفسه فضائل على عليه السلام ومناقبه ويحتج فيه لغيره طلبا لاماتة الحق ومضادة لاهله والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب العثمانية حتى أعقبه بتصنيف كتاب آخر فى امامة المروانية وأقوال شيعتهم ورأيته مترجما بكتاب أمير المؤمنين معاوية ابن أبى سفيان فى الانتصار له من على بن أبى طالب رضى الله عنه وشيعته الرافضة يذكر فيه رجال المروانية ويؤيد فيه امامة بنى أمية وغيرهم ثم صنف كتابا آخر ترجمه بكتاب مسائل العثمانية يذكر فيه ما فاته ونقضه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين على ومناقبه فيما ذكرنا وقد نقضت عليه ما ذكرنا من كتبه ككتاب العثمانية وغيره وقد نقضها جماعة من متكلمى الشيعة كأبى عيسى الوراق والحسن بن موسى النوبختى وغيرهما من الشيعة ممن ذكر ذلك فى كتبه فى الامامة مجتمعا ومفترقا وقد نقض على الجاحظ كتاب العثمانية أيضا رجل من شيوخ المعتزلة البغداديين ورؤسائهم وأهل الزهد والديانة منهم ممن يذهب الى تفضيل على

الشعر واندرجت القصة على هذا في امتناع الرضي من الاعتذار ومن ان يكتب طعنا في نسبهم مع الخوف دليل قوي على صحة نسبهم وسألت أنا جماعة من أعيان العلويين في نسبه فلم يرتابوا في صحته وذهب غيرهم الى ان نسبه مدخول ليس بصحيح وعدا طائفة منهم الى ان جعلوا نسبه يهوديا وقد كتب في الايام القادر به محضر يتضمن القدح في نسبه ونسب أولاده وكتب فيه جماعة من العلويين وغيرهم ان نسبه الى أمير المؤمنين على غير صحيح فممن كتب فيه من العلويين المرتضى وأخوه الرضي وابن البطحاوي وابن الازرق العلويين ومن غيرهم ابن الاكفاني وابن الخرزي وأبو العباس الابيوردي وأبو حامد والكشفلي والقدوري والصيمري وأبو الفضل النسوي وأبو جعفر النسفي وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وزعم القائلون بصحة نسبه ان العلماء ممن كتب في المحضر انما كتبوا خوفا وتقية ومن لا علم عنده بالانساب فلا احتجاج بقوله وزعم الامير عبد العزيز صاحب تاريخ افريقية والمغرب ان نسبه معروف في اليهودية ونقل فيه عن جماعة من العلماء وقد استقصى ذكر ابتداء دولتهم وبالغ وأنا أذكر معنى ما قاله مع البراءة من عهدة طعنه في نسبه وما عداه فقد أحسن فيما ذكر قال لما بعث الله تعالى سيد الاولين والآخرين محمدا صلى الله عليه وسلم عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس وقريش وسائر العرب لانه سفه أحلامهم وعاب أديانهم وآلهتهم وفرق جمعهم فاجتمعوا يدا واحدة عليه فكفاه الله كيدهم ونصره عليهم فاسلم منهم من هداه الله تعالى فلما قبض صلى الله عليه وسلم نجم النفاق وارتدت العرب وظنوا أن الصحابة يضعفون بعده فجاهد أبو بكر رضي الله عنه في سبيل الله فقتل مسيلمة ورد الردة وأذل الكفر ووطأ جزيرة العرب وغزا فارس والروم فلما حضرته الوفاة ظنوا أن بوفاته ينتقض الاسلام فاستخلف عمر بن الخطاب فاذل فارس والروم وغلب على ممالكها فدس عليه المنافقون أبا لؤلؤة فقتله ظنا منهم ان بقتله ينطفئ نور الاسلام فولي بعده عثمان فزاد في الفتوح واتسعت مملكة الاسلام فلما قتل وولي بعده أمير المؤمنين علي قام بالامر أحسن قيام فلما يئس أعداء الاسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الاحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم بامور قد ضبطها المحدثون وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه فكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد وأبو شاكر ميمون ابن ديصان صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة وغيرهما فالقوا الى من وثقوا به ان لكل شئ من العبادات باطنا وان الله تعالى لم يوجب على أوليائه ومن عرف من الائمة والابواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ولا حرم عليهم شيأ وأباحوا لهم نكاح الامهات والاخوات وانما هذه قيود للعامة ساقطة عن الخاصة وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي صلى الله عليه وسلم ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة وتفرق أصحابهم في البلاد وأظهروا الزهد والعبادة يغرون الناس بذلك وهم على خلافه فقتل أبو الخطاب وجماعة من أصحابه بالكوفة وكان أصحابه قالوا له انا نخاف الجند فقال لهم ان أسلحتهم لا تعمل فيكم فلما ابتدؤا في ضرب أعناقهم قال له أصحابه ألم تقل ان سيوفهم لا تعمل فينا فقال اذا كان قد أراد الله فما حيلتي وتفرقت هذه الطائفة في البلاد وتعلموا الشعبذة والنارنجيات والزور والنجوم والكيمياء فهم يحتالون على كل قوم بما يتفق عليهم وعلى العامة باظهار الزهد ونشأ لابن ديصان ابن يقال له عبد الله القداح علمه الحيل وأطلعه على أسرار هذه النحلة فحذق وتقدم وكان بنواحي كرخ وأصبهان رجل يعرف بمحمد بن الحسين ويلقب بدندان يتولى تلك المواضع وله نيابة عظيمة وكان يبغض العرب ويجمع مساويهم فسار اليه القداح

سنة أربعين ومائتين وفيها مات أحمد بن حنبل وسنذكر وفاة الجاحظ فيما يرد من هذا الكتاب ووفاة غيره من المعتزلة وان كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا والذي ذهب اليه من تأخر من الراوندية وانتقل وتحير عن جملة الكيسانية القائلة بامامة محمد بن الحنفية وهم الحريانية أصحاب أبي مسلم عبد الرحمن بن محمد صاحب الدولة العباسية وكان يلقب بحريان أن محمد بن الحنفية هو الامام بعد علي بن أبي طالب وأن محمدا أوصى الى ابنه أبي هاشم وأن أبا هاشم أوصى الى علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب وأن علي بن عبد الله أوصى الى ابنه محمد بن علي وأن محمد أوصى الى ابنه ابراهيم الامام المقتول بحران وان ابراهيم أوصى الى أخيه أبي العباس بن عبد الله بن الحارثية المقتول وقد تنوزع في أمر أبي مسلم فمن الناس من رأى انه كان من العرب ومنهم من رأى انه كان عبدا فاعتق وكان من أهل البرس والجامعين من قرية يقال لها حرطينة واليها تضاف الثياب البرسية المعروفة بالحرطينية وتلك من أعمال الكوفة وسوادها. وكان قهرمانا لادريس بن ابراهيم الجعلي ثم آل أمره ونمت به الأقدار الى أن

وعرفه من ذلك مازاد به محله وأشار عليه ان لا يظهر مافى نفسه انما يكتمه و يظهر التشيع والطعن على الصحابة فان الطعن فيهم طعن فى الشريعة فان بطريقهم وصلت الى من بعدهم فاستحسن قوله واعطاه مالا عظيما ينفقه على الدعاة الى هذا المذهب فسيره الى كور الاهواز والبصرة والكوفة وطالقان وخراسان وسلمية من أرض حمص وفرقه فى دعاته وتوفى القداح وديدان وانما لقب القداح لانه كان يعالج العيون ويقدحها فلما توفى القداح قام بعده ابنه أحمد مقامه وصحبه انسان يقال له رستم بن الحسين بن حوشب بن دادان النجار من أهل الكوفة فكانا يقصدان المشاهد وكان باليمن رجل اسمه محمد بن الفضل كثير المال والعشيرة من أهل الجند يتشيع فجاء الى مشهد الحسين بن على يزوره فرآه أحمد ورستم يبكى كثيرا فلما خرج اجتمع به احمد وطمع فيه لما رأى من بكائه وألقى اليه مذهبه فقبله وسير معه النجار الى اليمن وأمره بلزوم العبادة والزهد ودعاء الناس الى المهدى وانه خارج فى هذا الزمان باليمن فسار النجار الى اليمن ونزل بعدن بقرب قوم من الشيعة يعرفون ببنى موسى وأخذ فى بيع ما معه واتاه بنو موسى وقالوا له فيم جئت قال للتجارة قالوا لست بتاجر وانما أنت رسول المهدى وقد بلغنا خبرك ونحن بنو موسى ولعلك قد سمعت بنا فانبسط ولا تحتشم فانا اخوانك فاظهر أمره وقوى عزائمهم وقرب أمر المهدى فامرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح وأخبرهم ان هذا أوان ظهور المهدى ومن عندهم يظهر واتصلت اخباره بالشيعة الذين بالعراق فساروا اليه فكثر جمعهم وعظم بأسهم واغاروا على من جاورهم وسبوا وجبوا الاموال وارسل الى من بالكوفة من ولد عبد الله القداح هدايا عظيمة وكانوا أنفذوا الى المغرب رجلين احدهما يعرف بالحلوانى والآخر يعرف بابى سفيان وقالوا لهما ان المغرب ارض بور فاذهبا فاحرثا حتى يجىء صاحب البذر فسارا فنزل احدهما بارض كتامة ببلد يسمى مرمجنة والآخر بسوق حمار فمالت قلوب أهل تلك النواحى اليهما وحملوا اليهما الاموال والتحف فاقاما سنين كثيرة وماتا وكان احدهما قريب الوفاة من الآخر

(ذكر ارسال أبى عبد الله الشيعى الى المغرب)

كان أبو عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا الشيعى من اهل صنعاء وقد سار الى ابن حوشب النجار وصحبه بعدن وصار من كبار اصحابه وكان له علم وفهم ودهاء ومكر فلما أتى خبر وفاة الحلوانى وأبى سفيان الى ابن حوشب قال لابى عبد الله الشيعى ان أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلوانى وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فانها موطأة ممهدة لك فخرج أبو عبد الله الى مكة واعطاه ابن حوشب مالا وسير معه عبد الله بن أبى ملاحف فلما قدم أبو عبد الله مكة سأل عن حجاج كتامة فارشد اليهم فاجتمع بهم ولم يعرفهم قصده وجلس قريبا منهم فسمعهم يتحدثون بفضائل اهل البيت فاظهر استحسان ذلك وحدثهم بما لم يعلموه فلما أراد القيام سألوه ان يأذن لهم فى زيارته والانبساط معه فاذن لهم فى ذلك فسألوه اين مقصدك فقال أريد مصر ففرحوا بصحبته وكان من رؤساء الكتاميين بمكة رجل اسمه حريث الجيلى وآخر اسمه موسى بن مكاد فرحلوا وهو لا يخبرهم بغرضه وأظهر لهم العبادة والزهد فازدادوا فيه رغبة وخدموه وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم وعن طاعتهم لسلطان افريقية فقالوا ماله علينا طاعة وبيننا وبينه عشرة أيام قال أفتحملون السلاح قالوا هو شغلنا ولم يزل يتعرف أحوالهم حتى وصلوا الى مصر فلما أراد وداعهم قالوا له أى شىء تطلب بمصر قال اطلب التعليم بها قالوا اذا كنت تقصد هذا فبلادنا أنفع لك ونحن أعرف بحقك ولم يزالوا به حتى أجابهم الى المسير معهم بعد الخضوع والسؤال فسار معهم فلما

اتصل بمحمد بن على ثم بابراهيم بن محمد الامام فانفذه ابراهيم الى خراسان وأمر أهل الدعوة بطاعته والانقياد الى أمره ورأيه فقوى أمره وظهر سلطانه وأظهر السواد وصار زينة فى اللباس والاعلام والبنود وكان أوّل من سوّد من أهل خراسان وأهل بساند وأظهر ذلك فيهم أسيد بن عبد الله ثم نمى ذلك فى الاكثر من المدن والكور بخراسان وقوى أمر أبى مسلم وضعف أمر نصر بن سيار صاحب مروان بن محمد الجعدى على بلاد خراسان وكانت له مع أبى مسلم حروب أكثر فيها أبو مسلم الحيل والمكايد من تفريقه بين اليمانية والنزارية بخراسان وغير ذلك مما احتال به على عدوه وقد كان لنصر بن سيار حروب كثيرة مع الكرمانى الى ان قتل أتينا على ذكرها فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا بدء اخبار الكرمانى جديع بن على وما كان بينه وبين سالم بن أحوز صاحب نصر بن سيار وما كان من أمر خالد بن برمك وقحطبة ابن شبيب وغيرهما من الدعاة والمقيمين بخراسان للدعوة العباسية كسليمان بن كثير وأبى داود خالد بن ابراهيم ونظرائهم وما كان من شعارهم عند اظهار الدعوة وندائهم حين الحروب محمد يا منصور والسبب الذى له ومن أجله أظهروا استعمال السواد دون

قاربوا

فاربوا بلادهم لقيهم رجال من الشيعة فاخبروهم بخبره فرغبوا فى نزوله عندهم واقترعوا فيمن يضيفه منهم ثم رحلوا حتى وصلوا الى ارض كتامة منتصف شهر ربيع الاول سنة ثمانين ومائتين فسأله قوم منهم ان ينزل عندهم حتى يقاتلوا دونه فقال لهم أين يكون فج الاخيار فتعجبوا من ذلك ولم يكونوا ذكروه له فقالوا له عند بنى سليمان فقال اليه نقصد ثم نأتى كل قوم منكم فى ديارهم ونزورهم فى بيوتهم فارضى بذلك الجميع وسار الى جبل يقال له انكجان وفيه فج الاخيار فقال هذا فج الاخيار وما سمى الا بكم ولقد جاء فى الآثار للمهدى هجرة تنبو عن الاوطان ينصره فيها الاخيار من أهل ذلك الزمان قوم مشتق اسمهم من الكتمان فانهم كتامة وبخروجكم من هذا الفج يسمى فج الاخيار فتسامعت القبائل وصنع من الحيل والمكيدات والنارنجيات ما أذهل عقولهم وأتاه البربر من كل مكان وعظم أمره الى ان تقاتلت كتامة عليه مع قبائل البربر وسلم من القتل مرارا وهو فى كل ذلك لا يذكر اسم المهدى فاجتمع أهل العلم على مناظرته وقتله فلم يتركه الكتاميون يناظرهم وكان اسمه عندهم أبا عبد الله المشرقى وبلغ خبره الى ابراهيم ابن أحمد بن الاغلب أمير افريقية فارسل الى عامله على مدينة ميلة يسأله عن أمره فصغره وذكر له انه يلبس الخشن ويأمر بالخير والعبادة فسكت عنه ثم انه قال للكتاميين أنا صاحب البذر الذى ذكر لكم أبو سفيان والحلوانى فازدادت محبتهم له وتعظيمهم لامره وتفرقت كلمة البربر وكتامة بسببه فاراد بعضهم قتله فاختفى ووقع بينهم قتال شديد واتصل الخبر بانسان اسمه الحسن بن هرون وهو من أكابر كتامة فأخذ أبا عبد الله اليه ودافع عنه ومضيا الى مدينة ناصرون فاتته القبائل من كل مكان وعظم شانه وصارت الرياسة للحسن بن هرون وسلم اليه أبو عبد الله أعنة الخيل وظهر من الاستتار وشهر الحروب فكان الظفر له فيها وغنم الاموال وانتقل الى مدينة ناصرون وخندق عليها فزحفت قبائل البربر اليها واقتتلوا ثم اصطلحوا ثم أعادوا القتال وكان بينهم وقائع كثيرة ظفر بهم وصارت اليه أموالهم فاستقام له أمر البربر وعامة كتامة

﴿ذكر ملكه مدينة ميلة وانهزامه﴾

فلما تم لابى عبد الله ذلك زحف الى مدينة ميلة فجاءه منها رجل اسمه الحسن بن أحمد فاطلعه على غرة البلد فقاتل أهله قتالا شديدا وأخذ الارباض فطلبوا منه الامان فامنهم ودخل مدينة ميلة وبلغ الخبر أمير افريقية وهو حينئذ ابراهيم بن أحمد فنفذ ولده الاحول فى اثنى عشر ألفا وتبعه مثلهم فالتقيا فاقتتل العسكران فانهزم أبو عبد الله وكثر القتل فى أصحابه وتبعه الاحول وسقط ثلج عظيم حال بينهم وسار أبو عبد الله الى جبل انكجان فوصل الاحول الى مدينة ناصرون فاحرقها وأحرق مدينة ميلة ولم يجد بها أحدا وبنى أبو عبد الله بانكجان دار هجرة فقصده أصحابه وعاد الاحول الى افريقية فسار أبو عبد الله بعد رحيلهم فغنم ما رأى مما تخلف عنهم وأتاه خبر وفاة ابراهيم فسر به ثم أتاه خبر قتل أبى العباس ولده وولاية زيادة الله واشتغاله باللهو واللعب فاشتد سروره وكان الاحول قد جمع جيشا كثيرا أيام أخيه أبى العباس ولقى أبا عبد الله فانهزم الاحول وبقى الاحول قريبا منه يقاتله ويمنعه من التقدم فلما ولى أبو مضر زيادة الله افريقية أحضر الاحول وقتله كما ذكرناه ولم يكن أحول وانما كان يكسر عينه اذا أدام النظر فلقب به فلما قتل انتشرت حينئذ جيوش أبى عبد الله فى البلاد وصار أبو عبد الله يقول المهدى يخرج فى هذه الايام ويملك الارض فيا طوبى لمن هاجر الى وأطاعنى ويغرى الناس بابى مضر ويعيبه وكان كل من عند زيادة الله من الوزراء شيعة فلا يسوءهم ان يظفر أبو عبد الله لا سيما مع ما كان يذكر

سائر الالوان وطالت مكاتبة نصر بن سيار مروان واعلامه بما هو فيه واظهار أمر العباسية وتزايده فى كل وقت فكان فيما كتب به اليه اعلامه بحال أبى مسلم وحال من معه وأنه كشف عن أمره وبحث عن حاله فوجده يدعو الى ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس وضمن كتابه أبياتا من الشعر وهى

اری بين الرماد وميض جمر
ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى
وان الحرب أولها الكلام
فان لم تطفئوها تجن حربا
مشمرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعرى
أأيقاظ أمية أم نيام
فان يك قومنا أضحوا نياما
فقل قوموا فقد حان القيام
ففرى عن رحالك ثم قولى
على الاسلام والعرب السلام

فلما ورد الكتاب على مروان وجده مشتغلا بحروب الخوارج بالجزيرة وغيرها وما كان من خبره فى حروبه مع الضحاك بن قيس الحرورى حتى قتله مروان بعد وقائع كثيرة بين كفرتوثى ورأس العين وكان الضحاك خرج من بلاد شهرزور ونصبت الخوارج بعد قتل الضحاك عليهم الحرى الشيبانى فلما قتل الحرى ولت الخوارج عليها أبا الذلفاء شيبان الشيبانى وما كان من حروب مروان مع نعيم بن ثابت الجذامى وكان خرج عليه ببلاد طبرية والاردن من بلاد الشام حتى قتلهم

لهم من الكرامات التي للمهدي من احياء الموتى ورد الشمس من مغربها وملكه الارض باسرها وأبو عبد الله يرسل اليهم ويحضرهم ويعدهم

﴿ ذكر سبب اتصال المهدي عبيد الله بابي عبد الله الشيعي ومسيره الى سجلماسة ﴾

لما توفي عبد الله بن ميمون القداح ادعى ولده انهم من ولد عقيل بن أبي طالب وهم مع هذا يسترون ويسرون أمرهم ويخفون أشخاصهم وكان ولده أحمد هو المشار اليه منهم فتوفي وخلف ولده محمدا وكان هو الذي يكاتبه الدعاة في البلاد وتوفي محمد وخلف أحمد والحسين فسار الحسين الى سلمية من أرض حمص وله ودائع وأموال من ودائع جده عبد الله القداح ووكلاء وغلمان وبقي ببغداد من أولاد القداح أبو الشلعلع وكان الحسين يدعي أنه الوصي وصاحب الامر والدعاة باليمن والمغرب يكاتبونه ويراسلونه واتفق انه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد مات عنها زوجها وهي في غاية الحسن فتزوجها ولها ولد من الحداد يماثلها في الجمال فاحبها وحسن موقعها معه وأحب ولدها وأدبه وعلمه فتعلم العلم وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول ان الامام الذي كان بسلمية وهو الحسين مات ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي الحداد وهو عبيد الله وعرفه اسرار الدعوة من قول وفعل وأين الدعاة واعطاه الاموال والعلامات وتقدم الى أصحابه بطاعته وخدمته وانه الامام والوصي وزوجه ابنة عمه أبي الشلعلع وهذا قول أبي القاسم الابيض العلوي وغيره وجعل لنفسه نسبا وهو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب وبعض الناس يقولون وهم قليل ان عبيد الله هذا من ولد القداح وهذه الاقوال فيها ما فيها فيا ليت شعري ما الذي حمل أبا عبد الله الشيعي وغيره ممن قام في اظهار هذه الدعوة حتى يخرجوا هذا الامر من أنفسهم ويسلموه الى ولد يهودي وهل يسامح نفسه بهذا الامر من يعتقده دينا يثاب عليه قال ولما عهد الحسين الى عبيد الله قال له انك ستهاجر بعدي هجرة بعيدة وتلقى محنا شديدة فتوفي الحسين وقام بعده عبيد الله وانتشرت دعوته وبذل الاموال خلاف ما تقدم وأرسل اليه أبو عبد الله رجالا من كتامة من المغرب ليخبروه بما فتح الله عليه وانهم ينتظرونه وشاع خبره عند الناس أيام المكتفي فطلب فهرب هو وولده أبو القاسم نزار الذي ولي بعده وتلقب بالقائم وهو يومئذ غلام وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب وذلك أيام زيادة الله فلما انتهى الى مصر أقام مستترا بزي التجار وكان عامل مصر حينئذ عيسى النوشري فأتته الكتب من الخليفة بصفته وحليته وأمر بالقبض عليه وعلى كل من يشبهه وكان بعض خاصة عيسى متشيعا فاخبر المهدي وأشار عليه بالانصراف فخرج من مصر مع أصحابه ومعه أموال كثيرة فأوسع النفقة على من صحبه فلما وصل الكتاب الى النوشري فرق الرسل في طلب المهدي وخرج بنفسه فلحقه فلما رآه لم يشك فيه فقبض عليه ونزل ببستان ووكل به فلما حضر الطعام دعاه ليأكل فاعلمه أنه صائم فرق له وقال له أعلمني بحقيقة حالك حتى أطلقك فخوفه بالله تعالى وأنكر حاله ولم يزل يخوفه ويتلطفه فاطلقه وخلى سبيله وأراد أن يرسل معه من يوصله الى رفقته فقال لا حاجة في ذلك ودعا له وقيل انه أعطاه في الباطن مالا حتى اطلقه فرجع بعض أصحاب النوشري عليه باللوم فندم على اطلاقه وأراد ارسال الجيش وراءه ليردوه وكان المهدي لما لحق بأصحابه رأى ابنه أبا القاسم قد ضيع كلبا كان له يصيد به وهو يبكي عليه فعرفه عبيده انهم تركوه في البستان الذي كانوا فيه فرجع المهدي بسبب الكلب حتى دخل البستان ومعه عبيده فرآهم النوشري فسأل عنهم فقيل انه

مروان وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائة فلم يدر مروان كيف يصنع في أمر نصر بن سيار وخراسان وانحيازه لما هو فيه من الحروب والفتن فكتب اليه مروان مجيبا عن كتابه ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فاحسم الثؤلول قبلك فلما ورد الكتاب على نصر قال لخواص أصحابه أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده وأقام مروان أكثر أيامه لا يدنو من النساء الى أن قتل وبرزت له جارية من جواريه فقال لها والله لا دنوت منك ولا حللت لك عقدة وخراسان ترجف وتضطرم بنصر بن سيار وأبو مجرم قد أخذ منه بالمخنق وكان مع ما هو فيه يديم قراءة سير الملوك وأخبارها في حروبها من الفرس وغيرها من ملوك الامم وعذله بعض أوليائه ممن كان يأنس اليه في ترك النساء والطيب وغير ذلك من اللذات فقال له مروان يمنعني منهن ما منع أمير المؤمنين عبد الملك فقال له الرجل وما ذاك يا أمير المؤمنين قال حمل صاحب افريقية اليه جارية ذات بهاء وكمال تامة المحاسن شهية للمتأمل فلما وقفت بين يديه تأمل حسنها وبيده كتاب ورد من الحجاج وهو يدير الجماجم مواقعا لابن الاشعث فرمى بالكتاب عن يده وقال لها أنت والله منية النفس فقالت الجارية ما يمنعك يا أمير المؤمنين اذ كنت

فلان وقد عاد بسبب كذا وكذا فقال النوشري لاصحابه قبحكم الله اردتم ان تحملوني على قتل هذا حتى آخذه فلو كان يطلب ما يقال أو كان مريبا لكان يطوي المراحل ويخفي نفسه ولا كان رجع في طلب كلب وتركه وجدّ المهدي في الهرب فلحقه لصوص بموضع يقال له الطاحونة فاخذوا بعض متاعه وكانت عنده كتب وملاحم لا بائه فاخذت فعظم أمرها عليه فيقال انه لما خرج ابنه أبو القاسم في المرة الاولى الى الديار المصرية اخذها من ذلك المكان وانتهى المهدي وولده الى مدينة طرابلس وتفرق من صحبه من التجار وكان في صحبته أبو العباس أخو أبي عبد الله الشيعي فقدمه المهدي الى القيروان ببعض ما معه وأمره ان يلحق بكتامة فلما وصل أبو العباس الى القيروان وجد الخبر قد سبقه الى زيادة الله بخبر المهدي فسأل عنه رفقته فاخبروا انه تخلف بطرابلس وان صاحبه أبا العباس بالقيروان فاخذ أبو العباس وقرر فانكر وقال انما أنا رجل تاجر صحبت رجلا في القفل فحبسه وسمع المهدي فسار الى قسطيلة ووصل كتاب زيادة الله الى عامل طرابلس باخذه وكان المهدي قد أهدى له واجتمع به فكتب العامل يخبره أنه قد سار ولم يدركه فلما وصل المهدي الى قسطيلة ترك قصد أبي عبد الله الشيعي لان أخاه أبا العباس كان قد أخذ فعلم انه اذ قصد أخاه تحققوا الامر وقتلوه فتركه وسار الى سجلماسة ولما سار من قسطيلة وصل الرسل في طلبه فلم يوجد ووصل الى سجلماسة فاقام بها وفي كل ذلك عليه العيون في طريقه وكان صاحب سجلماسة رجلا يسمى اليسع بن مدرار فاهدى له المهدي وواصله فقربه اليسع وأحبه فاتاه كتاب زيادة الله يعرفه أنه الرجل الذي يدعو اليه أبو عبد الله الشيعي فقبض عليه وحبسه فلم يزل محبوسا حتى أخرجه أبو عبد الله على ما نذكره

﴿ ذكر استيلاء أبي عبد الله على افريقية وهرب زيادة الله أميرها ﴾

قد ذكرنا من حال أبي عبد الله ما تقدم ثم ان زيادة الله لما رأى استيلاء أبي عبد الله على البلاد وانه قد فتح مدينة ميلة ومدينة سطيف وغيرهما أخذ في جمع العساكر وبذل الاموال فاجتمعت اليه عساكر عظيمة فقدم عليهم ابراهيم بن خنيش وهو من اقاربه وكان لا يعرف الحرب فبلغت عدة جيشه أربعين ألفا وسلم اليه الاموال والعدد ولم يترك بافريقية شجاعا الا أخرجه معه وسار اليه فانضاف اليه مثل جيشه فلما وصل قسطينة الهواء وهي مدينة قديمة حصينة نزل بها واتاه كثير من كتامة الذين لم يطيعوا أبا عبد الله فقتل في طريقه كثيرا من أصحاب أبي عبد الله وخاف أبو عبد الله منه وجميع كتامة وأقام بقسطينة ستة أشهر وأبو عبد الله متحصن في الجبل فلما رأى ابراهيم ان أبا عبد الله لا يتقدم اليه بادر وزحف بالعساكر المجتمعة الى بلد اسمه كرمة فاخرج اليه أبو عبد الله خيلا اختارها ليختبر نزوله فوافاها بالموضع المذكور فلما رأى ابراهيم الخيل قصد اليها بنفسه ولم يصحبه اليها أحد من جيشه وكانت أثقال العسكر على ظهور الدواب لم تحط ونشبت الحرب واقتتلوا قتالا شديدا واتصل الخبر بأبي عبد الله فزحف بالعساكر فوقعت الهزيمة على ابراهيم ومن معه فجرح وعقر فرسه وتمت الهزيمة على الجيش جميعه وأسلموا الاثقال باسرها فغنمها أبو عبد الله وقتل منهم خلقا كثيرا وتم أمر ابراهيم الى القيروان فشاشت بلاد افريقية وعظم أمر أبي عبد الله واستقرت دولته وكتب أبو عبد الله كتابا الى المهدي وهو في سجن سجلماسة يبشره وسير الكتاب مع بعض ثقاته فدخل السجن في زي قصاب يبيع اللحم فاجتمع به وعرفه ذلك وسار أبو عبد الله الى مدينة طبنة فحصرها ونصب عليها الدبابات ونقب برجا وبدنة فسقط السور بعد قتال شديد وملك البلد فاحتمى المقدمون بحصن البلد فحصرهم فطلبوا الامان فامنهم وأمن أهل البلد وسار الى

كانت باطهار
أألتذ بالعيش وابن الاشعث مصاف لابي محمد وقد هلكت زعماء العرب لا ها الله اذا ثم أمر بصبيانها فلما قتل ابن الاشعث كانت أول جارية خلابها ولما يئس نصر بن سيار من انجاد مروان كتب الى يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزاري عامل مروان على العراق يستمده ويسأله النصرة على عدوه وضمن كتابه أبياتا من الشعر وهي
ابلغ يزيد وخير القول أصدقه
وقد تبينت أن لا خير في الكذب
بأن أرض خراسان رأيت بها
بيضا لو افرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين الا أنها كبرت
لما يطرن وقد سربلن بالزغب
فان يطرن ولم يحتل لهن بها
يلهبن نيران حرب أيما لهب
فلم يجبه يزيد بن عمرو عن كتابه وتشاغل بدفع فتن العراق ودخلت خوارج اليمن مكة والمدينة وعليهم أبو حمزة المختار بن عوف الازدي وبلج بن عقبة الازدي وهما فيمن معهما يدعون الى عبد الله بن يحيى

مدينـة بلزمة وكان قد حصرها مرارا كثيرة فلم يظفر بها فلما حصرها الآن ضيق عليها وجد في القتال ونصب عليها الدبابات ورماها بالنار فاحرقها وفتحها بالسيف وقتل الرجال وهدم الاسوار واتصلت الاخبار بزيادة الله فعظم عليه وأخذ في الجمع والحشد فجمع عسكرا عدتهم اثنا عشر ألفا وأمر عليهم هرون بن الطبني فسار واجتمع معه خلق كثير وقصد مدينة دار ملوك وكان أهلها قد أطاعوا أبا عبد الله فقتل هرون أهلها وهدم الحصن ولقيه في طريقه خيل لابي عبد الله كان قد أرسلها ليختبروا عسكره فلما رآها العسكر اضطربوا وصاحوا صيحة عظيمة وهربوا من غير قتال وظن أصحاب أبي عبد الله أنها مكيدة فلما ظهر أنها هزيمة استدركوا الامر ووضعوا السيف فما يحصى من قتلوا وقتل هرون أمير العسكر وفتح أبو عبد الله مدينة تيجس صلحا فاشتد الامر حينئذ على زيادة الله وأخرج الاموال وجيش الجيوش وخرج بنفسه الى محاربة أبي عبد الله فوصل الى الاربس في سنة خمس وتسعين ومائتين فقال له وجوه دولته انك تغرر بنفسك فان يكن عليك لا يبقى لنا ملجأ والرأي ان ترجع الى مستقر ملكك وترسل الجيش مع من تثق اليه فان كان الفتح لنا فيصل اليك وان كان غير ذلك فتكون ملجأ لنا ورجع ففعل ذلك وسير الجيش وقدم عليه رجلا من بني عمه يقال له ابراهيم بن أبي الاغلب وكان شجاعا وبلغ أبا عبد الله الخبر وكان أهل باغاية قد كاتبوه بالطاعة فسار اليهم فلما قرب منها هرب عاملها الى الاربس فدخلها أبو عبد الله وترك بها جندا وعاد الى انكجان ووصل الخبر الى زيادة الله فزاده غما وحزنا فقال له انسان كان يضحكه يا مولانا لقد عملت شعرا فغني تجعل من لحنه وتشرب عليه واترك هذا الحزن فقال ما هو فقال المضحك للمغنين غنوا شعر كذا وقولوا بعد فراغ كل بيت اشرب واسقينا * من القرن يكفينا فلما غنوا طرب زيادة الله وشرب وانهمك في الاكل والشرب والشهوات فلما رأى ذلك أصحابه ساعدوه على مراده ثم ان أبا عبد الله أخرج خيلا الى مدينة مجانة فافتتحها عنوة وقتل عاملها وسير عسكرا آخر الى مدينة تيفاش فملكها وأمن أهلها وقصد جماعة من رؤساء القبائل أبا عبد الله يطلبون منه الامان فأمنهم وسار بنفسه الى مسكيانة ثم الى تبسة ثم لى مدبرة فوجد فيها أهل قصر الافريقي ومدينة مرمجنة ومدينة مجانة واخلاطا من الناس قد التجؤا اليها وتحصنوا فيها وهي حصينة فنزل عليها وقاتلها فاصابه علة الحمى وكانت تعتاده فشغل بنفسه وطلب أهلها الامان فامنهم بعض أهل العسكر فنقضوا الحصن فدخلها العسكر ووضعوا السيف وانتهبوا وبلغ ذلك أبا عبد الله فعظم عليه ورحل فنزل على القصرين من قودة وطلب أهلها الامان فامنهم وبلغ ابراهيم بن أبي الاغلب أمير الجيش الذي سيره زيادة الله ان أبا عبد الله يريد ان يقصد زيادة الله برقادة ولم يكن مع زيادة الله كبير عسكر فخرج من الاربس ونزل دردمين وسير أبو عبد الله سرية الى دردمين فجرى بينها وبين أصحاب زيادة الله قتال فقتل من أصحاب أبي عبد الله جماعة وانهزم الباقون واستبطأ أبو عبد الله خبرهم فسار في جميع عساكره فلقي أصحابه منهزمين فلما رأوه قويت قلوبهم ورجعوا وكروا على أصحاب ابراهيم وقتلوا منهم جماعة وحجز الليل بينهم ثم سار أبو عبد الله الى قسطيلة فحصرها وقاتله أهلها ثم طلبوا الامان فأمنهم وأخذ ما كان لزيادة الله فيها من الاموال والعدد ورحل الى قفصة فطلب أهلها الامان فامنهم ورجع الى باغاية وترك بها جيشا وعاد الى جبل انكجان فسار ابراهيم بن أبي الاغلب في جيشه الى باغاية وحصرها فبلغ الخبر أبا عبد الله فجمع عسكره وسار مجدا اليها ووجه اثني عشر ألف فارس وأمر مقدمهم ان يسير الى باغاية فان كان ابراهيم قد رحل عنها فلا يتبعه وزحف العسكر فمضى الجيش وكان أصحاب أبي عبد الله الذين في باغاية

في سنة تسع وعشرين ومائة وفي سنة ثلاثين ومائة جهز مروان بن محمد جيشا مع عبد الملك بن محمد ابن عطية السعدي فلقي الخوارج بوادي القرى فقتل بلج وفر أبو حمزة وأكثر من كان معه من الخوارج وسار عبد الملك في جيش مروان من أهل الشام يريد اليمن وخرج عبد الله ابن يحيى الكندي الخارجي من صنعاء فالتقوا بناحية الطائف وأرض جرش وكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله بن يحيى وأكثر من كان معه من الاباضية ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت فأكثرها أباضية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج في هذا الوقت وسار عبد الملك في جيش مروان فنزل صنعاء وذلك سنة ثلاثين ومائة وقد كان سليمان بن هشام بن عبد الملك اتصل بالخوارج بالجزيرة خوفا من مروان واحتوى عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر على بلاد اصطخر وغيرها من أرض فارس الى أن رفع عنها وصار الى خراسان فقبض عليه أبو مسلم وقد ذكرنا من يقول بامامته وينقاد الى دعوته في كتابنا المقالات في أصول الديانات في باب تفرق الشيعة ومذاهبهم وقوي أمر أبي مسلم وغلب على أكثر خراسان وضعف نصر بن

قد

قد قاتلوا عسكر ابراهيم قتالا شديدا فلما رأى صبرهم عجب هو وأصحابه منهم فارعب ذلك قلوبهم ثم بلغهم قرب العسكر منهم فعاد ابراهيم بعساكره فوصل عسكر أبى عبد الله فلم يروا أحدا فنهبوا ماوجدوا وعادوا ورجع ابراهيم الى الاربس ولما دخل فصل الربيع وطاب الزمان جمع أبو عبد الله عساكره فبلغت مائتى ألف فارس وراجل واجتمع من عساكر زيادة الله بالاربس مع ابراهيم مالا يحصى وسار أبو عبد الله أول جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين فالتقوا واقتتلوا أشد قتال وطال زمانه وظهر أصحاب زيادة الله فلما رأى ذلك أبو عبد الله اختار من أصحابه ستمائة رجل وأمر أصحابه ان يأتوا عسكر زيادة الله من خلفهم فمضوا لما أمرهم فى الطريق الذى أمرهم بسلوكه واتفق أن ابراهيم فعل مثل ذلك فالتقى الطائفتان فاقتتلوا فى مضيق هنالك فانهزم أصحاب ابراهيم ووقع الصوت فى عسكره بكمين أبى عبد الله وانهزموا وتفرقوا وهرب كل قوم الى جهة بلادهم وهرب ابراهيم وبعض من معه الى القيروان وتبعهم أصحاب أبى عبد الله يقتلون ويأسرون وغنموا الاموال والخيل والعدد ودخل أصحابه مدينة الاربس فقتلوا بها خلقا عظيما ودخل كثير من أهلها الجامع فقتل فيه أكثر من ثلاثة آلاف ونهبوا البلد وكانت الوقعة أواخر جمادى الآخرة وانصرف أبو عبد الله الى قودة فلما وصل خبر الهزيمة الى زيادة الله هرب الى الديار المصرية وكان من أمره ما تقدم ذكره ولما هرب زيادة الله هرب أهل مدينة رقادة على وجوههم فى الليل الى القصر القديم والى القيروان وسوسة ودخل أهل القيروان رقادة ونهبوا ما فيها وأخذ القوى الضعيف ونهبت قصور بنى الاغلب وبقى النهب ستة أيام ووصل ابراهيم بن أبى الاغلب الى القيروان فقصد قصر الامارة واجتمع اليه أهل القيروان ونادى مناديه بالامان وتسكين الناس وذكر لهم أحوال زيادة الله وما كان عليه حتى أفسد ملكه وصغر أمر أبى عبد الله الشيعى ووعدهم أن يقاتل عنهم ويحمى حريمهم وبلدهم وطلب منهم المساعدة بالسمع والطاعة والاموال فقالوا انما نحن فقهاء وعامة وتجار وما فى أموالنا ما يبلغ غرضك وليس لنا بالقتال طاقة فأمرهم بالانصراف فلما خرجوا من عنده وأعلموا الناس بما قاله صاحوا به اخرج عنا فمالك عندنا سمع ولا طاعة وشتموه فخرج عنهم وهم يرجمونه ولما بلغ أبا عبد الله هرب زيادة الله كان بناحية سبيبة ورحل فنزل بوادى النمل وقدم بين يديه عروبة بن يوسف وحسن بن أبى خنزير فى ألف فارس الى رقادة فوجدوا الناس ينهبون ما بقى من الامتعة والاثاث فامنوهم ولم يتعرضوا لاحد وتركوا لكل واحد ما حمله فأتى الناس الى القيروان فاخبروه الخبر ففرح أهلها وخرج الفقهاء ووجوه البلد الى لقاء أبى عبد الله فلقوه وسلموا عليه وهنوه بالفتح فرد عليهم ردا حسنا وحدثهم وأعطاهم الامان فاعجبهم ذلك وسرهم وذموا زيادة الله وذكروا مساويه فقال لهم ما كان الا قويا وله منعة ودولة شامخة وما قصر فى مدافعته ولكن أمر الله لا يعاند ولا يدافع فأمسكوا عن الكلام ورجعوا الى القيروان ودخل رقادة يوم السبت مستهل رجب من سنة ست وتسعين ومائتين فنزل ببعض قصورها وفرق دورها على كتامة ولم يكن بقى أحد من أهلها فيها وأمر فنودى بالامان فرجع الناس الى أوطانهم وأخرج العمال الى البلاد وطلب أهل الشر فقتلهم وأمر أن يجمع ما كان لزيادة الله من الاموال والسلاح وغير ذلك فاجتمع كثير منه وفيه كثير من الجوارى لهن مقدار وحظ من الجمال فسأل عمن كان يكفلهن فذكر له امرأة صالحة كانت لزيادة الله فاحضرها وأحسن اليها وأمرها بحفظهن وأمر لهن بما يصلحهن ولم ينظر الى واحدة منهن ولما حضرت الجمعة أمر الخطباء بالقيروان ورقادة فخطبوا ولم يذكروا أحدا وأمر بضرب السكة

سيار من عدم النجدة فخرج عن خراسان حتى أتى الرى وخرج عنها فنزل ساوة بين بلاد همدان والرى فمات بها كمدا وكان نصر ابن سيار لما صار بين الرى وخراسان كتب كتابا الى مروان يذكر فيه خروجه عن خراسان وأن هذا الامر الذى أزعجه سينمو حتى يملأ البلاد وضمن ذلك أبياتا من الشعر وهى

انا وما نكتم من أمرنا
كالثور اذ قرب للناخع
أو كالتى يحسبها أهلها
عذراء بكرا وهى فى التاسع
كنا نرفيها فقد مزقت
واتسع الخرق على الراقع
كالثوب اذ أنهج فيه البلى
أعيى على ذى الحيلة الصانع

فلم يستتم مروان قراءة هذا الكتاب حتى مثل أصحابه بين يديه ممن كان قد وكل بالطرق رسولا من خراسان من أبى مسلم الى ابراهيم بن محمد الامام يخبره فيه خبره وما آل اليه أمره فلما تأمل مروان كتاب أبى مسلم قال للرسول لا ترع كم دفع لك صاحبك قال كذا وكذا قال فهذه عشرة آلاف درهم لك وانما دفع اليك شيأ يسيرا وامض بهذا الكتاب الى ابراهيم ولا تعلمه بشئ مما جرى وخذ جوابه فائتنى به ففعل الرسول ذلك فتأمل مروان جواب ابراهيم الى أبى مسلم بخطه يأمره فيه بالجد والاجتهاد والحيلة على عدوه وغير ذلك من أمره ونهيه فاحتبس مروان الرسول وكتب الى الوليد بن معاوية بن عبد

وان لا ينقش عليها اسم ولكنه جعل مكان الاسم من وجه بلغت حجة الله ومن الوجه الآخر تفرق اعداء الله ونقش على السلاح عدة في سبيل الله ووسم الخيل على افخاذها الملك لله وأقام على ما كان عليه من لبس الدون الخشن والقليل من الطعام الغليظ

﴿ذكر مسير أبي عبد الله الى سجلماسة وظهور المهدي﴾

لما استقرت الامور لابي عبد الله في رقادة وسائر بلاد افريقية أتاه أخوه أبو العباس محمد ففرح به وكان هو الكبير فسار أبو عبد الله في رمضان من السنة من رقادة واستخلف على افريقية أخاه ابا العباس وابازاكي وسار في جيوش عظيمة فاهتز المغرب لخروجه وخافته زناتة وزالت القبائل عن طريقه وجاءته رسلهم ودخلوا في طاعته فلما قرب من سجلماسة وانتهى خبره الى اليسع بن مدرار أمير سجلماسة أرسل الى المهدي وهو في حبسه على ماذكرناه يسأله عن نسبه وحاله وهل اليه قصد أبو عبد الله فحلف له المهدي أنه ما رأى أبا عبد الله ولا عرفه وانما أنا رجل تاجر فاعتقله في دار وحده وكذلك فعل بولده أبي القاسم وجعل عليهما الحرس وقرر ولده أيضا فما مال عن كلام أبيه وقرر رجالا كانوا معه وضربهم فلم يقروا بشئ وسمع أبو عبد الله ذلك فشق عليه فارسل الى اليسع يتلطفه وانه لم يقصد الحرب وانما له حاجة مهمة عنده ووعده الجميل فرمى الكتاب وقتل الرسل فعاوده بالملاطفة خوفا على المهدي ولم يذكره له فقتل الرسول أيضا فاسرع أبو عبد الله في السير ونزل عليه فخرج اليه اليسع وقاتله يومه ذلك وافترقوا فلما جنهم الليل هرب اليسع وأصحابه من أهله وبني عمه وبات أبو عبد الله ومن معه في غم عظيم لا يعلمون ما صنع بالمهدي وولده فلما أصبح خرج اليه أهل البلاد وأعلموه بهرب اليسع فدخل هو وأصحابه البلد وأتوا المكان الذي فيه المهدي فاستخرجه واستخرج ولده فكانت في الناس مسرة عظيمة كادت تذهب بعقولهم فاركبهما ومشى هو ورؤساء القبائل بين ايديهما وأبو عبد الله يقول للناس هذا مولاكم وهو يبكي من شدة الفرح حتى وصل الى فسطاط قد ضرب له فنزل فيه وأمر بطلب اليسع فطلب فادرك فاخذ وضرب بالسياط ثم قتل فلما ظهر المهدي اقام بسجلماسة أربعين يوما وسار الى افريقية وأحضر الاموال من انكجان فجعلها احمالا وأخذها معه ووصل الى رقادة العشر الاخير من ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين ومائتين وزال ملك بني الاغلب وملك بني مدرار الذين منهم اليسع وكان لهم ثلاثون ومائة سنة منفردين بسجلماسة وزال ملك بني رستم من تاهرت ولهم ستون ومائة سنة تفردوا بتاهرت وملك المهدي جميع ذلك فلما قرب من رقادة تلقاه اهلها وأهل القيروان وأبو عبد الله ورؤساء كتامة مشاة بين يديه وولده خلفه فسلموا عليه فرد جميلا وأمرهم بالانصراف ونزل بقصر من قصور رقادة وأمر يوم الجمعة بذكر اسمه في الخطبة في البلاد وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين وجلس بعد الجمعة رجل يعرف بالشريف ومعه الدعاة واحضروا الناس بالعنف والشدة ودعوهم الى مذهبهم فمن أجاب أحسن اليه ومن أبى حبس فلم يدخل في مذهبهم الا بعض الناس وهم قليل وقتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم وعرض عليه أبو عبد الله جواري زيادة الله فاختار منهن كثيرا لنفسه ولولده أيضا وفرق ما بقي على وجوه كتامة وقسم عليهم اعمال افريقية ودوّن الدواوين وجبى الاموال واستقرت قدمه ودانت له أهل البلاد واستعمل العمال عليها جميعها فاستعمل على جزيرة صقلية الحسن بن أحمد بن أبي خنزير فوصل الى مازر عاشر ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومائتين فولى أخاه على جرجنت وجعل قاضيا بصقلية اسحق بن المنهال وهو أول قاض تولى بها للمهدي العلوي وبقي ابن أبي خنزير الى سنة ثمان وتسعين

الملك وهو على دمشق يأمره أن يكتب الى عامل البلقاء فيسير الى القرية المعروفة بالكداد والحميمة ليأخذ ابراهيم بن محمد فيشده وثاقا ويبعث به اليه في خيل كثيفة فوجه الوليد الى عامل البلقاء وهو جالس في مسجد القرية فأخذوه ملففا وحمل الى الوليد فحمله الى مروان فحبسه في السجن شهرين وقد كان جرى بين ابراهيم ومروان خطب طويل حين سأل ابراهيم وانكر كل ماذكره له مروان من أمر أبي مسلم فقال له مروان يا منافق أليس هذا كتابك الى أبي مسلم جوابا عن كتابه اليك وأخرج اليه الرسول وقال أتعرف هذا فلما رأى ذلك ابراهيم أمسك وعلم أنه أتي من مأمنه واشتد أمر أبي مسلم وكان في الحبس مع ابراهيم جماعة من بني هاشم وبني أمية فمن بني أمية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان والعباس بن الوليد ابن عبد الملك بن مروان وكان مروان قد خافهما على نفسه وخشي أن يخرجا عليه ومن بني هاشم عيسى بن علي وعبد الله ابن علي ويحيى بن موسى فذكر أبو عبيدة الثعلبي وكان معهم في الحبس أنه هجم عليهم في الحبس وذلك بحران جماعة من موالي مروان من العجم وغيرهم فدخلوا البيت الذي كان فيه ابراهيم

فسار

فسار في عسكره الى دمنش فغنم وسبى وأحرق وعاد فبقي مدة يسيرة وأساء السيرة في أهلها فثاروا به وأخذوه وحبسوه وكتبوا الى المهدي بذلك واعتذروا فقبل عذرهم واستعمل عليهم علي بن عمر البلوي فوصل آخر ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين

﴿ذكر قتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس﴾

في سنة ثمان وتسعين ومائتين قتل أبو عبد الله الشيعي قتله المهدي عبيد الله وسبب ذلك ان المهدي لما استقامت له البلاد ودانت له العباد وباشر الامور بنفسه وكف يد أبي عبد الله ويد أخيه أبي العباس داخل أبا العباس الحسد وعظم عليه الفطام عن الامر والنهي والاخذ والعطاء فاقبل يزري على المهدي في مجالس أخيه ويتكلم فيه وأخوه ينهاه ولا يرضى فعله فلا يزيده ذلك الا لجاجا ثم انه أظهر أبا عبد الله على ما في نفسه وقال له ملكت أمرا فجئت بمن أزالك عنه وكان الواجب عليه أن لا يسقط حقك ولم يزل حتى أثر في قلب أخيه فقال يوما للمهدي لو كنت تجلس في قصرك وتتركني مع كتامة آمرهم وأنهاهم لاني عارف بعاداتهم لكان أهيب لك في أعين الناس وكان المهدي سمع شيأ مما يجري بين أبي عبد الله وأخيه فتحقق ذلك غير أنه ردّ ردا لطيفا فصار أبو العباس يشير الى المقدمين بشئ من ذلك فمن رأى منه قبولا كشف له ما في نفسه وقال ما جازاكم على ما فعلتم وذكر لهم الاموال التي أخذها المهدي من انكجان وقال هلا قسمها فيكم وكل ذلك يتصل بالمهدي وهو يتغافل وأبو عبد الله يداري ثم صار أبو العباس يقول ان هذا ليس الذي كنا نعتقد طاعته وندعو اليه لان المهدي يختم بالحجة ويأتي بالآيات الباهرة فاخذ قوله بقلوب كثير من الناس منهم انسان من كتامة يقال له شيخ المشايخ فواجه المهدي بذلك وقال ان كنت المهدي فاظهر لنا آية فقد شككنا فيك فقتله المهدي فخافه أبو عبد الله وعلم ان المهدي قد تغير عليه فاتفق هو وأخوه ومن معهما على الاجتماع عند أبي زاكي وعزموا على قتل المهدي واجتمع معهم قبائل كتامة الا قليلا منهم وكان معهم رجل يظهر انه منهم وينقل ما يجري الى المهدي ودخلوا عليه مرارا فلم يجسروا على قتله فاتفق انهم اجتمعوا ليلة عند أبي زاكي فلما أصبحوا لبس أبو عبد الله ثوبه مقلوبا ودخل على المهدي فرأى ثوبه فلم يعرفه به ثم دخل عليه ثلاثة أيام والقميص بحاله فقال له المهدي ما هذا الامر الذي أذهلك عن اصلاح ثوبك فهو مقلوب منذ ثلاثة أيام فعلمت انك ما نزعته فقال ما علمت بذلك الا ساعتي هذه قال أين كنت البارحة والليالي قبلها فسكت أبو عبد الله فقال أليس بت في دار أبي زاكي قال بلى قال وما الذي أخرجك من دارك قال خفت قال وهل يخاف الانسان الا من عدوه فعلم ان أمره ظهر للمهدي فخرج وأخبر أصحابه وخافوا وتخلفوا عن الحضور فذكر ذلك للمهدي وعنده رجل يقال له ابن القديم كان من جملة القوم وعنده أموال كثيرة من أموال زيادة الله فقال يا مولاي ان شئت أتيتك بهم ومضى فجاء بهم فعلم المهدي صحة ما قيل عنه فلاطفهم وفرقهم في البلاد وجعل أبا زاكي واليا على طرابلس وكتب الى عاملها ان يقتله عند وصوله فلما وصلها قتله عاملها وأرسل رأسه الى المهدي فهرب ابن القديم فاخذ فامر المهدي بقتله فقتل وأمر المهدي عروبة ورجالا معه ان يرصدوا أبا عبد الله وأخاه أبا العباس ويقتلوهما فلما وصلا الى قرب القصر حمل عروبة على أبي عبد الله فقال لا تفعل يا بني فقال الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك فقتل هو وأخوه وكان قتلهما في اليوم الذي قتل فيه أبو زاكي فقيل ان المهدي صلى على أبي عبد الله وقال رحمك الله أبا عبد الله وجزاك خيرا بجميل سعيك وثارت فتنة بسبب قتلهما وجرد أصحابهما السيوف فركب المهدي وأمن الناس فسكنوا ثم

والعباس وعبد الله فاقاموا عندهم ساعة ثم خرجوا وأغلق باب البيت فلما أصبحنا دخلنا عليهم فوجدناهم قد أتى عليهم ومعهم غلامان صغيران من خدمهم كالموتى فلما رأونا أنسوا بنا فسألناهم الخبر فقالا أما العباس وعبد الله فجعل على وجوههما مخاد وقعد فوقهما فاضطربا ثم بردا وأما ابراهيم فانهم جعلوا رأسه في جراب كان معهم فيه نورة مسحوقة فاضطرب ساعة ثم خمد وكان في الكتاب الذي قرأه مروان من ابراهيم الى أبي مسلم أبيات من الرجز بعد خطب طويل منها

دونك أمرا قد بدت أشراطه
ان السبيل واضح صراطه
لم يبق الا السيف واختراطه

وقد ذكر في كيفية قتل ابراهيم الامام من الوجوه غير ما ذكرنا وقد أتينا على جميع ما قيل في ذلك في الكتاب الاوسط وكذلك ما كان من قحطبة وابن هبيرة على الفرات وغرق قحطبة فيه ودخول ابنه الحسن بن قحطبة الكوفة وسار مروان حتى نزل على الزاب الصغير وعقد عليه الجسر وأتاه عبد الله بن علي في عساكر أهل خراسان وقوادهم وذلك لليلتين خلتا من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين ومائة فالتقى مروان وعبد الله بن علي وقد كردس

تتبعهم حتى قتلهم وثارت فتنة ثانية بين كتامة وأهل القيروان قتل فيها خلق كثير فخرج المهدي وسكن الفتنة وكف الدعاة عن طلب التشييع من العامة ولما استقامت الدولة للمهدي عهد الى ولده أبي القاسم نزار بالخلافة ورجعت كتامة الى بلادهم فاقاموا طفلا وقالوا هذا هو المهدي ثم زعموا انه نبي يوحى اليه وزعموا أن أبا عبد الله لم يمت وزحفوا الى مدينة ميلة فبلغ ذلك المهدي فاخرج ابنه أبا القاسم فحصرهم فقاتلوه فهزمهم واتبعهم حتى أجلاهم الى البحر وقتل منهم خلقا عظيما وقتل الطفل الذي أقاموه وخالف عليه أهل صقلية مع ابن وهب فانفذ اليهم اسطولا ففتحها وأتي بابن وهب فقتله وخالف عليه أهل تاهرت فغزاها ففتحها وقتل أهل الخلاف وقتل جماعة من بني الاغلب برقادة كانوا قد رجعوا اليها بعد وفاة زيادة الله

(ذكر عدة حوادث)

فيها سير القاسم بن سيما وجماعة من القواد في طلب الحسين بن حمدان فساروا حتى بلغوا قرقيسيا والرحبة فلم يظفروا به فكتب المقتدر الى أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان وهو الامير بالموصل يأمره بطلب أخيه الحسين فسار هو والقاسم بن سيما فالتقوا عند تكريت فانهزم الحسين فارسل أخاه ابراهيم بن حمدان يطلب الامان فاجيب الى ذلك ودخل بغداد وخلع عليه وعقد له على قم وقاشان فسار اليها وصرف عنها العباس بن عمرو وفيها وصل بارس غلام اسمعيل الساماني وقلد ديار ربيعة وقد تقدم ذكره وفيها كانت وقعة بين طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث وبين سبكرى غلام عمرو فاسر طاهرا ووجهه وأخاه يعقوب بن محمد بن عمرو الى المقتدر مع كاتبه عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي فادخلا بغداد أسيرين بن حبسا وكان سبكرى قد تغلب على فارس بغير أمر الخليفة فلما وصل كاتبه قرر أمره على مال يحمله وكان وصوله الى بغداد سنة سبع وتسعين وفيها خلع على مؤنس المظفر الخادم وأمر بالمسير الى غزو الروم فسار في جمع كثيف فغزا من ناحية ملطية ومعه أبو الاغر السلمي فظفر وغنم وأسر منهم جماعة وعاد وفيها قلد يوسف بن أبي الساج اعمال ارمينية واذربيجان وضمنها بمائة ألف وعشرين ألف دينار فسار اليها من الدينور وفيها سقط ببغداد ثلج كثير من بكرة الى العصر فصار على الارض أربع أصابع وكان معه برد شديد وجمد الماء والخل والبيض والادهان وهلك النخل وكثير من الشجر وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي وفيها توفي محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر وفيها قتل سوسن حاجب المقتدر وسبب ذلك انه كان له أثر في أمر ابن المعتز فلما بويع ابن المعتز واستحجب غيره لزم المقتدر فلما استوزر ابن الفرات تفرد بالامور فعاداه سوسن وسعى في فساد حاله فاعلم ابن الفرات المقتدر بالله بحال سوسن وانه كان ممن أعان ابن المعتز فقبض عليه وقتله وفيها توفي محمد بن داود بن الجراح عم علي بن عيسى الوزير وكان عالما بالكتابة وفيها توفي عبد الله بن جعفر بن خاقان وأبو عبد الرحمن الدهكاني

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

(ذكر استيلاء الليث على فارس وقتله)

في هذه السنة سار الليث بن علي بن الليث من سجستان الى فارس وأخذها واستولى عليها وهرب سبكرى عنها الى أرجان فلما بلغ الخبر المقتدر جهز مؤنسا الخادم وسيره الى فارس معونة لسبكرى فاجتمعا بأرجان وبلغ خبر اجتماعهما الليث فسار اليهما فاتاه الخبر بمسير الحسين بن حمدان من قم الى البيضاء معونة لمؤنس فسير أخاه في بعض جيشه الى شيراز ليحفظها ثم سار في

الملك وهو على دم كرادبس ابراهيم بن محمد فيمن غرق في ويعبث من بني أمية ذلك اليوم ثلثمائة رجل دون من غرق من سائر الناس وكان فيمن غرق في الزاب في ذلك اليوم من بني أمية ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع وهو أخو يزيد الناقص وقد قيل في رواية أخرى ان مروان كان قد قتل ابراهيم بن الوليد قبل هذا الوقت وصلبه وكانت هزيمة مروان من الزاب في يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومضى مروان في هزيمته حتى أتى الموصل فمنعه أهلها من الدخول اليها واظهروا السواد لما رأوه من تولية الامر عنه وأتى حران وكانت داره وكان مقامه بها وقد كان أهل حران فاتاهم الله تعالى حين أزيل لعن أبي تراب يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن المنابر يوم الجمعة امتنعوا من ازالته وقالوا لا صلاة الا بلعن أبي تراب وأقاموا على ذلك سنة حتى كان من أمر المشرق وظهور المسودة ما كان وامتنع مروان من ذلك لانحراف الناس عنهم وخرج مروان في أهله وسائر بني أمية عن حران وعبر الفرات ونزل عبد الله بن علي على باب حران فهدم قصر

ألفا وألفين فكانت على مروان فانهزم وقتل وغرق من أصحابه خلق

بعض جنده في طريق مختصر ليواقع الحسين بن حمدان فاخذ به الدليل في طريق الرجالة فهلك أكثر دوابه ولقي هو وأصحابه مشقة عظيمة فقتل الدليل وعدل عن ذلك الطريق فاشرف على عسكر مؤنس فظنه هو وأصحابه انه عسكره الذي سير مع أخيه الى شيراز فكبروا فسار اليهم مؤنس وسبكري في جندهما فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر الليث وأخذ هو أسيرا فلما أسره مؤنس قال له أصحابه ان المصلحة أن نقبض على سبكري ونستولي على بلاد فارس ونكتب الى الخليفة ليقرها علينا فقال سأفعل غدا اذا سار الينا على عادته فلما جاء الليل أرسل مؤنس الى سبكري سرا يعرفه ما أشار به أصحابه وأمره بالمسير من ليلته الى شيراز ففعل فلما أصبح مؤنس قال لاصحابه أرى سبكري قد تأخر عنا فتعرفوا خبره فسار اليه بعضهم وعاد فاخبره ان سبكري سار من ليلته الى شيراز فلام أصحابه وقال من جهتكم بلغه الخبر حتى استوحش وعاد مؤنس ومعه الليث الى بغداد وعاد الحسين بن حمدان الى قم

﴿ذكر أخذ فارس من سبكري﴾

لما عاد مؤنس عن سبكري استولى كاتبه عبد الرحمن بن جعفر على الامور فحسده أصحاب سبكري فنقلوا عنه انه كاتب الخليفة وانه قد حلف أكثر القواد له فقبض عليه وقيده وحبسه واستكتب مكانه اسمعيل بن ابراهيم البمي فحمله على العصيان ومنع ما كان يحمله الى الخليفة ففعل ذلك فكتب عبد الرحمن بن جعفر الى ابن الفرات وزير الخليفة يعرفه ذلك وانه لما نهى سبكري عن العصيان قبض عليه فكتب ابن الفرات الى مؤنس وهو بواسط يأمره بالعود الى فارس ويعجزه حيث لم يقبض على سبكري ويحمله مع الليث الى بغداد فعاد مؤنس الى الاهواز وراسل سبكري مؤنسا وهاداه وسأله ان يتوسط حاله مع الخليفة فكتب في أمره وبذل عنه مالا ولم يستقر بينهم شيء وعلم ابن الفرات أن مؤنسا يميل الى سبكري فانفذ وصيفا كاتبه وجماعة من القواد ومحمد بن جعفر الفريابي وعول عليه في فتح فارس وكتب الى مؤنس يأمره باستصحاب الليث معه الى بغداد فعاد مؤنس وسار محمد بن جعفر الى فارس وواقع سبكري على باب شيراز فانهزم سبكري الى بم وتحصن بها وتبعه محمد بن جعفر وحصره بها فخرج اليه سبكري وحاربه مرة ثانية فهزمه محمد ونهب ماله ودخل سبكري مفازة خراسان فظفر به صاحب خراسان على ما نذكره واستولى محمد بن جعفر على فارس فاستعمل عليها فتحا خادم الافشين والصحيح ان فتح فارس كان سنة ثمان وتسعين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها وجه المقتدر القاسم بن سيما لغزو الصائفة وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي وفيها توفي عيسى النوشري في شعبان بمصر بعد موت أبي العباس بن بسطام بعشرة أيام ودفن بالبيت المقدس واستعمل المقتدر مكانه تكين الخادم وخلع عليه منتصف شهر رمضان وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن سالم صاحب سهل بن عبد الله التستري وفيها توفي الفيض بن الخضر وقيل ابن محمد أبو الفيض الاولاشي الطرسوسي وأبو بكر محمد بن داود بن علي الاصفهاني الفقيه الظاهري وموسى بن اسحق القاضي والقاضي أبو محمد يوسف بن يعقوب بن حماد وله تسع وثمانون سنة

﴿ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين﴾

﴿ذكر استيلاء أحمد بن اسمعيل على سجستان﴾

في هذه السنة في رجب استولى أبو نصر أحمد بن اسمعيل الساماني على سجستان وسبب ذلك انه

مروان وقد كان أنفق عليه عشرة آلاف درهم واحتوى على خزائن مروان وأمواله وسار مروان فيمن معه من خواصه وعياله حتى انتهى الى نهر أبي فطرس من بلاد فلسطين والاردن فنزل عليه وسار عبد الله بن علي حتى نزل دمشق فحاصرها وفيها يومئذ الوليد بن معاوية بن عبد الملك في خمسين ألف مقاتل فوقعت بينهم العصبية في فضل اليمن على نزار ونزار على اليمن فقتل الوليد بن معاوية وقد قيل ان أصحاب عبد الله بن علي قتلوه وأتى عبد الله بن علي يزيد بن معاوية ابن عبد الملك بن مروان وعبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فحملهما الى أبي العباس السفاح فقتلهما وصلبهما بالحيرة وقتل عبد الله بن علي بدمشق خلقا كثيرا ولحق مروان بمصر ونزل عبد الله بن علي على نهر أبي فطرس فقتل من بني أمية هناك بضعا وثمانين رجلا وذلك في يوم الاربعاء للنصف من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقتل بالبلقاء سليمان بن يزيد بن عبد الملك وحمل رأسه الى أبي عبد الله بن علي ورحل صالح بن علي في طلب مروان ومعه أبو عون عبد الملك بن يزيد وعامر بن اسمعيل المذحجي فلحقوه بمصر وقد نزل بوصير فبايتوه وهجموا على عسكره وضربوا الطبول وكبروا ونادوا بالثارات

لما استقر أمره وثبت ملكه خرج فى سنة سبع وتسعين ومائتين الى الرى وكان يسكن بخارا ثم سار
الى هراة فسير منها جيشا فى المحرم سنة ثمان وتسعين الى سجستان وسير جماعة من أعيان قواده
وأمرائه منهم أحمد بن سهل ومحمد بن المظفر وسيمجور الدوانى وهو والد آل سيمجور ولاة خراسان
للسامانية وسيرد ذكرهم واستعمل أحمد على هذا الجيش الحسين بن على المرورودى فساروا
حتى أتوا سجستان وبها المعدل بن على بن الليث الصفار وهو صاحبها فلما بلغ المعدل خبرهم سير
أخاه ابا على محمد بن على بن الليث الى بست والرخج ليحمى أموالها ويرسل منها الميرة الى سجستان
فسار الامير أحمد بن اسمعيل الى أبى على ببست وجاذبه وأخذه أسيرا وعاد به الى هراة وأما الجيش
الذى بسجستان فانهم حصروا المعدل وضايقوه فلما بلغه ان أخاه ابا على محمدا قد أخذ اسيرا صالح
الحسين بن على واستأمن اليه فاستولى الحسين على سجستان فاستعمل عليها الامير أحمد أبا صالح
منصور بن اسحق وهو ابن عمه وانصرف الحسين عنها ومعه المعدل الى بخارا ثم ان سجستان
خالف أهلها سنة ثلثمائة على ماذكره ولما استولى السامانية على سجستان بلغهم خبر مسير
سبكرى فى المفازة من فارس الى سجستان فسيروا اليه جيشا فلقوه هو وعسكره قد أهلكهم
التعب فاخذوه اسيرا واستولوا على عسكره وكتب الامير أحمد الى المقتدر بذلك وبالفتح فكتب
اليه يشكره على ذلك ويأمره بحمل سبكرى ومحمد بن على بن الليث الى بغداد فسيرهما وأدخلا
بغداد مشهورين على فيلين وأعاد المقتدر رسل أحمد صاحب خراسان ومعهم الهدايا والخلع

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها أطلق الامير أحمد بن اسمعيل عمه اسحق بن أحمد من محبسه وأعاده الى سمرقند وفرغانة وفيها
توفى محمد بن جعفر الفريابى وقبح الخادم أمير فارس فاستعمل عليها عبد الله بن ابراهيم المسمعى
وأضاف اليه كرمان وفيها جعلت أم موسى الهاشمية قهرمانة دار المقتدر بالله فكانت تؤدى
الرسائل من المقتدر وأمه الى الوزير وانما ذكرناها الان لها فيما بعد من الحكم فى الدولة ما أوجب
ذكرها والا كان الاضراب عنها اولى وفيها غزا القاسم بن سيما الصائفة وفيها فى رجب توفى
المظفر بن حاج أمير اليمن وحمل الى مكة ودفن بها واستعمل الخليفة على اليمن بعده ملاحظا وحج
بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمى وفيها فى شعبان أخذ جماعة ببغداد قيل انهم
أصحاب رجل يدعى الربوبية يعرف بمحمد بن بشر وفيها هبت ريح شديدة حارة صفراء بحديثة
الموصل فمات لشدة حرها جماعة كثيرة وفيها توفى أبو القاسم الجنيد بن محمد الصوفى وكان امام
الدنيا فى زمانه وأخذ الفقه عن أبى ثور صاحب الشافعى والتصوف عن سرى السقطى وفيها
توفى أبو برزة الحاسب واسمه الفضل بن محمد وفيها توفى القاسم بن العباس أبو محمد المعشرى وانما
قيل له المعشرى لانه ابن بنت أبى معشر نجيح المدنى وكان زاهدا فقيها وفيها توفى أحمد بن سعيد
ابن مسعود بن عصام أبو العباس ومحمد بن اياس والد أبى زكريا صاحب تاريخ الموصل وكان خيرا
فاضلا وهو ازدى

﴿ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين﴾

﴿ذكر القبض على ابن الفرات ووزارة الخاقانى﴾

فى هذه السنة قبض المقتدر على الوزير أبى الحسن بن الفرات فى ذى الحجة وكان قد ظهر قبل
القبض عليه بمدة يسيرة ثلاث كواكب مذنبة أحدها ظهر آخر رمضان فى برج الاسد والآخر
ظهر فى ذى القعدة فى المشرق والثالث ظهر فى المغرب من ذى القعدة أيضا فى برج العقرب ولما

ابراهيم فظن من فى عسكر مروان
أن قد أحاط بهم سائر المسودة فقتل مروان وقد اختلف فى كيفية قتله فى
المعركة فى تلك الليلة وكان
قتله ليلة الاحد لثلاث
بقين من ذى الحجة سنة
اثنتين وثلاثين ومائة ولما
قتل عامر بن اسمعيل
مروان وأراد الكنيسة
التى فيها بنات مروان
ونساؤه اذا بخادم لمروان
شاهر السيف يحاول
الدخول عليهن فاخذوا
الخادم فسئل عن أمره
فقال أمرنى مروان اذا
هو قتل أن أضرب رقاب
بناته ونسائه فلا تقتلونى
فانكم والله أن قتلتمونى
ليفقدن ميراث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا له
انظر ماتقول قال أن كذبت
فاقتلونى هلموا فاتبعونى
ففعلوا فاخرجهم من القرية
الى موضع رمل فقال
اكشفوا هنا فكشفوا
فاذا البرد والقضيب
ومخصر قد دفنها مروان
لئلا تصير الى بنى هاشم
فوجه بها عامر بن اسمعيل
الى عبد الله بن على فوجه
بها عبد الله الى أبى العباس
السفاح فتداولت ذلك
خلفاء بنى العباس الى أيام
المقتدر فيقال أن البرد
كان عليه فى يوم مقتله
ولست أدرى أكل ذلك
باق مع المتقى لله الى هذا
الوقت وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلثمائة فى نزوله الرقة أم قد ضيع ذلك ثم وجه عامر بنات مروان وجواريه والاسارى الى

قبض على الوزير وكل بداره وهتك حرمه ونهب ماله ونهبت دور أصحابه ومن يتعلق به وافتتنت
بغداد لقبضه ولقي الناس شدة ثلاثة أيام ثم سكنوا وكانت مدة وزارته هذه وهي الوزارة الاولى
ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما وقلد أبو علي محمد بن يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان
الوزارة فرتب أصحاب الدواوين وتولى مناظرة ابن الفرات أبو الحسين أحمد بن يحيى بن أبي البغل
وكان أخوه أبو الحسن بن أبي البغل مقيما باصبهان فسعى أخوه له في الوزارة هو وأم موسى
القهرمانة فاذن المقتدر في حضوره ليتولى الوزارة فحضر فلما بلغ ذلك الخاقاني انحلت أموره
فدخل على الخليفة وأخبره بذلك فامره بالقبض على أبي الحسن وأبي الحسين أخيه فقبض على
أبي الحسن وكتب في القبض على أبي الحسين فقبض أيضا ثم خاف القهرمانة فاطلقهما
واستعملهما ثم ان أمور الخاقاني انحلت لانه كان ضجورا ضيق الصدر مهملا لقراءة كتب العمال
وجباية الاموال وكان يتقرب الى الخاصة والعامة فمنع خدم السلطان وخواصه ان يخاطبوه
بالعبد وكان اذا رأى جماعة من الملاحين والعامة يصلون جماعة ينزل ويصلي معهم واذا سأله أحد
حاجة دق صدره وقال نعم وكرامة فسمي دق صدره الا انه تصرف في اطلاق الاموال للفرسان
والقواد فنفروا عنه واتضعت الوزارة بفعله ما تقدم وكان أولاده قد تحكموا عليه فكل منهم
يسعى لمن يرتشي منه وكان يولي في الايام القليلة عدة من العمال حتى انه ولي بالكوفة في مدة
عشرين يوما سبعة من العمال فاجتمعوا في الطريق فعرضوا توقيعاتهم فسار الاخير منهم وعاد
الباقون يطلبون ما أخذه منهم به أولاده فقيل فيه

وزير قد تكامل في الرقاعة * يولي ثم يعزل بعد ساعه
اذا أهل الرشا اجتمعوا لديه * فخير القوم أوفرهم بضاعه
وليس يلام في هذا بحال * لان الشيخ أفلت من مجاعه

ثم زاد الامر حتى تحكم أصحابه فكانوا يطلقون الاموال ويفسدون الاحوال فانحلت القواعد
وخبثت النيات واشتغل الخليفة بعزل وزرائه والقبض عليهم والرجوع الى قول النساء والخدم
والتصرف على مقتضى آرائهن فخرجت الممالك وطمع العمال في الاطراف وكان ما نذكره فيما
بعد ثم ان الخليفة أحضر الوزير ابن الفرات من محبسه فجعله عنده في بعض الحجر مكرما فكان
يعرض عليه مظالمات العمال وغير ذلك وأكرمه وأحسن اليه بعد ان أخذ أمواله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها غزا رستم أمير الثغور الصائفة من ناحية طرسوس ومعه دميانة فحصر حصن مليح الارمني
ثم دخل بلده وأحرقه وفيها دخل بغداد العظيم والاغبر وهما من قواد زكرويه القرمطي دخلا
بالامان وحج بالناس الفضل بن عبد الملك وفيها جاء نفر من القرامطة من أصحاب أبي سعيد
الجنابي الى باب البصرة وكان عليها محمد بن اسحق بن كنداجيق وكان وصولهم يوم الجمعة والناس في
الصلاة فوقع الصوت بمجيء القرامطة فخرج اليهم الموكلون بحفظ باب البصرة فرأوا رجلين منهم
فخرجوا اليهما فقتل القرامطة منهم رجلا وعادوا فخرج اليهم محمد بن اسحق في جمع فلم يرهم فسير
في أثرهم جماعة فادركوهم وكانوا نحو ثلاثين رجلا فقاتلوهم فقتل بينهم جماعة وعاد ابن كنداجيق
وأغلق أبواب البصرة ظنا منه ان أولئك القرامطة كانوا مقدمة لاصحابهم وكاتب الوزير ببغداد
يعرفه وصول القرامطة ويستمده فلما أصبح ولم ير للقرامطة أثرا ندم على ما فعل وسير اليه من

سالح بن علي فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت يا عم أمير
المؤمنين حفظ الله لك في
الدنيا والآخرة نحن بناتك
وبنات أخيك فليسعنا
من عفوكم ما وسعكم من
جورنا قال اذا لا نستبقي
منكم أحدا رجلا ولا امرأة
ألم يقتل أبوك بالامس
ابن أخي ابراهيم بن محمد بن
علي بن عبد الله بن العباس
الامام في محبسه بحران
ألم يقتل هشام بن عبد
الملك زيد بن علي بن الحسين
ابن علي وصلبه في كناسة
الكوفة وقتل امرأة زيد
بالحيرة على يدي يوسف بن
عمرو الثقفي ألم يقتل الوليد
ابن يزيد يحيى بن زيد وصلبه
بخراسان ألم يقتل عبيد
الله بن زياد الدعي مسلم بن
عقيل بن أبي طالب
بالكوفة ألم يقتل يزيد بن
معاوية الحسين بن علي على
يدي عمر بن سعد مع من
قتل بين يديه من أهل بيته
ألم يخرج بحرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبايا
حتى ورد بهم على يزيد بن
معاوية وقبل مقدمهم
بعث اليه برأس الحسين
ابن علي قد نصب دماغه
على رأس رمح يطاف به
كور الشام ومدائنها حتى
قدموا به على يزيد بدمشق
كأنما بعث اليه برأس
رجل من أهل الشرك ثم
أوقف حرم رسول الله صلى
الله عليه وسلم موقف السبي يتصفحهن جنود أهل الشام الجفاة الطغام ويطلبون منه أن يهب لهم حرم رسول الله صلى

بغداد عسكرا مع بعض القواد وفيها خالف أهل طرابلس الغرب على المهدى عبيد الله العلوى فسير اليها عسكرا فحاصرها فلم يظفر بها فسير اليها المهدى ابنه أبا القاسم فى جمادى الآخرة سنة ثلثمائة فحاصرها وصابرها واشتد فى القتال فعدمت الاقوات فى البلد حتى أكل أهله الميتة ففتح البلد عنوة وعفا عن أهله وأخذ أموال الاعظيمة من الذين أثاروا الخلاف وغرم أهل البلد جميع ما أخرجه على عسكره وأخذ وجوه البلد رهائن عنده واستعمل عليها عاملا وانصرف وفيها كانت زلازل بالقيروان لم ير مثلها شدة وعظمة وثار أهل القيروان فقتلوا من كتامة نحو ألف رجل وفيها توفى محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوى وكان عالما بنحو البصريين والكوفيين لانه أخذه عن ثعلب والمبرد وفيها توفى محمد بن السرى القنطرى وأبو صالح الحافظ وأبو على بن سيبويه وأبو يعقوب اسحق بن حنين الطبيب

ثم دخلت سنة ثلثمائة

(ذكر عزل الخاقانى عن الوزارة ووزارة على بن عيسى)

فى هذه السنة ظهر للمقتدر تخليط الخاقانى وعجزه فى الوزارة فاراد عزله واعادة أبى الحسن بن الفرات الى الوزارة فمنعه مؤنس الخادم عن ابن الفرات لنفوره عنه لامور منها انفاذ الجيش الى فارس مع غيره واعادته الى بغداد وقد ذكرناه فقال للمقتدر متى اعدته ظن الناس أنك انما قبضت عليه شرها فى ماله والمصلحة ان تستدعى على بن عيسى من مكة وتجعله وزيرا فهو الكافى الثقة الصحيح العمل المتين الدين فامر المقتدر باحضاره فانفذ من يحضره فوصل الى بغداد أول سنة احدى وثلثمائة وجلس فى الوزارة وقبض على الخاقانى وسلم اليه فاحسن قبضه ووسع عليه وتولى على بن عيسى ولازم العمل والنظر فى الامور ورد المظالم وأطلق من المكوس شيأ كثيرا بمكة وفارس وأطلق المواخير والمفسدات بدو بق وأسقط زيادات كان الخاقانى قد زادها للجند لانه عمل الدخل والخرج فرأى الخرج أكثر فاسقط أولئك وأمر بعمارة المساجد والجوامع وتبييضها وفرشها بالحصر واشعال الاضواء فيها وأجرى للائمة والقراء والمؤذنين ارزاقا وأمر باصلاح البيمارستانات وعمل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وقرر فيها فضلاء الاطباء وأنصف المظلومين وأسقط ما زيد فى خراج الضياع ولما عزل الخاقانى أكثر الناس التزوير على خطه بمسامحات وادرارات فنظر على بن عيسى فى تلك الخطوط فانكرها وأراد اسقاطها فخاف ذم الناس ورأى ان ينفذها الى الخاقانى ليميز الصحيح من المزور عليه فيكون الذم له فلما عرضت تلك الخطوط عليه قال هذه جميعها خطى وانا أمرت بها فلما عاد الرسول الى على بن عيسى بذلك قال والله لقد كذب ولقد علم المزور من غيره ولكنه اعترف بها ليحمده الناس ويذمونى وأمر بها فاجيزت وقال الخاقانى لولده يا بنى هذه ليست خطى ولكنه انفذها الى وقد عرف الصحيح من السقيم ولكنه أراد ان يأخذ الشوك بايدينا ويبغضنا الى الناس وقد عكست مقصوده

(ذكر خلاف سجستان وعودها الى طاعة أحمد بن اسمعيل السامانى)

وفى هذه السنة انفذ الامير أبو نصر أحمد بن اسمعيل السامانى عسكرا الى سجستان ليفتحها ثانيا وكانت قد عصت عليه وخالف من بها وسبب ذلك أن محمد بن هرمز المعروف بالمولى الصندلى كان خارجى المذهب وكان قد أقام ببخارا وهو من أهل سجستان وكان شيخا كبيرا فجاء يوما الى الحسين بن على بن محمد العارض يطلب رزقه فقال له على ان الاصلح انك

الله عليه وسلم استخفافا بحقه صلى الله عليه وسلم وجراءة على الله عز وجل وكفر الانعمة فما الذى استبقيتم منا أهل البيت لو عدلتم فيه علينا فقالت يا عم أمير المؤمنين وليسعنا عفوكم اذا قال أما العفو فنعم قد وسعكم فان أحببت زوجتك من الفضل بن صالح بن على وزوجت أختك من أخيه عبد الله ابن صالح فقالت يا عم أمير المؤمنين وأى أوان عرس هذا بل تلحقنا بحران قال فاذا أفعل ذلك بكم ان شاء الله فالحقن بحران فعلت أصواتهن عند دخولهن بالبكاء على مروان وشققن جيوبهن وأعولن بالصياح والنحيب حتى ارتج العسكر بالبكاء منهن على مروان فكان ملك مروان الى أن بويع أبو العباس السفاح خمس سنين وشهرين وعشرة أيام على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب من التنازع فى مدة أيامه ومن وقت أن بويع أبو العباس السفاح الى أن قتل ببوصير ثمانية أشهر فكانت مدة أيامه الى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وقد قدمنا ما تنازعوا فيه من مقدار سنه وغير ذلك من أخباره وقد أتينا على مبسوط أخباره فيما سلف من كتبنا وكان كاتبه (عبد الحميد) بن يحيى بن سعد صاحب الرسائل والبلاغات وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات فى فصول الكتب واستعمل الناس ذلك بعده وذكر أن مروان قال لكاتبه عبد الحميد حين من

من الشيوخ ان يلزم رباطا يعبد الله فيه حتى يوافيه أجله فغاظه ذلك فانصرف الى سجستان والوالى عليها منصور بن اسحق فاستمال جماعة من الخوارج ودعا الى الصفار وبايع فى السر لعمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث وكان رئيسهم محمد بن العباس المعروف بابن الحفار وكان شديد القوة فخرجوا وقبضوا على منصور بن اسحق أميرهم وحبسوه فى سجن أرك وخطبوا لعمرو بن يعقوب وسلموا اليه سجستان فلما بلغ الخبر الى الامير أحمد بن اسمعيل سير الجيوش مع الحسين بن على مرة ثانية الى زرنج فى سنة ثلثمائة فحصرها تسعة أشهر فصعد يوما محمد بن هرمز الصندلى الى السور وقال ما حاجتكم الى أذى شيخ لا يصلح الا للزوم رباط يذكرهم بما قاله العارض ببخارا واتفق ان الصندلى مات فاستأمن عمرو بن يعقوب الصفار وابن الحفار الى الحسين بن على وأطلقوا عن منصور بن اسحق وكان الحسين بن على يكرم ابن الحفار ويقربه فواطأ ابن الحفار جماعة على الفتك بالحسين فعلم الحسين ذلك وكان ابن الحفار يدخل على الحسين لا يحجب عنه فدخل اليه يوما وهو مشتمل على سيف فأمر الحسين بالقبض عليه وأخذه معه الى بخارا ولما انتهى خبر فتح سجستان الى الامير أحمد استعمل عليها سيمجور الدواتى وأمر الحسين بالرجوع اليه فرجع ومعه عمرو بن يعقوب وابن الحفار وغيرهما وكان عوده فى ذى الحجة سنة ثلثمائة واستعمل الامير أحمد منصور ابن عمه اسحق على نيسابور وأنفذه اليها وتوفى ابن الحفار

﴿ذكر طاعة أهل صقلية للمقتدر وعودهم الى طاعة المهدى العلوى﴾

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين ومائتين استعمال المهدى على بن عمر على صقلية فلما وليها كان شيخا لينا فلم يرض أهل صقلية بسيرته فعزلوه عنهم وولوا على أنفسهم أحمد بن قرهب فلما ولى سير سرية الى أرض قلورية فغنموا منها وأسروا من الروم وعادوا وأرسل سنة ثلثمائة ابنه عليا الى قلعة طبرمين المحدثة فى جيش وأمره بحصرها وكان غرضه اذا ملكها ان يجعل بها اولاده وأمواله وعبيده فاذا رأى من أهل صقلية ما يكره امتنع بها فحصرها ابنه ستة أشهر ثم اختلف العسكر عليه وكرهوا المقام فأحرقوا خيمته وسواد العسكر وارادوا قتله فمنعهم العرب ودعا أحمد بن قرهب الناس الى طاعة المقتدر فأجابوه الى ذلك فخطب له بصقلية وقطع خطبة المهدى وأخرج ابن قرهب جيشا فى البحر الى ساحل افريقية فلقوا هناك اسطول المهدى ومقدمه الحسن بن أبى خنزير فأحرقوا الاسطول وقتلوا الحسن وحملوا رأسه الى ابن قرهب وسار الاسطول الصقلى الى مدينة سفاقس فخربوها وساروا الى طرابلس فوجدوا فيها القائم بن المهدى فعادوا ووصلت الخلع السود والالوية الى ابن قرهب من المقتدر ثم أخرج مراكب فيها جيش الى قلورية فغنم جيشه وخربوا وعادوا وسير أيضا اسطولا الى افريقية فخرج عليها اسطول المهدى فظفروا بالذى لابن قرهب وأخذوه ولم يستقم بعد ذلك لابن قرهب حال وأدبر أمره وطمع فيه الناس وكانوا يخافونه وخاف منه أهل جرجنت وعصوا أمره وكاتبوا المهدى فلما رأى ذلك أهل البلاد كاتبوا المهدى أيضا وكرهوا الفتنة وثاروا بابن قرهب وأخذوه أسيرا سنة ثلثمائة وحبسوه وأرسلوه الى المهدى مع جماعة من خاصته فأمر بقتلهم على قبر ابن خنزير فقتلوا واستعمل على صقلية أبا سعيد موسى بن أحمد وسير معه جماعة كثيرة من شيوخ كتامة فوصلوا الى طرابنش وسبب ارسال العسكر معه ان ابن قرهب كان قد كتب الى المهدى يقول له ان أهل صقلية يكثرون الشغب على أمرائهم ولا يطيعونهم وينهبون أموالهم ولا يزول ذلك الا بعسكر يقهرهم ويزيل الرياسة عن

أيقن بزوال ملكه قد احتجت أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بى فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى والا لم تعجز عن حفظ حرمى بعد وفاتى فقال له عبد الحميد ان الذى أشرت به على أنفع الامرين لك وأقبحهما بى وما عندى الا الصبر حتى يفتح الله أو أقتل معك وقال

أسر وفاء ثم أظهر غدرة
فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

وقد أتينا على خبر أبى الورد ومقتله وخبر بشر بن عبد الله الواحدى ومقتله فى كتابنا الاوسط فأغنى ذلك عن ذكره وذكر اسمعيل بن عبد الله القشيرى قال دعانى مروان وقد وافى على الهزيمة الى حران فقال يا أبا هاشم وما كان يكنينى قبلها قد ترى ما جاء من الامر وأنت الموثوق به ولا مخبأ بعد بؤس فما الرأى فقلت يا أمير المؤمنين علام أجمعت قال على أن ارتحل بموالى ومن تبعنى من الناس حتى أقطع الدرب وأميل الى مدينة من مدن الروم فأنزلها وأكاتب صاحبها وأستوثق منه فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الاعاجم وليس هذا عارا بالملوك فلا يزال يأتينى الخائف والهارب والطامع فيكثر من معى ولا أزال على ذلك حتى يكشف الله أمرى وينصرنى على عدوى فلما رأيت ما أجمع عليه وكان الرأى ورأيت

رؤسائهم ففعل المهدي ذلك فلما وصل معه العسكر خاف منه أهل صقلية فاجتمع عليه أهل جرجنت وأهل المدينة وغيرهما فتحصن منهم أبو سعيد وعمل على نفسه سورا الى البحر وصار المرسى معه فاقتتلوا فانهزم أهل صقلية وقتل جماعة من رؤسائهم وأسر جماعة وطلب أهل المدينة الامان فامنهم الا رجلين هما أثارا الفتنة فرضوا بذلك وتسلم الرجلين وسيرهما الى المهدي بافريقية وتسلم المدينة وهدم أبوابها وأتاه كتاب المهدي يأمره بالعفو عن العامة

(ذكر وفاة عبد الله بن محمد صاحب الاندلس وولاية عبد الرحمن الناصر)

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الاموي صاحب الاندلس في ربيع الاول وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وكان أبيض أصهب أزرق ربعة يخضب بالسواد وكانت ولايته خمسا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وخلف أحد عشر ولدا ذكرا أحدهم محمد المقتول قتله في حد من الحدود وهو والد عبد الرحمن الناصر ولما توفي ولي بعده ابن ابنه هذا محمد واسمه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الى الاندلس بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموي وأمه أم ولد تسمى مرتة وكان عمره لما قتل أبوه عشرين يوما وكانت ولايته من المستطرف لانه كان شابا وبالحضرة أعمامه وأعمام أبيه فلم يختلفوا عليه وولي الامارة والبلاد كلها وقد اختلف عليهم قبله وامتنع حصون بكورة ريه وحصن بيشتر فخاربها حتى صلحت البلاد بناحيته وكان من بطليطلة أيضا قد خالفوا وقاتلهم حتى عادوا الى الطاعة ولم يزل يقاتل المخالفين حتى أذعنوا له وأطاعوه نيفا وعشرين سنة فاستقامت البلاد وأمنت في دولته ومضى لحال سبيله

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل عبد الله بن ابراهيم المسمعي عن فارس وكرمان واستعمل عليها بدر الحمامي وكان بدر يتقلد أصبهان واستعمل بعده على أصبهان علي بن وهسوذان الديلمي وفيها ورد الخبر الى بغداد ورسول من عامل برقة وهي من عمل مصر وما بعدها بأربع فراسخ لمصر وما وراء ذلك من عمل المغرب بخبر خارجي خرج عليهم وأنهم ظفروا به وبعسكره وقتلوا منهم خلقا كثيرا ووصل على يد الرسول من أنوفهم وآذانهم شئ كثير وفيها كثرت الامراض والعلل ببغداد وفيها كلبت الكلاب والذئاب بالبادية فاهلكت خلقا كثيرا وفيها ولي بشر الافشيني طرسوس وفيها قلد مؤنس المظفر الحرمين والثغور وفيها انقضت الكواكب انقضاضا كثيرا الى جهة المشرق وفيها مات اسكندروس بن لاون ملك الروم وملك بعده ابنه واسمه قسطنطين وعمره اثنتا عشرة سنة وفيها توفي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وكان مولده سنة ثلاث وعشرين ومائتين وفيها توفي أحمد بن علي الحداد وقيل سنة تسع وتسعين ومائتين وهو الصحيح وفيها توفي أحمد بن يعقوب ابن أخي العرق المقري والحسين بن عمر بن أبي الاحوص وعلي بن طيفور النسوي وأبو عمر القتات وفيها في ربيع الآخر توفي يحيى بن علي بن يحيى المنجم المعروف بالنديم

(ثم دخلت سنة احدى وثلثمائة)

في هذه السنة خلع على الامير أبي العباس بن المقتدر بالله وقلد أعمال مصر والمغرب وعمره أربع سنين واستخلف له على مصر مؤنس الخادم وهذا أبو العباس هو الذي ولي الخلافة بعد القاهر بالله

آثاره من قومي من قحطان وتلاه عندهم فقلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأي تحكم أهل الشرك في بناتك وحرمك وهم الروم ولا وفاء لهم ولا تدري ما تأتي به الايام وأنت ان حدث عليك حادث بارض النصرانية ولا يحدث عليك الا خير ضاع من بعدك ولكن اقطع الفرات ثم استنفر الشأم جندا فانك في كنف وعزة ولك في كل جند صنائع يسيرون معك حتى تاتي مصر فانها أكثر أرض الله مالا وخيلا ورجالا ثم الشام أمامك وافريقية خلفك فان رأيت ما تحب انصرفت الى الشام وان كانت الاخرى مضيت الى افريقية قال صدقت وأستخير الله فقطع الفرات والله ما قطعه معه من قيس الا رجلان ابن جندة السلمي وكان أخاه من الرضاعة والكوثر بن الاسود الغنوي ولم ينفع مروان تعصبه مع النزارية شيأ بل غدروا به وخذلوه فلما اجتاز ببلاد قنسرين والحاضر أوقعت تنوخ القاطنة بقنسرين بساقته ووثب به أهل حمص وسار الى دمشق فوثب به الحرث ابن عبد الرحمن الحرشي ثم أتى الاردن فوثب به هاشم بن عمر العنسي والمذحجيون جميعا ثم مر بفلسطين فوثب الحكيم بن صعنان بن روح بن زنباع لما رأوا من ادبار الامر عنه

ولقب الراضي بالله وخلع أيضا على الامير علي بن المقتدر وولي الري ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر وفيها أحضر بدار عيسى رجل يعرف بالحلاج ويكنى أبا محمد مشعبذا في قول بعضهم وصاحب حقيقة في قول بعضهم ومعه صاحب له فقيل انه يدعي الربوبية وصلب هو وصاحبه ثلاثة أيام كل يوم من بكرة الى انتصاف النهار ثم يؤمر بهما الى الحبس وسنذكر اخباره واختلاف الناس فيه عند صلبه وفيها في صفر عزل أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان عن الموصل وقلد يمن الطولوني المعونة بالموصل ثم صرف عنها في هذه السنة واستعمل عليها نحرير الخادم الصغير وفيها خالف أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان على المقتدر فسير اليه مؤنسا المظفر وعلى مقدمته بني بن نفيس خرج الى الموصل منتصف صفر ومعه جماعة من القواد وخرج مؤنس في ربيع الاول فلما علم أبو الهيجاء بذلك قصد مؤنسا مستأمنا من تلقاء نفسه وورد معه الى بغداد فخلع المقتدر عليه وفيها توفي دميانة أمير الثغور وبحر الروم وقلد مكانه ابن بلال

﴿ذكر قتل الامير أبي نصر أحمد بن اسمعيل الساماني وولاية ولده نصر﴾

وفي هذه السنة قتل الامير أحمد بن اسمعيل بن أحمد الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر وكان مولعا بالصيد فخرج الى فربر متصيدا فلما انصرف أمر باحراق ما اشتمل عليه عسكره وانصرف فورد عليه كتاب نائبه بطبرستان وهو أبو العباس صعلوك وكان يليها بعد وفاة ابن نوح بها يخبره بظهور الحسن بن علي العلوي الاطروش بها وتغلبه عليها وانه أخرجه عنها فغم ذلك أحمد وعاد الى معسكره الذي أحرقه فنزل عليه فتطير الناس من ذلك وكان له أسد يربطه كل ليلة على باب مبيته فلا يجسر أحد ان يقربه فاغفلوا احضار الاسد تلك الليلة فدخل اليه جماعة من غلمانه فذبحوه على سريره وهربوا وكان قتله ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة احدى وثلثمائة فحمل الى بخارا فدفن بها ولقب حينئذ بالشهيد وطلب أولئك الغلمان فاخذ بعضهم فقتل وولي الامر بعده ولده أبو الحسن نصر بن أحمد وهو ابن ثمان سنين وكانت ولايته ثلاثين سنة وثلاثة وثلاثين يوما وكان موته في رجب سنة احدى وثلاثين وثلثمائة ولقب بالسعيد وبايعه أصحاب أبيه ببخارا بعد دفن أبيه وكان الذي تولى ذلك أحمد بن محمد بن الليث وكان متولي أمر بخارا فحمله على عاتقه وبايع له الناس ولما حمله خدم أبيه ليظهر للناس خافهم وقال أتريدون ان تقتلوني كما قتلتم أبي فقالوا لا انما نريد ان تكون موضع أبيك أميرا فسكن روعه واستصغر الناس نصرا واستضعفوه وظنوا ان أمره لا ينتظم مع قوة عم أبيه الامير اسحق بن أحمد وهو شيخ السامانية وهو صاحب سمرقند وميل الناس بما وراء النهر سوى بخارا اليه والى أولاده وتولى تدبير دولة السعيد نصر بن أحمد أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني فامضى الامور وضبط المملكة واتفق هو وحشم نصر بن أحمد على تدبير الامر فاحكموه ومع هذا فان أصحاب الاطراف طمعوا في البلاد فخرجوا من النواحي على ما نذكره فممن خرج عن طاعته أهل سجستان وعم أبيه اسحق بن أحمد بن أسد بسمرقند وابناه منصور والياس ابنا اسحق ومحمد بن الحسين بن مت وأبو الحسين بن يوسف والحسين بن علي المروروذي ومحمد بن جيد وأحمد بن سهل وليلى بن نعمان صاحب العلويين بطبرستان ووقعة سيمجور مع أبي الحسن بن الناصر وقراتكين وما كان بن كالي وخرج عليه اخوته يحيى ومنصور وابراهيم أولاد أحمد بن اسمعيل وجعفر بن أبي جعفر وابن داود ومحمد بن الياس ونصر بن محمد بن مت ومرداويج ووشمكير ابنا زيار وكان السعيد مظفرا منصورا عليهم

﴿ذكر أمر سجستان﴾

وعلم مروان أن اسمعيل بن عبد الله القشيري قد غشه في الرأي ولم يمحضه النصيحة وأنه فرط في مشورته اياه اذ شاور رجلا من قحطان موتورا متعصبا من قومه على اضدادهم من نزار وأن الرأي الذي هم بفعله من قطع الدرب ونزول بعض حصون الروم ومكاتبة ملكها الى أن يرتئي في أمره كان أولى وذكر المدائني والعتبي وغيرهما أن مروان حين نزل على الزاب جرد من رجاله من اختاره من سائر جيشه من أهل الشام والجزيرة وغيرهم مائة ألف فارس فلما كان يوم الوقعة وأشرف عبد الله بن علي في المسودة وفي أوائلهم البنود السود يحملها الرجال على الجمال البخت وقد جعلت أقنا بها من خشب الصفصاف والغرب قال مروان لمن قرب منه أما ترون رماحهم كأنها النخل غلاظا أما ترون الى أعلامهم فوق هذه الابل كأنها قطع من الغمام سود فبينا هو كذلك اذ طارت من أرجة هنالك قطعة من الغرابيب سود فاجتمعت على أول رايات عبد الله بن علي واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود ومروان ينظر فتطير من ذلك وقال أما ترون السواد قد اتصل بالسواد وكان الغرابيب كالسحب سودا ثم نظر الى أصحابه المحاربين وقد استشعروا الجزع والفشل فقال انهم العدة

ولما قتل الامير أحمد بن اسمعيل خالف أهل سجستان على ولده نصر وانصرف عنها سيمجور الدواتى فولاها المقتدر بالله بدرا الكبير فانفذ اليها الفضل بن حميد وأبا يزيد خالد بن محمد المروزى وكان عبيد الله بن أحمد الجيهانى ببست والرخج وسعد الطالقانى بغزنة من جهة السعيد نصر بن أحمد فقصدهما الفضل وخالد وانكشف عنهما عبيد الله وقبضا على سعد الطالقانى وانفذاه الى بغداد واستولى الفضل وخالد على غزنة وبست ثم اعتل الفضل وانفرد خالد بالامور وعصى على الخليفة فانفذ اليه درك أخا نجح الطولونى فقاتله فهزمه خالد وسار خالد الى كرمان فانفذ اليه بدر جيشا فقاتلهم خالد فجرح وانهزم أصحابه وأخذ هو أسيرا فمات فحمل رأسه الى بغداد

﴿ ذكر خروج اسحق بن أحمد وابنه الياس ﴾

وفى هذه السنة وهى احدى وثلثمائة خرج على السعيد نصر بن أحمد بن اسمعيل عم أبيه اسحق ابن أحمد بن أسد وابنه الياس وكان اسحق بسمرقند لما قتل أحمد بن اسمعيل وولى ابنه نصر بن أحمد فلما بلغه ذلك عصى بها وقام ابنه الياس بأمر الجيش وقوى أمرهما فسار وانحو بخارا فسار اليه حمويه بن على فى عسكر وكان ذلك فى شهر رمضان فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم اسحق الى سمرقند ثم جمع وعاد مرة ثانية فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم اسحق أيضا وتبعه حمويه الى سمرقند فملكها قهرا واختفى اسحق وطلبه حمويه ووضع عليه العيون والرصد فضاق باسحق مكانه فاظهر نفسه واستأمن الى حمويه فآمنه وحمله الى بخارا فأقام بها الى ان مات واما ابنه الياس فانه سار الى فرغانة وبقى بها الى ان خرج ثانيا

﴿ ذكر ظهور الحسن بن على الاطروش ﴾

وفيها استولى الحسن بن على بن الحسن بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب على طبرستان وكان يلقب بالناصر وكان سبب ظهوره ما نذكره وقد ذكرنا فيما تقدم عصيان محمد بن هرون على أحمد بن اسمعيل وهربه منه وغير ذلك ثم ان الامير أحمد بن اسمعيل استعمل على طبرستان أبا العباس عبد الله بن محمد بن نوح فأحسن فيهم السيرة وعدل فيهم وأكرم من بها من العلويين وبالغ فى الاحسان اليهم وراسل رؤساء الديلم وهاداهم واستمالهم وكان الحسن بن على الاطروش قد دخل الديلم بعد قتل محمد بن زيد وأقام بينهم نحو ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى الاسلام ويقتصر منهم على العشر ويدافع عنهم ابن حسان ملكهم فأسلم منهم خلق كثير واجتمعوا عليه وبنى فى بلادهم مساجد وكان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وسالوس وغيرهما وكان بمدينة سالوس حصن منيع قديم فهدمه الاطروش حين أسلم الديلم والجيل ثم انه جعل يدعوهم الى الخروج معه الى طبرستان فلا يجيبونه الى ذلك لاحسان ابن نوح فاتفق ان الامير أحمد عزل ابن نوح عن طبرستان وولاها سلاما فلم يحسن سياسة أهلها وهاج عليه الديلم فقاتلهم وهزمهم واستقال عن ولايتها فعزله الامير أحمد وأعاد اليها ابن نوح فصلحت البلاد معه ثم انه مات بها واستعمل عليها أبو العباس محمد بن ابراهيم صعلوك فغير رسوم ابن نوح واساء السيرة وقطع عن رؤساء الديلم ما كان يهديه اليهم ابن نوح فانتهز الحسن بن على الفرصة وهيج الديلم عليه ودعاهم الى الخروج معه فاجابوه وخرجوا معه وقصدهم صعلوك فالتقوا بمكان يسمى نوروز وهو على شاطئ البحر على يوم من سالوس فانهزم ابن صعلوك وقتل من أصحابه نحو أربعة آلاف رجل وحصر الاطروش الباقين ثم أمنهم على أموالهم وأنفسهم وأهليهم فخرجوا اليه فامنهم وعاد عنهم الى آمل وانتهى اليهم الحسن بن القاسم الداعى العلوى وكان ختن الاطروش فقتلهم عن آخرهم لانه لم

أخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادة ذكرها والله ولى التوفيق

﴿ ذكر خلافة أبى العباس عبد الله بن محمد السفاح ﴾

بويع أبو العباس السفاح وهو عبد الله بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقيل فى النصف من شهر جمادى الآخرة من هذه السنة وأمه رائطة بنت عبد الله بن عبد المدان الحارثية وركب الى المسجد الجامع فى يوم الجمعة فخطب على المنبر قائما وكانت بنو أمية تخطب قعودا فضج الناس وقالوا أحييت السنة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ومات بالانبار فى مدينته التى بناها وذلك فى يوم الاحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقيل ابن تسع وعشرين سنة وكانت أمه تحت عبد الملك ابن مروان فكان له منها الحجاج بن عبد الملك فلما توفى عبد الملك تزوجها محمد بن على بن عبد الله بن العباس فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح وعبيد

يكن أمنهم ولا عاهدهم واستولى الاطروش على طبرستان وخرج صعلوك الى الرى وذلك سنة احدى وثلثمائة ثم سار منها الى بغداد وكان الاطروش قد أسلم على يده من الديلم الذين هم وراء اسفيدروذ الى ناحية آمل وهم يذهبون مذهب الشيعة وكان الاطروش زيدى المذهب شاعرا مفلقا ظريفا علامة اماما فى الفقه والدين كثير المجون حسن النادرة حكى عنه انه استعمل عبد الله ابن المبارك على جرجان وكان يرمى بالابنة فاستجزه الحسن يوما فى شغل له وانكره عليه فقال أيها الامير انا احتاج الى رجال اجلاد يعينونى فقال قد بلغنى ذلك وكان سبب صممه انه ضرب على رأسه بسيف فى حرب محمد بن زيد فطرش وكان له من الاولاد الحسن وأبو القاسم والحسين فقال يوما لابنه الحسن يابنى ههنا شئ من الغراء نلصق به كاغدا فقال لا الا ههنا بنلحاء فحقدها عليه ولم يوله شيأ وولى ابنيه أبا القاسم والحسين وكان الحسن ينكر تركه معزولا ويقول انا أشرف منهما لان أمى حسنية وامهما أمة وكان الحسن شاعرا وله مناقضات مع ابن المعتز ولحق الحسن بابن أبى الساج فخرج معه يوما متصيدا فسقط عن دابته فبقى راجلا فمر به ابن أبى الساج فقال له اركب معى على دابتى فقال أيها الامير لا يصلح بطلان على دابة

﴿ذكر القرامطة وقتل الجنابى﴾

فى هذه السنة قتل أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابى كبير القرامطة قتله خادم له صقلبى فى الحمام فلما قتله استدعى رجلا من أكابر رؤسائهم وقال له السيد يستدعيك فلما دخل قتله ففعل ذلك بأربعة نفر من رؤسائهم واستدعى الخامس فلما دخل فطن لذلك فامسك بيد الخادم وصاح فدخل الناس وصاح النساء وجرى بينهم وبين الخادم مناظرات ثم قتلوه وكان أبو سعيد قد عهد الى ابنه سعيد وهو الاكبر فعجز عن الامر فغلبه أخوه الاصغر أبو طاهر سليمان وكان شهما شجاعا وسيرد من اخباره ما يعلم به محله ولما قتل أبو سعيد كان قد استولى على هجر والاحساء والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين وكان المقتدر قد كتب الى أبى سعيد كتابا لينا فى معنى من عنده من أسرى المسلمين ويناظره ويقيم الدليل على فساد مذهبه وننفذه مع الرسل فلما وصلوا الى البصرة بلغهم خبر موته فاعلموا الخليفة بذلك فامرهم بالمسير الى ولده فاتوا أبا طاهر بالكتاب فاكرم الرسل واطلق الاسرى ونفذهم الى بغداد وأجاب عن الكتاب

﴿ذكر مسير جيش المهدى الى مصر﴾

فى هذه السنة جهز المهدى العساكر من افريقية وسيرها مع ولده أبى القاسم الى الديار المصرية فساروا الى برقة واستولوا عليها فى ذى الحجة وساروا الى مصر فملك الاسكندرية والفيوم وصار فى يده أكثر البلاد وضيق على أهلها فسير اليها المقتدر بالله مؤنسا الخادم فى جيش كثيف فحاربهم وأجلاهم عن مصر فعادوا الى المغرب مهزومين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفى هذه السنة كثرت الامراض الدموية بالعراق ومات بها خلق كثير وأكثرهم بالحربية فانها أغلقت بها دور كثيرة لفناء أهلها وفيها توفى جعفر بن محمد بن الحسن الفريابى ببغداد والقاضى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر المقدمى الثقفى

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثلثمائة﴾

فى هذه السنة أمر على بن عيسى الوزير بالمسير الى طرسوس لغزو الصائفة فسار فى ألفى فارس معونة لبشر الخادم والى طرسوس فلم يتيسر لهم غزو الصائفة فغزوها شاتية فى برد شديد وثلج وفيها

الله وداود وميمونة

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

ولما حبس ابراهيم الامام بحران وعلم أن لا نجاة له من مروان أثبت وصيته وجعلها الى أخيه أبى العباس عبد الله بن محمد وأوصاه بالقيام بالدولة والجد والحركة وأن لا يكون له بعده بالحميمة لبث ولا عرجة حتى يتوجه الى الكوفة فان هذا الامر صائر اليه لا محالة وأنه بذلك أتتهم الرواية وأظهره على أمر الدعاة بخراسان والنقباء ورسم له بذلك رسما أوصاه فيه أن يعمل عليه ولا يتعداه ودفع الوصية بجميع ذلك الى سابق الخوارزمى مولاه وأمره ان حدث به حدث من مروان فى ليل أو نهار ان يركب أسرع سابق فى السير فلما حدث ركب وسار حتى أتى الحميمة فدفع الوصية الى أبى العباس ونعاه اليه فأمره أبو العباس بستر الوصية وان ينعاه ثم أظهر أبو العباس من أهل بيته على أمره ودعا الى موازرته ومكاشفته أخاه أبا جعفر عبد الله بن محمد وعيسى بن موسى بن محمد بن أخيه وعبد الله بن على عمه وتوجه أبو العباس الى الكوفة مسرعا وهؤلاء معه فى غيرهم ممن خف من أهل بيته فلقيتهم أعرابية على بعض مياه العرب فى طريقهم الى الكوفة وقد تقدم أبو العباس وأخوه أبو جعفر وعمه عبد الله بن على فيمن كان معهم الى

تنحى الحسن بن علي الاطروش العلوي عن آمل بعد غلبته عليها كما ذكرناه وسار الى سالوس ووجه اليه صعلوك جيشا من الري فلقيهم الحسن وهزمهم وعاد الى آمل وكان الحسن بن علي حسن السيرة عادلا ولم ير الناس مثله في عدله وحسن سيرته واقامته الحق وقد ذكره ابن مسكويه في كتاب تجارب الامم فقال الحسن بن علي الداعي وليس به انما الداعي علي بن القاسم وهو ختن هذا على ماذكرناه وفيها قبض المقتدر على أبي عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص الجوهري وأخذ ما في بيته من صنوف الاموال وكان قيمته أربعة آلاف ألف دينار وكان هو يدعي ان قيمة ما أخذ منه عشرون ألف ألف دينار وأكثر من ذلك

(ذكر مخالفة منصور بن اسحق)

وفي هذه السنة خالف منصور بن اسحق بن أحمد بن أسد على الامير نصر بن أحمد ووافقه على المخالفة الحسين بن علي المروزي ومحمد بن حيد وكان سبب ذلك ان الحسين بن علي لما افتتح سجستان الدفعة الاولى على ماذكرناه للامير أحمد بن اسمعيل طمع ان يتولاها فولاها منصور بن اسحق هذا فخالف أهلها وحبسوا منصورا فانفذ الامير أحمد عليا أيضا فافتتحها ثانيا وطمع ان يتولاها فولاها سيمجور وقد ذكرناه هذا جميعه فلما وليها سيمجور استوحش علي لذلك ونفر منه وتحدث مع منصور بن اسحق في الموافقة والتعاضد بعد موت الامير أحمد وتكون امارة خراسان لمنصور ويكون الحسين بن علي خليفته على أعماله فاتفقا على ذلك فلما قتل الامير أحمد بن اسمعيل كان منصور بن اسحق بنيسابور والحسين بهراة فأظهر الحسين العصيان وسار الى منصور يحثه على ما كانا اتفقا عليه فخالف أيضا وخطب لمنصور بنيسابور فتوجه اليهما من بخارا حمويه بن علي في عسكر ضخم لمحاربتهما فاتفق ان منصورا مات فقيل ان الحسين بن علي سمه فلما قاربه حمويه سار الحسين بن علي عن نيسابور الى هراة وأقام بها وكان محمد بن حيد على شرطة بخارا مدة طويلة فسير من بخارا الى نيسابور واشتغل بقوم به فوردها ثم عاد عنها بغير أمر فكتب اليه من بخارا بالانكار عليه فخاف على نفسه فعدل عن الطريق الى الحسين بن علي بهراة فسار الحسين بن علي من هراة الى نيسابور واستخلف بهراة أخاه منصور بن علي واستولى على نيسابور فسير من بخارا اليه أحمد بن سهل لمحاربته فابتدأ أحمد بهراة فحصرها وأخذها واستأمن اليه منصور بن علي وسار أحمد من هراة الى نيسابور وكان وصوله اليها في ربيع الاول سنة ست وثلثمائة فنازل الحسين وحصره وقاتله فانهزم أصحاب الحسين وأسر الحسين بن علي وأقام أحمد ابن سهل بنيسابور وكان ينبغي ان نذكر استيلاء أحمد على نيسابور وأسر الحسين سنة ست وثلثمائة لكن رأينا ان نجمع سياق الحادثة لئلا ينسى أولها واما ابن حيد فانه كان بمرو فلما بلغه استيلاء أحمد بن سهل على نيسابور وأسره الحسين بن علي سار اليه فقبض عليه أحمد وأخذ ماله وسواده وسيره والحسين بن علي الى بخارا فاما ابن حيد فانه سير الى خوارزم فمات بها واما الحسين بن علي فانه حبس ببخارا الى ان خلصه أبو عبد الله الجيهاني وعاد الى خدمة الامير نصر ابن أحمد فبينما هو يوما عنده اذ طلب الامير نصر ماء فاتي بماء في كوز غير حسن الصنعة فقال الحسين بن علي لاحمد بن حمويه وكان حاضرا الا يهدي والدك الى الامير من نيسابور من هذه الكيزان اللطاف النظاف فقال أحمد انما يهدي أبي الى الامير مثلك ومثل أحمد بن سهل ومثل ليلى الديلمي لا الكيزان فاطرق الحسين مفحما وأعجب نصرا قوله

(ذكر خبر مصر مع العلوي المهدي)

وفيها

الماء فقالت الأعرابية تالله ما رأيت وجوها مثل هذه ما بين خليفة وخليفة وخارجي فقال لها أبو جعفر المنصور كيف قلت يا أمة الله قالت والله ليليها هذا وأشارت الى السفاح ولتخلفنه أنت وليخرجن عليك هذا وأشارت الى عبد الله بن علي فلما انتهوا الى دومة الجندل لقيهم داود بن علي وموسى بن داود وهما منصرفان من العراق الى الحميمة من أرض الشراة فسأله داود عن مسيره فاخبره بسببه وأعلمه بحركة أهل خراسان لهم مع أبي مسلم وانه يريد الوثوب بالكوفة فقال له داود يا أبا العباس تثبت بالكوفة فمروان شيخ بني أمية وزعيمهم في أهل الشام والجزيرة مطل على أهل العراق وابن هبيرة شيخ العرب وحلبة العرب بالعراق فقال أبو العباس يا عماه من أحب الحياة ذل وتمثل بقول الاعشى

فما ميتة ان متها غير عاجز ... بعار اذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داود الى ابنه موسى فقال أي بني صدق عمك ارجع بنا معه نحيا اعزاء أو نموت كراما فقطفا ركابهما معه وسار أبو العباس حتى دخل الكوفة وقد كان أبو سلمة حفص بن سليمان حين بلغه مقتل ابراهيم الامام أظهر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية الى آل أبي طالب وقدم أبو

وفيها انفذ أبو محمد عبيد الله العلوى الملقب بالمهدى جيشا من افريقيه مع قائد من قواده يقال له حباسة الى الاسكندريه فغلب عليها وكان مسيره فى البحر ثم سار منها الى مصر فنزل بين مصر والاسكندريه فبلغ ذلك المقتدر فارسل مؤنسا الخادم فى عسكر الى مصر لمحاربة حباسة وأمده بالسلاح والمال فسار اليها فالتقى العسكران فى جمادى الاولى فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل من الفريقين جمع كثير وجرح مثلهم ثم كان بينهم وقعة أخرى بنحوها ثم وقعة ثالثة ورابعة فانهزم فيها المغاربة أصحاب العلوى وقتلوا وأسروا فكان مبلغ القتلى سبعة آلاف مع الاسرى وهرب الباقون وكانت هذه الوقعة سلخ جمادى الآخرة وعادوا الى الغرب فلما وصلوا الى الغرب قتل المهدى حباسة وفيها خالف عروبة بن يوسف الكتامى على المهدى بالقيروان واجتمع اليه خلق كثير من كتامة والبرابر فاخرج المهدى اليهم مولاه غالبا فاقتتلوا قتالا شديدا فى محضر القيروان فقتل عروبة وبنو عمه وقتل معهم عالم لا يحصون وحملت رؤس مقدميهم فى قفة وحملت الى المهدى فقال ما أعجب أمور الدنيا قد جمعت هذه القفة رؤس هؤلاء وقد كان يضيق بهم ما كرهم وضاء المغرب

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها غزا بشر الخادم والى طرسوس بلاد الروم ففتح فيها وغنم وسبا وأسر مائة وخمسين بطريقا وكان السبى نحوا من ألفى رأس وفيها أوقع يانس الخادم بناحية وادى الذئاب بمن هنالك من الاعراب من بنى شيبان فقتل منهم خلقا كثيرا ونهب بيوتهم وأصاب فيها من أموال التجار التى كانوا أخذوها بقطع الطريق ما لا يحصى وفيها فى ذى الحجة ماتت بدعة المغنية مولاة عريب مولى المأمون وفيها فى ذى الحجة خرجت الاعراب من الحاجر على الحجاج فقطعوا عليهم الطريق وأخذوا من العين وما معهم من الامتعة والجمال ما أرادوا وأخذوا مائتين وخمسين امرأة وحج بالناس هذه السنة الفضل بن عبد الملك وفيها قلد أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان الموصل وفيها مات الشاه بن ميكال وفيها فى ليلة الاضحى انقض ثلاث كواكب كبار اثنان أول الليل وواحد آخره سوى كواكب صغار كثيرة والى آخر هذه السنة انتهى تاريخ أبى جعفر الطبرى رحمه الله ورأيت فى بعض النسخ الى آخر سنة ثلاث وثلثمائة وقيل ان سنة ثلاث زيادة فيه وليست من تاريخ الطبرى والله أعلم وفيها توفى اسحق بن أبى حسان الانماطى وابراهيم ابن شريك وأبو عيسى بن القزاز وأبو العباس البرانى وعلى بن محمد بن نصر بن بسام الشاعر وله نيف وسبعون سنة

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثلثمائة﴾

﴿ذكر أمر الحسين بن حمدان﴾

فى هذه السنة خرج الحسين بن حمدان بالجزيرة عن طاعة المقتدر وسبب ذلك ان الوزير على بن عيسى طالبه بمال عليه من ديار ربيعة وهو يتولاها فدافعه فأمره بتسليم البلاد الى عمال السلطان فامتنع وكان مؤنس الخادم غائبا بمصر لمحاربة عسكر المهدى العلوى صاحب افريقيه فجهز الوزير رائقا الكبير فى جيش وسيره الى الحسين بن حمدان وكتب الى مؤنس يأمره بالسير الى ديار الجزيرة لقتال الحسين بعد فراغه من أصحاب العلوى فسار رائق الى الحسين بن حمدان وجمع لهم الحسين نحو عشرين ألف فارس وسار اليهم فوصل الى الحبشة وهم قد قاربوها فلما رأوا كثرة جيشه علموا عجزهم عنه لانهم كانوا أربعة آلاف فارس فانحاز والى جانب دجلة ونزلوا بموضع

العباس الكوفة فيمن ذكرنا من أهل بيته سرا والمسودة مع أبى سلمة بالكوفة فأنزلهم جميعا دار الوليد بن سعد فى بنى أود وهى من اليمن وقد ذكرنا مناقب أود وفضائلها فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار الحجاج وبراءتهم من على والطاهرين من ذريته ولم أر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثمائة فيما درت من الارض وتغربت من الممالك رجلا من أود الا وجدته اذا استبطنت ما عنده ناصبيا متوليا لآل مروان وحزبهم وأخفى أبو سلمة أمر أبى العباس ومن معه ووكل بهم وكان قد وصل أبو العباس الكوفة فى صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وفيها جرى البريد بالكتب لولد العباس وقد كان أبو سلمة لما قتل ابراهيم الامام خاف انتقاض الامر وفساده عليه فبعث بمحمد ابن عبد الرحمن بن أسلم مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معه كتابين على نسخة واحدة الى أبى عبد الله جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب والى أبى محمد عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين يدعو كل واحد منهم الى الشخوص اليه ليصرف الدعوة اليه ويجتهد فى بيعة أهل خراسان له وقال للرسول العجل العجل فلا تكونن كوافد عاد فقدم محمد بن عبد الرحمن المدينة على أبى عبد الله جعفر بن محمد فلقيه ليلا فلما وصل اليه

ليس له طريق الا من وجه واحد وجاء الحسين فنزل عليهم وحصرهم ومنع الميرة عنهم من فوق ومن أسفل فضاقت عليهم الاقوات والعلوفات فارسلوا اليهم يبذلون له ان يوليه الخليفة ما كان بيده و يعود عنهم فلم يجب الى ذلك ولزم حصارهم وأدام قتالهم الى ان عاد مؤنس من الشام فلما سمع العسكر بقربه قويت نفوسهم وضعفت نفوس الحسين ومن معه فخرج العسكر اليه ليلا وكبسوه فانهزم وعاد الى ديار ربيعة وسار العسكر فنزلوا على الموصل وسمع مؤنس خبر الحسين فجد مؤنس فى المسير نحوه واستصحب معه أحمد بن كيغلغ فلما اقرب منه راسله الحسين يعتذر وترددت الرسل بينهما فلم يستقر حال فرحل مؤنس نحو الحسين حتى نزل بازاء جزيرة ابن عمر ورحل الحسين نحو أرمينية مع ثقله وأولاده وتفرق عسكر الحسين عنه وصاروا الى مؤنس ثم ان مؤنسا جهز جيشا فى أثر الحسين مقدمهم بليق ومعه سيما الجزرى وجنى الصفوانى فتبعوه الى تل فافان فرأوها خاوية على عروشها قد قتل أهلها وأحرقها فجدوا فى اتباعه فادركوه فقاتلوه فانهزم من بقى معه من أصحابه واسر هو ومعه ابنه عبد الوهاب وجميع أهله وأكثر من صحبه وقبض أملاكه وعاد مؤنس الى بغداد على الموصل والحسين معه فاركب على جمل هو وابنه وعليهم البرانس واللبود الطوال وقمصان من شعر احمر وحبس الحسين وابنه عند زيدان القهرمانة وقبض المقتدر على أبى الهيجاء بن حمدان وعلى جميع اخوته وحبسوا وكان قد هرب بعض أولاد الحسين بن حمدان فجمع جمعا ومضى نحو آمد فأوقع بهم مستحفظها وقتل ابن الحسين وأنفذ رأسه الى بغداد

(ذكر بناء المهدية)

فى هذه السنة خرج المهدى بنفسه الى تونس وقرطاجنة وغيرهما يرتاد موضعا على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة وكان يجد فى الكتب خروج أبى يزيد على دولته ومن أجله بنى المهدية فلم يجد موضعا أحسن ولا أحصن من موضع المهدية وهى جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصل بزند فبناها وجعلها دار ملكه وجعل لها سورا محكما وأبوابا عظيمة وزن كل مصراع مائة قنطار وكان ابتداء بنائها يوم السبت لخمس خلون من ذى القعدة سنة ثلاث وثلثمائة فلما ارتفع السور أمر راميا يرمى بالقوس سهما الى ناحية المغرب فرمى سهمه فانتهى الى موضع المصلى فقال الى موضع هذا يصل صاحب الحمار يعنى أبا يزيد الخارجى لانه كان يركب حمارا وكان يأمر الصناع بما يعملون ثم أمر ان ينقر دار صناعة فى الجبل تسع مائتى شينى وعليها باب مغلق ونقر فى أرضها اهراء للطعام ومصانع للماء وبنى فيها القصور والدور فلما فرغ منها قال اليوم أمنت على الفاطميات يعنى بناته وارتحل عنها ولما رأى اعجاب الناس بها وبحصانتها كان يقول هذا الساعة من نهار وكان كذلك لان أبا يزيد وصل الى موضع السهم ووقف فيه ساعة وعاد ولم يظفر

(ذكر عدة حوادث)

فيها أغارت الروم على الثغور الجزرية وقصدوا حصن منصور وسبوا من فيه وجرى على الناس أمر عظيم وكانت الجنود متشاغلة بامر الحسين بن حمدان وفيها عاد الحجاج وقد لقوا من العطش والخوف شدة وخرج جماعة من العرب على أبى حامد ورقاء بن محمد المرتب على الثعلبية لحفظ الطريق فقاتلهم وظفر بهم وقتل جماعة منهم وأسر الباقين وحملهم الى بغداد فامر المقتدر بتسليمهم الى صاحب الشرطة ليحبسهم فثارت بهم العامة فقتلوهم وألقوهم فى دجلة وفيها ظهر بالجامدة انسان زعم انه علوى فقتل العامل بها ونهبها وأخذ من دار الخراج أموالا كثيرة ثم قتل بعد ظهوره بيسير وقتل معه جماعة من أصحابه وأسر جماعة وفيها ظهرت الروم وعليهم الغشيط

فاوقعوا

أعلمه انه رسول أبى سلمة ودفع اليه كتابه فقال له أبو عبد الله وما أنا وأبو سلمة وأبو سلمة شيعة لغيرى قال له انى رسول فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت فدعا أبو عبد الله بسراج ثم أخذ كتاب أبى سلمة فوضعه على السراج حتى احترق وقال للرسول عرف صاحبك بما رأيت ثم أنشأ يقول متمثلا بقول الكميت بن زيد

أيا موقدا نارا لغيرك ضوءها ... ويا حاطبا فى غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده وأتى عبد الله بن الحسن فدفع اليه الكتاب فقبله وقرأه وابتهج فلما كان غد ذلك اليوم الذى وصل اليه فيه الكتاب ركب عبد الله حمارا حتى أتى منزل أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق فلما رآه أبو عبد الله أكبر مجيئه وكان أبو عبد الله أسن من عبد الله فقال له يا أبا محمد أمر ما أتى بك قال نعم هو أجل من أن يوصف فقال وما هو يا أبا محمد قال هذا كتاب أبى سلمة يدعونى الى ما أقبله وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان فقال له أبو عبد الله يا أبا محمد ومتى كان أهل خراسان شيعة لك أنت بعثت أبا مسلم الى خراسان وأنت أمرته بلبس السواد وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجهت فيهم وهل تعرف منهم أحدا فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام الى أن قال انما

فاوقعوا بجماعة من مقاتلة طرسوس والغزاة فقتلوا منهم نحو ستمائة فارس ولم يكن للمسلمين صائفة وفيها خرج مليح الارمني الى مرعش فعاث في بلدها وأسر جماعة ممن حولها وعاد وفيها وقع الحريق ببغداد في عدة مواضع فاحترق كثير منها وفيها توفي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي صاحب كتاب السنن بمكة ودفن بين الصفا والمروة والحسن بن سفيان النسوي وفيها توفي أبو بكر محمد بن عينونة بنصيبين وكان يتولى اعمال الخراج والضياع بديار ربيعة ولما توفي ولي ابنه الحسن مكانه وفيها توفي أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي المعتزلي وفيها توفي يموت بن المزرع العبدي وهو ابن أخت الجاحظ توفي بدمشق

﴿ثم دخلت سنة أربع وثلثمائة﴾

﴿ذكر عزل ابن وهسوذان عن أصبهان﴾

في هذه السنة في المحرم أرسل علي بن وهسوذان وهو متولي الحرب باصبهان غلاما كان رباه وتبناه الى أحمد بن شاه متولي الخراج في حاجة فلقيه راكبا فكلمه في حاجة مولاه ورفع صوته فشتمه أحمد وقال يا مؤاجر تكلمني بهذا على الطريق وحرد عليه فعاد الى مولاه باكيا وعرفه ذلك فقال صدق لولا انك مؤاجر لقتلته فعاد الغلام فلقيه وهو راكب فقتله فانكر الخليفة ذلك وصرف علي بن وهسوذان عن أصبهان وولى مكانه أحمد بن مسرور البلخي وأقام ابن وهسوذان بنواحي الجبل

﴿ذكر وزارة ابن الفرات الثانية وعزل علي بن عيسى﴾

في هذه السنة في ذي الحجة عزل علي بن عيسى عن الوزارة وأعيد اليها أبو الحسن علي بن الفرات وكان سبب ذلك ان أبا الحسن بن الفرات كان محبوسا وكان المقتدر يشاوره وهو في محبسه ويرجع الى قوله وكان علي بن عيسى يمشي أمر الوزارة ولم يتبع أصحاب ابن الفرات وأسبابه ولا غيره وكان جميل المحضر قليل الشر فبلغه ان أبا الحسن بن الفرات قد تحدث له جماعة من أصحاب الخليفة في اعادته الى الوزارة فشرع واستعفى من الوزارة وسأل في ذلك فانكر المقتدر عليه ومنعه من ذلك فسكن فلما كان آخر ذي القعدة جاءته أم موسى القهرمانة لتتفق معه على ما يحتاج حرم الدار والحاشية التي للدار من الكسوات والنفقات فوصلت اليه وهو نائم فقال لها حاجبه انه نائم ولا اجسر أوقظه فاجلسي في الدار ساعة حتى يستيقظ فغضبت من هذا وعادت واستيقظ علي بن عيسى في الحال فارسل اليها حاجبه وولده يعتذر فلم تقبل منه ودخلت على المقتدر وتخرصت على الوزير عنده وعند أمه فعزله عن الوزارة وقبض عليه ثامن ذي القعدة واعيد ابن الفرات الى الوزارة وضمن على نفسه ان يحمل كل يوم الى بيت المال ألف دينار وخمسمائة دينار فقبض على أصحاب الوزير علي بن عيسى وعاد فقبض على الخاقاني الوزير وأصحابه واعترض العمال وغيرهم وعاد عليهم باموال عظيمة ليقوم بما ضمنه وكان علي بن عيسى قد تعجل بمال من الخراج لينفقه في العيد فاتسع به ابن الفرات وكان قد كاتب العمال بالبلاد كفارس والاهواز وبلاد الجبل وغيرها في حمل المال وحثهم على ذلك غاية الحث فوصل بعد قبضه فادعى ابن الفرات الكفاية والنهضة في جمع المال وكان أبو علي بن مقلة مستخفيا مذ قبض ابن الفرات الى الآن فلما عاد ابن الفرات الى الوزارة ظهر فاصطنعه ابن الفرات وقربه

﴿ذكر أمر يوسف بن أبي الساج﴾

كان يوسف بن أبي الساج على اذربيجان وارمينية قد ولي الحرب والصلاة والاحكام وغيرها منذ

تريد القوم ابني محمدا الا انه مهدي هذه الامة فقال أبو عبد الله جعفر والله ما هو بمهدي هذه الامة ولئن شهر سيفه ليقتلن فنازعه عبد الله القول حتى قال له والله ما يمنعك من ذلك الا الحسد فقال أبو عبد الله والله ما هذا الا نصح مني لك ولقد كتب الى أبو سلمة بمثل ما كتب به اليك فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه فانصرف عبد الله من عند جعفر مغضبا ولم ينصرف رسول أبي سلمة اليه الى أن بويع للسفاح بالخلافة وذلك أن أبا حميد الطوسي دخل ذات يوم من العسكر الى الكوفة فلقي سابقا الخوارزمي في سوق الكناسة فقال له سابق قال سابق فسأله عن ابراهيم الامام فقال قتله مروان في الحبس وكان مروان يومئذ بحران فقال أبو حميد فالى من الوصية قال الى أخيه أبي العباس قال وأين هو قال معك بالكوفة هو وأخوه وجماعة من عمومته وأهل بيته قال مذ متى هم هنا قال من شهرين قال فمضى بنا اليهم قال غدا بيني وبينك الموعد في هذا الموضع وأراد سابق أن يستأذن أبا العباس في ذلك فانصرف الى أبي العباس فأخبره فلامه اذ لم يأت به معه

أوّل وزارة ابن الفرات الاولى وعليه مال يؤديه الى ديوان الخلافة فلما عزل ابن الفرات وولى الخاقانى الوزارة وبعده على بن عيسى طمع فأخر حمل بعض المال فاجتمع له ما قويت به نفسه على الامتناع وبقى كذلك الى هذه السنة فلما بلغه القبض على الوزير على بن عيسى أظهر ان الخليفة أنفذ له عهدا بالرى وان الوزير على بن عيسى سعى له فى ذلك وأنفذه اليه وجمع العساكر وسار الى الرى وبها محمد بن على صعلوك يتولى أمرها لصاحب خراسان وهو الامير نصر بن أحمد ابن اسمعيل السامانى وكان صعلوك قد تغلب على الرى وما يليها أيام وزارة على بن عيسى ثم أرسل الى ديوان الخلافة وقاطع عليها بمال يحمله فلما بلغه مسير يوسف بن أبى الساج نحوه سار الى خراسان فدخل يوسف الرى واستولى عليها وعلى قزوين وزنجان وابهر فلما بلغ المقتدر فعله وقوله ان على بن عيسى أنفذ له العهد واللواء بذلك فأنكره واستعظمه وكتب يوسف الى الوزير ابن الفرات يعرفه ان على بن عيسى انفذ اليه بعهده على هذه الاماكن وانه افتتحها وطرد عنها المتغلبين عليها ويعتذر بذلك ويذكر كثرة ما اخرجه فعظم ذلك على المقتدر وأمر ابن الفرات ان يسأل على ابن عيسى عن الذى ذكره يوسف فأحضره وسأله فأنكر ذلك وقال سلوا الكتاب وحاشية الخليفة فان العهد واللواء لابد ان يسير بهما بعض خدم الخليفة أو بعض قواده فعلموا صدقه وكتب ابن الفرات الى ابن أبى الساج ينكر عليه تعرضه الى هذه البلاد وكذبه على الوزير على بن عيسى وجهز العساكر لمحاربته وكان مسير العساكر سنة خمس وثلثمائة وكان المقدم على العسكر خاقان المفلحى ومعه جماعة من القواد كاحمد بن مسرور البلخى وسيما الجزرى ونحرير الصغير فساروا والتقوا بيوسف واقتتلوا فهزمهم يوسف وأسر منهم جماعة وادخلهم الرى مشهورين على الجمال فسير الخليفة مؤنسا الخادم فى جيش كثيف الى محاربته فسار وانضم اليه العسكر الذى كان مع خاقان فصرف خاقان عن اعمال الجبل وولبها نحرير الصغير وسار مؤنس وأتاه أحمد بن على وهو أخو محمد بن على صعلوك مستأمنا فأكرمه ووصله وكتب ابن أبى الساج يسأل الرضا وان يقاطع على أعمال الرى وما يليها على سبعمائة ألف دينار لبيت المال سوى ما يحتاج اليه الجند وغيرهم فلم يجبه المقتدر الى ذلك ولو بذل ملء الارض لما اقره على الرى يوما واحدا لاقدامه على التزوير فلما عرف ابن أبى الساج ذلك سار عن الرى بعد أن اخربها وجبى خراجها فى عشرة أيام وقلد الخليفة الرى وقزوين وابهر وصيفا البكتمرى وطلب ابن أبى الساج ان يقاطع على ما كان بيده من الولاية فاشار ابن الفرات باجابته الى ذلك فعارضه نصر الحاجب وابن الحوارى وقالا لا يجوز ان يجاب الى ذلك الا بعد ان يطأ البساط ونسب ابن الفرات الى مواطأة ابن أبى الساج والميل معه فحصل بينهما وبين ابن الفرات عداوة فامتنع المقتدر من اجابته الى ذلك الى ان يحضر فى خدمته بنفسه فلما رأى يوسف ان دمه على خطران حضر لخدمة حارب مؤنسا فانهزم مؤنس الى زنجان وقتل من قواده سيما ابن بويه وأسر جماعة منهم فيهم هلال بن بدر فادخلهم اردبيل مشتهرين على الجمال وأقام مؤنس بزنجان يجمع العساكر ويستمد الخليفة وكاتبه ابن أبى الساج فى الصلح وتراسلا فى ذلك وكتب مؤنس الى الخليفة فلم يجبه الى ذلك فلما كان فى المحرم سنة سبع وثلثمائة والوزير يومئذ حامد بن العباس اجتمع لمؤنس عسكر كبير فسار الى يوسف فتواقعا على باب اردبيل فانهزم عسكر يوسف وأسر يوسف وجماعة من أصحابه وعاد بهم مؤنس الى بغداد فدخلها فى المحرم أيضا وادخل يوسف أيضا بغداد مشتهرا على جمل وعليه برنس باذناب الثعالب فادخل الى المقتدر ثم حبس بدار الخليفة عند زيدان

القهرمانة

يهم ومضى أبو حميد فاخبر جماعة من قواد خراسان فى عساكر أبى سلمة بذلك منهم الجهم وموسى بن كعب وكان زعيمهم وغدا سابق الى الموضع فالتقى أبا حميد فمضيا حتى دخلا على أبى العباس ومن معه فقال أيكم الامام فاشار داود ابن على الى أبى العباس وقال هذا خليفتكم فاكب على أطرافه يقبلها وسلم عليه بالخلافة وأبو سلمة لا يعلم بذلك فبايعه ودخلوا الى الكوفة فى أحسن زى وضربوا له مصافا وقدمت الخيول فركب أبو العباس ومن معه حتى أتوا قصر الامارة وذلك فى يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب تنازع الناس فى أى شهر بويع من هذه السنة ثم دخل المسجد الجامع من دار الامارة فحمد الله وأثنى عليه وذكر تعظيم الرب ومنته وفضل النبى صلى الله عليه وسلم وقاد الولاية والوراثة حتى انتهت اليه ووعد الناس خيرا ثم سكت فتكلم عمه داود بن على وهو على المنبر دون أبى العباس فقال انه والله ما كان بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة الا على وأمير المؤمنين هذا الذى خلفى ثم نزل وخرج أبو العباس الى

القهرمانة ولما ظفر مؤنس بابن أبي الساج قلد علي بن وهسوذان أعمال الري ودنباوند وقزوين وأبهر وزنجان وجعل أموالها ار جاله وقلد أصبهان وقم وقاشان وساوه لاحمد بن علي بن صعلوك وسار عن اذربيجان

﴿ذكر حال هذه البلاد بعد مسير مؤنس﴾

لما سار مؤنس عن اذربيجان الى العراق وثب سبك غلام يوسف بن أبي الساج على بلاد اذربيجان فالكها واجتمع اليه عسكر عظيم فأنفذ اليه مؤنس محمد بن عبيد الله الفارقي وقلده البلاد وسار الى سبك وحاربه فانهزم الفارقي وسار الى بغداد وتمكن سبك من البلاد ثم كتب الى الخليفة يسأل ان يقاطع على اذربيجان فأجيب الى ذلك وقرر عليه كل سنة مائتان وعشرون ألف دينار وأنفذت اليه الخلع والعهد فلم يقف على ماقرره ثم وثب أحمد بن مسافر صاحب الطرم على ابن أخيه علي بن وهسوذان وهو مقيم بناحية قزوين فقتله على فراشه وهرب الى بلده فاستعمل مكان علي بن وهسوذان وصيف البكتمري وقلد محمد بن سليمان صاحب الجيش اعمال الخراج بها وسار أحمد ابن علي بن صعلوك من قم الى الري فدخلها فأنفذ الخليفة ينكر عليه ذلك ويأمره بالعود الى قم فعاد ثم انه أظهر الخلاف وصرف عمال الخراج عن قم واستعد للمسير الى الري فكوتب نحرير الصغير وهو على همذان ليسير هو ووصيف الى الري لمنع أحمد بن علي عنها فسار واليها فلقيهم أحمد بن علي على باب الري فهزمهم أحمد وقتل محمد بن سليمان واستولى أحمد على الري وكاتب نصرا الحاجب ليصلح أمره مع الخليفة ففعل ذلك وأصلح أمره وقرر عليه عن الري ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر مائة وستين ألف دينار محمولة كل سنة الى بغداد فنزل أحمد عن قم فاستعمل الخليفة عليها من ينظر فيها

﴿ذكر تغلب كثير بن أحمد على سجستان ومحاربته﴾

كان كثير بن أحمد بن شهفور قد تغلب على اعمال سجستان فكتب الخليفة الى بدر بن عبد الله الحمامي وهو متقلد اعمال فارس يأمره ان يرسل جيشا يحاربون كثيرا ويؤمر عليهم دردا ويستعمل على الخراج بها زيد بن ابراهيم فجهز بدر جيشا كثيفا وسيرهم فلما وصلوا قاتلهم كثير فلم يكن له بهم قوة وضعف أمره وكادوا يملكون البلد فبلغ اهل البلد أن زيدا معه قيود وأغلال لاعيانهم فاجتمعوا مع كثير وشدوا امنه وقاتلوا معه فهزموا عسكر الخليفة وأسروا زيدا فوجدوا معه القيود والاغلال فجعلوها في رجليه وعنقه وكتب كثير الى الخليفة يتبرأ من ذلك ويجعل الذنب فيه لاهل البلد فارسل الخليفة الى بدر الحمامي يأمره ان يسير بنفسه الى قتال كثير فتجهز بدر فلما سمع كثير ذلك خاف فارسل يطلب المقاطعة على مال يحمله كل سنة فاجيب الى ذلك وقوطع على خمسمائة ألف درهم وقررت البلاد عليه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في الصيف خافت العامة ببغداد من حيوان كانوا يسمونه الزبزب ويقولون انهم يرونه في الليل على سطوحهم وانه يأكل اطفالهم وربما عض يد الرجل وثدي المرأة فقطعهما وهرب بهما فكان الناس يتحارسون ويتزاعقون ويضربون بالطشوت والصواني وغيرها ليفزعوه فارتجت بغداد لذلك ثم ان أصحاب السلطان صادوا ليلة حيوانا أبلق بسواد قصير اليدين والرجلين فقالوا هذا هو الزبزب وصلبوه على الجسر فسكن الناس وهذه دابة تسمى طبرة وأصاب اللصوص حاجتهم لاشتغال الناس عنهم وفيها توفي الناصر العلوي صاحب طبرستان في

عسكر أبي سلمة فنزل في حجرته واستخلف على الكوفة وأرضها عمه داود بن علي و بعث بعمه عبد الله بن علي الى أبي عون عبد الملك بن يزيد فسار امعا الى مروان فكان من أمرهم ما قدمناه ذكره من التقائهم على الزاب وهزيمة مروان بن محمد واتصل بابي العباس السفاح ما كان من عامر بن اسمعيل وقتله لمروان ببوصير وقيل ان ابن عم لعامر يقال له نافع بن عبد الملك كان قتله في تلك الليلة في المعركة وهو لا يعرفه وأن عامرا لما احتز رأس مروان واحتوى على عسكره دخل الكنيسة التي كان فيها مروان فقعد على فرشه وأكل من طعامه فخرجت اليه ابنة مروان الكبرى وتعرف بأم مروان وكانت أسنهن فقالت ياعامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه حتى أقعدك عليها فاكلت من طعامه واحتويت على امره وحكمت في مملكته لقادر أن يغير مابك وبلغ السفاح فعله وكلامها فاغتاظ من ذلك وكتب اليه ويلك أما كان لك في أدب الله عز وجل ما يزجرك عن أن تاكل من طعام مروان وتقعد على مهاده وتتمكن من وساده أما والله لولا أن أمير المؤمنين تأول مافعلت على غير اعتقاد منك لذلك ولا شهوة لمسك من غضبه وأليم أدبه مايكون لك زاجرا ولغيرك واعظا فاذا أتاك كتاب أمير المؤمنين فتقرب الى الله بصدقة تطفئ بها

شعبان وعمره تسع وسبعون سنة وبقيت طبرستان في أيدي العلوية الى أن قتل الداعي وهو الحسن بن القاسم سنة ست عشرة وثلثمائة على ما نذكره وفيها خالف أبو يزيد خالد بن محمد المادرائي على المقتدر بالله بكرمان وكان يتولى الخراج وسار منها الى شيراز يريد التغلب على فارس فخرج اليه بدر الحمامي فحاربه وقتله وحمل رأسه الى بغداد وطيف به وفيها سار مؤنس المظفر الى بلاد الروم لغزاة الصائفة فلما صار بالموصل قلد سبك المفلحي بازبدى وقردى وقلد عثمان العنزي مدينة بلد وباعيناثا وسنجار وقلد وصيفا البكتمري باقي بلاد ربيعة وسار مؤنس الى ملطية وغزا فيها وكتب الى أبي القاسم علي بن أحمد بن بسطام ان يغزو من طرسوس في أهلها ففعل وفتح مؤنس حصونا كثيرة من الروم وأثر آثارا جميلة وعتب عليه أهل الثغور وقالوا الوشاء لفعل أكثر من هذا وعاد الى بغداد فأكرمه الخليفة وخلع عليه وفيها توفي يموت بن المزرع العبدي وهو ابن أخت الجاحظ وسليمان بن محمد بن أحمد أبو موسى النحوي المعروف بالحامض أخذ العلم عن ثعلب وكانت وفاته في ذي الحجة وكان من أصحاب ثعلب ويوسف بن الحسين بن علي بن يعقوب الرازي وهو من أصحاب ذي النون المصري وهو صاحب قصة الفارة معه

(ثم دخلت سنة خمس وثلثمائة)

في هذه السنة في المحرم وصل رسولان من ملك الروم الى المقتدر يطلبون المهادنة والفداء فأكرما اكراما كثيرا وادخلا على الوزير وهو في أكمل أبهة وقد صفت الاجناد بالسلاح والزينة التامة وأديا الرسالة اليه ثم انهما ادخلا على المقتدر وقد جلس لهما واصطف الاجناد بالسلاح والزينة التامة وأديا الرسالة فاجابهما المقتدر الى ما طلب ملك الروم من الفداء وسير مؤنسا الخادم ليحضر الفداء وجعله أميرا على كل بلد يدخله يتصرف فيه على ما يريد الى ان يخرج عنه وسير معه جمعا من الجنود واطلق لهم ارزاقا واسعة وانفذ معه مائة ألف وعشرين ألف دينار لفداء أسارى المسلمين وسار مؤنس والرسل وكان الفداء على يد مؤنس وفيها أطلق أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان واخوته وأهل بيته من الحبس وكانوا محبوسين بدار الخليفة وقد تقدم ذكر حبسهم وسببه وفيها مات العباس بن عمرو الغنوي وكان متقلدا أعمال الحرب بديار مضر فجعل مكانه وصيف البكتمري فلم يقدر على ضبط العمل فعزل وجعل مكانه جني الصفواني فضبطه أحسن ضبط وفي هذه السنة كانت بالبصرة فتنة عظيمة وسببها انه كان الحسن بن الخليل بن رمال متقلدا أعمال الحرب بالبصرة وأقام بها سنين وجرت بينه وبين العامة من مضر وربيعة فتن كثيرة وسكنت ثم ثارت بينهم فتنة اتصلت فلم يمكنه الخروج من منزله برحبة بني نمير واجتمع الجند كلهم معه وكان لا يوجد أحد منهم في طريق الا قتل حتى حوصرت وغورت القناة التي يجري فيها الماء الى بني نمير فاضطر الى الركوب الى المسجد الجامع فقتل من العامة خلقا كثيرا فلما عجز عن اصلاحهم خرج هو ومعه الاعيان من أهل البصرة الى واسط فعزل عنها واستعمل أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي عليها فبقي نحو سنة وصرف عنها وليها سبك المفلحي نيابة عن شفيع المقتدري وفيها عقد لثمال الخادم على الغزاة في بحر الروم وسار وفيها غزا جني الصفواني بلاد الروم فغنم ونهب وسبى وعاد سالما وفي هذه السنة مات أبو خليفة المحدث البصري وفيها في جمادى الاولى مات أبو جعفر ابن محمد بن عثمان العسكري المعروف بالسمان ويعرف أيضا بالعمري رئيس الامامية وكان يدعي انه الباب الى الامام المنتظر وأوصى الى أبي القاسم بن الحسين بن روح وفي آخرها توفي أحمد بن محمد بن شريح وكان عالما بمذهب الشافعي

غضبه وصلاة تظهر بها الاستكانة وصم ثلاثة أيام ومر جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك ولما أتى أبو العباس برأس مروان ووضع بين يديه سجد فاطال ثم رفع رأسه فقال الحمد لله الذي لم يبق ثاري قبلك وقبل رهطك الحمد لله الذي أظفرني بك وأظهرني عليك ثم قال ما أبالي متى طرقني الموت قد قتلت بالحسين وبني أبيه من بني أمية مائتين وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي وقتلت مروان باخي ابراهيم وتمثل

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم
ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ثم حول وجهه الى القبلة فأطال السجود ثم جلس وقد اسفر وجهه وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب من أبيات له

أبى قومنا أن ينصفونا فانصفت
قواطع في ايماننا تقطر الدما
تورثن من أشياخ صدق تقربوا
بهن الى يوم الوغى فتقدما
اذا خالطت هام الرجال تركنها
كبيض نعام في الوغى متحطما

وقالت الشعراء في أمر مروان فاكثرت (وذكر) أبو الخطاب عن أبي جعدة ابن هبيرة المخزومي وكان أحد وزراء مروان وسماره وقد كان لما ظهر أمر أبي العباس انضاف الى جملته وصار في عداد أصحابه وخواصه الذين اتخذهم أنه كان في ذلك اليوم حاضر المجلس أبي العباس ورأس مروان بين يديه وهو

(ثم

﴿ثم دخلت سنة ست وثلثمائة﴾

﴿ذكر عزل ابن الفرات ووزارة حامد بن العباس﴾

في هذه السنة في جمادى الآخرة قبض على الوزير أبي الحسن بن الفرات وكانت مدة وزارته هذه وهي الثانية سنة واحدة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوما وكان سبب ذلك انه أخر اطلاق ارزاق الفرسان واحتج عليهم بضيق الاموال وانها أخرجت في محاربة ابن أبي الساج وان الارتفاع نقص باخذ يوسف أموال الري وأعمالها فشغب الجند شغبا عظيما وخرجوا الى المصلى والتمس ابن الفرات من المقتدر اطلاق مائتي ألف دينار من بيت المال الخاصة ليضيف اليها مائتي ألف دينار يحصلها ويصرف الجميع في ارزاق الجند فاشتد ذلك على المقتدر وأرسل اليه انك ضمنت انك ترضي جميع الاجناد وتقوم بجميع النفقات الراتبة على العادة الاولة وتحمل بعد ذلك ما ضمنت انك تحمله يوما بيوم فاراك تطلب من بيت المال الخاصة فاحتج بقلة الارتفاع وما أخذه ابن أبي الساج من الارتفاع وما خرج على محاربته فلم يسمع المقتدر حجته وتنكر له عليه وقيل كان سبب قبضه ان المقتدر قيل له ان ابن الفرات يريد ارسال الحسين بن حمدان الى ابن أبي الساج ليحاربه واذا صار عنده اتفقا عليك ثم ان ابن الفرات قال للمقتدر في ارسال الحسين الى ابن أبي الساج فقتل ابن حمدان في جمادى الاولى وقبض على ابن الفرات في جمادى الآخرة ثم ان بعض العمال ذكر لابن الفرات ما يحصل لحامد بن العباس من أعمال واسط زيادة على ضمانه فاستكثره وأمره ان يكاتبه بذلك فكاتبه فخاف حامد ان يؤخذ ويطالب بذلك المال فكتب الى نصر الحاجب والى والدة المقتدر وضمن لهما مالا ليتحدثا له في الوزارة فذكر للمقتدر حاله وسعة نفسه وكثرة اتباعه وانه له أربعمائة مملوك يحملون السلاح واتفق ذلك عند نفرة المقتدر عن ابن الفرات فامره بالحضور من واسط فحضر وقبض على ابن الفرات وولده المحسن وأصحابهما وأتباعهما ولما وصل حامد الى بغداد أقام ثلاثة أيام في دار الخليفة فكان يتحدث مع الناس ويضاحكهم ويقوم لهم فبان للخدم ولابي القاسم بن الحواري وحاشية الدار قلة معرفته بالوزارة وقال له حاجبه يا مولانا الوزير يحتاج الى لبسه وجلسه وعبسه فقال له تمنى ان نلبس ونقعد فلا نقوم لاحد ولا نضحك في وجه أحد ولا نحدث أحدا قال نعم قال حامد ان الله أعطاني وجها طلقا وخلقا حسنا وما كنت بالذي أعبس وجهي وأقبح خلقي لاجل الوزارة فعابوه عند المقتدر ونسبوه الى الجهل بامور الوزارة فامر المقتدر باطلاق علي بن عيسى من محبسه وجعله يتولى الدواوين شبه النائب عن حامد فكان يراجعه في الامور ويصدر عن رأيه ثم انه استبد بالامر دون حامد ولم يبق الى حامد غير اسم الوزارة ومعناها لعلي حتى قيل فيهما

هذا وزير بلا سواد * وذا سواد بلا وزير

ثم ان حامدا أحضر ابن الفرات ليقابله على أعماله ووكل بمناظرته علي بن أحمد المادرائي ليعجم عليه الاموال فلم يقدر على اثبات الحجة عليه فانتدب له حامد وسبه ونال منه وقام اليه فلكمه وكان حامد سفيها فقال له ابن الفرات أنت على بساط السلطان وفي دار المملكة وليس هذا الموضع مما تعرفه من بيدر تقسمه أو غلة تستفضل في كيلها ولا هو مثل اكار تشتمه ثم قال لشفيع اللؤلؤي قل لامير المؤمنين عني ان حامدا انما حمله على الدخول في الوزارة وليس من أهلها اني أوجبت عليه أكثر من ألفي ألف دينار من فضل ضمانه وألححت في مطالبته بها فظن انها تندفع عنه بدخوله في الوزارة وانه يضيف اليها غيرها فاستشاط حامد وبالغ في شتمه فانفذ المقتدر فاقام ابن الفرات

يومئذ بالحيرة وأن أبا العباس التفت الى أصحابه فقال أيكم يعرف هذا فقال أبو جعدة فقلت أنا أعرفه هذا رأس أبي عبد الملك مروان بن محمد خليفتنا بالأمس رضي الله عنه قال فحدقت الى الشيعة فأخذتني بابصارها فقال لي أبو العباس في أي سنة كان مولده قلت سنة ست وسبعين فقام وقد تغير لونه غيظا علي وتفرق الناس من المجلس وانصرفت وأنا نادم على ما كان مني وتكلم الناس في ذلك وتحدثوا به فقلت زلة والله لا تستقال ولا تنساها القوم أبدا فأتيت منزلي فلم أزل باقي يومي أعهد وأوصي فلما كان الليل اغتسلت وتهيأت للصلاة وكان أبو العباس قد اهتم بامر بعث فيه ليلا فلم أزل ساهرا حتى أصبحت فلما أصبحت ركبت بغلتي واستعرضت بقلبي الى من اقصد في أمري فلم أجد أحدا أولى من سليمان بن خالد مولى بني زهرة وكان له من أبي العباس منزلة عظيمة وكان من شيعة القوم فأتيته فقلت أذكرني أمير المؤمنين البارحة فقال نعم جرى ذلك فقال هو ابن أختنا وفي اصاحبه ونحن ان أوليناه خيرا كان لنا أشكر فشكرت ذلك له وجزيته خيرا ودعوت له وانصرفت فلم أزل آتي أبا العباس على ما كنت عليه لا أرى الا خيرا ونمى الكلام الذي كان في مجلس أبي العباس حين أتي برأس مروان فبلغ أبا جعفر وعبد الله بن علي فكتب عبد الله بن علي الى أبي العباس يلومه بما بلغه من كلامي

من مجلسه ورده الى محبسه وقال علي بن عيسى ونصر الحاجب لحامد قد جنيت علينا وعلى نفسك جناية عظيمة بما فعلته بابن الفرات وأيقظت منه شيطانا لا ينام ثم ان ابن الفرات صودر على مال عظيم وضرب ولده المحسن وأصحابه وأخذ منهم أموال جمة وفي هذه السنة عزل نزار عن شرطة بغداد وجعل فيها نجح الطولوني وجعل في الارباع فقهاء يكون عمل أصحاب الشرطة بفتواهم فضعفت هيبة السلطنة بذلك وطمع اللصوص والعيارون وكثرت الفتن وكبست دور التجار وأخذت بنات الناس في الطريق المقطعة وكثر المفسدون

(ذكر ارسال المهدي العلوي العساكر الى مصر)

وفي هذه السنة جهز المهدي صاحب افريقية جيشا كثيفا مع ابنه أبي القاسم وسيرهم الى مصر وهي المرة الثانية فوصل الى الاسكندرية في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة فخرج عامل المقتدر عنها ودخلها القائم ورحل الى مصر فدخل الجيزة وملك الاشمونين وكثيرا من الصعيد وكتب الى أهل مكة يدعوهم الى الدخول في طاعته فلم يقبلوا منه ووردت بذلك الاخبار الى بغداد فبعث المقتدر بالله مؤنسا الخادم في شعبان وجد في السير فوصل الى مصر وكان بينه وبين القائم عدة وقعات ووصل من افريقية ثمانون مركبا نجدة للقائم فارست بالاسكندرية وعليها سليمان الخادم ويعقوب الكامي وكانا شجاعين فامر المقتدر بالله ان يسير مراكب طرسوس اليهم فسار خمسة وعشرون مركبا وفيها النفط والعدد ومقدمها أبو اليمن فالتقت المراكب بالمراكب واقتتلوا على رشيد فظفر أصحاب مراكب المقتدر وأحرقوا كثيرا من مراكب افريقية وهلك أكثر أهلها وأسر منهم كثير وفي الاسرى سليمان الخادم ويعقوب فقتل من الاسرى كثير وأطلق كثير ومات سليمان في الحبس بمصر وحمل يعقوب الى بغداد ثم هرب منها وعاد الى افريقية وأما عسكر القائم فكان بينه وبين مؤنس وقعات كثيرة وكان الظفر لمؤنس فلقب حينئذ بالمظفر ووقع الوباء في عسكر القائم والغلاء فمات منهم كثير من الناس والخيل فعاد من سلم الى افريقية وسار عسكر مصر في أثرهم حتى أبعدوا فوصل القائم الى المهدية في رجب من السنة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة غزا بشر الافشيني بلاد الروم فافتتح عدة حصون وغنم وسلم وغزا ثمل في بحر الروم فغنم وسبى وعاد وكان على الموصل أبو أحمد بن حماد الموصلي وفيها دخل جني الصفواني بلاد الروم فنهب وخرب وأحرق وفتح وعاد فقرئت الكتب على المنابر ببغداد بذلك وفيها وقعت فتنة ببغداد بين العامة والحنابلة فاخذ الخليفة جماعة منهم وسيرهم الى البصرة فحبسوا وفيها أمر المقتدر ببناء بيمارستان فبني وأجرى عليه النفقات الكثيرة وكان يسمى البيمارستان المقتدري وفيها توفي القاضي محمد بن خلف بن حيان أبو بكر الضبي المعروف بوكيع وكان عالما بأخبار الناس وغيرها وله تصانيف حسنة والقاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن شريح الفقيه الشافعي وله سبع وخمسون سنة وفيها مات كنيز المغني وهو مشهور بالحذق في الغناء (كنيز بضم الكاف وفتح النون وآخره زاي)

(ثم دخلت سنة سبع وثلثمائة)

في هذه السنة ضمن حامد بن العباس أعمال الخراج والضياع الخاصة والعامة والمستحدثة والفراتية بسواد بغداد والكوفة وواسط والبصرة والاهواز وأصبهان وسبب ذلك انه لما رأى انه قد تعطل عن الامر والنهي وتفرد به علي بن عيسى شرع في هذا ليصير له حديث وأمر

وأنه ليس هذا يحتمل وكتب أبو جعفر يخبره بما بلغه من ذلك ويقول هو ابن أخينا ونحن أولى باصطناعه واتخاذ المعروف عنده وبلغني ما كان منهما فأمسكت وضرب الدهر ضرباته فبينما أنا ذات يوم عند أبي العباس بعد حين وقد تزايدت حالي عنده وأحظاني فنهض الناس ونهضت فقال لي أبو العباس يا ابن هبيرة اجلس فجلست ونهض ليدخل فقمت لقيامه فقال اجلس فرفع فرفع الستر ودخل وثبت في مجلسي فأقام مليا ثم رفع الستر فخرج في ثوبي وشي رداء وجبة فما رأيت أحسن منه ولا مما عليه قط فلما رفع الستر نهضت فقال اجلس فجلست فقال يا ابن هبيرة اني ذاكر لك أمرا فلا يخرجن من رأسك الى أحد من الناس ثم قال قد علمت ما جعلنا من هذا الامر وولاية العهد لمن قتل مروان وعبد الله بن علي عمي هو الذي قتله لان ذلك كان بجيشه وبأصحابه وأخي أبو جعفر مع فضله وعلمه وايثاره لامر الله كيف يسوغ اخراجه عنه قال فأطال في مدح أبي جعفر فقلت أصلح الله الامير لأشير عليك ولكني أحدثك حديثا تعتبره فقال هاته فقلت كنا مع مسلمة بن عبد الملك عام الخليج بالقسطنطينية اذ ورد عليه كتاب عمر بن عبد العزيز ينعي سليمان ومصير الامر اليه فبعث

وثم

وثم ى واستأذن المقتدر فى الانحدار الى واسط ليدبر أمر ضمانه الاوّل فاذن له فى ذلك فانحدر اليها واسم الوزارة عليه وعلى بن عيسى يدبر الامور وأظهر حامد زيادة ظاهرة فى الاموال وزاد زيادة متوفرة فسر المقتدر بذلك وبسط يد حامد فى الاعمال حتى خافه على بن عيسى ثم ان السعر تحرك ببغداد فثارت العامة والخاصة لذلك واستغاثوا وكسروا المنابر وكان حامد يخزن الغلال وكذلك غيره من القواد ونهبت عدة من دكاكين الدقاقين فامر المقتدر باحضار حامد ابن العباس فحضر من الاهواز فعاد الناس الى شغبهم فانفذ حامد لمنعهم فقاتلوهم وأحرقوا الجسرين وأخرجوا المحبسين من السجون ونهبوا دار صاحب الشرطة ولم يتركوا له شيأ فانفذ المقتدر جيشا مع غريب الخال فقاتل العامة فهربوا من بين يديه ودخلوا الجامع بباب الطاق فوكل بأبواب الجامع وأخذ كل من فيه فحبسهم وضرب بعضهم وقطع أيدى من يعرف بالفساد ثم أمر المقتدر من الغد فنودى فى الناس بالامان فسكنت الفتنة ثم ان حامدا ركب الى دار المقتدر فى الطيار فرجمه العامة ثم أمر المقتدر بتسكينهم فسكنوا وأمر المقتدر بفتح مخازن الحنطة والشعير التى لحامد ولام المقتدر وغيرهما وبيع ما فيها فرخصت الاسعار وسكن الناس فقال على بن عيسى للمقتدر ان سبب غلاء الاسعار انما هو ضمان حامد لانه منع من بيع الغلال فى البيادر وخزنها فأمر بفسخ الضمان عن حامد وصرف عماله عن السواد وأمر على بن عيسى ان يتولى ذلك فسكن الناس واطمأنوا وكان أصحاب حامد يقولون ان ذلك الشغب كان بوضع من على بن عيسى

(ذكر أمر أحمد بن سهل)

فى هذه السنة ظفر الامير نصر بن أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر باحمد بن سهل ونحن نذكر حاله من أوّله كان هذا أحمد بن سهل من كبار قواد الامير اسمعيل بن أحمد وولده أحمد بن اسمعيل وولده نصر بن أحمد وقد تقدم من ذكر تقدمه على الجيوش فى الحروب ما يدل على علو منزلته وهو أحمد بن سهل بن هاشم بن الوليد بن جبلة بن كامكار بن يزدجرد بن شهريار الملك وكان كامكار دهقانا بنواحى مرو واليه ينسب الورد الكامكارى وهو الشديد الحمرة وهو الذى يسمى بالرى القصرانى وبالعراق والجزيرة والشام الجورى ينسب الى قصران وهى قرية بالرى والى مدينة جور وهى من مدن فارس وكان لاحمد اخوة يقال لهم محمد والفضل والحسين قتلوا فى عصبية العرب والعجم بمرو وكان أحمد خليفة عمرو بن الليث على مرو فقبض عليه عمرو ونقله الى سجستان فحبسها فرأى وهو فى السجن كان يوسف النبى عليه السلام على باب السجن فقال له ادع الله ان يخلصنى ويولينى فقال له قد أذن الله فى خلاصك لكنك لا تلى عملا برأسك ثم ان أحمد طلب الحمام فادخل اليها فأخذ النورة فطلى بها رأسه ولحيته فسقط شعره وخرج من الحمام ولم يعرفه أحد فاختفى فطلبه عمرو فلم يظفر به ثم خرج من سجستان نحو مرو فقبض على خليفة عمرو واستولى عليها واستأمن الى اسمعيل بن أحمد ببخارا فأكرمه وقدمه ورفع قدره وكان عاقلا كتوما لاسراره فلما عصى الحسين بن على سير اليه أحمد فظفر به على ما ذكرناه وضمن له الامير نصر أشياء لم يف له بها فاستوحش من ذلك فأتاه يوما بعض أصحاب أبى جعفر صعلوك فحادثه فانشده أحمد بن سهل وقد ذكر حاله وأنهم لم يفوا له بما وعدوه

ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى * يمينك فانظر أى كف تبدل
وفى الناس ان رثت حبالك واصل * وفى الارض عن دار القلى متحوّل

الى فدخلت عليه فرمى بالكتاب الى فقرأته ثم اندفع يبكى فقلت أصلح الله الامير لاتبك على أخيك ولكن ابك على خروج الخلافة من ولد أبيك الى ولد عمك فبكى حتى اخضلت لحيته قال فلما فرغت من حديثى قال لى أبو العباس حسبك قد فهمت عنك ثم قال اذا شئت فانهض فما مضيت غير بعيد حتى قال لى يا ابن هبيرة فالتفت راجعا فقال لى امض أما انك قد كافأت هذا وأدركت بثارك من هذا قال فما أدرى من أى الامرين أعجب أمن فطنته أم من ذكره لما كان وأبو جعدة ابن هبيرة هذا هو من ولد جعدة بن هبيرة المخزومى من فاختة أم هانئ بنت أبى طالب وعلى وجعفر وعقيل أخواله وقد قدمنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب (قال المسعودى) ووجدت فى أخبار المدائنى عن محمد بن الاسود قال بينما عبد الله بن على يساير أخاه داود بن على ومعهما عبد الله بن الحسن بن الحسن فقال داود لعبد الله لم لا تأمر بنيك بالظهور فقال عبد الله هيهات لم يأن لهما بعد فالتفت اليه عبد الله ابن على فقال كانك تحسب أن ابنيك هما قاتلا مروان فقال ان ذلك كذلك فقال عبد الله هيهات وتمثل

سيكفيك المقالة مستميت * خفيف اللحم من أولاد حام

أنا والله قاتله وقيل لعبد الله بن على أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز يذكر أنه قرأ فى بعض الكتب عين

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
وتركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
اذا انصرفت نفسي عن الشئ لم تكد * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

قال فعلمت انه قد أضمر المخالفة فلم تمض الأيام حتى خالفه بنيسابور واستولى عليها وأسقط خطبة السعيد نصر بن أحمد وأنفذ رسولا الى بغداد يخطب له أعمال خراسان وسار من نيسابور الى جرجان وبها قراتكين فحاربه واستولى عليها وأخرج قراتكين عنها ثم عاد الى خراسان وقصد مرو فاستولى عليها وبنى عليها سورا وتحصن بها فأرسل اليه السعيد نصر الجيوش مع حمويه بن علي من بخارا فوافى مرو الروذ فأقام بنواحيها ليخرج اليه أحمد بن سهل منها فلم يفعل ودخل بعض أصحاب أحمد عليه يوما وهو يفكر بعد نزول حمويه عليه فقال له صاحبه لا شك ان الامير مشغول القلب لهذا الخطب فما هو رأى الامير فقال ليس بي ما تظن ولكن ذكرت رؤيا رأيتها في حبس سجستان وذكرت قول يوسف الصديق عليه السلام انك لا تلي عملا برأسك قال فقلت له ان القوم يغتنمون سلمك ويعطونك ما تريد فان رأيت ان يتوسط الحال فعلنا فأنشد

سأغسل عني العار بالسيف جالبا * على قضاء الله ما كان جالبا

ولما رأى حمويه انه لا يخرج اليه من مرو عمل الحيلة في ذلك فجعل يقول قد أدخلت ابن سهل في جحر فار وسددت عليه وجوه الفرار واشباه هذا من الكلام ليغضب أحمد فيخرج فلم يفعل ذلك فحينئذ أمر حمويه جماعة من ثقات قواده فكاتبوا أحمد بن سهل سرا وأظهروا له الميل ودعوه الى الخروج من مرو ليسلموا اليه حمويه فاجابهم الى ذلك لما في نفسه من الغيظ على حمويه فخرج عن مرو نحو حمويه فالتقوا على مرحلة من مرو الروذ في رجب سنة سبع وثلثمائة فانهزم أصحاب أحمد وحارب هو الى ان عجزت دابته فنزل عنها واستأمن فاخذوه أسيرا وأنفذوه الى بخارا فمات بها في الحبس في ذي الحجة من سنة سبع وثلثمائة وكان الامير أحمد بن اسمعيل بن أحمد يقول لا ينبغي لأحمد بن سهل أن يغيب عن باب السلطان فانه ان غاب عنه أثار شغلا عظيما كأنه كان يتوسم فيه ما فعل فهكذا ينبغي أن تكون فراسة الملك

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وقع حريق بالكرخ من بغداد فاحترق فيه كثير من الدور والناس وفيها قلد ابراهيم ابن حمدان ديار ربيعة وقلد بني بن نفيس شهرزور فامتنعت عليه فاستمد المقتدر فسير اليه جيشا فحصرها ولم يفتحها وقلد القتال بالموصل واعمالها وفيها أوقع ثمل متولي الغزو في البحر بمراكب للمهدي العلوي صاحب افريقية وقتل جماعة ممن فيها وأسر خادما له وفيها انقض كوكب عظيم فاشتد ضوءه وعظم وتفرق ثلاث فرق وسمع عند انقضاضه مثل صوت الرعد الشديد ولم يكن في السماء غيم وفيها كانت فتنة بالموصل بين أصحاب الطعام وبين الاساكفة واحترق سوق الاساكفة وما فيه وكان الوالي على الموصل واعمالها العباس بن محمد بن اسحق بن كنداج وكان خارجا عن البلد فسمع بالفتنة فرجع ليوقع باهل الموصل فعزموا على قتاله وحصنوا البلد وسدوا الدروب فلما علم بذلك ترك قتالهم وأمر الاعراب بتخريب الاعمال فصاروا يقطعون الطريق على الجسر وفي الميدان ويقاسمونه فخرب البلد فبلغ الخبر الى الخليفة فعزله سنة ثمان وثلثمائة واستعمل بعده عبد الله بن محمد الفتان وكان عنيفا صارما كف الاعراب عن البلد وفيها توفي أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي صاحب المسند بها

ابن عين بن عين وقد أمل أن يكون هو فقال عبد الله بن علي أنا والله ذلك ولي عليه فضل ثلاثة أعين أنا عبد الله ابن علي بن عبد الله بن عباس ابن عبد المطلب بن هاشم وهو عمرو بن عبد مناف فلما اضاف مروان عبد الله بن علي أقبل مروان على رجل الى جنبه فقال من الرجل الذي كان يخاصم عندك عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الاقنى الحديد البصر الحسن الوجه فقلت يرزق الله البيان من يشاء قال قال انه لهو قلت نعم قال من ولد العباس بن عبد المطلب هو قلت أجل فقال مروان انا لله وانا اليه راجعون ويحك اني ظننت أن الذي يحاربني من ولد أبي طالب وهذا الرجل من ولد العباس واسمه عبد الله أتدري لم صيرت الامر بعدي لابن عبيد الله بن عبد الله ومحمد أكبر من عبيد الله لانا اخبرنا أن الامر صائر بعدي الى عبد الله وعبيد الله فنظرت فاذا عبيد الله أقرب الى عبد الله من محمد فوليته دونه قال وبعث مروان بعد أن حدث صاحبه بهذا الحديث الى عبد الله بن علي في خفية ان الامر يا ابن عم صائر اليك فاتق الله في الحرم قال فبعث اليه عبد الله ان الحق لنا في دمك والحق علينا في حرمك وذكر مصعب الزبيري قال كانت أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثلثمائة﴾

فى هذه السنة خلع المقتدر على أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وقلده طريق خراسان والدينور وخلع على اخويه أبى العلاء وأبى السرايا وفيها وصل رسول أخى صعلوك بالمال والهدايا والتحف ويخبر باستمراره على الطاعة للمقتدر بالله وفيها توفى ابراهيم بن حمدان فى المحرم وفيها قلد بدر الشرابى دقوقا وعكبرا وطريق الموصل وفيها توفى ابراهيم بن محمد بن سفيان صاحب مسلم بن الحجاج ومن طريقه يروى صحيح مسلم الى اليوم

﴿ثم دخلت سنة تسع وثلثمائة﴾

﴿ذكر قتل ليلى بن النعمان الديلمى﴾

فى هذه السنة قتل ليلى بن النعمان الديلمى وكان هذا الليلى أحد قواد أولاد الاطروش العلوى وكان اليه ولاية جرجان وكان قد استعمله عليها الحسن بن القاسم الداعى سنة ثمان وثلثمائة وكان أولاد الاطروش يكاتبونه المؤيد لدين الله المنتصر لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلى بن النعمان وكان كريما باذلا للاموال شجاعا مقداما على الاهوال وسار من جرجان الى الدامغان فحاربه أهلها فقتل منهم مقتلة عظيمة وعاد الى جرجان فابتنى أهل الدامغان حصنا يحميهم وسار قراتكين اليه بجرجان فحاربه على نحو عشرة فراسخ من جرجان فانهزم قراتكين واستأمن غلامه بارس الى ليلى ومعه ألف فارس فأكرمه ليلى وزوجه أخته واستأمن اليه أبو القاسم بن حفص ابن أخت أحمد بن سهل فاكرمه ليلى ثم ان الاجناد كثروا على ليلى بن النعمان فضاقت الاموال عليه فسار نحو نيسابور بأمر الحسن بن القاسم الداعى وتحريض أبى القاسم بن حفص وكان بها قراتكين فوردها فى ذى الحجة سنة ثمان وثلثمائة وأقام بها الخطبة للداعى وأنفذ السعيد نصر من بخارا اليه حمويه بن على فالتقوا بطوس واقتتلوا فانهزم أكثر أصحاب حمويه بن على حتى بلغوا مرو وثبت حمويه ومحمد بن عبد الله البلعمى وأبو جعفر صعلوك وخوارزمشاه وسيمجور الدواتى فاقتتلوا فانهزم بعض أصحاب ليلى ومضى ليلى منهزما فدخل ليلى سكة لم يكن له فيها مخرج ولحقه بغرا فيها فلم يقدر ليلى على الهرب فنزل وتوارى فى دار فقبض عليه بغرا وأنفذ الى حمويه فاعلمه بذلك فانفذ من قطع رأس ليلى ونصبه على رمح فلما رآه أصحابه طلبوا الامان فامنوا ثم قال حمويه للجند قد مكنكم الله من شياطين الجبل والديلم فابيدوهم واستريحوا منهم أبد الدهر فلم يفعلوا وحامى كل قائد جماعة فخرج منهم من خرج بعد ذلك وكان قتل ليلى فى ربيع الاول سنة تسع وثلثمائة وحمل رأسه الى بغداد وبقى بارس غلام قراتكين بجرجان وقيل ان حمويه لما سار الى قتال ليلى قيل له ان ليلى يستبطئك فى قصده فقال انى ألبس أحد خفى للحرب العام والآخر فى العام المقبل فبلغ قوله ليلى فقال لكنى ألبس أحد خفى للحرب قاعدا والثانى قائما وراكبا فلما قتل قال حمويه هكذا من تعجل الى الحرب

﴿ذكر قتل الحسين الحلاج﴾

فى هذه السنة قتل الحسين بن منصور الحلاج الصوفى وأحرق وكان ابتداء حاله انه كان يظهر الزهد والتصوف ويظهر الكرامات ويخرج للناس فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ويمد يده الى الهواء فيعيدها مملوءة دراهم عليها مكتوب قل هو الله أحد ويسميها دراهم القدرة ويخبر الناس بما أكلوه وما صنعوا فى بيوتهم ويتكلم بما فى ضمائرهم فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول وبالجملة فان الناس اختلفوا فيه اختلافهم فى المسيح عليه السلام

ابن المغيرة المخزومى عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فهلك عنها ثم كانت عند هشام فهلك عنها فبينا هى ذات يوم اذ مر بها أبو العباس السفاح وكان جميلا وسيما فسألت عنه فنسب لها فأرسلت له مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها وقالت لها قولى له هذه سبعمائة دينار أوجه بها اليك وكان معها مال عظيم وجوهر وحشم فأتته المولاة فعرضت عليه ذلك فقال أنا مملق لا مال عندى فدفعت اليه المال فأنعم لها وأقبل الى أخيها فسأله التزويج فزوجه اياها وأصدقها خمسمائة دينار وأهدى مائتى دينار ودخل عليها من ليلته واذا هى على منصة فصعد عليها فاذا كل عضو منها مكلل بالجوهر فلم يصل اليها فدعت بعض جواريها فنزلت وغيرت لبسها ولبست ثيابا مصبغة وفرشت له فراشا على الارض دون ذلك فلم يصل اليها فقالت لا يضرك هذا كذلك كان يصيبهم مثل ما أصابك فلم تزل به حتى وصل اليها من ليلته وحظيت عنده وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى فولدت منه محمدا وريطة وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطع أمرا الا بمشورتها وبتأميرها حتى أفضت الخلافة اليه فلم يكن يدنو الى النساء غيرها الا الى حرة ولا الى أمة ووفى لها بما حلف أن لا يغيرها فلما كان ذات يوم فى خلافته خلا به خالد بن صفوان فقال يا أمير المؤمنين انى

فن قائل انه حل فيه جزء الهى و يدعى فيه الربوبية ومن قائل انه ولى الله تعالى وان الذى يظهر منه من جملة كرامات الصالحين ومن قائل انه مشعبذ وممخرق وساحر كذاب ومتكهن والجن تطيعه فتأتيه بالفاكهة فى غير أوانها وكان قدم من خراسان الى العراق وسار الى مكة فأقام بها سنة فى الحجر لا يستظل تحت سقف شتاء ولا صيفا وكان يصوم الدهر فاذا جاء العشاء أحضر له القوام كوز ماء وقرصا فيشربه و يعض من القرص ثلاث عضات من جوانبه فيأكلها و يترك الباقى فيأخذونه ولا يأكل شيأ آخر الى الغد آخر النهار وكان شيخ الصوفية يومئذ بمكة عبد الله المغربى فأخذ أصحابه ومشى الى زيارة الحلاج فلم يجده فى الحجر وقيل له قد صعد الى جبل أبى قبيس فصعد اليه فرآه على صخرة حافيا مكشوف الرأس والعرق يجرى منه الى الارض فاخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه فقال هذا يتصبر و يتقوى على قضاء الله سوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته وعاد الحسين الى بغداد وأما سبب قتله فانه نقل عنه عند عوده الى بغداد الى الوزير حامد بن عباس انه أحيا جماعة وانه يحيى الموتى وان الجن يخدمونه وانهم يحضرون عنده ما يشتهى وانهم قدموه على جماعة من حواشى الخليفة وان نصرا الحاجب قد مال اليه وغيره فالتمس حامد الوزير من المقتدر بالله ان يسلم اليه الحلاج وأصحابه فدفع عنه نصر الحاجب فألح الوزير فأمر المقتدر بتسليمه اليه فاخذه وأخذ معه انسانا يعرف بالشمرى وغيره قيل انهم يعتقدون انه اله فقررهم فاعترفوا انهم قد صح عندهم انه اله وانه يحيى الموتى وقابلوا الحلاج على ذلك فانكره وقال أعوذ بالله أن ادعى الربوبية أو النبوة وانما أنا رجل أعبد الله عز وجل فاحضر حامد القاضى أبا عمرو والقاضى أبا جعفر بن البهلول وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود فاستفتاهم فقالوا لا يفتى فى أمره بشئ الا أن يصح عندنا ما يوجب قتله ولا يجوز قبول قول من يدعى عليه ما ادعاه الا ببينة أو اقرار وكان حامد يخرج الحلاج الى مجلسه و يستنطقه فلا يظهر منه ما تكرهه الشريعة المطهرة وطال الامر على ذلك وحامد الوزير مجد فى أمره وجرى له معه قصص يطول شرحها وفى آخرها ان الوزير رأى له كتابا حكى فيه ان الانسان اذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد من داره بيتا لا يلحقه شئ من النجاسات ولا يدخله أحد فاذا حضرت أيام الحج طاف حوله وفعل ما يفعله الحاج بمكة ثم يجمع ثلاثين يتيما و يعمل أجود الطعام يمكنه وأطعمهم فى ذلك البيت وخدمهم بنفسه فاذا فرغوا كساهم وأعطى كل واحد منهم سبعة دراهم فاذا فعل ذلك كان كمن حج فلما قرئ هذا على الوزير قال القاضى أبو عمر وللحلاج من أين لك هذا قال من كتاب الاخلاص للحسن البصرى قال له القاضى كذبت يا حلال الدم قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا فلما قال له يا حلال الدم وسمعها الوزير قال له اكتب بهذا فدافعه أبو عمر وفألزمه حامد فكتب باباحة دمه وكتب بعده من حضر المجلس ولما سمع الحلاج ذلك قال ما يحل لكم دمى واعتقادى الاسلام ومذهبى السنة ولى فيها كتب موجوده فالله الله فى دمى وتفرق الناس وكتب الوزير الى الخليفة يستأذنه فى قتله وأرسل الفتاوى اليه فأذن فى قتله فسلمه الوزير الى صاحب الشرطة فضربه ألف سوط فما تأوه ثم قطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم قتل وأحرق بالنار فلما صار رمادا ألقى فى دجلة ونصب الرأس ببغداد وأرسل الى خراسان لانه كان له بها أصحاب فاقبل بعض أصحابه يقولون انه لم يقتل وانما ألقى شبهه على دابة وانه يجيء بعد أربعين يوما وبعضهم يقول لقيته على حمار بطريق النهروان وانه قال لهم لا تكونوا مثل هؤلاء البقر الذين يظنون انى ضربت وقتلت

(ذكر عدة حوادث)

فكرت فى أمرك وسعة ملكك وقد ملكت نفسك امرأة واحدة فان مرضت مرضت وان غابت غبت وحرمت نفسك التلذذ باستطراف الجوارى ومعرفة أخبار حالاتهن والتمتع بما تشتهى منهن فان منهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء وان منهن الغضة البيضاء والعتيقة الادماء والدقيقة السمراء والبربرية العجزاء من مولدات المدينة تفتن بمحادثتها وتلذ بخلوتها وأين أمير المؤمنين من بنات الاحرار والنظر الى ما عندهن وحسن الحديث منهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء والسمراء اللعساء والصفراء العجزاء والمولدات من البصريات والكوفيات ذات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المخصرة والاصداغ المزرفنة والعيون المكحلة والثدى المحققة وحسن زيهن وزينتهن وشكلهن لرأيت شيأ حسنا وجعل خالد يجيد فى الوصف و يجد فى الاطناب بحلاوة لفظه وجودة وصفه فلما فرغ كلامه قال له أبو العباس ويحك يا خالد ما صك مسامعى والله قط كلام أحسن مما سمعته منك فأعد على كلامك فقد وقع منى موقعا فأعاد عليه خالد أحسن مما ابتدأه ثم انصرف وبقى أبو العباس مفكرا فيما سمع منه فدخلت عليه أم سلمة امرأته فلما رأته مفكرا مغموما قالت انى لانكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك

وفيها

وفيها فى ربيع الاول وقع حريق كبير فى الكرخ فاحترق فيه بشر كثير وفيها استعمل المقتدر على حرب الموصل ومعونتها محمد بن نصر الحاجب فى جمادى الاولى وسار اليها فيه فلما وصل اليها أوقع بمن خالفه من الاكراد المارانية فقتل وأسر وارسل الى بغداد نيفا وثمانين أسيرا فشهروا وفيها قلد داود بن حمدان ديار ربيعة وفيها توفى أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الادمى الصوفى من كبار مشايخهم وعلمائهم وأبو اسحق ابراهيم بن هرون الحرانى الطبيب وأبو محمد عبد الله بن حمدون النديم

❁(ثم دخلت سنة عشر وثلثمائة)❁

❁(ذكر حرب سيمجور مع أبى الحسين بن العلوى)❁

قد ذكرنا قتل ليلى بن النعمان وان جرجان تخلف بها بارس غلام قراتكين فلما قتل ليلى بن النعمان عاد قراتكين الى جرجان فاستأمن اليه غلامه بارس فقتله قراتكين وانصرف عن جرجان وقدمها أبو الحسين بن الحسن بن على الاطروش العلوى الملقب والده بالناصر وأقام بها فانفذ اليه السعيد نصر بن أحمد سيمجور الدواتى فى أربعة آلاف فارس فنزل على فرسخين من جرجان وحاصر أبا الحسين نحو شهر من هذه السنة وخرج اليه أبو الحسين فى ثمانية آلاف رجل من الديلم والجرجانية وصاحب جيشه سرخاب بن وهسوذان ابن عم ماكان بن كالى الديلمى فتحاربا حربا عظيمة وكان سيمجور قد جعل كمينا من أصحابه فأبطؤا عنه فانهزم سيمجور ووقع أصحاب أبى الحسين فى عسكر سيمجور واشتغلوا بالنهب والغارة فخرج عليهم الكمين بعد الظفر فقتلوا من الديلم والجرجانية نحو أربعة آلاف رجل وانهزم أبو الحسين وركب فى البحر ثم عاد الى استراباذ واجتمع اليه فل أصحابه وكان سرخاب قد تبع سيمجور فى هزيمته فلما عاد رأى أصحابه مقتلين مشردين فسار الى استراباذ واستصحب معه عيال أصحابه ومخلفيهم وأقام بها مع أبى الحسين بن الناصر ثم جمع سيمجور بطفر أصحابه فعاد اليهم وأقام بجرجان ثم اعتل سرخاب ومات ورجع ابن الناصر الى سارية واستخلف ماكان بن كالى على استراباذ فاجتمع اليه الديلم وقدموه وأمروه على أنفسهم ثم سار محمد بن عبيد الله البلعمى وسيمجور الى باب استراباذ وحاربوا ماكان بن كالى فلما طال مقامهم اتفقوا معه على ان يخرج عن استراباذ الى سارية وبذلوا له على هذا مالا ليظهر للناس انهم قد افتتحوها ثم ينصرفون عنها ويعود اليها ففعل وسار الى سارية ثم رحلوا عن استراباذ الى جرجان ثم الى نيسابور وجعلوا بغرا باستراباذ فلما ساروا عنها عاد اليها ماكان بن كالى ففارقها بغرا الى جرجان واساء السيرة فى أهلها وخرج اليه ماكان فرجع بغرا الى نيسابور وأقام ماكان بجرجان ونحن نذكر ابتداء حال ماكان وتنقلها عند قتله سنة تسع وعشرين وثلثمائة

❁(ذكر خروج الياس بن اسحق بن أحمد بن أسد السامانى)❁

ثم خرج الياس بن اسحق بن أحمد المقدم ذكره انه خرج مع أبيه وانهزم الى فرغانة فلما بلغ فرغانة اقام بها الى ان خرج ثانيا واستعان عند خروجه بمحمد بن الحسين بن مت وجمع من الترك فاجتمع معه ثلاثون ألف عنان فقصد سمرقند مشاقا للسعيد نصر بن أحمد فسير اليه نصر أبا عمرو ومحمد بن أسد وغيره فى ألفين وخمسمائة رجل فكمنوا خارج سمرقند يوم ورود الياس فلما وردها واشتغل هو ومن معه بالنزول خرج الكمين عليه من بين الشجر ووضعوا السيوف فيهم فانهزم الياس وأصحابه فوصل الياس الى فرغانة ووصل ابن مت الى اسبيجاب ومنها الى ناحية طراز فكاتب دهقان الناحية التى نزلها وأطمع وقبض عليه وقتله وأنفذ رأسه الى بخارا وكان ابن مت شجاعا

خبر فار تعت له قال لم يكن من ذلك شئ قالت فاقصصتك لجمل ينزوى عنها فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد له فقالت فاقلت لابن الفاعلة قال لها سبحان الله ينصحنى وتشتمينه فخرجت من عنده مغضبة وأرسلت الى خالد من النجارية ومعهم الكافر كوبات وأمرتهم أن لا يتركوا منه عضوا صحيحا قال خالد فانصرفت الى منزلى وأنا على السرور بما رأيت من أمير المؤمنين واعجابه بما ألقيته اليه ولم أشك أن صلته ستأتينى فلم ألبث حتى صار الى أولئك النجارية وأنا قاعد على باب دارى فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوى أيقنت بالجائزة والصلة حتى وقفوا على فسألوا عنى وقلت ها أناذا خالد فسبق الى أحدهم بهراوة كانت معه فلما أهوى بها الى وثبت فدخلت منزلى وأغلقت الباب على واستترت ومكثت أياما على تلك الحال لا أخرج من منزلى ووقع فى خلدى أنى أوتيت من قبل أم سلمة وطلبنى أبو العباس طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم قد هجموا على وقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت فركبت وليس على لحم ولا دم فلم أصل الى الدار فأومأ الى بالجلوس ونظرت فاذا خلف ظهرى باب عليه ستور قد أرخيت وحركة خلفها فقال يا خالد لم أرك منذ ثلاث قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين قال ويحك انك وصفت لى فى آخر دخلة من أمر النساء والجوارى

وكان قد سخر جمالا عند خروجه فجاء أصحابها يطلبونها منه فقال سأردها عليكم ببغداد يعني انه لا يرد شيأ من بغداد ثقة بكثرة جمعه وقوته فجاءت الاقدار بما لم يكن في الحساب ثم عاد الياس فخرج مرة ثالثة وأعانه أبو الفضل بن أبي يوسف صاحب الشاش فسير اليه محمد بن اليسع فحاربهم فانهزم الياس الى كاشغر وأسر أبو الفضل وحمل الى بخارا فمات بها واما الياس فصاهر دهقان كاشغر طغا تكين واستقر بها ثم ولي محمد بن المظفر فرغانة فرجع اليها الياس بن اسحق معاندا فحاربه محمد بن المظفر فهزمه مرة أخرى فعاد الى كاشغر فكاتبه محمد بن المظفر واستماله ولطف به فامن الياس اليه وحضر الى بخارا فاكرمه السعيد وصاهره وأقام معه

﴿ذكر وفاة محمد بن جرير الطبري﴾

وفي هذه السنة توفي محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ببغداد ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين ودفن ليلا بداره لان العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهارا وادعوا عليه الرفض ثم ادعوا عليه الالحاد وكان علي بن عيسى يقول والله لو سئل هؤلاء عن معنى الرفض والالحاد ما عرفوه ولا فهموه هكذا ذكره ابن مسكويه صاحب تجارب الامم وحاشى ذلك الامام عن مثل هذه الاشياء واما ما ذكره من تعصب العامة فليس الامر كذلك وانما بعض الحنابلة تعصبوا عليه ووقعوا فيه فتبعهم غيرهم ولذلك سبب وهو أن الطبري جمع كتابا ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يصنف مثله ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل فقيل له في ذلك فقال لم يكن فقيها وانما كان محدثا فاشتد ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد فشغبوا عليه وقالوا ما أرادوا

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه * فالناس أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا انه لدميم

وقد ذكرت شيأ من كلام الائمة في أبي جعفر يعلم منه محله في العلم والثقة وحسن الاعتقاد فمن ذلك ما قاله الامام أبو بكر الخطيب بعد أن ذكر من روى الطبري عنه ومن روى عن الطبري فقال وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقرآآت بصيرا بالمعاني فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها عارفا باقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الاحكام ومسائل الحلال والحرام خبيرا بايام الناس واخبارهم وله الكتاب المشهور في تاريخ الامم والملوك والكتاب الذي في التفسير لم يصنف مثله وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واخبار من أقاويل الفقهاء وتفرد بمسائل حفظت عنه وقال أبو أحمد الحسين بن علي بن محمد الرازي أول ما سألني الامام أبو بكر بن خزيمة قال لي كتبت عن محمد بن جرير الطبري قلت لا قال لم قلت لا يظهر وكانت الحنابلة تمنع من الدخول عليه فقال بئسما فعلت ليتك لم تكتب عن كل من كتبت عنه وسمعت عن أبي جعفر وقال حسينك واسمه الحسين بن علي التميمي عن ابن خزيمة نحو ما تقدم وقال ابن خزيمة حين طالع كتاب التفسير للطبري ما أعلم على أديم الارض أعلم من أبي جعفر ولقد ظلمته الحنابلة وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني بعد أن ذكر تصانيفه وكان أبو جعفر ممن لا يأخذه في الله لومة لائم ولا يعدل في علمه وتبيانه عن حق يلزمه لربه وللمسلمين الى باطل لرغبة ولا رهبة مع عظيم ما كان يلحقه من الاذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد وأما أهل الدين والورع فغير منكرين علمه وفضله وزهده وتركه الدنيا مع اقبالها عليه وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها له أبوه بطبرستان يسيرة ومناقبه كثيرة لا يحتمل

مالم يخرق مسامعي قط كلام أحسن منه فاعده علي قلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر وأن أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة الا كان في جهد فقال ويحك لم يكن هذا في الحديث قلت بلى والله يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء كاثافي القدر يغلي عليهن قال أبو العباس برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك في حديثك قال وأخبرتك أن الاربعة من النساء شر مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه ويسقمنه قال ويلك والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت قال خالد بلى والله قال ويلك وتكذبني قال وتريد أن تقتلني يا أمير المؤمنين قال مر في حديثك قال وأخبرتك أن أبكار الجواري رجال ولكن لا خصى لهن قال خالد فسمعت الضحك من وراء الستر قلت نعم وأخبرتك أيضا أن بني مخزوم ريحانة قريش وأنت عندك ريحانة من الرياحين وأنت تطمح بعينك الى حرائر النساء وغيرهن من الاماء قال خالد فقيل لي من وراء الستر صدقت والله يا عماه وبررت بهذا حدثت أمير المؤمنين ولكنه بدل وغير ونطق عن لسانك فقال له أبو العباس مالك قاتلك الله وأخزاك وفعل بك وفعل قال فتركته وخرجت وقد أيقنت بالحياة

ههنا أكثر من هذا

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فيها أطلق المقتدر يوسف بن أبي الساج من الحبس بشفاعة مؤنس الخادم وحمل اليه ودخل الى المقتدر وخلع عليه ثم عقد له على الرى وقزوين وأبهر وزنجان واذربيجان وقرر عليه خمسمائة الف دينار محمولة كل سنة الى بيت المال سوى ارزاق العساكر الذين بهذه البلاد وخلع في هذا اليوم على وصيف البكتمري وعلى طاهر ويعقوب ابني محمد بن عمرو بن الليث وتجهز يوسف وضم اليه المقتدر بالله العساكر مع وصيف البكتمري وسار عن بغداد في جمادى الآخرة الى اذربيجان وأمر ان يجعل طريقه على الموصل وينظر في أمر ديار ربيعة فقدم الى الموصل ونظر في الاعمال وسار الى اذربيجان فرأى غلامه سبكا قد مات وفيها قلد نازوك الشرطة ببغداد وفيها وصلت هدية الى أبي زنبور الحسين بن أحمد الماذرائي من مصر وفيها بغلة ومعها فلو يتبعها ويرضع منها وغلام طويل اللسان يلحق لسانه ارنبة انفه وفيها قبض المقتدر على أم موسى القهرمانة وكان سبب ذلك انها زوجت ابنة أختها من أبي العباس أحمد بن محمد بن اسحق بن المتوكل على الله وكان محسنا له نعمة ظاهرة ومروءة حسنة وكان يرشح للخلافة فلما صاهرته أكثرت من النثار والدعوات وخسرت أموالا جليلة فتكلم أعداؤها وسعوا بها الى المقتدر وقالوا انها قد سعت لابي العباس في الخلافة وحلفت له القواد وكثر القول عليها فقبض عليها وأخذ منها أموالا عظيمة وجواهر نفيسة وفيها غزا المسلمون في البر والبحر فغنموا وسلموا وفيها كان بالموصل شغب من العامة وقتلوا خليفة محمد بن نصر الحاجب بها فجهز العسكر من بغداد الى الموصل وفيها في جمادى الآخرة انقض كوكب عظيم له ذنب في المشرق في برج السنبلة طوله نحو ذراعين وفيها سار محمد بن نصر الحاجب من الموصل الى الغزاة على قاليقلا فغزا الروم من تلك الناحية ودخل أهل طرسوس ملطية فظفروا وبلغوا من بلاد الروم والظفر بهم ما لم يظنوه وعادوا وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي الاديب أخذ العلم عن ثعلب والرياشي

﴿ ثم دخلت سنة احدى عشرة وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر عزل حامد وولاية ابن الفرات ﴾

في هذه السنة في ربيع الآخرة عزل المقتدر حامد بن العباس عن الوزارة وعلي بن عيسى عن الدواوين وخلع على أبي الحسن بن الفرات وأعيد الى الوزارة وكان سبب ذلك ان المقتدر ضجر من استغاثة الاولاد والحرم والخدم والحاشية من تأخير ارزاقهم فان علي بن عيسى كان يؤخرها فاذا اجتمع عدة شهور أعطاهم البعض واسقط البعض وحط من ارزاق العمال في كل سنة شهرين وغيرهم ممن له رزق فزادت عداوة الناس له وكان حامد بن العباس قد ضجر من المقام ببغداد وليس اليه من الامر شئ غير لبس السواد وأنف من اطراح علي بن عيسى بجانبه فانه كان يهينه في توقيعاته بالاطلاق عليه لضمانه بعض الاعمال وكان يكتب ليطلق جهبذ الوزير أعزه الله وابيادر نائب الوزير وكان اذا اشتكى اليه بعض نواب حامد يكتب على القصة انما عقد الضمان على النائب الوزيري عن الحقوق الواجبة السلطانية فليتقدم الى عماله بكف الظلم عن الرعية فاستأذن حامد وسار الى واسط لينظر في ضمانه فاذن له وجرى بين مفلح الاسود وبين حامد كلام قال له حامد لقد هممت أن اشترى مائة خادم اسود واسميهم مفلحا واهبهم لغلماني فحقده مفلح وكان خصيصا بالمقتدر فسعى معه المحسن بن الفرات لوالده بالوزارة وضمن أموالا جليلة وكتب على يده

الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبي العباس السفاح وكان كثيرا ما يقول انما العجب ممن يترك أن يزداد علما ويختار أن يزداد جهلا فقال له أبو بكر الهذلي ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين قال يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك ويدخل الى امرأة أو جارية فلا يزال يسمع سخفا ويروي نقصا فقال له الهذلي لذلك فضلكم الله على العالمين وجعل منكم خاتم النبيين (ودخل) عليه أبو نخيلة الشاعر فسلم عليه وانتسب له وقال عبدك يا أمير المؤمنين وشاعرك أفتأذن لي في انشادك فقال له لعنك الله ألست القائل في مسلمة ابن عبد الملك بن مروان

أمسلم اني يا ابن كل خليفة
ويا فارس الهيجا ويا جبل الارض
شكرتك ان الشكر حبل من التقى
وما كل من أوليته نعمة يقضي
وأحييت لي ذكري وما كان خاملا
ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

قال فانا يا أمير المؤمنين الذي أقول

لما رأينا استمسكت يداكا
كنا أناسا نرهب الملاكا
ونركب الاعجاز والاوراكا
من كل شئ ما خلا الاشراكا
إنا انتظرنا قبلها اباكا
فكلما قد قلت في سواكا * زور وقد كفر هذا ذاكا

رقعة يقول ان يسلم الوزير وعلي بن عيسى وابن الحواري وشفيع اللؤلؤي ونصر الحاجب وأم موسى القهرمانة والمادرائيون يستخرج منهم سبعة آلاف ألف دينار وكان المحسن مطلقا وكان يواصل السعاية بهؤلاء الجماعة وذكر ابن الفرات للمقتدر ما كان يأخذه ابن الحواري كل سنة من المال فاستكثره فقبض على علي بن عيسى في ربيع الآخر وسلم الى زيدان القهرمانة فحبسته في الحجرة التي كان ابن الفرات محبوسا فيها واطلق ابن الفرات وخلع عليه وتولى الوزارة وخلع على ابنه المحسن وهذه الوزارة الثالثة لابن الفرات وكان أبو علي بن مقلة قد سعى بابن الفرات وكان يتقلد بعض الاعمال أيام حامد فحضر عند ابن الفرات وكان ابن الفرات هو الذي قدم ابن مقلة ورباه وأحسن اليه ولما قيل عنه انه سعى به لم يصدق ذلك حتى تكرر ذلك منه ثم ان حامدا اصعد من واسط فسير اليه ابن الفرات من يقبض عليه في الطريق وعلى أصحابه فقبض على بعض أصحابه وسمع حامد فهرب واختفى ببغداد ثم ان حامدا لبس زي راهب وخرج من مكانه الذي اختفى فيه ومشى الى نصر الحاجب فاستأذن عليه فأذن له فدخل عليه وسأله ايصال حاله الى الخليفة فاستدعى نصر مفلحا الخادم وقال هذا ليس أدن الى الخليفة اذا كان عند حرمه فلما حضر مفلح فرأى حامدا قال أهلا بمولانا الوزير أين مماليكك السودان الذين سميت كل واحد منهم مفلحا فسأله نصر ان لا يؤاخذه وقال له حامد يسأل ان يكون محبسه في دار الخليفة ولا يسلم الى ابن الفرات فدخل مفلح وقال ضد ما قيل له فأمر المقتدر بتسليمه الى ابن الفرات فارسل اليه فحبسه في دار حسنة وأجرى عليه من الطعام والكسوة والطيب وغير ذلك ما كان له وهو وزير ثم أحضره واحضر الفقهاء والعمال وناظره على ما وصل اليه من المال وطالبه به فاقر بجهات تقارب ألف ألف دينار وضمنه المحسن بن أبي الحسن بن الفرات من المقتدر بخمسمائة ألف دينار فسلمه اليه فعذبه بأنواع العذاب وانفذه الى واسط مع بعض أصحابه ليبيع ماله بواسط وأمرهم بان يسقوه سما فسقوه سما في بيض مشوي وكان طلبه فأصابه اسهال فلما وصل الى واسط أفرط القيام به وكان قد تسلمه محمد بن علي البزوفري فلما رأى حاله أحضر القاضي والشهود ليشهدوا عليه ان ليس له في أمره صنع فلما حضروا عند حامد قال لهم ان أصحاب المحسن سقوني سما في بيض مشوي فانا أموت منه وليس لمحمد في أمري صنع لكنه قد أخذ قطعة من أموالي وامتعتي وجعل يحشوها في المساور وتباع المسورة في السوق بحضر من أمين السلطان بخمسة دراهم ووضع عليها من يشتريها ويحملها اليه فيكون فيها أمتعة تساوي ثلاثة آلاف دينار فاشهدوا على ذلك وكان صاحب الخبر حاضرا فكتب ذلك وسيره وندم البزوفري على ما فعل ثم مات حامد في رمضان من هذه السنة ثم صودر علي بن عيسى بثلثمائة ألف دينار وأخذه المحسن بن الفرات ليستوفي منه المال فعذبه وصفعه فلم يؤد اليه شيأ وبلغ الخبر الوزير أبا الحسن بن الفرات فأنكر على ابنه ذلك لان عليا كان محسنا اليهم أيام ولايته وكان قد أعطى المحسن وقت نكبته عشرة آلاف درهم وأدى علي ابن عيسى مال المصادرة وسيره ابن الفرات الى مكة وكتب الى أمير مكة ليسيره الى صنعاء ثم قبض ابن الفرات على أبي علي بن مقلة ثم أطلقه وقبض على ابن الحواري وكان خصيصا بالمقتدر وسلمه الى ابنه المحسن فعذبه عذابا شديدا وكان المحسن وحاسئ الادب طالما ذا قسوة شديدة وكان الناس يسمونه الخبيث ابن الطيب وسير ابن الحواري الى الأهواز ليستخرج منه الاموال التي له فضربه الموكل به حتى مات وقبض أيضا على الحسين بن أحمد ومحمد بن علي المادرائيين وكان الحسين قد تولى مصر والشام فصادرهما على ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار ثم صادر جماعة من الكتاب

ثم انتظرنا بعدها أخا كا * ثم انتظرناك لها أبا كا * فكنت أنت للرجاء ذا كا قال فرضي عنه ووصله وأجازه

(وكان) أبو العباس اذا حضر طعامه أبسط ما يكون وجها فكان ابراهيم بن مخرمة الكندي اذا أراد أن يسأله حاجة أخرها حتى يحضر طعامه ثم يسأله فقال له يوما يا ابراهيم ما دعاك الى أن تشغلني عن طعامي بحوائجك قال يدعوني الى ذلك التماس النجح لما أسأل قال أبو العباس انك لحقيق بالسودد لحسن هذه الفطنة (وكان) اذا تمادى رجلان من أصحابه وبطانته لم يسمع من أحدهما في الآخر شيأ ولم يقبله وان كان القائل عدلا في شهادته واذا اصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه ويقول ان الضغينة القديمة تولد العداوة المحضة وتحمل على اظهار المسالمة وتحتمل الافعى التي اذا تمكنت لم تبق (وكان) في أول أيامه يظهر لندمائه ثم احتجب عنهم وذلك لسنة خلت من ملكه لامر قد ذكرناه فيما سلف من هذا الكتاب في سيرة أردشير ابن بابك وأيامه (وكان) يطرب من وراء الستر ويصيح بالمطرب له من المغنين أحسنت والله فاعد هذا الصوت (وكان) لا ينصرف عنه أحد من ندمائه ولا مطربيه الا بصلة من مال أو كسوة ويقول لا يكون سرورنا معجلا ومكافاة من سرنا وأطربنا مؤجلا وقد سبقه الى هذا الفعل

ونكبهم

ونكبهم ثم ان ابن الفرات خوّف المقتدر من مؤنس الخادم وأشار عليه بان يسيره عن الحضرة الى الشام ليكون هنالك فسمع قوله وأمره بالمسير وكان قد عاد من الغزاة فسأل ان يقيم عدة أيام بقيت من شهر رمضان فاجيب الى ذلك وخرج فى يوم شديد المطر وسبب ذلك ان مؤنسا لما قدم ذكر للمقتدر ما اعتمده ابن الفرات من مصادرات الناس وما يفعله ابنه من تعذيبهم وضربهم الى غير ذلك من أعمالهم فخافه ابن الفرات فابعده عن المقتدر ثم سعى ابن الفرات بنصر الحاجب وأطمع المقتدر فى ماله وكثرته فالتجأ نصر الى أم المقتدر فمنعته من ابن الفرات

(ذكر القرامطة)

وفيها قصد أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الهجرى البصرة فوصلها ليلا فى ألف وسبعمائة رجل ومعه السلالم الشعر فوضعها على السور وصعد أصحابه ففتحوا الباب وقتلوا الموكلين به وكان ذلك فى ربيع الآخر وكان على البصرة سبك المفلحى فلم يشعر بهم الا فى السحر ولم يعلم انهم القرامطة بل اعتقد انهم عرب تجمعوا فركب اليهم ولقيهم فقتلوه ووضعوا السيف فى أهل البصرة وهرب الناس الى الكلا وحاربوا القرامطة عشرة أيام فظفر بهم القرامطة وقتلوا خلقا كثيرا وطرح الناس أنفسهم فى الماء فغرق أكثرهم وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوما يحمل منها ما يقدر عليه من المال والامتعة والنساء والصبيان فعاد الى بلده واستعمل المقتدر على البصرة محمد بن عبد الله الفارقى فانحدر اليها وقد سار الهجرى عنها

(ذكر استيلاء ابن أبى الساج على الرى)

فى هذه السنة سار يوسف بن أبى الساج من أذربيجان الى الرى فحاربه أحمد بن على أخو صعلوك فانهزم أصحاب أحمد وقتل هو فى المعركة وأنفذ رأسه الى بغداد وكان أحمد بن على قد فارق أخاه صعلوكا وسار الى المقتدر فاقطع الرى كما ذكرناه ثم عصى وهادن ما كان بن كالى وأولاد الحسن ابن على الاطروش وهم بطبرستان وجرجان وفارق طاعة المقتدر وعصى عليه ووصل رأسه الى بغداد وكان ابن الفرات يقع فى نصر الحاجب ويقول للمقتدر انه هو الذى أمر أحمد بن على بالعصيان لمودة بينهما وكان قتل أحمد بن على آخر ذى القعدة واستولى ابن أبى الساج على الرى ودخلها فى ذى الحجة من السنة ثم سار عنها فى أول سنة ثلاث عشرة وثلثمائة الى همذان واستخلف بالرى غلامه مفلحا فاخرجه أهل الرى عنهم فلحق بيوسف وعاد يوسف الى الرى فى جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثلثمائة واستولى عليها

(ذكر عدة حوادث)

وفيها غزا مؤنس المظفر بلاد الروم فغنم وفتح حصونا وغزا ثمل أيضا فى البحر فغنم من السبى ألف رأس ومن الدواب ثمانية آلاف رأس ومن الغنم مائتى ألف رأس ومن الذهب والفضة شيأ كثيرا وفيها ظهر جراد كثير بالعراق فاضر بالغلات والشجر وعظم وفيها استعمل بنى بن نفيس على حرب أصبهان وفيها توفى بدر المعتضدى بفارس وهو أميرها وولى ابنه محمد مكانه وفيها توفى أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريرى الصوفى وهو من مشاهير مشايخهم (الجريرى بضم الجيم) وأبو اسحق ابراهيم بن السرى الزجاج النحوى صاحب كتاب معانى القرآن

(ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وثلثمائة)

(ذكر حادثة غريبة)

فى هذه السنة ظهر فى دار كان يسكنها المقتدر بالله انسان أعجمى وعليه ثياب فاخرة وتحتها مما يلى

لانوشروان فى بعض حروبه بالمشرق مع بعض ملوك الامم فعصفت الريح فأذرت ترابا وقطعا من الآجر من أعلى السطح الى المجلس فجزع من حضر المجلس لوقوع ذلك وارتاع له والهذلى شاخص نحو أبى العباس لم يتغير كما تغير غيره فقال له أبو العباس لله أنت يا أبا بكر لم أر كاليوم أما راعك ما راعنا ولا أحسست بما ورد علينا فقال يا أمير المؤمنين ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وانما للرجل قلب واحد فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال والله عز وجل اذا انفرد بكرامة أحد وأحب أن يبقى له ذكرها جعل تلك الكرامة على لسان نبى أو خليفة وهذه كرامة خصصت بها فمال اليها ذهنى وشغل بها فكرى فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجدت لها الا ما يلزمنى فى نفسى لامير المؤمنين أعزه الله تعالى فقال له السفاح لئن بقيت لك لارفعن منك ضبعا لا تطيف به السباع ولا ينحط عليه العقاب وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وصية عبد الملك للشعبى

بدنه قميص صوف ومعه مقدحة وكبريت ومحبرة وأقلام وسكين وكاغد وفى كيس سويق وسكر وحبل طويل من قنب يقال انه دخل مع الصناع فبقى هناك فعطش فخرج يطلب الماء فاخذ فاحضروه عند ابن الفرات فسأله عن حاله فقال لا أخبر الا صاحب الدار فرفق به فلم يخبره بشئ وقال لا أخبر الا صاحب الدار فضربوه ليقرروه فقال بسم الله بدأتم بالشر ولزم هذه اللفظة ثم جعل يقول بالفارسية ندانم معناه لا أدرى فامر به فأحرق وأنكر ابن الفرات على نصر الحاجب هذه الحال حيث هو الحاجب وعظم الامر بين يدى المقتدر ونسبه الى انه أخفاه ليقتل المقتدر فقال نصر لم أقتل أمير المؤمنين وقد رفعنى من الثرى الى الثريا انما يسعى فى قتله من صادره وأخذ أمواله وأطال حبسه هذه السنين وأخذ ضياعه وصار لابن الفرات بسبب هذا حديث فى معنى نصر

(ذكر أخذ الحاج)

فى هذه السنة سار أبو طاهر القرمطى الى الهبير فى عسكر عظيم ليلقى الحاج سنة احدى عشرة وثلثمائة فى رجوعهم من مكة فاوقع بقافلة تقدمت معظم الحاج وكان فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرهم فنهبهم واتصل الخبر بباقى الحاج وهم بفيد فأقاموا بها حتى فنى زادهم فارتحلوا مسرعين وكان أبو الهيجاء ابن حمدان قد أشار عليهم بالعود الى وادى القرى وانهم لا يقيمون بفيد فاستطالوا الطريق ولم يقبلوا منه وكان الى أبى الهيجاء طريق الكوفة وكثير الحاج فلما فنى زادهم ساروا على طريق الكوفة فاوقع بهم القرامطة وأخذوهم وأسروا أبا الهيجاء وأحمد بن كشمرد ونحريرا وأحمد بن بدر عم والدة المقتدر وأخذ أبو طاهر جمال الحجاج جميعها وما أراد من الامتعة والاموال والنساء والصبيان وعاد الى هجر وترك الحجاج فى مواضعهم فمات أكثرهم جوعا وعطشا من حر الشمس وكان عمر أبى طاهر حينئذ سبع عشرة سنة وانقلبت بغداد واجتمع حرم المأخوذين الى حرم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات وجعلن ينادين القرمطى الصغير أبو طاهر قتل المسلمين فى طريق مكة والقرمطى الكبير ابن الفرات قد قتل المسلمين ببغداد وكانت صورة فظيعة شنيعة وكسر العامة منابر الجوامع وسودوا المحاريب يوم الجمعة لست خلون من صفر وضعفت نفس ابن الفرات وحضر عند المقتدر ليأخذ أمره فيما يفعله وحضر نصر الحاجب المشورة فانبسط لسانه على ابن الفرات وقال له الساعة تقول أى شئ نصنع وما هو الرأى بعد ان زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال فى الباطن بالميل مع كل عدو يظهر ومكاتبته ومهادنته وفى الظاهر بابعادك مؤنسا ومن معه الى الرقة وهم سيوف الدولة فمن يدفع الآن هذا الرجل ان قصد الحضرة أنت أو ولدك وقد ظهر الآن ان مقصودك بابعاد مؤنس والقبض على وعلى غيرى ان تستضعف الدولة وتقوى أعداؤها فتشفى غيظ قلبك ممن صادرك وأخذ أموالك ومن الذى سلم الناس الى القرمطى غيرك لما يجمع بينكما من التشيع والرفض وقد ظهر أيضا ان ذلك الرجل العجمى كان من أصحاب القرمطى وأنت أوصلته فحلف ابن الفرات انه ما كاتب القرمطى ولا هاداه ولا رأى ذلك الاعجمى الا تلك الساعة والمقتدر معرض عنه وأشار نصر على المقتدر ان يحضر مؤنسا ومن معه ففعل ذلك وكتب اليه بالحضور فسار الى ذلك ونهض ابن الفرات فركب فى طيارة فرجمه العامة حتى كاد يغرق وتقدم المقتدر الى ياقوت بالمسير الى الكوفة ليمنعها من القرامطة فخرج فى جمع كثير ومعه ولداه المظفر ومحمد فخرج على ذلك العسكر مال عظيم وورد الخبر بعود القرامطة فبطل مسير ياقوت ووصل مؤنس

الخدمة ولا البطانة بمثل حسن الاستماع (وقد حكى) عن روح بن زنباع الخزامى أنه كان يقول اذا أردت أن يمكنك الملك من أذنه فأمكن أذنك من الاصغاء الى حديثه ولا يتعقب الرجل عندى اذا كان يصغى الى حديثى ولا يقدح ما قيل فيه فى قلبى لما تقدم له من حسن الاستماع عندى (وقد حكى) عن معاوية أنه كان يقول يغلب الملك حتى يركب لشيئين بالحلم عند سورته والاصغاء الى حديثه (ووجدت) فى سير الملوك من الاعاجم أن شيرويه ابن ابرويز بينما هو فى منتزهاته بارض العراق وكان لا يسايره أحد من الناس مبتدئا وأهل المواتب العالية خلف ظهره على مراتبهم فان التفت بمناد نامنه صاحب الجيش وان التفت شمالا دنامنه الموبذان وأمره باحضار من أراد مسايرته فالتفت فى مسيره هذا يمينا فدنا منه صاحب الجيش فقال أين شداد بن جرثة فأحضر فسايره فقال له شيرويه أفكرت فى حديث حدثنا به أردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر فحدثنى به ان كنت تحفظه وكان شداد قد سمع هذا الحديث من أنوشروان وعرف المكيدة وكيف كان أردشير أوقعها بملك الخزر فاستعجم عليه شداد وأوهمه أنه لا يعرفه فحدثه شيرويه بالحديث فأصغى اليه الرجل بجوارحه كلها وكان مسيره على شاطئ نهر فترك

المظفر الى بغداد ولما رأى المحسن بن الوزير بن الفرات انحلال أمورهم أخذ كل من كان محبوسا عنده من المصادرين فقتلهم لانه كان قد أخذ منهم أموالا جليلة ولم يوصلها الى المقتدر فخاف ان يقروا عليه

(ذكر القبض على الوزير ابن الفرات وولده المحسن)

ثم ان الارجاف كثر على ابن الفرات فكتب الى المقتدر يعرفه ذلك وان الناس انما عادوه لنصحه وشفقته وأخذ حقوقه منهم فانفذ المقتدر اليه يسكنه ويطيب قلبه فركب هو وولده الى المقتدر فادخلهما اليه فطيب قلوبهما فخرجا من عنده فمنعهما نصر الحاجب من الخروج ووكل بهما فدخل مفلح على المقتدر وأشار عليه بتأخير عزله فأمر باطلاقهما فخرج هو وابنه المحسن فاما المحسن فانه اختفى وأما الوزير فانه جلس عامة نهاره يمضي الاشغال الى الليل ثم بات مفكرا فلما أصبح سمعه بعض خدمه ينشد

وأصبح لا يدري وان كان حازما * أقدامه خير له أم وراءه

فلما أصبح الغد وهو الثامن من ربيع الاول وارتفع النهار أتاه نازوك وبليق في عدة من الجند فدخلوا الى الوزير وهو عند الحرم فاخرجوه حافيا مكشوف الرأس وأخذ الى دجلة فالقى عليه بليق طيلسانا غطى به رأسه وحمل الى طيار فيه مؤنس المظفر ومعه هلال بن بدر فاعتذر اليه ابن الفرات والان كلامه فقال له أنا الآن الاستاذ وكنت بالامس الخائن الساعي في فساد الدولة واخرجتني والمطر على رأسي ورؤس أصحابي ولم تمهلني ثم سلم الى شفيع اللؤلؤي فحبس عنده وكانت مدة وزارته هذه عشرة أشهر وثمانية عشر يوما وأخذ أصحابه وأولاده ولم ينج منهم الا المحسن فانه اختفى وصودر ابن الفرات على جملة من المال مبلغها ألف ألف دينار

(ذكر وزارة أبي القاسم الخاقاني)

ولما تغير حال ابن الفرات سعى عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبو القاسم بن أبي علي الخاقاني في الوزارة وكتب خطه انه يتكفل ابن الفرات وأصحابه بمصادرة ألفي ألف دينار وسعى له مؤنس الخادم وهرون بن غريب الخال ونصر الحاجب وكان أبو علي الخاقاني والد أبي القاسم مريضا شديد المرض وقد تغير عليه لكبر سنه فلم يعلم بشئ من حال ولده وتولى أبو القاسم الوزارة تاسع ربيع الاول وكان المقتدر يكرهه فلما سمع ابن الفرات وهو محبوس بولايته قال الخليفة هو الذي نكب لا أنا يعني ان الوزير عاجز لا يعرف أمر الوزارة ولما وزر الخاقاني شفع اليه مؤنس الخادم في اعادة علي بن عيسى من صنعاء الى مكة وكتب الى جعفر عامل اليمن في الاذن لعلي بن عيسى في العود الى مكة ففعل ذلك وأذن لعلي في الاطلاع على أعمال مصر والشام ومات أبو علي الخاقاني في وزارة ولده هذه

(ذكر قتل ابن الفرات وولده المحسن)

وكان المحسن بن الوزير بن الفرات مختفيا كما ذكرنا وكان عند حماته حزانة وهي والدة الفضل بن جعفر بن الفرات وكانت تأخذه كل يوم الى المقبرة وتعود به الى المنازل التي يثق باهلها عشاء وهو في زي امرأة فمضت يوما الى مقابر قريش وأدركها الليل فبعد عليها الطريق فاشارت عليها امرأة معها ان تقصد امرأة صالحة تعرفها بالخير يختفي عندها وأخذت المحسن وقصدت تلك المرأة وقالت لها معنا صبية بكر نريد بيتا تكون فيه فامرتهم بالدخول الى دارها وسلمت اليهم قبة في الدار فادخلن المحسن اليها وجلس النساء الذين معه في صفة بين يدي باب القبة فجاءت جارية

الرجل لاقباله على شيرويه النظر الى موطئ حافر دابته فزلت احدى قوائم الدابة فمال بالرجل الى اليمين فوقع في الماء ونفرت الدابة فابتدرها حاشية الملك وغلمانه فأمالوها عن الرجل وجدلوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه فاغتم لذلك ونزل عن دابته وبسط له هنالك حتى تغدى في موضعه ودعا بثياب من خاص كسوته فالقيت على شداد وأكل معه وقال له غفلت عن النظر الى موضع حافر دابتك فقال أيها الملك ان الله اذا أنعم على عبد نعمة قابلها بمحنة وعارضها ببلية وعلى قدر النعم تكون المحن وان الله أنعم علي بنعمتين عظيمتين هما اقبال الملك علي بوجهه من بين هذا السواد الاعظم وهذه الفائدة وهي تدبير هذه الحرب حتى حدث بها عن أردشير حتى اني لو دخلت الى حيث تطلع الشمس أو تغرب لكنت رابحا فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت واحد قابلتهما هذه المحنة ولولا أساورة هذا الملك وعن جده لكنت معرض هلكة وعلى ذلك فلو غرقت حتى ذهبت عن جديد الارض لكان قد أبقى لي الملك ذكرا مخلدا ما بقي الضياء والظلام فسر الملك بذلك وقال ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه فحشا فاه جوهرا ودرا رائقا ثمينا واستبطنه حتى غلب على أكثر أمره (وانما ذكرنا) هذا الخبر من أخبار من سلف من ملوك الفرس ليعلم أن أبا بكر الهذلي ثم لم يبتدئ بحال لم يسبقه اليها غيره

سوداء فرأت المحسن فى القبة فعادت الى مولاتها فاخبرتها ان فى الدار رجلا فجاءت صاحبتها فلما رأته عرفته وكان المحسن قد أخذ وجها بالمصادرة فلما رأى الناس فى داره يجلدون ويشقصون ويعذبون مات فجاءة فلما رأت المرأة المحسن وعرفته ركبت فى سفينة وقصدت دار الخليفة وصاحت معى نصيحة لامير المؤمنين فاحضرها نصر الحاجب فاخبرته بخبر المحسن فانهى ذلك الى المقتدر فامر نازوك صاحب الشرطة ان يسير معها ويحضره فاخذها معه الى منزلها ودخل المنزل وأخذ المحسن وعاد به الى المقتدر فرده الى دار الوزير فعذب بانواع العذاب ليجيب الى مصادرة يبذلها فلم يجبهم الى دينار واحد وقال لا أجمع لكم بين نفسى ومالى واشتد العذاب عليه بحيث امتنع عن الطعام فلما علم ذلك المقتدر أمر بحمله مع أبيه الى دار الخلافة فقال الوزير أبو القاسم لمؤنس وهرون بن غريب الخال ونصر الحاجب ان ينقل ابن الفرات الى دار الخلافة بذل أمواله واطمع المقتدر فى أموالنا وضمننا منه وتسلمنا فاهلكنا فوضعوا القواد والجند حتى قالوا للخليفة انه لابد من قتل ابن الفرات وولده فاننا لا نأمن على أنفسنا ماداما فى الحياة وترددت الرسائل فى ذلك وأشار مؤنس وهرون بن غريب ونصر الحاجب بموافقتهم واجابتهم الى ماطلبوا فامر نازوك بقتلهما فذبحهما كما يذبح الغنم وكان ابن الفرات قد أصبح يوم الاحد صائما فاتى بطعام فلم يأكله فاتى أيضا بطعام ليفطر عليه فلم يفطر وقال رأيت أخى العباس فى النوم يقول لى أنت وولدك عندنا يوم الاثنين ولا شك اننا نقتل فقتل ابنه المحسن يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر وحمل رأسه الى أبيه فارتاع لذلك شديدا ثم عرض أبوه على السيف فقال ليس الا السيف راجعوا فى أمرى فان عندى أموالا جمة وجواهر كثيرة فقيل له جل الامر عن ذلك وقتل وكان عمره احدى وسبعين سنة وعمر ولده المحسن ثلاثا وثلاثين سنة فلما قتلا حملا رأساهما الى المقتدر بالله فامر بتغريقهما وقد كان أبو الحسن بن الفرات يقول ان المقتدر بالله يقتلنى فصح قوله فمن ذلك انه عاد من عنده يوما وهو مفكر كثير الهم فقيل له فى ذلك فقال كنت عند أمير المؤمنين فما خاطبته فى شىء من الاشياء الا قال لى نعم فقلت له الشىء وضده وفى كل ذلك يقول نعم فقيل له هذا حسن ظنه بك وثقته بما تقول واعتماده على شفقتك فقال لا والله ولكنه اذن لكل قائل وما يؤمنى ان يقال له يقتل الوزير فيقول نعم والله انه قاتلى ولما قتل ركب هرون بن غريب مسرعا الى الوزير الخاقانى وهناه بقتله فاغمى عليه حتى ظن هرون ومن هناك انه قد مات وصرخ أهله وأصحابه عليه فلما أفاق من غشيته لم يفارقه هرون حتى أخذ منه ألفى دينار وأما أولاده سوى المحسن فان مؤنسا المظفر شفع فى ابنيه عبد الله وأبى نصر فاطلقا له فخلع عليهما ووصلهما بعشرين ألف دينار وصودر ابنه الحسن على عشرين ألف دينار وأطلق الى منزله وكان الوزير أبو الحسن ابن الفرات كريما ذا رياسة وكفاية فى عمله حسن السؤال والجواب ولم يكن له سيئة الا ولده المحسن ومن محاسنه انه جرى ذكر أصحاب الادب وطلبة الحديث وما هم عليه من الفقر والتعفف فقال انا أحق من اعانهم وأطلق لاصحاب الحديث عشرين ألف درهم وللشعراء عشرين ألف درهم ولاصحاب الادب عشرين ألف درهم وللفقهاء عشرين ألف درهم وللصوفية عشرين ألف درهم فذلك مائة ألف درهم وكان اذا ولى الوزارة ارتفعت اسعار الثلج والشمع والسكر والقراطيس لكثرة ما كان يستعملها ويخرج من داره للناس ولم يكن فيه ما يعاب به الا ان أصحابه كانوا يفعلون ما يريدون ويظلمون فلا يمنعهم فمن ذلك ان بعضهم ظلم امرأة فى ملك لها فكتبت اليه تشكو منه غير مرة وهو لا يرد لها جوابا فلقيته يوما وقالت له أسألك بالله ان

ويتقدمه بها سواه وأحسن المواقع من الملوك الاستماع منها والاخذ عنها وقد كانت حكماء اليونانيين تقول ان الواجب على من أقبل عليه ملك أو ذو رياسة بحديث أن يصرف كله الى ذلك وان كان يعرف الحديث الذى يسمعه من الملك كانه لم يسمعه قط ويظهر السرور من الملك والاستبشار بحديثه وان فى ذلك أمرين أحدهما ما يظهر من حسن أدبه فانه يعطى الملك حقه بحسن الاستماع لحديثه والاستغراب له كانه لم يسمعه واظهار السرور والاستفادة منه فالنفس الى الفوائد من الملوك والحديث عنهم أشهى وأقرب منها الى فوائد السوقة وما أشبهها (وقد ذكر) جماعة من الاخباريين كابن داب وغيره نحو هذا المعنى عن معاوية بن أبى سفيان ويزيد بن سمرة الرهاوى وهو أن ابن سمرة كان يساير ذات يوم معاوية وكان آنسا به والى حديثه تائقا ومعاوية مقبل عليه يحدثه عن (جرعان) يوم كان لبنى مخزوم وغيرهم من قريش كان فيه حرب عظيمة فنى فيها خلق من الناس وذلك قبل الاسلام وقيل ان ذلك كان قبل الهجرة وكان لابى سفيان فيها مكرمة وسابقة فى الرياسة وهو أنه لما أشرف الفريقان على الفناء علا على نشز من الارض ثم صاح بالفريقين وأشار بكمه وانصرف الفريقان جميعا انقيادا الى أمره وكان معاوية معجبا

تسمع مني كلمة فوقف لها فقالت قد كتبت اليك في ظلامتي غير مرة ولم تجبني وقد تركتك وكتبتها الى الله تعالى فلما كان بعد أيام ورأى تغير حاله قال لمن معه من أصحابه ما أظن الاجوبة رقعة تلك المرأة المظلومة قد خرج فكان كما قال

﴿ذكر دخول القرامطة الكوفة﴾

وفي هذه السنة دخل أبو طاهر القرمطي الى الكوفة وكان سبب ذلك ان أبا طاهر أطلق من كان عنده من الاسرى الذين كان أسرهم من الحجاج وفيهم ابن حمدان وغيره وأرسل الى المقتدر يطلب البصرة والاهواز فلم يجبه الى ذلك فسار من هجر يريد الحاج وكان جعفر بن ورقاء الشيباني متقلدا أعمال الكوفة وطريق مكة فلما سار الحجاج من بغداد سار جعفر بين أيديهم خوفا من أبي طاهر ومعه ألف رجل من بني شيبان وسار مع الحجاج من أصحاب السلطان ثمل صاحب البحر وجني الصفواني وطريف السبكري وغيرهم في ستة آلاف رجل فلقي أبو طاهر القرمطي جعفرا الشيباني فقاتله جعفر فبينما هو يقاتله اذ طلع جمع من القرامطة عن يمينه فانهزم من بين أيديهم فلقي القافلة الاولى وقد انحدرت من العقبة فردهم الى الكوفة ومعهم عسكر الخليفة وتبعهم أبو طاهر الى باب الكوفة فقاتلهم فانهزم عسكر الخليفة وقتل منهم وأسر جنيا الصفواني وهرب الباقون والحجاج من الكوفة ودخلها أبو طاهر وأقام ستة أيام بظاهر الكوفة يدخل البلد نهارا فيقيم في الجامع الى الليل ثم يخرج يبيت في عسكره وحمل منها ما قدر على حمله من الاموال والثياب وغير ذلك وعاد الى هجر ودخل المنهزمون بغداد فتقدم المقتدر الى مؤنس المظفر بالخروج الى الكوفة فسار اليها فبلغها وقد عاد القرامطة عنها فاستخلف عليها ياقوتا وسار مؤنس الى واسط خوفا عليها من أبي طاهر وخاف أهل بغداد وانتقل الناس الى الجانب الشرقي ولم يحج في هذه السنة من الناس أحد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة خلع المقتدر على نجح الطولوني وولي اصبهان وفيها سار رسول ملك الروم بهدايا كثيرة ومعه أبو عمر بن عبد الباقي فطلبا من المقتدر الهدنة وتقرير الفداء فأجيبا الى ذلك بعد غزاة الصائفة وفي هذه السنة خلع على جني الصفواني بعد عوده من ديار مصر وفيها استعمل سعيد بن حمدان على المعاون والحرب بنهاوند وفيها دخل المسلمون بلاد الروم فنهبوا وسبوا وعادوا وفيها ظهر عند الكوفة رجل ادعى انه محمد بن اسمعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو رئيس الاسمعيلية وجمع جمعا عظيما من الاعراب وأهل السواد واستفحل أمره في شوال فسير اليه جيش من بغداد فقاتلوه فظفروا به وانهزم وقتل كثير من أصحابه وفيها في شهر ربيع الاول توفي محمد بن نصر الحاجب وقد كان استعمل على الموصل وتقدم ذلك وفيها توفي شفيع اللؤلؤي وكان على البريد وغيره من الاعمال فولي ما كان عليه شفيع المقتدري

﴿ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة﴾

﴿ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة ووزارة الخصيبي﴾

في هذه السنة في شهر رمضان عزل أبو القاسم الخاقاني عن وزارة الخليفة وكان سبب ذلك ان أبا العباس الخصيبي علم بمكان امرأة المحسن بن الفرات فسأل ان يتولى النظر في أمرها فاذن له المقتدر في ذلك فاستخلص منها سبعمائة ألف دينار وحملها الى المقتدر فصار له معه حديث فخافه الخاقاني فوضع من وقع عليه وسعى به فلم يصغ المقتدر الى ذلك فلما علم الخصيبي بالحال كتب الى

بهذا الحديث فبينما هو يحدثه به ويزيد بن سمرة مقبل عليه وقد استخفتهم لذة المحدث والمستمع اذ ضحك جبين يزيد بن سمرة بحجر عائر فأدماه فجعلت الدماء تسيل على وجهه ولحيته وثوبه وغير ذلك ولم يتغير عما كان عليه من الاستماع فقال له معاوية لله أنت يا ابن سمرة أما ترى ما نزل بك قال وما ذاك يا أمير المؤمنين قال هذا دم يسيل على ثوبك فقال أعتق ما أملك ان لم يكن حديث أمير المؤمنين ألهاني حتى غمر فكري وغطى على قلبي فما شعرت بشئ مما حدث حتى نبهني عليه أمير المؤمنين فقال معاوية لقد ظلمك من جعلك في ألف من العطاء وأخرجك من عطاء أبناء المهاجرين والجماهير ممن حضر معنا بصفين ثم أمر له وهو في مسيره بخمسمائة ألف درهم وزاده في عطائه ألفا من الدراهم وجعله بين جلده وثوبه (وقد قال) بعض أهل المعرفة والادب من مصنفي الكتب في هذا المعنى وغيره فيما حكيناه عن معاوية وابن سمرة ان كان ابن سمرة خدع معاوية في هذا ومعاوية ممن لا يخادع فما مثله الا كما قال الاول (من ينك العير ينك نياكا) وان كان بلغ من بلادة ابن سمرة وقلة حسه ما وصف به نفسه فما كان جديرا بخمسمائة ألف صلة وزيادة ألف في عطائه وما أظن ذلك خفي عن معاوية (قال المسعودي) وقد قالت

المقتدر يذكر معايب الخاقاني وابنه عبد الوهاب وعجزهما وضياع الاموال وطمع العمال ثم ان الخاقاني مرض مرضا شديدا وطال به فوقفت الاحوال وطلب الجند أرزاقهم وشغبوا فارسل المقتدر اليه في ذلك فلم يقدر على شيء فحينئذ عزله واستوزر أبا العباس الخصيبي وخلع عليه وكان يكتب لام المقتدر فلما وزر كتب لها بعده أبو يوسف عبد الرحمن بن محمد وكان قد تزهد وترك عمل السلطان ولبس الصوف والفوط فلما اشتد عليه هذا العمل ترك ما كان عليه من الزهد فسماه الناس المرتد فلما ولي الخصيبي أقر علي بن عيسى على الاشراف على أعمال مصر والشام فكان يتردد من مكة اليها في الاوقات واستعمل العمال في الاعمال واستعمل أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي بعد أن صادره بثمانية وخمسين ألف دينار على الاشراف على الموصل وديار ربيعة

(ذكر ما فتحه أهل صقلية)

في هذه السنة سار جيش صقلية مع أميرهم سالم بن راشد وأرسل اليهم المهدي جيشا من افريقية فساروا الى أرض انكبردة ففتحوا غيران وابرجة وغنموا غنائم كثيرة وعاد جيش صقلية وساروا الى أرض قلورية وقصدوا مدينة طارنت فحصروها وفتحوها بالسيف في شهر رمضان ووصلوا الى مدينة ادرنت فحصروها وخربوا منازلها وأصاب المسلمين مرض شديد كبير فعادوا ولم يزل أهل صقلية يغيرون على ما بايدي الروم من جزيرة صقلية وقلورية وينهبون ويخربون

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة فتح ابراهيم المسمعي ناحية القفص وهي من حدود كرمان وأسر منهم خمسة آلاف انسان وحملهم الى فارس وباعهم وفيها كثرت الارطاب ببغداد حتى عملوا منها التمور وحملت الى واسط والبصرة فنسب أهل بغداد الى البغي وفيها كتب ملك الروم الى أهل الثغور يأمرهم بحمل الخراج اليه فان فعلوا والا قصدهم فقتل الرجال وسبى الذرية وقال انني صح عندي ضعف ولاتكم فلم يفعلوا ذلك فسار اليهم وأخرب البلاد ودخل ملطية في سنة أربع عشرة وثلثمائة فاخربوها وسبوا منها ونهبوا وأقام فيها ستة عشر يوما وفيها اعترض القرامطة الحاج بزبالة فقاتلهم أصحاب الخليفة فانهزموا ووضع القرامطة على الحاج قطيعة فأخذوها وكفوا عنهم فساروا الى مكة وفيها انقض كوكب كبير وقت المغرب له صوت مثل الرعد الشديد وضوء عظيم أضاءت له الدنيا وفيها توفي محمد بن محمد بن سليمان الباغندي في ذي الحجة وهو من حفاظ المحدثين وأبو العباس محمد بن اسحق بن ابراهيم بن مهران السراج النيسابوري وعمره تسع وتسعون سنة وكان من العلماء الصالحين وعبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي توفي ليلة الفطر وكان عمره مائة سنة وسنتين وهو ابن بنت أحمد بن منيع وفيها توفي علي بن محمد بن بشار أبو الحسن الزاهد

(ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلثمائة)

(ذكر مسير ابن أبي الساج الى واسط)

وفي هذه السنة قلد المقتدر يوسف بن أبي الساج نواحي المشرق وأذن له في أخذ أموالها وصرفها الى قواده وأجناده وأمره بالقدوم الى بغداد من اذربيجان والمسير الى واسط ليسير الى هجر لمحاربة أبي طاهر القرمطي فسار الى واسط وكان بها مؤنس المظفر فلما قاربها يوسف صعد مؤنس الى بغداد ليقيم بها وجعل له أموال الخراج بنواحي همذان وساوة وقم وقاشان وماه البصرة وماه الكوفة وماسبذان لينفقها على مائدته ويستعين بذلك على محاربة القرامطة وكان هذا كله من تدبير الخصيبي

ذكر

الحكماء في هذا وأكثرت وأمرت بحسن الاستماع والتثبت فقالوا الا بحسن الحادثة الا بحسن الفهم وقالوا تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وحسن الاستماع هو امهال المحدث حتى ينقضي حديثه (ومن أدب الحديث) وواجباته أن لا يقتضب اقتضابا ولا يهجم عليه رأي يتوصل الى اجرائه بما يشاكله ويستنسب له ما يحسن أن يجري في غرضه حتى يكون بعض المفاوضة متعلقا ببعض على حسب ما قالوا في المثل ان الحديث ذو شجون يريدون بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد الى وجوه من المعاني كثيرة اذ كان العيش كله في الجليس الممتع وقال رجل والله ما أمل الحديث فقال السامع انما يمل العتيق لا الحديث وقد أكثرت الشعراء من الاغراق في هذا المعنى ومن ذلك قول العباس بن علي الرومي

وسئمت كل مآربي ... فكأن أطيبها غثيث

الا الحديث فانه ... مثل اسمه أبدا حديث

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول ابراهيم بن العباس

ان الزمان وما يبين بفرقي ... صرف الغواية فانصرفت كريما

وضجرت الا من لقاء محدث ... حسن الحديث يزيدني تعليما

وقد ذكر بعض المحدثين من أهل الأدب ان من الادب عدم اطالة الحديث من النديم وان أحلى الحديث وأحسنه موقعا أن

﴿ذكر الحرب بين عبد الله بن حمدان والاكراد والعرب﴾

وفى هذه السنة أفسد الاكراد والعرب بارض الموصل وطريق خراسان وكان عبد الله بن حمدان يتولى الجميع وهو ببغداد وابنه ناصر الدولة بالموصل فكتب اليه أبوه يأمره بجمع الرجال والانحدار الى تكريت ففعل وسار اليها فوصل اليها فى رمضان واجتمع بابيه وأحضر العرب وطالبهم بما أحدثوا فى عمله بعد أن قتل منهم ونكل ببعضهم فردوا على الناس شيأ كثيرا ورحل بهم الى شهرزور وفوطئ الاكراد الجلالية فقاتلهم وانضاف اليهم غيرهم فاشتدت شوكتهم ثم انهم انقادوا اليه لما رأوا قوته وكفوا عن الفساد والشر

﴿ذكر عزل الخصيبى ووزارة على بن عيسى﴾

فى هذه السنة فى ذى القعدة عزل المقتدر أبا العباس الخصيبى عن الوزارة وكان سبب ذلك ان الخصيبى أضاق اضاقة شديدة ووقفت أمور السلطان لذلك واضطرب أمر الخصيبى وكان حين ولى الوزارة قد اشتغل بالشرب كل ليلة وكان يصبح سكران لا فضل فيه لعمل وسماع حديث وكان يترك الكتب الواردة الدواوين لا يقرؤها الا بعد مدة ويهمل الاجوبة عنها فضاعت الاموال وفاتت المصالح ثم انه لضجره وتبرمه بها وبغيرها من الاشغال وكل الامور الى نوابه وأهمل الاطلاع عليهم فباعوا مصلحته بمصلحة نفوسهم فلما صار الامر الى هذه الصورة أشار مؤنس المظفر بعزله وولاية على بن عيسى فقبض عليه وكانت وزارته سنة وشهرين وأخذ ابنه وأصحابه فحبسوا وأرسل المقتدر بالله بالغد الى دمشق يستدعى على بن عيسى وكان بها وأمر المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى بالنيابة عن على بن عيسى الى ان يحضر فسار على بن عيسى الى بغداد فقدمها أوائل سنة خمس عشرة واشتغل بامور الوزارة ولازم النظر فيها فمشت الامور واستقامت الاحوال وكان من أقوم الاسباب فى ذلك ان الخصيبى كان قد اجتمع عنده رقاع المصادرين وكفالات من كفل منهم وضمانات العمال عما ضمنوا من المال بالسواد والاهواز وفارس والمغرب فنظر فيها على وأرسل فى طلب تلك الاموال فاقبلت اليه شيأ بعد شئ فادى الارزاق وأخرج العطاء واسقط من الجند من لا يحمل السلاح ومن أولاد المرتزقة من هو فى المهد فان آباءهم أثبتوا أسماءهم ومن ارزاق المغنين والمساخرة والندماء والصفاعنة وغيرهم مثل الشيخ الهرم ومن ليس له سلاح فانه أسقطهم وتولى الاعمال بنفسه ليلا ونهارا واستعمل العمال فى الولايات واختار الكفاة وأمر المقتدر بالله بمناظرة أبى العباس الخصيبى فاحضره وأحضر الفقهاء والقضاة والكتاب وغيرهم وكان على وقورا بسنه فسأله عما صح من الاموال من الخراج والنواحى والاصقاع والمصادرات والمتكفلين بها ومن البواقى القديمة الى غير ذلك فقال لا أعلم وسأله عن الاخراجات والواصل الى المخزن فقال لا أعرفه وقال له لم أحضرت يوسف ابن أبى الساج وسلمت اليه أعمال المشرق سوى اصبهان وكيف تعتقد انه يقدر هو وأصحابه وهم قد ألفوا البلاد الباردة الكثيرة المياه على سلوك البرية القفرا والصبر على حر بلاد الاحسا والقطيف ولم لا جعلت معه منفقا يخرج المال على الاجناد فقال ظننت انه يقدر على قتال القرامطة وامتنع من ان يكون معه منفق فقال له كيف استجزت فى الدين والمروءة ضرب حرم المصادرين وتسليمهن الى أصحابك كامرأة ابن الفرات وغيره فان كانوا فعلوا ما لا يجوز ألست أنت السبب فى ذلك ثم سأله عن الحاصل له وعن اخراجاته فخلط فى ذلك فقال له غررت بنفسك وغررت بأمير المؤمنين ألا قلت له انى لا أصلح للوزارة فقد كان الفرس اذا أرادوا ان يستوزروا

تجتنب منه الاحاديث الطوال دون المعانى المتغلغلة الالفاظ الحشوية التى ينقضى باقتصاصها زمان المجالس وتتعلق بها النفوس وتحنى على أواخرها الكؤس وأن ذلك بمجالس القصاص أشبه منه بمجالس الخواص (وقد ذكر) هذا المعنى فاجاد فيه عبد الله بن المعتز بالله ووصف ذلك بين أصحاب الشراب على المعاقرة فقال

بين أقداحهم حديث قصير ... هو سحر وما عداه كلام

وكأن السقاة بين الندامى ... ألفات بين السطور قيام

وهذه طريقة من ذهب فى هذا المعنى الى استماع الملح وكان أول من وقع عليه اسم الوزارة فى دولة بنى العباس أبو سلمة حفص ابن سليمان الخلال الهمدانى مولى لسبيع وكان فى نفس أبى العباس منه شئ لانه كان حاول فى رد الامر عنهم الى غيرهم فكتب أبو مسلم الى السفاح يشير عليه بقتله ويقول له قد أحل الله لك دمه لانه قد نكث وغير وبدل فقال السفاح ما كنت لافتتح ولايتى بقتل رجل من شيعتى لا سيما مثل أبى سلمة وهو صاحب هذه الدعوة وقد عرض نفسه وبذل مهجته وأنفق ماله وناصح امامه وجاهد عدوه وكلمه أبو جعفر أخوه وداود ابن على عمه فى ذلك وقد كان أبو مسلم كتب اليهما يسألهما أن يشيرا على السفاح بقتله فقال أبو العباس ما كنت لأفسد كثير احسانه وعظيم بلائه وصالح أيامه بزلة كانت منه وهى خطرة من خطرات الشيطان

وزيرا نظروا فى تصرفه لنفسه فان وجدوه حازماضابطا ولوه والا فالوا من لا يحسن يدبر نفسه فهو عن غير ذلك أعجز وتركوه ثم أعاده الى محبسه

(ذكر استيلاء السامانية على الرى)

لما استدعى المقتدر يوسف بن أبى الساج الى واسط كتب الى السعيد نصر بن أحمد السامانى بولاية الرى وأمره بقصدها وأخذها من فاتك غلام يوسف فسار نصر بن أحمد اليها أوائل سنة أربع عشرة وثلثمائة فوصل الى جبل قارن فمنعه أبو نصر الطبرى من العبور فأقام هنالك فراسله وبذل له ثلاثين ألف دينار حتى مكنه من العبور فسار حتى قارب الرى فخرج فاتك عنها واستولى نصر ابن أحمد عليها فى جمادى الآخرة وأقام بها شهرين وولى عليها سيمجور الدواتى وعاد عنها ثم استعمل عليها محمد بن على صعلوك وسار نصر الى بخارى ودخل صعلوك الرى فأقام بها الى أوائل شعبان سنة ست عشرة وثلثمائة فمرض فكاتب الحسن الداعى وما كان بن كالى فى القدوم عليه ليسلم الرى اليهما فقدما عليه فسلم الرى اليهما وسار عنها فلما بلغ الدامغان مات

(ذكر عدة حوادث)

وفى هذه السنة ضمن أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان اعمال الخراج والضياع بالموصل وقردى وبازبدى ومايجرى معها وفيها سار ثمل الى عمله بالثغور وكان فى بغداد وفيها فى ربيع الآخر خرجت الروم الى ملطية وما يليها ومع الدمستق ومعه مليح الارمنى صاحب الدروب فنزلوا على ملطية وحصروها فصبر أهلها فافتتح الروم أبوابا من الربض فدخلوا فقاتلهم أهلها وأخرجوهم منه ولم يظفروا من المدينة بشئ وخربوا قرى كثيرة من قراها ونبشوا الموتى ومثلوا بهم ورحلوا عنهم وقصد أهل ملطية بغداد مستغيثين فى جمادى الاولى فلم يغاثوا فعادوا بغير فائدة وغزا أهل طرسوس صائفة فغنموا وعادوا وفيها جمدت دجلة عند الموصل من بلد الى الحديثة حتى عبر عليها الدواب لشدة البرد وفيها توفى الوزير أبو القاسم الخاقانى وهرب ابنه عبد الوهاب ولم يحضر غسل أبيه ولا الصلاة عليه وكان الوزير قد أطلق من محبسه قبل موته وفيها توجه أبو طاهر القرمطى نحو مكة فبلغ خبره الى أهلها فنقلوا حرمهم وأموالهم الى الطائف وغيره خوفا منه وفيها كتب الكلوذانى الى الوزير الخصيبى قبل عزله بان أباطالب النوبندجانى قد صار يجرى مجرى أصحاب الاطراف وانه قد تغلب على ضياع السلطان واستغل منها جملة عظيمة فصودر أبو طالب على مائة ألف دينار

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلثمائة)

(ذكر ابتداء الوحشة بين المقتدر ومؤنس)

فى هذه السنة هاجت الروم وقصدوا الثغور ودخلوا سميساط وغنموا جميع مافيها من مال وسلاح وغير ذلك وضربوا فى الجامع بالناقوس أوقات الصلاة ثم ان المسلمين خرجوا فى أثر الروم وقاتلوهم وغنموا منهم غنيمة عظيمة فأمر المقتدر بالله بتجهيز العساكر مع مؤنس المظفر وخلع المقتدر عليه فى ربيع الآخر ليسير فلما لم يبق الا الوداع امتنع مؤنس من دخول دار الخليفة للوداع واستوحش من المقتدر بالله وظهر ذلك وكان سببه ان خادما من خدام المقتدر حكى لمؤنس ان المقتدر بالله أمر خواص خدمه ان يحفروا جبا فى دار الشجرة ويغطوه ببارية وتراب وذكر انه يجلس فيه لوداع مؤنس فاذا حضر وقاربها ألقاه الخدم فيها وخنقوه واظهروه ميتا فامتنع مؤنس من دخول دار الخليفة وركب اليه جميع الاجناد وفيهم عبد الله بن حمدان واخوته وخلت دار

ليلى ونهارى وسرى وجهرى ووحدتى وجماعتى فلما اتصل هذا القول من أبى العباس بابى مسلم أكبره وأعظمه وخاف من ناحية أبى سلمة أن يقصده بالمكروه فوجه جماعة من ثقات أصحابه فى أعمال الحيلة فى قتل أبى سلمة وقد كان أبو العباس يأنس بأبى سلمة ويسمر عنده وكان أبو سلمة فكها ممتعا أديبا عالما بالسياسة والتدبير فيقال أن أبا سلمة انصرف ليلة من عند السفاح من مدينته بالانبار وليس معه أحد فوثب عليه أصحاب أبى مسلم فقتلوه ولما اتصل خبره بالسفاح أنشأ يقول

الى النار فليذهب ومن كان مثله
على أى شئ فاتنا منه ناسف

وكان أبو مسلم يقال له أمين آل محمد وأبو سلمة حفص بن سليمان يدعى وزير آل محمد فلما قتل غيلة على ماذكرنا قال فى ذلك الشاعر من أبيات

ان المساءة قد تسر وربما
كان السرور بما كرهت جديرا
ان الوزير وزير آل محمد
أودى فمن يشناك كان وزيرا

وقد أتينا على خبر مقتله وكيفية أمره فى الكتاب الاوسط (وكان) السفاح

الخليفة وقالوا لمؤنس نحن نقاتل بين يديك الى ان تنبت لك لحية فوجه اليه المقتدر رقعة بخطه يحلف له على بطلان ما بلغه فصرف مؤنس الجيش وكتب الجواب انه العبد المملوك وان الذى أبلغه ذلك قد كان وضعه من يريد ايحاشه من مولاه وانه ما استدعى الجند وانما هم حضروا وقد فرقهم ثم ان مؤنسا قصد دار المقتدر فى جمع من القواد ودخل اليه وقبل يده وحلف المقتدر على صفاء نيته له وودعه وسار الى الثغر فى العشر الآخر من ربيع الآخر وخرج لوداعه أبو العباس ابن المقتدر وهو الراضى بالله والوزير على بن عيسى

(ذكر وصول القرامطة الى العراق وقتل يوسف بن أبى الساج)

فى هذه السنة وردت الاخبار بمسير أبى طاهر القرمطى من هجر نحو الكوفة ثم وردت الاخبار من البصرة بانه اجتاز قريبا منهم نحو الكوفة فكتب المقتدر الى يوسف بن أبى الساج يعرفه هذا الخبر ويأمره بالمبادرة الى الكوفة فسار البهاء واسط آخر شهر رمضان وقد أعدله بالكوفة الانزال له ولعسكره فلما وصلها أبو طاهر الهجرى هرب نواب السلطان عنها واستولى عليها أبو طاهر وعلى تلك الانزال والعلوفات وكان فيها مائة كر دقيقا وألف كر شعيرا وكان قد فنى ما معه من الميرة والعلوفة فقووا بما أخذوه ووصل يوسف الى الكوفة بعد وصول القرمطى بيوم واحد فحال بينه وبينها وكان وصوله يوم الجمعة ثامن شوال فلما وصل اليهم أرسل اليهم يدعوهم الى طاعة المقتدر فان أبوا فموعدهم الحرب يوم الاحد فقالوا لا طاعة علينا الالله تعالى والموعد بيننا للحرب بكرة غد فلما كان الغد ابتدأ أوباش العسكر بالشتم ورمى الحجارة ورأى يوسف قلة القرامطة فاحتقرهم وقال ان هؤلاء الكلاب بعد ساعة فى يدى وتقدم بان يكتب كتاب الفتح والبشارة بالظفر قبل اللقاء تهاونا بهم وزحف الناس بعضهم الى بعض فسمع أبو طاهر أصوات البوقات والزعقات فقال لصاحب له ما هذا وقال فشل قال أجل لم يزد على هذا فاقتتلوا من ضحوة النهار يوم السبت الى غروب الشمس وصبر الفريقان فلما رأى أبو طاهر ذلك باشر الحرب بنفسه ومعه جماعة يثق بهم وحمل بهم فطحن أصحاب يوسف ودقهم فانهزموا بين يديه وأسر يوسف وعدد اكثيرا من أصحابه وكان أسره وقت المغرب وحملوه الى عسكرهم ووكل به أبو طاهر طبيبا يعالج جراحه وورد الخبر الى بغداد بذلك فخاف الخاص والعام من القرامطة خوفا شديدا وعزموا على الهرب الى حلوان وهمذان ودخل المنهزمون بغداد أكثرهم رجالة حفاة عراة فبرز مؤنس المظفر ليسير الى الكوفة فاتاهم الخبر بان القرامطة قد ساروا الى عين التمر فانفذ من بغداد خمسمائة سميرية فيها المقاتلة لتمنعهم من عبور الفرات وسير جماعة من الجيش الى الانبار لحفظها ومنع القرامطة من العبور هنالك ثم ان القرامطة قصدوا الانبار فقطع أهلها الجسر ونزل القرامطة غرب الفرات وانفذ أبو طاهر أصحابه الى الحديثة فاتوه بسفن ولم يعلم أهل الانبار بذلك وعبر فيها ثلثمائة رجل من القرامطة فقاتلوا عسكر الخليفة فهزموهم وقتلوا منهم جماعة واستولى القرامطة على مدينة الانبار وعقدوا الجسر وعبر أبو طاهر جريدة وخلف سواده بالجانب الغربى ولما ورد الخبر بعبور أبى طاهر الى الانبار خرج نصر الحاجب فى عسكر جرار فلحق بمؤنس المظفر فاجتمعا فى نيف وأربعين ألف مقاتل سوى الغلمان ومن يريد النهب وكان ممن معه أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان ومن اخوته أبو الوليد وأبو السرايا فى أصحابهم وساروا حتى بلغوا نهر زبارا على فرسخين من بغداد عند عقرقوف فاشار أبو الهيجاء بن حمدان بقطع القنطرة التى عليه فقطعوها وسار أبو طاهر ومن معه نحوهم فبلغ نهر زبارا وفى أوائلهم

من أخباره) واستفاض من أسماره ماذكره الهلول ابن العباس عن الهيثم بن عدى الطائى عن يزيد الرقاشى قال كان السفاح يعجبه مسامرة الرجال وانى سمرت عنده ذات ليلة فقال يا يزيد أخبرنى باطرف ما سمعته من الاحاديث فقلت يا أمير المؤمنين وان كان فى بنى هاشم قال ذلك أعجب الى قلت يا أمير المؤمنين نزل رجل من تنوخ بحى من بنى عامر بن صعصعة فجعل لا يحط شيأ من متاعه الاتمثل بهذا البيت

لعمرك ما تبلى سرابيل عامر
من اللؤم مادامت عليها جلودها

فخرجت اليه جارية من الحى فحادثته وآنسته وسألته حتى أنس بها ثم قالت ممن أنت متعت بك فقال رجل من تميم فقالت أتعرف الذى يقول

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا
ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة
يكر على جمعى تميم لولت
ذبحنا فسمينا فتم ذبيحنا
وما ذبحت يوما تميم فسمت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى
عظام المخازى عن تميم تجلت

فقال لا والله ما أنا منهم قالت فممن أنت قال رجل من عجل قالت أتعرف الذى يقول

أرى الناس يعطون الجزيل ولا أرى

رجل اسود فما زال الاسود يدنو من القنطرة والنشاب يأخذه ولا يمتنع حتى أشرف عليها ورآها مقطوعة فعاد وهو مثل القنفذ وأراد القرامطة العبور فلم يمكنهم لان النهر لم يكن فيه مخاضة ولما أشرفوا على عسكر الخليفة هرب منهم خلق كثير الى بغداد من غير ان يلقوهم فلما رأى ابن حمدان ذلك قال لمؤنس كيف رأيت ما أشرت به عليكم فوالله لو عبر القرامطة النهر لانهزم كل من معك ولاخذوا بغداد ولما رأى القرامطة ذلك عادوا الى الانبار وسير مؤنس المظفر صاحبه بليق في ستة آلاف مقاتل الى عسكر القرامطة غربي الفرات ليغنموه ويخلصوا ابن أبي الساج فبلغوا اليهم وقد عبر أبو طاهر الفرات في زورق صياد وأعطاه ألف دينار فلما رآه أصحابه قويت قلوبهم ولما أتاهم عسكر مؤنس كان أبو طاهر عندهم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر الخليفة ونظر أبو طاهر الى ابن أبي الساج وهو قد خرج من الخيمة ينظر ويرجو الخلاص وقد ناداه أصحابه أبشر بالفرج فلما انهزموا أحضره وقتله وقتل جميع الاسرى من أصحابه وسلمت بغداد من نهب العيارين لان نازوك كان يطوف هو وأصحابه ليلا ونهارا ومن وجدوه بعد العتمة قتلوه فامتنع العيارون واكترى كثير من أهل بغداد سفنا ونقلوا اليها أموالهم وربطوها ليحدروا الى واسط وفيهم من نقل متاعه الى واسط والى حلوان ليسير الى خراسان وكان عدة القرامطة ألف رجل وخمسمائة رجل منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل وقيل كانوا ألفين وسبعمائة وقصد القرامطة مدينة هيت وكان المقتدر قد سير اليها سعيد بن حمدان وهرون بن غريب فلما بلغها القرامطة رأوا عسكر الخليفة قد سبقهم فقاتلوهم على السور فقتلوا من القرامطة جماعة كثيرة فعادوا عنها ولما بلغ أهل بغداد عودهم من هيت سكنت قلوبهم ولما علم المقتدر بعدة عسكره وعسكر القرامطة قال لعن الله نيفا وثمانين ألفا يعجزون عن ألفين وسبعمائة وجاء انسان الى علي ابن عيسى وأخبره ان في جيرانه رجلا من شيراز على مذهب القرامطة يكاتب أبا طاهر بالاخبار فاحضره وسأله واعترف وقال ما صحبت أبا طاهر الا لما صح عندي انه على الحق وأنت وصاحبك كفار تأخذون ما ليس لكم ولا بد لله من حجة في أرضه وامامنا المهدي محمد بن فلان بن فلان بن محمد ابن اسمعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب ولسنا كالرافضة والاثناعشرية الذين يقولون بجهلهم ان لهم اماما ينتظرونه ويكذب بعضهم لبعض فيقول قد رأيته وسمعته وهو يقرأ ولا ينكرون بجهلهم وغباوتهم انه لا يجوز ان يعطى من العمر ما يظنونه فقال قد خالطت عسكرنا وعرفتهم فمن فيهم على مذهبك فقال وأنت بهذا العقل تدبر الوزارة كيف تطمع مني انني أسلم قوما مؤمنين الى قوم كافرين يقتلونهم لا أفعل ذلك فأمر به فضرب ضربا شديدا ومنع الطعام والشراب فمات بعد ثلاثة أيام وقد كان ابن أبي الساج قبل قتاله القرامطة قد قبض على وزيره محمد بن خلف النيرماني وجعل مكانه أبا علي الحسن بن هرون وصادر محمدا على خمسمائة ألف دينار وكان سبب ذلك ان النيرماني عظم شأنه وكثر ماله فحدث نفسه بوزارة الخليفة فكتب الى نصر الحاجب يخطب الوزارة ويسعى بابن أبي الساج ويقول له انه قرمطي يعتقد امامة العلوي الذي بافريقية وانني ناظرته على ذلك فلم يرجع عنه وانه لا يسير الى قتال أبي طاهر القرمطي وانما يأخذ المال بهذا السبب ويقوى به على قصد حضرة السلطان وازالة الخلافة عن بني العباس وطول في ذلك وعرض وكان لمحمد بن خلف أعداء قد أساء اليهم من أصحاب ابن أبي الساج فسعوا به فاعلموا يوسف بن أبي الساج ذلك وأروه كتبا جاءته من بغداد في المعنى من نصر الحاجب وفيها رموز الى قواعد قد تقدمت وتقررت وفيها الوعد له بالوزارة وعزل علي بن عيسى الوزير فلما علم ذلك ابن أبي الساج

عطاء بني عجل ثلاث وأربع

قالت فمن أنت قال رجل من بني يشكر قالت أتعرف الذي يقول

اذا يشكري مس ثوبك ثوبه
فلا تذكرن الله حتى تطهرا

قال لا والله ما أنا من يشكر قالت فمن أنت قال رجل من بني عبد القيس قالت أتعرف الذي يقول

رأيت عبد القيس لاقت ذلا
اذا أصابوا بصلا وخلا
وما لحا صنعا قد طلا
باتوا يسلون النساء سلا
سل النبيط القصب المبتلا

قال لا والله ما أنا من عبد القيس قالت فمن أنت قال رجل من باهلة قالت أتعرف الذي يقول

اذا ازدحم الكرام على المعالي
تنحى الباهلي عن الزحام
فلو كان الخليفة باهليا
لقصر عن مناواة الكرام
وعرض الباهلي وان توفى
عليه مثل منديل الطعام

قال لا والله ما أنا من باهلة قالت فمن أنت قال رجل من بني فزارة قالت أتعرف الذي يقول

لا تأمنن فزاريا خلوت به
على قلوصك واكتبها بأسيار
لا تأمنن فزاريا على حمر
بعد الذي امتل اير العيرفي النار
قوم اذا نزل الاضياف ساحتهم
قالوا لامهم بولي على النار

قال لا والله ما أنا من فزارة قالت فمن أنت قال انا رجل من ثقيف قالت أتعرف الذي يقول

قبض عليه فلما أسر ابن أبي الساج تخلص من الحبس وكان ابن أبي الساج يسمى الشيخ الكريم لما جمع الله فيه من خلال الكمال والكرم

(ذكر استيلاء أسفار على جرجان)

في هذه السنة استولى أسفار بن شيرويه الديلمي على جرجان وكان ابتداء أمره انه كان من أصحاب ما كان بن كالي الديلمي وكان سيئ الخلق والعشرة فاخرجه ما كان من عسكره فاتصل ببكر بن محمد بن اليسع وهو بنيسابور وخدمه فسيره بكر بن محمد الى جرجان ليفتحها وكان ما كان بن كالي ذلك الوقت بطبرستان وأخوه أبو الحسن بن كالي بجرجان وقد اعتقل أبا علي بن أبي الحسين الاطروش العلوي عنده فشرب أبو الحسن بن كالي ليلة ومعه أصحابه ففرقهم وبقي في بيت هو والعلوي فقام الى العلوي ليقتله فظفر به العلوي وقتله وخرج من الدار واختفى فلما أصبح أرسل الى جماعة من القواد يعرفهم الحال ففرحوا بقتل أبي الحسن بن كالي وأخرجوا العلوي وألبسوه القلنسوة وبايعوه فامسى أسيرا وأصبح أميرا وجعل مقدم جيشه علي بن خرشيد ورضي به الجيش وكاتبوا أسفار بن شيرويه وعرفوه الحال واستقدموه اليهم فاستأذن بكر بن محمد وسار الى جرجان واتفق مع علي بن خرشيد وضبطوا تلك الناحية فسار اليهم ما كان بن كالي من طبرستان في جيشه فحاربوه وهزموه وأخرجوه عن طبرستان وأقاموا بها ومعهم العلوي فلعب يوما بالكرة فسقط عن دابته فمات ثم مات علي بن خرشيد صاحب الجيش وعاد ما كان بن كالي الى أسفار فحاربه فانهزم أسفار منه ورجع الى بكر بن محمد بن اليسع وهو بجرجان وأقام بها الى ان توفي بكر بها فولاها الامير السعيد نصر بن أحمد أسفار بن شيرويه وذلك سنة خمس عشرة وثلثمائة وأرسل أسفار الى مرداويج بن زيار الجيلي يستدعيه فحضر عنده وجعله أمير الجيش وأحسن اليه وقصدوا طبرستان واستولوا عليها ونحن نذكر حال ابتداء مرداويج وكيف تقلبت به الاحوال

(ذكر الحرب بين المسلمين والروم)

في هذه السنة خرجت سرية من طرسوس الى بلاد الروم فوقع عليها العدو فاقتتلوا فاستظهر الروم وأسروا من المسلمين أربعمائة رجل فقتلوا صبرا وفيها سار الدمستق في جيش عظيم من الروم الى مدينة دبيل وفيها نصر السبكي في عسكر يحميها وكان مع الدمستق دبابات ومناجيق ومعه مزارق تزرق بالنار عدة اثنى عشر رجلا فلا يقوم بين يديه أحد من شدة ناره واتصاله فكان من أشد شيء على المسلمين وكان الرامي به مباشر القتال من أشجعهم فرماه رجل من المسلمين بسهم فقتله وأراح الله المسلمين من شره وكان الدمستق يجلس على كرسي عال يشرف على البلد وعلى عسكره فأمرهم بالقتال على ما يراه فصبر له أهل البلد وهو ملازم القتال حتى وصلوا الى سور المدينة فنقبوا فيها نقوبا كثيرة ودخلوا المدينة فقاتلهم أهلها ومن فيها من العسكر قتالا شديدا فانتصر المسلمون وأخرجوا الروم منها وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف رجل وفيها في ذي القعدة عاد ثمل الى طرسوس من الغزاة الصائفة سالما هو ومن معه فلقوا جمعا كثيرا من الروم فاقتتلوا فانتصر المسلمون عليهم وقتلوا من الروم كثيرا وغنموا ما لا يحصى وكان من جملة ما غنموا انهم ذبحوا من الغنم في بلاد الروم ثلثمائة ألف رأس سوى ما سلم معهم ولقيهم رجل يعرف بابن الضحاك وهو من رؤساء الاكراد وكان له حصن يعرف بالجعفري فارتد عن الاسلام وصار الى ملك الروم فأجزل له العطية وأمره بالعود الى حصنه فلقيه المسلمون فقاتلوه فأسروه وقتلوا كل من معه

خنازير الحشوش فقتلوها
فان دماءهم لكم حلال

قال لا والله ما أنا من ثقيف قالت فمن أنت قال رجل من عبس قالت أتعرف الذي يقول

اذا عبسية ولدت غلاما
فبشرها بلؤم مستفاد

قال لا والله ما أنا من عبس قالت فمن أنت قال رجل من ثعلبة قالت أتعرف الذي يقول

وثعلبة بن قيس شر قوم
وألأمهم وأغدرهم بجار

قال لا والله ما أنا منهم قالت فمن أنت قال رجل من بني مرة قالت أتعرف الذي يقول

اذا مرية خضبت يداها
فزوجها ولا تأمن زناها

قال لا والله ما أنا من بني مرة قالت فمن أنت قال رجل من بني ضبة قالت أتعرف الذي يقول

لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبر
كما كل ضبي من اللؤم أزرق

قال لا والله ما أنا من بني ضبة قالت فمن أنت قال رجل من بجيلة قالت أتعرف الذي يقول

سألنا عن بجيلة حين حات
لنخبر أين قربها القرار
فما تدري بجيلة أين تدعى
أقحطان أبوها أم نزار
فقد وقعت بجيلة بين بين
وقد خلعت كما خلع العذار

قال لا والله ما أنا من بجيلة قالت فمن أنت ويحك قال رجل من بني الازد قالت أتعرف الذي يقول

اذا أزدية ولدت غلاما *

﴿ذكر مسير جيش المهدي الى المغرب﴾

في هذه السنة سير المهدي العلوي صاحب افريقية ابنه أبا القاسم من المهدية الى المغرب في جيش كثير في صفر لسبب محمد بن خزر الزناتي وذلك انه ظفر بعسكر من كتامة فقتل منهم خلقا كثيرا فعظم ذلك على المهدي فسير ولده فلما خرج تفرق الاعداء وسار حتى وصل الى ما وراء تاهرت فلما عاد من سفرته هذه خط برمحه في الارض صفة مدينة وسماها المحمدية وهي المسيلة وكانت خطة لبني كملان فأخرجهم منها ونقلهم الى فحص القيروان كالمتوقع منهم أمرا فلذلك أحب ان يكونوا قريبا منه وهم كانوا أصحاب أبي يزيد الخارجي وانتقل خلق كثير الى المحمدية وأمر عاملها ان يكثر من الطعام ويخزنه ويحتفظ به ففعل ذلك فلم يزل مخزونا الى ان خرج أبو يزيد ولقيه المنصور ومن المحمدية كان يمتار ما يريد اذ ليس بالموضع مدينة سواها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة مات ابراهيم بن المسمعي من حمى حادة وكان موته بالنوبندجان فاستعمل المقتدر مكانه على فارس ياقوتا واستعمل عوضه على كرمان أبا طاهر محمد بن عبد الصمد وخلع عليهما وفيها شغب الفرسان ببغداد وخرجوا الى المصلى ونهبوا القصر المعروف بالثريا وذبحوا ما كان فيه من الوحش فخرج اليهم مؤنس وضمن لهم ارزاقهم فرجعوا الى منازلهم وفيها ظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر لدين الله الاموي صاحب الاندلس بأهل طليطلة وكان قد حصرها مدة الخلاف كان عليه فيها فلما ظفر بهم أخرب كثيرا من عماراتها وشعثها وكانت حينئذ دار اسلام وفيها قصد الاعراب سواد الكوفة فنهبوه وخربوه ودخلوا الحيرة فنهبوها فسير اليهم الخليفة جيشا فدفعوهم عن البلاد وفيها في ربيع الاول انقض كوكب عظيم وصار له صوت شديد على ساعتين بقيتا من النهار وفيها في جمادى الآخرة احترق كثير من الرصافة ووصيف الجوهري ومربعة الخرسي ببغداد وفيها توفي أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج النحوي صاحب كتاب الاصول في النحو وقيل توفي سنة ست عشرة وفيها في شعبان توفي أبو الحسن علي بن سليمان الاخفش فجأة

﴿ثم دخلت سنة ست عشرة وثلثمائة﴾

﴿ذكر اخبار القرامطة﴾

لما سار القرامطة من الانبار عاد مؤنس الخادم الى بغداد فدخلها ثالث المحرم وسار أبو طاهر القرمطي الى الدالية من طريق الفرات فلم يجد فيها شيأ فقتل من أهلها جماعة ثم سار الى الرحبة فدخلها ثامن المحرم بعد ان حاربه أهلها فوضع فيهم السيف بعد ان ظفر بهم فأمر مؤنس المظفر بالمسير الى الرقة فسار اليها في صفر وجعل طريقه على الموصل فوصل اليها في ربيع الاول ونزل بها وأرسل أهل قرقيسيا يطلبون من أبي طاهر الامان فامنهم وأمرهم ان لا يظهر أحد منهم بالنهار فأجابوه الى ذلك وسير أبو طاهر سرية الى الاعراب بالجزيرة فنهبوهم وأخذوا أموالهم فخافه الاعراب خوفا شديدا وهربوا من بين يديه وقرر عليهم اتاوة على كل رأس دينار يحملونه الى هجر ثم أصعد أبو طاهر من الرحبة الى الرقة فدخل أصحابه الربض وقتلوا منهم ثلاثين رجلا وأعان أهل الرقة أهل الربض وقتلوا من القرامطة جماعة فقاتلهم ثلاثة أيام ثم انصرفوا آخر ربيع الآخر وبث القرامطة سرية الى رأس عين وكفرتوثا فطلب أهلها الامان فامنوهم وساروا أيضا الى سنجار فنهبوا الجبال ونازلوا سنجار فطلب أهلها الامان فامنوهم وكان مؤنس قد

وصل

فذمرها بلاح مجيد قال لا والله ما أنا من الازد قالت فمن أنت ويلك أما تستحي قل الحق قال أنا رجل من خزاعة قالت أتعرف الذي يقول

اذا افتخرت خزاعة في كريم
وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهرا
بزق بئس مفتخر الفخور

قال لا والله ما أنا من خزاعة قالت فمن أنت قال رجل من سليم قالت أتعرف الذي يقول

أما سليم شتمت الله أمرها
تنيك بأيديها وتعيي أيورها

قال لا والله ما أنا من سليم قالت فمن أنت قال رجل من لقيط قالت أتعرف الذي يقول

لعمرك ما البحار ولا الفيافي
بأوسع من فقاح بني لقيط
لقيط شر من ركب المطايا
وانذل من يدب على البسيط
ألا لعن الاله بني لقيط
بقايا سبية من قوم لوط

قال لا والله ما أنا من لقيط قالت فمن أنت قال رجل من كندة قالت أتعرف الذي يقول

اذا ما افتخر الكندي ذو البهجة والطره
فبالنسج وبالخف وبالسدل وبالحفره
فدع كندة للنسج فأعلى فخرها عره

قال لا والله ما أنا من كندة قالت فمن أنت قال رجل من خثعم قالت أتعرف الذي يقول

وخثعم لو صفرت بها صفيرا * لطارت في البلاد مع الجراد

قال لا والله ما أنا من خثعم

قالت فمن أنت قال رجل من طي قالت أتعرف الذي يقول وما طيئ الا نبيط تجمعت * فقالت طيانا كلة فاستمرت

وصل الى الموصل فبلغه قصد القرامطة الى الرقة فجد السير اليها فسار أبو طاهر عنها وعاد الى الرحبة ووصل مؤنس الى الرقة بعد انصراف القرامطة عنها ثم ان القرامطة ساروا الى هيت وكان أهلها قد أحكموا سورها فقاتلوهم فعادوا عنهم الى الكوفة فبلغ الخبر الى بغداد فاخرج هرون بن غريب وبني بن نفيس ونصر الحاجب اليها ووصلت خيل القرمطي الى قصر ابن هبيرة فقتلوا منه جماعة ثم ان نصر الحاجب حم في طريقه حمى حادة فتجلد وسار فلما قاربهم القرمطي لم يكن في نصر قوة على النهوض والمحاربة فاستخلف أحمد بن كيغلغ واشتد مرض نصر وامسك لسانه لشدة مرضه فردوه الى بغداد فمات في الطريق أواخر شهر رمضان فجعل مكانه على الجيش هرون بن غريب ورتب ابنه أحمد بن نصر في الحجبة للمقتدر مكان أبيه فانصرف القرامطة الى البرية وعاد هرون الى بغداد في الجيش فدخلها لثمان بقين من شوال

﴿ذكر عزل علي بن عيسى ووزارة أبي علي بن مقلة﴾

في هذه السنة عزل علي بن عيسى عن وزارة الخليفة ورتب فيها أبو علي بن مقلة وكان سبب ذلك ان عليا لما رأى نقص الارتفاع واختلال الاعمال بوزارة الخاقاني والخصيبي وزيادة النفقات وان الجند لما عادوا من الانبار زادهم المقتدر في أرزاقهم مائتي ألف وأربعين ألف دينار في السنة ورأى أيضا كثرة النفقات للخدم والحرم لاسيما والدة المقتدر هاله ذلك وعظم عليه ثم انه رأى نصرا الحاجب يقصده وينحرف عنه لميل مؤنس اليه فان نصرا كان يخالف مؤنسا في جميع ما يشير به فلما تبين له ذلك استعفى من الوزارة واحتج بالشيخوخة وقلة النهضة فأمره المقتدر بالصبر وقال له أنت عندي بمنزلة والدي المعتضد فالح عليه في الاستعفاء فشاور مؤنسا في ذلك وأعلمه انه قد سمي للوزارة ثلاثة نفر الفضل بن جعفر بن الفرات الذي أمه حيرانة وأخته زوجة المحسن ابن الفرات وأبو علي بن مقلة ومحمد بن خلف النيرماني الذي كان وزيرا لابن أبي الساج فقال مؤنس أما الفضل فقد قتلنا عمه الوزير أبا الحسن وابن عمه زوج أخته المحسن بن الوزير وصادرنا أخته فلا نأمنه وأما ابن مقلة فحدث غر لا تجربة له بالوزارة ولا يصلح لها وأما محمد بن خلف فجاهل متهور لا يحسن شيأ والصواب مداراة علي بن عيسى ثم لقي مؤنس علي بن عيسى وسكنه فقال علي لو كنت مقيما لاستعنت بك ولكنك سائر الى الرقة ثم الى الشام وبلغ الخبر أبا علي بن مقلة فجد في السعي وضمن على نفسه الضمانات وشاور المقتدر نصرا الحاجب في هؤلاء الثلاثة فقال أما الفضل بن الفرات فلا يدفع عن صناعة الكتابة والمعرفة والكفاية ولكنك بالامس قتلت عمه وابن عمه وسهره وصادرت أخته وأمه ثم ان بني الفرات يدينون بالرفض ويعرفون بولاء آل علي وولده وأما أبو علي ابن مقلة فلا هيبة له في قلوب الناس ولا يرجع الى كفاية ولا تجربة وأشار بمحمد بن خلف لمودة كانت بينهما فنفر المقتدر من محمد بن خلف لما علمه من جهله وتهوره وواصل ابن مقلة بالهدية الى نصر الحاجب فأشار على المقتدر به فاستوزره وكان ابن مقلة لما قرب الهجري من الانبار قد أنفذ صاحبا له معه خمسون طائرا وأمره بالمقام بالانبار وارسال الاخبار اليه وقتا بوقت ففعل ذلك فكانت الاخبار ترد من جهته الى الخليفة على يد نصر الحاجب فقال نصر هذا فعله فيما لا يلزمه فكيف يكون اذا اصطنعته فكان ذلك من أقوى الاسباب في وزارته وتقدم المقتدر في منتصف ربيع الاول بالقبض على الوزير علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وخلع على أبي علي بن مقلة وولي الوزارة وأعانه عليها أبو عبد الله البريدي لمودة كانت بينهما

﴿ذكر ابتداء حال أبي عبد الله البريدي واخوته﴾

ولو أن حرقوصا يمد جناحه
على جبلي طي اذا لاستظلت
قال لا والله ما أنا من طي
قالت فمن أنت قال رجل من مزينة قالت أتعرف الذي يقول
وهل مزينة الا من قبيلة
لا يرتجى كرم فيها ولا دين
قال لا والله ما أنا من مزينة
قالت فمن أنت قال رجل من النخع قالت أتعرف الذي يقول
اذا النخع اللئام غدوا جميعا
تأذى الناس من وفر الزحام
وما يسمو الى مجد كريم
وما هم في الصميم من الكرام
قال لا والله ما أنا من النخع
قالت فمن أنت قال رجل من أود قالت أتعرف الذي يقول
اذا نزلت بأود في ديارهم
فاعلم بأنك منهم لست بالناجي
لا تركنن الى كهل ولا حدث
فليس في القوم الا كل عفاج
قال لا والله ما أنا من أود
قالت فمن أنت قال أنا رجل من لخم قالت أتعرف الذي يقول
اذا ما انتمى قوم لفخر فدعهم
تباعد فخر القوم من لخم أجمعا
قال لا والله ما أنا من لخم
قالت فمن أنت قال أنا رجل من جذام قالت أتعرف الذي يقول
اذا كاس المدام أدير يوما
لمكرمة تنحى عن جذام

 قال لا والله ما أنا من جذام قالت فمن أنت ويلك أما تستحي أكثرت من الكذب قال أنا رجل من

لما ولي علي بن عيسى الوزارة كان أبو عبد الله بن البريدي قد ضمن الخاصة وكان أخوه أبو يوسف على سرق فلما استعمل علي بن عيسى العمال ورتبهم في الاعمال قال أبو عبد الله تقلد مثل هؤلاء على هذه الاعمال الجليلة وتقتصر بي على ضمان الخاصة بالاهواز وباخي أبي يوسف على سرق لعن الله من يقنع بهذا مني فان لطلبي صوناسوف يسمع بعد أيام فلما بلغه اضطراب أمر علي بن عيسى أرسل أخاه أبا الحسين الى بغداد وأمره ان يخطب له أعمال الاهواز وما يجري معها اذا تجددت وزارة لمن يأخذ الرشى ويرتفق فلما وزر أبو علي بن مقلة بذل له عشرين ألف دينار على ذلك فقلد أبا عبد الله الاهواز جميعها سوى السوس وجنديسابور وقلد أخاه أبا الحسين الفراتية وقلد أخاهما أبا يوسف الخاصة والاسافل على ان يكون المال في ذمة أبي أيوب السمسار الى ان يتصرفوا في الاعمال وكتب أبو علي بن مقلة الى أبي عبد الله في القبض على ابن أبي السلاسل فسار بنفسه فقبض عليه بتستر واخذ منه عشرة آلاف دينار ولم يوصلها وكان متهورا لا يفكر في عاقبة أمر وسيرد من أخباره ما يعلم به دهاؤه ومكره وقلة دينه وتهوره ثم ان أبا علي بن مقلة جعل أبا محمد الحسين بن أحمد الماردانى مشرفا على أبي عبد الله فلم يلتفت اليه (البريدي بالباء الموحدة والراء المهملة منسوب الى البريد هكذا ذكره الامير ابن ما كولا وقد ذكره ابن مسكويه بالياء المعجمة باثنتين من تحت والزاي وقال كان جده يخدم يزيد بن منصور الحميري فنسب اليه والاول أصح ومن ذكرنا قول ابن مسكويه الا حتى لا يظن ظان اننا لم نقف عليه واخطأنا الصواب)

(ذكر من ظهر بسواد العراق من القرامطة)

لما كان من أمر أبي طاهر القرمطي ما ذكرناه واجتمع من كان بالسواد ممن يعتقد مذهب القرامطة فيكتم اعتقاده خوفا فاظهروا اعتقادهم فاجتمع منهم بسواد واسط أكثر من عشرة آلاف رجل وولوا أمرهم رجلا يعرف بحريث بن مسعود واجتمع طائفة أخرى بعين التمر ونواحيها في جمع كثير وولوا أمرهم انسانا يسمى عيسى بن موسى وكانوا يدعون الى المهدي وسار عيسى الى الكوفة ونزل بظاهرها وجبى الخراج وصرف العمال عن السواد وسار حريث بن مسعود الى أعمال الموفق وبنى بها دارا سماها دار الهجرة واستولى على تلك الناحية فكانوا ينهبون ويسبون ويقتلون وكان يتقلد الحرب بواسط بني بن نفيس فقاتلهم فهزموه فسير المقتدر بالله الى حريث بن مسعود ومن معه هرون بن غريب والى عيسى بن موسى ومن معه بالكوفة صافيا البصري فاوقع بهم هرون وأوقع صافي بمن سار اليهم فانهزمت القرامطة وأسر منهم كثير وقتل أكثر ممن أسر واخذت اعلامهم وكانت بيضاء وعليها مكتوب ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين فادخلت بغداد منكوسة واضمحل أمر من بالسواد منهم وكفى الله الناس شرهم

(ذكر الحرب بين نازوك وهرون بن غريب)

وفيها وقعت الفتنة بين نازوك صاحب الشرطة وهرون بن غريب وسبب ذلك ان ساسة دواب هرون بن غريب وساسة نازوك تغايروا على غلام امرد وتضاربوا بالعصي فحبس نازوك ساسة دواب هرون بعد ان ضربهم فسار أصحاب هرون الى محبس الشرطة ووثبوا على نائب نازوك به وانتزعوا أصحابهم من الحبس فركب نازوك وشكى الى المقتدر فقال كلاكما عزيز علي ولست أدخل بينكما فعاد وجمع رجاله وجمع هرون رجاله وزحف أصحاب نازوك الى دار هرون فاغلق بابه وبقي بعض أصحابه خارج الدار فقتل منهم أصحاب نازوك وجرحوا ففتح هرون الباب وخرج

تنوخ وهو الحق قالت أتعرف الذي يقول
اذا تنوخ قطعت منهلا * في طلب الغارات والثار
آبت بخزي من اله العلى
وشهرة في الاهل والجار
قال لا والله ما أنا من تنوخ قالت فمن أنت ثكلتك امك قال أنا من حمير قالت أتعرف الذي يقول
نبئت حميرتهجوني فقلت لهم
ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
لان حمير قوم لا نصاب لهم
كالعود بالقاع لا ماء ولا ورق
لا يكثرون وان طالت حياتهم
ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا
قال لا والله ما أنا من حمير قالت فمن أنت قال أنا رجل من ثعار قالت أتعرف الذي يقول
ولو مر مار بارض ثعار
لماتوا وانجحروا في التراب رميا
قال لا والله ما أنا من ثعار قالت فمن أنت قال رجل من قشير قالت أتعرف الذي يقول
بني قشير قتلت سيدكم
فاليوم لا فدية ولا قود
قال لا والله ما أنا من قشير قالت فمن أنت قال رجل من بني أمية قالت أتعرف الذي يقول
وهي من امية بنيانها
فهان على الله فقدانها
وكانت أمية فيما مضى
جريء على الله سلطانها
فلا آل حرب أطاعوا الرسول * ولم يتق الله مروانها
قال لا والله ما أنا من بني أمية قالت فمن أنت

اصحابه

أصحابه فوضعوا السلاح في أصحاب نازوك فقتلوا منهم وجرحوا واشتبكت الحرب بينهم فكف نازوك أصحابه وأرسل الخليفة اليهما ينكر عليهما ذلك فكفا وسكنت الفتنة واستوحش نازوك واستدل بذلك على تغير المقتدر ثم ركب اليه هرون وصالحه وخرج بأصحابه ونزل بالبستان النجمي ليبعد عن نازوك فأكثر الناس الاراجيف وقالوا قد صار هرون أمير الامراء فعظم ذلك على أصحاب مؤنس وكتبوا اليه بذلك وهو بالرقة فأسرع العود الى بغداد فنزل بالشماسية في أعلى بغداد ولم يلق المقتدر فصعد اليه الامير أبو العباس بن المقتدر والوزير ابن مقلة فأبلغاه سلام المقتدر واستيحاشه له وعادا واستتر كل واحد من المقتدر ومؤنس من صاحبه وأحضر المقتدر هرون بن غريب وهو ابن خاله فجعله معه في داره فلما علم مؤنس بذلك ازداد نفورا واستيحاشا وأقبل أبو الهيجاء بن حمدان من بلاد الجبل فنزل عند مؤنس ومعه عسكر كبير وصارت المراسلات بين الخليفة ومؤنس تتردد والامراء يخرجون الى مؤنس وانقضت السنة وهم على ذلك

(ذكر قتل الحسن بن القاسم الداعي)

في هذه السنة قتل الحسن بن القاسم الداعي العلوي وقد ذكرنا استيلاء اسفار بن شيرويه الديلمي على طبرستان ومعه مرداويج فلما استولوا عليها كان الحسن بن القاسم بالري واستولى عليها وأخرج منها أصحاب السعيد نصر بن أحمد واستولى على قزوين وزنجان وابهر وقم وكان معه ماكان بن كالي الديلمي فسار نحو طبرستان والتقوا هم واسفار عند سارية فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الحسن وماكان بن كالي فلحق اسفار الحسن فقتل وكان انهزام معظم أصحاب الحسن على تعمد منهم للهزيمة وسبب ذلك انه كان يأمر أصحابه بالاستقامة ويمنعهم عن ظلم الرعية وشرب الخمور وكانوا يبغضونه لذلك ثم اتفقوا على ان يستقدموا هروسندان وهو أحد رؤساء الجبل وكان خال مرداويج ووشمكير ليقدموه عليهم ويقبضوا على الحسن الداعي وينصبوا أبا الحسين بن الاطروش ويخطبوا له وكان هروسندان مع احمد الطويل بالدامغان بعد موت صعلوك فوقف أحمد على ذلك فكتب الى الحسن الداعي يعلمه فأخذ حذره فلما قدم هروسندان لقيه مع القواد وأخذهم الى قصره بجرجان ليأكلوا طعاما ولم يعلموا أنه قد اطلع على ما عزموا عليه وكان قد واقف خواص أصحابه على قتلهم وأمرهم بمنع أصحاب أولئك القواد من الدخول فلما دخلوا داره قابلهم على ما يريدون أن يفعلوه وما اقدموا عليه من المنكرات التي احلت له دماءهم ثم أمر بقتلهم عن آخرهم وأخبر أصحابهم الذين ببابه بقتلهم وأمرهم بنهب أموالهم فاشتغلوا بالنهب وتركوا أصحابهم وعظم قتلهم على اقربائهم ونفروا عنه فلما كانت هذه الحادثة تخلوا عنه حتى قتل ولما قتل استولى اسفار على بلاد طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجان وابهر وقم والكرخ ودعا لصاحب خراسان وهو السعيد نصر بن أحمد وأقام بسارية واستعمل على آمل هرون بن بهرام وكان هرون يحتاج أن يخطب فيها لابي جعفر العلوي وخاف اسفار ناحية أبي جعفر أن يجدد له فتنة وحربا فاستدعى هرون اليه وأمره ان يتزوج الى أحد أعيان آمل ويحضر عرسه أبا جعفر وغيره من رؤساء العلويين ففعل ذلك في يوم ذكره اسفار ثم سار اسفار من سارية مجدا فوافى آمل وقت الموعد وهجم دار هرون على حين غفلة وقبض على أبي جعفر وغيره من أعيان العلويين وحملهم الى بخارا فاعتقلوا بها الى ان خلصوا ايام فتنة أبي زكريا على ما نذكره ولما فرغ اسفار من أمر طبرستان سار الى الري وبها ماكان بن كالي فأخذها منه واستولى عليها وسار ماكان الى طبرستان فأقام هناك وأحب اسفار أن يستولي على قلعة الموت وهي قلعة على جبل شاهق من حدود الديلم

فان قلتمو رهط النبي محمد
فان النصارى رهط عيسى ابن مريم

قال لا والله ما أنا من بني هاشم قالت فمن أنت قال رجل من همدان قالت أتعرف الذي يقول

اذا همدان دارت يوم حرب
رحاها فوق هامات الرجال
رأيتهم يحثون المطايا
سراعا هاربين من القتال

قال لا والله ما أنا من همدان قالت فمن أنت قال رجل من قضاعة قالت أتعرف الذي يقول

لا يفخرن قضاعي بأسرته
وليس من يمن محضا ولا مضر
مذبذبين فلا قحطان والدهم
ولا نزار فخلوهم الى سقر

قال لا والله ما أنا من قضاعة قالت فمن أنت قال رجل من شيبان قالت أتعرف الذي يقول

شيبان قوم لهم عديد
فكلهم مقرف لئيم
ما فيهم ماجد حسيب
ولا نجيب ولا كريم

قال لا والله ما أنا من شيبان قالت فمن أنت قال رجل من بني نمير قالت أتعرف الذي يقول

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا
ولو وضعت فقاح بني نمير
على خبث الحديد اذا لذابا

قال لا والله ما أنا من نمير

قالت فمن أنت قال أنا رجل من تغلب قالت أتعرف الذي يقول   لا نطلبن خؤولة من تغلب   * فالزنج أكرم منهم أخوالا

وكانت لسياه جشم بن مالك الديلمي ومعناه الاسود العين لانه كان على احدى عينيه شامة سوداء فراسله اسفار وهناه فقدم عليه فسأله ان يجعل عياله في قلعة الموت وولاه قزوين فاجابه الى ذلك فنقلهم اليها ثم كان يرسل اليهم من يثق به من أصحابه فلما حصل فيها مائة رجل استدعاه من قزوين فلما حضر عنده قبض عليه وقتله بعد أيام وكان اسفار لما اجتاز بسمنان استأمن اليه ابن أمير كان صاحب جبل دنباوند وامتنع محمد بن جعفر السمناني من النزول اليه وامتنع بحصن بقرية راس الكلاب فحقدها عليه اسفار فلما استولى على الري أنفذ اليه جيشا يحصرونه وعليهم انسان يقال له عبد الملك الديلمي فحصروه ولم يمكنهم الوصول اليه فوضع عليه عبد الملك من يشير عليه بمصالحته ففعل وأجابه عبد الملك الى المسئلة ثم وضع عليه من يحسن له ان يضيف عبد الملك فاضافه فحضر في جماعة من شجعان أصحابه فتركهم تحت الحصن وصعد وحده الى محمد بن جعفر فتحادثا ساعة ثم استخلاه عبد الملك ليشير اليه شيأ ففعل ذلك ولم يبق عندهما أحد غير غلام صغير فوثب عليه عبد الملك فقتله وكان محمد متقرسا زمنا وأخرج حبل ابريسم كان قد أعده فشده في نافذة في تلك الغرفة ونزل وتخلص واستغاث ذلك الغلام فجاء أصحاب محمد بن جعفر وكسروا الباب وكان عبد الملك قد أغلقه فلما دخلوا رأوه مقتولا فقتلوا به كل من عندهم من الديلم وحفظوا نفوسهم وعظمت جيوش اسفار وجل قدره فتجبر وعصى على الامير السعيد صاحب خراسان وأراد ان يجعل على رأسه تاجا وينصب بالري سرير ذهب للسلطنة ويحارب الخليفة وصاحب خراسان فسير المقتدر اليه هرون بن غريب في عسكر نحو قزوين فحاربه أصحاب اسفار بها فانهزم هرون وقتل من أصحابه جمع كثير بباب قزوين وكان أهل قزوين قد ساعدوا أصحاب هرون فحقدها عليهم اسفار ثم ان الامير السعيد صاحب خراسان سار من بخارا قاصدا نحو اسفار ليأخذ بلاده فبلغ نيسابور فجمع اسفار عسكره وأشار على اسفار وزيره مطرف بن محمد الجرجاني بمراسلة صاحب خراسان والدخول في طاعته وبذل المال له فان أجاب والا فالحرب بين يديه وكان في عسكره جماعة من أتراك صاحب خراسان قد ساروا معه فخوفه وزيره منهم فرجع الى رأيه وراسله فابى ان يجيبه الى ذلك وعزم على المسير اليه فاشار عليه أصحابه ان يقبل الاموال واقامة الخطبة له وخوفوه الحرب وأنه لا يدري لمن النصر فرجع الى قولهم وأجاب اسفار الى ما طلب وشرط عليه شروطا من حمل الاموال وغير ذلك واتفقا فشرع اسفار بعد اتمام الصلح وقسط على الري واعمالها على كل رجل دينارا سواء كان من أهل البلاد أم من المجتازين فحصل له مال عظيم أرضى صاحب خراسان ببعضه ورجع عنه فعظم أمر اسفار خلاف ما كان وزاد تجبره وقصد قزوين لما في نفسه على أهلها فاوقع بهم وقعة عظيمة أخذ فيها اموالهم وعذبهم وقتل كثيرا منهم وعسفهم عسفا شديدا وسلط الديلم عليهم فضاقت الارض عليهم وبلغت القلوب الحناجر وسمع مؤذن الجامع يؤذن فامر به فالقي من المنارة الى الارض فاستغاث الناس من شره وظلمه وخرج أهل قزوين الى الصحراء الرجال والنساء والولدان يتضرعون ويدعون عليه ويسألون الله كشف ما هم فيه فبلغه ذلك فضحك منهم وشتمهم استهزاء بالدعاء فلما كان الغد انهزم على ما نذكره

(ذكر قتل اسفار)

كان في أصحاب أسفار قائد من أكبر قواده يقال له مرداويج بن زيار الديلمي فارسله الى سلار صاحب شميران الطرم يدعوه الى طاعته وهذا سلار هو الذي صار ولده فيما بعد صاحب أذربيجان وغيرها فلما وصل مرداويج اليه تشاكيا ما كان الناس فيه من الجهد والبلاء فتحالفا

٢ سقط من جميع النسخ التي بأيدينا ما قيل في تيم اه مصححه

والتغلبي اذا تنحنح للقرى
حك استه يتمثل الامثالا
قال لا والله ما أنا من تغلب قالت فمن أنت قال رجل من مجاشع
قالت أتعرف الذي يقول
تبكي المصيبة من بنات مجاشع
ولها اذا سمعت نهيق حمار
قال لا والله ما أنا من مجاشع
قالت فمن أنت قال رجل من كلب قالت أتعرف الذي يقول
فلا تقربا كلبا ولا باب دارها
فما يطمع الساري يرى ضوء نارها
قال لا والله ما أنا من كلب
قالت فمن أنت قال أنا رجل من تيم قالت أتعرف الذي يقول ٢ تيمية
قال لا والله ما أنا من تيم
قالت فمن أنت قال رجل من حرم قالت أتعرف الذي يقول
تمنى سويق الكرم حرم
وما حرم وما ذاك السويق
فما شربوه لما كان خلا
ولا غالوا به في يوم سوق
فلما انزل التحريم فيها
اذا الحرمي منها لا يفيق
قال لا والله ما أنا من حرم
قالت فمن أنت قال رجل من سليم قالت أتعرف الذي يقول
اذا ما سليم جئتها لعدائها
رجعت كما قد جئت غرثان جائعا
قال لا والله ما أنا من سليم
قالت فمن أنت قال رجل من الموالي قالت أتعرف الذي يقول
ألا من أراد الفحش واللوم والخنا
فعند الموالي الجد والطرفان
فإن أخطأت نسبي ورب

وتعاقدا على قصده والتساعد على حربه وكان أسفار قد وصل الى قزوين وهو ينتظر وصول مرداويج بجوابه فكتب مرداويج الى جماعة من القواد يثق بهم ويعرفهم ما اتفق هو وسلار عليه فاجابوه الى ذلك وكان الجند قد سئموا أسفار اسوء سيرته وظلمه وجوره وكان في جملة من أجاب الى مساعدة مرداويج مطرف بن محمد وزير اسفار وسار مرداويج وسلار نحو أسفار وبلغه الخبر وأن أصحابه قد بايعوا مرداويج فاحس بالشر وكان ذلك عقيب حادثته مع أهل قزوين ودعائهم وثار الجند باسفار فهرب منهم في جماعة من غلمانه وورد الرى فأراد أن يأخذ من مال كان عند نائبه بها شيأ فلم يعطه غير خمسة آلاف دينار وقال له أنت أمير ولا يعوزك مال فتركه وانصرف الى خراسان فأقام بناحية بيهق وأما مرداويج فانه عاد من قزوين نحو الرى وكتب الى ما كان بن كالى وهو بطبرستان يستدعيه ليتساعدا ويتعاضدا فسرى ما كان بن كالى الى أسفار وكان قد عسف أهل الناحية التي هو بها فلما أحس بما كان سار الى بست وركب المفازة نحو الرى ليقصد قلعة الموت التي بها أهله وأمواله فانقطع عنه بعض أصحابه وقصد مرداويج فاعلمه خبره فخرج مرداويج من ساعته في أثره وقدم بعض قواده بين يديه فلحقه ذلك القائد وقد نزل يستريح فسلم عليه بالامرة فقال له أسفار لعلكم اتصل بكم خبري وبعثت في طلبي قال نعم فبكى أصحابه فانكر عليهم أسفار ذلك وقال عثل هذه القلوب تجندون أما علمتم ان الولايات مقرونة بالبليات ثم أقبل على ذلك القائد وهو يضحك وسأله عن قواده الذين أسلموه وخذلوه فاخبره ان مرداويج قتلهم فتهلل وجهه وقال كانت حياة هؤلاء غصة في حلقي وقد طابت الآن نفسي فامض فيما أمرت به وظن انه أمر بقتله فقال ما أمرت فيك بسوء وحمله الى مرداويج فسلمه الى جماعة أصحابه ليحمله الى الرى فقال له بعض أصحابه ان أكثر من معك كانوا أصحاب هذا فانحرفوا عنه اليك وقد أوحشت أكثرهم بقتل قوادهم فما يؤمنك ان يرجعوا اليه غدا ويقبضوا عليك فحينئذ أمر بقتله وانصرف الى الرى وقيل في قتله انه لما عاد نحو قلعة الموت نزل في واد هناك يستريح فاتفق أن مرداويج خرج يتصيد ويسأل عن اخباره فرأى خيلا يسيرة في واد هنالك فارسل بعض أصحابه ليأخذ خبرها فرأوا اسفار بن شيرويه في عدة يسيرة من أصحابه يريد الحصن ليأخذ ماله فيه ويستعين به على جمع الجيوش ويعود الى محاربة مرداويج فأخذوه ومن معه وحملوه الى مرداويج فلما رآه نزل اليه فذبحه واستقر أمر مرداويج في البلاد وعاد الى قزوين بعد قتل أسفار فأحسن الى أهلها ووعدهم الجميل وقيل بل دخل أسفار الى رحا وقد نال منه الجوع فطلب من الطحان شيأ يأكله فقدم له خبزا ولبنا فاكل منه هو وغلام له ليس معه غيره فاقبل مرداويج الى تلك الناحية فاشرف على الرحا فرأى أثر حوافر الدواب فسأل عنها فقيل له قد دخل فارسان الى هذه الرحا فكبس مرداويج الرحا فرآه وقتله

(ذكر ملك مرداويج)

ولما انهزم أسفار من مرداويج ابتدأ في ملك البلاد ثم انه ظفر باسفار فقتله فتمكن ملكه وثبت وتنقل في البلاد يملكها مدينة مدينة وولاية ولاية فملك قزوين ووعدهم الجميل فاحبوه ثم سار الى الرى فملكها وملك همذان وكنكور والدينور ويزدجرد وقم وقاشان وأصبهان وجرباذقان وغيرها ثم انه أساء السيرة في أهل أصبهان خاصة وأخذ الاموال وهتك المحارم وطغى وعمل له سريرا من ذهب يجلس عليه وسريرا من فضة يجلس عليه أكابر قواده واذا جلس على السرير يقف عسكره صفوفا بالبعد منه ولا يخاطبه أحد الا الحجاب الذين رتبهم لذلك وخافه

الكعبة أنا رجل من الحور قالت أتعرف الذي يقول
لابارك الله ربي فيكم أبدا
يامعشر الحوران الحور في النار
قال لا والله ما أنا من الحور قالت فمن أنت قال رجل من أولاد حام قالت أتعرف الذي يقول
فلا تنكحن أولاد حام فانهم
مشاويه خلق الله حاشا ابن أكوع
قال لا والله ما أنا من ولد حام لكني من ولد الشيطان الرجيم قالت فلعنك الله ولعن اباك الشيطان معك أفتعرف الذي يقول
ألا يا عباد الله هذا عدوكم
وهذا عدو الله ابليس فاقتلوا
فقال لها هذا مقام العائذ بك قالت قم يا رجل خاسئا مذموما واذا نزلت بقوم فلا تنشد فيهم شعرا حتى تعرف من هم ولا تتعرض للمباحث عن مساوى الناس فلكل قوم اساءة واحسان الا رسول رب العالمين ومن اختاره الله على عباده وعصمه من عدوه وأنت كما قال جرير للفرزدق
وكنت اذا حللت بدار قوم
رحلت بخزية وتركت عارا
فقال لها والله لا أنشدت بيت شعر أبدا (فقال السفاح) لئن كنت قلت هذا الخبر ونظمت فيه ما ذكرت هذه الاشعار فلقد أحسنت وأنت سيد الكاذبين وان كان الخبر صدقا وكنت فيما ذكرته محقا فان هذه الجارية العامرية لمن أحضر الناس جوابا وأبصرهم بمثالب الناس (قال المسعودي) وللسفاح أخبار غير هذه

الناس خوفا شديدا

﴿ذكر ملك مرداويج طبرستان﴾

قد ذكرنا اتفاق ما كان بن كالى مع مرداويج ومساعدته على أسفار فلما استقر ملك مرداويج وقوى أمره وكثرت أمواله وعساكره وطمع فى جرجان وطبرستان وكانتا مع ما كان بن كالى فجمع عساكره وسار الى طبرستان فثبت له ما كان فاستظهر عليه مرداويج واستولى على طبرستان ورتب فيها بالقسم بن بانجين وهو اسفهسلار عسكره وكان حازما شجاعا جيد الرأى ثم سار مرداويج نحو جرجان وكان بها من قبل ما كان شيرزيل بن سلار وأبو على بن تركى فهربا من مرداويج وملكها مرداويج ورتب فيها سرخاب بن باوس خال ولد بالقسم بن بانجين خليفة عن بالقسم فجمع لبالقسم جرجان وطبرستان وعاد مرداويج الى أصبهان ظافرا غانما وسار ما كان الى الديلم واستنجد أبا الفضل الثائر بها فأكرمه وسار معه الى طبرستان فلقيهما بالقسم وتحاربوا فانهزم ما كان والثائر فأما الثائر فقصد الديلم وأما ما كان فسار الى نيسابور فدخل فى طاعة السعيد نصر واستنجده فأمده بأكثر جيشه وبالغ فى تقويته ووصل اليه ما كان وأبو على فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أبو على وما كان وعادا الى نيسابور ثم عاد ما كان بن كالى الى الدامغان ليملكها فسار نحوه بالقسم فصده عنها فعاد الى خراسان وسنذكر باقى أخبار ما كان فيما بعد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها كان ابتداء أمر أبى يزيد الخارجى بالمغرب وسنذكر أمره سنة أربع وثلاثين وثلثمائة مستقصى وفيها ظهر بسجستان خارجى وسار فى جمع الى بلاد فارس يريد التغلب عليها فقتله أصحابه قبل الوصول اليها وتفرقوا وفيها صرف أحمد بن نصر العشورى عن حجبة الخليفة وقلدها ياقوت وكان يتولى الحرب بفارس وهو بها فاستخلف على الحجبة ابنه أبا الفتح المظفر وفيها وصل الدمستق فى جيش كثير من الروم الى ارمينية فحصر واخلاط فصالحه أهلها ورحل عنهم بعد أن اخرج المنبر من الجامع وجعل مكانه صليبا وفعل ببدليس كذلك وخافه أهل ارزن وغيرهم وفارقوا بلادهم وانحدر أعيانهم الى بغداد واستغاثوا الى الخليفة فلم يغاثوا وفيها وصل سبعمائة رجل من الروم والارمن الى ملطية ومعهم الفؤس والمعاول وأظهروا انهم يتكسبون بالعمل ثم ظهر ان مليحا الارمنى صاحب الدروب وضعهم ليكونوا بها فاذا حصرها سلموها اليه فعلم بهم أهل ملطية فقتلوهم وأخذوا ما معهم وفيها فى منتصف ربيع الاول قلد مؤنس المؤنسى الموصل وأعمالها وفيها مات أبو بكر بن أبى داود السجستانى وأبو عوانة يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الاسفرايني وله مسند مخرج على صحيح مسلم وفيها توفى أبو بكر محمد بن السرى النحوى المعروف بابن السراج صاحب كتاب الاصول فى النحو

﴿ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلثمائة﴾

﴿ذكر خلع المقتدر﴾

فى هذه السنة خلع المقتدر بالله من الخلافة وبويع أخوه القاهر بالله محمد بن المعتضد فبقى يومين ثم أعيد المقتدر وكان سبب ذلك ما ذكرنا فى السنة التى قبلها من استيحاش مؤنس ونزوله بالشماسية وخرج اليه نازوك صاحب الشرطة فى عسكره وحضر عنده أبو الهيجاء بن حمدان فى عسكره من بلد الجبل وبنى بن نفيس وكان المقتدر قد أخذ منه الدينور فاعادها اليه مؤنس عند

وأسمار حسان قد أتينا على مبسوطها فى أخبار الزمان والاوسط

وبويع أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو بطريق مكة أخذ له البيعة عمه عيسى ابن على ثم لعيسى بن موسى من بعده يوم الاحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة والمنصور يومئذ ابن احدى وأربعين سنة وكان مولده فى ذى الحجة سنة خمس وتسعين وكانت أمه أم ولد يقال لها سلامة بربرية وكانت وفاته يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة الا تسعة أيام وهو حاج عند وصوله الى مكة فى الموضع المعروف ببستان بنى عامر من جادة العراق ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن بمكة مكشوف الوجه لانه كان محرما وقيل انه مات بالبطحاء عند بئر ميمون ودفن بالحجون وهو ابن خمس وستين سنة والله أعلم

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

ذكر عن سلامة أم المنصور أنها قالت رأيت لما حملت بأبى جعفر كأن أسدا خرج من قبلى فاقعى وزأر وضرب بذنبه فاقبلت اليه الاسد من كل ناحية فكلما انتهى اليه

مجيئه اليه وجمع المقتدر عنده فى داره هرون بن غريب وأحمد بن كيغلغ والغلمان الحجرية والرجالة المصافية وغيرهم فلما كان آخر النهار ذلك اليوم انفض أكثر من عند المقتدر وخرجوا الى مؤنس وكان ذلك أوائل المحرم ثم كتب مؤنس الى المقتدر رقعة يذكر فيها ان الجيش عاتب منكر للسرف فيما يطلق باسم الخدم والحرم من الاموال والضياع ولدخولهم فى الرأى وتدبير المملكة ويطالبون باخراجهم من الدار وأخذ ما فى أيديهم من الاموال والاملاك واخراج هرون بن غريب من الدار فاجابه المقتدر انه يفعل من ذلك ما يمكنه فعله ويقتصر على مالا بد له منه واستعطفهم وذكرهم بيعته فى أعناقهم مرة بعد أخرى وخوفهم عاقبة النكث وأمر هرون بالخروج من بغداد وأقطعه الثغور الشامية والجزرية وخرج من بغداد تاسع المحرم من هذه السنة وراسلهم المقتدر وذكرهم نعمه عليهم واحسانه اليهم وحذرهم كفر احسانه والسعى فى الشر والفتنة فلما أجابهم الى ذلك دخل مؤنس وابن حمدان ونازوك الى بغداد وارجف الناس بان مؤنسا ومن معه قد عزموا على خلع المقتدر وتولية غيره فلما كان الثانى عشر من المحرم خرج مؤنس والجيش الى باب الشماسية فتشاوروا ساعة ثم رجعوا الى دار الخليفة باسرهم فلما زحفوا اليها وقربوا منها هرب المظفر بن ياقوت وسائر الحجاب والخدم وغيرهم والفراشون وكل من فى الدار وكان الوزير أبو على بن مقلة حاضرا فهرب ودخل مؤنس والجيش دار الخليفة وأخرج المقتدر ووالدته وخالته وخواص جواريه وأولاده من دار الخلافة وحملوا الى دار مؤنس فاعتقلوا بها وبلغ الخبر هرون بن غريب وهو بقطربل فدخل بغداد واستتر ومضى ابن حمدان الى دار ابن طاهر فاحضر محمد بن المعتضد وبايعوه بالخلافة ولقبوه القاهر بالله وأحضروا القاضى أبا عمر عند المقتدر ليشهد عليه بالخلع وعنده مؤنس ونازوك وابن حمدان وبنى بن نفيس فقال مؤنس للمقتدر ليخلع نفسه من الخلافة فاشهد عليه القاضى بالخلع فقام ابن حمدان وقال للمقتدر ياسيدى يعز على ان أراك على هذه الحال وقد كنت اخافها عليك واحذرها وانصح لك واحذرك عاقبة القبول من الخدم والنساء فتؤثر اقوالهم على قولى وكانى كنت أرى هذا وبعد فنحن عبيدك وخدمك ودمعت عيناه وعينا المقتدر وشهد الجماعة على المقتدر بالخلع وأودعوا الكتاب بذلك عند القاضى أبى عمر فكتمه ولم يظهر عليه أحدا فلما عاد المقتدر الى الخلافة سلمه اليه وأعلمه أنه لم يطلع عليه غيره فاستحسن ذلك منه وولاه قضاء القضاة ولما استقر الامر للقاهر أخرج مؤنس المظفر على بن عيسى من الحبس ورتب أبا على بن مقلة فى الوزارة واضاف الى نازوك مع الشرطة حجبة الخليفة وكتب الى البلاد بذلك وأقطع ابن حمدان مضافا الى ما بيده من أعمال طريق خراسان حلوان والدينور وهمذان وكنكور وكرمان وشاهان والراذنات ودقوقى وخانيجار ونهاوند والصيمرة والسيروان وماسبذان وغيرها ونهبت دار الخليفة ومضى بنى بن نفيس الى تربة لوالدة المقتدر فاخرج من قبر فيها ستمائة ألف دينار وحملها الى دار الخليفة وكان خلع المقتدر النصف من المحرم ثم سكن النهب وانقطعت الفتنة ولما تقلد نازوك حجبة الخليفة أمر الرجالة المصافية بقلع خيامهم من دار الخليفة وأمر رجاله وأصحابه ان يقيموا بمكان المصافية فعظم ذلك عليهم وتقدم الى خلفاء الحجاب أن لا يمكنوا أحدا يدخل الى دار الخليفة الا من له مرتبة فاضطربت الحجبة من ذلك

(ذكر عود المقتدر الى الخلافة)

لما كان يوم الاثنين سابع عشر المحرم بكر الناس الى دار الخليفة لانه يوم موكب دولة جديدة فامتلأت الممرات والمراحات والرحاب وشاطئ دجلة من الناس وحضر الرجالة المصافية فى

أسد منها سجدله (حدث) على بن محمد المدائنى أن المنصور قال صحبت رجلا ضريرا الى الشأم وكان يريد مروان بن محمد بشعر قاله فيه قال فسألته أن ينشدنى فانشدنى

ليت شعرى افاح رائحة المسـ
ـك وما ان اخال بالخيف انسى
حين غابت بنو أمية عنه
والبهاليل من بنى عبد شمس
خطباء على المنابر فرسا
ن عليها وقالة غير خرس
لا يعابون قائلين وان قا
لوا اصابوا ولم يقولوا بلبس
وحلوم اذا الحلوم استخفت
ووجوه مثل الدنانير ملس

قال المنصور فوالله ما فرغ من شعره حتى ظننت أن العمى ادركنى وكان والله ممتع الحديث حسن الصحبة قال وحججت سنة احدى وأربعين ومائة فنزلت على الجمازفى جبلى زرود فى الرمل امشى لنذر كان على فاذا أنا بالضرير فأومات الى من كان معى تأخروا فتأخروا ودنوت منه فأخذت بيده فسلمت عليه فقال من أنت جعلنى الله فداك فما أثبتك معرفة قلت رفيقك الى الشأم فى أيام بنى أمية وأنت متوجه الى مروان فسلم على وتنفس وأنشأ يقول

آمت نساء بنى أمية منهم
وبناتهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم
والنجم يسقط والجدود نيام
خلت المنابر والاسرة منهم
فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له كم كان مروان أعطاك فقال

الناس خوفا شديدا

﴿ذكر ملك مرداويج طبرستان﴾

قد ذكرنا اتفاق ما كان بن كالي مع مرداويج ومساعدته على أسفار فلما استقر ملك مرداويج وقوى أمره وكثرت أمواله وعساكره وطمع في جرجان وطبرستان وكانتا مع ما كان بن كالي فجمع عساكره وسار الى طبرستان فثبت له ما كان فاستظهر عليه مرداويج واستولى على طبرستان ورتب فيها بالقسم بن بانجين وهو اسفهسلار عسكره وكان حازما شجاعا جيد الرأي ثم سار مرداويج نحو جرجان وكان بها من قبل ما كان شيرزيل بن سلار وأبو علي بن تركي فهربا من مرداويج وملكها مرداويج ورتب فيها سرخاب بن اوس خال ولد بالقسم بن بانجين خليفة عن بالقسم فجمع لبالقسم جرجان وطبرستان وعاد مرداويج الى أصبهان ظافرا غانما وسار ما كان الى الديلم واستنجد أبا الفضل الثائر بها فأكرمه وسار معه الى طبرستان فلقيهما بالقسم وتحاربوا فانهزم ما كان والثائر فاما الثائر فقصد الديلم وأما ما كان فسار الى نيسابور فدخل في طاعة السعيد نصر واستنجده فأمده بأكثر جيشه وبالغ في تقويته ووصل اليه ما كان وأبو علي فاقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزم أبو علي وما كان وعادا الى نيسابور ثم عاد ما كان بن كالي الى الدامغان ليملكها فسار نحوه بالقسم فصده عنها فعاد الى خراسان وسنذكر باقي أخبار ما كان فيما بعد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها كان ابتداء أمر أبي يزيد الخارجي بالمغرب وسنذكر أمره سنة أربع وثلاثين وثلثمائة مستقصى وفيها ظهر بسجستان خارجي وسار في جمع الى بلاد فارس يريد التغلب عليها فقتله أصحابه قبل الوصول اليها وتفرقوا وفيها صرف أحمد بن نصر القشوري عن حجبة الخليفة وقلدها ياقوت وكان يتولى الحرب بفارس وهو بها فاستخلف على الحجبة ابنه أبا الفتح المظفر وفيها وصل الدمستق في جيش كثير من الروم الى ارمينية فحصر واخلاط فصالحه أهلها ورحل عنهم بعد أن أخرج المنبر من الجامع وجعل مكانه صليبا وفعل ببدليس كذلك وخافه أهل ارزن وغيرهم وساروا عن بلادهم وانحدر أعيانهم الى بغداد واستغاثوا الى الخليفة فلم يغاثوا وفيها وصل سبعمائة رجل من الروم والارمن الى ملطية ومعهم الفؤس والمعاول وأظهروا انهم يتكسبون بالعمل ثم ظهر ان مليحا الارمني صاحب الدروب وضعهم ليكونوا بها فاذا حصرها سلموها اليه فعلم بهم أهل ملطية فقتلوهم وأخذوا ما معهم وفيها في منتصف ربيع الاول قلد مؤنس المؤنسي الموصل وأعمالها وفيها مات أبو بكر بن أبي داود السجستاني وأبو عوانة يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الاسفرايني وله مسند مخرج على صحيح مسلم وفيها توفي أبو بكر محمد بن السري النحوي المعروف بابن السراج صاحب كتاب الاصول في النحو

﴿ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلثمائة﴾

﴿ذكر خلع المقتدر﴾

في هذه السنة خلع المقتدر بالله من الخلافة وبويع أخوه القاهر بالله محمد بن المعتضد فبقي يومين ثم أعيد المقتدر وكان سبب ذلك ما ذكرنا في السنة التي قبلها من استيحاش مؤنس ونزوله بالشماسية وخرج اليه نازوك صاحب الشرطة في عسكره وحضر عنده أبو الهيجاء بن حمدان في عسكره من بلد الجبل وبني بن نفيس وكان المقتدر قد أخذ منه الدينور فأعادها اليه مؤنس عند

مجيئه

وأشعار حسان قد أتينا على مبسوطها في أخبار الزمان والاوسط

وبويع أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو بطريق مكة وقد أخذ له البيعة عمه عيسى ابن علي ثم لعيسى بن موسى من بعده يوم الاحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة والمنصور يومئذ ابن احدى وأربعين سنة وكان مولده في ذي الحجة سنة خمس وتسعين وكانت أمه أم ولد يقال لها سلامة بربرية وكانت وفاته يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة الا تسعة أيام وهو حاج عند وصوله الى مكة في الموضع المعروف ببستان بني عامر من جادة العراق ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن بمكة مكشوف الوجه لانه كان محرما وقيل انه مات بالبطحاء عند بئر ميمون ودفن بالحجون وهو ابن خمس وستين سنة والله أعلم

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه﴾

ذكر عن سلامة أم المنصور أنها قالت رأيت لما حملت بأبي جعفر كأن أسدا خرج من قبلي فاقعى وزأر وضرب بذنبه فاقبلت اليه الاسد من كل ناحية فكلما انتهى اليه

بمجيئه اليه وجمع المقتدر عنده في داره هرون بن غريب وأحمد بن كيغلغ والغلمان الحجرية والرجالة المصافية وغيرهم فلما كان آخر النهار ذلك اليوم انفض أكثر من عند المقتدر وخرجوا الى مؤنس وكان ذلك أوائل المحرم ثم كتب مؤنس الى المقتدر رقعة يذكر فيها ان الجيش عاتب منكر للسرف فيما يطلق باسم الخدم والحرم من الاموال والضياع ولدخولهم في الرأي وتدبير المملكة ويطالبون باخراجهم من الدار وأخذ ما في أيديهم من الاموال والاملاك واخراج هرون بن غريب من الدار فاجابه المقتدر انه يفعل من ذلك ما يمكنه فعله ويقتصر على ما لا بد له منه واستعطفهم وذكرهم بيعته في أعناقهم مرة بعد أخرى وخوفهم عاقبة النكث وأمر هرون بالخروج من بغداد وأقطعه الثغور الشامية والجزرية وخرج من بغداد تاسع المحرم من هذه السنة وراسلهم المقتدر وذكرهم نعمه عليهم واحسانه اليهم وحذرهم كفر احسانه والسعي في الشر والفتنة فلما أجابهم الى ذلك دخل مؤنس وابن حمدان ونازوك الى بغداد وارجف الناس بان مؤنسا ومن معه قد عزموا على خلع المقتدر وتولية غيره فلما كان الثاني عشر من المحرم خرج مؤنس والجيش الى باب الشماسية فتشاوروا ساعة ثم رجعوا الى دار الخليفة باسرهم فلما زحفوا اليها وقربوا منها هرب المظفر بن ياقوت وسائر الحجاب والخدم وغيرهم والفراشون وكل من في الدار وكان الوزير أبو علي بن مقلة حاضرا فهرب ودخل مؤنس والجيش دار الخلافة وأخرج المقتدر ووالدته وخالته وخواص جواريه وأولاده من دار الخلافة وحملوا الى دار مؤنس فاعتقلوا بها وبلغ الخبر هرون بن غريب وهو بقطربل فدخل بغداد واستتر ومضى ابن حمدان الى دار ابن طاهر فاحضر محمد بن المعتضد وبايعوه بالخلافة ولقبوه القاهر بالله وأحضروا القاضي أبا عمر عند المقتدر ليشهد عليه بالخلع وعنده مؤنس ونازوك وابن حمدان وبني بن نفيس فقال مؤنس للمقتدر ليخلع نفسه من الخلافة فاشهد عليه القاضي بالخلع فقام ابن حمدان وقال للمقتدر ياسيدي يعز علي ان أراك على هذه الحال وقد كنت اخافها عليك واحذرها وانصح لك واحذرك عاقبة القبول من الخدم والنساء فتؤثر اقوالهم على قولي وكاني كنت أرى هذا وبعد فنحن عبيدك وخدمك ودمعت عيناه وعينا المقتدر وشهد الجماعة على المقتدر بالخلع وأودعوا الكتاب بذلك عند القاضي أبي عمر فكتمه ولم يظهر عليه أحدا فلما عاد المقتدر الى الخلافة سلمه اليه وأعلمه أنه لم يطلع عليه غيره فاستحسن ذلك منه وولاه قضاء القضاة ولما استقر الامر للقاهر أخرج مؤنس المظفر علي بن عيسى من الحبس ورتب أبا علي بن مقلة في الوزارة واضاف الى نازوك مع الشرطة حجبة الخليفة وكتب الى البلاد بذلك وأقطع ابن حمدان مضافا الى ما بيده من أعمال طريق خراسان حلوان والدينور وهمذان وكنكور وكرمان وشاهان والراذانات ودقوقى وخانيجار ونهاوند والصيمرة والسيروان وماسبذان وغيرها ونهبت دار الخليفة ومضى بني بن نفيس الى تربة لوالدة المقتدر فاخرج من قبر فيها ستمائة ألف دينار وحملها الى دار الخليفة وكان خلع المقتدر النصف من المحرم ثم سكن النهب وانقطعت الفتنة ولما تقلد نازوك حجبة الخليفة أمر الرجالة المصافية بقلع خيامهم من دار الخليفة وأمر رجاله وأصحابه ان يقيموا بمكان المصافية فعظم ذلك عليهم وتقدم الى خلفاء الحجاب أن لا يمكنوا أحدا يدخل الى دار الخليفة الا من له مرتبة فاضطربت الحجبة من ذلك

(ذكر عود المقتدر الى الخلافة)

لما كان يوم الاثنين سابع عشر المحرم بكر الناس الى دار الخليفة لانه يوم موكب دولة جديدة فامتلأت الممرات والرحاب وشاطئ دجلة من الناس وحضر الرجالة المصافية في

أسد منها سجد له (حدث) علي بن محمد المدائني أن المنصور قال صحبت رجلا ضريرا الى الشأم وكان يريد مروان بن محمد بشعر قاله فيه قال فسألته أن ينشدني فانشدني

ليت شعري افاح رائحة المسك وما ان اخال بالخيف انسي
حين غابت بنو أمية عنه والبهاليل من بني عبد شمس
خطباء على المنابر فرسان عليها وقالة غير خرس
لا يعابون قائلين وان قالوا اصابوا ولم يقولوا بلبس
وحلوم اذا الحلوم استخفت ووجوه مثل الدنانير ملس

قال المنصور فوالله ما فرغ من شعره حتى ظننت أن العمى ادركني وكان والله ممتع الحديث حسن الصحبة قال وحججت سنة احدى وأربعين ومائة فنزلت على الجمال في جبلي زرود في الرمل امشي لنذر كان علي فاذا أنا بالضرير فأومأت الى من كان معي تأخروا فتأخروا ودنوت منه فأخذت بيده فسلمت عليه فقال من أنت جعلني الله فداك فما أثبتك معرفة قلت رفيقك الى الشأم في أيام بني أمية وأنت متوجه الى مروان فسلم علي وتنفس وأنشأ يقول

آمت نساء بني أمية منهم وبناتهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم والنجم يسقط والجدود نيام
خلت المنابر والاسرة منهم * فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له كم كان مروان أعطاك فقال

أغاني فلا أسأل أحدا بعده فقلت كم فقال أربعة آلاف دينار وخلع وحملان قلت وأين ذلك

السلاح الشاك يطالبون بحق البيعة ورزق سنة وهم حنقون بما فعل بهم نازوك ولم يحضر مؤنس المظفر ذلك اليوم وارتفعت زعقات الرجالة فسمع بها نازوك فأشفق ان يجري بينهم وبين أصحابه فتنة وقتال فتقدم الى أصحابه وأمرهم ان لا يعرضوا لهم ولا يقاتلوهم وزاد شغب الرجالة وهجموا يريدون الصحن التسعيني فلم يمنعهم أصحاب نازوك ودخل من كان على الشط بالسلاح وقربت زعقاتهم من مجلس القاهر بالله وعنده أبو علي بن مقلة الوزير ونازوك وأبو الهيجاء بن حمدان فقال القاهر انازوك اخرج اليهم فسكنهم وطيب قلوبهم فخرج اليهم نازوك وهو مخمور قد شرب طول ليلته فلما رآه الرجالة تقدموا اليه ليشكوا حالهم اليه في معنى ارزاقهم فلما رآهم بأيديهم السيوف يقصدونه خافهم على نفسه فهرب فطمعوا فيه فتبعوه فانتهى به الهرب الى باب كان هو سده أمس فادركوه عنده فقتلوه عند ذلك الباب وقتلوا قبله خادمه عجيبا وصاحوا يا مقتدر يا منصور فهرب كل من كان في الدار من الوزير والحجاب وسائر الطبقات وبقيت الدار فارغة وصلبوا نازوك وعجيبا بحيث يراهما من على شاطئ دجلة ثم صار الرجالة الى دار مؤنس يصيحون ويطالبونه بالمقتدر وبادر الخدم فاغلقوا أبواب دار الخليفة وكانوا جميعهم خدم المقتدر ومماليكه وصنائعه وأراد أبو الهيجاء بن حمدان ان يخرج من الدار فتعلق به القاهر وقال أنا في ذمامك فقال والله لا أسلمك أبدا وأخذ بيد القاهر وقال قم بنا نخرج جميعا وأدعو أصحابي وعشيرتي فيقاتلون معك ودونك فقاما ليخرجا فوجدا الابواب مغلقة فتبعهما فائق وجه القصعة يمشي معهما فأشرف القاهر من سطح فرأى كثرة الجمع فنزل هو وابن حمدان وفائق فقال ابن حمدان للقاهر قف حتى أعود اليك ونزع سواده وثيابه وأخذ جبة صوف لغلام هناك فلبسها ومشى نحو باب النوبي فرآه مغلقا والناس من ورائه فعاد الى القاهر وتأخر عنهما وجه القصعة ومن معه من الخدم فأمرهم وجه القصعة بقتلهما أخذا بثأر المقتدر وما صنعا به فعاد اليهما عشرة من الخدم بالسلاح فعاد اليهم أبو الهيجاء وسيفه بيده ونزع الجبة الصوف وأخذها بيده الاخرى وحمل عليهم فانجفلوا بين يديه وغشيهم فرموه بالنشاب ضرورة فعاد عنهم وانفرد عنه القاهر ومشى الى آخر البستان فاختفى فيه ودخل أبو الهيجاء الى بيت من ساج وتقدم الخدم الى ذلك البيت فخرج اليهم أبو الهيجاء فولوا هاربين ودخل اليهم بعض أكابر الغلمان الحجرية ومعه أسودان بسلاح وقصدوا أبا الهيجاء فخرج اليهم ورمى بالسهام فسقط فقصده بعضهم فضربه بالسيف فقطع يده اليمنى وأخذ رأسه فحمله بعضهم ومشى وهو معه وأما الرجالة فانهم لما انتهوا الى دار مؤنس وسمع زعقاتهم قال ما الذي تريدون فقيل له نريد المقتدر فأمر بتسليمه اليهم فلما قيل للمقتدر ليخرج خاف على نفسه ان تكون حيلة عليه فامتنع وحمل وأخرج اليهم فحمله الرجالة على رقابهم حتى أدخلوه دار الخلافة فلما حصل في الصحن التسعيني اطمأن وقعد فسأل عن أخيه القاهر وعن ابن حمدان وقيل هما أحياء فكتب لهما أمانا بخطه وأمر خادما بالسرعة بكتاب الامان لئلا يحدث على أبي الهيجاء حادث فمضى بالخط اليه فلقيه الخادم الآخر ومعه رأسه فعاد معه فلما رآه المقتدر وأخبره بقتله قال انا لله وانا اليه راجعون من قتله فقال الخدم ما نعرف قاتله وعظم عليه قتله وقال ما كان يدخل علي ويسليني ويظهر لي الغم هذه الايام غيره ثم أخذ القاهر وأحضر عند المقتدر فاستدناه فأجلسه عنده وقبل جبينه وقال له يا أخي قد علمت انه لا ذنب لك وانك قهرت ولو لقبوك بالمقهور لكان أولى من القاهر والقاهر يبكي ويقول يا أمير المؤمنين نفسي نفسي اذكر الرحم التي بيني وبينك فقال له المقتدر وحق رسول الله لا جرى عليك سوء مني أبدا ولا وصل أحد الى مكروهك

وأنا

قل يا أبه مرة فقال أبتغي معرفة فقال أما معرفة الصحبة فقد لعمري وأما معرفة النسب فلا فقال أنا أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين فوقع عليه الانكاء وقال يا أمير المؤمنين اعذر فان ابن عمك محمدا صلى الله عليه وسلم قال جبلت النفوس على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها قال أبو جعفر فهممت والله به ثم تذكرت الحرمة والصحبة فقلت للمسيب أطلقه ثم بدا لي في مسامرته رأي فأمرت بطلبه فكأن البيداء بادته (وحدث الربيع) قال اجتمع عند المنصور عيسى ابن علي وعيسى بن موسى ومحمد بن علي وصالح بن علي وقثم بن العباس ومحمد بن جعفر ومحمد بن ابراهيم فذكروا خلفاء بني أمية وسيرهم وتدبيرهم والسبب الذي به سلبوا عزهم فقال المنصور أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي ما صنع وأما سليمان فكان همته بطنه وفرجه وأما عمر فكان أعور بين عميان وكان رجل القوم هشام ولم تزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويحفظونه ويصرفون ما وهب الله لهم منه مع تسنمهم معالي الامور ورفضهم أدانيها حتى

وأناجي فشكر وأخرج رأس نازوك ورأس أبي الهيجاء وشهرا ونودي عليهما هذا جزاء من عصى مولاه وأما بني بن نفيس فانه كان من أشد القوم على المقتدر فاتاه الخبر برجوعه الى الخلافة فركب جوادا وهرب عن بغداد وغير زيه وسار حتى بلغ الموصل وسار منها الى ارمينية وسار حتى دخل القسطنطينية وتنصر وهرب أبو السرايا نصر بن حمدان أخو أبي الهيجاء الى الموصل وسكنت الفتنة وأحضر المقتدر أبا علي بن مقلة وأعاده الى وزارته وكتب الى البلاد بما تجدد له وأطلق للجند أرزاقهم وزادهم وباع ما في الخزائن من الامتعة والجواهر وأذن في بيع الاملاك من الناس فبيع ذلك بأرخص الاثمان ليتم اعطيات الجند وقد قيل ان مؤنسا المظفر لم يكن مؤثرا لما جرى على المقتدر من الخلع وانما وافق الجماعة مغلوبا على رأيه ولعلمه أنه ان خالفهم لم ينتفع به المقتدر ووافقهم ليأمنوه وسعى مع الغلمان المصافية والحجرية ووضع قوادهم على ان عملوا ما عملوا وأعادوا المقتدر الى الخلافة وكان هو قد قال للمقتدر لما كان في داره ما تريدون ان نصنع فلهذا أمنه المقتدر ولما جاءوه الى دار الخلافة من دار مؤنس ورأى فيها كثرة الخلق والاختلاف عاد الى دار مؤنس لثقته به واعتماده عليه ولولا هوى مؤنس مع المقتدر لكان حضر عند القاهر مع الجماعة فانه لم يكن معهم كما ذكرناه ولكان أيضا قتل المقتدر لما طلب من داره ليعاد الى الخلافة واما القاهر فان المقتدر حبسه عند والدته فاحسنت اليه وأكرمته ووسعت عليه النفقة واشترت له السراري والجواري للخدمة وبالغت في اكرامه والاحسان اليه بكل طريق

﴿ذكر مسير القرامطة الى مكة وما فعلوه باهلها وبالحجاج وأخذهم الحجر الاسود﴾

حج بالناس في هذه السنة منصور الديلمي وسار بهم من بغداد الى مكة فسلموا في الطريق فوافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه وقلع الحجر الاسود ونفذه الى هجر فخرج اليه ابن محلب أمير مكة في جماعة من الاشراف فسألوه في أموالهم فلم يشفعهم فقاتلوه فقتلهم أجمعين وقلع باب البيت واصعد رجلا ليقلع الميزاب فسقط فمات وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الباقين في المسجد الحرام حيث قتلوا بغير كفن ولا غسل ولا صلى على أحد منهم وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ونهب دور أهل مكة فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبيد الله العلوي بافريقية كتب اليه ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة ويقول قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والالحاد بما فعلت وان لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم وترد الحجر الاسود الى مكانه وترد كسوة الكعبة فانا بريء منك في الدنيا والآخرة فلما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الاسود على ما نذكره واستعاد ما أمكنه من الاموال من أهل مكة فرده وقال ان الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج ولا أقدر على منعهم

﴿ذكر خروج أبي زكريا واخوته بخراسان﴾

في هذه السنة خرج أبو زكريا يحيى وأبو صالح منصور وأبو اسحق ابراهيم أولاد أحمد بن اسمعيل الساماني على أخيهم السعيد نصر بن أحمد وقيل كان ذلك سنة ثمان عشرة وهو الصحيح وكان سبب ذلك أن أخاهم نصرا كان قد حبسهم في القهندز بخارا ووكل بهم من يحفظهم فتخلصوا منه وكان سبب خلاصهم ان رجلا يعرف بابي بكر الخباز الاصبهاني كان يقول اذا جرى ذكر السعيد نصر بن أحمد ان له مني يوما طويل البلاء والعناء وكان الناس يضحكون منه فخرج السعيد الى

منهم باستدراجه وأمنامنهم لمكره مع اطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز وألبسهم الذل ونفى عنهم النعمة فقال صالح بن علي يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن اتبعه سأل ملك النوبة عن حالهم وهيئتهم فركب الى عبد الله ليسأله عن شيء من أمورهم والسبب الذي به زالت النعمة عنهم وكلمه بكلام سقط عني حفظه ثم أشخصه عن بلده فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به ليحدثه أمره فعل فامر المنصور باحضاره في مجلسه فلما مثل بين يديه قال له يا عبد الله قص على قصتك وقصة ملك النوبة قال يا أمير المؤمنين قدمت الى النوبة فاقمت بها ثلاثا فاتاني ملكها فقعد على الارض وقد أعددت له فراشا فقلت له ما منعك من القعود على فراشنا فقال لاني ملك وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله عز وجل اذ رفعه الله ثم قال لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا قال فلم تطؤن الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم

نيسابور واستخلف ببخارا أبا العباس الكوسج وكانت وظيفة اخوته تحمل اليهم من عنده هذا أبي بكر الخباز وهم في السجن فسعى لهم أبو بكر مع جماعة من أهل العسكر ليخرجوهم فاجابوه الى ذلك وأعلمهم ماسعى لهم فيه فلما سار السعيد عن بخارا تواعد هؤلاء للاجتماع بباب القهندز يوم جمعة وكان الرسم ان لايفتح باب القهندز أيام الجمع الا بعد العصر فلما كان الخميس دخل أبو بكر الخباز الى القهندز قبل الجمعة التي اتعدوا الاجتماع فيها بيوم فبات فيه فلما كان الغد وهو الجمعة جاء الخباز الى باب القهندز وأظهر للبواب زهدا ودينا وأعطاه خمسة دنانير ليفتح له الباب ليخرجه لئلا تفوته الصلاة ففتح له الباب فصاح أبو بكر الخباز بمن وافقه على اخراجهم وكانوا على الباب فاجابوه وقبضوا على البواب ودخلوا وأخرجوا يحيى ومنصورا وابراهيم بني أحمد بن اسمعيل من الحبس مع جميع من فيه من الديلم والعلويين والعيارين فاجتمعوا واجتمع اليهم من كان وافقهم من العسكر ورأسهم شروين الجبلي وغيره من القواد ثم انهم عظمت شوكتهم ونهبوا خزائن السعيد نصر بن أحمد ودوره وقصوره واختص يحيى بن أحمد أبا بكر الخباز وقدمه وقوده وكان السعيد اذ ذاك بنيسابور وكان أبو بكر محمد بن المظفر صاحب جيش خراسان بجرجان فلما خرج يحيى وبلغ خبره السعيد عاد من نيسابور الى بخارا وبلغ الخبر الى محمد بن المظفر فراسل ما كان بن كالي وصاهره وولاه نيسابور وأمره بمنعها ممن يقصدها فسار ما كان اليها وكان السعيد قد سار من نيسابور الى بخارا وكان يحيى وكل بالنهر أبا بكر الخباز فاخذه السعيد أسيرا وعبر النهر الى بخارا فبالغ في تعذيب الخباز ثم ألقاه في التنور الذي كان يخبز فيه فاحترق وسار يحيى من بخارا الى سمرقند ثم خرج منها واجتاز بنواحي الصغانيان وبها أبو علي بن أبي بكر محمد بن المظفر وسار يحيى الى ترمذ فعبر النهر الى بلخ وبها قراتكين فوافقه قراتكين وخرجا الى مرو ولما ورد محمد بن المظفر نيسابور كاتبه يحيى واستماله فاظهر له محمد الميل اليه ووعده المسير نحوه ثم سار عن نيسابور واستخلف بها ما كان بن كالي وأظهر انه يريد مرو ثم عدل عن الطريق نحو بوشنج وهراة مسرعا في سيره واستولى عليهما وسار محمد عن هراة نحو الصغانيان على طريق غرشستان وبلغ خبره يحيى فسير الى طريقه عسكرا فلقيهم محمد فهزمهم وسار عن غرشستان واستمد ابنه أبا علي من الصغانيان فامده بجيش وسار محمد ابن المظفر الى بلخ وبها منصور بن قراتكين فالتقيا واقتتلا قتالا شديدا فانهزم منصور الى الجوزجان وسار محمد الى الصغانيان فاجتمع بولده وكتب الى السعيد بخبره فسره ذلك وولاه بلخ وطخارستان واستقدمه فولاها محمد ابنه أبا علي احمد وأنفذه اليها ولحق محمد بالسعيد فاجتمع به ببلخ رستاق وهو في أثر يحيى وهو بهراة وكان يحيى قد سار الى نيسابور وبها ما كان بن كالي فمنعه عنها ونزلوا عليها فلم يظفروا بها وكان مع يحيى محمد بن الياس فاستأمن الى ما كان واستأمن منصور وابراهيم أخو يحيى الى السعيد نصر فلما قارب السعيد هراة وبها يحيى وقراتكين سارا عن هراة الى بلخ فاحتال قراتكين ليصرف السعيد عن نفسه فانفذ يحيى من بلخ الى بخارا وأقام هو ببلخ فعطف السعيد الى بخارا فلما عبر النهر هرب يحيى من بخارا الى سمرقند ثم عاد من سمرقند ثانيا فلم يعاونه قراتكين فسار الى نيسابور وبها محمد بن الياس قد قوي أمره وسار عنها ما كان الى جرجان ووافقه محمد بن الياس وخطب له وأقاموا بنيسابور وكان السعيد في أثر يحيى لا يمكنه من الاستقرار فلما بلغهم خبر مجيء السعيد الى نيسابور تفرقوا فخرج ابن الياس الى كرمان وأقام بها وخرج قراتكين ومعه يحيى الى بست والرخج فاقاما بها ووصل نصر بن أحمد نيسابور في سنة عشرين وثلثمائة فانفذ الى قراتكين ولاية بلخ وبذل الامان ليحيى فجاء اليه وزالت الفتنة

وانقطع

فلم تلبسون الديباج والحرير والذهب وهو محرم عليكم في كتابكم ودينكم فقالت ذهب منا الملك فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا فاطرق الى الارض يقلب يده مرة وينكت في الارض أخرى ويقول عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا علينا في ديننا ثم رفع رأسه فقال ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله وركبتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فينالني معكم وانما الضيافة ثلاث فتزودوا ما احتجت اليه وارحل عن أرضي ففعلت فتعجب المنصور وأطرق مليا فرق له وهم باطلاقه فاعلمه عيسى بن علي أن في عنقه بيعة له فاعاده الى الحبس (قال المسعودي) ولعشر سنين خلت من خلافة المنصور توفي أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم سنة ثمان وأربعين ومائة ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وله خمس وستون سنة وقيل انه سم وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الامم ومحيي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين

وانقطع الشر وكان قد دام هذه المدة كلها وأقام السعيد بنيسابور الى ان حضر عنده يحيى فاكرمه وأحسن اليه ثم مضى بها السبيله هو وأخوه أبو صالح منصور فلما رأى أخوهما ابراهيم ذلك هرب من عند السعيد الى بغداد ثم منها الى الموصل وسيأتى خبره ان شاء الله تعالى وأما قراتكين فانه مات ببست ونقل الى اسبيجاب فدفن بها فى رباطه المعروف برباط قراتكين ولم يملك ضيعة قط وكان يقول ينبغى للجندى أن يصحبه كل ما ملك أين سار حتى لا يعتقله شئ

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة منتصف المحرم وقعت فتنة بالموصل بين أصحاب الطعام وبين أهل المربعة والبزازين فظهر أصحاب الطعام عليهم أوّل النهار فانضم الاساكفة الى أهل المربعة والبزازين فاستظهروا بهم وقهروا أصحاب الطعام وهزموهم وأحرقوا أسواقهم وتتابعت الفتنة بعد هذه الحادثة واجترأ أهل الشر وتعاقد أصحاب الخلقان والاساكفة على أصحاب الطعام واقتتلوا قتالا شديدا دام بينهم ثم ظفر أصحاب الطعام فهزموا الاساكفة ومن معهم وأحرقوا سوقهم وقتلوا منهم وركب أمير الموصل وهو الحسن بن عبد الله بن حمدان الذى لقب بعد بناصر الدولة ليسكن الناس فلم يسكنوا ولا كفوا ثم دخل بينهم ناس من العلماء وأهل الدين فاصلحوا بينهم وفيها وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أصحاب أبى بكر المروزى الحنبلى وبين غيرهم من العامة ودخل كثير من الجند فيها وسبب ذلك ان أصحاب المروزى قالوا فى تفسير قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا هو أن الله سبحانه يقعد النبى صلى الله عليه وسلم معه على العرش وقالت الطائفة الاخرى انما هو الشفاعة فوقعت الفتنة واقتتلوا فقتل بينهم قتلى كثيرة وفيها ضعفت الثغور الجزرية عن دفع الروم عنهم منها ملطية وميافارقين وآمد وارزن وغيرها وعزموا على طاعة ملك الروم والتسليم اليه لعجز الخليفة المقتدر بالله عن نصرهم وأرسلوا الى بغداد يستأذنون فى التسليم ويذكرون عجزهم ويستمدون العساكر لتمنع عنهم فلم يحصلوا على فائدة فعادوا وفيها قلد القاضى أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن حماد بن زيد قضاء القضاة وفيها قلد ابن رائق شرطة بغداد مكان نازوك وفيها مات أحمد بن منيع وكان مولده سنة أربع عشرة ومائتين وفيها أقر المقتدر بالله ناصر الدولة الحسن بن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان على ما بيده من أعمال قردى وبازبدى وعلى اقطاع أبيه وضياعه وفيها قلد نحرير الصغير أعمال الموصل فسار اليها فمات بها فى هذه السنة ووليها بعده ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان فى المحرم من سنة ثمان عشرة وثلثمائة وفيها سار حاج العراق الى مكة على طريق الشام فوصلوا الى الموصل أوّل شهر رمضان ثم منها الى الشام لانقطاع الطريق بسبب القرمطى معه كسوة الكعبة مع ابن عبدوس الجهشيارى لانه كان من أصحاب الوزير وفيها فى شعبان ظهر بالموصل خارجى يعرف بابن مطر وقصد نصيبين وسار اليها ناصر الدولة بن حمدان فقاتله فاسره وظهر فيه أيضا خارجى اسمه محمد بن صالح بالبوازيج وسار اليه أبو السرايا نصر بن حمدان فأخذه أيضا وفيها التقى مفلح الساجى والدمستق فاقتتلوا فانهزم الدمستق ودخل مفلح وراءه الى بلاد الروم وفيها آخر ذى القعدة انقض كوكب عظيم وصار له ضوء عظيم جدا وفيها هبت ريح شديدة وحملت رملا أحمر شديد الحمرة فعم جانبى بغداد وامتلأت منه البيوت والدروب يشبه رمل طريق مكة وفيها توفى أبو بكر أحمد بن الحسن بن الفرج بن سقير النحوى كان عالما بمذهب الكوفيين وله فيه تصانيف

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثلثمائة)

وقبر الحسن بن على بن أبى طالب وعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضى الله عنهم

واستوزر أبو جعفر المنصور بن عطية الباهلى ثم استوزر أبا أيوب النورانى الحورى وكان له بأبى جعفر اسباب منها أنه كان يكتب لسليمان بن حبيب بن المهلب وقد كان سليمان ضرب المنصور بالسوط فى أيام الامويين وأراد هتكه فخلصه كاتبه أبو أيوب من يده فكانت سببه به فلما استوزره اتهم بأشياء منها احتجار الاموال وسوء النية فكان على الايقاع به وتطاول ذلك فكان كلما دخل عليه ظن أنه سيوقع به ثم يخرج سالما فقيل انه كان معه دهن قد عمل فيه شئ من السحر يطليه على حاجبيه اذا أراد الدخول على المنصور فسار فى العامة دهن أبى أيوب لما ذكرنا ثم أوقع به واستكتب ابان بن صدقة الى أن مات وذكر لابى جعفر تدبير هشام فى حرب كانت له فبعث الى رجل كان ينزل رصافة هشام يسأله عن تلك الحرب فقدم عليه رجل فقال له أنت صاحب هشام فقال نعم يا أمير المؤمنين قال فأخبرنى كيف فعل فى حرب دبرها فى سنة كذا وكذا قال فعل رضى الله عنه فيها كذا وكذا وفعل رحمه الله كذا وكذا فاغاظ ذلك المنصور فقال له قم عليك غضب الله تطأ بساطى وتترحم على عدوى فقام الشيخ وهو يقول ان لعدولك قلادة فى عنقى ومنة فى رقبتى لا ينزعها الا

﴿ ذكر هلاك الرجالة المصافية ﴾

في هذه السنة في المحرم هلك الرجالة المصافية وأخرجوا من بغداد بعد ما عظم شرهم وقوي أمرهم وكان سبب ذلك انهم لما أعادوا المقتدر الى الخلافة على ما ذكرناه زاد ادلالهم واستطالتهم وصاروا يقولون أشياء لا يحتملها الخلفاء منها انهم يقولون من أعان ظالما سلطه الله عليه ومن يصعد الحمار الى السطح يقدر أن يحطه وان لم يفعل المقتدر معنا ما نستحقه قاتلناه بما يستحق الى غير ذلك وكثر شغبهم ومطالبتهم وادخلوا في الارزاق أولادهم وأهليهم ومعارفهم وأثبتوا أسماءهم فصار لهم في الشهر مائة ألف وثلاثون ألف دينار واتفق ان شغب الفرسان في طلب أرزاقهم فقيل لهم ان بيت المال فارغ وقد انصرفت الاموال الى الرجالة فثار بهم الفرسان فاقتتلوا فقتل من الفرسان جماعة واحتج المقتدر بقتلهم على الرجالة وأمر محمد بن ياقوت فركب وكان قد استعمل على الشرطة فطرد الرجالة عن دار المقتدر ونودي فيهم بخروجهم عن بغداد ومن أقام قبض عليه وحبس وهدمت دورهم وقبضت أملاكهم وظفر بعد النداء بجماعة منهم فضربهم وحلق لحاهم وشهرهم وهاج السودان تعصبا للرجالة فركب محمد أيضا في الحجرية وأوقع بهم وأحرق منازلهم فاحترق فيها جماعة كثيرة منهم ومن أولادهم ومن نسائهم فخرجوا الى واسط واجتمع بها منهم جمع كثير وتغلبوا عليها وطردوا عامل الخليفة فسار اليهم مؤنس فأوقع بهم وأكثر القتل فيهم فلم تقم لهم بعدها راية

﴿ ذكر عزل ناصر الدولة بن حمدان عن الموصل وولاية عميه سعيد ونصر ﴾

في هذه السنة في ربيع الاول عزل ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان عن الموصل ووليها عماه سعيد ونصر ابنا حمدان وولي ناصر الدولة ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس عين ومعها من ديار بكر ميافارقين وأرزن ضمن ذلك بمال مبلغه معلوم فسار اليها ووصل سعيد الى الموصل في ربيع الآخر

﴿ ذكر عزل ابن مقلة ووزارة سليمان بن الحسن ﴾

وفي هذه السنة عزل الوزير أبو علي محمد بن مقلة من وزارة الخليفة وكان سبب عزله ان المقتدر كان يتهمه بالميل الى مؤنس المظفر وكان المقتدر مستوحشا من مؤنس ويظهر له الجميل فاتفق ان مؤنسا خرج الى أوانا وعكبرا فركب ابن مقلة الى دار المقتدر آخر جمادى الاولى فقبض عليه وكان بين محمد بن ياقوت وبين ابن مقلة عداوة فانفذ الى داره بعد ان قبض عليه وأحرقها ليلا وأراد المقتدر ان يستوزر الحسين بن القاسم بن عبد الله وكان مؤنس قد عاد فانفذ الى المقتدر مع علي بن عيسى يسأل ان يعاد ابن مقلة فلم يجبه المقتدر الى ذلك وأراد قتل ابن مقلة فرده عن ذلك فسأل مؤنس ان لا يستوزر الحسين فتركه واستوزر سليمان بن الحسن منتصف جمادى الاولى وأمر المقتدر بالله علي بن عيسى بالاطلاع على الدواوين وان لا ينفرد سليمان عنه بشيء وصودر أبو علي بن مقلة بمائتي ألف دينار وكانت مدة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام

﴿ ذكر القبض على أولاد البريدي ﴾

كان أولاد البريدي وهم أبو عبد الله وأبو يوسف وأبو الحسين قد ضمنوا الاهواز كما تقدم فلما عزل الوزير ابن مقلة كتب المقتدر بخط يده الى أحمد بن نصر القشوري الحاجب يأمره بالقبض عليهم ففعل وأودعهم عنده في داره ففي بعض الايام سمع ضجة عظيمة وأصواتا هائلة فسأل ما الخبر فقيل ان الوزير قد كتب باطلاق بني البريدي وأنفذ اليه أبو عبد الله كتابا مزورا

كيف قلت قال انه كفاني الطلب وصان وجهي عن السؤال فلم أقف على باب غاسلي فأمر المنصور برده وقال عربي ولا عجمي منذ رأيته أفلا يجب لي أن أذكره الا بخير وأتبعه بثنائي فقال بلى لله أم نهضت عنك أشهد انك نهيض حرة وغراس كريم ثم استمع منه وأمر له بجائزة فقال يا أمير المؤمنين ما آخذها لحاجة وما هو الا أن أتبجح بحبائك وأتشرف بصلتك فأخذ الصلة فقال له المنصور مت اذا شئت لله أنت لو لم يكن لقومك غيرك كنت قد أبقيت لهم مجدا وقال لجلسائه بعد خروجه عنه في مثل هذا تحسن الصنيعة ويوضع المعروف ويجاد بالمصون وأنى في عسكرنا مثله ودخل معن بن زائدة على المنصور فلما نظر اليه قال هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذي زيدت به
شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله

ما زلت يوم الهاشمية معلنا
بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه
من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت يا معن وكان معن من أصحاب عمر بن هبيرة وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية وقد كان سعت فيه عدة من أهل خراسان فانه

بامر

يأمر فيه باطلاقهم واعادتهم الى أعمالهم فقال لهم أحدهم هذا كتاب الخليفة بخطه يقول فيه لا تطلقهم حتى يأتيك كتاب آخر بخطى ثم ظهر ان الكتاب مزور ثم أنفذ المقتدر فاستحضرهم الى بغداد وصودروا على أربعمائة ألف دينار وكان لا يطمع فيها منهم وانما طلب منهم هذا القدر ليجيبوا الى بعضه فاجابوا اليه جميعه ليتخلصوا ويعودوا الى عملهم

(ذكر خروج صالح والاغر)

وفى هذه السنة فى جمادى الاولى خرج خارجى من بجيلة من أهل البوازيج اسمه صالح بن محمود وعبر الى البرية واجتمع اليه جماعة من بنى مالك وسار الى سنجار فأخذ من أهلها مالا فلقيه قوافل فاخذ عشرها وخطب بسنجار فذكر بأمر الله وحذر واطال فى هذا ثم قال نتولى الشيخين ونبرأ من الخبيثين ولا نرى المسح على الخفين وسار منها الى الشجاجية من أرض الموصل فطالب أهلها وأهل أعمال الفرج بالعشر وأقام أياما وانحدر الى الحديثة تحت الموصل فطالب المسلمين بزكاة أموالهم والنصارى بجزية رؤسهم فجرى بينهم حرب فقتل من أصحابه جماعة ومنعوه من دخولها فاحرق لهم ست عروب وعبر الى الجانب الغربى وأسر أهل الحديثة ابنا لصالح اسمه محمد فأخذه نصر بن حمدان بن حمدون وهو الامير بالموصل فادخله اليها ثم سار صالح الى السن فصالحه أهلها على مال أخذه منهم وانصرف الى البوازيج وسار منها الى تل خوسا قرية من أعمال الموصل عند الزاب الاعلى وكاتب أهل الموصل فى أمر ولده وتهددهم ان لم يردوه اليه ثم رحل الى السلامية فسار اليه نصر بن حمدان لخمس خلون من شعبان من هذه السنة ففارقها صالح الى البوازيج فطلبه نصر فادركه بها فحاربه حربا شديدا قتل فيها من رجال صالح نحو مائة رجل وقتل من أصحاب نصر جماعة وأسر صالح ومعه ابنان له وأدخلوا الى الموصل وحملوا الى بغداد وأدخلوا مشهورين وفيها فى شعبان خرج بأرض الموصل خارجى اسمه الاغر بن مطرة الثعلبى وكان يذكر أنه من ولد عتاب بن كلثوم الثعلبى أخى عمرو بن كلثوم الشاعر وكان خروجه بنواحى رأس العين وقصد كفرتوثا وقد اجتمع معه نحو ألفى رجل فدخلها ونهبها وقتل فيها وسار الى نصيبين فنزل بالقرب منها فخرج اليه واليها ومعه جمع من الجند ومن العامة فقاتلوه فقتل الشارى منهم مائة رجل وأسر ألف رجل فباعهم نفوسهم وصالحه أهل نصيبين على أربعمائة ألف درهم وبلغ خبره ناصر الدولة بن حمدان وهو أمير ديار ربيعة فسير اليه جيشا فقاتلوه فظفروا به وأسروه وسيره ناصر الدولة الى بغداد

(ذكر مخالفة جعفر بن أبى جعفر وعوده)

كان جعفر بن أبى جعفر بن أبى داود مقيما بالختل واليا عليها للسامانية فبدت منه أمور نسب بسببها الى الاستعصاء فكوتب أبو على أحمد بن محمد بن المظفر بقصده فسار اليه وحاربه فقبض عليه وحمله الى بخارا وذلك قبل مخالفة أبى زكريا يحيى فلما حمل الى بخارا حبس فيها فلما خالف أبو زكريا يحيى أخرجه من الحبس وصحبه ثم استأذنه فى العود الى ولاية الختل وجمع الجيوش له بها فاذن له فسار اليها وأقام بها وتمسك بطاعة السعيد نصر بن أحمد فصلح حاله وذلك سنة ثمان عشرة وثلثمائة (الختل بالخاء المعجمة والتاء فوقها نقطتان والخاء مضمومة والتاء مشددة مفتوحة).

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة شغب الفرسان وتهددوا بخلع الطاعة فاحضر المقتدر قوادهم بين يديه ووعدهم

حضر وهو معتم متلثم فلما نظر الى القوم قد وثبوا على المنصور تقدم ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما أفرجوا وتفرقوا عنه قال من أنت فحسر عن وجهه وقال انا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فلما انصرف المنصور آمنه وحباه وأكرمه وكساه ورتبه

ذكر أن ابن عياش المنتوف ذكر أن المنصور كان جالسا فى مجلسه المبنى على طاق باب خراسان من مدينته التى بناها واضافها الى اسمه وسماها مدينة المنصور مشرفا على دجلة وكان قد بنى على كل باب من أبواب المدينة فى الاعلى من طاقه المعقود مجلسا يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه وكانت أربعة أبواب شوارع مخرقة وطاقات معقودة وهى باقية الى وقتنا هذا الذى هو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فأول أبوابها باب خراسان وكان يسمى باب الدولة لاقبال الدولة العباسية من خراسان ثم باب الشام وهو تلقاء الشام ثم باب الكوفة وهو تلقاء الكوفة ثم باب البصرة وهو تلقاء البصرة وقد أتينا على كيفية خبر بناء هذه المدينة واختيار المنصور لهذه البقعة بين دجلة والفرات ودجيل والصراة وهذه انهار تأخذ من الفرات وأخبار بغداد وعلة تسميتها بهذا الاسم وما قاله الناس فى ذلك وخبر القبة الخضراء وسقوطها فى هذا العصر وقصة قبة الحجاج الخضراء التى كان الحجاج بناها بواسط العراق وبقاؤها

الجبل وان يطلق أرزاقهم في الشهر المقبل فسكنوا ثم شغب الرجالة فأطلقت أرزاقهم وفيها خلع المقتدر على ابنه هرون وركب معه الوزير والجيش وأعطاه ولاية فارس وكرمان وسجستان ومكران وفيها أيضا خلع على ابنه أبي العباس وأقطعه بلاد الغرب ومصر والشام وجعل مؤنسا المظفر يخلفه فيها وفيها صرف ابنا رائق عن الشرطة وقلدها أبو بكر محمد بن ياقوت وفيها وقعت فتنة بنصيبين بين أهل باب الروم والباب الشرقي واقتتلوا قتالا شديدا وأدخلوا اليهم قوما من العرب والسواد فقتل بينهم جماعة وأحرقت المنازل والحوانيت ونهبت الاموال ونزل بهم قافلة عظيمة تريد الشام فنهبوها وفيها توفي يحيى بن محمد بن صاعد البغدادي وكان عمره تسعين سنة وهو من فضلاء المحدثين والقاضي أبو جعفر أحمد بن اسحق بن البهلول التنوخي الفقيه الحنفي وكان عالما بالادب ونحو الكوفيين وله شعر حسن

ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلثمائة

(ذكر تجدد الوحشة بين مؤنس والمقتدر)

في هذه السنة تجددت الوحشة بين مؤنس المظفر وبين المقتدر بالله وكان سببها ان محمد بن ياقوت كان منحرفا على الوزير سليمان ومائلا الى الحسين بن القاسم وكان مؤنس يميل الى سليمان بسبب علي بن عيسى وتقدمه وقوى أمر محمد بن ياقوت وقلد مع الشرطة الحسبة وضم اليه رجالا فقوي بهم فعظم ذلك على مؤنس وسأل المقتدر صرف محمد عن الحسبة وقال هذا شغل لا يجوز أن يتولاه غير القضاة والعدول فاجابه المقتدر وجمع مؤنس اليه أصحابه فلما فعل ذلك جمع ياقوت وابنه الرجال في دار السلطان وفي دار محمد بن ياقوت وقيل لمؤنس ان محمد بن ياقوت قد عزم على كبس دارك ليلا ولم يزل به أصحابه حتى أخرجوه الى باب الشماسية فضربوا مضاربهم هناك وطالب المقتدر بصرف ياقوت عن الحجبة وصرف ابنه عن الشرطة وابعادهما عن الحضرة فأخرجا الى المدائن وقلد المقتدر ياقوتا أعمال فارس وكرمان وقلد ابنه المظفر بن ياقوت أصبهان وقلد أبا بكر محمد بن ياقوت سجستان وتقلد ابنا رائق ابراهيم ومحمد مكان ياقوت وولده الحجبة والشرطة وأقام ياقوت بشيراز مدة وكان علي بن خلف بن طياب ضامنا أموال الضياع والخراج بها فتظافرا وتعاقدا وقطعا الحمل عن المقتدر الى أن ملك علي بن بويه الديلمي بلاد فارس سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة

(ذكر قبض الوزير سليمان ووزارة أبي القاسم الكلوذاني)

وفي هذه السنة قبض المقتدر على وزيره سليمان بن الحسن وكان سبب ذلك ان سليمان ضاقت الاموال عليه اضافة شديدة وكثرت عليه المطالبات ووقفت وظائف السلطان واتصلت رقاع من يرشح نفسه للوزارة بالسعاية به والضمان بالقيام بالوظائف وأرزاق الجند وغير ذلك فقبض عليه ونقله الى داره وكان المقتدر كثير الشهوة لتقليد الحسين بن القاسم الوزارة فامتنع مؤنس من ذلك وأشار بوزارة أبي القاسم الكلوذاني فاضطر المقتدر الى ذلك فاستوزره لثلاث بقين من رجب فكانت وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين وكانت وزارته غير متمكنة أيضا فانه كان علي بن عيسى معه على الدواوين وسائر الامور وأفرد علي بن عيسى عنه بالنظر في المظالم واستعمل على ديوان السواد غيره فانقطعت مواد الوزير فانه كان يقيم من قبله من يشتري توقيعات ارزاق جماعة لا يمكنهم مفارقة ماهم عليه بصدده من الخدمة فكان يعطيهم نصف المبلغ وكذلك ادرارات الفقهاء وأرباب البيوت الى غير ذلك وكان أبو بكر بن قرابة منتميا الى

مفلح

الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في كتابنا الاوسط الذي كتابنا هذا تال له فبينما المنصور جالس في هذا المجلس من أعالي باب خراسان اذ جاءه سهم عائر حتى سقط بين يديه فذعر المنصور منه ذعرا شديدا ثم أخذه فجعل يقلبه فاذا مكتوب عليه بين الريشتين

أتطمع في الحياة الى التنادي ... وتحسب أن مالك من نفاد
ستسئل عن ذنوبك والخطايا ... وتسئل بعد ذاك عن العباد

ثم قرأ عند الريشة الاخرى

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ثم قرأ عند الريشة الاخرى

هي المقادير تجري في أعنتها ... فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس القوم ترفعه ... الى السماء ويوما تخفض العالي

واذا على جانب السهم مكتوب همذان منها رجل مظلوم في حبسك فبعث من فوره بعدة من خاصته ففتشوا الحبوس والمطابق فوجدوا شيخا في بنية من الحبس فيه سراج يسرج على بابه بارية مسبلة واذا الشيخ موثق بالحديد متوجه نحو القبلة يردد هذه الآية وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فسألوه عن بلده فقال

معلح الخادم فاوصله الى المقتدر فذكر له أنه يعرف وجوه مرافق الوزراء فاستعمله عليها ليصلحها للخليفة فسعى في تحصيل ذلك من العمال والضمان والتناء وغيرهم فاخلق بذلك الخلافة وفضح الديوان ووقفت أحوال الناس فان الوزراء وأرباب الولايات لا يقومون باشغال الرعايا والتعب معهم الا لرفق يحصل لهم وليس لهم من الدين ما يحملهم على النظر في أحوالهم فانه بعيد منهم فاذا منعوا تلك المرافق تركوا الناس يضطربون ولا يجدون من يأخذ بأيديهم ولا يقضي حوائجهم فاني قد رأيت هذا عيانا في زماننا هذا وفات به من المصالح العامة والخاصة ما لا يحصى

(ذكر الحرب بين هرون وعسكر مرداويج)

قد ذكرنا فيما تقدم قتل اسفار وملك مرداويج وانه استولى على بلد الجبل والري وغيرهما وأقبلت الديلم اليه من كل ناحية لبذله واحسانه الى جنده فعظمت جيوشه وكثرت عساكره وكثر الخرج عليه فلم يكفه ما في يده ففرق نوابه في النواحي المجاورة له وكان ممن سيره الى همذان ابن أخت له في جيش كثير وكان بها أبو عبد الله محمد بن خلف في عسكر الخليفة فتحاربوا حروبا كثيرة وأعان أهل همذان عسكر الخليفة فظفروا بالديلم وقتل ابن أخت مرداويج فسار مرداويج من الري الى همذان فلما سمع أصحاب الخليفة بسيره انهزموا من همذان فجاء الى همذان ونزل على باب الاسد فتحصن منه أهلها فقاتلهم فظفر بهم وقتل منهم خلقا كثيرا واحرق وسبى ثم رفع السيف عنهم وأمن بقيتهم فانفذ المقتدر هرون بن غريب الخال في عساكر كثيرة الى محاربته فالتقوا بنواحي همذان فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم هرون وعسكر الخليفة واستولى مرداويج على بلاد الجبل جميعها وما وراء همذان وسير قائدا كبيرا من أصحابه يعرف بابن علان القزويني الى الدينور ففتحها بالسيف وقتل كثيرا من أهلها وبلغت عساكره الى نواحي حلوان فغنمت ونهبت وقتلت وسبت الاولاد والنساء وعادوا اليه

(ذكر ما فعله لشكري من المخالفة)

كان لشكري الديلمي من أصحاب اسفار واستأمن الى الخليفة فلما انهزم هرون بن غريب من مرداويج سار معه الى قرميسين وأقام هرون بها واستمد المقتدر ليعاود محاربة مرادويج وسير هرون لشكري هذا الى نهاوند لحمل مال بها اليه فلما صار لشكري بنهاوند ورأى غنى أهلها طمع فيهم وصادرهم على ثلاثة آلاف ألف درهم واستخرجها في مدة أسبوع وجند بها جندا ثم مضى الى اصبهان هاربا من هرون في الجند الذين انضموا اليه في جمادى الآخرة وكان الوالي على أصبهان حينئذ أحمد بن كيغلغ وذلك قبل استيلاء مرداويج عليها فخرج اليه أحمد فحاربه فانهزم أحمد هزيمة قبيحة وملك لشكري اصبهان ودخل أصحابه اليها فنزلوا في الدور والخانات وغيرها ولم يدخل لشكري معهم ولما انهزم أحمد نجا الى بعض قرى اصبهان في ثلاثين فارسا وركب لشكري يطوف بسور اصبهان من ظاهره فنظر الى أحمد في جماعته فسأل عنه فقيل لا شك انه من أصحاب أحمد بن كيغلغ فسار فيمن معه من أصحابه نحوهم وكانوا عدة يسيرة فلما قرب منهم تعارفوا فاقتتلوا فقتل لشكري قتله أحمد بن كيغلغ ضربه بالسيف على رأسه فقد المغفر والخودة ونزل السيف حتى خالط دماغه فسقط ميتا وكان عمر أحمد اذ ذاك قد جاوز السبعين فلما قتل لشكري انهزم من معه فدخلوا اصبهان وأعلموا أصحابهم فهربوا على وجوههم وتركوا أثقالهم وأكثر رحالهم ودخل أحمد الى اصبهان وكان هذا قبل استيلاء مرداويج على اصبهان وكان هذا من الفتح الطريف وكان جزاؤه ان صرف عن اصبهان وولي عليها المظفر بن ياقوت

همذان حمل ووضع بين يدي المنصور فسأله عن حاله فأخبره انه رجل من أبناء مدينة همذان وأرباب نعمها وان واليك علينا دخل بلدنا ولي ضيعة في بلدنا تساوي ألف ألف درهم فاراد أخذها مني فامتنعت فكبلني في الحديد وحملني وكتب اليك اني عاص فطرحت في هذا المكان فقال منذ كم قال منذ أربعة أعوام فأمر بفك الحديد عنه والاحسان اليه والاطلاق له وأنزله أحسن منزل ورده اليه فقال له يا شيخ قد رددنا عليك ضيعتك بخراجها ما عشت وعشنا وأما مدينتك همذان فقد وليناك عليها وأما الوالي فقد حكمناك فيه وجعلنا أمره اليك فجزاه خيرا ودعا له بالبقاء وقال يا أمير المؤمنين أما الضيعة فقد قبلتها وأما الولاية فلا أصلح لها وأما واليك فقد عفوت عنه فأمر له المنصور بمال جزيل ورواسع واستحله وحمله الى بلده مكرما بعد أن صرف الوالي وعاقبه على ما جنى من انحرافه عن سنة العدل وواضحة الحق وسأل الشيخ مكاتبته في مهماته وأخبار بلده واعلامه بما يكون من ولاته على الجريب ثم أنشأ المنصور يقول

من يصحب الدهر لا يأمن تصرفه * يوما وللدهر احلاء وأمرار
لكل شيء وان دامت سلامته * اذا انتهى فله لابد اقصار

وقال المنصور يوما لسالم بن

﴿ذكر ملك مرداويج اصبهان﴾

ثم أنفذ مرداويج طائفة أخرى الى اصبهان فملكوها واستولوا عليها وبنواله فيها مساكن أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى والبساتين فسار مرداويج اليها فنزلها وهو فى أربعين ألفا وقيل خمسين ألفا وأرسل جمعا آخر الى الاهواز فاستولوا عليها وعلى خوزستان وجبوا أموال هذه البلاد والنواحى وقسمها فى أصحابه وجمع منها الكثير فادخره ثم انه أرسل الى المقتدر رسولا يقرر على نفسه مالا على هذه البلاد كلها ونزل المقتدر عن همذان وماه الكوفة فاجابه المقتدر الى ذلك وقوطع على مائتى ألف دينار كل سنة

﴿ذكر عزل الكلوذانى ووزارة الحسين بن القاسم﴾

فى هذه السنة عزل أبو القاسم الكلوذانى عن وزارة الخليفة ووزر الحسين بن القاسم بن عبيد الله ابن سليمان بن وهب وكان سبب ذلك انه كان ببغداد انسان يعرف بالدانيالى وكان زراقا ذكيا محتالا وكان يعتق الكاغد ويكتب فيه بخطه ما يشبه الخط العتيق ويذكر فيه اشارات ورموزا يودعها أسماء أقوام من أرباب الدولة فيحصل له بذلك رفق كثير فمن جملة ما فعله انه وضع فى جملة كتاب ميم ميم ميم يكون منه كذا وكذا وأحضره عند مفلح وقال هذا كناية عنك فانك مفلح مولى المقتدر وذكر له علامات تدل عليه فاغناه فتوصل الحسين بن القاسم معه حتى جعل اسمه فى كتاب وضعه وعتقه وذكر فيه علامة وجهه وما فيه من الآثار ويقول انه يزر للخليفة الثامن عشر من خلفاء بنى العباس وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعادى وتعمر الدنيا فى أيامه وجعل هذا كله فى جملة كتاب ذكر فيه حوادث قد وقعت وأشياء لم تقع بعد ونسب ذلك الى دانيال وعتق الكتاب وأخذه وقرأه على مفلح فلما رأى ذلك أخذ الكتاب وأحضره عند المقتدر وقال له أتعرف فى الكتاب من هو بهذه الصفة فقال ما أعرفه الا الحسين بن القاسم فقال صدقت وان قلبى ليميل اليه فان جاءك منه رسول برقعة فاعرضها على واكتم حاله ولا نطلع على أمره أحدا وخرج مفلح الى الدانيالى فسأله هل تعرف أحدا من الكتاب بهذه الصفة فقال لا أعرف أحدا قال فمن أين وصل اليك هذا الكتاب فقال من أبى وهو ورثه من آبائه وهو من ملاحم دانيال عليه السلام فاعاد ذلك على المقتدر فقبله فعرف الدانيالى ذلك الحسين بن القاسم فلما أعلمه كتب رقعة الى مفلح وأوصلها الى المقتدر ووعده الجميل وأمره بطلب الوزارة واصلاح مؤنس الخادم فكان ذلك من أعظم الاسباب فى وزارته مع كثرة الكارهين له ثم اتفق ان الكلوذانى عمل حسبة بما يحتاج اليه من النفقات وعليها خط أصحاب الدواوين فبقى يحتاج الى سبعمائة ألف دينار وعرضها على المقتدر وقال ليس لهذه جهة الا ما يطلقه أمير المؤمنين لانفقه فعظم ذلك على المقتدر وكتب الحسين بن القاسم لما بلغه ذلك يضمن جميع النفقات ولا يطالبه بشئ من بيت المال وضمن انه يستخرج سوى ذلك ألف ألف دينار يكون فى بيت المال فعرضت رقعته على الكلوذانى فاستقال وأذن له فى وزارة الحسين ومضى الحسين الى بليق وضمن له ما لا يصلح له قلب مؤنس ففعل فعزل الكلوذانى فى رمضان وتولى الحسين الوزارة لليلتين بقيتا من رمضان أيضا وكانت ولاية الكلوذانى شهرين وثلاثة أيام واختص بالحسين بنو البريدى وابن قرابة وشرط أن لا يطلع معه على بن عيسى فاجيب الى ذلك وشرع فى اخراجه من بغداد فاجيب الى ذلك فأخرج الى الصافية

﴿ذكر تأكد الوحشة بين مؤنس والمقتدر﴾

فى هذه السنة فى ذى الحجة تجددت الوحشة بين مؤنس والمقتدر حتى آل ذلك الى قتل المقتدر

وكان

أودعتها أذنا واعية وذكر ابن داب وغيره عن عيسى ابن على قال مازال المنصور يشاورنا فى جميع أموره حتى امتدحه ابراهيم بن هرمة فقال فى قصيدة له

اذا ما أراد الامر ناجى ضميره
فناجى ضميرا غير مختلف العقل
ولم يشرك الادنين فى سر أمره
اذا انتقضت بالاصبعين قوى الحبل

ولما أراد المنصور قتل أبى مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشورة فيه فأرقه ذلك فقال

تقسمنى أمران لم أفتتحهما
بحزم ولم يعرك قواى الكراكر
وما ساور الاحشاء مثل دفينة
من الهم ردتها عليك المصادر
وقد علمت ابناء عدنان أننى
على مثلها مقدامة متجاسر

وقد كان عبد الله بن على خالف على المنصور ودعا الى نفسه من كان معه من أهل الشام وزعم أن السفاح جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتال مروان فلما بلغ المنصور ذلك من فعل عبد الله كتب اليه

سأجعل نفسى منك حيث جعلتها
والدهر أيام لهن عواقب

ثم بعث اليه بأبى مسلم فكانت له معه حروب

وكان سببها ما ذكرناه أولا في غير موضع فلما كان الآن بلغ مؤنسا ان الوزير الحسين بن القاسم قد واقف جماعة من القواد في التدبير عليه فتنكر له مؤنس وبلغ الحسين ان مؤنسا قد تنكر له وانه يريد ان يكبس داره ليلا ويقبض عليه فتنقل في عدة مواضع وكان لا يحضر داره الا بكرة ثم انه انتقل الى دار الخلافة فطلب مؤنس من المقتدر عزل الحسين ومصادرته فاجابه الى عزله ولم يصادره وأمر الحسين بلزوم بيته فلم يقنع مؤنس بذلك فبقي في وزارته وأوقع الحسين عند المقتدر ان مؤنسا يريد أخذ ولده أبي العباس وهو الراضي من داره بالحريم والمسير به الى الشام والبيعة له فرده المقتدر الى دار الخلافة فعلم ذلك أبو العباس فلما أفضت الخلافة اليه فعل بالحسين ما نذكر وكتب الحسين الى هرون وهو بدير العاقول بعد انهزامه من مرداويج ليستقدمه الى بغداد وكتب الى محمد بن ياقوت وهو بالاهواز يأمره بالاسراع الى بغداد فازداد استشعار مؤنس وصح عنده ان الحسين يسعى في التدبير عليه وسنذكر تمام أمره سنة عشرين وثلثمائة

﴿ذكر الحروب بين المسلمين والروم﴾

في هذه السنة في ربيع الاول غزا ثمل والى طرسوس بلاد الروم فعبر نهرا ونزل عليهم ثلج الى صدور الخيل وأتاهم جمع كثير من الروم فواقعوهم فنصر الله المسلمين فقتلوا من الروم ستمائة وأسروا نحوا من ثلاثة آلاف وغنموا من الذهب والفضة والديباج وغيره شيأ كثيرا وفيها في رجب عاد ثمل الى طرسوس ودخل بلاد الروم صائفة في جمع كثير من الفارس والراجل فبلغوا عمورية وكان قد تجمع اليها كثير من الروم ففارقوها لما سمعوا بخبر ثمل ودخلها المسلمون فوجدوا فيها من الامتعة والطعام شيأ كثيرا فأخذوه وأحرقوا ما كانوا عمروه منها وأوغلوا في بلاد الروم ينهبون ويقتلون ويخربون حتى بلغوا انقرة وهي التي تسمى الآن انكورية وعادوا سالمين لم يلقوا كيدا وبلغت قيمة السبي مائة ألف دينار وستة وثلاثين ألف دينار وكان وصولهم الى طرسوس آخر رمضان وفيها كاتب ابن الديراني وغيره من الارمن وهم باطراف ارمينية الروم وحثوهم على قصد بلاد الاسلام ووعدوهم النصرة فسارت الروم في خلق كثير فخربوا بركري وبلاد خلاط وما جاورها وقتلوا من المسلمين خلقا كثيرا وأسروا كثيرا منهم فبلغ خبرهم مفلحا غلام يوسف بن أبي الساج وهو والى اذربيجان فسار في عسكر كبير وتبعه كثير من المتطوعة الى ارمينية فوصلها في رمضان وقصد بلد ابن الديراني ومن وافقه لحربه وقتل أهله ونهب أموالهم وتحصن ابن الديراني بقلعة له وبالغ الناس في كثرة القتلى من الارمن حتى قيل انهم كانوا مائة ألف قتيل والله أعلم وسارت عساكر الروم الى سميساط فحصروها فاستصرخ أهلها بسعيد بن حمدان وكان المقتدر قد ولاه الموصل وديار ربيعة وشرط عليه غزو الروم وان يستنقذ ملطية منهم وكان أهلها قد ضعفوا عن الروم وسلموا مفاتيح البلد اليهم فحكموا على المسلمين فلما جاء رسول أهل سميساط الى سعيد بن حمدان تجهز وسار اليهم مسرعا فوصل وقد كاد الروم يفتحونها فلما قاربهم هربوا منه وسار منها الى ملطية وبها جمع من الروم ومن عسكر مليح الارمني ومعهم بني بن نفيس صاحب المقتدر وكان قد تنصر وهو مع الروم فلما أحسوا باقبال سعيد خرجوا منها وخافوا ان يأتيهم سعيد في عسكره من خارج المدينة ويثور أهلها بهم فيهلكوا ففارقوها ودخلها سعيد ثم استخلف عليها أميرا وعاد عنها فدخل بلد الروم غازيا في شوال وقدم بين يديه سرية فقتلا من الروم خلقا كثيرا قبل دخوله اليها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

كثيرة ببلاد نصيبين المعروفة بدير الاعور وصبر الفريقان شهورا على حربها واحتفروا الخنادق ثم انهزم عبد الله بن علي فيمن كان معه وسار في نفر من خواصه الى البصرة وعليها أخوه سليمان بن علي عم المنصور وظفر أبو مسلم بما كان في عسكر عبد الله فبعث اليه المنصور يقطين بن موسى لقبض الخزائن فلما دخل يقطين على أبي مسلم قال السلام عليك أيها الامير قال لا سلم الله عليك يا ابن اللخناء أوتمن على الدماء ولا أوتمن على الاموال فقال له ما بدا هذا منك أيها الامير قال أرسلك صاحبك لتقبض ما في يدي من الخزائن فقال له امرأته طالق ثلاثا ان كان أمير المؤمنين وجهني اليك لغير تهنئتك بالظفر فاعتنقه أبو مسلم وأجلسه الى جانبه فلما انصرف قال لاصحابه والله اني لاعلم انه قد طلق زوجته ولكنه وفى لصاحبه وسار أبو مسلم من الجزيرة وقد أجمع على خلاف المنصور واجتاز على طريق خراسان متنكبا للعراق يريد خراسان وسار المنصور من الانبار يريد المدائن فنزل برومية المدائن التي بناها كسرى وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكتب الى أبي مسلم اني قد اردت مذاكرتك أشياء لم يحملها الكتاب وأقبل فان مقامك عندنا قليل فقرأ الكتاب ومضى على حاله فمرح

في هذه السنة في شوال جاء الى تكريت سيل كثير من المطر نزل في البر فغرق منها أربعمائة دار ودكان وارتفع الماء في أسواقها أربعة عشر شبرا وغرق خلق كثير من الناس ودفن المسلمون والنصارى مجتمعين لا يعرف بعضهم من بعض وفيها هاجت بالموصل ريح شديدة فيها حمرة شديدة ثم اسودت حتى لا يعرف الانسان صاحبه وظن الناس ان القيامة قد قامت ثم جاء الله تعالى بمطر وكشف ذلك وفيها توفي أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي في شعبان وهو من متكلمي المعتزلة البغداديين

﴿ثم دخلت سنة عشرين وثلثمائة﴾

﴿ذكر مسير مؤنس الى الموصل﴾

في هذه السنة في المحرم سار مؤنس المظفر الى الموصل مغاضبا للمقتدر وسبب مسيره انه لما صح عنده ارسال الوزير الحسين بن القاسم الى هرون بن غريب ومحمد بن ياقوت يستحضرهما ازداد استيحاشه ثم سمع بان الحسين قد جمع الرجال والغلمان الحجرية في دار الخليفة وقد اتفق فيهم وان هرون بن غريب قد قرب من بغداد أظهر الغضب وسار نحو الموصل ووجه خادمه بشرى برسالة الى المقتدر فسأله الحسين عن الرسالة فقال لا أذكرها الا لامير المؤمنين فانفذ اليه المقتدر يأمره بذكر ما معه من الرسالة للوزير فامتنع وقال ما أمرني صاحبي بهذا فسبه الوزير وشتم صاحبه وأمر بضربه وصادره بثلثمائة ألف دينار وأخذ خطه بها وحبسه ونهب داره فلما بلغ مؤنسا ما جرى على خادمه وهو ينتظر أن يطيب المقتدر قلبه ويعيده فلما علم ذلك سار نحو الموصل ومعه جميع قواده وكتب الحسين الى القواد والغلمان يأمرهم بالرجوع الى بغداد فعاد جماعة وسار مؤنس نحو الموصل في أصحابه ومماليكه ومعه من الساجية ثمانمائة رجل وتقدم الوزير بقبض اقطاع مؤنس وأملاكه وأملاك من معه فحصل من ذلك مال عظيم وزاد ذلك في محل الوزير عند المقتدر فلقبه عميد الدولة وضرب اسمه على الدينار والدرهم وتمكن من الوزارة وولى وعزل وكان فيمن تولى أبو يوسف يعقوب بن محمد البريدي ولاه الوزير البصرة وجميع أعمالها بمبلغ لا يفي بالنفقات على البصرة وما يتعلق بها بل فضل لابي يوسف مقدار ثلاثين ألف دينار أحاله الوزير بها فلما علم ذلك الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات استدرك على أبي يوسف وأظهر له الغلط في الضمان وانه لا يمضيه فاجاب الى ان يقوم بنفقات البصرة ويحمل الى بيت المال كل سنة ثمانين ألف دينار وانتهى ذلك الى المقتدر فحسن موقعه عنده فقصده الوزير فاستتر وسعى بالوزير الى المقتدر الى ان فسد حاله

﴿ذكر عزل الحسين عن الوزارة﴾

وفيها عزل الحسين بن القاسم عن الوزارة وسبب ذلك انه ضاقت عليه الاموال وكثرت الاخراجات فاستسلف في هذه السنة جملة وافرة أخرجها في سنة تسع عشرة فانهى هرون بن غريب ذلك الى المقتدر فرتب معه الخصيبي فلما ولي معه نظر في أعماله فرآه قد عمل حسبة الى المقتدر ليس فيها عليه وجه وموه وأظهر ذلك للمقتدر فامر بجمع الكتاب وكشف الحال فحضروا واعترفوا بصدق الخصيبي بذلك وقابلوا الوزير بذلك فقبض عليه في شهر ربيع الآخر وكانت وزارته سبعة أشهر واستوزر المقتدر أبا الفتح الفضل بن جعفر وسلم اليه الحسين فلم يؤاخذه باساءته

﴿ذكر استيلاء مؤنس على الموصل﴾

قد ذكرنا مسير مؤنس الى الموصل فلما سمع الحسين الوزير بمسيره كتب الى سعيد وداود ابني

حمدان

اليه المنصور جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي وكان واحد أهل زمانه وداهية عصره وكانت المعرفة بينه وبين أبي مسلم قديمة بخراسان فأتاه فقال أيها الامير ضربت الناس عن عرض لاهل هذا البيت ثم تنصرف على هذه الحالة ما آمن أن يعيبك من هنالك ومن ههنا وأن يقال طلب بثار قوم ثم نقض بيعتهم فيخالفك من يأمن مخالفته اياك وان الامر لم يبلغ عند خليفتك ما تكره ولا أرى أن تنصرف على هذه الحال فأراد أن يجيب الى الرجوع فقال له مالك بن الهيثم لا تفعل فقال لمالك ويلك لقد بليت بابليس وما بليت بمثل هذا يعني الجريري فلم يزل به حتى اقبل به على المنصور وكان أبو مسلم يجد خبره في الكتب السالفة وزعمه وأنه يقتل بالروم وكان يكثر من قول ذلك وانه يقتل بالروم على حسب ما وجد في الملاحم وأنه يميت دولة ويحيي أخرى فلما دخل على المنصور وقد تلقاه الناس رحب به وقال له كدت أن تمضي قبل أن أفضي اليك بما أريد فقال فقد أتيت يا أمير المؤمنين وأمر بأمرك فأمره بالانصراف الى منزله وانتظر فيه الفرص والغوائل فركب أبو مسلم الى المنصور مرارا وقد أظهر له التجني فسار أبو مسلم الى عيسى بن موسى وكان له فيه رأي جميل فسأله

حمدان والى ابن أخيهما ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان يأمرهم بمحاربة مؤنس وصده عن الموصل وكان مؤنس كتب فى طريقه الى رؤساء العرب يستدعيهم ويبذل لهم الاموال والخلع ويقول لهم ان الخليفة قد ولاه الموصل وديار ربيعة واجتمع بنو حمدان على محاربة مؤنس الا داود بن حمدان فانه امتنع من ذلك لاحسان مؤنس اليه فانه كان قد أخذه بعد أبيه ورباه فى حجره وأحسن اليه احسانا عظيما فلما امتنع من محاربته لم يزل به اخوته حتى وافقهم على ذلك وذكروا له اساءة الحسين وأبى الهيجاء ابنى حمدان الى المقتدر مرة بعد مرة وانهم يريدون يغسلون تلك السيئة ولما أجابهم قال لهم والله انكم لتحملوننى على البغى وكفران الاحسان وما آمن ان يجيئنى سهم عائر فيقع فى نحرى فيقتلنى فلما التقوا أتاه سهم كما وصف فقتله وكان مؤنس اذا قيل له ان داود عازم على قتالك ينكره ويقول كيف يقاتلنى وقد أخذته طفلا وربيته فى حجرى ولما قرب مؤنس من الموصل كان فى ثمانمائة فارس واجتمع بنو حمدان فى ثلاثين ألفا والتقوا واقتتلوا فانهزم بنو حمدان ولم يقتل منهم غير داود وكان يلقب بالمجفجف وفيه يقول بعض الشعراء وقد هجا أميرا

لو كنت فى ألف ألف كلهم بطل * مثل المجفجف داود بن حمدان
وتحتك الريح تجرى حيث تأمرها * وفى يمينك سيف غير خوان
لكنت أول فرار الى عدن * اذا تحرك سيف من خراسان

وكان داود هذا من أشجع الناس ودخل مؤنس الموصل ثالث صفر واستولى على أموال بنى حمدان وديارهم فخرج اليه كثير من العساكر من بغداد والشام ومصر من أصناف الناس لاحسانه كان اليهم وعاد اليه ناصر الدولة بن حمدان فصار معه وأقام بالموصل تسعة أشهر وعزم على الانحدار الى بغداد

(ذكر قتل المقتدر)

لما اجتمعت العساكر على مؤنس بالموصل قالوا له اذهب بنا الى الخليفة فان انصفنا وأجرى ارزاقنا والا قاتلناه فانحدر مؤنس من الموصل فى شوال وبلغ خبره جند بغداد فشغبوا وطلبوا ارزاقهم ففرق المقتدر فيهم أموالا كثيرة الا انه لم يشبعهم وأنفذ أبا العلاء سعيد بن حمدان وصافيا البصرى فى خيل عظيمة الى سر من رأى وأنفذ أبا بكر محمد بن ياقوت فى ألفى فارس ومعه الغلمان الحجرية الى المعشوق فلما وصل مؤنس الى تكريت أنفذ طلائعه فلما قربوا من المعشوق جعل العسكر الذين مع ابن ياقوت يتسللون ويهربون الى بغداد فلما رأى ذلك رجع الى عكبرا وسار مؤنس فتأخر ابن ياقوت وعسكره وعادوا الى بغداد فنزل مؤنس بباب الشماسية ونزل ابن ياقوت وغيره مقابلهم واجتهد المقتدر بابن خاله هرون بن غريب ليخرج فلم يفعل وقال أخاف من عسكرى فان بعضهم أصحاب مؤنس وبعضهم قد انهزم أمس من مرداويج فأخاف ان يسلمونى وينهزموا عنى فانفذ اليه الوزير فلم يزل به حتى أخرجه وأشاروا على المقتدر باخراج المال منه ومن والدته ليرضى الجند ومتى سمع أصحاب مؤنس بتفريق الاموال تفرقوا عنه واضطر الى الهرب فقال لم يبق لى ولا لوالدتى جهة شئ وأراد المقتدر ان ينحدر الى واسط ويكاتب العساكر من جهة البصرة والاهواز وفارس وكرمان وغيرها ويترك بغداد لمؤنس الى ان يجتمع عليه العساكر ويعود الى قتاله فرده ابن ياقوت عن ذلك وزين له اللقاء وقوى نفسه بان القوم متى رأوه عادوا باجمعهم اليه فرجع الى قوله وهو كاره ثم أشار عليه بحضور الحرب فخرج وهو كاره وبين يديه الفقهاء والقراء معهم المصاحف مشهورة وعليه البردة والناس حوله فوقف على تل عال بعيد

الركوب معه الى المنصور ليعزله بحضرته فأمره أن يتقدمه الى المنصور فانه بالاثر فتقدم أبو مسلم الى مضرب المنصور وهو على دجلة برومية المدائن فدخل وجلس تحت الشراع وقيل الرواق فأخبر أن المنصور يتوضأ للصلاة وكان المنصور قد تقدم الى صاحب حرسه عثمان فى عدة فيهم شبيب بن رواح المروزى وأبو حنيفة حرب ابن قيس وأمرهم أن يقوموا خلف السرير الذى وراء أبى مسلم وأمرهم أنه اذا عاتبه وظهر صوته لا يظهروا فاذا صفق بيد على يد فليظهروا وليضربوا عنقه وما ادركوا منه بسيوفهم وجلس المنصور وقام أبو مسلم من موضعه ودخل فسلم عليه فرد عليه وأذن له بالجلوس وحادثه ساعة ثم اقبل يعاتبه ويقول فعلت وفعلت فقال أبو مسلم ليس يقال هذا لى بعد بلائى وما كان منى فقال له يا ابن الخبيثة وانما فعلت ذلك بجدنا وحظوظنا ولو كان مكانك أمة سوداء لاجزت ألست الكاتب الى تبدأ بنفسك والكاتب الى تخطب آسية بنت على وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله بن العباس لقد ارتقيت لا ام لك مرتقى صعبا فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبلها ويعتذر اليه فقال المنصور وهو آخر ما كلمه به قتلنى الله ان لم أقتلك وذكر له قتله لسليمان بن كثير ثم صفق باحدى يديه على الاخرى فخرج اليه القوم فبدره عثمان بن

عن المعركة فارسل قواد أصحابه يسألونه التقدم مرة بعد أخرى وهو واقف فلما ألحوا عليه تقدم من موضعه فانهزم أصحابه قبل وصوله اليهم وكان قد أمر فنودى من جاء باسير فله عشرة دنانير ومن جاء برأس فله خمسة دنانير فلما انهزم أصحابه لقيه على بن بليق وهو من أصحاب مؤنس فترجل وقبل الارض وقال له الى أين تمضى ارجع فلعن الله من أشار عليك بالحضور فاراد الرجوع فلقيه قوم من المغاربة والبربر فتركه على معهم وسار عنه فشهروا عليه سيوفهم فقال ويحكم انا الخليفة فقالوا قد عرفناك ياسفلة أنت خليفة ابليس تبذل فى كل رأس خمسة دنانير وفى كل أسير عشرة دنانير وضربه أحدهم بسيفه على عاتقه فسقط الى الارض وذبحه بعضهم فقيل ان على بن بليق غمز بعضهم فقتله وكان المقتدر ثقيل البدن عظيم الجثة فلما قتلوه رفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه وأخذوا جميع ماعليه حتى سراويله وتركوه مكشوف العورة الى ان مر به رجل من الاكرة فستره بحشيش ثم حفر له موضعه ودفن وعفى قبره وكان مؤنس فى الراشدية لم يشهد الحرب فلما حمل رأس المقتدر اليه بكى ولطم وجهه ورأسه وقال يامفسدون ماهكذا أوصيتكم وقال قتلتموه وكان هذا آخر أمره والله لنقتلن كلنا وأقل مافى الامر انكم تظهرون انكم قتلتموه خطأ ولم تعرفوه وتقدم مؤنس الى الشماسية وانفذ الى دار الخليفة من يمنعها من النهب ومضى عبد الواحد بن المقتدر وهرون بن غريب ومحمد بن ياقوت وابنا رائق الى المدائن وكان مافعله مؤنس سببا لجراءة أصحاب الاطراف على الخلفاء وطمعهم فيما لم يكن يخطر لهم على بال وانخرقت الهيبة وضعف أمر الخلافة حتى صار الامر الى مانحكيه على ان المقتدر أهمل من أحوال الخلافة كثيرا وحكم فيها النساء والخدم وفرط من الاموال وعزل من الوزراء وولى ماأوجب طمع أصحاب الاطراف والنواب وخروجهم عن الطاعة وكان جملة ماأخرجه من الاموال تبذيرا وتضييعا فى غير وجه نيفا وسبعين ألف ألف دينار سوى ماأنفقه فى الوجوه الواجبة واذا اعتبرت أحوال الخلافة فى أيامه وأيام أخيه المكتفى ووالده المعتضد رأيت بينهم تفاوتا بعيدا وكانت مدة خلافته أربعا وعشرين سنة واحد عشر شهرا وستة عشر يوما وكان عمره ثمانية وثلاثين سنة ونحوا من شهرين

﴿ ذكر خلافة القاهر بالله ﴾

لما قتل المقتدر بالله عظم قتله على مؤنس وقال الرأى ان ننصب ولده أبا العباس أحمد فى الخلافة فانه تربيتى وهو صبى عاقل وفيه دين وكرم ووفاء بما يقول فاذا جلس فى الخلافة سمحت نفس جدته والدة المقتدر واخوته وغلمان أبيه ببذل الاموال ولم ينتطح فى قتل المقتدر عنزان فاعترض عليه أبو يعقوب اسحق بن اسمعيل النوبختى وقال بعد الكد والتعب استرحنا من خليفة له أم وخالة وخدم يدبرونه فنعود الى تلك الحال والله لا نرضى الا برجل كامل يدبر نفسه ويدبرنا ومازال حتى رد مؤنسا عن رأيه وذكر له أبا منصور محمد بن المعتضد فاجابه مؤنس الى ذلك وكان النوبختى فى ذلك كالباحث عن حتفه بظلفه فان القاهر قتله كما نذكره وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم وأمر مؤنس باحضار محمد بن المعتضد فبايعوه بالخلافة لليلتين بقيتا من شوال ولقبوه القاهر بالله وكان مؤنس كارها لخلافته والبيعة له ويقول انى عارف بشره وسوء نيته ولكن لا حيلة ولما بويع استحلفه مؤنس لنفسه ولحاجبه بليق ولعلى بن بليق وأخذوا خطه بذلك واستقرت الخلافة له وبايعه الناس واستوزر أبا على بن مقلة وكان بفارس فاستقدمه ووزر له واستحجب القاهر على بن بليق وتشاغل القاهر بالبحث عمن استتر من أولاد

المقتدر

نهيك فضربه ضربة خفيفة بالسيف قطعت نجاد سيف أبى مسلم وضربه شبيب بن رواح فقطع رجله واعتورته السيوف فخلطت اجزاءه وأتى عليه والمنصور يصيح اضربوا قطع الله أيديكم وقد كان أبو مسلم على أول ضربة قال استبقنى ياأمير المؤمنين لعدوك قال لا أبقانى الله أبدا ان أبقيتك وأى عدوّ أعدى لى منك وكان قتله فى شعبان سنة ست وثلاثين ومائة وفيها كانت بيعة المنصور وهزيمة عبدالله بن على وادرج أبو مسلم فى بساط ودخل عيسى ابن موسى فقال ياأمير المؤمنين أين أبو مسلم فقال قد كان ههنا آنفا فقال ياأمير المؤمنين قد عرفت طاعته ونصيحته ورأى ابراهيم الامام فيه فقال له المنصور ياأنوك خلق الله ماأعلم فى الارض عدوا أعدى لك منه هاهو ذاك فى بساط فقال عيسى انا لله وانا اليه راجعون (ودخل) عليه جعفر بن حنظلة فقال له المنصور ماتقول فى أمر أبى مسلم فقال ياأمير المؤمنين ان كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل فقال المنصور وفقك الله هاهو فى البساط فلما نظر اليه قتيلا قال ياأمير المؤمنين عد هذا اليوم أول خلافتك وقد كان السفاح هم بقتله برأى المنصور ثم رجع عن قتله واقبل المنصور على من حضره وأبو مسلم بين يديه طريحا فقال

زعمت أن الدين لا يقتضى * فاستوف بالكيل أبا مجرم

المقتـدر وحرمه وبعناظـرة والده المقتـدر وكانت مريضـة قد ابتـدأ بها الاستسـقاء وقد زاد مرضها بقتـل ابنها ولما سمعت انه بقي مكشوف العورة جزعت جزعا شـديدا وامتنعت من المأكول والمشروب حتى كادت تهلك فوعظها النساء حتى أكلت شـيأ يسيرا من الخبز والملح ثم أحضرهـا القاهر عنـده وسألهـا عن مالهـا فاعترفت له بما عنـدها من المصوغ والثياب ولم تعترف بشيء من المال والجوهر فضربها أشـد ما يكون من الضرب وعلقها برجلها وضرب المواضع الغامضة من بدنها فحلفت انها لا تملك غير ما أطلعته عليه وقالت لو كان عندي مال لما أسلمت ولدي للقتل ولم تعترف بشيء وصادر جميع حاشـية المقتدر وأصحابه وأخرج القاهر والده المقتـدر لتشهد على نفسها القضاء والعـدول بانها قد حلت أوقافها ووكلت في بيعها فامتنعت من ذلك وقالت قد أوقفتها على أبواب البر والقرب بمكة والمدينة والثغور وعلى الضعفى والمساكين ولا أستحـل حلها ولا بيعها وانما أوكل على بيع أملاكي فلما علم القاهر بذلك أحضر القاضي والعدول وأشهدهم على نفسه انه قد حل وقوفها جميعها ووكل في بيعها فبيع ذلك جميعه مع غيره واشتراه الجند من أرزاقهم وتقدم القاهر بكبس الدور التي سعي اليه انه اختفى فيها ولد المقتدر فلم يزل كذلك الى ان وجدوا منهم أبا العباس الراضي وهرون وعليا والعباس وابراهيم والفضـل فحملوا الى دار الخليفة فصودروا على مال كثير وسلمهم على بن بليق الى كاتبه الحسـن بن هرون فاحسن صحبتهم واستقر أبو علي بن مقلة في الوزارة وعزل وولى وقبض على جماعة من العـمال وقبض على بني البريدي وعزلهم عن أعمالهم وصادرهم

(ذكر وصول وشمكير الى أخيه مرداويج)

وفيها أرسل مرداويج الى أخيه وشمكير وهو ببلاد جيلان يستدعيه اليه وكان الرسول ابن الجعد قال أرسلني مرداويج وأمرني بالتلطف لاخراج أخيه وشمكير اليه فلما وصلت سألت عنه فدللت عليـه فاذا هو مع جماعة يزرعون الارز فلما رأوني قصـدوني وهم حفاة عراة عليهم سراويلات ملونة الخرق وأكسـية ممزقة فسلمت عليـه وأبلغته رسالة أخيـه وأعلمته بما ملك من البـلاد والاموال وغيرها فضرط بفمه في لحية أخيه وقال انه لبس السواد وخدم المسودة يعني الخلفاء من بني العباس فلم أزل أمنيه وأطمعه حتى خرج معي فلما بلغنا قزوين اجتهدت به ليلبس السواد فامتنع ثم لبس بعـد الجهد قال فرأيت من جهله أشـياء أستحي من ذكرها ثم أعطتـه السعادة ما كان له في الغيب فصار من أعرف الملوك بتدبير الممالك وسياسة الرعايا

(ذكر عدة حوادث)

فيها توفي القاضي أبو عمر محمـد بن يوسف بن يعقوب بن اسمعيل بن حمـاد بن زيد وكان عالما فاضـلا حليما وأبو علي الحسين بن صالح بن خـيزران الفقيه الشافعي وكان عابدا ورعا اريد على القضاء فلم يفعل وفيها توفي أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي الفقيه الشافعي الجرجاني المعروف بالاستراباذي

ثم دخلت سنة احدى وعشرين وثلثمائة

(ذكر حال عبد الواحد بن المقتدر ومن معه)

قد ذكرنا هرب عبد الواحد بن المقتـدر وهرون بن غريب ومفلح ومحمد بن ياقوت وابنا رائق بعـد قتل المقتـدر الى المدائن ثم انهم انحدروا منها الى واسط وأقاموا بها وخافهم الناس وابتدأ هرون ابن غريب وكتب الى بغـداد يطلب الامان ويبذل مصادرة ثلثمائة ألف دينار على ان يطلق له أملاكه ويعزل عن الاملاك التي استأجرها ويؤدي من أملاكه حقوق بيت المال القديمة

اشرب بكاس كنت تسقي بها * أمر في الحلق من العلقم

ودعا المنصور بنصر بن مالك وكان على شرطة أبي مسـلم فقال استشارك أبو مسلم بالمسير الي فنهيته قال نعم قال ولم قال سمعت أخاك ابراهيم الامام يحدث عن أبيه قال لا يزال المرء يزداد في عقله اذا محض النصيحة لمن شاوره فكنت له كذلك وأنا الآن لك كذلك واضطرب أصحاب أبي مسلم ففـرقت فيهـم الاموال وعلموا بقتله فامسكوا رغبة ورهبة وخطب المنصور الناس بعد قتله أبا مسـلم فقال أيها الناس لا تخرجوا عن أنس الطاعة الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الائمـة فان من أسر غش امامـه أظهر الله سريرته في فلتات لسانه وسقطات أفعاله وأبداها الله لامامه الذي بادر باعزاز دينه به واعلاء حقـه بفلجه انا لم نبخسكم حقوقكم ولم نبخس الدين حقـه عليكم انه من نازعنا هذا القميص أوطأناه ما في هذا الغمـد وان أبا مسلم بايعنا وبايع لنا على انه من نكث بيعتنا فقد أباح دمه لنا ثم نكث بنا فحكمنا عليه لانفسنا حكمه على غيره لنا ولم تمنعنا رعاية الحق له من اقامة الحق عليه ولما نعي قتل أبي مسلم الى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الجرميـة وهي الطائفة التي تدعى بالمسلمية القائلون بأبي مسـلم وامامته وقد تنازعوا في ذلك بعد وفاته فمنهم من رأى انه لم يمت ولن يموت حـتى يظهر فينا

فاجابه القاهر ومؤنس الى ذلك وكتبوا له كتاب أمان وقلدا اعمال ماه الكوفة وماسبذان ومهرجانقذق وسار الى بغداد وخرج عبد الواحد بن المقتدر من واسط فيمن بقي معه ومضوا الى السوس وسوق الاهواز وجبوا المال وطردوا العمال وأقاموا بالاهواز فجهز مؤنس اليهم جيشا كثيفا وجعل عليهم بليق وكان الذى حرضهم على انفاذ الجيش أبو عبد الله البريدى فانه كان قد خرج من الحبس فخوفهم عاقبة اهمال عبد الواحد ومن معه وبذل مساعدة بجملة خمسين ألف دينار على ان يتولى الاهواز وعند استقراره بتلك البلاد يحمل باقى المال وأمر مؤنس بالتجهز وأنفق ذلك المال وسار العسكر وفيهم أبو عبد الله وكان محمد بن ياقوت قد استبد بالاموال والامر فنفرت لذلك قلوب من معه من القواد والجند فلما قرب العسكر من واسط أظهر من معه من القواد ما فى نفوسهم وفارقوه ولما وصل بليق الى السوس فارق عبد الواحد ومحمد بن ياقوت الاهواز وسارا الى تستر فعمل القراريطى وكان مع العسكر باهل الاهواز مالم يفعله أحد نهب أموالهم وصادرهم جميعهم ولم يسلم منهم أحد ونزل عبد الواحد وابن ياقوت بتستر وفارقهما من معهما من القواد الى بليق بامان وبقى مفلح ومسرور الخادم مع عبد الواحد فقالا لمحمد بن ياقوت أنت معتصم بهذه المدينة وبمالك ورجالك وأما نحن فلا مال معنا ولا رجال ومقامنا معك يضرك ولا ينفعك وقد عزمنا على أخذ الامان لنا ولعبد الواحد بن المقتدر فاذن لهما فى ذلك وكتبا الى بليق فامنهم فعبروا اليه وبقى محمد بن ياقوت منفردا فضعفت نفسه وتحير فتراسل هو وبليق واستقر بينهما انه يخرج الى بليق على شرط انه يؤمنه ويضمن له أمان مؤنس والقاهر ففعل ذلك وحلف له وخرج محمد بن ياقوت معه الى بغداد واستولى أبو عبد الله البريدى على البلاد وعسف أهلها وأخذ أموال التجار وعمل بأهل البلاد مالا يعمله الفرنج ولم يمنعه أحد عما يريد ولم يكن عنده من الدين ما يزعه عن ذلك وعاد اخوته الى أعمالهم ولما عاد عبد الواحد ومحمد بن ياقوت وفى لهم القاهر وأطلق لعبد الواحد أملاكه وترك لوالدته المصادرة التى صادرها بها

﴿ذكر استيحاش مؤنس وأصحابه من القاهر﴾

فى هذه السنة استوحش مؤنس المظفر وبليق الحاجب وولده على والوزير أبو على بن مقلة من القاهر وضيقوا عليه وعلى أسبابه وكان سبب ذلك ان محمد بن ياقوت تقدم عند القاهر وعلت منزلته وصار يخلو به ويشاوره فعظم ذلك على ابن مقلة لعداوة كانت بينه وبين محمد فالقى الى مؤنس ان محمدا يسعى به عند القاهر وان عيسى الطبيب يسفر بينهما فى التدبير عليه فوجه مؤنس على بن بليق لاحضار عيسى بن الطبيب فوجده بين يدى القاهر فأخذه وأحضره عند مؤنس فسيره من ساعته الى الموصل واجتمعوا على الايقاع بمحمد بن ياقوت وكان فى الخيام فركب على بن بليق فى جنده ليكبسه فوجده قد اختفى فنهب أصحابه واستتر محمد بن ياقوت ووكل على بن بليق على دار الخليفة أحمد بن زيرك وأمره بالتضييق على القاهر وتفتيش كل من يدخل من الدار ويخرج منها وان يكشف وجوه النساء المنقبات وان وجد مع أحد رقعة دفعها الى مؤنس ففعل ذلك وزاد عليه حتى انه حمل الى دار الخليفة لبن فادخل يده فيه لئلا يكون فيه رقعة ونقل بليق من كان بدار القاهر محبوسا الى داره كوالدة المقتدر وغيرها وقطع أرزاق حاشيته فاما والدة المقتدر فانها كانت قد اشتدت علتها لشدة الضرب الذى ضربها القاهر فاكرمها على بن بليق وتركها عند والدته فماتت فى جمادى الآخرة وكانت مكرمة ميمونة فى أولاد

عدلا وفرقة قطعت بموته وقالت بامامة ابنته فاطمة وهؤلاء يدعون الفاطمية وأكثر الجرمية فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة الكوركية والنورساعية وهاتان الفرقتان أعظم الجرمية ومنهم كان بابك الجرمى الذى خرج على المأمون والمعتصم بالمدائن من أرض الران وأذربيجان وسنأتى على خبره وخبر مقتله فى أخبار المعتصم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله وأكثر الجرمية ببلاد خراسان والرى واصبهان وأذربيجان وكرخ أبى دلف والبرج الموضع المعروف بالدق والدرسجان ثم ببلاد الصروان والصيرة وأدلوجان من بلاد ماسبذان وغيرها من تلك الامصار وأكثر هؤلاء فى القرى والضياع وسيكون لهم عند أنفسهم شان وظهور يراعونه وينتظرونه فى المستقبل من الزمان ويعرفون هؤلاء بخراسان وغيرها بالباطنية وقد اتينا على مذاهبهم وذكر فرقهم فى كتابنا فى المقالات فاجتمعت الجرمية حين علمت بقتل أبى مسلم فسارت فى عسكر عظيم من بلاد خراسان الى الرى فغلب عليها وعلى جرمس وما يليها وقبض على ما كان بالرى من خزائن أبى مسلم وكبيرهم يستفاد بن حوله من أهل الجبال وطبرستان ولما اتصل خبر مسيره بالمنصور سرح اليه جهور بن مروان العجلى فى عشرة آلاف رجل وتلاه بالعساكر

المقتدر

ودفنت بتربتها بالرصافة وضيق علي بن بليق على القاهر فعلم القاهر ان العتاب لا يفيد وان ذلك برأي مؤنس وابن مقلة فأخذ في الحيلة والتدبير على جماعتهم وكان قد عرف فساد قلب طريف السبكري وبشر خادم مؤنس لبليق وولده علي وحسدهما على مراتبهما فشرع في اغرائهما ببليق وابنه وعلم أيضا ان مؤنسا وبليق أكثر اعتمادهما على الساجية أصحاب يوسف ابن أبي الساج وغلمانه المنتقلين اليهما بعده وكانا قد وعدا الساجية بالموصل مواعيد أخلفاها فأرسل القاهر اليهم يغريهم بمؤنس وبليق ويحلف لهم على الوفاء بما أخلفاهم فتغيرت قلوب الساجية ثم انه راسل أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله وكان من أصحاب ابن مقلة وصاحب مشورته ووعده الوزارة فكان يطالعه بالاخبار وبلغ ابن مقلة ان القاهر قد تغير عليه وأنه مجتهد في التدبير عليه وعلى مؤنس وبليق وابنه علي والحسن بن هرون فأخبرهم ابن مقلة بذلك

﴿ ذكر القبض على مؤنس وبليق ﴾

في هذه السنة أول شعبان قبض القاهر بالله على بليق وابنه ومؤنس المظفر وسبب ذلك انه لما ذكر ابن مقلة لمؤنس وبليق ما هو عليه القاهر من التدبير في استئصالهم خافوه وحملهم الخوف على الجد في خلعه واتفق رأيهم على استخلاف أبي أحمد بن المكتفي وعقدوا له الامر سرا وحلف له بليق وابنه علي والوزير أبو علي بن مقلة والحسن بن هرون وبايعوه ثم كشفوا الامر لمؤنس فقال لهم لست أشك في شر القاهر وخبثه ولقد كنت كارها لخلافته وأشرت بابن المقتدر فخالفتم وقد بالغتم الآن في الاستهانة به وما صبر على الهوان الا من خبث طويته ليدبر عليكم فلا تعجلوا على أمر حتى تؤنسوه وينبسط اليكم ثم فتشوا وتعرفوا من واطأه من القواد ومن الساجية والحجرية ثم اعملوا على ذلك فقال علي بن بليق والحسن بن هرون ما يحتاج الى هذا التطويل فان الحجبة لنا والدار في أيدينا وما يحتاج ان نستعين في القبض عليه بأحد لانه بمنزلة طائر في قفص وعملوا على معاجلته فاتفق ان سقط بليق عن الدابة فاعتل ولزم منزله واتفق ابنه علي وأبو علي بن مقلة وزينا لمؤنس خلع القاهر وهونا عليه الامر فاذن لهما فاتفق رأيهما على ان يظهروا ان أبا طاهر القرمطي قد ورد الكوفة في خلق كثير وأن علي بن بليق سائرا اليه في الجيش ليمنعه عن بغداد فاذا دخل على القاهر ليودعه ويأخذ أمره فيما يفعل قبض عليه فلما اتفقا على ذلك جلس ابن مقلة وعنده الناس فقال لابي بكر بن قرابة أعلمت ان القرمطي قد دخل الكوفة في ستة آلاف مقاتل بالسلاح التام قال لا قال ابن مقلة قد وصلنا كتب النواب بها بذلك فقال ابن قرابة هذا كذب ومحال فان في جوارنا انسانا من الكوفة وقد أتاه اليوم كتاب على جناح طائر تاريخه اليوم يخبر فيه بسلامته فقال له ابن مقلة سبحان الله أنتم أعرف منا بالاخبار فسكت ابن قرابة وكتب ابن مقلة الى الخليفة يعرفه ذلك ويقول له اني قد جهزت جيشا مع علي بن بليق ليسير يومنا هذا والعصر يحضر الى الخدمة ليأمره مولانا بما يراه فكتب القاهر في جوابه بشكره ويأذن له في حضور ابن بليق فجاءت رقعة القاهر وابن مقلة نائم فتركوها ولم يوصلوها اليه فلما استيقظ عاد وكتب رقعة أخرى في المعنى فأنكر القاهر الحال حيث قد كتب جوابه وخاف ان يكون هناك مكر وبينا هو في هذا اذ وصلت رقعة طريف السبكري يذكر ان عنده نصيحة وانه قد حضر في زي امرأة لينهيها اليه فاجتمع به القاهر فذكر له جميع ما قد عزموا عليه وما فعلوه من ابن [illegible] ليقبض ابن بليق عليه اذا اجتمع به وانهم قد بايعوا أبا أحمد بن المكتفي فلما سمع القاهر ذلك املا[illegible]ه وأنفذ الى الساجية أحضرهم متفرقين وكمنهم في الدهاليز والممرات والروافات

فالتقوا بين همذان والري على طرف المفازة فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر الفريقان جميعا فقتل بستفادو ولي أصحابه فقتل منهم ستون ألفا وسبى منهم سبايا وذراري كثيرة وكان بين خروجه الى مقتله سبعون ليلة وذلك في سنة ست وثلاثين ومائة بعد قتل أبي مسلم باشهر وفي سنة خمس وأربعين كان ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم بالمدينة وكان قد بويع له في الامصار وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه وكان مستخفيا من المنصور ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعمومته وكثير من أهله وعدتهم ولما ظهر محمد بن عبد الله المدينة دعا المنصور أبا مسلم العقيلي وكان شيخا ذا رأي وتجربة فقال له أشر علي في خارجي خرج علي قال صف لي الرجل قال رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا علم وزهد وورع قال فمن تبعه قال ولد علي وولد جعفر وعقيل وولد عمر بن الخطاب وولد الزبير وسائر قريش وأولاد الانصار قال له صف لي البلد الذي قام به قال بلد ليس به زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة ففكر ساعة ثم قال اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرجال فقال المنصور في نفسه قد خرف الرجل التي تدعى بالمسلمية خرج بالمدينة يقول لي اشحن البصرة بالرجال فقال له انصرف يا شيخ ثم لم يكن الا يسيرا حتى ورد الخبر أن ابراهيم

وحضر علي بن بليق بعد العصر وفي رأسه نبيذ ومعه عدد يسير من غلمانه بسلاح خف في طيارة وأمر جماعة من عسكره بالركوب الى أبواب دار الخليفة وصعد من الطيارة وطلب الاذن فلم يأذن له القاهر فغضب وأساء أدبه وقال لا بد من لقائه شاء أو أبى وكان القاهر قد أحضر الساجية كما ذكرناه وهم عنده في الدار وأمرهم القاهر برده فخرجوا اليه وشتموه وشتموا أباه وشهروا سلاحهم وتقدموا اليه جميعهم فنفر أصحابه عنه وألقى نفسه في الطيارة وعبر الى الجانب الغربي واختفى من ساعته فبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر واستتر الحسن بن هرون أيضا فلما سمع طريف الخبر ركب في أصحابه وعليهم السلاح وحضروا دار الخليفة ووقف القاهر فعظم الامر حينئذ على ابن بليق وجماعتهم وأنكر بليق ما جرى على ابنه وسب الساجية وقال لا بد من المضي الى دار الخليفة فان كان الساجية فعلوا هذا بغير تقدم قابلتهم بما يستحقونه وان كان بتقدم سألته عن سبب ذلك فحضر دار الخليفة ومعه جميع القواد الذين بدار مؤنس فلم يوصله القاهر اليه وأمر بالقبض عليه وحبسه وأمر بالقبض على أحمد بن زيرك صاحب الشرطة وحصل الجيش كلهم في الدار فانفذ القاهر وطيب نفوسهم ووعدهم الزيادة وانه يوقف هؤلاء على ذنوبهم ثم يطلقهم ويحسن اليهم فعادوا وراسل القاهر مؤنسا يسأله الحضور عنده ليعرض عليه ما رفع عليهم ليفعل ما يراه وقال انه عندي بمنزلة الوالد وما احب ان اعمل شيأ الا عن رأيه فاعتذر مؤنس عن الحركة ونهاه أصحابه عن الحضور عنده فلما كان الغد أحضر القاهر طريفا السبكري وناوله خاتمه وقال له قد فوضت الى ولدي عبد الصمد ما كان المقتدر فوضه الى ابنه محمد وقلدتك خلافته ورياسة الجيش وامارة الامراء وبيوت الاموال كما كان ذلك الى مؤنس ويجب ان تمضي اليه وتحمله الى الدار فانه ما دام في منزله يجتمع اليه من يريد الشر ولا نامن تولد شغل فيكون ههنا أمر فها ومعه من أصحابه من يخدمه على عادته فمضى الى دار مؤنس وعنده أصحابه في السلاح وهو قد استولى عليه الكبر والضعف فسأله أصحاب مؤنس عن الحال فذكر سوء صنيع بليق وابنه فكلهم سبهما وعرفهم ما أخذلهم من الامان والعهود فسكنوا ودخل الى مؤنس وأشار عليه بالحضور عند القاهر وحمله عليه وقال له ان تأخرت طمع ولو رآك نائما ما تجاسر ان يوقظك وكان موافقا على مؤنس وأصحابه لما نذكره فسار مؤنس اليه فلما دخل الدار قبض القاهر عليه وحبسه ولم يره قال طريف لما أعلمت القاهر بمجيء مؤنس ارتعد وتغيرت أحواله وزحف من صدر فراشه فخفته ان أكلمه في معناه وعلمت انني قد أخطأت وندمت وتيقنت انني لاحق بالقوم عن قريب وذكرت قول مؤنس فيه انه يعرفه بالهوج والشر والاقدام والجهل وكان أمر الله قدرا مقدورا وكانت وزارة ابن مقلة هذه تسعة أشهر وثلاثة أيام واستوزر القاهر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله مستهل شعبان وخلع عليه وأنفذ القاهر وختم على دور مؤنس وبليق وابنه علي وابن مقلة وأحمد بن زيرك والحسن بن هرون ونقل دوابهم ووكل بحرمهم وأنفذ استقدم عيسى المتطبب من الموصل وأمر بنقل ما في دار ابن مقلة واحراقها فنهبت وأحرقت ونهبت دور المتعلقين بهم وظفر بمحمد بن ياقوت وقام بالحجبة ثم رأى كراهية طريف السبكري والساجية له فاختفى وهرب الى أبيه بفارس وكاتبه القاهر يلومه على عجلته بالهرب وقلده كور الاهواز وكان السبب في ميل طريف السبكري والساجية والحجرية الى القاهر ومواطأتهم على مؤنس وبليق وابنه ما نذكره وهو ان طريفا كان قد أخذ قواد مؤنس وأعلاهم منزلة وكان بليق وابنه ممن يقبل يده ويخدمه فلما استخلف القاهر بالله تقدم بليق وابنه وحكما في الدولة كما ذكرناه وأهمل ابن بليق جانب طريف

خرج بالمدينة فاشرت على أن أشحن البصرة أوكان عندك من البصرة علم قال لا ولكن ذكرت لي خروج رجل اذا خرج مثله لم يتخلف عنه أحد ثم ذكرت لي البلد الذي هو فيه فاذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش فقلت انه رجل سيطلب غير موضعه ففكرت في مصر فوجدتها مضبوطة والشام والكوفة كذلك وفكرت في البصرة فخفت عليها منه فأشرت بشحنها فقال له المنصور أحسنت وقد خرج بها أخوه فما الرأي في صاحب المدينة قال ترميه بمثله اذا قال أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا وأنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المنصور لعيسى بن موسى اما أن تخرج اليه وأقيم أنا أمدك بالجيوش واما أن تكفيني ما أخاف ورائي وأخرج أنا اليه فقال عيسى بل أقيك بنفسي يا أمير المؤمنين وأكون الذي يخرج اليه فاخرجه اليه من الكوفة في أربعة آلاف فارس وألفي راجل واتبعه محمد بن قحطبة في جيش كثيف فقاتلوا محمدا بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس وأربعين سنة ولما اتصل بابراهيم قتل أخيه محمد بن عبد الله وهو بالبصرة

صعد المنبر فنعاه وتمثل أبا المنازل يا خير الفوارس من * يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا

وقصده

وقصده وعطله من أكثر اعمالها فلما طالت عطلته استحيا منه بليق وخاف جانبه فعزم على استعماله على ديار مصر ليقضى حقه ويبعده ومعه أعيان رفقائه ليأمنهم وقال ذلك للوزير أبى على ابن مقلة فرآه صوابا فاعتذر بليق الى طريف لسبب عطلته واعلمه بحديث مصر فشكره وشكر الوزير أيضا فنمع على بن بليق من اتمامه وتولى هو العمل وأرسل اليه من يخلفه فيه فصار طريف عدوا يتربص بهم الدوائر واما الساجية فانهم كانوا عدة مؤنس وعضده وساروا معه الى الموصل وعادوا معه الى قتال المقتدر ووعدهم مؤنس المظفر بالزيادة فلما قتل المقتدر لم يروا الميعاده وفاء ثناه عنه ابن بليق واطرحهم ابن بليق أيضا وأعرض عنهم وكان من جملتهم خادم أسود اسمه صندل وكان من أعيانهم وكان له خادم اسمه مؤتمن فباعه فاتصل بالقاهر قبل خلافته فلما استخلف قدمه وجعله لرسائله فلما بلى القاهر بابن بليق وسوء معاملته كان كالغريق يتمسك بكل شئ وكان خبيرا بالدهاء والمكر فامر مؤتمنا ان يقصد صندلا الساجى الذى باعه ويشكو من القاهر فان رأى منه ردا لما يقوله أعلمه بحال القاهر وما يقاسى من ابن بليق وابنه وان رأى منه خلاف ذلك سكت فجاء اليه وفعل ما أمره فلما شكا قال له صندل وفى أى شئ هو الخليفة حتى يعطيك ويوسع عليك ان فرج الله عنه من هذا المفسد احتجت أنا وغيرى اليك ولله على صوم وصدقة ان ملك الخليفة أمره واستراح وأرحنا من هذا الملعون فاعاد مؤتمن الحديث على القاهر وأرسل على يده هدية جميلة من طيب وغيره الى زوجة صندل وقال له تحمله اليها وزوجها غائب عنها وتقول لها ان الخليفة قسم فينا شيأ وهذا من نصيبى أهديته اليكم ففعل هذا فقبلته ثم عاد اليها من الغد وقال أى شئ قال صندل لما رأى انبساطى عليكم فقالت اجتمع هو وفلان وفلان وذكرت ستة نفر من أعيانهم ورأوا ما أهديت الينا فاستعلموا منه ودعوا للخليفة فبينما هو عندها اذ حضر زوجها فشكر مؤتمنا وسأله عن أحوال الخليفة فأثنى عليه ووصفه بالكرم وحسن الاخلاق وصلابته فى الدين فقال صندل ان ابن بليق نسبه الى قلة الدين ويرميه بأشياء قبيحة فحلف مؤتمن على بطلان ذلك وان جميعه كذب ثم أمر القاهر مؤتمنا ان يقصد زوجة صندل ويستدعيها الى قهرمانة القاهر فتحضر متنكرة على انها قابلة يأنس بها من عند القاهر لما كانوا بدار ابن طاهر وقد حضرت لحاجة بعض أهل الدار اليها ففعلت ذلك ودخلت الدار وباتت عندهم فحملها القاهر رسالة الى زوجها ورفقائه وكتب اليهم رقعة بخطه يعدهم بالزيادة فى الاقطاع والجارى واعطاها النفسها مالا فعادت الى زوجها واخبرته بما كان جميعه فوصل الخبر الى ابن بليق ان امرأة من دار ابن طاهر دخلت الى دار الخليفة فلهذا منع ابن بليق من دخول امرأة حتى تبصر وتعرف وكان للساجية قائد كبير اسمه سيما وكلهم يرجعون الى قوله فاتفق صندل ومن معه على اعلام سيما بذلك اذ لابد لهم منه واعلموه برسالة القاهر اليهم فقال هذا صواب والعاقبة فيه جميلة ولكن لابد من ان يدخلوا فى الامر بعض هؤلاء القوم يعنى أصحاب بليق ومؤنس وليكن من أكابرهم فاتفقوا على طريف السبكرى وقالوا هو أيضا متسخط فحضروا عنده وشكوا اليه ما هم فيه وقالوا لو كان الاستاذ يعنون مؤنسا يملك أمره لبلغنا مرادنا ولكن قد عجز وضعف واستبد عليه ابن بليق بالامور فوجدوا عنده من كراهتهم اضعاف ما أرادوا فاعلموه حينئذ حالهم فاجابهم الى موافقتهم واستحلفهم انه لا يلحق مؤنسا وبليقا وابنه مكروه وأذى فى أنفسهم وأبدانهم وأموالهم وانما يلزم بليق وابنه بيوتهم ويكون مؤنس على مرتبته لا يتغير فحلفوا على ذلك وحلف لهم على الموافقة وطلب خط القاهر بما طلب فارسلوا الى القاهر

حتى نموت جميعا أو نعيش معا

وقد كان تفرق اخوة محمد وولده فى البلدان يدعون الى امامته فكان فيمن توجه ابنه على بن محمد الى مصر فقتل بها وسار عبد الله الى خراسان فهرب لما طلب الى السند فقتل هناك وسار ابنه الحسن الى اليمن فحبس فمات فى الحبس وسار أخوه موسى الى الجزيرة ومضى أخوه يحيى الى الرى وطبرستان فكان من خبر الرشيد ما سنورده فيما يرد من هذا الكتاب ومضى أخوه ادريس بن عبد الله الى المغرب وأجابه خلق من الناس وبعث المنصور من اغتاله فيما احتوى عليه من مدن المغرب وقام ولده ادريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن مقامه فعرف البلد بهم فقيل بلد ادريس بن ادريس وقد أتينا على خبرهم عند ذكرنا لخبر عبد الله صاحب المغرب وبنائه المدينة المعروفة بالمهدية وخبر أبى القاسم وانتقالهم من مدينة سلمية من أرض حمص الى المغرب فى الكتاب الاوسط ومضى ابراهيم أخوه الى البصرة وظهر بها فاجابه أهل فارس والاهواز وغيرهما من الامصار فى عساكر كثيرة من الزيدية وجماعة ممن

بما كان فكتب اليهم بما أرادوا وزادوا بان قال انه يصلي بالناس ويخطب أيام الجمع ويحج بهم ويغزو معهم ويقعد للناس ويكشف مظالمهم الى غير ذلك من حسن السيرة ثم ان طريفا اجتمع بجماعة من رؤساء الحجرية وكان ابن بليق قد أبعدهم عن الدار وأقام بها أصحابه فهم حنقون عليه فلما أعلمهم طريف الامر أجابوه اليه فظهر شئ من هذا الحديث الى ابن مقلة وابن بليق ولم يعلموا تفصيله فاتفقوا على ان يقبضوا على جماعة من قواد الساجية والحجرية فلم يقدموا واعلمهم خوف الفتنة وكان القاهر قد أظهر مرضا من دماميل وغيرها فاحتجب عن الناس خوفا منهم فلم يكن يراه أحد الا خواص خدمه من الاوقات النادرة فتعذر على ابن مقلة وابن بليق الاجتماع به ليبلغوا منه ما يريدون فوضعا ماذكرناه من أخبار القرامطة ليظهر لهم ويفعلوا به ما أرادوا ولما قبض القاهر على مؤنس وجماعته استعمل القاهر على الحجبة سلامة الطولوني وعلى الشرطة أبا العباس أحمد بن خاقان واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله وأمر بالنداء على المستترين واباحة مال من أخفاهم وهدم داره وجد في طلب أحمد بن المكتفي فظفر به فبنى عليه حائطا وهو حي فمات وظفر بعلي بن بليق فقتله

رضي الله عنهم فسيرا ليه المنصور عيسى بن موسى وسعيد بن مسلم في العساكر لحاربه حتى قتل في الموضع المعروف بباخمرى وذلك على ستة عشر فرسخا من الكوفة من أرض الطف وهو الموضع الذي ذكرته الشعراء ممن رثى ابراهيم فمن ذكر ذلك دعبل بن علي في قصيدة أولها

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات

ومنها قوله فيهم

قبور بكوفان وأخرى بطيبة
وأخرى بفخ مالها صلوات
وأخرى بارض الجوزجان محلها
وقبر بباخمرى لذى القربات

وقتل معه من الزيدية من شيعته أربعمائة رجل وقيل خمسمائة وروى بعض الاخباريين عن حماد البركي قال كان المنصور نازلا في دير على شاطئ دجلة في الموضع الذي يسمى اليوم الخلد بمدينة السلام اذ أتى الربيع في وقت الهاجرة والمنصور في البيت الذي هو فيه وحماد قاعد على الباب فقال يا حماد افتح الباب فقلت الساعة هجع أمير المؤمنين فقال افتح ثكلتك أمك قال فسمع المنصور كلامه فنهض

﴿ذكر قتل مؤنس وبليق وولده علي والنوبختي﴾

وفيها في شعبان قتل القاهر مؤنسا المظفر وبليق وعلي بن بليق وكان سبب قتلهم ان أصحاب مؤنس شغبوا وثاروا وتبعهم سائر الجند وأحرقوا روشن دار الوزير أبي جعفر ونادوا بشعار مؤنس وقالوا لا نرضى الا باطلاق مؤنس وكان القاهر قد ظفر بعلي بن بليق وأفرد كل واحد منهم في منزل فلما شغب الجند دخل القاهر الى علي بن بليق وأمر به فذبح واحتز رأسه فوضعه في طشت ثم مضى القاهر والطشت يحمل بين يديه حتى دخل على بليق فوضع الطشت بين يديه وفيه رأس ابنه فلما رآه بكى وأخذ يقبله ويترشفه فامر به القاهر فذبح أيضا وجعل رأسه في طشت وحمل بين يدي القاهر ومضى حتى دخل على مؤنس فوضعهما بين يديه فلما رأى الرأسين تشهد واسترجع ولعن قاتلهما فقال القاهر جروا برجل الكلب الملعون فجروه وذبحوه وجعلوا رأسه في طشت وأمر بالرؤس فطيف بها في جانبي بغداد ونودي عليها هذا جزاء من يخون الامام ويسعى في فساد دولته ثم أعيدت ونظفت وجعلت في خزانة الرؤس كما جرت العادة وقيل انه قتل بليق وابنه مستخف ثم ظفر بابنه بعد ذلك وأمر به فضرب فاقبل ابن بليق على القاهر وسبه أقبح سب وأعظم شتم فامر به القاهر فقتل وطيف برأسه في جانبي بغداد ثم أرسل الى ابن يعقوب النوبختي وهو في مجلس وزيره محمد بن القاسم فأخذه وحبسه ورأى الناس من شدة القاهر ما علموا معه انهم لا يسلمون من يده وندم كل من أعانه من سبك والساجية والحجرية حيث لم ينفعهم الندم

﴿ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم للخليفة وعزله ووزارة الخصيبي﴾

لما قبض القاهر بالله على مؤنس وبليق وابنه سأل عمن يصلح للوزارة فدل على أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله فاستوزره فبقي وزيرا الى يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة من السنة فارسل القاهر فقبض عليه وعلى أولاده وعلى أخيه عبيد الله وحرمه وكان مريضا بقولنج فبقي محبوسا ثمانية عشر يوما ومات فحمل الى منزله وأطلق أولاده واستوزر أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصيبي وكانت وزارة أبي جعفر ثلاثة أشهر واثني عشر يوما

﴿ذكر القبض على طريف السبكري﴾

بفتح الباب بيده وتناول منه الخريطة فقرأ ما فيها من الكتب وتلا هذه الآية وألقينا

لما

لما تمكن القاهر وقبض على مؤنس وأصحابه وقتلهم ولم يقف على اليمين والامان اللذين كتبهما لطريف وكان القاهر يسمع طريفا ما يكره ويستخف به ويعرض له بالاذى فلما رأى ذلك خافه وتيقن القبض عليه والقتل فوصى وفرغ من جميع ما يريده واشتغل القاهر عنه بقبض من قبض عليه من وزير وغيره ثم أحضره بعد ان قبض على وزيره أبي جعفر فقبض عليه فتيقن القتل اسوة بمن قتل من أصحابه ورفقائه فبقى محبوسا يتوقع القتل صباحا ومساء الى ان خلع القاهر

﴿ذكر اخبار خراسان﴾

في هذه السنة سار مرداويج من الري الى جرجان وبها أبو بكر محمد بن المظفر مريضا فلما قصده مرداويج عاد الى نيسابور وكان السعيد نصر بن أحمد بنيسابور فلما بلغها محمد بن المظفر سار السعيد نحو جرجان وكاتب محمد بن عبيد الله البلعمي مطرف بن محمد وزير مرداويج واستماله فمال اليه فانتهى الخبر بذلك الى مرداويج فقبض على مطرف وقتله وارسل محمد بن عبد الله البلعمي الى مرداويج يقول له انا أعلم انك لا تستحسن كفر ما يفعله معك الامير السعيد وانك انما حملك على قصد جرجان وزيرك مطرف ليرى أهلها محله منك كما فعله أحمد بن أبي ربيعة كاتب عمرو بن الليث حمل عمرو على قصد بلخ ليشاهد أهلها منزلته من عمرو وكان منه ما بلغك وانا لا أرى لك مناصبة ملك يطيف به مائة ألف رجل من غلمانه ومواليه وموالي أبيه والصواب انك تترك جرجان له وتبذل عن الري مالا تصالحه عليه ففعل مرداويج ذلك وعاد عن جرجان وبذل عن الري مالا وعاد اليها وصالحه السعيد عليها

﴿ذكر ولاية محمد بن المظفر على خراسان﴾

ولما فرغ السعيد من أمر جرجان واحكمه استعمل أبا بكر محمد بن المظفر بن محتاج على جيوش خراسان ورد اليه تدبير الامور بنواحي خراسان جميعها وعاد الى بخارا مقر عزه وكرسي ملكه وكان سبب تقدم محمد بن المظفر أنه كان يوما عند السعيد وهو يحادثه في بعض مهماته خاليا فلسعته عقرب في احدى رجليه عدة لسعات فلم يتحرك ولم يظهر عليه أثر ذلك فلما فرغ من حديثه وعاد محمد الى منزله نزع خفه فرأى العقرب فأخذها فانتهى خبر ذلك الى السعيد فاعجب به وقال ما عجبت الا من فراغ بالك لتدبير ما قلته لك فهلا قمت وأزلتها فقال ما كنت لاقطع حديث الامير بسبب عقرب واذا لم أصبر بين يديك على لسعة عقرب فكيف أصبر وأنا بعيد منك على حد سيوف أعدائه دولتك اذا دفعتهم عن مملكتك فعظم محله عنده واعطاه مائتي ألف درهم

﴿ذكر ابتداء دولة بني بويه﴾

وهم عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة أبو علي الحسن ومعز الدولة أبو الحسين أحمد أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزيل الاصغر ابن شيركنده بن شيرزيل الاكبر ابن شيران شاه بن شيرويه بن سستان شاه بن سيس فيروز بن شيروزيل بن سنباد بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك بن هرمز الملك بن شابور الملك بن شابور ذي الاكتاف وباقي النسب قد تقدم في أول الكتاب عند ذكر ملوك الفرس هكذا ساق نسبهم الامير أبو نصر بن ماكولا رحمه الله وأما ابن مسكويه فانه قال انهم يزعمون انهم من ولد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس الا ان النفس أكثر ثقة بنقل ابن ماكولا لانه الامام العالم بهذه الامور وهذا نسب عريق في الفرس ولا شك أنهم نسبوا الى الديلم حيث طال مقامهم ببلادهم وأما ابتداء أمرهم فان والدهم أبا شجاع بويه كان متوسط الحال فماتت زوجته وخلفت له ثلاثة بنين وقد تقدم ذكرهم فلما ماتت اشتد حزنه

بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ثم أمر باحضار الناس والقواد والموالي وأهل بيته وأصحابه وأمر حمادا التركي باسراج الخيل وأمر ابن مجالد بالتقدم ثم خرج فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال

مالي أكفكف عن سعد ويشتمني
وان شتمت بني سعد لقد سكنوا
جهلا علينا وجبنا عن عدوهم
لبئست الخصلتان الجهل والجبن

أما والله لقد عجزوا عن أمر قناله فما شكروا ولا حمدوا الكافي ولقد مهدوا فاستوعروا وغبطوا فغمطوا فماذا تحاولون مني اسقى رنقا على كدر كلا والله لأن أموت معززا أحب الي من أن أحيا مستذلا ولئن لم يرض العفو مني ليطلبن ما لا يوجد عندي والسعيد من وعظ بغيره ثم نزل فقال يا غلام قدم فركب من فوره الى معسكره وقال اللهم لا تكلنا الى خلقك فنضيع ولا الى أنفسنا فنعجز وذكر أن المنصور هيئت له عجة من مخ وسكر فاستطابها فقال أراد ابراهيم يحرمني هذا وأشباهه (وذكر) أن المنصور قال يوما لجلسائه بعد قتل محمد وابراهيم تالله ما رأيت رجلا أنصح من الحجاج لبني مروان فقام المسيب بن زهرة الضبي فقال يا أمير المؤمنين ما سبقنا

عليها الحكى شهريار بن رستم الديلمى قال كنت صديقا لابى شجاع بويه فدخلت اليه يوما فعذلته على كثرة حزنه وقلت له أنت رجل تحتمل الحزن وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن ويعامات أحدهم فيجدد ذلك من الاحزان ما ينسيك المرأة وسليته بجهدى وأخذته ففرحته وأدخلته ومعه أولاده الى منزلى ليأكلوا طعاما وشغلته عن حزنه فبينما هم كذلك اجتاز بنا رجل يقول عن نفسه انه منجم ومعزم ومعبر للمنامات ويكتب الرقى والطلسمات وغير ذلك فاحضره أبو شجاع وقال له رأيت فى منامى كأنى أبول فخرج من ذكرى نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفجرت فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب فاضاءت الدنيا بتلك النيران ورأيت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران فقال المنجم هذا منام عظيم لا أفسره الا بخلعة وفرس ومركب فقال أبو شجاع والله ما أملك الا الثياب التى على جسدى فان أخذتها بقيت عريانا قال المنجم فعشرة دنانير قال والله ما أملك دينارا فكيف عشرة فاعطاه شيأ فقال المنجم اعلم انه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الارض ومن عليها ويعلو ذكرهم فى الآفاق كما علت تلك النار ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب فقال أبو شجاع اما تستحى تسخر منا أنا رجل فقير وأولادى هؤلاء فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكا فقال المنجم اخبرنى بوقت ميلادهم فاخبره فجعل يحسب ثم قبض على يد أبى الحسن على فقبلها وقال هذا والله الذى يملك البلاد ثم هذا من بعده وقبض على يد أخيه أبى على الحسن فاغتاظ منه أبو شجاع وقال لاولاده اصفعوا هذا الحكيم فقد أفرط فى السخرية بنا فصفعوه وهو يستغيث ونحن نضحك منه ثم أمسكوا فقال لهم اذكروا لى هذا اذا قصدتكم وأنتم ملوك فضحكنا منه وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم ثم خرج من بلاد الديلم جماعة تقدم ذكرهم ليملك البلاد منهم ما كان بن كالى وليلى بن النعمان واسفار بن شيرويه ومرداويج بن زيار وخرج مع كل واحد منهم خلق كثير من الديلم وخرج أولاد أبى شجاع فى جملة من خرج وكانوا من جملة قواد ما كان بن كالى فلما كان من أمر ما كان ما ذكرناه من الاتفاق ثم الاختلاف بعد قتل اسفار واستيلاء مرداويج على ما كان بيد ما كان من طبرستان وجرجان وعود ما كان مرة أخرى الى جرجان والدامغان وعوده الى نيسابور مهزوما فلما رأى أولاد بويه ضعفه وعجزه قال له عماد الدولة وركن الدولة نحن فى جماعة وقد صرنا ثقلا عليك وعيالا وأنت مضيق والاصلح لك ان نفارقك لنخفف عنك مؤنتنا فاذا اصلح أمرنا عدنا اليك فاذن لهما فسارا الى مرداويج واقتدى بهما جماعة من قواد ما كان وتبعوهما فلما صاروا اليه قبلهم أحسن قبول وخلع على ابنى بويه وأكرمهما وقلد كل واحد من قواد ما كان الواصلين اليه ناحية من نواحى الجبل فاما على بن بويه فانه قلده كرج

(ذكر سبب تقدم على بن بويه)

كان السبب فى ارتفاع على بن بويه من بينهم بعد الاقدار أنه كان سمحا حليما شجاعا فلما قلده مرداويج كرج وقلد جماعة القواد المستأمنة معه الاعمال وكتب لهم العهود ساروا الى الرى وبها وشمكير بن زيار أخو مرداويج ومعه الحسين بن محمد الملقب بالعميد وهو والد أبى الفضل الذى وزر لركن الدولة بن بويه وكان العميد يومئذ وزير مرداويج وكان مع عماد الدولة بغلة شهباء من أحسن ما يكون فعرضها للبيع فبلغ ثمنها مائتى دينار فعرضت على العميد فاخذها وانفذ ثمنها فلما حمل الثمن الى عماد الدولة أخذ منه عشرة دنانير ورد الباقى وجعل معه هدية جميلة ثم ان مرداويج ندم على ما فعل من تولية أولئك القواد البلاد فكتب الى أخيه وشمكير والى العميد

الحجاج بأمر تخالفنا عنه والله ما خلق الله على جديد الارض خلقا أعز علينا من نبينا صلى الله عليه وسلم وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك وفعلنا ذلك فهل نصحناك أم لا قال له المنصور اجلس لا جلست وقد ذكرنا أنه كان قبض على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنه وكثير من أهل بيته وذلك فى سنة أربع وأربعين ومائة فى منصرفه من الحج فحملوا من المدينة الى الربذة من جادة العراق وكان ممن حمل مع عبد الله بن الحسن ابراهيم ابن الحسن بن الحسن وأبو بكر بن الحسن بن الحسن وعلى الخير وأخوه العباس وعبد الله بن الحسن بن الحسن والحسن بن جعفر ابن الحسن بن الحسن ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أخو عبد الله بن الحسن بن الحسن لامه فاطمة ابنة الحسين بن على وجدتهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرد المنصور بالربذة محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وضربه ألف سوط وسأله عن ابنى أخيه محمد وابراهيم فانكر أن يعرف مكانهما فسألت جدته العثمانى فى ذلك الوقت وارتحل المنصور عن الربذة وهو فى قبة وأوهن القوم بالجهد فحملوا على المحامل المكشفة فمر بهم المنصور فى قبته على الحمارة فصاح به عبد الله بن الحسن يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بكم يوم بدر فصيرهم

بأمرهما بمنعهم من المسير الى أعمالهم وان كان بعضهم قد خرج فيرد وكانت الكتب تصل الى العميد قبل وشمكير فيقرؤها ثم يعرضها على وشمكير فلما وقف العميد على هذا الكتاب أنفذ الى عماد الدولة يأمره بالمسير من ساعته الى عمله ويطوى المنازل فسار من وقته وكان المغرب وأما العميد فلما أصبح عرض الكتاب على وشمكير فمنع سائر القواد من الخروج من الرى واستعاد التوقيعات التى معهم بالبلاد وأراد وشمكير أن ينفذ خلف عماد الدولة من يرده فقال العميد انه لا يرجع طوعا وربما قاتل من يقصده ويخرج عن طاعتنا فتركه وسار عماد الدولة الى كرج وأحسن الى الناس ولطف بعمال البلاد فكتبوا الى مرداويج يشكرونه ويصفون ضبطه البلد وسياسته وافتتح قلاعا كانت للخرمية وظفر منها بذخائر كثيرة صرفها جميعها الى استمالة الرجال والصلات والهبات فشاع ذكره وقصده الناس وأحبوه وكان مرداويج ذلك الوقت بطبرستان فلما عاد الى الرى أطلق مالا لجماعة من قواده على كرج فاستمالهم عماد الدولة ووصلهم وأحسن اليهم حتى مالوا اليه وأحبوا طاعته وبلغ ذلك مرداويج فاستوحش وندم على انفاذ أولئك القواد الى الكرج فكتب الى عماد الدولة وأولئك يستدعيهم اليه وتلطف بهم فدافعه عماد الدولة واشتغل بأخذ العهود عليهم وخوفهم من سطوة مرداويج فاجابوه جميعهم فجبى مال كرج واستأمن اليه شيرزاد وهو من اعيان قواد الديلم فتقويت نفسه بذلك وسار بهم عن كرج الى اصبهان وبها المظفر بن ياقوت فى نحو من عشرة آلاف مقاتل وعلى خراجها أبو على بن رستم فارسل عماد الدولة اليهما يستعطفهما ويستأذنهما فى الانحياز اليهما والدخول فى طاعة الخليفة ليمضى الى الحضرة ببغداد فلم يجيباه الى ذلك وكان أبو على اشدهما كراهة فاتفق للسعادة أن أبا على مات فى تلك الايام وبرز ابن ياقوت عن اصبهان ثلاثة فراسخ وكان فى أصحابه جيل وديلم مقدار ستمائة رجل فاستأمنوا الى عماد الدولة لما بلغهم من كرمه فضعف قلب ابن ياقوت وقوى جنان عماد الدولة فواقعه واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم ابن ياقوت واستولى عماد الدولة على اصبهان وعظم فى عيون الناس لانه كان فى تسعمائة رجل هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف رجل وبلغ ذلك الخليفة فاستعظمه وبلغ خبر هذه الوقعة مرداويج فأقلقه وخاف على ما بيده من البلاد واغتم لذلك غما شديدا

﴿ذكر استيلاء ابن بويه على ارجان وغيرها وملك مرداويج اصبهان﴾

لما بلغ خبر الوقعة الى مرداويج خاف عماد الدولة بن بويه فشرع فى اعمال الحيلة فراسله يعاتبه ويستميله ويطلب منه ان يظهر طاعته حتى يمده بالعساكر الكثيرة ليفتح بها البلاد ولا يكلفه سوى الخطبة له فى البلاد التى يستولى عليها فلما سار الرسول جهز مرداويج أخاه وشمكير فى جيش كثيف ليكبس ابن بويه وهو مطمئن الى الرسالة التى تقدمت فعلم ابن بويه بذلك فرحل عن اصبهان بعد أن جباها شهرين وتوجه الى ارجان وبها أبو بكر بن ياقوت فانهزم أبو بكر من غير قتال وقصد رامهرمز واستولى ابن بويه على ارجان فى ذى الحجة ولما سار عن اصبهان دخلها وشمكير وعسكر أخيه مرداويج وملكوها فلما سمع القاهر أرسل الى مرداويج قبل خلعه ليمنع أخاه عن اصبهان ويسلمها الى محمد بن ياقوت ففعل ذلك ووليها محمد وأما ابن بويه فانه لما ملك ارجان استخرج منها أموالا قوى بها ووردت عليه كتب أبى طالب زيد بن على النوبندجانى يستدعيه ويشير اليه بالمسير الى شيراز ويهون عليه أمر ياقوت وأصحابه ويعرفه تهوره واشتغاله بجباية الاموال وكثرة مؤنته ومؤنة أصحابه وثقل وطأتهم على الناس مع فشلهم وجبنهم فخاف ابن بويه ان يقصد ياقوتا

الى الكوفة وحبسوا فى سرداب تحت الارض لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل وخلى منهم سليمان وعبد الله ابنا داود بن الحسن بن الحسن وموسى بن عبد الله بن الحسن والحسن بن جعفر وحبس الآخرين ممن ذكرنا حتى ماتوا وذلك على شاطئ الفرات بالقرب من قنطرة الكوفة ومواضعهم بالكوفة تزار فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان قد هدم عليهم الموضع وكانوا يتوضؤن فى مواضعهم فاشتدت عليهم الرائحة فاحتال بعض مواليهم حتى أدخل اليهم شيأ من الغالية فكانوا يدفعون بشمها تلك الروائح المنتنة وكان الورم فى اقدامهم فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفؤاد فيموت صاحبه وذكر انهم لما حبسوا فى هذا الموضع اشكل عليهم أوقات الصلاة فجزؤا القرآن خمسة أجزاء فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كل واحد منهم من حزبه وكان عدد من بقى منهم خمسة فمات اسمعيل بن الحسن فترك عندهم فجيف فصعق داود ابن الحسن فمات وأتى برأس ابراهيم بن عبد الله فوجه به المنصور مع الربيع اليهم فوضع الرأس بين أيديهم وعبد الله يصلى فقال له ادريس أخوه اسرع فى صلاتك يا أبا محمد فالتفت اليه وأخذ الرأس فوضعه فى حجره وقال له أهلا وسهلا يا أبا القاسم والله لقد كنت من الذين قال الله عز وجل فيهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل الى آخر الآية فقال

مع كثرة عساكره وأمواله ويحصل بين ياقوت وولده فلم يقبل مشورته فلم يبرح من مكانه فعاد أبو طالب وكتب اليه يشجعه ويعلمه ان مرداويج قد كتب الى ياقوت يطلب مصالحته فان تم ذلك اجتمعا على محاربته ولم يكن له بهما طاقة ويقول له ان الرأي لمن كان في مثل حاله ان يعاجل من بين يديه ولا ينتظر بهم الاجتماع والكثرة ان يحدقوا به من كل جانب فانه اذا هزم من بين يديه خافه الباقون ولم يقدموا عليه ولم يزل أبو طالب يراسله الى ان سار نحو النوبندجان في ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وثلثمائة وقد سبقه اليها مقدمة ياقوت في نحو ألفي فارس من شجعان أصحابه فلما وافاهم ابن بويه لم يثبتوا له لما لقيهم وانهزموا الى كركان وجاءهم ياقوت في جميع أصحابه الى هذا الموضع وتقدم أبو طالب الى وكلائه بالنوبندجان بخدمة ابن بويه والقيام بما يحتاج اليه وتنحى هو عن البلد الى بعض القرى حتى لا يعتقد فيه المواطأة له فكان مبلغ ما خسر عليه في أربعين يوما مقدار مائتي ألف دينار وأنفذ عماد الدولة أخاه ركن الدولة الحسن الى كازرون وغيرها من أعمال فارس فاستخرج منها أموالا جليلة فانفذ ياقوت عسكرا الى كازرون فواقعهم ركن الدولة فهزمهم وهو في نفر يسير وعاد غانما سالما الى أخيه ثم ان عماد الدولة انتهى اليه مراسلة مرداويج وأخيه وشمكير الى ياقوت ومراسلته اليهما فخاف اجتماعهم فسار من النوبندجان الى اصطخر ثم الى البيضاء وياقوت يتبعه وانتهى الى قنطرة على طريق كرمان فسبقه ياقوت اليها ومنعه من عبورها واضطر الى الحرب وذلك في آخر سنة احدى وعشرين * ودخلت سنة اثنتين وعشرين

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اجتمعت بنو ثعلبة الى بني أسد القاصدين الى أرض الموصل ومن معهم من طيئ فصاروا يدا واحدة على بني مالك ومن معهم من تغلب وقرب بعضهم من بعض للحرب فركب ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان في أهله ورجاله ومعه أبو الاغر بن سعيد بن حمدان للصلح بينهم فتكلم أبو الاغر فطعنه رجل من حزب بني ثعلبة فقتله فحمل عليهم ناصر الدولة ومن معه فانهزموا وقتل منهم وملكت بيوتهم وأخذ حريمهم وأموالهم ونجوا على ظهور خيولهم وتبعهم ناصر الدولة الى الحديثة فلما وصلوا اليها لقيهم يانس غلام مؤنس وقد ولي الموصل وهو مصعد اليها فانضم اليه بنو ثعلبة وبنو أسد وعادوا الى ديار ربيعة وفيها ورد الخبر الى بغداد بوفاة تكين الخاصة بمصر وكان أميرا عليها فولى مكانه ابنه محمد وأرسل له القاهر بالله الخلع وثار الجند بمصر فقاتلهم محمد وظفر بهم وفيها أمر علي بن بليق قبل قبضه وكاتبه الحسن بن هرون بلعن معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد على المنابر ببغداد فاضطربت العامة فاراد علي بن بليق ان يقبض على البربهاري رئيس الحنابلة وكان يثير الفتن هو وأصحابه فعلم بذلك فهرب فأخذ جماعة من أعيان أصحابه وحبسوا وجعلوا في زورق وأحدروا الى عمان وفيها أمر القاهر بتحريم الخمر والغناء وسائر الانبذة ونفي بعض من كان يعرف بذلك الى البصرة والكوفة وأما الجواري المغنيات فامر ببيعهن على انهن سواذج لا يعرفن الغناء ثم وضع من يشتري له كل حاذقة في صنعة الغناء فاشترى منهن ما أراد بارخص الاثمان وكان القاهر مشتهرا بالغناء والسماع فجعل ذلك طريقا الى تحصيل غرضه رخيصا نعوذ بالله من هذه الاخلاق التي لا يرضاها عامة الناس وفيها توفي أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد اللغوي في شعبان وأبو هاشم بن أبي علي الجبائي المتكلم المعتزلي في يوم واحد ودفنا بمقابر الخيزران وفيها توفي محمد بن يوسف بن مطر الفربري وكان مولده سنة احدى وثلاثين ومائتين

له الربيع كيف أبو القاسم في نفسه قال كما قال الشاعر

فتى كان يحميه من الذل سيفه * ويكفيه ان يأتي الذنوب اجتنابها

ثم التفت الى الربيع فقال قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا أيام والملتقى القيامة قال الربيع فما رأيت المنصور قط أشد انكسارا منه في الوقت الذي أسمعته فيه الرسالة وأخذ هذا المعنى العباس بن الاحنف فقال

فان تلحظي حالي وحالك مرة
بنظرة عين عن هوى النفس تحجب
ترى كل يوم بين يومين عيشتي
تمر ويوم من نعيمك تحسب

(قال المسعودي) ولما أخذ المنصور عبد الله بن الحسن وأهل بيته صعد المنبر بالهاشمية فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيرا منا ان ولد ابن أبي طالب تركناهم والذي لا اله الا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير فقام فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فما أفلح وحكم الحكمين فاختلف عليه الامة وافترقت الكلمة ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه ثم قام بعده الحسن بن علي رضي الله عنه فوالله ما كان برجل عرضت عليه الاموال فقبلها ودس اليه معاوية اني أجعلك ولي عهدي فخلعه وانسلخ له مما كان فيه وسلمه اليه وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة ويطلق غدا أخرى فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه ثم قام من بعده الحسين

وهو

وهو الذي روى صحيح البخاري عنه وكان قد سمعه عشرات ألوف من البخاري فلم ينتشر الا عنه وهو منسوب الى فربر بالفاء والراء بن المهملتين وبينهما باء معجمة موحدة وهي من قرى بخارا

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة﴾

﴿ذكر استيلاء ابن بويه على شيراز﴾

في هذه السنة ظفر عماد الدولة بن بويه بياقوت وملك شيراز وقد ذكرنا مسير عماد الدولة بن بويه الى القنطرة وسبق ياقوت اليها فلما وصلها ابن بويه وصده ياقوت عن عبورها اضطر الى محاربته فتحاربا في جمادى الآخرة وأحضر علي بن بويه أصحابه ووعدهم انه يترجل معهم عند الحرب ومناهم ووعدهم الاحسان وكان من سعادته ان جماعة من أصحابه استأمنوا الى ياقوت فحين رآهم ياقوت أمر بضرب رقابهم فايقن من مع ابن بويه انهم لا أمان لهم عنده فقاتلوا قتال مستقتل ثم ان ياقوتا قدم أمام أصحابه رجالة كثيرة يقاتلون بقوارير النفط فانقلبت الريح في وجوههم واشتدت فلما ألقوا النار عادت النار عليهم فعلقت بوجوههم وثيابهم فاختلطوا وأكب عليهم أصحاب ابن بويه فقتلوا أكثر الرجالة وخالطوا الفرسان فانهزموا فكانت الدائرة على ياقوت وأصحابه فلما انهزم صعد على نشز مرتفع ونادى في أصحابه الرجعة فاجتمع اليه نحو أربعة آلاف فارس فقال لهم اثبتوا فان الديلم يشتغلون بالنهب ويتفرقون فنأخذهم فثبتوا معه فلما رأى ابن بويه ثباتهم نهى أصحابه عن النهب وقال ان عدوكم يرصدكم لتشتغلوا بالنهب فيعطف عليكم ويكون هلاككم فاتركوا هذا وافرغوا من المنهزمين ثم عودوا اليه ففعلوا ذلك فلما رأى ياقوت انهم على قصده ولى منهزما واتبعه أصحاب ابن بويه يقتلون ويأسرون ويغنمون الخيل والسلاح وكان معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه في ذلك اليوم من أحسن الناس أثرا وكان صبيا لم تنبت لحيته وكان عمره تسع عشرة سنة ثم رجعوا الى السواد فغنموا ووجدوا في سواده برانس لبود عليها أذناب الثعالب ووجدوا قيودا وأغلالا فسألوا عنها فقال أصحاب ياقوت ان هذه أعدت لكم لتجعل عليكم ويطاف بكم في البلاد فاشار أصحاب ابن بويه ان يفعل بهم مثل ذلك فامتنع وقال انه بغي ولؤم ظفر ولقد لقي ياقوت بغيه ثم أحسن الى الاسارى وأطلقهم وقال هذه نعمة والشكر عليها واجب يقتضي المزيد وخير الاسارى بين المقام عنده واللحوق بياقوت فاختاروا المقام عنده فخلع عليهم وأحسن اليهم وسار من موضع الوقعة حتى نزل بشيراز ونادى في الناس بالامان وبث العدل وأقام لهم شحنة يمنع من ظلمهم واستولى على تلك البلاد وطلب الجند أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم فكاد ينحل أمره فقعد في غرفة في دار الامارة بشيراز يفكر في أمره فرأى حية خرجت من موضع في سقف تلك الغرفة ودخلت في ثقب هناك فخاف ان تسقط عليه فدعا الفراشين ففتحوا الموضع فرأوا وراءه بابا فدخلوا الى غرفة أخرى وفيها عشرة صناديق مملوءة مالا ومصوغا وكان فيها ما قيمته خمسمائة ألف دينار فانفقها وثبت ملكه بعد أن كان قد أشرف على الزوال وحكي انه أراد ان يفصل ثيابا فدلوه على خياط كان لياقوت فاحضره فحضر خائفا وكان أصم فقال له عماد الدولة لا تخف فانما احضرناك لتفصل ثيابا فلم يعلم ما قال فابتدأ وحلف بالطلاق والبراءة من دين الاسلام ان الصناديق التي عنده لياقوت ما فتحها فتعجب الامير من هذا الاتفاق فامره باحضارها فاحضر ثمانية صناديق فيها مال وثياب قيمته ثلثمائة ألف دينار ثم ظهر له من ودائع ياقوت وذخائر يعقوب وعمرو ابني الليث جملة كثيرة فامتلأت خزائنه وثبت ملكه فلما تمكن من شيراز وفارس كتب الى الراضي بالله وكانت قد أفضت اليه الخلافة على ما نذكره

المدرة السوء وأشار الى الكوفة فوالله ما هي بحرب فاحاربها ولا هي بسلم فاسالمها فرق الله بيني وبينها فخذلوه وابرؤا أنفسهم منه فاسلموه حتى قتل ثم قام بعده زيد ابن علي فخدعه أهل الكوفة وغروه فلما أظهروه وأخرجوه أسلموه وقد كان أبي محمد بن علي ناشده الله في الخروج وقال له لا تقبل أقاويل أهل الكوفة فانا نجد في علمنا أن بعض أهل بيتنا يصاب بالكناسة وأخشى أن تكون ذلك المصلوب وناشده الله بذلك عمي داود وحذره رحمه الله عن زاهد الكوفة فلم يقبل وتم على خروجه فقتل وصلب بالكناسة ثم وثب بنو أمية علينا فاماتوا شرفنا وأذهبوا عزنا والله ما كان لهم عندنا ترة يطلبونها وما كان ذلك كله الا فيهم وبسبب خروجهم فنفونا عن البلاد فصرنا مرة بالطائف ومرة بالشام ومرة بالسراة حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا فاحيا الله شرفنا وعزنا بكم وأظهر لنا حقنا وأصار الينا ميراثنا من نبينا صلى الله عليه وسلم فقر الحق في قراره وأظهر الله مناره وأعز أنصاره وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فلما استقرت الامور فينا على قرارها من فضل الله وحكمه العدل وثبوا علينا حسدا منهم وبغيا لهم بما فضلنا الله به عليهم وأكرمنا من خلافته ميراثنا من نبيه

والى وزيره أبى على بن مقلة يعرفهما انه على الطاعة ويطلب منه أن يقاطع على مابيده من البلاد وبذل ألف ألف درهم فأجيب الى ذلك فانفذ واله الخلع وشرطوا على الرسول ان لا يسلم اليه الخلع الا بعد قبض المال فلما وصل الرسول خرج عماد الدولة الى لقائه وطلب منه الخلع واللواء فذكر له الشرط فأخذهما منه قهرا ولبس الخلع ونشر اللواء بين يديه ودخل البلد وغالط الرسول بالمال فمات الرسول عنده سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وعظم شأنه وقصده الرجال من الاطراف ولما سمع مرداويج بما ناله من ابن بويه قام لذلك وقعد وسار الى أصبهان للتدبير عليه وكان بها أخوه وشمكير لانه لما خلع القاهر وتأخر محمد بن ياقوت عنها عاد اليها وشمكير بعد أن بقيت تسعة عشر يوما خالية من أمير فلما وصلها مرداويج رد أخاه وشمكير الى الرى

(ذكر استيلاء نصر بن أحمد على كرمان)

فى هذه السنة خرج أبو على محمد بن الياس من ناحية كرمان الى بلاد فارس وبلغ اصطخر فأظهر لياقوت انه يريد يستأمن اليه حيلة ومكرا فعلم ياقوت مكره فعاد الى كرمان فسير اليه السعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان ما كان بن كالى فى جيش كثيف فقاتله فانهزم ابن الياس واستولى ما كان على كرمان نيابة من صاحب خراسان وكان هذا محمد بن الياس من أصحاب نصر بن أحمد فغضب عليه وحبسه ثم شفع فيه محمد بن عبيد الله البلعمى فاخرجه وسيره مع محمد بن المظفر الى جرجان فلما خرج يحيى بن أحمد واخوته ببخارا على ما ذكرناه سار محمد بن الياس اليه فصار معه فلما دبر أمره سار محمد من نيسابور الى كرمان فاستولى عليها الى هذه الغاية فازاله ما كان عنها وسار الى الدينور وأقام ما كان بكرمان فلما عاد عنها على ما نذكره رجع اليها محمد بن الياس

(ذكر خلع القاهر بالله)

وفيها خلع القاهر بالله فى جمادى الاولى وكان سبب ذلك ان أبا على بن مقلة كان مستترا من القاهر والقاهر يتطلبه وكذلك الحسن بن هرون فكانا يراسلان قواد الساجية والحجرية ويخوفانهم من شره ويذكران لهم غدره ونكثه مرة بعد أخرى كقتل مؤنس ويلبق وابنه على بعد الايمان لهم وكقبضه على طريف السبكرى بعد اليمين له مع نصح طريف له الى غير ذلك وكان ابن مقلة يجتمع بالقواد ليلا تارة فى زى أعمى وتارة فى زى مكدى وتارة فى زى امرأة ويغريهم به ثم انه أعطى منجما كان لسيما مائتى دينار وأعطاه الحسن مائة دينار وكان يذكر لسيما أن طالعه يقتضى ان ينكبه القاهر ويقتله وأعطى ابن مقلة أيضا المعبر كان لسيما يعبر له المنامات فكان يحذره أيضا من القاهر ويعبر له على ما يريد فازداد نفورا من القاهر ثم ان القاهر شرع فى عمل مطامير فى الدار فقيل لسيما ولجماعة قواد الساجية والحجرية انما عملها لاجلكم فازداد نفورا ونقل الى سيما ان القاهر يريد قتله فجمع الساجية وكان هو رئيسهم المقدم عليهم وأعطاهم السلاح وأنفذ الى الحجرية ان كنتم موافقين لنا فجيئوا الينا حتى يحالف بعضنا البعض وتكون كلمتنا واحدة فاجتمعوا جميعهم وتحالفوا على اجتماع الكلمة وقتل من خالف منهم فاتصل ذلك بالقاهر ووزيره الخصيبى فأرسل اليهم الوزير ما الذى حملكم على هذا فقالوا قد صح عندنا ان القاهر يريد القبض على سيما وقد عمل مطامير ليحبس فيها قوادنا ورؤساءنا فلما كان يوم الاربعاء لست خلون من جمادى الاولى اجتمع الساجية والحجرية عند سيما وتحالفوا على الاجتماع على القبض على القاهر فقال لهم سيما قوموا بنا الساعة حتى نمضى هذا العزم فانه ان تأخر علم به واحترز وأهلكنا وبلغ ذلك الوزير فأرسل الحاجب سلامة وعيسى الطبيب ليعلماه بذلك فوجداه نائما قد شرب أكثر ليلته

له الربيع كيف أمن بنى أمية وجراءة علينا اني والله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر من جهالة ولقد ثم التفت الى ت يبلغنى عنهم بعض السقم ولقد كنت سميت لهم
٤ رجالا فقلت قم أنت يا فلان فخذ معك من المال كذا وكذا وقم أنت يا فلان فخذ معك من المال كذا وكذا وحذوت لهم مثالا يعملون عليه فخرجوا حتى أتوا المدينة فدسوا ذلك المال فوالله ما بقى منهم شيخ ولا شاب ولا صغير ولا كبير الا بايعهم لى فاستحللت به دماءهم وحكمت عند ذلك بنقضهم بيعتى وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج على ثم قرأ فى درج المنبر وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب (قال المسعودى) وقال المنصور للربيع يوما اذكر حاجتك قال يا أمير المؤمنين حاجتى أن تحب الفضل فقال له ويحك ان المحبة انما تقع بأسباب قال يا أمير المؤمنين قد أمكنك الله من ايقاع السبب قال وما ذاك قال تفضل عليه فانك اذا فعلت ذلك أحبك واذا أحبك أحببته واذا أحببته كبر عندك صغير احسانه وصغر عندك كبير اساءته وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان وصاحبه اليك الشفيع العريان وقال المنصور يوما للربيع ويحك يا ربيع ما أطيب الدنيا لولا الموت قال له ما طابت الا بالموت قال وكيف ذلك قال

فلم

فلم يقدروا على اعلامه بذلك وزحف الحجرية والساجية الى الدار ووكل سيما بأبوابها من يحفظها وبقي هو على باب العامة وهجموا على الدار من سائر الابواب فلما سمع القاهر الاصوات والغلبة استيقظ مخمورا وطلب بابا يهرب منه فقيل له ان الابواب جميعها مشحونة بالرجال فهرب الى سطح حمام فلما دخل القوم لم يجدوه فاخذوا الخدم وسألوهم عنه فدلهم عليه خادم صغير فقصدوه فرأوه وبيده السيف فاجتهدوا به فلم ينزل لهم فألانوا له القول وقالوا نحن عبيدك وانما نريد ان نأخذ عليك العهود فلم يقبل منهم وقال من صعد الي قتلته فاخذ بعضهم سهما وقال ان نزلت والا وضعته في نحرك فنزل حينئذ اليهم فاخذوه وساروا به الى الموضع الذي فيه طريف السبكري ففتحوه وأخرجوه منه وحبسوا القاهر مكانه ثم سملوه وهرب وزيره الخصيبي وسلامة حاجبه

وقيل في سبب خلعه وقيام الساجية والحجرية غير ما تقدم وهو ان القاهر لما تمكن من الخلافة أقبل ينقص الساجية والحجرية على ممر الايام ولا يقضي لاكابرهم حاجة ويلزمهم النوبة في داره ويؤخر اعطياتهم ويغلظ لمن يخاطبه منهم في أمر ويحرمه فاقبل بعضهم ينظر بعضا ويتشاكون بينهم ثم انه كان يقول لسلامة حاجبه يا سلامة أنت بين يدي كنز مال يمنعني فاي شيء يبين في مالك لو أعطيتني ألف ألف دينار فيحمل ذلك منه على الهزل وكان وزيره الخصيبي أيضا خائفا لما يرى منه ثم انه حفر في الدار نحو خمسين مطمورة تحت الارض وأحكم ابوابها فكان يقال انه عملها لمقدمي الساجية والحجرية فازداد نفورهم منه وخوفهم ثم ان جماعة من القرامطة أخذوا بفارس وأرسلوا الى بغداد كما تقدم فحبسوا في تلك المطامير ثم تقدم سرا بفتح الابواب عليهم والاحسان اليهم وعزم على ان يتقوى بهم على القبض على مقدمي الحجرية والساجية ومن معه من غلمانه وأنكر الحجرية والساجية حال القرامطة وكونهم معه في داره محسنا اليهم وقالوا لوزيره الخصيبي وحاجبه سلامة في ذلك فقالا له فاخرجهم من الدار فسلمهم الى محمد بن ياقوت وهو على شرطة بغداد فانزلهم في دار وأحسن اليهم وكان يدخل اليهم من يريد فعظم استيحاشهم ثم صار يذمهم في مجلسه ويظهر كراهتهم حتى تبينوا ذلك في وجهه وحركاته معهم فاظهروا ان لبعض قوادهم عرسا فاجتمعوا بحجته وقرروا بينهم ما أرادوا وافترقوا وأرسلوا الى سابور خادم والدة المقتدر فقالوا له قد علمت ما فعله بمولاتك وقد ركبت في موافقته كل عظيم فان وافقتنا على ما نحن عليه وتقدمت الى الخدم بحفظه فعفا الله عما سلف منك والا فنحن نبدأ بك فاعلمهم ما عنده من الخوف والكراهة للقاهر وأنه موافقهم وكان ابن مقلة مع هذا يصنع عليه ويسعى فيه الى ان خلع كما ذكرنا وكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهر وثمانية أيام

(ذكر خلافة الراضي بالله)

هو أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله ولما قبض القاهر سألوا الخدم عن المكان الذي فيه أبو العباس بن المقتدر فدلوهم عليه وكان هو ووالدته محبوسين فقصدوه وفتحوا عليه ودخلوا فسلموا عليه بالخلافة وأخرجوه وأجلسوه على سرير القاهر يوم الاربعاء لست خلون من جمادى الاولى ولقبوه بالراضي بالله وبايعه القواد والناس وأمر باحضار علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وصدر عن رأيهما فيما يفعله واستشارهما وأراد علي بن عيسى على الوزارة فامتنع لكبره وعجزه وضعفه وأشار بابن مقلة ثم ان سيما قال للراضي ان الوقت لا يحتمل أخلاق علي وابن مقلة أليق بالوقت فكتب له أمانا وأحضره واستوزره فلما وزر أحسن الى كل من أساء اليه وأحسن سيرته وقال عاهدت الله عند استتاري بذلك فوفى به وأحضر الشهود والقضاة وأرسلهم الى

لولا الموت لم تقعد ههنا قال صدقت (وذكر) اسحق بن الفضل قال بينا أنا على باب المنصور اذ أتى عمرو بن عبيد فنزل عن حماره وجلس فخرج اليه الربيع فقال قم أبا عثمان بأبي أنت وأمي فلما دخل على أبي جعفر أمر أن تفرش له لبود بقربه وأجلسه اليه بعدما سلم ثم قال يا أبا عثمان عظني بموعظة فوعظه بمواعظ فلما أراد النهوض قال أمرنا لك بعشرة آلاف قال لا حاجة لي فيها قال أبو جعفر والله لتأخذنها قال لا والله لا آخذها وكان المهدي حاضرا فقال يحلف أمير المؤمنين وتحلف فالتفت عمرو الى أبي جعفر فقال من هذا الفتى قال هذا محمد ابني وهو المهدي وهو ولي عهدي قال أما والله لقد ألبسته لباسا ما هو من لباس الابرار ولقد سميته باسم ما استحقه عملا ولقد مهدت له أمنع ما يكون عنه ثم أقبل عمرو على المهدي فقال نعم يا ابن أخي اذا حلف أبوك أحنثه عمك لان أباك أقوى على الكفارات من عمك فقال له المنصور هل لك من حاجة يا أبا عثمان قال نعم قال ما هي قال ان لا تبعث الي حتى آتيك قال اذا لا نلتقي قال هي حاجتي فمضى واتبعه المنصور بطرفه ثم قال

كلكم يمشي رويد
كلكم يطلب صيد * غير عمرو بن عبيد

القاهر ليشهدوا عليه بالخلع فلم يفعل فسمل من ليلته فبقي أعمى لا يبصر وأرسل ابن مقلة الى الخصيبي وعيسى المتطبب بالامان فظهرا وأحسن اليهما واستعمل الخصيبي وولاه واستعمل الراضي بالله على الشرطة بدرا الخرشني واستعمل ابن مقلة أبا الفضل بن جعفر بن الفرات في جمادى الاولى نائبا عنه على سائر العمال بالموصل وقردى وبازبدى وماردين وطور عبدين وديار الجزيرة وديار بكر وطريق الفرات والثغور الجزرية والشامية وأجناد الشام وديار مصر يصرف من يرى ويستعمل من يرى في الخراج والمعاون والنفقات والبريد وغير ذلك وأرسل الى محمد بن رائق يستدعيه ليوليه الحجبة وكان قد استولى على الاهواز وأعمالها ودفع عنها ابن ياقوت ولم يبق بيد ابن ياقوت من تلك الولاية الا السوس وجنديسابور وهو يريد المسير الى أصبهان أميرا عليها على ما ذكرناه وكان ذلك آخر أيام القاهر فلما ولي الراضي واستحضره سار الى واسط وأرسل محمد بن ياقوت يخطب الحجبة فأجيب اليها فسار في أثر ابن رائق وبلغ ابن رائق الخبر فلم يقف وسار من واسط مصعدا الى بغداد يسابق ابن ياقوت فلما وصل الى المدائن لقيه توقيع الراضي يأمره بترك دخول بغداد وتقليده الحرب والمعاون بواسط مضافا الى ما بيده من البصرة وغيرها فعاد منحدرا في دجلة ولقيه ابن ياقوت مصعدا فيها أيضا فسلم بعضهم على بعض وأصعد ابن ياقوت الى بغداد فتولى الحجبة على ما نذكره

﴿ذكر وفاة المهدي صاحب افريقية وولاية ولده القائم﴾

في هذه السنة في شهر ربيع الاول توفي المهدي أبو محمد عبيد الله العلوي بالمهدية وأخفى ولده أبو القاسم موته سنة لتدبير كان له وكان يخاف ان يختلف الناس عليه اذا علموا بموته وكان عمر المهدي لما توفي ثلاثا وستين سنة وكانت ولايته منذ دخل رقادة ودعي له بالامامة الى ان توفي أربعا وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما ولما توفي ملك بعده ابنه أبو القاسم محمد وكان أبوه قد عهد اليه ولما أظهر وفاة والده كان قد تمكن وفرغ من جميع ما أراده واتبع سنة أبيه وثار عليه جماعة فتمكن منهم وكان من أشدهم رجل يقال له ابن طالوت القرشي في ناحية طرابلس وزعم انه ولد المهدي فقاموا معه وزحف الى مدينة طرابلس فقاتله أهلها ثم تبين للبربر كذبه فقتلوه وحملوا رأسه الى القائم وجهز القائم أيضا جيشا كثيفا مع ميسور الفتى الى المغرب فانتهى الى فاس والى تكرور وهزم خارجيا هناك وأخذ ولده أسيرا وسير أيضا جيشا في البحر وقدم عليهم رجلا اسمه يعقوب بن اسحق الى بلاد الروم فسبى وغنم في بلد جنوه وسير جيشا آخر مع خادمه زيدان وبالغ في النفقة عليهم وتجهيزهم الى مصر فدخلوا الاسكندرية فاخرج اليهم محمد الاخشيد عسكرا كثيفا فقاتلهم وهزموا المغاربة وقتلوا فيهم وأسروا وعاد المغاربة مفلولين

﴿ذكر استيلاء مرداويج على الاهواز﴾

لما بلغ مرداويج استيلاء علي بن بويه على فارس اشتد ذلك عليه فسار الى أصبهان للتدبير على ابن بويه فرأى أن ينفذ عسكرا الى الاهواز ليستولي عليها ويسد الطريق على عماد الدولة بن بويه اذا قصده فلا يبقى له طريق الى الخليفة ويقصده هو من ناحية أصبهان ويقصده عسكره من ناحية الاهواز فلا يثبت لهم فسارت عساكر مرداويج في شهر رمضان حتى بلغت ايذج فخاف ياقوت ان يحصل بينهم وبين ابن بويه فسار الى الاهواز ومعه ابنه المظفر وكتب الى الراضي ليقلده أعمال الاهواز فقلده ذلك وصار ابو عبد الله بن البريدي كاتبه مضافا الى ما بيده من أعمال الخراج بالاهواز وصار أخوه أبو الحسين يخلف ياقوتا ببغداد ثم استولى عسكر مرداويج على رامهرمز أول شوال من هذه السنة وساروا نحو الاهواز فوقف لهم ياقوت على قنطرة اربق

فلم

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور بعد ما بايع للمهدي فقال له يا أبا عثمان هذا ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين فقال له عمرو يا أمير المؤمنين أراك قد وطدت له الامور وهي تصير اليه وأنت عنه مسؤول فاستعبر المنصور وقال له عظني يا عمرو قال يا أمير المؤمنين ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منها ببعضها وان هذا الذي في يديك لو بقي في يد غيرك لم يصل اليك فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده وأنشد

يا أيهذا الذي قد غره الامل ... ودون ما يأمل التنغيص والاجل
ألا ترى انما الدنيا وزينتها ... كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد ... وصفوها كدر وملكها دول
تظل تقرع بالروعات ساكنها ... فما يسوغ له لين ولا جذل
كأنه للمنايا والردى غرض ... تظل فيه بنات الدهر تنتضل
والنفس هاربة والموت يرصدها ... وكل عثرة رجل عندها زلل
والمرء يسعى لما يبقى لوارثه ... والقبر وارث ما يسعى له الرجل

ومات عمرو بن عبيد في أيام المنصور سنة أربع وأربعين ومائة ويكنى أبا عثمان وهو عمرو بن عبيد بن رباب مولى بني تميم وكان جده رباب من سبي كابل من رجال السند وكان شيخ المعتزلة

فلم يمكنهم من العبور لشدة جرية الماء فاقاموا بازائه أربعين يوما ثم رحلوا فعبروا على الاطواف نهر المسرقان فبلغ الخبر الى ياقوت وقد أتاه مدد من بغداد قبل ذلك بيومين فسار بهم الى قرية الريح وسار منها الى واسط وبها حينئذ محمد بن رائق فاخلى له غربى واسط فنزل فيه ياقوت ولما بلغ عماد الدولة استيلاء مرداويج على الاهواز كاتب نائب مرداويج يستميله ويطلب منه ان يتوسط الحال بينه وبين مرداويج ففعل ذلك وسعى فيه فاجابه مرداويج الى ذلك على أن يطيعه ويخطب له فاستقر الحال بينهما وأهدى له ابن بويه هدية جليلة وأنفذ أخاه ركن الدولة رهينة وخطب لمرداويج فى بلاده فرضى مرداويج منه واتفق انه قتل على مانذكره فقوى امر ابن بويه

﴿ ذكر عود ياقوت الى الاهواز ﴾

ولما وصل ياقوت الى واسط اقام بها الى ان قتل مرداويج ومعه أبو عبد الله البريدى يكتب له فلما قتل مرداويج عاد ياقوت الى الاهواز واستولى على تلك الولاية ولما وصل ياقوت الى عسكر مكرم بعد قتل مرداويج كانت عساكر ابن بويه قد سبقته فالتقوا بنواحى ارجان وكان ابن بويه قد لحق باصحابه واشتد قتالهم بين يديه فانهزم ياقوت ولم يفلح بعدها وراسل أبو عبد الله البريدى ابن بويه فى الصلح فاجاب الى ذلك وكتب به الى الراضى فاجاب الى ذلك وقرر بلاد فارس على ابن بويه واستقر بشيراز واستقر ياقوت بالاهواز ومعه ابن البريدى وكان محمد بن ياقوت قد سار الى بغداد وتولى الحجبة وخلع الراضى عليه وتولى مع الحجبة رياسة الجيش وادخل يده فى أمر الدواوين وتقدم اليهم بان لا يقبلوا توقيعا بولاية ولا عزل واطلاق الا اذا كان خطه عليه وأمرهم بحضور مجلسه فصبر أبو على بن مقلة على ذلك وألزم نفسه بالمصير الى دار ابن ياقوت فى بعض الاوقات وبقى كالمتعطل ولقد كان فى هذه الايام القليلة حوادث عظيمة منها انصراف وشمكير أخى مرداويج عن أصبهان بكتاب القاهر بعد أن ملكها واستعمال القاهر محمد بن ياقوت عليها وخلع القاهر وخلافة الراضى وأمر الحجبة لمحمد بن رائق ثم انفساخه ومسير محمد بن ياقوت من رامهرمز الى بغداد وولايته الحجبة بعد ان كان سائرا الى اصبهان ليتولاها واعادة مرداويج أخاه وشمكير اليها وملك على بن بويه ارجان هذا جميعه فى هذه اللحظة القريبة فى سبعين يوما فتبارك الله الذى بيده الملك والملكوت يصرف الامور كيف يشاء لا اله الا هو

﴿ ذكر قتل هرون بن غريب ﴾

فى هذه السنة قتل هرون بن غريب وكان سبب قتله انه كان كما ذكرنا قد استعمله القاهر على ماه الكوفة وقصبتها الدينور وعلى ماسبذان وغيرها فلما خلع القاهر واستخلف الراضى رأى هرون انه أحق بالدولة من غيره لقرابته من الراضى حيث هو ابن خال المقتدر فكاتب القوّاد ببغداد يعدهم الاحسان والزيادة فى الارزاق ثم سار من الدينور الى خانقين فعظم ذلك على ابن مقلة وابن ياقوت والحجرية والساجية واجتمعوا وشكوه الى الراضى فاعلمهم انه كاره له وأذن لهم فى منعه فراسلوه أوّلا وبذلوا له طريق خراسان زيادة على مافى يده فلم يقنع به وتقدم الى النهروان وشرع فى جباية الاموال وظلم الناس وعسفهم وقويت شوكته فخرج اليه محمد بن ياقوت فى سائر جيوش بغداد ونزل قريبا منه ووقعت الطلائع بعضها على بعض وهرب بعض أصحاب محمد بن ياقوت الى هرون وراسله محمد يستميله ويبذل له فلم يجب الى ذلك وقال لا بد من دخول بغداد فلما كان يوم الثلاثاء لست بقين من جمادى الآخرة تزاحف العسكران واشتد القتال واستظهر أصحاب هرون لكثرتهم فانهزم أكثر أصحاب ابن ياقوت ونهب أكثر سوادهم وكثر فيهم الجراح

مغنيها وله خطب ورسائل وفى سنة احدى وأربعين ومائة شخص المنصور الى بيت المقدس فصلى فيه لنذر كان عليه وانصرف وفى سنة ست وأربعين ومائة مات هشام بن عروة وهو ابن خمس وثمانين وكان اذا أسمعه رجل كلاما قال انا أرفع نفسى ثم نازع ابن الحسين بن على فاسرع اليه هشام فقال له على انى أدعك الى ما كنت تدعو اليه وفى سنة خمسين ومائة مات أبو حنيفة النعمان بن ثابت مولى تيم اللات من بكر بن وائل فى أيام المنصور ببغداد توفى وهو ساجد فى صلاته وهو ابن تسعين سنة وفى سنة سبع وخمسين مات الاوزاعى ويكنى أبا عمرو عبد الرحمن بن عمرو من أهل الشام وانما كان منزله فيهم أعنى الاوزاع ولم يكن منهم وذلك بدمشق فى آخر أيام المنصور وله تسعون سنة وفى سنة ست وخمسين ومائة مات سوار بن عبد الله القاضى وفى سنة أربع وخمسين ومائة مات أبو عمرو ابن العلاء فى أيام المنصور وطال حبس عبد الله بن على بأمر المنصور وأقام فى محبسه تسع سنين فلما أراد المنصور الحج فى سنة تسع وأربعين ومائة حوّله من عنده الى عيسى بن موسى وأمره بقتله وأن لا يعلم بذلك أحدا فاستشار عيسى ابن موسى ابن شبرمة فقال له لا تفعل فأبى أن يقتله وأظهر لابى جعفر أنه قتله وشاع ذلك فكلم بنو على عيسى بن موسى فى عبد الله بن على فقال قد قتلته

والقتل فسار محمد بن ياقوت حتى قطع قنطرة نهر بين فبلغ ذلك هرون فسار نحو القنطرة منفردا عن أصحابه طمعا في قتل محمد بن ياقوت أو أسره فتقنطر به فرسه فسقط عنه في ساقية فلحقه غلام له اسمه يمن فضربه بالطبرزين حتى أثخنه وكسر عظامه ثم نزل اليه فذبحه ثم رفع رأسه وكبر فانهزم أصحابه وتفرقوا ودخل بعضهم بغداد سرا ونهب سواد هرون وقتل جماعة من قواده وأسر جماعة وسار محمد الى موضع جثة هرون فأمر بحملها الى مضربه وأمر بغسله وتكفينه ثم صلى عليه ودفنه وأنفذ الى داره من يحفظها من النهب ودخل بغداد ورأس هرون بين يديه ورؤس جماعة من قواده فنصب ببغداد

﴿ذكر ظهور انسان ادعى النبوة﴾

في هذه السنة ظهر بباسند من أعمال اصفهان رجل ادعى النبوة فقصده فوج بعد فوج واتبعه خلق كثير وحارب من خالفه فقتل خلقا كثيرا ممن كذبه فكثر أتباعه من أهل الشاش خصوصا وكان صاحب حيل ومخاريق وكان يدخل يده في حوض ملآن ماء فيخرجها مملوأة دنانير الى غير ذلك من المخاريق فكثر جمعه فانفذ اليه أبو علي بن محمد بن المظفر جيشا فحاربوه وضيقوا عليه وهو فوق جبل عال حتى قبضوا عليه وقتلوه وحملوا رأسه الى أبي علي وقتلوا خلقا كثيرا ممن اتبعه وآمن به وكان يدعي أنه متى مات عاد الى الدنيا فبقي بتلك الناحية جماعة كثيرة على ما دعاهم اليه مدة طويلة ثم اضمحلوا وفنوا

﴿ذكر قتل الشلمغاني وحكاية مذهبه﴾

وفي هذه السنة قتل أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي القراقر وشلمغان التي ينسب اليها قرية بنواحي واسط وسبب ذلك أنه قد احدث مذهبا غاليا في التشيع والتناسخ وحلول الالهية فيه الى غير ذلك مما يحكيه وأظهر ذلك من فعله أبو القاسم الحسين بن روح الذي تسميه الامامية الباب متداول وزارة حامد بن العباس ثم اتصل أبو جعفر الشلمغاني بالمحسن بن أبي الحسن بن الفرات في وزارة أبيه الثالثة ثم انه طلب في وزارة الخاقاني فاستتر وهرب الى الموصل فبقي سنين عند ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان في حياة أبيه عبد الله بن حمدان ثم انحدر الى بغداد واستتر وظهر عنه ببغداد أنه يدعي لنفسه الربوبية وقيل انه اتبعه على ذلك الحسين بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب الذي وزر للمقتدر بالله وأبو جعفر وأبو علي ابنا بسطام وابراهيم بن محمد بن أبي عون وابن شبيب الزيات وأحمد بن محمد بن عبدوس كانوا يعتقدون ذلك فيه وظهر ذلك عنهم وطلبوا أيام وزارة ابن مقلة للمقتدر بالله فلم يوجدوا فلما كان في شوال سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ظهر الشلمغاني فقبض عليه الوزير ابن مقلة وسجنه وكبس داره فوجد فيها رقاعا وكتبا ممن يدعي عليه أنه على مذهبه يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضا وفيها خط الحسين بن القاسم فعرضت الخطوط فعرفها الناس وعرضت على الشلمغاني فاقر أنها خطوطهم وأنكر مذهبه وأظهر الاسلام وتبرأ مما يقال فيه وأخذ ابن أبي عون وابن عبدوس معه وأحضرا معه عند الخليفة وأمرا بصفعه فامتنعا فلما أكرها مد ابن عبدوس يده وصفعه وأما ابن أبي عون فانه مد يده الى لحيته ورأسه فارتعدت يده فقبل لحية الشلمغاني ورأسه ثم قال الهي وسيدي ورازقي فقال له الراضي قد زعمت انك لا تدعي الالهية فما هذا فقال وما علي من قول ابن أبي عون والله يعلم انني لا قلت له انني اله قط فقال ابن عبدوس انه لم يدع الالهية وانما ادعى أنه الباب الى الامام المنتظر مكان ابن روح وكنت أظن انه يقول ذلك تقية ثم احضروا عدة مرات ومعهم ا

المسلمين فقاتلنه وكان أبو جعفر المؤمنا احب أن يكون عيسى قتله فيقتله به فيستريح منهما جميعا قال فدعا به فقال لم قتلت عمي قال أنت أمرتني بقتله قال لم آمرك بذلك فقال هذا كتابك الي فيه قال لم أكتبه فلما رأى الجد من المنصور وتخوف على نفسه قال هو عندي لم أقتله قال ادفعه الى أبي الازهر المهلب بن أبي عيسى فلم يزل عنده محبوسا ثم أمره بقتله فدخل عليه ومعه جارية له فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات ثم مده على الفراش ثم أخذ الجارية ليخنقها فقالت يا عبد الله قتلة غير هذه فكان أبو الازهر يقول ما رحمت أحدا قتلته غيرها فصرفت وجهي عنها وأمرت بها فخنقت ووضعتها معه على الفراش وأدخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمعتنقين ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما ثم احضرنا القاضي ابن علاثة وغيره فنظروا الى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال ثم أمر به فدفن في مقابر أبي سويد بباب الشام من بغداد في الجانب الغربي (قال المسعودي) وذكر عبد الله بن عياش المنتوف قال قال المنصور يوما ونحن عنده أتعرفون جبارا أول اسمه عين قتل جبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه

الفقهاء والقضاة والكتاب والقواد وفي آخر الايام أفتى الفقهاء باباحة دمه فصلب ابن الشلمغاني وابن أبي عون في ذي القعدة وأحرقا بالنار وكان من مذهبه أنه اله الآلهة يحق الحق وانه الاوّل القديم الظاهر الباطن الرازق التام الموى اليه بكل معنى وكان يقول ان الله سبحانه وتعالى يحل في كل شئ على قدر ما يحتمل وانه خلق الضد ليدل على المضدود فمن ذلك أنه حل في آدم لما خلقه وفي ابليسه أيضا وكلاهما ضد لصاحبه لمضادته اياه في معناه وان الدليل على الحق أفضل من الحق وان الضد اقرب الى الشئ من شبهه وان الله عز وجل اذا حل في جسد ناسوتي ظهر من القدرة والمعجزة ما يدل على انه هو وانه لما غاب آدم ظهر اللاهوت في خمسة ناسوتية كلما غاب منهم واحد ظهر مكانه آخر وفي خمسة أبالسة اضداد لمتلك الخمسة ثم اجتمعت اللاهوتية في ادريس وابليسه وتفرقت بعدهما كما تفرقت بعد آدم واجتمعت في نوح عليه السلام وابليسه وتفرقت عند غيبتهما واجتمعت في هود وابليسه وتفرقت بعدهما واجتمعت في صالح عليه السلام وابليسه عاقر الناقة وتفرقت بعدهما واجتمعت في ابراهيم عليه السلام وابليسه نمروذ وتفرقت لما غابا واجتمعت في هرون وابليسه فرعون وتفرقت بعدهما واجتمعت في سليمان وابليسه وتفرقت بعدهما واجتمعت في عيسى وابليسه فلما غابا تفرقت في تلامذة عيسى وابالستهم ثم اجتمعت في على بن أبي طالب وابليسه ثم ان الله يظهر في كل شئ وكل معنى وانه في كل أحد بالخاطر الذي يخطر بقلبه فيتصور له ما يغيب عنه حتى كأنه يشاهده وان الله اسم لمعنى وان من احتاج الناس اليه فهو اله ولهذا المعنى يستوجب كل أحد ان يسمى الها وان كل أحد من اشياعه يقول انه رب لمن هو في دون درجته وان الرجل منهم يقول أنا رب لفلان وفلان رب لفلان وفلان رب ربي حتى يقع الانتهاء الى ابن أبي القراقر فيقول أنا رب الارباب لا ربوبية بعده ولا ينسبون الحسن والحسين رضي الله عنهما الى على كرم الله وجهه لان من اجتمعت له الربوبية لا يكون له ولد ولا والد وكانوا يسمون موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم الخائنين لانهم يدعون ان هرون أرسل موسى وعليا أرسل محمدا فخاناهما ويزعمون ان عليا أمهل محمدا عدة سنين أصحاب الكهف فان انقضت هذه العدة وهي ثلثمائة وخمسون سنة انتقلت الشريعة ويقولون ان الملائكة كل من ملك نفسه وعرف الحق وان الجنة معرفتهم وانتحال مذهبهم والنار الجهل بهم والعدول عن مذهبهم ويعتقدون ترك الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات ولا يتناكحون بعقد ويبيحون الفروج ويقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث الى كبراء قريش وجبابرة العرب ونفوسهم أبية فامرهم بالسجود وان الحكمة الآن ان يمتحن الناس باباحة فروج نسائهم وأنه يجوز ان يجامع الانسان من شاء من ذوي رحمه وحرم صديقه وابنه بعد ان يكون على مذهبه وانه لا بد للفاضل منهم ان ينكح المفضول ليولج النور فيه ومن امتنع من ذلك قلب في الدور الذي يأتي بعد هذا العالم امرأة اذ كان مذهبهم التناسخ وكانوا يعتقدون اهلاك الطالبيين والعباسيين تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وما أشبه هذه المقالة لمقالة النصيرية ولعلها هي هي فان النصيرية يعتقدون في ابن الفرات ويجعلونه رأسا في مذهبهم وكان الحسين بن القاسم بالرقة فارسل الراضي بالله اليه فقتل آخر ذي القعدة وحمل رأسه الى بغداد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أرسل محمد بن ياقوت حاجب الخليفة رسولا الى أبي طاهر القرمطي يدعوه الى طاعة الخليفة ليقره على ما بيده من البلاد ويقلده بعد ذلك ما شاء من البلدان ويحسن اليه

عين قال قلت نعم يا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال المنصور أفتعرفون خليفة أوّل اسمه عين قتل جبارا أوّل اسمه عين وجبارا أوّل اسمه عين وجبارا أوّل اسمه عين قلت نعم أنت يا أمير المؤمنين قتلت عبد الرحمن ابن مسلم وعبد الجبار بن عبد الرحمن وعمك عبد الله بن علي سقط عليه البيت قال فاذنبي ان كان سقط عليه البيت قلت لا ذنب لك فتبسم ثم قال هل تحفظ الابيات التي قالتها زوجة الوليد أخت عمرو بن سعيد وهي حاسرة تنشد

أيا عين جودي بالدموع على عمرو
عشية أوتينا الخلافة بالقهر
غدرتم بعمرو يا بني خيط باطل
وكلكم يبني البيوت على غدر
وما كان عمرو عاجزا غير أنه
أتته المنايا بغتة وهو لا يدري
كأن بني مروان اذ يقتلونه
خشاش من الطير اجتمعن على صقر
لحى الله دنيا تعقب الذل أهلها
وتهتك ما بين القرابة من ستر
ألا يا لقومي للوفاء وللغدر
وللمغلقين الباب قسرا على عمرو
فرحنا وراح الشامتون عشية
كأن على اعناقهم فلق الصخر

قال ابن عياش فقال المنصور فما الابيات التي بعث بها عمرو الى عبد الملك بن مروان قال

ويلتمس منه ان يكف عن الحاج جميعهم وان يرد الحجر الاسود الى موضعه بمكة فاجاب أبو طاهر الى انه لا يعترض للحاج ولا يصيبهم بمكروه ولم يجب الى رد الحجر الاسود الى مكة وسأل ان يطلق له الميرة من البصرة ليخطب للخليفة في أعمال هجر فسار الحاج الى مكة وعادوا ولم يعترض لهم القرامطة وفيها في ذي القعدة عزم محمد بن ياقوت على المسير الى الاهواز لمحاربة عسكر مرداويج فتقدم الى الجند الحجرية والساجية بالتجهز للسير معه وبذل مالا يتجهزون به فامتنعوا وتجمعوا وقصدوا دار محمد بن ياقوت فاغلظ لهم في الخطاب فسبوا ورموا داره بالحجارة ولما كان الغد قصدوا داره أيضا وأغلظوا له في الخطاب وقاتلوا من بداره من أصحابه فرماهم أصحابه وغلمانه بالنشاب فانصرفوا وبطلت الحركة الى الاهواز وفيها صار جماعة من أصحاب أبي طاهر القرمطي الى نواحي توج في مراكب وخرجوا منها الى تلك الاعمال فلما بعدوا عن المراكب أرسل الوالي في البلاد الى المراكب وأحرقها وجمع الناس وحارب القرامطة فقتل بعضا وأسر بعضا فيهم ابن الغمر وهو من أكابر دعاتهم وسيرهم الى بغداد أيام القاهر فدخلوها مشهورين وسجنوا وكان من أمرهم ما ذكرناه في خلع القاهر وفيها قتل القاهر بالله اسحق بن اسمعيل النوبختي وهو الذي أشار باستخلافه فكان كالباحث عن حتفه بظلفه وقتل أيضا أبا السرايا بن حمدان وهو أصغر ولد أبيه وسبب قتلهما انه أراد ان يشتري مغنيتين قبل أن يلي الخلافة فزادا عليه في ثمنهما فحقد ذلك عليهما فلما أراد قتلهما استدعاهما للمنادمة فتزينا وتطيبا وحضرا عنده فامر بالقائهما الى بئر في الدار وهو حاضر فتضرعا وبكيا فلم يلتفت اليهما وألقاهما فيها وطمها عليهما وفيها أحضر أبو بكر بن مقسم ببغداد في دار سلامة الحاجب وقيل له انه قد ابتدع قراءة لم تعرف وأحضر ابن مجاهد والقضاة والقراء وناظروه فاعترف بالخطا وتاب منه وأحرقت كتبه وفيها سار الدمستق قرقاش في خمسين ألفا من الروم فنازل ملطية وحصرها مدة طويلة وهلك أكثر اهلها بالجوع وضرب خيمتين على احداهما صليب وقال من أراد النصرانية انحاز الى خيمة الصليب ليرد عليه أهله وماله ومن أراد الاسلام انحاز الى الخيمة الاخرى وله الامان على نفسه ويبلغه مأمنه فانحاز أكثر المسلمين الى الخيمة التي عليها الصليب طمعا في أهليهم وأموالهم وسير مع الباقين بطريقا يبلغهم مأمنهم وفتحها بالامان مستهل جمادى الآخرة يوم الاحد وملكوا سميساط وخربوا الاعمال وأكثروا القتل وفعلوا الافاعيل الشنيعة وصار أكثر البلاد في أيديهم وفيها توفي عبد الملك بن محمد ابن عدي أبو نعيم الفقيه الجرجاني الاستراباذي وأبو علي الروذباري الصوفي واسمه محمد بن أحمد بن القاسم وقيل توفي سنة ثلاث وعشرين وفيها توفي خير بن عبد الله النساج الصوفي من أهل سامرا وكان من الابدال ومحمد بن علي بن جعفر أبو بكر الكتاني الصوفي المشهور وهو من أصحاب الجنيد وأبي سعيد الخراز (الخراز بالخاء المعجمة والراء والزاي)

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة)

(ذكر قتل مرداويج)

في هذه السنة قتل مرداويج الديلمي صاحب بلاد الجبل وغيرها وكان سبب قتله انه كان كثير الاساءة للاتراك وكان يقول ان روح سليمان بن داود عليه السلام حلت فيه وان الاتراك هم الشياطين والمردة فان قهرهم والا أفسدوا فثقلت وطأته عليهم وتمنوا هلاكه فلما كان ليلة الميلاد من هذه السنة وهي ليلة الوقود أمر بان يجمع الحطب من الجبال والنواحي وان يجعل على جانبي الوادي المعروف بزندروذ كالمنابر والقباب العظيمة ويعمل مثل ذلك على الجبل

المعروف

قالت نعم يا أمير المؤمنين كتب اليه

يريد ابن مروان امورا أظنها * ستحمله مني على مركب صعب

لينقض عهدا كان مروان شده
وأدرك فيه بالقطيعة والكرب
فقدمته قبلي وقد كنت قبله
ولولا انقيادي كان كرب من الكرب
وكان الذي أعطيت مروان هفوة
عنفت بها رأيا وخطبا من الخطب
فان تنفذوا الامر الذي كان بيننا
فقلنا جميعا بالسهولة والرحب
وان يعطها عبد العزيز ظلامة
فأولى بها منا ومنه بنو حرب

وكان مولد المنصور في السنة التي مات فيها الحجاج ابن يوسف وهي سنة خمس وتسعين وكان يقول ولدت في ذي الحجة وأعذرت في ذي الحجة ووليت الخلافة في ذي الحجة وأحسب الامر يكون في ذي الحجة فكان كما ذكر (وحدث) الفضل بن الربيع قال كنت مع المنصور في السفر الذي مات فيه فنزل منزلا من المنازل فبعث الي وهو في قبة ووجهه الى الحائط فقال لي ألم انهك أن تدع العامة يدخلوا هذه المنازل فيكتبوا فيها مالا خير فيه قلت وما هو يا أمير المؤمنين قال أما ترى على الحائط مكتوبا

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لابد نازل

المعروف بكريم كوه المشرف على أصبهان من أسفله الى أعلاه بحيث اذا اشتعلت تلك الاحطاب يصير الجبل كله نارا وعمل مثل ذلك بجميع الجبال والتلال التى هناك وأمر بجمع له النفط ومن يلعب به وعمل من الشموع مالا يحصى وصيد له من الغربان والحداء زيادة على ألفى طائر ليجعل فى أرجلها النفط وترسل لتطير بالنار فى الهواء وأمر بعمل سماط عظيم كان من جملة مافيه مائة فرس ومائتان من البقر مشوية صحاحا سوى ماشوى من الغنم فانها كانت ثلاثة آلاف رأس سوى المطبوخ وكان فيه من الدجاج وغيره من أنواع الطير زيادة على عشرة آلاف عدد وعمل من ألوان الحلواء مالا يحد وعزم على ان يجمع الناس على ذلك السماط فاذا فرغوا قام الى مجلس الشراب ويشعل النيران فيتفرج فلما كان آخر النهار ركب وحده وغلمانه رجالة وطاف بالسماط ونظر اليه والى تلك الاحطاب فاستحقر الجميع لسعة الصحراء وتضجر وغضب ولعن من صنعه ودبره فخافه من حضر فعاد ونزل ودخل خركاة له فنام فلم يجسر أحد ان يكلمه واجتمع الامراء والقواد وغيرهم وأرجفوا عليه فمن قائل انه غضب لكثرته لانه كان بخيلا ومن قائل انه قد اعتراه جنون وقيل بل أوجعه فؤاده وقيل غير ذلك وكادت الفتنة تثور وعرف العميد وزيره صورة الحال فاتاه ولم يزل حتى استيقظ وعرفه ما الناس فيه فخرج وجلس على الطعام وأكل ثلاث لقم ثم قام ونهب الناس الباقى ولم يجلس للشراب وعاد الى مكانه وبقى فى معسكره بظاهر اصبهان ثلاثة أيام لا يظهر فلما كان اليوم الرابع تقدم باسراج الدواب ليعود من منزلته الى داره باصبهان فاجتمع ببابه خلق كثير وبقيت الدواب مع الغلمان وكثر صهيلها ولعبها والغلمان يصيحون بها لتسكن من الشغب وكانت مزدحمة فارتفع من الجميع أصوات هائلة وكان مرداويج نائما فاستيقظ فصعد فنظر فرأى ذلك فسال فعرف الحال فازداد غضبا وقال اما كفى من اخراق الحرمة ما فعلوه فى ذلك الطعام وما ارجفوا به حتى انتهى أمرى الى هؤلاء الكلاب ثم سأل عن أصحاب الدواب فقيل انها للغلمان الاتراك وقد نزلوا الى خدمتك فامر ان تحط السروج عن الدواب وتجعل على ظهور أصحابها الاتراك ويأخذون بارسان الدواب الى الاسطبلات ومن امتنع من ذلك ضربه الديلم بالمقارع حتى يطيع ففعلوا ذلك بهم وكانت صورة قبيحة يأنف منها أحقر الناس ثم ركب هو بنفسه مع خاصته وهو يتوعد الاتراك حتى صار الى داره قرب العشاء وكان قد ضرب قبل ذلك جماعة من أكابر الغلمان الاتراك فحقدوا عليه وأرادوا قتله فلم يجدوا اعوانا فلما جرت هذه الحادثة انتهزوا الفرصة وقال بعضهم ما وجه صبرنا على هذا الشيطان فاتفقوا وتحالفوا على الفتك به فدخل الحمام وكان كورتكين يحرسه فى خلواته وحمامه فامره ذلك اليوم أن لا يتبعه فتأخر عنه مغضبا وكان هو الذى يجمع الحرس فلشدة غضبه لم يأمر أحدا ان يحضر حراسته واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه وكان له ايضا خادم اسود يتولى خدمته بالحمام فاستمالوه فمال اليهم فقالوا للخادم لا تحمل معه سلاحا وكانت العادة ان يحمل معه خنجرا طوله نحو ذراع ملفوفا فى منديل فلما قالوا ذلك للخادم قال ما أجسر فاتفقوا على ان كسروا حديد الخنجر وتركوا النصاب فى الغلاف بغير حديد ولفوه فى المنديل كما جرت العادة لئلا ينكر الحال فلما دخل مرداويج الحمام فعل الخادم ما قيل له وجاء خادم آخر وهو استاذ داره فجلس على باب الحمام فهجم الاتراك الى الحمام فقام استاذ داره ليمنعهم وصاح بهم فضربه بعضهم بالسيف فقطع يده فصاح بالاسود وسقط وسمع مرداويج الضجة فبادر الى الخنجر ليدفع به عن نفسه فوجده مكسورا فاخذ سريرا من خشب كان يجلس عليه اذا اغتسل فترس به باب الحمام من داخل ودفع الاتراك الباب فلم يقدروا على

أبا جعفر هل كاهن أو منجم * يرد قضاء الله أم أنت جاهل قال فقلت والله ما ارى على الحائط شيأ وانه لنقى ابيض قال الله قلت الله قال انها والله اذا نفسى نعيت الى الرحيل بادر بى الى حرم ربى وامنه هاربا من ذنوبى واسرافى على نفسى فرحلنا وقد ثقل حتى اذا بلغنا بئر ميمون قلت له هذه بئر ميمون وقد دخلت الحرم فتوفى بها وكان من الحزم وصواب الرأى وحسن السياسة على ما تجاوز كل وصف وكان يعطى الجزيل والخطير ما كان عطاؤه حزما ويمنع الحقير اليسير ما كان اعطاؤه تضييعا وكان كما قال زياد لو أن عندى ألف بعير وعندى بعير اجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره وخلف ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار وكان مع هذا يضن بماله وينظر فيما لا ينظر فيه العوام ووافق صاحب مطبخه على أن له الرؤس والاكارع والجلود وعليه الحطب والتوابل ومن كرمه أنه وصل عمومته وهم عشرة فى يوم واحد بعشرة آلاف درهم وأسماؤهم عبد الله بن على وعبد الصمد بن على واسمعيل بن على وعيسى بن على وداود بن على وصالح بن على وسليمان بن على واسحق بن على ومحمد بن على ويحيى بن على وكان يعمل فى بنائه مدينة بغداد التى بناها وعرفت به فى كل يوم خمسون ألف رجل وكان له من الولد المهدى وجعفر وأمهما أم موسى

فتبعه فصعد بعضهم الى السطح وكسروا الجامات ورموه بالنشاب فدخل البيت الحار وجعل يتلطفهم ويحلف لهم على الاحسان فلم يلتفتوا اليه وكسروا باب الحمام ودخلوا عليه فقتلوه وكان الذين ألبوا الناس عليه وشرعوا في قتله توزون وهو الذى صار أمير العساكر ببغداد وياروق وابن بغرا ومحمد بن ينال الترجمان ووافقهم بجكم وهو الذى ولى أمر العراق قبل توزون وسيرد ذكر ذلك ان شاء الله تعالى فلما قتلوه بادروا فاعلموا أصحابهم فركبوا ونهبوا قصره وهربوا ولم يعلم بهم الديلم لان أكثرهم كانوا قد دخلوا المدينة ليلحقى بهم وتخلف الاتراك معه لهذا السبب فلما علم الديلم والجيل ركبوا في أثرهم فلم يلحقوا منهم الا نفرا يسيرا وقفت دوابهم فقتلوهم وعادوا لينهبوا الخزائن فرأوا العميد قد ألقى النار فيها فلم يصلوا اليها فبقيت بحالها ومن عجيب ما يحكى ان العساكر في ذلك اليوم لما رأوا غضب مرداويج قعدوا يتذاكرون ماهم فيه معه من الجور وشدة عتوه وتمرده عليهم ودخل بينهم رجل شيخ لا يعرفه منهم أحد وهو راكب فقال قد زاد أمر هذا الكافر واليوم تكفونه ويأخذه الله ثم سار فلحقت الجماعة دهشة ونظر بعضهم في وجوه بعض ومر الشيخ فقالوا المصلحة أننا نتبعه ونأخذه ونستعيده الحديث لئلا يسمع مرداويج ما جرى فلا نلقى منه خيرا فتبعوه فلم يروا أحدا وكان مرداويج قد تجبر قبل ان يقتل وعتا وعمل له كرسيا من ذهب يجلس عليه وعمل كراسي من فضة يجلس عليها أكابر قواده وكان قد عمل تاجا مرصعا على صفة تاج كسرى وقد عزم على قصد العراق والاستيلاء عليه وبناء المدائن ودور كسرى ومساكنه وأن يخاطب اذا فعل ذلك بشاهنشاه فأتاه أمر الله وهو غافل عنه واستراح الناس من شره ونسأل الله تعالى أن يريح الناس من كل ظالم سريعا ولما قتل مرداويج اجتمع أصحابه الديلم والجيل وتشاوروا وقالوا ان بقينا بغير رأس هلكنا فاجتمعوا على طاعة أخيه وشمكير ابن زيار وهو والد قابوس وكان بالرى فحملوا تابوت مرداويج وساروا نحو الرى فخرج من بها من أصحابه مع أخيه وشمكير فالتقوه على اربعة فراسخ مشاة حفاة وكان يوما مشهودا واما أصحابه الذين كانوا بالاهواز وأعمالها فانهم لما بلغهم الخبر كتموه وساروا نحو الرى فاطاعوا وشمكير أيضا واجتمعوا عليه ولما قتل مرداويج كان ركن الدولة بن بويه رهينة عنده كما ذكرناه فبذل للموكلين مالا فاطلقوه فخرج الى الصحراء ليفك قيوده فاقبلت بغال عليها تبن وعليها أصحابه وغلمانه فالقى التبن وكسر أصحابه قيوده وركبوا الدواب ونجوا الى أخيه عماد الدولة بفارس

(ذكر مافعله الاتراك بعد قتله)

لما قتل الاتراك مرداويج هربوا وافترقوا فرقتين ففرقة سارت الى عماد الدولة بن بويه مع تجخج الذى سمله توزون فيما بعد وسنذكره وفرقة سارت نحو الجبل مع بجكم وهى أكثرها فجبوا خراج الدينور وغيرها وساروا الى النهروان فكاتبوا الراضى في المسير الى بغداد فاذن لهم فدخلوا بغداد فظن الحجرية انها حيلة عليهم فطلبوا رد الاتراك الى بلد الجبل فامرهم ابن مقلة بذلك وأطلق لهم مالا فلم يرضوا به وغضبوا فكاتبهم ابن رائق وهو بواسط وله البصرة أيضا فاستدعاهم فمضوا اليه وقدم عليهم بجكم وأمره بمكاتبة الاتراك والديلم من أصحاب مرداويج فكاتبهم فأتاه منهم عدة وافرة فاحسن اليهم وخلع عليهم والى بجكم خاصة وأمره أن يكتب الى الناس بجكم الرائقى فاقام عنده وكان من أمرهما ما نذكره

(ذكر حال وشمكير بعد قتل أخيه)

وأما وشمكير فانه لما قتل أخوه وقصدته العساكر التى كانت لاخيه وأطاعته وأقام بالرى فكتب

الامير

الجبرية وتوفى جعفر فى حياة أبيه المنصور وسليمان وعيسى ويعقوب وجعفر الاصغر من كردية وصالح الملقب بالمسكين وبنت تسمى عالية (قال المسعودى) وللمنصور أخبار حسان مع الربيع وعبد الله بن عياش وجعفر بن محمد وعمرو ابن عبيد وغيرهم ولهم خطب ومواعظ وسير وسياسات فى الملك قد أتينا على أكثرها فى كتابنا أخبار الزمان وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا تدلك على ما سبق فى كتبنا والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر خلافة المهدى محمد بن عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس)

ويكنى أبا عبد الله وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن سهم بن أبى سرح من ولد ذى رعين من ملوك حمير أخذ له البيعة بمكة الربيع مولاه يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وأتاه ببيعته منارة مولاه فاقام يومين بعد ذلك ثم خطب الناس وبويع بيعة العامة وكان مولده سنة سبع وعشرين ومائة وخرج من مدينة السلام فى سنة سبع وستين ومائة يريد بلاد قرماسين من بلاد الدينور وقد وصف له طيب ماسبذان والدونجان فعدل الى الموضع المعروف بالرذ فمات بقرية يقال لها رزين ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم سنة سبع وستين ومائة فكانت خلافته عشر سنين وشهرا

الامير نصر بن أحمد الساماني الى أمير جيشه بخراسان محمد بن المظفر بن محتاج بالمسير الى قومس وكتب الى ما كان بن كالي وهو بكرمان بالمسير عنها الى محمد بن المظفر ليقصدوا جرجان والري فسار ما كان الى الدامغان على المفازة فتوجه اليه بانجين الديلمي من أصحاب وشمكير في جيش كثيف واستمد ما كان محمد بن المظفر وهو ببسطام فأمده بجمع كثير أمرهم بترك المحاربة الى ان يصل اليهم فخالفوه وحاربوا بانجين فلم يتعاونوا وتخاذلوا فهزمهم بانجين فرجعوا الى محمد بن المظفر وخرجوا الى جرجان فسار اليهم بانجين ليصدهم عنها فانصرفوا الى نيسابور وأقاموا بها وجعلت ولايتها لما كان بن كالي وأقام بها وكان ذلك آخر سنة ثلاث وعشرين وأول سنة أربع وعشرين وثلثمائة ولما سار ما كان عن كرمان عاد اليها أبو علي محمد بن الياس فاستولى عليها وصفت له بعد حروب له مع جنود نصر بكرمان وكان الظفر له أخيرا وسنذكر باقي خبرهم سنة أربع وعشرين وثلثمائة

﴿ ذكر القبض على ابني ياقوت ﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى قبض الراضي بالله على محمد والمظفر ابني ياقوت وكان سبب ذلك ان الوزير أبا علي بن مقلة كان قد قلق لتحكم محمد بن ياقوت في المملكة بأسرها وانه هو ليس له حكم في شئ فسعى به الى الراضي وأدام السعاية فبلغ ما أراده فلما كان خامس جمادى الاولى ركب جميع القواد الى دار الخليفة على عادتهم وحضر الوزير وأظهر الراضي انه يريد أن يقلد جماعة من القواد أعمالا وحضر محمد بن ياقوت للحجبة ومعه كاتبه أبو اسحق القراريطي فخرج الخدم الى محمد بن ياقوت فاستدعوه الى الخليفة فدخل مبادرا فعدلوا به الى حجرة هناك فحبسوه فيها ثم استدعوا القراريطي فدخل فعدلوا به الى حجرة أخرى ثم استدعوا المظفر بن ياقوت من بيته وكان مخمورا فحضر فحبسوه أيضا وأنفذ الوزير أبو علي بن مقلة الى دار محمد يحفظها من النهب وكان ياقوت حينئذ مقيما بواسط فلما بلغه القبض على ابنيه انحدر يطلب فارس ليحارب ابن بويه وكتب الى الراضي يستعطفه ويسأله انفاذ ابنيه ليساعداه على حروبه فاستبد ابن مقلة بالامر

﴿ ذكر حال البريدي ﴾

وفيها قوي أمر عبد الله البريدي وعظم شأنه وسبب ذلك انه كان ضامنا أعمال الاهواز فلما استولى عليها عسكر مرداويج وانهزم ياقوت كما ذكرنا عاد البريدي الى البصرة وصار يتصرف في أسافل أعمال الاهواز مضافا الى كتابة ياقوت وسار الى ياقوت فأقام معه بواسط فلما قبض على ابني ياقوت كتب ابن مقلة الى ابن البريدي يأمره ان يسكن ياقوتا ويعرفه ان الجند اجتمعوا وطلبوا القبض على ولديه فقبضا تسكينا للجند وانهما يسيران الى أبيهما عن قريب وان الرأي ان يسيره لفتح فارس فسار ياقوت من واسط على طريق السوس وسار البريدي على طريق الماء الى الاهواز وكان الى أخويه أبي الحسين وأبي يوسف ضمان السوس وجنديسابور وادعيا ان دخل البلاد سنة اثنتين وعشرين أخذه عسكر مرداويج وان دخل سنة ثلاث وعشرين لا يحصل منه شئ لان نواب مرداويج ظلموا الناس فلم يبق لهم ما يزرعونه وكان الامر ضد ذلك في السنتين فبلغ ذلك الوزير ابن مقلة فانفذ نائبا له ليحقق الحال فواطأ ابني البريدي وكتب بصدقهم فحصل له بذلك مال عظيم وقويت حالهم وكان مبلغ ما أخذوه أربعة آلاف ألف دينار وأشار ابن البريدي على ياقوت بالمسير الى ارجان لفتح فارس وأقام هو بجباية الاموال من البلاد فحصل منها ما أراد فلما سار ياقوت الى فارس في جموعه لقيه ابن بويه بباب ارجان فانهزم أصحاب ياقوت وبقي الى آخرهم ثم انهزم وسار ابن بويه خلفه الى رامهرمز وسار ياقوت الى عسكر

وخمسة عشر يوما وقبض وله ثلاث وأربعون سنة وصلى عليه هرون الرشيد وكان موسى الهادي غائبا بجرجان وقيل انه مات مسموما في قطائف أكلها ولبست حسنة وغيرها من حشمه المسوح والسواد جزعا عليه فقال في ذلك أبو العتاهية

وحسن في الوشي فاصـ
بحن عليهن المسوح
كل نطاح وان عا
ش له يوما نطوح
لست بالباقي ولو
عمرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نح
ان كنت لا بد تنوح

﴿ ونذكر جملا من أخباره ولمعا مما كان في أيامه ﴾

ذكر الفضل بن الربيع قال دخل شريك على المهدي يوما فقال له لا بد أن تجيبني الى خصلة من ثلاث قال وما هن يا أمير المؤمنين قال اما أن تلي القضا أو تحدث ولدي وتعلمهم أو تأكل أكلة فنكر ثم قال الاكلة أخفهن على نفسي فاحتبسه وقدم الى الطباخ أن تصلح له ألوانا من المخ المعقود بالسكر الطبرزذ والعسل فلما فرغ من غدائه قال له القيم على المطبخ يا أمير المؤمنين ليس يفلح الشيخ بعد هذه الاكلة أبدا قال الفضل بن الربيع فحدثهم والله شريك بعد ذلك وعلم أولادهم وولي القضاء لهم ولقد كتب بارزاقه الى الجهبذ فضايقه في النقص فقال له الجهبذ انك لم تبع برا قال له شريك بلى والله لقد بعت أكبر من البر لقد بعت

مكرم وأقام ابن بويه برامهرمز الى ان وقع الصلح بينهما

﴿ذكر فتنة الحنابلة ببغداد﴾

وفيها عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يكبسون من دور القواد والعامة وان وجدوا نبيذا أراقوه وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء واعترضوا في البيع والشراء ومشي الرجال مع النساء والصبيان فاذا رأوا ذلك سألوه عن الذي معه من هو فاخبرهم والا ضربوه وحملوه الى صاحب الشرطة وشهدوا عليه بالفاحشة فارهجوا بغداد فركب بدر الخرشني وهو صاحب الشرطة عاشر جمادى الآخرة ونادى في جانبي بغداد في أصحاب أبي محمد البربهاري الحنابلة لا يجتمع منهم اثنان ولا يتناظرون في مذهبهم ولا يصلي منهم امام الا اذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاة الصبح والعشاءين فلم يفد فيهم وزاد شرهم وفتنتهم واستظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون المساجد وكانوا اذا مر بهم شافعي المذهب اغروا به العميان فيضربونه بعصيهم حتى يكاد يموت فخرج توقيع الراضي بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ويوبخهم باعتقاد التشبيه وغيره فمنه تارة انكم تزعمون ان صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وهيئتكم الرذلة على هيئته وتذكرون الكف والاصابع والرجلين والنعلين المذهبين والشعر القطط والصعود الى السماء والنزول الى الدنيا تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون [illegible] كبيرا ثم طعنكم على خيار الائمة ونسبتكم شيعة آل محمد صلى الله عليه وسلم الى الكفر والضلال استدعاؤكم المسلمين الى الدين بالبدع الظاهرة والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن وانكاركم زيارة قبور الائمة وتشنيعكم على زوارها بالابتداع وأنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة [illegible] رجل من العوام ليس بذي شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرون بزيارته وتدعون له معجزات الانبياء وكرامات الاولياء فلعن الله شيطانا زين لكم هذه المنكرات وما أغواه وأمير المؤمنين يقسم بالله قسما جهدا اليه يلزمه الوفاء به لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقتكم ليوسعنكم ضربا وتشريدا وقتلا وتبديدا وليستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالكم

﴿ذكر قتل أبي العلاء بن حمدان﴾

وفيها قتل ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان عمه أبا العلاء بن حمدان وسبب ذلك ان أبا العلاء سعيد بن حمدان ضمن الموصل وديار ربيعة سرا وكان بها ناصر الدولة ابن أخيه أميرا فسار عن بغداد في خمسين رجلا وأظهر انه متوجه ليطالب مال الخليفة من ابن أخيه فلما وصل الى الموصل خرج ابن أخيه الى تلقيه وقصد مخالفة طريقه فوصل أبو العلاء ودخل دار ابن أخيه وسأل عنه فقيل انه خرج الى لقائك فقعد ينتظره فلما علم ناصر الدولة بمقامه في الدار أنفذ جماعة من غلمانه فقبضوا عليه ثم انفذ جماعة غيرهم فقتلوه

﴿ذكر مسير ابن مقلة الى الموصل وما كان بينه وبين ناصر الدولة﴾

لما قتل ناصر الدولة عمه أبا العلاء واتصل خبره بالراضي عظم ذلك عليه وأنكره وأمر ابن مقلة بالمسير الى الموصل فسار اليها في العساكر في شعبان فلما قاربها رحل عنها ناصر الدولة بن حمدان ودخل الزوزان وتبعه الوزير الى جبل التنين ثم عاد عنه وأقام بالموصل يجبي مالها ولما طال مقامه بالموصل احتال بعض أصحاب ابن حمدان على ولد الوزير وكان ينوب عنه في الوزارة ببغداد فبذل له عشرة آلاف دينار ليكتب الى أبيه يستدعيه فكتب اليه يقول ان الامور

بالحضرة

ديني وقال الفضل بن الربيع خرج المهدي متنزها ومعه عمرو بن بزيع مولاه وكان شاعرا فانقطع عن العسكر والناس في الصيد وأصاب المهدي جوع شديد فقال لعمرو ويحك الانسان عنده ما يأكل فما زال عمرو يطوف الى أن وجد صاحب مبقلة والى جانبها كرخ له فقصد اليه فقال له هل عندك شيء يؤكل قال نعم رقاق من خبز شعير وزبيب وهذا البقل والكراث فقال له المهدي ان كان عندك زيت فقد أكملت قال نعم عندي فضلة منه فتقدم اليهما بذلك فاكلا اكلا كثيرا وأمعن المهدي حتى لم يبق فيه فضل فقال لعمرو قل شعرا وصف ما نحن فيه فقال عمرو

ان من يطعم الزبيب بالزيـ
ـت وخبز الشعير بالكراث
لحقيق بصفعة أو بثنتيـ
ـن لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدي بئس والله ما قلت ولكن أحسن من ذلك

لحقيق ببدرة أو بثنتيـ
ـن لحسن الصنيع أو بثلاث

ووافى العسكر ولحقته الخزائن والخدم والموكب فامر لصاحب المبقلة بثلاث بدر دراهم قال وعاربه فرسه مرة أخرى وقد خرج للصيد فدفع الى خباء اعرابي وهو جائع فقال يا اعرابي هل عندك قرى فاني ضيفك قال أراك جسيما عميما فان احتملت قربنا لك ما يحضرنا قال هات ما عندك فاخرج له فضلة نبيذ في ركوة فشرب

بالحضرة قد اختلت وان تأخرت لم تأمن حدوث ما يبطل به الامر فانزعج الوزير لذلك واستعمل على الموصل علي بن خلف بن طباب وماكرد الديلمي وهو من الساجية وانحدر الى بغداد منتصف شوال فلما فارق الموصل عاد اليها ناصر الدولة بن حمدان فاقتتل هو وماكرد الديلمي فانهزم ابن حمدان ثم عاد وجمع عسكرا آخر فالتقوا على نصيبين في ذي الحجة فانهزم ماكرد الى الرقة وانحدر منها الى بغداد وانحدر أيضا ابن طباب واستولى ابن حمدان على الموصل والبلاد وكتب الى الخليفة يسأله الصفح وان يضمن البلاد فاجيب الى ذلك واستقرت البلاد عليه

(ذكر فتح جنوة وغيرها)

في هذه السنة سير القائم العلوي جيشا من افريقية في البحر الى ناحية الفرنج ففتحوا مدينة جنوة ومروا بسردانية فاوقعوا باهلها وأحرقوا مراكب كثيرة ومروا بقرقيسيا فاحرقوا مراكبها وعادوا سالمين

(ذكر القرامطة)

في هذه السنة خرج الناس الى الحج فلما بلغوا القادسية اعترضهم أبو طاهر القرمطي ثاني عشر ذي القعدة فلم يعرفوه فقاتله أصحاب الخليفة وأعانهم الحجاج ثم انحازوا الى القادسية فخرج جماعة من العلويين بالكوفة الى أبي طاهر فسألوه أن يكف عن الحجاج فكف عنهم وشرط عليهم ان يرجعوا الى بغداد فرجعوا ولم يحج بهذه السنة من العراق أحد وسار أبو طاهر الى الكوفة فاقام بها عدة أيام ورحل عنها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم قلد الراضي بالله ولديه أبا جعفر وأبا الفضل ناحيتي المشرق والمغرب مما بيده وكتب بذلك الى البلاد وفيها في الليلة الثانية عشرة من ذي القعدة وهي الليلة التي أوقع القرمطي بالحجاج انقضت الكواكب من أول الليل الى آخره انقضاضا دائما مسرفا جدا لم يعهد مثله وفيها مات أبو بكر محمد بن ياقوت في الحبس بنفث الدم فاحضر القاضي والشهود وعرض عليهم فلم يروا به أثر ضرب ولا خنق وجذوا شعره فلم يكن مسموما فسلم الى أهله وأخذوا ماله وأملاكه ومعامليه ووكلاءه وكل من يخالطه وفيها كان بخراسان غلاء شديد ومات من أهلها خلق كثير من الجوع فعجز الناس عن دفنهم فكانوا يجمعون الغرباء والفقراء في دار الى ان يتهيأ لهم دفنهم وتكفينهم وفيها جهز عماد الدولة بن بويه أخاه ركن الدولة الحسن الى بلاد الجبل وسير معه العساكر بعد عوده لما قتل مرداويج فسار الى اصبهان فاستولى عليها وأزال عنها وعن عدة من بلاد الجبل نواب وشمكير وأقبل وشمكير وجهز العساكر نحوه وبقي هو ووشمكير يتنازعان تلك البلاد وهي اصبهان وهمذان وقم وقاجان وكرج والري وكنكور وقزوين وغيرها وفيها في آخر جمادى الآخرة شغب الجند ببغداد وقصدوا دار الوزير أبي علي بن مقلة وابنه وزاد شغبهم فمنعهم أصحاب ابن مقلة فاحتال الجند ونقبوا دار الوزير من ظهرها ودخلوها وملكوها وهرب الوزير وابنه الى الجانب الغربي فلما سمع الساجية بذلك ركبوا الى دار الوزير ورفقوا بالجند فردوهم وعاد الوزير وابنه الى منازلهما واتهم الوزير باثارة هذه الفتنة بعض أصحاب ابن ياقوت فامر فنودي ان لا يقيم أحد منهم بمدينة السلام ثم عاود الجند الشغب حادي عشر ذي الحجة ونقبوا دار الوزير بعدة نقوب فقاتلهم غلمانه ومنعوهم فركب صاحب الشرطة وحفظ السجون حتى لا تفتح ثم سكنوا من الشغب وفي هذه السنة أطلق المظفر بن ياقوت من حبس الراضي بالله

الاعرابي واحدا وسقاه فلما شرب قال له المهدي أتدري من أنا قال لا والله قال أنا من خدم الخاصة قال بارك الله في موضعك وحياك من كنت ثم شرب الاعرابي قدحا وسقاه فلما شرب قال يا اعرابي أتدري من أنا قال نعم ذكرت انك من خدم الخاصة قال لست كذلك قال فمن أنت قال أنا أحد قواد المهدي قال رحبت دارك وطاب مزارك ثم شرب الاعرابي قدحا وسقاه فلما شرب الثالث قال يا اعرابي أتدري من أنا قال نعم زعمت انك أحد قواد المهدي قال فلست كذلك قال فمن أنت قال أنا أمير المؤمنين فاخذ الاعرابي ركوته فوكاها فقال له المهدي اسقنا قال لا والله لا تشرب منها جرعة فما فوقها قال ولم قال سقيتك قدحا فزعمت انك من خدم الخاصة فاحتملناها ثم سقيناك آخر فزعمت انك أحد قواد المهدي ثم سقيناك الثالث فزعمت انك أمير المؤمنين ولا والله ما آمن ان اسقيك الرابع فتقول انك رسول الله فضحك المهدي وأحاطت به الخيل فنزل اليه أبناء الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابي فلم يكن له همة الا النجا فقال له المهدي لا بأس عليك وأمر له بصلة وكسوة وبزة وآلة فقال اشهد انك صادق ولو ادعيت الرابعة والخامسة لخرجت منها فضحك المهدي منه حتى كاد أن يقع عن فرسه حين ذكر الرابعة والخامسة وجعل له رزقا وألحقه بخواصه وكان وزيره أبو عبد الله معاوية بن عبد الله

بشفاعة الوزير ابن مقلة وحلف للوزير انه يواليه ولا ينحرف عنه ولا يسعى له ولا لولده بمكروه ولم يف له ولا لولده ووافق الجرية عليه فجرى في حقه ما يكره وكان المظفر حقد على الوزير حين قتل أخيه لانه اتهمه انه سمه وفيها أرسل ابن مقلة رسولا الى محمد بن رائق بواسط وكان قد قطع الحمل عن الخليفة فطالبه بارتفاع البلاد واسط والبصرة وما بينهما فاحسن الى الرسل وردهم برسالة ظاهرة الى ابن مقلة مغالطة وأخرى باطنة الى الخليفة الراضي بالله وحده مضمونها انه ان استدعى الى الحضرة وفوضت اليه الامور وتدبير الدولة قام بكل ما يحتاج اليه من نفقات الخليفة وأرزاق الجند فلما سمع الخليفة الرسالة لم يعد اليه جوابها وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبدويه ابن سدوس الهذلي من ولد عتبة بن مسعود بالكوفة وهو من نيسابور وابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه النحوي وله مصنفات وهو من ولد المهلب بن أبي صفرة

﴿ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلثمائة﴾

﴿ذكر القبض على ابن مقلة ووزارة عبد الرحمن بن عيسى﴾

لما عاد الرسل من عند ابن رائق بغير مال رأى الوزير ان يسير اليه فتجهز وأظهر انه يريد الاهواز فلما كان منتصف جمادى الاولى حضر الوزير دار الراضي لينفذ رسولا الى ابن رائق يعرفه عزمه على قصد الاهواز لئلا يستوحش لحركته فيحتاط فلما دخل الدار قبض عليه المظفر بن ياقوت والحجرية وكان المظفر قد أطلق من محبسه على ما نذكره ووجهوا الى الراضي يعرفونه ذلك فاستحسن فعلهم واختفى أبو الحسين بن أبي علي بن مقلة وسائر أولاده وحرمه وأصحابه وطلب الحجرية والساجية من الراضي ان يستوزر وزيرا فرد الاختيار اليهم فاشاروا بوزارة علي بن عيسى فاحضره الراضي للوزارة فامتنع وأشار بأخيه عبد الرحمن فاستوزره وسلم اليه ابن مقلة فصادره وصرف بدرا الخرشني عن الشرطة ثم عجز عبد الرحمن عن تمشية الامور وضاق عليه فاستعفى الوزارة

﴿ذكر القبض على عبد الرحمن ووزارة أبي جعفر الكرخي﴾

لما ظهر عجز عبد الرحمن الى الراضي ووقوف الامور قبض عليه وعلى أخيه علي بن عيسى فصادره على مائة ألف دينار وصادر أخاه عبد الرحمن بسبعين ألف دينار

﴿ذكر قتل ياقوت﴾

وفي هذه السنة قتل ياقوت بعسكر مكرم وكان سبب قتله ثقته بابي عبد الله البريدي لخداعه وقابل احسانه بالاساءة على ما نذكره وقد ذكرنا ان أبا عبد الله ارتسم بكتابة ياقوت مع ضمان الاهواز فلما كتب اليه وثق اليه وعول على ما يقوله وكان اذا قيل له شئ في أمره وخوف من شره يقول ان أبا عبد الله ليس كما تظنون لانه لا يحدث نفسه بالامرة وقود العساكر وانما غايته الكتابة فاغتر بذا منه وكان رحمه الله سليم القلب حسن الاعتقاد فلهذا لم يخرج من طاعة الخليفة حين قبض على ولديه بل دام على الوفاء فاما حاله مع البريدي فانه لما عاد مهزوما من عماد الدولة بن بويه الى عسكر مكرم كتب اليه أبو عبد الله ان يقيم بعسكر مكرم ليستريح ويقع التدبير بعد ذلك وكان بالاهواز وهو يكره الاجتماع معه في بلد واحد فسمع ياقوت قوله وأقام فارسل اليه أخاه أبا يوسف البريدي يتوجع له ويهنيه بالسلامة وقرر القاعدة على ان يحمل له أخوه من مال الاهواز خمسين ألف دينار واحتج بان عنده من الجند خلقا كثيرا منهم البربر والشفيعية والنازوكية والبليقية والهارونية كان ابن مقلة قد ميز هذه الاصناف من

عسكر

فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه وعاش أبو عبد الله الى سنة سبعين ومائة ثم اختص المهدي بيعقوب ابن داود السلمي وخرج كتابه على الدواوين ان أمير المؤمنين قد آخاه وكان يصل اليه في كل وقت دون الناس كلهم ثم اتهمه بشئ من أمر الطالبيين فهم بقتله ثم حبسه الى أيام الرشيد فاطلقه الرشيد وقد قيل في أمره انه كان يرى الامامة في الاكبر من ولد العباس وأن غير المهدي من عمومته كان أحق بها منه وكان المهدي محببا الى الخاص والعام لانه افتتح أمره بالنظر في المظالم والكف عن القتل وأمن الخائف وانصاف المظلوم وبسط يده في الاعطاء فاذهب جميع ما خلفه المنصور وهو ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار سوى ما جباه في أيامه فلما تفرغت بيوت الاموال أتى أبو حارثة النهدي خازن بيوت أمواله فرمى بالمفاتيح بين يديه وقال ما معنى مفاتيح لبيوت فرغ تفرق المهدي عشرين خادما في جباية الاموال فوردت الاموال بعد أيام قلائل وتشاغل أبو حارثة عن الدخول على المهدي ثلاثة أيام فلما دخل عليه قال ما أخرك فقال الشغل بتصحيح الاموال

عسكر بغداد وسيرهم الى الاهواز لتجمع عليه مؤنهم فذكر أبو يوسف ان هؤلاء متى رأوا المال يخرج عنهم اليك شغبوا ويحتاج أبو عبد الله الى مفارقة الاهواز ثم يصير أمرهم الى انهم يقصدونك ولا نعلم كيف يكون الحال ثم قال له ان رجالك مع سوء أثرهم يقنعون بالقليل فصدقه ياقوت فيما قال وأخذ ذلك المال وفرقه وبقي عدة شهور لم يصله منه شئ الى ان دخلت سنة أربع وعشرين فضاق الرزق على أصحاب ياقوت واستغاثوا وذكروا ما فيه أصحاب البريدي بالاهواز من السعة وما هم فيه من الضيق وكان قد اتصل بياقوت طاهر الجيلي وهو من كبار أصحاب ابن بويه في ثمانمائة رجل وهو من أرباب المراتب العالية وممن يسمو الى معالي الامور وسبب اتصاله به خوفه من ابن بويه ان يقبض عليه خوفا منه فلما رأى حال ياقوت انصرف عنه الى غربي تستر وأراد ان يتغلب على ماه البصرة وكان معه أبو جعفر الصيمري وهو كاتبه فسمع به عماد الدولة بن بويه فكبسه فانهزم هو وأصحابه واستولى ابن بويه على عسكره وغنمه وأسر الصيمري فاطلقه الحياط وزير عماد الدولة بن بويه فمضى الى كرمان واتصل بالامير معز الدولة أبي الحسن بن بويه وكان ذلك سبب اقباله فلما سار طاهر من عند ياقوت ضعفت نفسه واستطال عليه أصحابه فخافهم وراسل البريدي وعرفه ما هو فيه وأعلمه ان معوله على ما يدبره به فانفذ اليه البريدي يقول ان عسكرك قد فسدوا وفيهم من ينبغي ان يخرج والرأي ان ينفذهم اليه ليستصلحهم فانه له أشغال تمنعه ان يحضر عنده ولو حضر عنده الجند مجتمعين لم يتمكن من الانتصاف منهم لانهم يظاهر بعضهم بعضا واذا حضروا عنده بالاهواز متفرقين فعل بهم ما أراد ولا يمكنهم خلافه ففعل ذلك ياقوت وأنفذ أصحابه اليه فاختار منهم من أراد لنفسه ورد من لا خير فيه الى ياقوت بعد ان كسرهم وأسقط من أرزاقهم فقيل ذلك لياقوت فاشير عليه بمعاجلة البريدي قبل ان يستفحل أمره فلم يلتفت وقال انما جماعتهم عنده عدة الي وأحسن البريدي الى من عنده من الجند فقال أصحاب ياقوت له في ذلك وطلبوا أرزاقهم التي قررها البريدي وكتب اليه فلم ينفذ شيأ فراجعه فلم ينفذ شيأ فسار ياقوت اليه جريدة لئلا يستوحش منه فلما بلغه ذلك خرج الى لقائه وقبل يده وقدمه وأنزله داره وقام بين يديه وقدم بنفسه الطعام ليأكل وكان قد وضع الجند على اثارة الفتنة فحضروا الباب وشغبوا واستغاثوا فسأل ياقوت عن الخبر فقيل له ان الجند بالابواب قد شغبوا ويقولون قد اصطلح ياقوت والبريدي ولا بد لنا من قتل ياقوت فقال له البريدي قد ترى ما دفعنا اليه فانج بنفسك والا قتلنا جميعا فخرج من باب آخر خائفا يترقب ولم يفاتح البريدي بكلمة واحدة وعاد الى عسكر مكرم فكتب اليه البريدي يقول له ان العسكر الذين شغبوا قد اجتهدت في اصلاحهم وعجزت عن ذلك ولست آمنهم ان يقصدوك وبين عسكر مكرم والاهواز ثمانية فراسخ والرأي ان تتأخر الى تستر لتبعد عنهم وهي حصينة وكتب له على عامل تستر بخمسين ألف دينار وسار ياقوت اليها وكان له خادم اسمه مؤنس فقال أيها الامير ان البريدي اوذا يفعل بنا ما ترى وأنت مغتر به وهو الذي وضع الجند بالاهواز حتى فعلوا ذلك وقد شرع في ابعادك بعد ان أخذ وجوه أصحابك وقد أطاق لك مالا يقوم بأود أصحابك الذين عندك وما أعطاك ذلك أيضا الا حتى تتبلغ به وتضيق الارزاق علينا ويفنى ما لنا من دابة وعدة فينصرف عنك على أقبح حال فحينئذ يبلغ منك ما يريده فاحفظ نفسك منه ولا تأمنه ولم يثق للجند الجرية ببغداد شيخ غيرك وقد كاتبوك فسر اليهم فكل من ببغداد يسلم اليك الرياسة فان فعلت والا فسر بنا الى الاهواز لنطرد البريدي عنها وان كان أكثرنا فانت أمير وهو كاتب فقال لا تقل في أبي عبد الله هذا فلو كان لي أخ ما زاد على محبته ثم ان ياقوتا

لم تنتظرك حتى توجه في استخراج الاموال وحملها وقيل انه فرق في عشرة أيام من صاب ماله عشرة آلاف درهم فعند ذلك قام شبة بن عقال على رأسه خطيبا فقال وللمهدى اشباه فمنهم القمر الزاهر والربيع الباكر والاسد الخادر والبحر الزاخر فاما القمر الزاهر فاشبه منه حسنه وبهاه وأما الربيع الباكر فاشبه منه طيبه وهواه وأما الاسد الخادر فاشبه منه غربه ومضاه وأما البحر الزاخر فاشبه منه جوده وسخاه وكانت الخيزران أم الهادي والرشيد في دارها المعروفة بأساس وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بني هاشم وهي على بساط ارمني وهي على نمارق ارمنية وزينب بنت سليمان بن علي أعلاهن مرتبة فبينما هي كذلك اذ دخل خادم لها فقال بالباب امرأة ذات حسن وجمال في اطمار رثة تأبى أن تخبر باسمها وشأنها غيركم وتروم الدخول عليكم وقد كان المهدي تقدم الى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان ابن علي وقال لها اقتبسي من آدابها وخذي من أخلاقها فانها عجوزنا قد أدركت أوائلنا فقالت الخيزران للخادم ائذن لها فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال في اطمار رثة فتكلمت فأوضحت عن بيان على لسان فقالوا لها من أنت قالت

ظهر منه مايدل على ضعفه وعجزه عن البريدي فضعفت نفوس أصحابه وصار كل ليلة يمضي منهم
طائفة الى البريدي فاذا قيل ذلك لياقوت يقول الى كاني يمضون فلم يزل كذلك حتى بقي في
ثمانمائة رجل ثم ان الراضي قبض على المظفر بن ياقوت في جمادى الاولى وسجنه أسبوعا ثم
أطلقه وسيره الى أبيه فلما اجتمع به بتستر أشار عليه بالمسير الى بغداد فان دخلها فقد حصل له
مايريد والاسار الى الموصل وديار ربيعة فاستولى عليها فلم يسمع منه ففارقه ولده الى البريدي
فاكرمه وجعل له موكلين يحفظونه ثم ان البريدي خاف من عنده من أصحاب ياقوت ان يعاودوا
الميل والعصبية له وينادوا بشعاره فيهلك فارسل الى ياقوت يقول له ان كتاب الخليفة ورد على
يأمرني ان لا أتركك تقيم بهذه البلاد ومايمكنني مخالفة السلطان وقد أمرني ان أخيرك اما ان
تمضي الى حضرته في خمسة عشر غلاما واما الى بلاد الجبل ليوليك بعض الاعمال فان خرجت
طائعا والا أخرجتك قهرا فلما وصلت الرسالة الى ياقوت تحير في أمره واستشار مؤنسا غلامه
فقال له قد نهيتك عن البريدي وما سمعت ومابقي للرأي وجه فكتب ياقوت يستمهله شهرا ليتأهب
وعلم حينئذ خبث البريدي حيث لا ينفعه علمه فلما وصل كتاب ياقوت يطلب المهلة أجابه انه
لاسبيل الى المهلة وسير العساكر من الاهواز اليه فارسل ياقوت الجواسيس ليأتوه بالاخبار
وظفر البريدي بجاسوس فاعطاه مالا على ان يعود الى ياقوت ويخبره ان البريدي وأصحابه قد
وافوا عسكر مكرم ونزلوا في الدور متفرقين مطمئنين فمضى الجاسوس وأخبر ياقوت بذلك فاحضر
مؤنسا وقال قد ظفرنا بعدونا وافر نعمتنا وأخبره بما قال الجاسوس وقال نسير من تستر العتمة
ونصبح عسكر مكرم وهم غارون فنكبسهم في الدور فان وقع البريدي فالله مشكور وان هرب
اتبعناه فقال مؤنس ما أحسن هذا ان صح وان كان الجاسوس صادقا فقال ياقوت انه يحبني
ويتولاني وهو صادق فسار ياقوت فوصل الى عسكر مكرم طلوع الشمس فلم ير للعسكر أثرا فعبر البلد
الى نهر جارود وخيم هناك وبقي يومه ولا يرى لعسكر البريدي أثرا فقال له مؤنس ان الجاسوس
كذبنا وأنت تسمع كلام الكاذبين واني خائف عليك فلما كان بعد العصر أقبلت عساكر
البريدي فنزلوا على فرسخ من ياقوت وحجز بينهم الليل وأصبحوا الغد فكانت بينهم مناوشة
وانعدوا للحرب الغد وكان البريدي قد سير عسكرا من طريق أخرى ليصيروا من وراء ياقوت من
حيث لا يشعر فيكون كمينا يظهر عند القتال فهم ينتظرونه فلما كان الموعد باكروا القتال فاقتتلوا
من بكرة الى الظهر وكان عسكر البريدي قد أشرف على الهزيمة مع كثرتهم وكان يقدمهم أبا جعفر
الجمال فلما جاء الظهر ظهر الكمين من وراء عسكر ياقوت فرد اليهم مؤنسا في ثلثمائة رجل
فقاتلهم وهم في ثلاثة آلاف رجل فعاد مؤنس منهزما فحينئذ انهزم أصحاب ياقوت وكانوا سوى
الثلثمائة خمسمائة فلما رأى ياقوت ذلك نزل عن دابته وألقى سلاحه وجلس بقميص الى جانب
جدار رباط ولو دخل الرباط واستتر فيه لخفي أمره وكان أدركه الليل فربما سلم ولكن الله اذا
أراد أمرا هيأ أسبابه وكان أمر الله قدرا مقدورا فلما جلس مع الحائط غطى وجهه بكمه ومد
يده كانه يتصدق ويستحيي يكشف وجهه فمر به قوم من البربر من أصحاب البريدي فانكروه
فامروه بكشف وجهه فامتنع فنخسه أحدهم بزراق معه فكشف وجهه وقال أنا ياقوت فما
تريدون مني احملوني الى البريدي فاجتمعوا اليه فقتلوه وحملوا رأسه الى العسكر وكتب أبو جعفر
الجمال كتابا الى البريدي على جناح طائر يستأذنه في حمل رأسه الى العسكر فاعاد الجواب باعادة
الرأس الى الجثة وتكفينه ودفنه وأسر غلامه مؤنس وغيره من قواده فقتلوا وأرسل البريدي الى

أنا مزينة امرأة مروان بن محمد وقد أصارني الدهر الى ماترين ووالله ما الاطمار الرثة التي على الاعارية
وانكم لما غلبتمونا على
هذا الامر وصار لكم
دوننا لم نأمن مخالطة العامة
على مانحن فيه من الضرر
على بادرة الينا تزيل موضع
الشرف فقصدناكم
لنكون في حجابكم على أية
حالة كانت حتى تأتي دعوة
من له الدعوة فاغرورقت
عينا الخيزران ونظرت
اليها زينب بنت سليمان
ابن علي وقالت لا خفف
الله عنك يامزينة أتذكرين
وقد دخلت اليك بحران
وأنت على هذا البساط
بعينه فكلمتك في جثة
ابراهيم الامام فانتهرتني
وأمرت باخراجي وقلت
ماللنساء والدخول على
الرجال في آرائهم فوالله لقد
كان مروان أرعى للحق
منك لقد دخلت اليه
فحلف أنه ما قتله وهو
كاذب وخيرني بين أن
يدفنه أو يدفع الى جثته
وعرض على مالا فلم أقبله
فقالت مزينة والله ماتطن
هذه الحالة أدتني الى
ماترينه الا بالفعال الذي
كان مني وكانك استحسنتيه
فحرضت الخيزران على
فعل مثله انما كان يجب
أن تحضيها على فعل الخير
وترك المقابلة بالشر لتحرز
بذلك نعمها وتصون بها
دينها ثم قالت لزينب يابنت
عم كيف رأيت صنيع الله بنا في العقوق فاحببت التأسي بنا ثم ولت باكية فعمرت الخيزران

تستر فحمل مافيها الياقوت من جوار ومال وغير ذلك فلم يظهر لياقوت غير اثنى عشر ألف دينار فحمل الجميع اليه وقبض على المظفر بن ياقوت فبقى فى حبس البريدى مدة ثم نفذه الى بغداد وتجبر البريدى بعد قتل ياقوت وعصى وقد أطلنا فى ذكر هذه الحادثة وانما ذكرناها على طولها لما فيها من الاسباب المحرضة على الاحتياط والاحتراز فانها من أولها الى آخرها فيها تجارب وأمور يكثر وقوع مثلها

﴿ذكر عزل أبى جعفر ووزارة سليمان بن الحسن﴾

لما ولى الوزير أبو جعفر الكرخى على ما تقدم رأى قلة الاموال وانقطاع المواد فازداد عجزا الى عجزه وضاق عليه الامر ومازالت الاضاقة تزيد وطمع من بين يديه من العاملين فيما عنده من الاموال وقطع ابن رائق حمل واسط والبصرة وقطع البريدى حمل الاهواز وأعمالها وكان ابن بويه قد تغلب على فارس فتحير أبو جعفر وكثرت المطالبات عليه ونقصت هيبته واستتر بعد ثلاثة أشهر ونصف من وزارته فلما استتر استوزر الراضى أبا القاسم سليمان بن الحسن فكان فى الوزارة كابى جعفر فى وقوف الحال وقلة المال

﴿ذكر استيلاء ابن رائق على أمر العراق وتفرق البلاد﴾

لما رأى الراضى وقوف الحال عنده ألجأته الضرورة الى ان راسل أبا بكر محمد بن رائق وهو بواسط يعرض عليه اجابته الى ما كان بذله من القيام بالنفقات وأرزاق الجند ببغداد فلما أتاه الرسول بذلك فرح به وشرع يتجهز للمسير الى بغداد فانفذ اليه الراضى الساجية وقلده امارة الجيش وجعله أمير الامراء وولاه الخراج والمعاون فى جميع البلاد والدواوين وأمر بان يخطب له على جميع المنابر وأنفذ اليه الخلع وانحدر اليه أصحاب الدواوين والكتاب والحجاب وتأخر الحجرية عن الانحدار فلما استقر الذين انحدروا الى واسط قبض ابن رائق على الساجية سابع ذى الحجة ونهب رحلهم ومالهم ودوابهم وأظهر انه انما فعل ذلك لتتوفر أرزاقهم على الحجرية فاستوحش الحجرية من ذلك وقالوا اليوم لهؤلاء وغدا لنا وخيموا بدار الخليفة فاصعد ابن رائق الى بغداد ومعه بجكم وخلع الخليفة عليه أواخر ذى الحجة وأتاه الحجرية يسلمون عليه فأمرهم بقلع خيامهم فقلعوها وعادوا الى منازلهم وبطلت الدواوين من ذلك الوقت وبطلت الوزارة فلم يكن الوزير ينظر فى شئ من الامور انما كان ابن رائق وكاتبه ينظران فى الامور جميعها وكذلك كل من تولى امرة الامراء بعده وصارت الاموال تحمل الى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون ويطلقون للخليفة ما يريدون وبطلت بيوت الاموال وتغلب أصحاب الاطراف وزالت عنهم الطاعة ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها والحكم فى جميعها لابن رائق ليس للخليفة حكم وأما باقى الاطراف فكانت البصرة فى يد ابن رائق وخوزستان فى يد البريدى وفارس فى يد عماد الدولة بن بويه وكرمان فى يد أبى على محمد بن الياس والرى وأصبهان والجبل فى يد ركن الدولة بن بويه ويد وشمكير أخى مرداويج يتنازعان عليها والموصل وديار بكر ومضر وربيعة فى يد بنى حمدان ومصر والشام فى يد محمد بن طغج والمغرب وافريقية فى يد أبى القاسم القائم بامر الله بن المهدى العلوى وهو الثانى منهم ويلقب بأمير المؤمنين والاندلس فى يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الاموى وخراسان وما وراء النهر فى يد نصر بن أحمد الساماني وطبرستان وجرجان فى يد الديلم والبحرين واليمامة فى يد أبى طاهر القرمطى

﴿ذكر مسير معز الدولة بن بويه الى كرمان وما جرى عليه بها﴾

بعض جواريها فعدلت بها الى بعض المقاصير وأمرت بتغيير حالها والاحسان اليها فلما دخل المهدى عليها وقد انصرفت زينب وكان من شأنه الاجتماع مع خواص حرمه فى كل عشية قصت الخيزران عليه قصتها وما أمرت به من تغيير حالها فدعا بالجارية التى ردتها فقال لها لما رددتها الى المقصورة ما الذى سمعتها تقول قالت لحقتها فى الممر الفلانى وهى تبكى فى خروجها مؤنسية وهى تقرأ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ثم قال للخيزران والله والله لو لم تفعلى بها مافعلت ما كلمتك أبدا وبكى بكاء كثيرا وقال اللهم انى أعوذ بك من زوال النعمة وأنكر فعل زينب وقال لولا انها أكبر نسائنا لحلفت أن لا اكلمها ثم بعث اليها بعض الجوارى الى مقصورتها التى أخليت لها وقال للجارية اقرئى عليها السلام وقولى لها يابنت عم ان أخواتك قد اجتمعن عندى ولولا انى ابن عمك لجئناك فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدى وقد حضرت زينب بنت سليمان فجاءت مزينة تسحب أذيالها فأمرها بالجلوس ورحب بها ورفع منزلتها فوق منزلة زينب بنت سليمان بن على ثم تفاوضوا أخبار أسلافهم وأيام الناس والدولة

في هذه السنة سار أبو الحسين أحمد بن بويه الملقب بمعز الدولة الى كرمان وسبب ذلك ان عماد الدولة بن بويه وأخاه ركن الدولة لما تملكا من بلاد فارس وبلاد الجبل وبقي أخوهما الاصغر أبو الحسين أحمد بغير ولاية يستبد بها رأيا ان يسيراه الى كرمان ففعلا ذلك وسار الى كرمان في عسكر ضخم شجعان فلما بلغ السيرجان استولى عليها وجبى أموالها وأنفقها في عسكره وكان ابراهيم بن سيمجور الدواتي يحاصر محمد بن الياس بن اليسع بقلعة هناك بعساكر نصر بن أحمد صاحب خراسان فلما بلغه اقبال معز الدولة سار عن كرمان الى خراسان ونفس عن محمد بن الياس فتخلص من القلعة وسار الى مدينة بم وهي على طرف المفازة بين كرمان وسجستان فسار اليه أحمد بن بويه فرحل من مكانه الى سجستان بغير قتال فسار أحمد الى جيرفت وهي قصبة كرمان واستخلف على بم بعض أصحابه فلما قارب جيرفت أتاه رسول علي بن الزنجي المعروف بعلي كلويه وهو رئيس القفص والبلوص وكان هو واسلافه متغلبين على تلك الناحية الا انهم يجاملون كل سلطان يرد البلاد ويطيعونه ويحملون اليه مالا معلوما ولا يطؤن بساطه فبذل لابن بويه ذلك المال فامتنع أحمد من قبوله الا بعد دخول جيرفت فتأخر علي بن كلويه نحو عشرة فراسخ ونزل بمكان صعب المسالك ودخل أحمد بن بويه جيرفت واصطلح هو وعلي وأخذ رهائنه وخطب له فلما استقر الصلح وانفصل الامر أشار بعض أصحاب ابن بويه عليه بان يقصد عليا ويغدر به ويسري اليه سرا على غفلة وأطمعه في أمواله وهون عليه أمره بسكونه الى الصلح فاصغى الامير أبو الحسين أحمد الى ذلك لحداثة سنه وجمع أصحابه وأسرى نحوهم جريدة وكان علي محترزا ومن معه قد وضعوا العيون على ابن بويه فساعة تحرك بلغته الاخبار فجمع أصحابه ورتبهم بمضيق على الطريق فلما اجتاز بهم ابن بويه ثاروا به ليلا من جوانبه فقتلوا في أصحابه وأسروا ولم يفلت منهم الا اليسير ووقعت بالامير أبي الحسين ضربات كثيرة ووقعت ضربة منها في يده اليسرى فقطعتها من نصف الذراع وأصاب يده اليمنى ضربة أخرى سقط منها بعض أصابعه وسقط مثخنا بالجراح بين القتلى وبلغ الخبر بذلك الى جيرفت فهرب كل من كان بها من أصحابه ولما أصبح علي كلويه تتبع القتلى فرأى الامير أبا الحسين قد أشرف على التلف فحمله الى جيرفت وأحضر له الاطباء وبالغ في علاجه واعتذر اليه وأنفذ رسله يعتذر الى أخيه عماد الدولة بن بويه ويعرفه غدر أخيه ويبذل من نفسه الطاعة فاجابه عماد الدولة الى مابذله واستقر بينهما الصلح وأطلق علي كل من عنده من الاسرى وأحسن اليهم ووصل الخبر الى محمد بن الياس بما جرى على أحمد بن بويه فسار من سجستان الى البلد المعروف بجنابه فتوجه اليه ابن بويه وواقعه ودامت الحرب بينهما عدة أيام فانهزم ابن الياس وعاد أحمد بن بويه ظافرا وسار نحو علي كلويه لينتقم منه فلما قاربه أسرى اليه في أصحابه الرجالة فكبسوا عسكره ليلا في ليلة شديدة المطر فاثروا فيهم وقتلوا ونهبوا وعادوا وبقي ابن بويه باقي ليلته فلما أصبح سار نحوهم فقتل منهم عددا كثيرا وانهزم علي كلويه وكتب ابن بويه الى أخيه عماد الدولة بما جرى له معه ومع ابن الياس وهزيمته فاجابه أخوه يأمره بالوقوف بمكانه ولا يتجاوزه وأنفذ اليه قائدا من قواده يأمره بالعود اليه الى فارس ويلزمه بذلك فعاد الى أخيه وأقام عنده باصطخر الى ان قصدهم أبو عبد الله البريدي منهزما من ابن رائق وبجكم فاطمع عماد الدولة في العراق وسهل عليه ملكه فسير معه أخاه معز الدولة أبا الحسين على مانذكره سنة ست وعشرين وثلثمائة

﴿ ذكر استيلاء ما كان على جرجان ﴾

وتنقلها فما تركت لاحد في المجالس كلاما فقال لها المهدي يابنت عم والله لولا اني لا أحب أن اجعل لقوم أنت منهم في أمر ناشيا لتزوجتك ولكن لاشئ أصون لك من حجابي وكونك مع اخواتك في قصري لك مالهن وعليك ماعليهن الى ان يأتيك أمر من له الامر فيما حكم به على الخلق ثم اقطعها مثل مالهن من الاقطاع وأخدمها واجازها فاقامت في قصره الى أن قضى المهدي وأيام الهادي وصدرا من أيام الرشيد وماتت في خلافته لا يفرق بينها وبين نساء بني هاشم فلما قبضت جزع الرشيد والخدم جزعا شديدا وحدثنا الرياشي عن الاصمعي قال دخل عبد الله بن عمرو بن عتبة على المهدي يعزيه بالمنصور فقال آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله وبارك الله له فيما خلفه فيه ولا مصيبة أعظم من امام والد ولا عقبى أجل من خلافة الله على أولياء الله فاقبل يا أمير المؤمنين العطية واحتسب عند الله أفضل الرزية ولما كثر تشبيب أبي العتاهية بعتبة جارية الخيزران شكت الى مولاتها مايلحقها من الشناعة ودخل المهدي وهي تبكي بين يدي الخيزران فسألها عن خبرها فاخبرته فامر باحضار أبي العتاهية فادخل اليه فلما وقف بين يديه قال أنت القائل في عتبة

الله بيني وبين مولاتي * ابدت لي الصد والملامات

وفي

وفي هذه السنة استولى ما كان بن كالي على جرجان وسبب ذلك أننا ذكرنا أولا ان ما كان لما عاد من جرجان أقام بنيسابور وأقام بالجبين بجرجان فلما كان بعد ذلك خرج بالجبين يلعب بالكرة فسقط عن دابته فوقع ميتا وبلغ خبره ما كان بن كالي وهو بنيسابور وكان قد استوحش من عارض جيش خراسان فاحتج على محمد بن المظفر صاحب الجيش بخراسان بان بعض أصحابه قد هرب منه وانه يريد أن يخرج في طلبه فأذن له في ذلك وسار عن نيسابور الى اسفرايين فأنفذ جماعة من عسكره الى جرجان واستولوا عليها فاظهر العصيان على محمد بن المظفر وسار من اسفرايين الى نيسابور مغافصة وبها محمد بن المظفر فخذل محمدا أصحابه ولم يعاونوه وكان في قلة من العسكر غير مستعد له فسار نحو سرخس وعاد ما كان من نيسابور خوفا من اجتماع العساكر عليه وكان ذلك في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وثلثمائة

﴿ذكر وزارة الفضل بن جعفر للخليفة﴾

وفيها كتب ابن رائق كتابا عن الراضي الى أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات يستدعيه ليجعله وزيرا وكان يتولى الخراج بمصر والشام وظن ابن رائق انه اذا استوزره جبى له أموال الشام ومصر فقدم الى بغداد ونفذت له الخلع قبل وصوله فالتقيته بهيت فلبسها ودخل بغداد وتولى وزارة الخليفة ووزارة ابن رائق جميعا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قلد الراضي محمد بن طغج اعمال مصر مضافا الى ما بيده من الشام وعزل أحمد بن كيغلغ عن مصر وفيها انخسف القمر جميعه ليلة الجمعة لاربع عشرة خلت من ربيع الاول وانكسف جميعه أيضا لاربع عشرة خلت من شوال وفيها قبض على أبي عبد الله بن عبدوس الجهشياري وصودر على مائتي ألف دينار وفيها ولد عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه باصبهان وفيها توفي أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف بجحظة وله شعر مطبوع وكان عارفا بفنون شتى من العلوم وفيها توفي أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد في شعبان وكان اماما في معرفة القرا آت وعبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس أبو الحسن الفقيه الظاهري صاحب التصانيف المشهورة وفيها توفي عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل أبو بكر النيسابوري الفقيه الشافعي في ربيع الاول وكان مولده سنة ثمان وثلاثين ومائتين وكان قد جالس الربيع بن سليمان والمزني ويونس بن عبد الاعلى أصحاب الشافعي وكان اماما

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثلثمائة﴾

﴿ذكر مسير الراضي بالله الى حرب البريدي﴾

في هذه السنة أشار محمد بن رائق على الراضي بالله بالانحدار معه الى واسط ليقرب من الاهواز ويراسل أبا عبد الله بن البريدي فان أجاب الى ما يطلب منه والا قرب قصده عليه فاجاب الراضي الى ذلك وانحدر أول المحرم فخالف الحجرية وقالوا هذه حيلة علينا ليعمل بنا مثل ما عمل بالساجية فلم يلتفت ابن رائق اليهم وانحدر وتبعه بعضهم ثم انحدروا بعده فلما صاروا بواسط اعترضهم ابن رائق فاسقط أكثرهم فاضطربوا وثاروا وافقاتلهم قتالا شديدا فانهزم الحجرية وقتل منهم جماعة ولما وصل المنهزمون الى بغداد ركب لؤلؤ صاحب الشرطة ببغداد ولقيهم فاوقع بهم فاستتروا فنهبت دورهم وقبضت أموالهم وأملاكهم وقطعت أرزاقهم فلما فرغ منهم ابن رائق قتل من كان اعتقله من الساجية سوى صافي الخازن وهرون بن موسى فلما فرغ أخرج مضاربه ومضارب

ومتى وصلتك حتى تشكو صدها عنك قال يا أمير المؤمنين فانا الذي أقول

ياناق حثي بنا ولا تهني
نفسك فيما ترين راحات*
حتى تجيئي بنا الى ملك
توجه الله بالمهابات
يقول للريح كلما عصفت
هل لك يا ريح في مباراتي
عليه تاجان فوق مفرقه
تاج جمال وتاج اخبات

قال فنكس رأسه ونكت بالقضيب ثم رفع رأسه فقال أنت القائل

الا ما لسيدتي ما لها
ادلت باجمل ادلالها

وجارية من جواري الملوك قد اسكن الحسن سربالها ثم سأله عن اشياء فالحم أبو العتاهية فأمر المهدي بجلده نحوا من حد واخرج مجلودا فالتقيته عتبة وهو على تلك الحال فقال

بخ بخ يا عتب من مثلكم
قد قتل المهدي فيكم قتيلا

فتغرغرت عيناها وفاض دمعها وصادفت المهدي عند الخيزران فقال ما لعتبة تبكي قالوا له رأت أبا العتاهية مجلودا وقال لها كيت وكيت فأمر له بخمسين ألف درهم ففرقها أبو العتاهية على من بالباب وكتب صاحب الخبر بذلك فوجه اليه ما حملك على أن اكرمتك بكرامة فقسمتها فقال ما كنت لآكل ثمن من احببت فوجه اليه بخمسين ألفا اخرى وحلف عليه أن لا يفرقها فأخذها وانصرف قال المبرد اهدى أبو العتاهية الى المهدي في يوم نوروز برنية

الراضي نحو الاهواز لاجلاء ابن البريدي عنها فارسل اليه في المعنى تأخير الاموال وما قد ارتكبه من الاستبداد بها وافساد الجيوش وتزيين العصيان لهم الى غير ذلك من ذكر معايبه ثم يقول بعد ذلك وانه ان حمل الواجب عليه وسلم الجند الذين أفسدهم أقر على عمله وان أبى قوبل بما استحقه فلما سمع الرسالة جدد ضمان الاهواز كل سنة بثمانمائة وستين ألف دينار يحمل كل شهر قسطه وأجاب الى تسليم الجيش الى من يؤمر بتسليمه اليه ممن يسيرهم الى قتال ابن بويه اذ كانوا كارهين للعود الى بغداد لضيق الاموال بها واختلاف الكلمة فكتب الرسل ذلك الى ابن رائق فعرضه على الراضي وشاور فيه أصحابه فاشار الحسين بن علي النوبختي بان لا يقبل منه ذلك فانه خداع ومكر للقرب منه ومتى عدتم عنه لم يف بما بذله وأشار أبو بكر بن مقاتل باجابته الى ما التمس من الضمان وقال انه لا يقوم غيره مقامه وكان يتعصب للبريدي فسمع قوله وعقد الضمان على البريدي وعاد هو والراضي الى بغداد فدخلاها ثامن صفر فاما المال فلم يحمل منه دينارا واحدا واما الجيش فان ابن رائق أنفذ جعفر بن ورقاء ليتسلمه منه وليسيرهم الى فارس فلما وصل الى الاهواز لقيه ابن البريدي في الجيش جميعه ولما عاد سار الجيش مع البريدي الى داره واستصحب معه جعفرا وقدم لهم طعاما كثيرا فأكلوا وانصرفوا وأقام جعفر عدة أيام ثم ان جعفرا أمر الجيش فطالبوه بمال يفرقه فيهم ليتجهزوا به الى فارس فلم يكن معه شيء فشتموه وتهددوه بالقتل فاستتر منهم ولجأ الى البريدي فقال له البريدي ليس العجب ممن أرسلك وانما العجب منك كيف جئت بغير شيء ولو ان الجيش مماليك لما ساروا والاعمال ترصهم به ثم أخرجه ليلا وقال انج بنفسك فسار الى بغداد خائبا ثم ان ابن مقاتل شرع مع ابن رائق في عزل الحسين بن علي النوبختي وزيره وأشار عليه بالاعتضاد بالبريدي وان يجعله وزيراله عوض النوبختي وبذل له ثلاثين ألف دينار فلم يجبه الى ذلك فلم يزل ابن مقاتل يسعى ويجتهد الى ان أجابه اليه وكان من أعظم الاسباب في بلوغ ابن مقاتل غرضه ان النوبختي كان مريضا فلما تحدث ابن مقاتل مع ابن رائق في عزله امتنع من ذلك وقال له ان له حق كثير وهو الذي سعى لي حتى بلغت هذه الرتبة فلا أبتغي به بديلا فقال ابن مقاتل فان النوبختي مريض لا مطمع في عافيته فقال له ابن رائق فان الطبيب قد أعلمني انه قد صلح وأكل الدراج فقال ان الطبيب يعلم منزلته منك وانه وزير الدولة فلا يلقاك في أمره بما تكره ولكن أحضر ابن أخي النوبختي وصهره علي بن أحمد واسأله عنه سرا فهو يخبرك بحاله فقال أفعل وكان النوبختي قد استناب ابن أخيه هذا عند ابن رائق ليقوم بخدمته في مرضه ثم ان ابن مقاتل فارق ابن رائق على هذا واجتمع بعلي بن أحمد وقال له قد قررت لك مع الامير ابن رائق الوزارة فاذا سألك عن عمك فاعلمه انه على الموت ولا يجيء منه شيء لتتم لك الوزارة فلما اجتمع ابن رائق بعلي بن أحمد سأله عن عمه فغشي عليه ثم لطم برأسه ووجهه وقال يبقي الله الامير ويعظم أجره فيه فلا يعده الامير الا في الاموات فاسترجع وحوقل وقال لو فدي بجميع ما أملكه لفعلت فلما حضر عنده ابن مقاتل قال له ابن رائق قد كان الحق معك وقد يئسنا من النوبختي فاكتب الى البريدي ليرسل من ينوب عنه في وزارتي ففعل وكتب الى البريدي بانفاذ أحمد بن علي الكوفي لينوب عنه في وزارة ابن رائق فانفذه فاستولى على الامور وتمشى حال البريدي بذلك فان النوبختي كان عارفا به لا يتمشى معه محاله فلما استولى الكوفي وابن مقاتل شرعا في تضمين البصرة من أبي يوسف بن البريدي أخي أبي عبد الله فامتنع ابن رائق من ذلك فخدعاه الى ان أجاب اليه وكان نائب ابن رائق بالبصرة محمد بن يزداد وقد أساء السيرة وظلم أهلها فلما ضمنها البريدي حضر عنده بالاهواز جماعة

انى لا بأس منها ثم يطمعني
فيها احتقارك للدنيا وما فيها
فهم أن يدفع اليه عتبة
فقالت له يا أمير المؤمنين
مع حرمتي وخدمتي تدفعني
الى بائع جرار يكتسب
بالشعر فبعث اليه أما عتبة
فلا سبيل لك اليها وقد
أمرنا لك بملء البرنية مالا
فخرجت عتبة وهو يناظر
الكتاب ويقول انما أمر
لي بدنانير وهم يقولون
بدراهم فقالت أما لو كنت
عاشقا لعتبة لما اشتغلت
بتمييز العين من الورق
وكان أبو العتاهية بائع جرار
وكان أقدر الناس على
وزن الكلام وكان حلو
الالفاظ حتى انه يتكلم
بالشعر قد جعله شعرا ونثارا
واجتمع أبو نواس وجماعة
فدعا أحدهم بماء فشرب
ثم قال * عذب الماء وطابا *
ثم قال لهم أجيزوا ولم يحصر
أحدهم ما يجانسه في
سهولته وقرب مأخذه
حتى جاء أبو العتاهية فقال
فيم أنتم فاعلموه وأنشدوه
القسم فقال
* حبذا الماء شرابا * ومن
مختار شعره في عتبة
بالله يا حلوة العينين زوريني
قبل الممات والا فاستزيريني
هذان أمران فاختاري
أحبهما
اليك أولا فداعي الموت
يدعوني ان شئت موتا فانت الدهر مالكه * روحي وان شئت ان احيا فاحييني

ياعتب ما أنت الا بدعة خلقت * من غير طين وخلق الناس من طين

من أعيان أهلها فوعدهم ومناهم وذم ابن رائق عندهم بما كان يفعله ابن يزداد فدعوا له ثم أنفذ البريدى غلامه اقبالا فى ألفى رجل وأمرهم بالمقام بحصن مهدى الى ان يأمرهم بما يفعلون فلما علم ابن يزداد بهم قامت قيامته من ذلك وعلم ان البريدى يريد التغلب على البصرة والا لو كان يريد التصرف فى ضمانه لكان يكفيه عامل فى جماعته وأمر البريدى باسقاط بعض ما كان ابن يزداد يأخذه من أهل البصرة حتى اطمأنوا وقاتلوا معه عسكر ابن رائق ثم عطف عليهم فعمل بهم أعمالا تمنوا أيام ابن رائق وعدوها اعيادا

(ذكر ظهور الوحشة بين ابن رائق والبريدى والحرب بينهما)

فى هذه السنة أيضا ظهرت الوحشة بين ابن رائق والبريدى وكان لذلك عدة أسباب منها ان ابن رائق لما عاد من واسط الى بغداد أمر بظهور من اختفى من الحجريين فظهروا فاستخدم منهم نحو ألفى رجل وأمر الباقين بطلب الرزق أين ارادوا فخرجوا من بغداد واجتمعوا بطريق خراسان ثم ساروا الى أبى عبد الله البريدى فاكرمهم وأحسن اليهم وذم ابن رائق وعابه وكتب الى بغداد يعتذر عن قبولهم ويقول انى خفتهم فلهذا قبلتهم وجعلهم طريقا الى قطع ما استقر عليه من المال وذكر انهم اتفقوا مع الجيش الذى عنده ومنعوه من حمل المال الذى استقر عليه فانفذ اليه ابن رائق يلزمه بابعاد الحجرية فاعتذر ولم يفعل ومنها ان ابن رائق بلغه ما ذمه به ابن البريدى عند أهل البصرة فساءه ذلك وبلغه مقام اقبال فى جيشه بحصن مهدى فعظم عليه واتهم الكوفى بمعاباة البريدى وأراد عزله فمنعه عنه أبو بكر محمد بن مقاتل وكان مقبول القول عند ابن رائق فأمر الكوفى ان يكتب الى البريدى يعاتبه على هذه الاشياء ويأمره باعادة عسكره من حصن مهدى فكتب اليه فى ذلك فاجاب بان أهل البصرة يخافون القرامطة وابن يزداد عاجز عن حمايتهم وقد تمسكوا باصحابى لخوفهم وكان أبو طاهر الهجرى قد وصل الى الكوفة فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر فخرج ابن رائق فى عساكره الى قصر ابن هبيرة وأرسل الى القرمطى فلم يستقر بينهم أمر فعاد القرمطى الى بلده فعاد حينئذ ابن رائق وسار الى واسط فبلغ ذلك البريدى وكتب الى عسكره بحصن مهدى يأمرهم بدخول البصرة وقتال من منعهم وأنفذ اليهم جماعة من الحجرية معونة لهم فانفذ ابن يزداد جماعة من عنده ليمنعهم من دخول البصرة فاقتتلوا بنهر الامير فانهزم أصحاب ابن يزداد فاعادهم وزاد فى عدتهم كل متجند بالبصرة واقتتلوا ثانيا فانهزموا أيضا ودخل اقبال وأصحاب البريدى البصرة وانهزم ابن يزداد الى الكوفة وقامت القيامة على ابن رائق وكتب الى أبى عبد الله البريدى يتهدده ويأمره باعادة أصحابه من البصرة فاعتذر ولم يفعل وكان أهل البصرة فى أول الامر يريدون البريدى لسوء سيرة ابن يزداد

(ذكر استيلاء بجكم على الاهواز)

لما وصل جواب الرسالة من البريدى الى ابن رائق بالمغالطة عن اعادة جنده من البصرة استدعى بدرا الخرشنى وخلع عليه وأحضر بجكم أيضا وخلع عليه وسيرهما فى جيش وأمرهم ان يقيموا بالجامدة فبادر بجكم ولم يتوقف على بدر ومن معه وسار الى السوس فبلغ ذلك البريدى فاخرج اليه جيشا كثيفا فى ثلاثة آلاف مقاتل ومقدمهم غلامه محمد المعروف بالجمال فاقتتلوا بظاهر السوس وكان مع بجكم مائتان وسبعون رجلا من الاتراك فانهزم أصحاب البريدى وعادوا اليه فضرب البريدى محمدا الجمال وقال انهزمت بثلاثة آلاف من ثلثمائة فقال له أنت ظننت انك تحارب يا قوتا المدبر قد جاءك خلاف ما عهدت فقام اليه وجعل يلكمه بيديه ثم جمع عسكره

انى لاعجب من حب يقربنى
ممن يباعدنى عنه ويقصينى
لو كان ينصفنى مما كلفت به
اذا رضيت وكان النصف يرضينى
يا أهل ودى انى قد لطفت بكم
فى الحب جهدى ولكن لا تبالونى
الحمد لله قد كنا نظنكم
من ارحم الناس طرا بالمساكين
أما الكثير فلا ارجوه منك ولو
اطمعتنى فى قليل كان يكفينى
ومن مختار شعره فيها قوله
الا يا عتب يا قمر الرصافه
ويا ذات الملاحة والظرافه
رزقت مودتى ورزقت عطفى
ولم ارزق فديتك منك رافه
وصرت من الهوى دنفا سقيما
صريعا كالصريع من السلافه
اظل اذا رأيتك مستكينا
كأنك قد بعثت على آفه
وحدث المبرد محمد بن يزيد أن ريطة ابنة أبى العباس السفاح وجهت الى عبد الله ابن مالك الخزاعى فى شراء رقيق للعتق وأمرت جاريتها عتبة وكانت لها ثم صحبت الخيزران بعدها أن تحضر ذلك فانها الجالسة اذ جاء أبو العتاهية فى زى متنسك وقال جعلنى الله فداك شيخ ضعيف كبير لا يقوى على الخدمة فان رأيت اعزك الله بشراى وعتقى فعلت ما جوره فاقبلت على عبد الله فقالت

وأضاف اليهم من لم يشهد الوقعة فبلغوا ستة آلاف رجل وسيرهم مع الجال أيضا فالتقوا عند نهر تستر فبادر بجكم فعبر النهر هو وأصحابه فلما رآه أصحاب البريدى انهزموا من غير حرب فلما رآهم أبو عبد الله البريدى ركب هو واخوته ومن يلزمه فى السفن فأخذ معه ما بقى عنده من المال وهو ثلثمائة ألف دينار فغرقت السفينة بهم فأخرجهم الغواصون وقد كادوا يغرقون وأخرج بعض المال وأخرج باقى المال لبجكم ووصلوا الى البصرة فأقاموا بالابلة وأعدوا المراكب للهرب ان انهزموا وسير أبو عبد الله البريدى غلامه اقبالا الى مطارا وسير معه جماعة من فتيان البصرة فالتقوا بمطارا مع أصحاب ابن رائق فانهزمت الرائقية وأسر منهم جماعة فأطلقهم البريدى وكتب الى ابن رائق يستعطفه وأرسل اليه جماعة من أعيان أهل البصرة فلم يجبهم وطلبوا منه ان يحلف لاهل البصرة ليكونوا معه ويساعدوه فامتنع وحلف لئن ظفر بها ليحرقنها ويقتل كل من فيها فازدادوا بصيرة فى قتاله واطمأن البريديون بعد انهزام عسكر ابن رائق وأقاموا حينئذ بالبصرة واستولى بجكم على الاهواز فلما بلغ ابن رائق هزيمة أصحابه جهز جيشا آخر وسيره الى البر والماء فالتقى عسكره الذى على الظهر مع عسكر البريدى فانهزم الرائقية وأما عسكره الذى فى الماء فانهم استولوا على الكلاء فلما رأى ذلك أبو عبد الله البريدى ركب فى السفن وهرب الى جزيرة أوال وترك أخاه أبا الحسين بالبصرة فى عسكر يحميها فخرج أهل البصرة مع أبى الحسين لدفع عسكر ابن رائق عن الكلاء فقاتلوهم حتى أجلوهم عنه فلما اتصل ذلك بابن رائق سار بنفسه من واسط الى البصرة على الظهر وكتب الى بجكم ليلحق به فأتاه فيمن عنده من الجند فتقدموا وقاتلوا أهل البصرة فاشتد القتال وحامى أهل البصرة وشتموا ابن رائق فلما رأى بجكم ذلك هاله وقال لابن رائق ما الذى عملت بهؤلاء القوم حتى أحوجتهم الى هذا فقال والله لا أدرى وعاد ابن رائق وبجكم الى معسكرهما وأما أبو عبد الله البريدى فانه سار من جزيرة أوال الى عماد الدولة ابن بويه واستجار به وأطمعه فى العراق وهون عليه أمر الخليفة وابن رائق فنفذ معه أخاه معز الدولة على ما نذكره فلما سمع ابن رائق باقبالهم من فارس الى الاهواز سير بجكم اليها فامتنع من المسير الا أن يكون اليه الحرب والخراج فأجابه الى ذلك وسيره اليها ثم ان جماعة من أصحاب البريدى قصدوا عسكر ابن رائق ليلا فصاحوا فى جوانبه فانهزموا فلما رأى ابن رائق ذلك أمر باحراق سواده وآلاته لئلا يغنمه البريدى وسار الى الاهواز جريدة فأشار جماعة على بجكم بالقبض عليه فلم يفعل وأقام ابن رائق أياما وعاد الى واسط وكان باقى عسكره قد سبقوه اليها

﴿ ذكر الفتنة بين أهل صقلية وأمرائهم ﴾

فى هذه السنة خالف أهل جرجنت وهى من بلاد صقلية على أميرهم سالم بن راشد وكان استعمله عليهم القائم العلوى صاحب افريقية وكان سئ السيرة فى الناس فأخرجوا عامله عليهم فسير اليهم سالم جيشا كثيرا من أهل صقلية وافريقية فاقتتلوا أشد قتال فهزمهم أهل جرجنت وتبعهم فخرج اليهم سالم ولقيهم واشتد القتال بينهم وعظم الخطب فانهزم أهل جرجنت فى شعبان فلما رأى أهل المدينة خلاف أهل جرجنت خرجوا أيضا على سالم وخالفوه وعظم شغبهم عليه وقاتلوه فى ذى القعدة من هذه السنة فهزمهم وحصرهم بالمدينة فأرسل الى القائم بالمهدية يعرفه ان أهل صقلية قد خرجوا عن طاعته وخالفوا عليه ويستمده فأمده القائم بجيش واستعمل عليهم خليل ابن اسحق فساروا حتى وصلوا الى صقلية فرأى خليل من طاعة أهلها ما سره وشكوا اليه من ظلم سالم وجوره وخرج اليه النساء والصبيان يبكون ويشكون فرق الناس لهم وبكوا لبكائهم وجاء

اتأذنين لى اصلحك الله فى تقبيل يدك فاذنت له فقبل يدها وانصرف فضحك عبد الله بن مالك وقال اتدرين من هذا قالت لا قال هذا أبو العتاهية وانما احتال عليك حتى قبل يدك فلو لم يكن لابى العتاهية سوى هذه الابيات التى أبان فيها عن صدق الاخاء ومحض الوفاء وهى

ان أخاك الصدق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك
شتت شمل نفسه كى يجمعك

وهذه الصفة فى عصرنا معدومة ومستحيل وجودها ومتعذر كونها (وروى) ابن عياش أن المنصور كان قد ضم الشرقى بن القطامى الى المهدى حين خلفه بالرى وأمره أن يأخذ بحفظ أيام العرب ومكارم والاخلاق ودراسة الاخبار قراءة الاشعار فقال له المهدى ذات ليلة ياشرقى أرح قلبى بشئ يلهيه قال نعم اصلح الله الامير ذكروا أنه كان فى ملوك الحيرة ملك يقال كان له نديمان قد نزلا من قلبه منزلة مكينة وكانا لا يفارقانه فى لهوه ومنامه ويقظته وكان لا يقطع امر دونهما ولا يصدر الا عن رأيهما فغبر بذلك دهرا طويلا فبينا هو ذات ليلة فى شربه ولهوه اذ غلب عليه الشراب فازال عقله فدعا

أهل البلاد الى خليل وأهل جرجنت فلما وصلوا اجتمع بهم سالم وأعلمهم ان القائم قد أرسل خليلا لينتقم منهم بمن قتلوا من عسكره فعاودوا الخلاف فشرع خليل في بناء مدينة على مرسى المدينة وحصنها ونقض كثيرا من المدينة وأخذ أبوابها وسماها الخالصة ونال الناس شدة في بناء المدينة فبلغ ذلك أهل جرجنت فخافوا وتحقق عندهم ما قال لهم سالم وحصنوا مدينتهم واستمدوا العرب فسار اليهم خليل في جمادى الاولى سنة ست وعشرين وثلثمائة وحصرهم فخرجوا اليه والتحم القتال واشتد الامر وبقي محاصرا لهم ثمانية أشهر لا يخلو يوم من قتال وجاء الشتاء فرحل عنهم في ذي الحجة الى الخالصة فنزلها ولما دخلت سنة سبع وعشرين خالف على خليل جميع القلاع وأهل مازر كل ذلك بسعي أهل جرجنت وبثوا سراياهم واستفحل أمرهم وكاتبوا ملك القسطنطينية يستنجدونه فامدهم بالمراكب فيها الرجال والطعام فكتب خليل الى القائم يستنجده فبعث اليه جيشا كثيرا فخرج خليل بمن معه من أهل صقلية فحصر قلعة أبي ثور فملكوها وكذلك أيضا البلوط ملكوها وحصر قلعة ابلاطنو وأقاموا عليها حتى انقضت سنة سبع وعشرين وثلثمائة فلما دخلت سنة ثمان وعشرين رحل خليل عن ابلاطنو وحصر جرجنت وأطال الحصار ثم رحل عنها وترك عليها عسكرا يحاصرها مقدمهم أبو خلف بن هرون فدام الحصار الى سنة تسع وعشرين وثلثمائة فسار كثير من أهلها الى بلاد الروم وطلب الباقون الامان فامنهم على ان ينزلوا من القلعة فلما نزلوا غدر بهم وحملهم الى المدينة فلما رأى أهل سائر القلاع ذلك أطاعوا فلما عادت البلاد الاسلامية الى طاعته رحل الى افريقية في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وثلثمائة وأخذ معه وجوه أهل جرجنت وجعلهم في مركب وأمر بنقبه وهو في لجة البحر فغرقوا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة خرجت الفرنج الى بلاد الاندلس التي للمسلمين فنهبوا وقتلوا وسبوا وممن قتل من المشهورين بحاف بن يمن قاضي بلنسية وفيها توفي عبد الله بن محمد بن سفيان أبو الحسين الخزاز النحوي في ربيع الاول وكان صحب ثعلبا والمبرد وله تصانيف في علوم القرآن

﴿ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلثمائة﴾

﴿ذكر استيلاء معز الدولة على الاهواز﴾

في هذه السنة سار معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه الى الاهواز وتلك البلاد فملكها واستولى عليها وكان سبب ذلك ما ذكرناه من مسير أبي عبد الله البريدي الى عماد الدولة كما سبق فلما وصل اليه اطمعه في العراق والاستيلاء عليه فسير معه أخاه معز الدولة الى الاهواز وترك أبو عبد الله البريدي ولديه أبا الحسن محمدا وأبا جعفر الفياض عند عماد الدولة بن بويه رهينة وسار وابلغ الخبر الى بجكم بنزولهم ارجان فسار لحربهم فانهزم من بين أيديهم وكان سبب الهزيمة ان المطر اتصل أياما كثيرة فعطلت أوتار قسي الاتراك فلم يقدروا على رمي النشاب فعاد بجكم وأقام بالاهواز وجعل بعض عسكره بعسكر مكرم فقاتلوا معز الدولة بها ثلاثة عشر يوما ثم انهزموا الى تستر فاستولى معز الدولة على عسكر مكرم وسار بجكم الى تستر من الاهواز وأخذ معه جماعة من أعيان الاهواز وسار هو وعسكره الى واسط وأرسل من الطريق الى ابن رائق يعلمه الخبر ويقول له ان العسكر محتاج الى المال فان كان معك مائتا ألف دينار فتقيم بواسط حتى نصل اليك وتنفق فيهم المال وان كان المال قليلا فالرأي انك تعود الى بغداد لئلا يجري من العسكر شغب فلما بلغ

الارض عاضا لها تاسفا عليهما وجزعا لفراقهما وامتنع من الطعام والشراب ثم حلف لا يشرب شرابا يزيغ قلبه ما عاش وواراهما وبنى على قبريهما قبة وسماها الغريين وسن أن لا يمر بهما أحد من الملك فن دونه الا سجد لهما وكان اذا سن الملك سنة توارثوها وأحيوا ذكرها ولم يميتوها وجعلوها عليهم حكما واجبا وفرضا لازما وأوصى بها الآباء أعقابهم فغبر الناس بذلك دهرا طويلا لا يمر أحد من صغير ولا كبير الا سجد لهما فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة والفريضة وحكم فيمن أبى أن يسجد لهما بالقتل بعد أن يحكم له بخصلتين يجاب اليهما كائنا ما كان قال فمر يوما قصار معه كارة ثياب وفيها مدقته فقال الموكلون بالغريين للقصار اسجد فأبى أن يفعل فقالوا له انك مقتول ان لم تفعل فأبى فرفعوه الى الملك وأخبروه بقصته فقال ما منعك أن تسجد قال سجدت ولكن كذبوا على قال الباطل قلت فاحتكم في خصلتين فانك مجاب اليهما واني قاتلك قال لا بد من قتلي بقول هؤلاء قال لا بد من ذلك قال فاني احتكم ان اضرب رقبة الملك بمدقتي هذه قال له الملك يا جاهل لو

حكمت على أن اجري على من تخلف وراءك ما يغنيهم كان أصلح لهم قال ما أحكم الا بضربة لرقبة الملك فقال الملك لوزرائه ما ترون

الخبر الى ابن رائق عاد من واسط الى بغداد ووصل بجكم الى واسط فاقام بها واعتقل من معه من الاهوازيين وطالبهم بخمسين ألف دينار وكان فيهم أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسي قال أبو زكريا أردت ان أعلم ما في نفس بجكم فانفذت اليه أقول عندي نصيحة فاحضرني عنده فقلت أيها الامير أنت تحدث نفسك بمملكة الدنيا وخدمة الخلافة وتدبير الممالك كيف يجوز ان تعتقل قوما منكوبين قد سلبوا نعمتهم وتطالبهم بمال وهم في بلد غربة وتأمر بتعذيبهم حين جعل أمس طشت فيه نار على بطن بعضهم أما تعلم ان هذا اذا سمع عنك استوحش منك الناس وعاداك من لا يعرفك وقد أنكرت على ابن رائق ايحاشه لاهل البصرة أتراه أساء الى جميعهم لا والله بل أساء الى بعضهم فابغضوه كلهم وعوام بغداد لا تحتمل امثال هذا وذكرت له فعل مرداويج فلما سمع ذلك قال قد صدقتني ونصحتني ثم أمر باطلاقهم ولما استولى ابن بويه والبريدي على عسكر مكرم سار أهل الاهواز الى البريدي يهنونه وفيهم طبيب حاذق وكان البريدي يحم بحمى الربع فقال لذلك الطبيب أما ترى يا أبا زكريا حالي وهذه الحمى فقال له خلط يعني في المأكول فقال له اكثر من هذا التخليط قد رهجت الدنيا ثم ساروا الى الاهواز فاقاموا بها خمسة وثلاثين يوما ثم هرب البريدي من ابن بويه الى الباسيان فكاتبه بعتب كثير ويذكر غدره في هربه وكان سبب هربه ان ابن بويه طلب عسكره الذين بالبصرة ليسيروا الى أخيه ركن الدولة باصبهان معونة له على حرب وشمكير فاحضر منهم أربعة آلاف فلما حضروا قال لمعز الدولة ان أقاموا وقع بينهم وبين الديلم فتنة والرأي ان يسيروا الى السوس ثم يسيروا الى أصبهان فاذن له في ذلك ثم طالبه بان يحضر عسكره الذين بحصن مهدي ليسيرهم في الماء الى واسط نخاف البريدي ان يعمل به مثل ما عمل هو بياقوت وكان الديلم يهنونه ولا يلتفتون اليه فهرب وأمر جيشه الذين بالسوس فساروا الى البصرة وكاتب معز الدولة بالافراج له عن الاهواز حتى يتمكن من ضمانه فانه كان قد ضمن الاهواز والبصرة من عماد الدولة بن بويه كل سنة بثمانية عشر ألف ألف درهم فرحل عنها الى عسكر مكرم خوفا من أخيه عماد الدولة لئلا يقول له كسرت المال فانتقل البريدي الى بناباذ وأنفذ خليفته الى الاهواز وأنفذ الى معز الدولة يذكر له حاله وخوفه منه ويطلب ان ينتقل الى السوس من عسكر مكرم ليبعد عنه ويأمن بالاهواز فقال له أبو جعفر الصيمري وغيره ان البريدي يريد ان يفعل بك كما فعل بياقوت ويفرق أصحابك عنك ثم يأخذك فيتقرب بك الى بجكم وابن رائق ويستعيد أخاك لاجلك فامتنع معز الدولة من ذلك وعلم بجكم بالحال فانفذ جماعة من أصحابه فاستولوا على السوس وجنديسابور وبقيت الاهواز بيد البريدي ولم يبق بيد معز الدولة من كور الاهواز الا عسكر مكرم فاشتد الحال عليه وفارقه بعض جنده وأرادوا الرجوع الى فارس فمنهم اصفهدوست وموسى قياذه وهما من أكابر القواد وضمن لهم أرزاقهم ليقيموا شهرا فاقاموا وكتب الى أخيه عماد الدولة يعرفه حاله فانفذ له جيشا فقوي بهم وعاد استولى على الاهواز وهرب البريدي الى البصرة واستقر فيها فاستقر ابن بويه بالاهواز وأقام بجكم بواسط طامعا في الاستيلاء على بغداد وكان ابن رائق ولا يظهر له شيأ من ذلك وانفذ ابن رائق علي بن خلف بن طياب الى بجكم ليسير معه الى الاهواز ويخرج منها ابن بويه فاذا فعل ذلك كانت ولايتها لبجكم والخراج الى علي بن خلف فلما وصل علي الى بجكم بواسط استوزره بجكم وأقام معه وأخذ بجكم جميع مال واسط ولما رأى أبو الفتح الوزير ببغداد ادبار الامور اطمع ابن رائق في مصر والشام وصاهره وعقد بينه وبين ابن طغج

فيما حكم به هذا الجاهل قال نرى ان هذه سنة وأنت أعلم بما في نقض السنن من العار والنار وعظم الاثم وأيضا انك متى نقضت سنة نقضت أخرى ثم يكون ذلك لمن بعدك كما كان لك فتبطل السنن قال فارغبوا الى القصار أن يحكم بما شاء ويعفيني من هذه فاني أجيبه الى ما شاء ولو بلغ حكمه شطر ملكي فرغبوا اليه فقال ما أحكم الا بضربة في عنق الملك قال فلما رأى الملك ذلك وما عزم عليه القصار قعد له مقعدا عاما وأحضر القصار فابدى مدقته وضرب بها عنق الملك فاوهنه وخر مغشيا عليه فاقام لما به سنة وبلغت به العلة الى ان كان يسقى الماء بالقطن فلما أفاق وتكلم وأكل وشرب واستقل سأل عن القصار فقيل انه محبوس فامر باحضاره فحضر فقال لقد بقيت لك خصلة فاحكم بها فاني قاتلك لا محالة اقامة للسنة قال القصار فاذا كان لا بد من قتلي فاني أحكم ان اضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة أخرى فلما سمع الملك ذلك خر على وجهه من الجزع وقال ذهبت والله نفسي اذا ثم قال للقصار ويلك دع عنك ما لا ينفعك فانه لم ينفعك منه ما مضى واحكم بغيره وأنفذه لك كائنا ما كان قال ما أرى حقي الا ضربة أخرى فقال الملك لوزرائه ما ترون قالوا اتمت على السنة قال ويلكم ان ضرب الجانب الآخر ما شربت الماء البارد أبدا لاني أعلم

عهدا

عهدا وصهرا وقال لابن رائق أنا أحي اليك مال مصر والشام ان سيرتني اليهما فامره بالتجهز للحركة ففعل وسار أبو الفتح الى الشام في ربيع الآخر

﴿ ذكر الحرب بين بجكم والبريدي والصلح بعد ذلك ﴾

لما أقام بجكم بواسط وعظم شأنه خافه ابن رائق لانه ظن ما فعله بجكم من التغلب على العراق فراسل أبا عبد الله البريدي وطلب منه الصلح على بجكم فاذا انهزم تسلم البريدي واسطا وضمنها بستمائة ألف دينار في السنة على ان ينفذ أبو عبد الله عسكرا فسمع بجكم بذلك فخاف واستشار أصحابه في الذي يفعله فاشاروا عليه بان يبتدئ بابي عبد الله البريدي وان لا يهجم الى حضرة الخلافة ولا يكاشف ابن رائق الا بعد الفراغ من البريدي فجمع عسكره وسار الى البصرة يريد البريدي فسير أبو عبد الله جيشا بلغت عدتهم عشرة آلاف رجل عليهم غلامه أبو جعفر محمد الجمال فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر البريدي ولم يتبعهم بجكم بل كف عنهم وكان البريديون بعطارا ينتظرون ما ينكشف من الحال فلما انهزم عسكرهم خافوا وضعفت نفوسهم الا انه لما رأى عسكره سالما لم يقتل منهم أحد ولا غرق طاب قلبه وكانت نية بجكم اذلال البريدي وقطعه عن ابن رائق ونفسه معلقة بالحضرة فارسل ثاني يوم الهزيمة الى البريدي يعتذر اليه مما جرى ويقول له أنت بدأت وتعرضت بي وقد عفوت عنك وعن أصحابك ولو تبعتهم لغرق وقتل أكثرهم وانا أصالحك على ان أقلدك واسطا اذا ملكت الحضرة واصاهرك فسجد البريدي شكرا لله تعالى وحالف لبجكم وتصالحا وعاد الى واسط وأخذ في التدبير على ابن رائق والاستيلاء على الحضرة ببغداد

﴿ ذكر قطع يد ابن مقلة ولسانه ﴾

في هذه السنة في منتصف شوّال قطعت يد الوزير أبي علي بن مقلة وكان سبب قطعها ان الوزير أبا الفتح بن جعفر بن الفرات لما عجز عن الوزارة وسار الى الشام استوزر الخليفة الراضي بالله أبا علي بن مقلة وليس له من الامر شئ انما الامر جميعه الى ابن رائق وكان ابن رائق قبض أموال ابن مقلة واملاكه واملاك ابنه فخاطبه فلم يردها فاستمال أصحابه وسألهم مخاطبته في ردها فوعدوه فلم يقضوا حاجته فلما رأى ذلك سعى بابن رائق فكاتب بجكم يطمعه في موضع ابن رائق وكتب الى وشمكير بمثل ذلك وهو بالري وكتب الى الراضي يشير عليه بالقبض على ابن رائق وأصحابه ويضمن انه يستخرج منهم ثلاثة آلاف ألف دينار وأشار عليه باستدعاء بجكم واقامته مقام ابن رائق فاطمعه الراضي وهو كاره لما قاله فعجل ابن مقلة وكتب الى بجكم يعرفه اجابة الراضي ويستحثه على الحركة والمجيء الى بغداد وطلب ابن مقلة من الراضي ان ينتقل ويقيم عنده بدار الخلافة الى ان يتم على ابن رائق ما اتفقا عليه فاذن له في ذلك فحضر متنكرا آخر ليلة من رمضان وقال ان القمر تحت الشعاع وهو يصلح للاسرار فكان عقوبته حيث نظر الى غير الله ان ذاع سره وشهر أمره فلما حصل بدار الخلافة لم يوصله الراضي اليه واعتقله في حجرة فلما كان الغد انفذ الى ابن رائق يعرفه الحال ويعرض عليه خط ابن مقلة فشكر الراضي ومازالت الرسل تتردد بينهما في معنى ابن مقلة الى منتصف شوّال فاخرج ابن مقلة من محبسه وقطعت يده ثم عولج فبرأ فعاد يكاتب الراضي ويخطب الوزارة ويذكر ان قطع يده لم يمنعه من عمله وكان يشد القلم على يده المقطوعة ويكتب فلما قرب بجكم من بغداد سمع الخدم يتحدثون بذلك فقال ان وصل بجكم فهو يستخلصني واكافئ ابن رائق وصار يدعو على من ظلمه وقطع يده فوصل خبره الى الراضي والى ابن رائق فامرا بقطع لسانه ثم نقل الى محبس ضيق ثم لحقه ذرب في الحبس ولم يكن عنده من يخدمه فآل به الحال الى ان كان يستقي

ماقدنا لنى قالوا فانما عندنا حيلة فلما رأى ما قد أشرف عليه قال للقصار أخبرني ألم أكن قد سمعتك تقول يوم أتى بك الموكلون بالغربين انك قد سجدت وانهم كذبوا عليك قال قد كنت قلت ذلك فلم أصدق قال فكنت سجدت قال نعم فوثب من مجلسه وقبل رأسه وقال أشهد انك صادق وانهم كذبوا عليك وقد وليتك موضعهم وجعلت اليك بأسهم وأمرهم فضحك المهدي حتى فحص برجليه وقال أحسنت ووصله قال الهيثم بن عدي كنت في مجلس المهدي فاتاه الحاجب فقال ابن أبي حفصة بالباب فقال لا تأذن له فانه منافق كذاب فكلمه الحسن بن أبي عطية فيه فادخله فقال له المهدي يافاسق ألست القائل في معن

جبل تلوذ به نزار كلها
صعب الذرى متمنع الاركان

قال بل أنا الذي أقول فيك يا أمير المؤمنين

يا ابن الذي ورث النبي محمدا
دون الاقارب من ذوي الارحام

وأنشده الابيات كلها فرضي عنه وأجازه وقال القعقاع ابن حكيم كنت عند المهدي وأتى سفيان الثوري فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يسلم تسليم الخلافة والربيع قائم على رأسه متكئ على سيفه فاقبل المهدي بوجه طلق وقال له ياسفيان تفر منا ههنا وههنا وتظن انا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك فقد قدرنا عليك الآن افما تخشى ان نحكم فيك بهوانا قال سفيان ان تحكم في يحكم فيك

الماء من البئر بيده اليسرى ويمسك الحبل بفيه ولحقه شقاء شديد الى ان مات ودفن بدار الخليفة ثم ان أهله سألوا فيه فنبش وسلم اليهم فدفنوه في داره ثم نبش فنقل الى دار أخرى ومن العجب انه ولي الوزارة ثلاث دفعات ووزر لثلاث خلفاء وسافر ثلاث سفرات اثنتين منفيا الى شيراز وواحدة في وزارته الى الموصل ودفن بعد موته ثلاث مرات وخص به من خدمه ثلاث

﴿ذكر استيلاء بجكم على بغداد﴾

وفي هذه السنة دخل بجكم بغداد ولقي الراضي وقلده امرة الامراء مكان ابن رائق ونحن نذكر ابتداء أمر بجكم وكيف بلغ الى هذه الحال فان بعض أمره قد تقدم واذا تفرق لم يحصل الغرض منه * كان هذا بجكم من غلمان أبي علي العارض وكان وزيرا لما كان بن كالي الديلمي فطلبه منه ما كان فوهبه له ثم انه فارق ما كان مع من فارقه من أصحابه والتحق بمرداويج وكان في جملة من قتله وسار الى العراق واتصل بابن رائق وسيره الى الاهواز فاستولى عليها وطرد البريدي عنها ثم خرج البريدي مع معز الدولة ابن بويه من فارس الى الاهواز فأخذوها من بجكم وانتقل بجكم من الاهواز الى واسط وقد تقدم ذكر ذلك مفصلا فلما استقر بواسط تعلقت همته بالاستيلاء على حضرة الخليفة وهو مع ذلك يظهر التبعية لابن رائق وكان على اعلامه وتراسه بجكم الرائقي فلما وصلته كتب ابن مقلة يعرفه انه قد استقر مع الراضي ان يقلده امرة الامراء فطمع في ذلك وكاشف ابن رائق ومحى نسبته اليه من اعلامه وسار من واسط نحو بغداد غرة ذي القعدة واستعد ابن رائق له وسأل الراضي ان يكتب الى بجكم يأمره بالعود الى واسط فكتب الراضي اليه وسير الكتاب فلما قرأه القاه عن يده ورمى به وسار حتى نزل شرقي نهر ديالى وكان أصحاب ابن رائق على غربيه فالقى أصحاب بجكم نفوسهم في الماء فانهزم أصحاب ابن رائق وعبر اصحاب بجكم وساروا الى بغداد وخرج ابن رائق عنها الى عكبرا ودخل بجكم بغداد ثالث عشر ذي القعدة ولقي الراضي من الغد وخلع عليه وجعله أمير الامراء وكتب كتب الراضي الى القواد الذين مع ابن رائق يأمرهم بالرجوع الى بغداد ففارقوه جميعهم وعادوا فلما رأى ابن رائق ذلك عاد الى بغداد واستتر ونزل بجكم بدار مؤنس واستقر أمره ببغداد فكانت مدة امارة أبي بكر بن رائق سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوما ومن مكر بجكم انه كان يراسل ابن رائق على لسان أبي زكريا يحيى بن سعيد السوسي قال أبو زكريا أشرت على بجكم انه لا يكاشف ابن رائق فقال لم أشرت بهذا فقلت له انه قد كان له عليك رياسة وامرة وهو أقوى منك وأكثر عددا والخليفة معه والمال عنده كثير فقال اما كثرة رجاله فهم جوز فارغ وقد بلوتهم فما ابالي بهم قلوا أم كثروا وأما كون الخليفة معه فهذا لا يضرني عند أصحابي وأما قلة المال معي فليس الامر كذلك فقد وفيت أصحابي مستحقهم ومعي ما يستظهر به فكم تظن مبلغه فقلت لا أدري فقال على كل حال فقلت مائة ألف درهم فقال غفر الله لك معي خمسون ألف دينار لا احتاج اليها فلما استولى على بغداد قال لي يوما أتذكر اذ قلت لك معي خمسون ألف دينار والله لم يكن معي غير خمسة آلاف درهم فقلت هذا يدل على قلة ثقتك بي قال لا ولكنك كنت رسولي الى ابن رائق فاذا علمت قلة المال معي ضعفت نفسك فطمع العدو فينا فاردت ان تمضي اليه بقلب قوي فتكلمه بما تخلع قلبه ويضعف نفسه قال فعجبت من مكره وعقله

﴿ذكر استيلاء لشكري على اذربيجان وقتله﴾

وفيها تغلب لشكري بن مردي على اذربيجان وهذا لشكري أعظم من الذي تقدم ذكره فان هذا

وكان

لي ان اضرب عنقه فقال له اسكت ويلك مايريد هذا وأمثاله الا ان نقتلهم فنشقى بسعادتهم اكتبوا له عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم فكتب عهده ودفعه اليه فاخذه وخرج ورمى به في الدجلة وهرب فطلب في كل بلد فلم يوجد وقال علي بن يقطين كنا مع المهدي بماسبذان فقال لي يوما أصبحت جائعا فأتني بأرغفة ولحم بارد ففعلت فأكل ثم دخل البهو فنام وكنا نحن في الرواق فانتبهنا لبكائه فبادرنا اليه مسرعين فقال أما رأيتم ما رأيت قلنا ما رأينا شيأ قال وقف علي رجل لو كان في ألف رجل ماخفي علي صوته فقال

كأني بهذا القصر قد باد أهله
وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة
وملك الى قبر عليه جنادله
فلم يبق الا ذكره وحديثه
تنادي عليه معولات حلائله

قال علي فما أتت على المهدي بعد رؤياه الا عشرة أيام حتى توفي (قال المسعودي) وكانت وفاة زفر بن الهذيل الفقيه صاحب أبي حنيفة النعمان بن ثابت سنة ثمان وخمسين ومائة وفيها كانت بيعة المهدي كما قدمناه ومات سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري بالبصرة وكان من تميم وهو ابن ثلاث وستين سنة

كان خليفـة وشمكير على أعمال الجبـل فجمع مالا ورجالا وسار الى اذربيجان وبها يومئذ ديسم بن ابراهيم الكردي وهو من أصحاب ابن أبي الساج فجمع عسكرا وتحارب هو ولشكري فانهزم ديسم ثم عاد وجمع وتصافا مرة ثانية فانهزم أيضا واستولى لشكري على بلاده الا أردبيل فان أهلها امتنعوا بها لحصانتها ولهم بأس ونجدة وهي دار المملكة باذربيجان فراسلهم لشكري ووعدهم الاحسان لما كان يبلغهم من سوء سيرة الديلم مع بلاد الجبل همذان وغيرها فحصرهم وطال الحصار ثم صعد أصحابه السور ونقبوه أيضا في عدة مواضع ودخلوا البلد وكان لشكري يدخله نهارا ويخرج منه ليلا الى عسكره فبادر أهل البلد وأصلحوا ثلم السور وأظهروا العصيان وعاودوا الحرب فندم على التفريط واضاعة الحزم فارسل أهل اردبيل الى ديسم يعرفونه الحال ويواعدونه يوما يجيء فيه ليخرجوا فيه الى قتال لشكري ويأتي هو من ورائه ففعل وسار نحوهم وظهروا يوم الموعد في عدد كثير وقاتلوا لشكري وأتاه ديسم من خلف ظهره فانهزم أقبح هزيمة وقتل من أصحابه خلق كثير وانحاز الى موقان فاكرمه أصبهبذها ويعرف بابن دوله وأحسن ضيافته وجمع لشكري وسار نحو ديسم وساعده ابن دولة فهرب ديسم وعبر نهر ارس وعبر بعض أصحاب لشكري اليه فانهزم ديسم وقصد وشمكير وهو بالري وخوفه من لشكري وبذل له مالا كل سنة ليسير معه عسكرا فاجابه الى ذلك وسير معه عسكرا وكاتب عسكر لشكري وشمكير يعلمونه بما هم عليه من طاعته وانهم متى رأوا عسكره صاروا معه على لشكري فظفر لشكري بالكتب فكتم ذلك عنهم فلما قرب منه عسكر وشمكير جمع أصحابه وأعلمهم ذلك وانه لا يقوى بهم وانه يسير بهم نحو الزوزان وينهب من على طريقه من الارمن ويسير نحو الموصل ويستولي عليها وعلى غيرها فاجابوه الى ذلك فسار بهم الى أرمينية وأهلها غافلون فنهب وغنم وسبى وانتهى الى الزوزان ومعهم الغنائم فنزل بولاية انسان ارمني وبذل له مالا ليكف عنه وعن بلاده فاجابه الى ذلك ثم ان الارمني كمن كمينا في مضيق هناك وأمر بعض الارمن ان ينهب شيأ من أموال لشكري ويسلك ذلك المضيق ففعلوا وبلغ الخبر الى لشكري فركب في خمسة أنفس فسار وراءهم فخرج عليه الكمين فقتلوه ومن معه ولحقه عسكره فرأوه قتيلا ومن معه فعادوا وولوا عليهم ابنه لشكرستان واتفقوا على ان يسيروا على عقبة التنين وهي تجاوز الجودي ويحرزوا سوادهم ويرجعوا الى بلد طرم الارمني فيدركوا آثارهم فبلغ ذلك طرم فرتب الرجال على تلك المضايق يرمونهم بالحجارة ويمنعونهم العبور فقتلوا منهم خلقا كثيرا وسلم القليل منهم وفيمن سلم لشكرستان وسار فيمن معه الى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل فاقام بعضهم عنده وانحدر بعضهم الى بغداد فاما الذين أقاموا بالموصل فسيرهم مع ابن عم أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان الى ما بيده من اذربيجان لما أقبل نحوه ديسم ليستولي عليه وكان أبو عبد الله من قبل ابن عمه ناصر الدولة على معاون اذربيجان فقصده ديسم وقاتله فلم يكن لابن حمدان به طاقة ففارق اذربيجان واستولى عليها ديسم

❁(ذكر اختلال أمور القرامطة)❁

في هذه السنة فسد حال القرامطة وقتل بعضهم بعضا وسبب ذلك انه كان رجل منهم يقال له ابن سنبر وهو من خواص أبي سعيد القرمطي والمطلعين على سره وكان له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك فعمد ابن سنبر الى رجل من أصبهان وقال له اذا ملكتك أمر القرامطة أريد منك ان تقتل عدوي أبا حفص فأجابه الى ذلك وعاهده عليه فأطلعه على أسرار أبي

ويكنى أبا عبد الله في أيام المهدي وذلك في سنة احدى وستين ومائة ومات ابن أبي ذئب وهو محمد بن عبد الرحمن ابن المغيرة ويكنى أبا الحرث بالكوفة سنة تسع وخمسين ومائة وذلك في أيام المهدي وفي سنة ستين ومائة مات شعبة بن الحجاج ويكنى أبا بسطام وهو مولى لبني شقرة من الازد وفيها توفي عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي وفي سنة ست وستين ومائة مات حماد بن مسلمة في أيام المهدي (قال المسعودي) وللمهدي أخبار حسان ولما كان في أيامه من الكوائن والحروب وغيرها قد أتينا على مبسوطه في الكتاب الاوسط وكذلك من مات في سلطانه من الفقهاء وأصحاب الحديث وغيرهم وبالله التوفيق

❁ذكر خلافة موسى الهادي❁

وبويع موسى بن محمد الهادي لسبع بقين من المحرم وهو ابن أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر صبيحة الثلاثاء التي كانت فيها وفاة والده المهدي وذلك في سنة تسع وستين ومائة وتوفي بعيساباذ نحو مدينة السلام سنة سبعين ومائة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول من هذه السنة وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر وكان يكنى أبا جعفر وأمه الخيزران بنت عطاء أم ولد جرشية وهي أم الرشيد وأتته البيعة وهو ببلاد

سعيد وعلامات كان يذكر أنها فى صاحبهم الذى يدعون اليه فحضر عند أولاد أبى سعيد وذكر لهم ذلك فقال أبو طاهر هذا هو الذى يدعوا اليه فاطاعوه ودانوا له حتى كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله وكان اذا كره رجلا يقول له انه مريض يعنى انه قد شك فى دينه ويأمر بقتله وبلغ أبا طاهر ان الاصبهانى يريد قتله لينفرد بالملك فقال لاخوته لقد أخطأنا فى هذا الرجل وسأكشف حاله فقال له ان لنا مريضا فانظر اليه ليبرأ فحضروا وأضجعوا والدته وغطوها بازار فلما رآها قال ان هذا المريض لا يبرأ فاقتلوه فقالوا له كذبت هذه والدته ثم قتلوه بعد أن قتل منهم خلق كثير من عظمائهم وشجعانهم وكان هذا سبب تمسكهم بهجر وترك قصد البلاد والافساد فيها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم فى ذى القعدة وكان القيم به ابن ورقاء الشيبانى وكان عدة من فودى من المسلمين ستة آلاف وثلثمائة من بين ذكر وأنثى وكان الفداء على نهر البدندون

وفيها ولد الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد

﴿ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلثمائة﴾

﴿ذكر مسير الراضى وبجكم الى الموصل وظهور ابن رائق ومسيره الى الشام﴾

فى هذه السنة فى المحرم سار الراضى بالله وبجكم الى الموصل وديار ربيعة وسبب ذلك ان ناصر الدولة بن حمدان أخر المال الذى عليه من ضمان البلاد التى بيده فاغتاظ الراضى منه بسبب ذلك فسار هو وبجكم الى الموصل ومعهما قاضى القضاة أبو الحسين عمر بن محمد فلما بلغوا تكريت أقام الراضى بها وسار بجكم فلقيه ناصر الدولة بالكحيل على ستة فراسخ من الموصل فاقتتلوا واشتد القتال فانهزم أصحاب ناصر الدولة وسار الى نصيبين وتبعهم بجكم ولم ينزل بالموصل فلما بلغ نصيبين سار ابن حمدان الى آمد وكتب بجكم الى الراضى بالفتح فسار من تكريت فى الماء يريد الموصل وكان مع الراضى جماعة من القرامطة فانصرفوا عنه الى بغداد قبل وصول كتاب بجكم وكان ابن رائق يكاتبهم فلما بلغوا بغداد ظهر ابن رائق من استتاره واستولى على بغداد ولم يعرض لدار الخليفة وبلغ الخبر الى الراضى فاصعد من الماء الى البر وسار الى الموصل وكتب الى بجكم بذلك وعاد عن نصيبين فلما بلغ خبر عوده الى ناصر الدولة سار من آمد الى نصيبين فاستولى عليها وعلى ديار ربيعة فقلق بجكم لذلك وتسلل أصحابه الى بغداد فاحتاج ان يحفظ أصحابه وقال قد حصل الخليفة وأمير الامراء على قصبة الموصل حسب وأنفذ ابن حمدان قبل ان يتصل به خبر ابن رائق يطلب الصلح ويعجل خمسمائة ألف درهم ففرح بجكم بذلك وأنهاه الى الراضى فاجاب اليه واستقر الصلح بينهم وانحدر الراضى وبجكم الى بغداد وكان قد راسلهم ابن رائق مع أبى جعفر محمد بن يحيى ابن شيرزاد يلتمس الصلح فسار اليهم الى الموصل وأدى الرسالة الى بجكم فأكرمه بجكم وأنزله معه وأحسن اليه وقدمه الى الراضى فابلغه الرسالة أيضا فاجابه الراضى وبجكم الى ما طلب وأرسل فى جواب رسالته قاضى القضاة أبا الحسين عمر بن محمد وقلد طريق الفرات وديار مضر حران والرها وما جاورها وجند قنسرين والعواصم فاجاب ابن رائق أيضا الى هذه القاعدة وسار عن بغداد الى ولايته ودخل الراضى وبجكم بغداد تاسع ربيع الآخر

﴿ذكر وزارة البريدى للخليفة﴾

فى هذه السنة مات الوزير أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بالرملة وقد ذكرنا سبب مسيره

الى

طبرستان وجرجان فى حرب كانت هنالك فركب البريد وقد أخذ له أخوه هرون البيعة وفى ذلك يقول بعض الشعراء

لما أتت خير بنى هاشم
خلافة الله بجرجان
شمر للحرب سرابيله
برأى لا غمر ولا وان

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

كان موسى قاسى القلب شرس الاخلاق صعب المرام كثير الادب محبا له وكان شديدا شجاعا جوادا سخيا (حدث) يوسف بن ابراهيم الكاتب وكان صاحب المهدى عن ابراهيم أنه كان واقفا بين يديه وهو على حمار له ببستانه المعروف ببغداد اذ قيل له قد ظفر برجل من الخوارج فأمر بادخاله فلما اقترب منه الخارجى أخذ سيفا من بعض الحرس فاقبل يريد موسى فتنحيت وكل من معى عنه وانه لواقف على حماره ما يتحلحل فلما ان قرب منه الخارجى صاح موسى اضربا عنقه وليس وراءه أحد فأوهمه فالتفت الخارجى لينظر وجمع موسى نفسه ثم ظهر عليه فصرعه فأخذ السيف من يده فضرب عنقه قال فكان خوفنا منه أكثر من الخارجى فوالله ما أنكر علينا تنحينا ولا عذلنا على ذلك ولم يركب حمارا بعد ذلك اليوم ولا فارقه سيفه وكان عيسى بن داب يجالسه وكان من أهل الحجاز

الى الشام فكانت وزارته سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوما ولما سار الى الشام استناب بالحضرة عبد الله بن علي النقري وكان بجكم قد قبض على وزيره علي بن خلف بن طباب فاستوزر أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد فسعى أبو جعفر في الصلح بين بجكم والبريدي فتم ذلك ثم ضمن البريدي أعمال واسط بستمائة ألف دينار كل سنة ثم شرع ابن شيرزاد أيضا بعد موت أبي الفتح الوزير بالرملة في تقليد أبي عبد الله البريدي الوزارة فارسل اليه الراضي في ذلك فاجاب اليه في رجب واستناب بالحضرة عبد الله بن علي النقري أيضا كما كان يخلف أبا الفتح

﴿ذكر مخالفة بالبا على الخليفة﴾

كان بجكم قد استناب بعض قواده الاتراك يعرف ببالبا على الانبار فكاتبه يطلب ان يقلد أعمال طريق الفرات باسرها ليكون في وجه ابن رائق وهو بالشام فقلده بجكم ذلك فسار الى الرحبة وكاتب ابن رائق وخالف على بجكم والراضي وأقام الدعوة لابن رائق وعظم أمره فبلغ الخبر الى بجكم فسير طائفة من عسكره وأمرهم بالجد وان يطووا المنازل ويسبقوا خبرهم ويكبسوا بالرحبة ففعلوا ذلك فوصلوا الى الرحبة في خمسة أيام ودخلوها على حين غفلة من بالبا وهو يأكل الطعام فلما بلغه الخبر اختفى عند انسان حائك ثم ظفروا به فاخذوه وأدخلوه بغداد على جمل ثم حبس وكان آخر العهد به

﴿ذكر ولاية أبي علي بن محتاج خراسان﴾

في هذه السنة استعمل الامير السعيد نصر بن أحمد على خراسان وجيوشها أبا علي أحمد بن أبي بكر محمد بن المظفر بن محتاج وعزل أباه واستقدمه الى بخارا وسبب ذلك ان أبا بكر مرض مرضا شديدا أطال به فانفذ السعيد أحضر ابنه أبا علي من الصغانيان واستعمله مكان أبيه وسيره الى نيسابور وكتب الى أبيه يستدعيه اليه فسار عن نيسابور فلقيه ولده على ثلاثة مراحل من نيسابور فعرفه مايحتاج الى معرفته وسار أبو بكر الى بخارا مريضا ودخل ولده أبو علي نيسابور أميرا في شهر رمضان من هذه السنة وكان أبو علي عاقلا شجاعا حازما فأقام بها ثلاثة أشهر يستعد للمسير الى جرجان وطبرستان وسنذكر ذلك سنة ثمان وعشرين وثلثمائة

﴿ذكر غلبة وشمكير على أصبهان وألموت﴾

وفيها أرسل وشمكير بن زيار أخو مرداويج جيشا كثيفا من الري الى أصبهان وبها أبو علي الحسن ابن بويه وهو ركن الدولة فأزالوه عنها واستولوا عليها وخطبوا فيها لوشمكير ثم سار ركن الدولة الى بلاد فارس فنزل بظاهر اصطخر وسار وشمكير الى قلعة ألموت فملكها وعاد عنها وسنذكر من أخبارهما سنة ثمان وعشرين ماتقف عليه

﴿ذكر الفتنة بالاندلس﴾

وفي هذه السنة عصى أمية بن اسحق بمدينة شنترين على عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس وسبب ذلك انه كان له أخ اسمه أحمد وكان وزيرا لعبد الرحمن فقتله عبد الرحمن وكان أمية بشنترين فلما بلغه ذلك عصى فيها والتجأ الى ردمير ملك الجلالقة ودله على عورات المسلمين ثم خرج أمية في بعض الايام يتصيد فمنعه أصحابه من دخول البلد فسار الى ردمير فاستوزره وغزا عبد الرحمن بلاد الجلالقة فالتقى هو وردمير هذه السنة فانهزمت الجلالقة وقتل منهم خلق كثير وحصرهم عبد الرحمن ثم ان الجلالقة خرجوا عليه وظفروا به وبالمسلمين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأراد اتباعهم فمنعه أمية وخوفه المسلمين ورغبه في الخزائن والغنيمة وعاد عبد الرحمن بعد هذه

وكان أكثر أهل عصره أدبا وعلما ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم وكان الهادي يدعو له متكئا ولم يكن غيره يطمع منه في ذلك وكان يقول له ياعيسى ما استطلت بك يوما ولا ليلة ولا غبت عني الا ظننت اني لا أرى غيرك (وذكر) عيسى بن داب أنه رفع الى الهادي ان رجلا من بلاد المنصورة من بلاد السند من أشرافهم وأهل الرياسة فيهم من آل المهلب بن أبي صفرة ربى غلاما سنديا أو هنديا وان الغلام هوي مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه فوجدها معه فجب ذكر الغلام وخصاه ثم عالجه الى ان برئ فاقام مدة وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع فغاب الرجل عن منزله وقد أخذ السندي الصبيين فصعد بهما الى أعالي سور الدار الى ان دخل مولاه فاذا هو بابنيه مع الغلام على السور فقال يافلان عرضت ابني للهلاك فقال دع ذا عنك والله لو لم تجب نفسك بحضرتي لارمين بهما فقال له الله الله في وفي ابني قال دع عنك هذا فوالله ماهي الا نفسي واني لاسمح بها من شربة ماء واهوى ليرمي بهما فاسرع مولاه فأخذ مدية فجب نفسه فلما رأى الغلام انه قد فعل رمى بالصبيين فتقطعا وقال ذلك الذي فعلت لفعلك بي وقتل هذين زيادة فأمر الهادي بقتل الغلام وتعذيبه بأفظع ما يمكن من العذاب

الروقمة جهز الجيوش الى بلاد الجلالقة وأحرا علهم بالغارات وقتلوا منهم أضعاف ما قتلوا من المسلمين ثم ان أمية استأمن الى عبد الرحمن فأكرمه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة انكسف القمر جميعه فى صفر وفيها مات عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى صاحب الجرح والتعديل وعثمان بن الخطاب بن عبد الله أبو الدنيا المعروف بالاشج الذى يقال انه لقى على ابن أبى طالب عليه السلام وقيل انهم كانوا يسمونه ويكنونه أبا الحسن آخر أيامه وله صحيفة تروى عنه ولا تصح وقد رواها كثير من المحدثين مع علم منهم بضعفها وفيها توفى محمد بن جعفر بن محمد بن سهل أبو بكر الخرائطى صاحب التصانيف المشهورة كاعتلال القلوب وغيره بمدينة يافا

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر استيلاء أبى على على جرجان ﴾

فى هذه السنة فى المحرم سار أبو على بن محتاج فى جيش خراسان من نيسابور الى جرجان وكان بجرجان ما كان بن كالى قد خلع طاعة الامير نصر بن أحمد فوجدهم أبو على قد غوروا المياه وعدل عن الطريق الى غيره فلم يشعروا به حتى نزل على فرسخ من جرجان فحصر ما كان بها وضيق عليه وقطع الميرة عن البلد فاستأمن اليه كثير من أصحاب ما كان وضاق حال من بقى بجرجان حتى صار الرجل يقتصر كل يوم على حفنة سمسم أو كيلة من كسب أو باقة بقل واستمد ما كان من وشمكير وهو بالرى فامده بقائد من قواده يقال له شيرج بن النعمان فلما وصل الى جرجان ورأى الحال شرع فى الصلح بين أبى على وبين ما كان بن كالى ليجعل له طريقا ينجو فيه ففعل أبو على ذلك وهرب ما كان الى طبرستان واستولى أبو على على جرجان فى أواخر سنة ثمان وعشرين واستخلف عليها ابراهيم بن سيمجور الدواتى بعد ان أصلح حالها وأقام بها الى المحرم سنة تسع وعشرين وثلثمائة فسار الى الرى على ما نذكره

﴿ ذكر مسير ركن الدولة الى واسط ﴾

فى هذه السنة سار ركن الدولة أبو على الحسن بن بويه الى واسط وكان سبب ذلك ان أبا عبد الله البريدى أنفذ جيشا الى السوس وقتل قائدا من الديلم فتحصن أبو جعفر الصيمرى بقلعة السوس وكان على خراجها وكان معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه بالاهواز فخاف ان يسير اليه البريدى من البصرة فكتب الى أخيه ركن الدولة وهو بباب اصطخر قد عاد من أصبهان على ما ذكرناه فلما أتاه كتاب أخيه سار اليه مجدا يطوى المنازل حتى وصل الى السوس ثم سار الى واسط ليستولى عليها اذ كان قد خرج عن أصبهان وليس له ملك يستقل به فنزل بالجانب الشرقى وكان البريديون بالجانب الغربى فاضطرب رجال ابن بويه فاستأمن منهم مائة رجل الى البريدى ثم سار الراضى وبجكم من بغداد نحو واسط لحربه فخاف ان يكثر الجمع عليه ويستأمن رجاله فيهلك لانه كان له سنة لم ينفق فيهم مالا فعاد من واسط الى الاهواز ثم الى رامهرمز

﴿ ذكر ملك ركن الدولة أصبهان ﴾

وفيها عاد ركن الدولة استولى على أصبهان سار من رامهرمز فاستولى عليها وأخرج عنها أصحاب وشمكير وقتل منهم واستأسر بضعة عشر قائدا وكان سبب ذلك ان وشمكير كان قد أنفذ عسكره الى ما كان نجدة له على ما ذكرناه فخلت بلاد وشمكير من العساكر وسار ركن الدولة الى أصبهان وبها نفر يسير من العساكر فهزمهم واستولى عليها وكاتب هو وأخوه عماد الدولة أبا على بن

محتاج

قد استوزر الربيع وضم اليه ما كان لعمر بن بزيع من الزمام ثم ولى عمر بن بزيع الوزارة وديوان الرسائل وأقر الربيع بالزمام فمات الربيع فى هذه السنة وقيل ان الهادى سقاه شربة لاجل جارية كان قد وهبها له المهدى كانت قبل ذلك للربيع وقيل غير ذلك وظهر فى أيامه الحسين بن على بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وهو المقتول بفخ وذلك على ستة أميال من مكة يوم التروية وكان على الجيش الذى حاربه جماعة من بنى هاشم منهم سليمان ابن أبى جعفر ومحمد بن سليمان بن على وموسى بن على والعباس بن محمد بن على فى أربعة آلاف فارس فقتل الحسين وأكثر من كان معه وأقاموا ثلاثة أيام لم يواروا حتى أكلتهم السباع والطير وكان معه سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على فاسر فى هذا اليوم وضربت رقبته بمكة صبرا وقتل معه عبد الله بن اسحق بن ابراهيم ابن الحسن بن الحسن بن على واسر الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على وضرب عنقه صبرا وأخذ لعبد الله بن الحسن بن على وللحسين بن على الامان

محتاج بحرضانه على ما كان وشمكير و يعدانه المساعدة عليهما فصار بينهم بذلك مودّة

﴿ ذكر مسير بجكم نحو بلاد الجبل وعوده ﴾

فى هذه السنة سار بجكم من بغداد نحو بلاد الجبل ثم عاد عنها وكان سبب ذلك انه صالح هذه السنة أباعبدالله البريدى وصاهره وتزوّج ابنته فارسل اليه البريدى يشير عليه بان يسير الى بلاد الجبل لفتحها والاستيلاء عليها و يعرفه انه اذا سار الى الجبل سارهو الى الاهواز واستنقذها من يد ابن بويه فاتفقا على ذلك وأنفذ اليه بجكم خمسمائة رجل من أصحابه معونة له وأنفذ اليه صاحبه أبا زكريا السوسى يحثه على الحركة و يكون عنده الى أن يرحل عن واسط الى الاهواز وسار بجكم الى حلوان وصار أبوزكريا السوسى يحث ابن البريدى على المسير الى السوس والاهواز وهو يدافع الاوقات وكان عازما على قصد بغداد اذا أبعد عنها بجكم ليستولى عليها وهو يقدم رجلا ويؤخر أخرى و ينتظر به الدوائر من هزيمة أو قتل وأقام أبوزكريا عنده نحو شهر يحثه على المسير وهو يغالطه فعلم أبوزكريا مقصوده فكتب الى بجكم بذلك فلحقه الخبر وهو سائر فركب الجمازات وعاد الى بغداد وخلف عسكره وراءه و وصل الخبر الى البريدى بدخول بجكم الى بغداد فسقط فى يده ثم أتته الاخبار بان بجكم قد سار نحوه

﴿ ذكر استيلاء بجكم على واسط ﴾

لما عاد بجكم الى بغداد تجهز للانحدار الى واسط وحفظ الطرق لئلا يصل خبره الى البريدى فيتحرز وانحدر هو فى الماء فى العشرين من ذى القعدة وسير عسكره فى البر واسقط اسم البريدى من الوزارة وجعل مكانه اباالقاسم سليمان بن الحسن بن مخلد وكانت وزارة البريدى سنة واحدة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوما وقبض على ابن شيرزاد لانه هو كان سبب وصلته بالبريدى وأخذ منه مائة وخمسين ألف دينار فمن عجيب الاتفاق ان بجكم كان له كاتب على أمر داره وحاشيته وهو معه فى السفينة عند انحداره الى واسط فجاء طائر فسقط على صدر السفينة فأخذوا وأحضر عند بجكم فوجد على ذنبه كتابا ففتحه فاذا هو من هذا الكاتب الى أخ له مع البريدى يخبره بخبر بجكم وما هو عازم عليه فالقى الكتاب اليه فاعترف به اذ لم يمكنه جحده لانه بخطه فامر بقتله فقتل وألقاه فى الماء ولما بلغ خبر بجكم الى البريدى سار عن واسط الى البصرة ولم يقم بها فلما وصل اليها بجكم لم يجد بها أحدا فاستولى عليها وكان بجكم قد خلف عسكرا ببلد الجبل فقصدهم الديلم والجبل فانهزموا وعادوا الى بغداد

﴿ ذكر استيلاء ابن رائق على الشام ﴾

فى هذه السنة استولى ابن رائق على الشام وقد ذكرنا مسيره فيما تقدم فلما دخل الشام قصد مدينة حمص فملكها ثم سار منها الى دمشق وبها بدر بن عبدالله الاخشيدى المعروف ببدير واليا عليها للاخشيد فاخرجه ابن رائق منها وملكها وسار منها الى الرملة فملكها وسار الى عريش مصر يريد الديار المصرية فلقيه الاخشيد محمد بن طغج وحاربه فانهزم الاخشيد فاشتغل أصحاب ابن رائق بالنهب ونزلوا فى خيم أصحاب الاخشيد فخرج عليهم كمين للاخشيد فاوقع بهم وهزمهم وفرقهم ونجا ابن رائق فى سبعين رجلا و وصل الى دمشق على أقبح صورة فسير اليه الاخشيد أخاه أبا نصر بن طغج فى جيش كثيف فلما سمع بهم ابن رائق سار اليهم من دمشق فالتقوا باللجون رابع ذى الحجة فانهزم عسكر أبى نصر وقتل هو فأخذه ابن رائق وكفنه وحمله الى أخيه الاخشيد وهو بمصر وأنفذ معه ابنه مزاحم بن محمد بن رائق وكتب الى الاخشيد كتابا يعزيه عن أخيه

فحبسا عند جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وقتلا بعد ذلك فسخط الهادى على موسى بن عيسى لقتل الحسين ابن على بن الحسن بن الحسن وترك المصير به اليه ليحكم فيه بما يرى وقبض أموال موسى واظهر الذين أتوا بالرأس الاستبشار فبكى الهادى وزجرهم وقال اتيتمونى مستبشرين كانكم اتيتمونى برأس رجل من الترك أو الديلم انه رأس رجل من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان أقل جزائكم عندى لا أثيبكم شيأ وفى الحسين ابن على صاحب فخ يقول بعض شعراء ذلك العصر من أبيات

فلأبكين على الحسين بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذى أثووه ليس له كفن
تركوا بفخ غدوة فى غير منزلة الوطن
كانوا كراما قتلوا لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة عنهم غسل الثياب من الدرن
هدى العباد بجدهم فلهم على الناس المنن

وكان الهادى كثير الطاعة لامه الخيزران مجيبا لها فيما تسأل من الحوائج للناس فكانت المواكب لا تخلو من بابها ففى ذلك يقول أبو المعافى
ياخيزران هناك ثم هناك ان العباد يسوسهم ابناك فكلمته ذات يوم فى أمر فلم يجد الى اجابتها فيه سبيلا فاعتل عليها بعلة فقالت لا بدمن اجابتى قال لا أفعل

ويعتذر مما جرى ويحلف انه ما أراد قتله وانه قد أنفذ ابنه ليفديه به ان أحب ذلك فتلقى الاخشيد من احمابالجميل وخلع عليه ورده الى أبيه واصطلحا على أن يكون الرملة وما وراءها الى مصر للاخشيد وباقى الشام لمحمد بن رائق ويحمل اليه الاخشيد عن الرملة كل سنة مائة ألف وأربعين ألف دينار

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قتل طريف السبكرى وفيها عزل بجكم وزيره أبا جعفر بن شيرزاد لما ذكرناه وصادره على مائة وخمسين ألف دينار واستوزر بعده أبا عبد الله الكوفى وفيها توفى محمد بن يعقوب وقيل محمد بن على أبو جعفر الكلينى وهو من أئمة الامامية وعلمائهم الكلينى بالياء المعجمة باثنتين من تحت ثم بالنون وهو ممال وفيها توفى أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب المقرى البغدادى المعروف بابن شنبوذ فى صفر وفيها توفى أبو محمد جعفر المرتعش وهو من أعيان مشايخ الصوفية وهو نيسابورى سكن بغداد وقاضى القضاة عمر بن أبى عمر محمد بن يوسف وكان قد ولى القضاء بعد أبيه وفيها توفى أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن محمد بن بشار المعروف بابن الانبارى وهو مصنف كتاب الوقف والابتداء وفيها فى حادى عشر شوال مات الوزير أبو على بن مقلة فى الحبس وفيه لليلتين بقيتا من شوال توفى الوزير أبو العباس الخصيبى بسكتة لحقته بينه وبين ابن مقلة سبعة عشر يوما وفيها مات أبو عبد الله القمى وزير ركن الدولة بن بويه فاستوزر بعده أبا الفضل بن العميد فتمكن منه فنال ما لم ينله أحد من وزراء بنى بويه وسيرد من أخباره ما يعلم به محله

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلثمائة)

(ذكر موت الراضى بالله)

فى هذه السنة مات الراضى بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر منتصف ربيع الاول وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة وشهورا وكانت علته الاستسقاء وكان أديبا شاعرا فمن شعره

يصفر وجهى اذا تأمله * طرفى ويحمر وجهه خجلا
حتى كأن الذى بوجنته * من دم جسمى اليه قد نقلا

وله أيضا يرثى أباه المقتدر

ولو ان حيا كان قبرا لميت * لصيرت احشائى لاعظمه قبرا
ولو أن عمرى كان طوع مشيئتى * وساعدنى التقدير قاسمته العمرا
بنفسى ثرى ضاجعت فى تربة البلا * لقد ضم منك الغيث والليث والبدرا

ومن شعره أيضا

كل صفو الى كدر * كل أمن الى حذر ومصير الشباب للـ * ـموت فيه أو الكبر
در در المشيب من * واعظ ينذر البشر أيها الآمل الذى * تاه فى لجة الغرر
أين من كان قبلنا * درس العين والاثر سيرد المعاد من * عمره كله خطر
رب انى ذخرت عنـ * ـدك أرجوك مدخر انى مؤمن بما * بين الوحى فى السور
واعترافى بترك نفـ * ـعى وايثارى الضرر رب فاغفر لى الخطيـ * ـئة ياخير من غفر

وكان الراضى أيضا سمحا سخيا يحب محادثة الادباء والفضلاء والجلوس معهم ولما مات أحضر

بجكم

صاحبها الا قضيتها لك قالت اذا والله لا أسألك حاجة أبدا قال اذا والله لا أبالى وقامت مغضبة فقال مكانك فاستوعبى كلامى والله والانفيت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغنى انه وقف ببابك أحد من قوادى أو من خاصتى أو من خدمى لاضربن عنقه ولاقبضن ماله فمن شاء فليلزم ذلك ماهذه المواكب التى تغدو الى بابك كل يوم أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك اياك ثم اياك ان فتحتى فاك فى حاجة لمسلم ولا ذمى فانصرفت وما تعقل ما تطأ فلم تنطق بحلو ولا مر بعدها (وذكر ابن دأب) قال دعانى الهادى فى وقت من الليل لم تجر العادة انه يدعونى فى مثله فدخلت اليه فاذا هو جالس فى بيت صغير شتوى وقدامه جزء صغير ينظر فيه فقال لى ياعيسى قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال انى أرقت فى هذه الليلة وتداعت الى الخواطر واشتملت على الهموم وهاج لى ما جرت اليه بنو أمية من بنى حرب وبنى مروان فى سفك دمائنا فقلت يا أمير المؤمنين هذا عبد الله بن على قد قتل منهم على نهر أبى فطرس فلانا وفلانا حتى أتيت على تسمية من قتل

بجكم ندماءه وجلساءه وطمع ان ينتفع بهم فلم يفهم منهم ما ينتفع به وكان فيهم سنان بن ثابت الصابي الطبيب فاحضره وشكا اليه غلبة القوة الغضبية عليه وهو كاره لها فما زال معه في تقبيح ذلك عنده وتحسين ضده من الحلم والعفو والعدل وتوصل معه حتى زال أكثر ما كان يجده وكف عن القتل والعقوبات وكان الراضي أسمر اعين خفيف العارضين وأمه أم ولد اسمها ظلوم وختم الخلفاء في أمور عدة فمنها انه آخر خليفة له شعر يدون وآخر خليفة خطب كثيرا على منبر وان كان غيره قد خطب نادرا لا اعتبار به وكان آخر خليفة جالس الجلساء ووصل اليه الندماء وآخر خليفة كانت له نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجابه وأموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين

﴿ذكر خلافة المتقي لله﴾

لما مات الراضي بالله بقي الامر في الخلافة موقوفا انتظار القدوم أبي عبد الله الكوفي كاتب بجكم من واسط وكان بجكم بها واحتيط على دار الخلافة فورد كتاب بجكم مع الكوفي يأمر فيه بان يجتمع مع أبي القاسم سليمان بن الحسن وزير الراضي كل من تقلد الوزارة وأصحاب الدواوين والعلويون والقضاة والعباسيون ووجوه البلد ويشاورهم الكوفي فيمن ينصب للخلافة ممن يرتضي مذهبه وطريقته فجمعهم الكوفي واستشارهم فذكر بعضهم ابراهيم بن المقتدر وتفرقوا على هذا فلما كان الغد اتفق الناس عليه فاحضر في دار الخلافة وبويع له في العشرين من ربيع الاوّل وعرضت عليه ألقاب فاختار المتقي لله وبايعه الناس كافة وسير الخلع واللواء الى بجكم بواسط وكان بجكم بعد موت الراضي وقبل استخلاف المتقي قد أرسل الى دار الخلافة أخذ فرشا وآلات كان يستحسنها وجعل سلامة الطولوني حاجبه وأقر سليمان على وزارته وليس له من الوزارة الا اسمها وانما التدبير كله الى الكوفي كاتب بجكم

﴿ذكر قتل ما كان بن كالي واستيلاء أبي علي بن محتاج على الري﴾

قد ذكرنا مسير أبي علي بن محمد بن المظفر بن محتاج الى جرجان واخراج ما كان عنها فلما سار عنها ما كان قصد طبرستان وأقام بها وأقام أبو علي بجرجان يصلح أمرها ثم استخلف عليها ابراهيم بن سيمجور الدواتي وسار نحو الري في المحرم من هذه السنة فوصلها في ربيع الاوّل وبها وشمكير ابن زيار أخو مرداويج وكان عماد الدولة وركن الدولة ابنا بويه يكاتبان أبا علي ويحثانه على قصد وشمكير ويعدانه المساعدة وكان قصدهما ان تؤخذ الري من وشمكير فاذا أخذها أبو علي لا يمكنه المقام بها لسعة ولايته بخراسان فيغلبان عليها وبلغ أمر اتفاقهم الى وشمكير وكاتب ما كان بن كالي يستخدمه ويعرفه الحال فسار ما كان بن كالي من طبرستان الى الري وسار أبو علي وأتاه عسكر ركن الدولة بن بويه فاجتمعوا معه باسحاقاباذ والتقواهم ووشمكير ووقف ما كان بن كالي في القلب وباشر الحرب بنفسه وعبى أبو علي أصحابه كراديس وأمر من بازاء القلب ان يلحوا عليهم في القتال ثم يتطاردوا لهم ويستجروهم ثم وصى من بازاء الميمنة والميسرة ان يناوشوهم مناوشة بمقدار ما يشغلونهم عن مساعدة من في القلب ولا يناجزوهم ففعلوا ذلك وألح اصحابه على قلب وشمكير بالحرب ثم تطاردوا لهم فطمع فيهم ما كان ومن معه فتبعوهم وفارقوا مواقفهم فحينئذ أمر أبو علي الكراديس التي بازاء الميمنة والميسرة ان يتقدم بعضهم ويأتي من في قلب وشمكير من ورائهم ففعلوا ذلك فلما رأى أبو علي أصحابه قد أقبلوا من وراء ما كان ومن معه من أصحابه أمر

منهم وهذا عبد الصمد بن علي قد قتل منهم بالحجاز في وقت واحد نحو ما قتل عبد الله بن علي وهو القائل

لسفك دمائهم
واقد شفى نفسي وابرأ سقمها
أخذي بثاري من بني
مروان
ومن آل حرب ليت شيخي
شاهد
سفكي دماء بني أبي سفيان
قال ابن دأب فسر والله
الهادي وظهرت منه
أريحية فقال يا عيسى داود
ابن علي هو القائل ماذكرت
بالحجاز ولقد ذكرتهما
حتى كاني ما سمعتهما اقلت
يا أمير المؤمنين وقد قيل
انهما لعبد الله بن علي قالهما
على نهر أبي فطرس قال قد
قيل ذلك قال ابن دأب ثم
تغلغل بنا الكلام والحديث
الى أخبار مصر وعيوبها
وفضائلها وأخبار نيلها
فقال لي الهادي فضائلها
أكثر قلت يا أمير المؤمنين
هذه دعوى المصريين لها
بغير برهان أوردوه والبينة
على الدعوى وأهل
العراق يأبون هذه الدعوى
ويذكرون ان عيوبها
أكثر من فضائلها قال مثل
ماذا قلت يا أمير المؤمنين
من عيوبها انها لا تمطر واذا
مطرت كرهوا وابتهلوا الى
الله بالدعاء قال الله عز وجل
وهو الذي يرسل الرياح
نشرا بين يدي رحمته فهذه
رحمة محالة لهذا الخلق

وهم لها كارهون وهي لهم ضارة غير موافقة لا يزكو عليها زرعهم ولا تخصب عليها أرضهم ومن عيوبها الريح التي

المطاردين بالعود والحملة على ما كان وأصحابه وكانت نفوسهم قد قويت بأصحابهم فرجعوا وحملوا على أولئك وأخذهم السيف من بين أيديهم ومن خلفهم فولوا منهزمين فلما رأى ما كان ذلك ترجل وأبلى بلاء حسنا وظهرت منه شجاعة لم ير الناس مثلها فأتاه سهم غرب فوقع في جبينه فنفذ في الخودة والرأس حتى طلع من قفاه وسقط ميتا وهرب وشمكير ومن سلم معه الى طبرستان فأقام بها واستولى أبو علي على الري وأنفذ رأس ما كان الى بخارا والسهم فيه ولم يحمل الى بغداد حتى قتل بجكم لان بجكم كان من أصحابه وجلس للعزاء لما قتل فلما قتل بجكم حمل الرأس من بخارا الى بغداد والسهم فيه وفي الخودة وأنفذ أبو علي الاسرى الى بخارا أيضا وكانوا بها حتى دخل وشمكير في طاعة آل سامان وسار الى خراسان فاستوهبهم وأطلقوا له على ما نذكره سنة اثنين

(ذكر قتل بجكم)

وفي هذه السنة قتل بجكم وكان سبب قتله ان أبا عبد الله البريدي أنفذ جيشا من البصرة الى مذار فأنفذ بجكم جيشا اليهم عليهم توزون فاقتتلوا قتالا شديدا كانت أولا على توزون وكتب الى بجكم يطلب ان يلحق به فسار بجكم اليهم من واسط منتصف رجب فلقيه كتاب توزون بأنه ظفر بهم وهزمهم فأراد الرجوع الى واسط فأشار عليه بعض أصحابه بأن يتصيد فقبل منه وتصيد حتى بلغ نهر جور فسمع ان هنالك أكرادا لهم مال وثروة فشرهت نفسه الى أخذه فقصدهم في قلة من أصحابه بغير جنة تقيه فهرب الاكراد من بين يديه ورمى هو أحدهم فلم يصبه فرمى آخر فأخطأه أيضا وكان لا يخطئ سهمه فأتاه غلام من الاكراد من خلفه وطعنه في خاصرته وهو لا يعرفه فقتله وذلك لاربع بقين من رجب واختلف عسكره فمضى الديلم خاصة نحو البريدي وكانوا ألفا وخمسمائة فأحسن اليهم وأضعف أرزاقهم وأوصلها اليهم دفعة واحدة وكان البريدي قد عزم على الهرب من البصرة هو وأخوته وكان بجكم قد راسل أهل البصرة وطيب قلوبهم فمالوا اليه فأتى البريديين الفرج من حيث لم يحتسبوا وعاد الاتراك بجكم الى واسط وكان تكينك محبوسا بها حبسه بجكم فأخرجوه من محبسه فسار بهم الى بغداد وأظهر طاعة المتقي لله وصار أبو الحسين أحمد بن ميمون يدبر الامور واستولى المتقي على دار بجكم وأخذ ماله منها وكان قد دفن فيها مالا كثيرا وكذلك أيضا في الصحراء لانه خاف ان ينكب فلا يصل الى ماله في داره وكان مبلغ ما أخذ من ماله ودفائنه ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار وكانت مدة امارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام

(ذكر اصعاد البريديين الى بغداد)

لما قتل بجكم اجتمعت الديلم على بلسواز بن مالك بن مسافر فقتله الاتراك فانحدر الديلم الى أبي عبد الله البريدي وكانوا منتخبين ليس فيهم حشو فقوي بهم وعظمت شوكته فأصعدوا من البصرة الى واسط في شعبان وأرسل المتقي لله اليهم يأمرهم ان لا يصعدوا فقالوا نحن محتاجون الى مال فان أنفذ لنا منه شيء لم نصعد فأنفذ اليهم مائة ألف وخمسين ألف دينار فقال الاتراك للمتقي نحن نقاتل بني البريدي فأطلق لنا مالا وانصب لنا مقدما فأنفق فيهم مالا وفي أجناد بغداد القدماء أربعمائة ألف دينار من المال الذي أخذ لبجكم وجعل عليهم سلامة الطولوني وبرزوا مع المتقي لله الى نهر ديالى يوم الجمعة لثمان بقين من شعبان وسار البريدي من واسط الى بغداد ولم يقف على ما استقر معه فلما قرب من بغداد اختلف الاتراك البجكمية واستأمن بعضهم الى البريدي وبعضهم سار الى الموصل واستتر سلامة الطولوني وأبو عبد الله الكوفي ولم يحصل الخليفة الا على اخراج المال وهم أرباب النعم والاموال بالانتقال من بغداد خوفا من البريدي

يسمونها المريسية وذلك أن أهل مصر يسمون أعالي الصعيد الى بلاد النوبة مريس فاذا هبت الريح المريسية وهي الجنوبية ثلاثة عشر يوما اشترى أهل مصر الاكفان والحنوط وأيقنوا بالوباء القاتل والبلاء الشامل ثم من عيوبها اختلاف هوائها لانهم في يوم واحد يغيرون ملابسهم مرارا كثيرة فيلبسون القميص مرة والمبطنات أخرى والحشو مرة وذلك لاختلاف جواهر الساعات بها ولتباين مهاب الهواء فيها في سائر فصول السنة من الليل والنهار وهي تمير ولا تمتار فاذا أجدبوا أهلكوا وأما نيلها فكذلك الذي هو عليه من الخلاف لجميع الانهار من الصغار والكبار وليس بالفرات ولا الدجلة ولا نهر بلخ ولا سيحان ولا جيحان شيء من التماسيح وهي في نيل مصر ضارة بلا منفعة ومفسدة غير مصلحة وفي ذلك يقول الشاعر

اظهرت للنيل هجرانا ومقلية ... اذ قيل لي انما التمساح في النيل
فمن رأى النيل رأي العين من كثب ... فما أرى النيل الا في البواقيل

قال ويحك ما البواقيل التي ترى النيل فيها قلت القلال والكيزان يسمونها بهذا الاسم قال وما مراد الشاعر فيما وصف قال لانه

وظلمه

وظلمه وتهوره ودخل أبو عبد الله البريدى بغداد ثانى عشر رمضان ونزل بالشفيعى ولقيه الوزير أبو الحسين والقضاة والكتاب وأعيان الناس وكان معه من أنواع السفن مالا يحصى كثرة فانفذ اليه المتقى يهنئه بسلامته وأنفذ اليه طعاما وغيره عدة ليال وكان يخاطب بالوزير وكذلك أبو الحسين بن ميمون وزير الخليفة أيضا ثم عزل أبو الحسين وكانت مدة وزارة أبى الحسين ثلاثة وثلاثين يوما ثم قبض أبو عبد الله البريدى على أبى الحسين وسيره الى البصرة وحبسه بها الى ان مات فى صفر سنة ثلاثين وثلثمائة من حمى حادة ثم أنفذ البريدى الى المتقى يطلب خمسمائة ألف دينار ليفرقها فى الجند فامتنع عليه فأرسل اليه يتهدده ويذكره ماجرى على المعتز والمستعين والمهتدى وترددت الرسل فانفذ اليه تمام خمسمائة ألف دينار ولم يلق البريدى المتقى لله مدة مقامه ببغداد

﴿ذكر عود البريدى الى واسط﴾

كان البريدى يأمر الجند بطلب الاموال من الخليفة فلما أخذ الخليفة اليه المال المذكور انصرفت اطماع الجند عن الخليفة الى البريدى وعادت مكيدته عليه فشغب الجند عليه وكان الديلم قد قدموا على أنفسهم كورتكين الديلمى وقدم الاتراك على أنفسهم تكينك التركى غلام بجكم وثار الديلم الى دار البريدى فاحرقوا دار أخيه أبى الحسين التى كان ينزلها ونفروا عن البريدى وانضاف تكينك اليهم وصارت أيديهم واحدة واتفقوا على قصد البريدى ونهب ما عنده من الاموال فساروا الى النجمى ووافقهم العامة فقطع البريدى الجسر ووقعت الحرب فى الماء ووثب العامة بالجانب الغربى على أصحاب البريدى فهرب هو وأخوه وابنه أبو القاسم وأصحابه وانحدروا فى الماء الى واسط ونهبت داره فى النجمى ودور قواده وكان هربه سلخ رمضان وكان مدة مقامه أربعة وعشرين يوما

﴿ذكر امارة كورتكين الديلمى﴾

لما هرب البريدى استولى كورتكين على الامور ببغداد ودخل الى المتقى لله فقلده امارة الامراء وخلع عليه واستدعى المتقى على بن عيسى وأخاه عبد الرحمن بن عيسى وأمر عبد الرحمن ودبر الامر من غير تسمية بوزارة ثم ان كورتكين قبض على تكينك التركى خامس شوّال وغرقه وتفرد بالامر ثم ان العامة اجتمعوا يوم الجمعة سادس شوّال وتظلموا من الديلم ونزولهم فى دورهم ولم ينكر ذلك فمنعت العامة الخطيب من الصلاة واقتتلوا هم والديلم فقتل من الفريقين جماعة

﴿ذكر عود ابن رائق الى بغداد﴾

فى هذه السنة عاد أبو بكر محمد بن رائق من الشام الى بغداد وصار أمير الامراء وكان سبب ذلك ان الاتراك البجكمية لما ساروا الى الموصل لم يروا عند ابن حمدان ما يريدون فساروا نحو الشام الى ابن رائق وكان فيهم من القواد توزون وخجخج ونوشتكين وصيغون فلما وصلوا اليه أطمعوه فى العود الى العراق ثم وصلت اليه كتب المتقى يستدعيه فسار من دمشق فى العشرين من رمضان واستخلف على الشام أبا الحسن أحمد بن على بن مقاتل فلما وصل الى الموصل تنحى عن طريقه ناصر الدولة بن حمدان فتراسلا واتفقا على ان يحمل اليه ابن حمدان مائة ألف دينار وسار ابن رائق الى بغداد فقبض كورتكين على القراريطى الوزير واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى فى ذى القعدة وكانت وزارة القراريطى ثلاثة وأربعين يوما وبلغ خبر ابن رائق الى أبى عبد الله البريدى فسير اخوته الى واسط فدخلوها وأخرجوا الديلم عنها وخطبوا له بواسط وخرج

ان هذا النهر قد منع هذا النوع من الحيوان مصالح الناس منه ولقد كنت متشوقا الى النظر اليها فلقد زهدتنى بوصفك لها قال ابن دأب ثم سألنى الهادى عن مدينة دنقله وهى دار مملكة النوبة كم المسافة بينها وبين اسوان قلت قد قيل أربعون يوما على شاطئ النيل عمائر متصلة قال ابن دأب ثم قال الهادى ايها يا ابن دأب دع عنك ذكر المغرب واخباره وهلم بنا الى ذكر فضائل البصرة والكوفة ومازادت به كل واحدة منهما على الاخرى قال قلت ذكر عن عبد الملك بن عمير أنه قال قدم علينا الاحنف بن قيس الكوفة مع مصعب بن الزبير فما رأيت شيخا قبيحا الا ورأيت فى وجه الاحنف منه شبها كان صعل الرأس أجحى العين أغصف الاذن باخق العين ناتئ الوجه مائل الشدق متراكب الاسنان خفيف العارضين احنف الرجل ولكنه كان اذا تكلم جلى عن نفسه فجعل يفاخرنا ذات يوم بالبصرة ونفاخره بالكوفة فقلنا الكوفة أغذى وأمرأ وأفسح وأطيب فقال له رجل والله ما أشبه الكوفة الا بشابة صبيحة الوجه كريمة الحسب ولا مال لها فاذا ذكرت

كورتكين عن بغداد الى عكبرا ووصل اليه ابن رائق فوقعت الحرب بينهم واتصلت عدة أيام فلما كان ليلة الخميس لتسع بقين من ذى الحجة سار ابن رائق ليلا من عكبرا هو وجيشه فاصبح ببغداد فدخلها من الجانب الغربى هو وجميع جيشه ونزل فى النجمى وعبر من الغد الى الخليفة فلقيه وركب المتقى لله معه فى الدجلة ثم عاد ووصل هذا اليوم بعد الظهر كورتكين مع جميع جيشه من الجانب الشرقى وكانوا يستهزؤن باصحاب ابن رائق ويقولون اين نزلت هذه القافلة الواصلة من الشام ونزلوا بالجانب الشرقى ولما دخل كورتكين بغداد أيس ابن رائق من ولايتها فامر بحمل اثقاله والعود الى الشام فرفع الناس أثقالهم ثم انه عزم ان يناوشهم شيأ من قتال قبل مسيره فأمر طائفة من عسكره ان يعبروا دجلة ويأتوا الاتراك من ورائهم ثم انه ركب فى سميرية وركب معه عدة من أصحابه فى عشرين سميرية ووقفوا يرمون الاتراك بالنشاب ووصل أصحابه وصاحوا من خلفهم واجتمعت العامة مع أصحاب ابن رائق يضجون فظن كورتكين ان العسكر قد جاءه من خلفه ومن بين يديه فانهزم هو وأصحابه واختفى هو ورجمهم العامة بالآجر وغيره وقوى أمر ابن رائق وأخذ من استأمن اليه من الديلم فقتلهم عن آخرهم وكانوا نحوا أربعمائة فلم يسلم منهم غير رجل واحد اختفى بين القتلى وحمل معهم فى الجواليق وألقى فى دجلة فسلم وعاش بعد ذلك دهرا وقتل الاسرى من قواد الديلم وكانوا بضعة عشر رجلا وخلع المتقى على ابن رائق وجعله أمير الامراء وأمر أبا جعفر الكرخى بلزوم بيته وكانت وزارته ثلاثة وثلاثين يوما واستولى أحمد الكوفى على الامر فدبره ثم ظفر ابن رائق بكورتكين فحبس بدار الخليفة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة كان بالعراق غلاء شديد فاستسقى الناس فى ربيع الاوّل فسقوا مطرا قليلا لم يجر منه ميزاب ثم اشتد الغلاء والوباء وكثر الموت حتى كان يدفن الجماعة فى القبر الواحد ولا يغسلون ولا يصلى عليهم ورخص العقار ببغداد والاثاث حتى بيع ما ثمنه دينار بدرهم وانقضى تشرين الاوّل وتشرين الثانى والكانونان وشباط ولم يجئ مطر غير المطرة التى عند الاستسقاء ثم جاء المطر فى أذار ونيسان وفيها فى شوّال استوزر المتقى لله أبا اسحق محمد بن أحمد الاسكافى المعروف بالقراريطى بعد عود بنى البريدى من بغداد وجعل بدر الخرشنى حاجبه فبقى وزيرا الى الخامس والعشرين من ذى القعدة وقبض عليه كورتكين وكانت وزارته ثلاثة وأربعين يوما واستوزر بعده أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى فبقى وزيرا الى الثامن والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة فعزله ابن رائق لما استولى على الامور ببغداد فكانت وزارته اثنين وثلاثين يوما ودبر الامور أبو عبد الله الكوفى كاتب ابن رائق من غير تسمية بوزارة وفيها عاد الحجاج الى العراق لم يصلوا الى المدينة بل سلكوا الجادة بسبب طالبى ظهر بتلك الناحية وقوى أمره وفيها كثرت الحميات ووجع المفاصل فى الناس ومن عجل افتصادبرأ والاطال مرضه وفى أيام الراضى توفى أبو بشر أخو متى بن يونس الحكيم الفيلسوف وله تصانيف فى شرح كتب ارسطاطاليس وفيها فى ذى الحجة مات بختيشوع بن يحيى الطبيب وفيها مات محمد بن عبد الله البلعمى وزير السعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان وكان من عقلاء الرجال وكان نصر قد صرفه عن وزارته سنة ست وعشرين وثلثمائة وجعل مكانه محمد بن محمد الجيهانى وفيها توفى أبو بكر محمد بن المظفر بن محتاج ودفن بالصغانيان وأبو محمد الحسن بن على بن خلف البربهارى رئيس الحنابلة توفى مستترا ودفن فى تربة نصر القشورى وكان عمره ستا وسبعين سنة

ذكرت حاجتها وكف عنها طالبها وما أشبه البصرة الا بعجوز ذات عوارض موسرة فاذا ذكرت يسارها وذكرت عوارضها فكف عنها طالبها فقال الاحنف أما البصرة فان أسفلها قصب وأوسطها خشب وأعلاها رطب نحن أكثر ساجا وعاجا وديباجا ونحن أكثر قندا ونقدا والله ما آتى البصرة الا طائعا ولا أخرج منها الا كارها قال فقام اليه شاب من بكر ابن وائل فقال يا أبا بحر بم بلغت فى الناس ما بلغت فوالله ما أنت بأجملهم ولا بأشرفهم ولا بأشجعهم قال يا ابن أخى بخلاف ما أنت فيه قال وما ذاك قال بتركى ما لا يعنينى كما عناك من أمرى ما لا ينبغى ان يعنيك (قال المسعودى) ولابن دأب مع الهادى أخبار حسان يطول ذكرها ويتسع علينا شرحها ولا يتأتى لنا ايراد ذلك فى هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز بحذف الاسانيد وترك اعادة الالفاظ ولاهل البصرة وأهل الكوفة ومن شرب من دجلة مناظرات كثيرة فى مياههم ومنافعها ومضارها منها ما عاب به أهل الكوفة أهل البصرة فقالوا ماؤكم كدر زهك زفر فقال لهم أهل البصرة من أين يأتى ماؤنا الكدر وماء البحر صاف وماء البطيحة طاف وهما يمتزجان وسط بلادنا

﴿ثم دخلت سنة ثلاثين وثلثمائة﴾

﴿ذكر وزارة البريدى﴾

فى هذه السنة وزر أبو عبد الله البريدى للمتقى لله وكان سبب ذلك ان ابن رائق استوحش من البريدى لانه أخر حمل المال وانحدر الى واسط عاشر المحرم فهرب بنو البريدى الى البصرة وسعى لهم أبو عبد الله الكوفى حتى عادوا ضمنوا بقايا واسط بمائة وتسعين ألف دينار وضمنوها كل سنة بستمائة ألف دينار وعاد ابن رائق الى بغداد فشغب الجند عليه ثانى ربيع الآخر وفيهم توزون وغيره من القوّاد ورحلوا فى العشر الآخر من ربيع الآخر الى أبى عبد الله البريدى بواسط فلما وصلوا اليه قوى بهم فاحتاج ابن رائق الى مداراته فكاتب أبا عبد الله البريدى بالوزارة وأنفذ له الخلع واستخلف أبا عبد الله بن شيرزاد ثم وردت الاخبار الى بغداد بعزم البريدى على الاصعاد الى بغداد فازال ابن رائق اسم الوزارة عنه وأعاد أبا اسحق القراريطى ولعن بنى البريدى على المنابر بجانبى بغداد

﴿ذكر استيلاء البريدى على بغداد واصعاد المتقى الى الموصل﴾

وسير أبو عبد الله البريدى أخاه أبا الحسين الى بغداد فى جميع الجيش من الاتراك والديلم وعزم ابن رائق على ان يتحصن بدار الخليفة فاصلح سورها ونصب عليه العرادات والمنجنيقات وعلى دجلة وانهض العامة وجند بعضهم فثاروا فى بغداد وأحرقوا ونهبوا وأخذوا الناس ليلا ونهارا وخرج المتقى لله وابن رائق الى نهر ديالى منتصف جمادى الآخرة ووافاهم أبو الحسين عنده فى الماء والبر واقتتل الناس وكانت العامة على شاطئ دجلة فى الجانبين يقاتلون من فى الماء من أصحاب البريدى وانهزم أهل بغداد واستولى أصحاب البريدى على دار الخليفة ودخلوا اليها فى الماء وذلك لتسع بقين من جمادى الآخرة وهرب المتقى وابنه الامير أبو منصور فى نحو عشرين فارسا ولحق بهما ابن رائق فى جيشه فسار واجميعا نحو الموصل واستتر الوزير القراريطى وكانت مدة وزارته الثانية أربعين يوما وامارة ابن رائق ستة أشهر وقتل أصحاب البريدى من وجدوا فى دار الخليفة من الحاشية ونهبوها ونهبوا دور الحرم وكثر النهب فى بغداد ليلا ونهارا وأخذوا كورتكين من حبسه وأنفذه أبو الحسين الى أخيه بواسط فكان آخر العهد به ولم يتعرضوا للقاهر بالله ونزل أبو الحسين بدار مؤنس التى يسكنها ابن رائق وعظم النهب فاقام أبو الحسين توزون على الشرطة بشرقى بغداد وجعل نوشتكين على شرطة الجانب الغربى فسكن الناس شيأ يسيرا وأخذ أبو الحسين البريدى رهائن القوّاد الذين مع توزون وغيره وأخذ نساءهم وأولادهم فسيرهم الى أخيه أبى عبد الله بواسط

﴿ذكر ما فعله البريدى ببغداد﴾

لما استولى على بغداد أخذ أصحابه فى النهب والسلب وأخذ الدواب وجعلوا طلبها طريقا الى غيرها من الاثاث وكبست الدور وأخرج أهلها منها ونزلت وعظم الامر وجعل على كل كرّ من الحنطة والشعير وأصناف الحبوب خمسة دنانير وغلت الاسعار فبيع الكرّ الحنطة بثلثمائة وستة عشر دينارا والخبز الخشكار رطلين بقيراطين صحيح أميرى وحبط أهل الذمة وأخذ القوى بالضعيف وورد من الكوفة وسوادها خمسمائة كر من الحنطة والشعير فاخذه جميعه وادّعى انه للعامل بتلك الناحية ووقعت الفتن بين الناس فن ذلك انه كان معه طائفة من القرامطة فجرى بينهم وبين الاتراك حرب قتل فيها جماعة وانهزم القرامطة وفارقوا بغداد

قال الكوفيون من طباع الماء العذب الصافى اذا خالط ماء البحر صارا جميعا الى الكدورة وقد يروق الانسان ماء أربعين ليلة فان جعل منه شيأ فى قارورة أزبد وتكدر وقد افتخر أهل الكوفة بمائهم الذى هو الفرات على ماء دجلة وهو وماء البصرة فقالوا ماؤنا أعذب المياه وأغذاها وهو أصح للاجسام من ماء دجلة والفرات خير من النيل فأما دجلة فان ماءها يقطع شهوة الرجال ويذهب بصهيل الخيل ولا يذهب بصهيلها الامع ذهاب نشاطها ونقصان قواها وان لم يتدسم النازلون عليها أصابهم نحول فى عظامهم ويبس فى جلودهم وسائر من نزل من العرب على دجلة لا يكادون يسقون خيولهم منها ويسقونها من الآبار والركا لاختلاف مياهها واختلاف أنواعها ليست بماء واحد لمصب الانهار كالزابين وغيرهما وسبيل المشروب غير المأكول لان اختلاف المأكل غير ضار واختلاف الاشربة كالخمر والنبيذ وغيره من الانبذة اذا شربه الانسان كان ضارا واذا كان فضيلة مائنا على دجلة فما ظنك بفضيلته على ماء البصرة وهو يختلط بماء البحر ومن الماء المستنقع فى اصول القصب والهروى وقد قال الله هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج والفرات أعذب المياه عذوبة وانما اشتق الفرات لكل ماء عذب من ماء الكوفة وقد طعن

ووقعت حرب بين الديلم والعامة قتل فيها جماعة من حد نهر طابق الى القنطرة الجديدة وفي آخر شعبان زاد البلاء على الناس فكبسوا منازلهم ليلا ونهارا واستتر أكثر العمال لعظيم ما طولبوا به مما ليس في السواد وافترق الناس فخرج الناس وأصحاب السلطان الى قرب من بغداد فحصدوا ما استحصدوا من الحنطة والشعير وحملوه بسنبله الى منازلهم وكان مع ذلك ينهب ويعسف أهل العراق ويظلمهم ظلما لم يسمع بمثله قط والله المستعان وانما ذكرنا هذا الفصل ليعلم الظلمة ان اخبارهم تنقل وتبقى على وجه الدهر فربما تركوا الظلم لهذا ان لم يتركوه لله سبحانه وتعالى

﴿ذكر قتل ابن رائق وولاية ابن حمدان امرة الامراء﴾

كان المتقي لله قد أنفذ الى ناصر الدولة بن حمدان يستمده على البريديين فارسل أخاه سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان نجدة له في جيش كثيف فلقي المتقي وابن رائق بتكريت قد انهزما فخدم سيف الدولة للمتقي خدمة عظيمة وسار معه الى الموصل ففارقها ناصر الدولة الى الجانب الشرقي وتوجه نحو معلثايا وترددت الرسل بينه وبين ابن رائق حتى تعاهدا واتفقا فحضر ناصر الدولة ونزل على دجلة بالجانب الشرقي فعبر اليه الامير أبو منصور بن المتقي وابن رائق يسلمان عليه فنثر الدنانير والدراهم على ولد المتقي فلما أرادوا الانصراف من عنده ركب ابن المتقي وأراد ابن رائق الركوب فقال له ناصر الدولة تقيم اليوم عندي لنتحدث فيما نفعله فاعتذر ابن رائق بابن المتقي فألح عليه ابن حمدان فاستراب به وجذب كمه من يده فقطعه وأراد الركوب فشب به الفرس فسقط فصاح ابن حمدان باصحابه اقتلوه فقتلوه وألقوه في دجلة وأرسل ابن حمدان الى المتقي يقول انه علم ان ابن رائق أراد ان يغتاله ففعل به ما فعل فرد عليه المتقي ردا جميلا وأمره بالمسير اليه فسار ابن حمدان الى المتقي لله فخلع عليه ولقبه ناصر الدولة وجعله أمير الامراء وذلك مستهل شعبان وخلع على أخيه أبي الحسين علي ولقبه سيف الدولة وكان قتل ابن رائق يوم الاثنين لتسع بقين من رجب ولما قتل ابن رائق سار الاخشيد من مصر الى دمشق وكان بها محمد بن يزداد خليفة ابن رائق فاستأمن الى الاخشيد وسلم اليه دمشق فأقره عليها ثم نقله عنها الى مصر وجعله على شرطتها يقال ان لابن رائق شعرا منه

يصفر وجهي اذا تأمله * طرفي ويحمر وجهه خجلا
حتى كأن الذي بوجنته * من دم قلبي اليه قد نقلا

وقد قيل انه للراضي بالله وقد تقدم

﴿ذكر عود المتقي الى بغداد وهرب البريدي عنها﴾

لما استولى أبو الحسين البريدي على بغداد وأساء السيرة كما ذكرناه نفرت عنه قلوب الناس العامة والاجناد فلما قتل ابن رائق سارع الجند الى الهرب من البريدي فهرب جحجح الى المتقي وكان قد استعمله البريدي على الراذانات وما يليها ثم تحالف توزون ونوشتكين والاتراك على كبس أبي الحسين البريدي فغدر نوشتكين فاعلم البريدي الخبر فاحتاط وأحضر الديلم عنده وقصده توزون فحاربه الديلم وعلم توزون غدر نوشتكين به فعاد ومعه جملة وافرة من الاتراك وسار نحو الموصل خامس رمضان فقوي بهم ابن حمدان وعزم على الانحدار الى بغداد وتجهز وانحدر هو والمتقي واستعمل على أعمال الخراج والضياع بديار مضر وهي الرها وحران والرقة أبا الحسن علي بن طياب وسيره من الموصل وكان على ديار مضر أبو الحسين أحمد بن علي بن مقاتل خليفة لابن رائق فاقتتلوا فقتل أبو الحسين بن مقاتل واستولى ابن طياب عليها فلما قارب المتقي لله وناصر الدولة بن

أيضا أهل الكوفة على أهل البصرة فقالوا البصرة أسرع الارض خرابا واخبثها ترابا وابعدها من السماء واسرعها غرقا وقد اجاب أهل البصرة أهل الكوفة عما سألوا عنه وعابوهم به وكذلك من شرب من دجلة وعابوا أهل الكوفة وذكروا عيوبها وما يؤثر عن سكانها من الشح على المأكول والمشروب والغدر وقلة الوفاء وقد أتينا على وصف ذلك في كتابنا أخبار الزمان وكذلك أتينا على خواص الارض والمياه وفصول السنة وانقسام الاقاليم وما لحق بهذه المعاني مما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح وذكرنا في هذا الكتاب من جميع ذلك لمعا فلنرجع الآن الى أخبار الهادي وندل على هذا السائغ وقد كان الهادي اراد ان يخلع اخاه الرشيد من ولاية العهد ويجعلها لابنه جعفر بن موسى وحبس يحيى بن خالد البرمكي واراد قتله فقال له يحيى وكان القيم بأمر الرشيد يا أمير المؤمنين ارأيت ان كان ما أسأل الله ان يعيذنا منه وان لا يبلغناه وينسأ في اجل أمير المؤمنين اتظن أن الناس يسلمون لجعفر بن أمير المؤمنين الامر ولم يبلغ الحنث ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم قال ما اظن ذلك قال فتأمن ان يسمو اليها جلة أهل بيتك

حمدان بغداد هرب أبو الحسين منها الى واسط واضطربت العامة ببغداد ونهب الناس بعضهم بعضا وكان مقام أبى الحسين ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوما ودخل المتقى لله الى بغداد ومعه بنو حمدان فى جيوش كثيرة واستوزر المتقى أبا اسحق القراريطى وقلد توزون شرطة جانبى بغداد وذلك فى شوّال

(ذكر الحرب بين ابن حمدان والبريدى)

لما هرب أبو الحسين البريدى الى واسط ووصل بنو حمدان والمتقى الى بغداد خرج بنو حمدان عن بغداد نحو واسط وكان أبو الحسين قد سار من واسط اليهم ببغداد فاقام ناصر الدولة بالمدائن وسير أخاه سيف الدولة وابن عمه أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فى الجيش الى قتال أبى الحسين فالتقوا تحت المدائن بفرسخين واقتتلوا عدة أيام آخرها رابع ذى الحجة وكان توزون وجحجج والاتراك مع ابن حمدان فانهزم سيف الدولة ومن معه الى المدائن وبها ناصر الدولة فردهم وأضاف اليهم من كان عنده من الجيش فعاودوا القتال فانهزم أبو الحسين البريدى وأسر جماعة من أعيان أصحابه وقتل جماعة وعاد أبو الحسين البريدى منهزما الى واسط ولم يقدر سيف الدولة على اتباعه اليها لما فى أصحابه من الوهن والجراح وكان المتقى قد سير أهله من بغداد الى سر من رأى فاعادهم وكان أعيان الناس قد هربوا من بغداد فلما انهزم البريدى عادوا اليها وعاد ناصر الدولة ابن حمدان الى بغداد فدخلها ثالث عشر ذى الحجة وبين يديه الاسرى على الجمال ولما استراح سيف الدولة وأصحابه انحدروا من موضع المعركة الى واسط فرأوا البريديين قد انحدروا الى البصرة فاقام بواسط ومعه الجيش وسنذكر من اخباره سنة احدى وثلاثين ولما عاد ناصر الدوله الى بغداد نظر فى العيار فرآه ناقصا فامر باصلاح الدنانير فضرب دنانير سماها الابريزية عيارها خير من غيرها فكان الدينار بعشرة دراهم فبيع هذا الدينار بثلاثة عشر درهما

(ذكر استيلاء الديلم على اذربيجان)

كانت اذربيجان بيد ديسم بن ابراهيم الكردى وكان قد صحب يوسف بن أبى الساج وخدم وتقدم حتى استولى على اذربيجان وكان يقول بمذهب الشراة هو وأبوه وكان أبوه من أصحاب هرون الشارى فلما قتل هرون هرب الى اذربيجان وتزوج ابنة رئيس من اكرادها فولدت له ديسم فانضم الى أبى الساج فارتفع وكبر شأنه وتقدم الى ان ملك اذربيجان بعد يوسف بن أبى الساج وكان معظم جيوشه الاكراد الا نفرا يسيرا من الديلم من عسكر وشمكير أقاموا عنده حين صحبوه الى اذربيجان ثم ان الاكراد تقووا وتحكموا عليه وتغلبوا على بعض قلاعه واطراف بلاده فرأى بان يستظهر عليهم بالديلم فاستكثر ذلك منهم وكان فيهم صعلوك بن محمد بن مسافر وعلى ابن الفضل وغيرهما فاكرمهم ديسم وأحسن اليهم وانتزع من الاكراد ماتغلبوا عليه من بلاده وقبض على جماعة من رؤسائهم وكان وزيره أبا القاسم على بن جعفر وهو من أهل اذربيجان فسعى به أعداؤه فاخافه ديسم فهرب الى الطرم الى محمد بن مسافر فلما وصل اليه رأى ابنيه وهسودان والمرزبان قد استوحشا منه واستوليا على بعض قلاعه وكان سبب وحشتهما سوء معاملته معهما ومع غيرهما ثم انهما قبضا على أبيهما محمد بن مسافر وأخذا أمواله وذخائره وبقى فى حصن آخر وحيدا فريدا بغير مال ولا عدة فرأى على بن جعفر الحال فتقرب الى المرزبان وخدمه وأطمعه فى اذربيجان وضمن له تحصيل أموال كثيرة يعرف هو وجوهها فقلده وزارته

فخرج من ولد أبيك الى غيرهم فتكون قد حملت الناس على النكث وهوّنت عليهم أيمانهم ولو تركت بيعة أخيك على حالها وبويع لجعفر بعده كان آكد فاذا بلغ مبلغ الرجال سألت أخاك ان يقدمه على نفسه قال نبهتنى والله على أمر لم أكن انتبهت له ثم عزم بعد ذلك على خلعه رضى أم كره وأمر بالتضييق عليه فى الاكثر من أموره فاشار عليه يحيى ان يستأذنه فى الخروج الى الصيد وان يطيل التشاغل بذلك فان مدة موسى قصيرة على ماأوجبته قضية المولد واستأذنه الرشيد فاذن له فسار الى شاطئ الفرات من بلاد الانبار وهيت وتوسط البرمما يلى السماوة وكتب الهادى اليه يأمره بالقدوم فاكثر الرشيد التعلل وبسط الهادى لسانه فى شتمه وسنح للهادى الخروج نحو بلاد الحديثة فمرض هنالك وانصرف وقد ثقل فى العلة فلم يجسر احد من الناس على الدخول عليه الا صغار الخدم ثم اشار اليهم أن يحضروا الخيزران أمه فصارت عند رأسه فقال لها اناهالك فى هذه الليلة وفيها يلى أخى هرون وأنت تعلمين ماقضى فيه أصل مولدى بالرى وقد كنت أمرتك باشياء ونهيتك عن اخرى مما أوجبته سياسة الملك لا موجبات الشرع من برك ولم أكن بك عاقا بل كنت لك صائنا او برا واصلا ثم قضى قابضا على يدها واضعا

وكان يجمعهما مامع الذى ذكرنا انهما كانا من الشيعة فان على بن جعفر كان من دعاة الباطنية والمرزبان مشهور بذلك وكان ديسم كما ذكرنا يذهب الى مذهب الخوارج فى بغض على عليه السلام فنفر عنه من عنده من الديلم وابتدأ على بن جعفر وكاتب من يعلم انه يستوحش من ديسم ويستميله الى أن أجابه أكثر أصحابه وفسدت قلوبهم على ديسم وخاصة الديلم وسار المرزبان الى اذربيجان وسار ديسم اليه فلما التقيا للحرب عاد الديلم الى المرزبان وتبعهم كثير من الاكراد مستأمنين فحمل المرزبان على ديسم فهرب فى طائفة يسيرة من أصحابه الى ارمينية واعتصم بحاجيق بن الديرانى لمودة بينهما فاكرمه واستأنف ديسم يؤلف الاكراد وكان أصحابه يشيرون عليه بابعاد الديلم لمخالفتهم اياه فى الجنس والمذهب فعصاهم وملك المرزبان اذربيجان واستقام أمره الى ان فسد ما بينه وبين وزيره على بن جعفر وكان سبب الوحشة بينهما ان عليا اساء السيرة مع أصحاب المرزبان فتظافروا عليه فأحس بذلك فاحتال على المرزبان فاطمعه فى أموال كثيرة يأخذها له من بلد تبريز فضم اليه جندا من الديلم وسيرهم اليها فاستمال على أهل البلد فعرفهم ان المرزبان انما سيره اليهم ليأخذ أموالهم وحسن لهم قتل من عندهم من الديلم ومكاتبة ديسم ليقدم عليهم فاجابوه الى ذلك وكاتب ديسم ووثب أهل البلد بالديلم فقتلوهم وسار ديسم فيمن اجتمع اليه من العسكر الى تبريز وكان المرزبان قد أساء الى من استأمن اليه من الاكراد فلما سمعوا بديسم انه يريد تبريز ساروا اليه فلما اتصل ذلك بالمرزبان ندم على ايحاش على بن جعفر ثم جمع عسكره وسار الى تبريز فتحارب هو وديسم بظاهر تبريز فانهزم ديسم والاكراد وعادوا فتحصنوا بتبريز وحصرهم المرزبان وأخذ فى اصلاح على بن جعفر ومراسلته وبذل له الايمان على ما يريده فاجابه على انى لا أريد من جميع ما بذلته الا السلامة وترك العمل فاجابه الى ذلك وحلف له واشتد الحصار على ديسم فسار من تبريز الى اردبيل وخرج على بن جعفر الى المرزبان فساروا الى اردبيل وترك المرزبان على تبريز من يحصرها وحصر هو وديسم باردبيل فلما طال الحصار عليه طلب الصلح وراسل المرزبان فى ذلك فاجابه اليه فاصطلحا وتسلم المرزبان اردبيل فأكرم ديسم وعظمه ووفى له بما حلف له عليه ثم ان ديسم خاف على نفسه من المرزبان فطلب منه ان يسيره الى قلعته بالطرم فيكون فيها هو وأهله ويقنع بما يتحصل له منها ولا يكلفه شيأ آخر ففعل المرزبان ذلك وأقام ديسم بقلعته هو وأهله

﴿ذكر استيلاء أبى على بن محتاج على بلد الجبل وطاعة وشمكير للسامانية﴾

قد ذكرنا سنة تسع وعشرين مسير أبى على بن محتاج صاحب جيوش خراسان للسامانية الى الرى وأخذها من وشمكير ومسير وشمكير الى طبرستان وأقام أبو على بالرى بعد ملكها تلك الشتوة وسير العساكر الى بلد الجبل فافتتحها واستولى على زنكان وابهر وقزوين وقم وكرج وهمذان ونهاوند والدينور الى حدود حلوان ورتب فيها العمال وجبى أموالها وكان الحسن بن الفيرزان بسارية فقصده وشمكير وحصره فسار الى أبى على واستنجده وأقام وشمكير متحصنا بسارية فسار اليه أبو على ومعه الحسن وحصره بها سنة ثلاثين وضيق عليه وألح عليه بالقتال كل يوم وهم فى شتاء شات كثير المطر فسأل وشمكير المواعدة فصالحه أبو على وأخذ رهائنه على لزوم طاعة الامير نصر بن أحمد السامانى ورحل عنه الى جرجان فى جمادى الآخرة سنة احدى وثلاثين وثلثمائة فاتاه موت الامير نصر بن أحمد فسار عنها الى خراسان

﴿ذكر استيلاء الحسن بن الفيرزان على جرجان﴾

ومولد المأمون ويقال ان الهادى أوقف بين يديه رجلا من أولياء الدولة ذا أجرام كثيرة فجعل الهادى يذكره ذنوبه فقال له الرجل يا أمير المؤمنين اعتذارى بما تقرع عينى به ردّ عليك واقرارى بما ذكرت يوجب ذنبا ولكنى أقول

فان كنت ترجو فى العقوبة راحة
فلا تزهدن عند المعافاة فى الاجر

وأطلقه ووصله (وحدث) عدة من الاخباريين من ذوى المعرفة بأخبار الدولة ان موسى قال لهرون أخيه كانى بك تحدث نفسك بتمام الرؤيا وتؤمل ما أنت عنه بعيد ومن دون ذلك خرط القتاد فقال له هرون يا أمير المؤمنين من تكبر وضع ومن تواضع رفع ومن ظلم خذل وان أوصل الامر الىّ وصلت من قطعت وبررت من حرمت وصيرت أولادك أعلى من أولادى وزوجتهم بناتى وقضيت بذلك حق الامام المهدى فانجلى عن موسى الغضب وبان السرور فى وجهه وقال ذلك الظن بك يا أبا جعفر ادن منى فقام هرون فقبل يده ثم ذهب ليعود الى مجلسه فقال موسى والشيخ الجليل والملك النبيل لا جلست الا معى فى صدر المجلس ثم قال يا خرانى احمل

كان

كان الحسن بن الفيرزان عم ما كان بن كالى وكان قريبا منه فى الشجاعة فلما قتل ما كان راسله وشمكير ليدخل فى طاعته فلم يفعل وكان بمدينة سارية وصار يسب وشمكير وينسبه الى المواطأة على قتل ما كان فقصده وشمكير فسار الحسن من سارية الى أبى على صاحب جيوش خراسان واستنجده فسار معه أبو على من الرى فحصر وشمكير بسارية وأقام يحاصره الى سنة احدى وثلاثين واصطلحا وعاد أبو على الى خراسان وأخذ ابنا لوشمكير اسمه سالار رهينة وصحبه الحسن بن الفيرزان وهو كاره للصلح فبلغه وفاة السعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان فلما سمع الحسن ذلك عزم على الفتك بأبى على فثار به وبعسكره فسلم أبو على ونهب الحسن سواده وأخذ ابن وشمكير وعاد الى جرجان فملكها وملك الدامغان وسمنان ولما وصل أبو على الى نيسابور رأى ابراهيم بن سيمجور الدواتى قد امتنع عليه بها وخالفه فترددت الرسل بينهم فاصطلحوا

(ذكر ملك وشمكير الرى)

لما انصرف أبو على الى خراسان وجرى عليه من الحسن ما ذكرناه وعاد الى جرجان سار وشمكير من طبرستان الى الرى فملكها واستولى عليها وراسله الحسن بن الفيرزان يستميله ورد عليه ابنه سالار الذى كان عند أبى على رهينة وقصدان يتقوى به على الخراسانية ان عادوا اليه وألان له وشمكير الجواب ولم يصرح بما يخالف قاعدته مع أبى على

(ذكر استيلاء ركن الدولة على الرى)

لما سمع ركن الدولة وأخوه عماد الدولة ابنا بويه بملك وشمكير الرى طمعا فيه لان وشمكير كان قد ضعف وقلت رجاله وماله بتلك الحادثة مع أبى على فسار ركن الدولة الحسن بن بويه الى الرى واقتتل هو ووشمكير فانهزم وشمكير واستأمن كثير من رجاله الى ركن الدولة فسار وشمكير الى طبرستان فقصده الحسن بن الفيرزان فاستأمن اليه كثير من عسكره أيضا فانهزم وشمكير الى خراسان ثم ان الحسن بن الفيرزان راسل ركن الدولة وواصله فتزوج ركن الدولة بنتا للحسن فولدت له ولده فخر الدولة عليا وكان ينبغى ان نذكر هذه الحوادث بعد وفاة السعيد نصر بن أحمد وانما ذكرناها هنا ليتلو بعضها بعضا

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة صرف بدر الخرشنى عن حجبة الخليفة وجعل مكانه سلامة الطولونى وفيها ظهر كوكب فى المحرم بذنب عظيم فى أول برج القوس وآخر برج العقرب بين الغرب والشمال وكان رأسه فى المغرب وذنبه فى المشرق وكان عظيما منتشر الذنب وبقى ظاهرا ثلاثة عشر يوما وسار فى القوس والجدى ثم اضمحل وفيها اشتد الغلاء لاسيما بالعراق وبيع الخبز أربعة أرطال بقيراطين صحيح أميرى وأكل الضعفاء الميتة وكثر الوباء والموت جدا وفيها فى ربيع الآخر وصل الروم الى قريب حلب ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا نحو خمسة عشر ألف انسان وفيها دخل الثملى من ناحية طرسوس الى بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وعاد سالما وقد أسر عدة من بطارقتهم المشهورين وفيها فى ذى القعدة قلد المتقى لله بدرا الخرشنى طريق الفرات فسار الى الاخشيد مستأمنا فقلده بلدة دمشق فلما كان بعد مدة حم ومات بها وفيها فى جمادى الآخرة ولد أبو منصور بويه ابن ركن الدولة بن بويه وهو مؤيد الدولة وفيها توفى أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بالصير فى الفقيه الشافعى وله تصانيف فى أصول الفقه وفيها توفى القاضى أبو عبد الله الحسين بن اسمعيل بن محمد

قدمت دابته الى البساط قال عمرو الرومى فسألت الرشيد عن الرؤيا فقال قال المهدى رأيت فى منامى كأنى دفعت الى موسى قضيبا والى هرون قضيبا فأما قضيب موسى فأورق أعلاه قليلا وأما قضيب هرون فأورق من أوله الى آخره فقص الرؤيا على الحكم بن اسحق الصيمرى وكان يعبرها فقال له يملكان جميعا فاما موسى فتقل أيامه وأما هرون فيبلغ آخر ماعاش خليفة وتكون أيامه أحسن الايام ودهره أحسن الدهور قال عمرو الرومى فلما أفضت الخلافة الى هرون زوج حمدونة ابنته من جعفر بن موسى وفاطمة من اسمعيل ووفى له ماوعده (وحدث) عبد الله بن الضحاك عن الهيثم ابن عدى قال وهب المهدى لموسى الهادى سيف عمرو ابن معديكرب الصمصامة فدعا به موسى بعد ماولى الخلافة فوضعه بين يديه ودعا بمكتل وقال لحاجبه ائذن للشعراء فلما دخلوا أمرهم ان يقولوا فى السيف فبدأهم ابن يامين البصرى فقال

حاز صمصامة الزبيدى عمرو
من جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقه الصواعق نارا

ابن اسمعيل المحاملي الفقيه الشافعي وهو من المكثرين في الحديث وكان مولده سنة خمس وثلاثين ومائتين وكان على قضاء الكوفة وفارس فاستعفى من القضاء وألح في ذلك فاجيب اليه وفيها توفي أبو الحسن علي بن اسمعيل بن أبي بشر الاشعري المتكلم صاحب المذهب المشهور وكان مولده سنة ستين ومائتين وهو من ولد أبي موسى الاشعري وفيها مات محمد بن محمد الجيهاني وزير السعيد نصر بن أحمد تحت الهدم وفيها توفي محمد بن يوسف بن النضر الهروي الفقيه الشافعي وكان مولده سنة تسع وعشرين ومائتين وأخذ عن الربيع بن سليمان صاحب الشافعي وتعلم منه

(ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وثلثمائة)

(ذكر ظفر ناصر الدولة بعدل البجكمي)

في هذه السنة ظفر أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان بعدل حاجب بجكم وسمله وسيره الى بغداد وسبب ذلك ان عدلا صار بعد قتل بجكم مع ابن رائق وسار معه الى بغداد وصعد معه الى الموصل فلما قتل ناصر الدولة أبا بكر بن رائق كما ذكرناه صار عدل في جملة ناصر الدولة فسيره ناصر الدولة مع علي بن خلف بن طياب الى ديار مضر والشام الذي كان بيد ابن رائق وكان بالرحبة من جهة ابن رائق رجل يقال له مسافر بن الحسن فلما قتل ابن رائق استولى مسافر هذا على الناحية ومنع منها وجبى خراجها فارسل اليه ابن طياب عدلا في جيش ليخرجه عن الرحبة فلما سار اليها فارقها مسافر من غير قتال وملك عدل الحاجب البلد وكاتب من ببغداد من البجكمية فقصدوه مستخفين فقوي أمره بهم واستولى على طريق الفرات وبعض الخابور ثم ان مسافرا جمع جمعا من بني نمير وسار الى قرقيسيا فأخرج منها أصحاب عدل وملكها فسار عدل اليها واسترجعها وعزم عدل على قصد الخابور وملكه فاحتاط أهله منه واستنصروا ببني نمير فلما علم ذلك عدل ترك قصدهم ثم صار يركب كل يوم قبل العصر بساعة في جميع عسكره ويطوف صحاري قرقيسيا الى آخر النهار وعيونه تأتيه من أهل الخابور بانهم يحذرون كلما سمعوا بحركته ففعل ذلك أربعين يوما فلما رأى أهل الخابور اتصال ركوبه وانه لا يقصدهم فرقوا جمعهم وأمنوه فاتته عيونه بذلك على رسمه فلما تكامل رجاله أمرهم بالمسير وأن يرسلوا غلمانهم في حمل أثقالهم وسار لوقته فصبح الشمسانية وهي من أعظم قرى الخابور وأحصنها فتحصن أهلها منه فقاتلهم ونقب السور وملكها وقتل فيها وأخذ من أهلها مالا كثيرا وأقام بها أياما ثم سار الى غيرها فبقي في الخابور ستة أشهر فجبى الخراج والاموال العظيمة واستظهر بها وقوي أصحابه بما وصل اليهم أيضا وعاد الى الرحبة واتسعت حاله واشتد أمره وقصده العساكر من بغداد فعظم حاله ثم انه سار يريد نصيبين لعلمه ببعد ناصر الدولة عن الموصل والبلاد الجزرية ولم يمكنه قصد الرقة وحران لانها كان بها يأنس المؤنسي في عسكر ومعه جمع من بني نمير فتركها وسار الى رأس عين ومنها الى نصيبين فاتصل خبره بالحسين بن حمدان فجمع الجيش وسار اليه الى نصيبين فلما قرب منه لقيه عدل في جيشه فلما التقى العسكران استأمن أصحابه من عدل الى ابن حمدان وبقي معه منهم نفر يسير من خاصته فاسره ابن حمدان وأسر معه ابنه فسمل عدلا وسيرهما الى بغداد فوصلاها في العشرين من شعبان فشهر هو وابنه فيها

(ذكر حال سيف الدولة بواسط)

قد ذكرنا مقام سيف الدولة علي بن حمدان بواسط بعد انحدار البريديين عنها وكان يريد الانحدار الى البصرة لاخذها من البريدي ولا يمكنه لقلة المال عنده ويكتب الى أخيه في ذلك فلا ينفذ

ري في صفحتيه ماء معين
مايبالي اذا الضريبة خانت
أشمال نيطت به أم يمين

وهي أبيات كثيرة فقال له الهادي لك السيف والمكتل فخذهما ففرق المكتل على الشعراء وقال دخلتم معي وحرمتم من أجلي وفي السيف عوض ثم بعث اليه الهادي فاشترى منه السيف بخمسين ألفا وللهادي أخبار حسان وان كانت أيامه قصرت وقد أتينا على ذكرها في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وبالله التأييد

(ذكر خلافة هرون الرشيد)

وبويع هرون الرشيد ابن المهدي يوم الجمعة صبيحة الليلة التي مات فيها الهادي بمدينة السلام وذلك لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ومات بطوس بقرية يقال لها سناباذ يوم السبت لاربع ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر وقيل ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وولي الخلافة وهو ابن احدى وعشرين سنة ومات وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة أشهر

اليه شيأ وكان توزون وجحجج يسيئان الادب ويتحكمان عليه ثم ان ناصر الدولة أنفذ الى أخيه مالا مع أبي عبد الله الكوفي ليفرقه في الاتراك فأسمعه توزون وجحجج المكروه وثارا به فأخذه سيف الدولة وغيبه عنهما وسيره الى بغداد وأمر توزون ان يسير الى الجامدة ويأخذها وينفرد بحاصلها وأمر جحجج ان يسير الى مذار ويحفظها ويأخذ حاصلها وكان سيف الدولة يزهد الاتراك في العراق ويحسن لهم قصد الشام معه والاستيلاء عليه وعلى مصر ويقع في أخيه عندهم فكانوا يصدقونه في أخيه ولا يجيبونه الى المسير الى الشام معه ويتسحبون عليه وهو يجيبهم الى الذي يريدونه فلما كان سلخ شعبان ثار الاتراك بسيف الدولة فكبسوه ليلا فهرب من معسكره الى بغداد ونهب سواده وقتل جماعة من أصحابه وأما ناصر الدولة فانه لما وصل اليه أبو عبد الله الكوفي وأخبره الخبر برز ليسير الى الموصل فركب المتقي اليه وسأله التوقف عن المسير فاظهر له الاجابة الى ان عاد ثم سار الى الموصل ونهبت داره وثار الديلم والاتراك ودبر الامر أبو اسحق القراريطي من غير تسمية بوزارة وكانت امارة ناصر الدولة أبي محمد الحسين بن عبد الله بن حمدان ببغداد ثلاثة عشر شهرا وخمسة أيام ووزارة أبي العباس الاصبهاني احدا وخمسين يوما ووصل سيف الدولة الى بغداد

﴿ذكر حال الاتراك بعد اصعاد سيف الدولة﴾

لما هرب سيف الدولة من واسط عاد الاتراك الى معسكرهم فوقع الخلاف بين توزون وجحجج وتنازعا الامارة ثم استقر الحال على ان يكون توزون أميرا وجحجج صاحب الجيش وتصاهرا وطمع البريدي في واسط فاصعد اليها فأمر توزون جحجج بالمسير الى نهربان وراسل البريدي الى توزون يطلب ان يضمنه واسط فرده ردا جميلا ولم يفعل ولما عاد الرسول اتبعه توزون بجاسوس يأتيه بخبره مع جحجج فعاد الجاسوس فأخبر توزون بان الرسول اجتمع هو وجحجج وطال الحديث بينهما وان جحجج يريد ان ينتقل الى البريدي فسار توزون اليه جريدة في مائتي غلام يثق بهم وكبسه في فراشه ليلة الثاني عشر من رمضان فلما أحس به ركب دابته بقميص وفي يده لت ودفع عن نفسه قليلا ثم أخذ وحمل الى توزون فحمله الى واسط فسمله وأعماه ثاني يوم وصوله اليها

﴿ذكر عود سيف الدولة الى بغداد وهربه عنها﴾

لما هرب سيف الدولة على ما ذكرنا لحق باخيه فبلغه خلاف توزون وجحجج فطمع في بغداد فعاد ونزل بباب حرب وأرسل الى المتقي لله يطلب منه مالا ليقاتل توزون ان قصد بغداد فانفذ اليه أربعمائة ألف درهم ففرقها في أصحابه وظهر من كان مستخفيا ببغداد وخرجوا اليه وكان وصوله ثالث عشر رمضان ولما بلغ توزون وصول سيف الدولة الى بغداد خلف بواسط كيغلغ في ثلثمائة رجل وأصعد الى بغداد فلما سمع سيف الدولة باصعاده رحل من باب حرب فيمن انضم اليه من أجناد بغداد وفيهم الحسن بن هرون

﴿ذكر امارة توزون﴾

قد ذكرنا مسير سيف الدولة من بغداد فلما فارقها دخلها توزون وكان دخوله بغداد في الخامس والعشرين من رمضان فخلع عليه المتقي لله وجعله أمير الامراء وصار أبو جعفر الكرخي ينظر في الامور كما كان الكوفي ينظر فيها ولما سار توزون عن واسط أصعد اليها البريدي فهرب من بها من أصحاب توزون الى بغداد ولم يمكن توزون المبادرة الى واسط الى ان تستقر الامور ببغداد فاقام الى ان مضى بعض ذي القعدة وكان توزون قد أسر غلاما عزيزا على سيف الدولة فربما

ولما أفضت الخلافة الى الرشيد دعا بيحيى بن خالد فقال له يا أبت أنت أجلستني في هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر ودفع خاتمه اليه ففي ذلك يقول الموصلي

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة
فلما ولي هرون أشرق نورها
بيمن أمين الله هرون ذي الندى
فهرون واليها ويحيى وزيرها

وماتت ريطة بنت أبي العباس السفاح لشهور خلت من أيام الرشيد وقيل في آخر أيام الهادي وماتت الخيزران أم الهادي والرشيد في سنة ثلاث وسبعين ومائة ومشى الرشيد أمام جنازتها وكانت غلة الخيزران مائة ألف ألف وستين ألف ألف درهم وفيها مات محمد بن سليمان وقبض الرشيد أمواله بالبصرة وغيرها فكان مبلغها نيفا وخمسين ألف ألف درهم سوى الضياع والدور والمستغلات وكان محمد بن سليمان يغل كل يوم مائة ألف درهم (وحكى) ان محمد بن سليمان ركب يوما بالبصرة وسوار القاضي يسايره في جنازة ابنة عم له فاعترضه مجنون كان بالبصرة يعرف برأس النعجة فقال له يا محمد أمن العدل ان تكون نخلتك في

منه يقال له غمال فاطلقه وأكرمه وأنفذه اليه فحسن موقع ذلك من بني حمدان ثم ان توزون انحدر الى واسط لقصد البريدي فاتاه أبو جعفر بن شيرزاد هاربا من البريدي فقبله وفرح به وقلده أموره كلها

(ذكر مسير صاحب عمان الى البصرة)

في هذه السنة في ذي الحجة سار يوسف بن وجيه صاحب عمان في مراكب كثيرة يريد البصرة وحارب البريدي فملك الابلة وقوي قوة عظيمة وقارب ان يملك البصرة فاشرف البريدي واخوته على الهلاك وكان له ملاح يعرف بالرنادي فضمن للبريدي هزيمة يوسف فوعده الاحسان العظيم وأخذ الملاح زورقين فملأهما سعفا يابسا ولم يعلم به أحد وحدرهما في الليل حتى قارب الابلة وكانت مراكب ابن وجيه تشد بعضها الى بعض في الليل فتصير كالجسر فلما انتصف الليل أشعل ذلك الملاح النار في السعف الذي في الزورقين وارسلهما مع الجزر والنار فيهما فاقبلا أسرع من الريح فوقعا في تلك السفن والمراكب فاشتعلت واحترقت قلوسها واحترق من فيها ونهب الناس منها مالا عظيما ومضى يوسف بن وجيه هاربا في المحرم سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وأحسن البريدي الى ذلك الملاح وفي هذه الفتنة هرب ابن شيرزاد من البريدي وأصعد الى توزون

(ذكر الوحشة بين المتقي لله وتوزون)

كان محمد بن ينال الترجمان من أكبر قواد توزون وهو خليفته ببغداد فلما انحدر توزون الى واسط سعى بمحمد اليه وقبح ذكره عنده فبلغ ذلك محمدا ففزع منه وكان الوزير أبو الحسين بن مقلة قد ضمن القرى المختصة بتوزون ببغداد فخسر فيها جملة فخاف ان يطالب بها وانضاف الى ذلك اتصال ابن شيرزاد بتوزون فخافه الوزير وغيره وظنوا ان مصيره الى توزون باتفاق من البريدي فاتفق الترجمان وابن مقلة وكتبوا الى ابن حمدان لينفذ عسكرا يسير صحبة المتقي لله اليه وقالوا للمتقي قد رأيت ما فعل معك البريدي بالامس أخذ منك خمسمائة ألف دينار وأخرجت على الاجناد مثلها وقد ضمنك البريدي من توزون بخمسمائة ألف دينار أخرى زعم انها في يدك من تركة بجكم وابن شيرزاد واصل ليتسلمك ويخلعك ويسلمك الى البريدي فانزعج لذلك وعزم على الاصعاد الى ابن حمدان وورد ابن شيرزاد في ثلثمائة رجل جريدة

(ذكر موت السعيد نصر بن أحمد بن اسمعيل)

في هذه السنة توفي السعيد نصر بن أحمد بن اسمعيل صاحب خراسان وما وراء النهر في رجب وكان مرضه السل فبقي مريضا ثلاثة عشر شهرا ولم يكن بقي من مشايخ دولتهم أحد فانهم كانوا قد سعى بعضهم ببعض فهلك بعضهم ومات بعضهم وكانت ولايته ثلاثين سنة وثلاثة وثلاثين يوما وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة وكان حليما كريما عاقلا فمن حلمه ان بعض الخدم سرق جوهرا نفيسا وباعه على بعض التجار بثلاثة عشر ألف درهم فحضر التاجر عند السعيد وأعلمه انه قد اشترى جوهرا نفيسا لا يصلح الا للسلطان وأحضر الجوهر عنده فحين رآه عرفه انه كان له وقد سرق فسأله عن ثمنه ومن أين اشتراه فذكر له الخادم والثمن فامر فاحضر ثمنه في الحال واربحه ألفي درهم زيادة ثم ان التاجر سأله في دم الخادم فقال لا بد من تأديبه وأما دمه فهو لك فاحضره وأدبه ثم أنفذه الى التاجر وقال كنا وهبنا لك دمه فقد أنفذناه اليه فلو ان صاحب الجوهر بعض الرعايا لقال هذا مالي قد عاد الي وخذ أنت مالك ممن سلمته اليك وحكي انه استعرض جنده وفيهم انسان اسمه نصر بن أحمد فلما بلغه العرض سأله عن اسمه فسكت فاعاد السؤال فلم يجبه فقال

كل يوم مائة ألف درهم وأنا أطالب نصف درهم فلا أقدر عليه ثم التفت الى سوار فقال ان كان هذا عدلا فانا أكفر به فاسرع اليه غلمان محمد فكفهم عنه وأمر له بمائة درهم فلما انصرف محمد وسوار معه اعترضه رأس البجة فقال لقد كرم الله منصبك وشرف أبوتك وحسن وجهك وعظم قدرك وأرجو أن يكون ذلك لخير يريده الله بك ولا أن يجمع الله لك الدارين فدنا منه سوار فقال يا خبيث ما كان هذا قولك في البداءة فقال له سألتك بحق الله وبحق الامير الا ما أخبرتني في أي سورة هذه الآية فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قال في براءة قال صدقت فبرئ الله ورسوله منك فضحك محمد بن سليمان حتى كاد يسقط عن دابته ولما بنى محمد بن سليمان قصره بالبصرة على بعض الانهار دخل اليه عبد الصمد بن شبيب بن شبة فقال له محمد كيف ترى بنائي قال بنيت أجل بناء باطيب فناء وأوسع فضاء وأرق هواء على أحسن ماء بين صراري وحسان وظباء فقال محمد بناء كلامك أحسن من بنائنا وقيل ان صاحب الكلام والباني للقصر هو عيسى بن جعفر على ما حدث به محمد بن زكريا الغلابي عن الفضل بن عبد الرحمن بن شبيب بن شبة وفي هذا القصر يقول ابن أبي عتبة

بعض من حضر اسمه نصر بن أحمد وانما سكت اجلالا للامير فقال السعيد اذا وجب حقه ونزيد في رزقه ثم قربه وزاد في ارزاقه وحكي عنه انه لما خرج عليه أخوه أبو زكريا نهب خزائنه وأمواله فلما عاد السعيد الى ملكه قيل له عن جماعة انتهبوا ماله فلم يعرض اليهم وأخبروه ان بعض السوقة اشترى منها سكينا نفيسا بمائتي درهم فارسل اليه وأعطاه مائتي درهم وطلب السكين فابى ان يبيعه الا بالف درهم فقال ألا تعجبون من هذا أرى عنده مالي فلم أعاقبه وأعطيته حقه فاشتط في الطلب ثم أمر برضائه وحكي انه طال مرضه فبقي به ثلاثة عشر شهرا فاقبل على الصلاة والعبادة وبنى له في قصره بيتا وسماه بيت العبادة فكان يلبس ثيابا نظافا ويمشي اليه حافيا ويصلي فيه ويدعو ويتضرع ويجتنب المنكرات والآثام الى ان مات ودفن عند والده

ذكر ولاية ابنه الامير نوح بن نصر

لما مات نصر بن أحمد تولى بعده خراسان وما وراء النهر ابنه نوح واستقر في شعبان من هذه السنة وبايعه الناس وحلفوا له ولقب بالامير الحميد وفوض أمره وتدبير مملكته الى أبي الفضل محمد بن أحمد الحاكم وصدر عن رأيه ولما ولي نوح هرب منه أبو الفضل بن أحمد بن حمويه وهو من أكابر أصحاب أبيه وكان سبب ذلك ان السعيد نصرا كان قد ولى ابنه اسمعيل بخارا وكان أبو الفضل يتولى أمره وخلافته فاساء السيرة مع نوح وأصحابه فحقد ذلك عليه ثم توفي اسمعيل في حياة أبيه وكان نصر يميل الى أبي الفضل ويؤثره فقال له اذا حدث علي حادث الموت فانج بنفسك فاني لا آمن نوحا عليك فلما مات الامير نصر سار أبو الفضل من بخارا وعبر جيحون وورد آمل وكاتب أبا علي بن محتاج وهو بنيسابور يعرفه الحال وكان بينهما مصاهرة فكتب اليه أبو علي ينهاه عن الالمام بناحيته لمصلحة ثم ان الامير نوحا أرسل الى أبي الفضل كتاب أمان بخطه فعاد اليه فاحسن الفعل معه وولاه سمرقند وكان أبو الفضل معرضا عن محمد بن أحمد الحاكم ولا يلتفت اليه ويسميه الخياط فاضمر الحاكم بغضه والاعراض عنه

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في المحرم وصل معز الدولة بن بويه الى البصرة لحارب البريديين وأقام عليهم مدة ثم استأمن جماعة من قواده الى البريديين فاستوحش من الباقين فانصرف عنهم وفيها تزوج الامير أبو منصور بن المتقي لله بابنة ناصر الدولة بن حمدان وكان الصداق ألف ألف درهم والحمل مائة ألف دينار وفيها قبض ناصر الدولة على الوزير أبي اسحق القراريطي ورتب مكانه أبا العباس أحمد بن عبد الله الاصبهاني في رجب وكان أبو عبد الله الكوفي هو الذي يدبر الامور وكانت وزارة القراريطي ثمانية أشهر وستة عشر يوما وكان ناصر الدولة ينظر في قصص الناس وتقام الحدود بين يديه ويفعل ما يفعل صاحب الشرطة وفيها كانت الزلزلة المشهورة بناحية نسا من خراسان فخربت قرى كثيرة ومات تحت الهدم عالم عظيم وكانت عظيمة جدا وفيها استقدم الامير نوح بن محمد بن أحمد النسفي البردهي وكان قد طعن فيه عنده فقتله وصلبه فسرق من الجذع ولم يعلم من سرقه وفيها استوزر المتقي لله أبا الحسين بن مقلة ثامن شهر رمضان بعد اصعاد ناصر الدولة من بغداد الى الموصل وقبل اصعاد أخيه سيف الدولة من واسط الى بغداد وفيها أرسل ملك الروم الى المتقي لله يطلب منديلا زعم ان المسيح مسح به وجهه فصارت صورة وجهه فيه وانه في بيعة الرها وذكر انه ان أرسل المنديل أطلق عددا كثيرا من أسارى المسلمين فاحضر المتقي لله القضاة والفقهاء واستفتاهم فاختلفوا فبعض رأى تسليمه الى

من منزل حاضر ان شئت أو باد
ترقى قراقيره والعيس واقفة والضب والنون والملاح والحادي

وفي سنة خمس وسبعين ومائة مات الليث بن سعد المصري اليمني ويكنى أبا الحرث وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وكان قد حج سنة ثلاث عشرة ومائة وسمع من نافع وفي سنة خمس وسبعين ومائة مات شريك ابن عبد الله بن سنان النخعي القاضي وكان يكنى أبا عبد الله وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وكان مولده ببخارى وليس بشريك بن عبد الله ابن أبي نمر الليثي لان ابن نمر مات في سنة أربعين ومائة وانما ذكرنا ذلك لانهما يتشابهان في الآباء والامهات وبينهما تسع وثلاثون سنة وكان شريك ابن عبد الله النخعي تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ثم عزله موسى الهادي وكان شريك مع فهمه وعلمه ذكيا فطنا وكان جرى بينه وبين مصعب بن عبد الله كلام بحضرة المهدي فقال له مصعب أنت تنتقص أبا بكر وعمر فقال والله ما أنتقص جدك وهو دونهما وذكر معاوية عند شريك بالحلم فقال ليس بحليم من سفه الحق وقاتل علي بن أبي طالب وشم من شريك رائحة النبيذ فقال له أصحاب الحديث لو كانت هذه الرائحة منا

الملك واطلاق الاسرى وبعض قال ان هذا المنديل لم يزل من قديم الدهر في بلاد الاسلام لم يطلبه ملك من ملوك الروم وفي دفعه اليهم غضاضة وكان في الجماعة علي بن عيسى الوزير فقال ان خلاص المسلمين من الاسر ومن الضر والضنك الذي هم فيه أولى من حفظ هذا المنديل فامر الخليفة بتسليمه اليهم واطلاق الاسرى ففعل ذلك وأرسل الى الملك من يتسلم الاسرى من بلاد الروم فاطلقوا وفيها توفي أبو بكر محمد بن اسمعيل الفرغاني الصوفي أستاذ أبي بكر الدقاق وهو مشهور بين المشايخ وفيها توفي محمد بن يزداد الشهرزوري وكان يلي امرة دمشق لمحمد بن رائق ثم اتصل بالاخشيد فجعله على شرطته بمصر وفيها توفي سنان بن ثابت بن قرة مستهل ذي القعدة بعلة الذرب وكان حاذقا في الطب فلم يغن عنه عند دنو الاجل شيأ وفيها أيضا مات أبو عبد الله محمد ابن عبدوس الجهشياري

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة﴾

﴿ذكر مسير المتقي الى الموصل﴾

في هذه السنة أصعد المتقي لله الى الموصل وسبب ذلك ماذكرناه أولا من سعاية ابن مقلة والترجمان مع المتقي بتورون وابن شيرزاد ثم ان ابن شيرزاد وصل خامس المحرم الى بغداد في ثلثمائة غلام جريدة فازداد خوف المتقي وأقام ببغداد يأمر وينهى ولا يراجع المتقي في شئ وكان المتقي قد أنفذ اليه يطلب من ناصر الدولة بن حمدان انفاذ جيش اليه ليصحبوه الى الموصل فانفذهم مع ابن عمه أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فلما وصلوا الى بغداد نزلوا بباب حرب واستتر ابن شيرزاد وخرج المتقي اليهم في حرمه وأهله ووزيره وأعيان بغداد مثل سلامة الطولوني وأبي زكريا يحيى بن سعيد السوسي وأبي محمد المادرائي وأبي اسحق القراريطي وأبي عبد الله الموسوي وثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الطبيب وأبي نصر محمد بن ينال الترجمان وغيرهم ولما سار المتقي من بغداد ظلم ابن شيرزاد الناس وعسفهم وصادرهم وأرسل الى تورون وهو بواسط يخبره بذلك فلما بلغ تورون الخبر عقد ضمان واسط على البريدي وزوجه ابنته وسار الى بغداد وانحدر سيف الدولة وحده الى المتقي لله بتكريت فأرسل المتقي الى ناصر الدولة يستدعيه ويقول له لم يكن الشرط معك الا ان تنحدر الينا فانحدر فوصل الى تكريت في الحادي والعشرين من ربيع الآخر وركب المتقي اليه فلقيه بنفسه وأكرمه وأصعد الخليفة الى الموصل وأقام ناصر الدولة بتكريت وسار تورون نحو تكريت فالتقى هو وسيف الدولة بن حمدان تحت تكريت بفرسخين فاقتتلوا ثلاثة أيام ثم انهزم سيف الدولة يوم الاربعاء لثلاث بقين من ربيع الآخر وغنم تورون والاعراب سواده وسواد أخيه ناصر الدولة وعاد امن تكريت الى الموصل ومعهما المتقي لله وشغب أصحاب تورون فعاد الى بغداد وعاد سيف الدولة انحدر فالتقى هو وتورون بحربي في شعبان فانهزم سيف الدولة مرة ثانية وتبعه تورون ولما بلغ سيف الدولة الى الموصل سار عنها هو وأخوه ناصر الدولة والمتقي لله ومن معهم الى نصيبين ودخل تورون الموصل فسار المتقي الى الرقة ولحقه سيف الدولة وأرسل المتقي الى تورون يذكر انه استوحش منه لاتصاله بالبريدي وانهما صارا يدا واحدة فان أثر رضاه يصالح سيف الدولة وناصر الدولة ليعود الى بغداد وتردد أبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي من الموصل الى تورون في ذلك فتم الصلح وعقد الضمان على ناصر الدولة لما بيده من البلاد ثلاث سنين كل سنة بثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم وعاد تورون الى بغداد وأقام المتقي عند بني حمدان بالموصل ثم سار واعنها الى

وهو ابن تسعين سنة وحمل به ثلاث سنين وذلك في ربيع الاول وقيل انه صلى عليه ابن أبي ذئب على ماذكر من التنازع في وفاة ابن أبي ذئب وذكر الواقدي ان مالكا كان يأتي المسجد ويشهد الصلوات والجمع والجنائز ويعود المرضى ويقضي الحقوق ثم ترك ذلك كله ثم قيل له فيه فقال ليس كل انسان يقدر أن يتكلم بعذره وسعي به الى جعفر بن سليمان وقيل له انه لا يرى أيمان بيعتكم شيأ فضربه بالسياط ومدّه ذلك حتى انخلع كتفاه وفي السنة التي مات فيها مالك كانت وفاة حماد بن زيد وهي سنة تسع وسبعين ومائة وفي سنة احدى وستين ومائة مات عبد الله بن المبارك المروزي الفقيه بهيت بعد منصرفه من طرسوس وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة مات أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضي وهو ابن تسع وستين سنة وهو رجل من الانصار وولي القضاء سنة ست وستين ومائة في أيام خروج الهادي الى جرجان واقام على القضاء الى ان مات خمس عشرة سنة (قال المسعودي) وقد كانت أم جعفر كتبت مسئلة الى أبي يوسف تستفتيه فيها فأفتاها بما وافق مرادها على حسب ما أوجبه

الى الرقة فأقاموا بها

﴿ ذكر وصول معز الدولة الى واسط وديالى وعوده ﴾

وفي هذه السنة بلغ معز الدولة أبا الحسين بن بويه اصعاد تورون الى الموصل فسار هو الى واسط لميعاد من البريديين وكانوا قد وعدوه أن يمدوه بعسكر في الماء فاخلفوه وعاد تورون من الموصل الى بغداد وانحدر منها الى لقاء معز الدولة والتقوا سابع عشر ذي القعدة بقباب حميد وطالت الحرب بينهما بضعة عشر يوما الا ان أصحاب تورون يتأخرون والديلم يتقدمون الى ان عبر تورون نهر ديالى ووقف عليه ومنع الديلم من العبور وكان مع تورون مقاتلة في الماء في دجلة فكانوا يودون ان الديلم يستولون على أطرافهم فرأى ابن بويه ان يصعد على ديالى ليبعد عن دجلة وقتال من بها ويتمكن من الماء فعلم تورون بذلك فسير بعض أصحابه وعبروا ديالى وكمنوا فلما سار معز الدولة مصعدا وسار سواده في أثره خرج الكمين عليه فحالوا بينهما ووقعوا في العسكر وهو على غير تعبية وسمع تورون الصياح فتعجل وعبر أكثر أصحابه سباحة فوقعوا في عسكر ابن بويه يقتلون ويأسرون حتى ملوا وانهزم ابن بويه ووزيره الصيمري الى السوس رابع ذي الحجة ولحق به من سلم من عسكره وكان قد أسر منهم أربعة عشر قائدا منهم ابن الداعي العلوي واستأمن كثير من الديلم الى تورون ثم ان تورون عاوده ما كان يأخذه من الصرع فشغل بنفسه عن معز الدولة وعاد الى بغداد

﴿ ذكر قتل أبي يوسف البريدي ﴾

في هذه السنة قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف وكان سبب قتله ان أبا عبد الله البريدي كان قد نفد ما عنده من المال في محاربة بني حمدان ومقامهم بواسط وفي محاربة تورون فلما رأى جنده قلة ماله مالوا الى أخيه أبي يوسف لكثرة ماله فاستقرض أبو عبد الله من أخيه أبي يوسف مرة بعد مرة وكان يعطيه القليل من المال ويعيبه ويذكر تضييعه وسوء تدبيره وجنونه وتهوره فصح ذلك عند أبي عبد الله ثم صح عنده انه يريد القبض عليه أيضا والاستبداد بالامر وحده فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه ثم ان أبا عبد الله أنفذ الى أخيه جوهرا نفيسا كان بجكم قد وهبه لابنته لما تزوجها البريدي وكان قد أخذه من دار الخلافة فاخذه أبو عبد الله منها حين تزوجها فلما جاءه الرسول وأبلغه ذلك وعرض عليه الجوهر أحضر الجوهريين ليثمنوه فلما أخذوا في وصفه انكر عليهم ذلك وحرد ونزل في ثمنه الى خمسين ألف درهم وأخذ في الوقيعة في أخيه أبي عبد الله وذكر معايبه وما وصل اليه من المال وأنفذ مع الرسول خمسين ألف درهم فلما عاد الرسول الى أبي عبد الله ابلغه ذلك ودمعت عيناه وقال الا قلت له جنوني وقلة تحصيلي اقعدك هذا المقعد وصيرك كقارون ثم عدد ما عمله معه من الاحسان فلما كان بعد أيام اقام غلمانه في طريق مسقف بين داره والشط واقبل أخوه أبو يوسف من الشط فدخل في ذلك الطريق فثاروا به فقتلوه وهو يصيح يا أخي قتلوني وأخوه يسمعه ويقول الى لعنة الله فخرج أخوهما ابو الحسين من داره وكان بجنب دار أخيه أبي عبد الله وهو يستغيث يا أخي قتلته فسبه وهدده فسكت فلما قتل دفنه وبلغ ذلك الخبر الجند فثاروا وشغبوا وظنا منهم انه حي فامر به فنبش وألقاه على الطريق فلما رأوه سكنوا فامر به فدفن وانتقل أبو عبد الله الى دار أخيه أبي يوسف فاخذ ما فيها والجوهر في جملته ولم يحصل من مال أخيه على طائل فان اكثره انكسر على الناس وذهبت نفس أخيه

الشريعة عنده وأداه اجتهاده اليه فبعثت اليه بحق فضة فيه حقان في كل حق لون من الطيب وجام ذهب فيه دراهم وجام فضة فيه دنانير وغلمان وتخوت من ثياب وحمار وبغل فقال له بعض من حضره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال أبو يوسف تأولت الخبر على ظاهره والاستحسان قد منع من امضائه ذلك اذ كان هدايا الناس التمر واللبن لا في هذا الوقت وهدايا الناس اليوم العين الورق وغيره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

(وذكر الفضل بن الربيع) قال صار الى عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فقال ان موسى ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي قد أرادني على البيعة له فجمع الرشيد بينهما فقال الزبيري لموسى سعيتم علينا وأردتم نقض دولتنا فالتفت اليه موسى فقال ومن أنتم فغلب الرشيد الضحك حتى رفع رأسه الى السقف حتى لا يظهر منه ثم قال موسى يا أمير المؤمنين هذا الذي ترى المشنع على خروج والله مع أخي محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي على جدك المنصور وهو القائل من أبيات

(ذكر وفاة أبي عبد الله البريدي)

وفيها في شوّال مات أبو عبد الله البريدي بعد ان قتل أخاه بثمانية أشهر بحمى حادة واستتر في الامر بعده اخوه أبو الحسين فاساء السيرة الى الاجناد فثاروا به ليقتلوه ويجعلوا أبا القاسم بن اخيه أبي عبد الله مكانه فهرب منهم الى هجر واستجار بالقرامطة فاعانوه وسار معه اخوان لابي طاهر القرمطي في جيش الى البصرة فرأوا أبا القاسم قد حفظها فردهم عنها الحصر وه مدة ثم ضجروا وأصلحوا بينه وبين عمه وعادوا ودخل أبو الحسين البصرة فتجهز منها وسار الى بغداد فدخل على تورون ثم طمع ياس مولى أبي عبد الله البريدي في التقدم فواطأ قائدا من قواد الديلم على ان تكون الرياسة بينهما ويزيلا أبا القاسم مولاه فاجتمعت الديلم عند ذلك القائد فارسل أبو القاسم اليهم ياسا وهو لا يشعر بالامر فلما أتاهم ياس اشار عليهم بالتوقف فطمع فيه ذلك القائد الديلمي وأحب التفرد بالرياسة فامر به فضرب بزوجين في ظهره فجرح وهرب ياس واختفى ثم ان الديلم اختلفت كلمتهم فتفرقوا واختفى ذلك القائد فاخذ ونفي وأمر أبو القاسم البريدي بمعالجة ياس وقد ظهر له حاله فعولج حتى برأ ثم قبض عليه أبو القاسم بعد نيف وأربعين يوما وصادره على مائة ألف دينار وقتله واستقام أمر أبي القاسم الى ان أتاه أمر الله على مانذكره

(ذكر مراسلة المتقي تورون في العود)

وفيها أرسل المتقي لله الى تورون يطلب العود الى بغداد وسبب ذلك انه رأى من بني حمدان تضجرا به وايثار المفارقته فاضطر الى مراسلة تورون وأرسل الحسن بن هرون وأبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي اليه في الصلح فلقيهما تورون وابن شيرزاد بنهاية الرغبة فيه والحرص عليه فاستوثقا من تورون وحلفاه للمتقي لله وأحضر لليمين خلقا كثيرا من القضاة والعدول والعباسيين والعلويين وغيرهم من أصناف الناس وحلف تورون للمتقي والوزير وكتبوا خطوطهم بذلك وكان من أمر المتقي لله مانذكره سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة

(ذكر ملك الروس مدينة بردعة)

في هذه السنة خرجت طائفة من الروسية في البحر الى نواحي اذربيجان وركبوا في البحر في نهر الكر وهو نهر كبير فانتهوا الى بردعة فخرج اليهم نائب المرزبان ببردعة في جمع من الديلم والمطوعة يزيدون على خمسة آلاف رجل فلقوا الروس فلم يكن الا ساعة حتى انهزم المسلمون منهم وقتل الديلم عن آخرهم وتبعهم الروس الى البلد فهرب من كان له مركوب وترك البلد فنزله الروس ونادوا فيه بالامان فاحسنوا السيرة وأقبلت العساكر الاسلامية من كل ناحية فكانت الروس تقاتلهم فلا يثبت المسلمون لهم وكان عامة البلد يخرجون ويرجمون الروس بالحجارة ويصيحون بهم فينهاهم الروس عن ذلك فلم ينتهوا سوى العقلاء فانهم كفوا أنفسهم وسائر العامة والرعاع لا يضبطون انفسهم فلما طال ذلك عليهم نادى مناديهم بخروج أهل البلد منه وان لا يقيموا بعد ثلاثة أيام فخرج من كان له ظهر يحمله وبقي أكثرهم بعد الاجل فوضع الروسية فيهم السلاح فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا بعد القتل بضعة عشر ألف نفس وجمعوا من بقي بالجامع وقالوا اشتروا أنفسكم والا قتلناكم وسعى لهم انسان نصراني فقرر عن كل رجل عشرين درهما فلم يقبل منهم الا عقلاؤهم فلما رأى الروسية انه لا يحصل منهم شيء قتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم الا الشريد وغنموا أموال اهلها واستعبدوا السبي واختاروا من النساء من استحسنوها

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا ان الخلافة فيكم يابني حسن في شعر طويل وليس سعايته بأمير المؤمنين حبالك ولا مراعاة لدولتك ولكن بغضا لنا جميعا أهل البيت ولو وجد من ينتصر به علينا جميعا لكان معه وقد قال باطلا وأنا مستحلفه فان حلف أني قلت ذلك فدمي لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد احلف له ياعبد الله فلما اراده موسى على اليمين تلكأ وامتنع فقال له الفضل لم تمتنع وقد زعمت آنفا انه قال لك ماذكرته قال عبد الله فاني احلف له قال موسى قل تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته الى حولي وقوتي ان لم يكن ماحكيته عني حقا فحلف له فقال موسى الله أكبر حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن جده علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ماحلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب الا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث والله ماكذبت ولا كذبت وها أنا ياأمير المؤمنين بين يديك وفي قبضتك فتقدم بالتوكيل فان مضت ثلاثة أيام ولم يحدث على عبد الله بن مصعب حادث فدمي لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد للفضل خذ بيد موسى فليكن عندك حتى انظر في أمره قال الفضل فوالله ماصليت العصر من ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من دار عبد الله بن مصعب

﴿ذكر مسير المرزبان اليهم والظفر بهم﴾

لما فعل الروس بأهل بردعة ما ذكرناه استعظمه المسلمون وتنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد الناس واستنفرهم فبلغ عدة من معه ثلاثين ألفا وسار بهم فلم يقاوم الروسية وكان يغاديهم القتال ويراوحهم فلا يعود الا مفلولا فبقوا كذلك أياما كثيرة وكان الروسية قد توجهوا نحو مراغة فاكثروا من أكل الفواكه فاصابهم الوباء وكثرت الامراض والموت فيهم ولما طال الامر على المرزبان اعمل الحيلة فرأى ان يكمن كمينا ثم يلقاهم في عسكره ويتطارد لهم فاذا خرج الكمين عاد عليهم فتقدم الى أصحابه بذلك ورتب الكمين ثم لقيهم واقتتلوا فتطارد لهم المرزبان وأصحابه وتبعهم الروسية حتى جازوا موضع الكمين فاستمر الناس على هزيمتهم لا يلوي أحد على أحد فحكى المرزبان قال صحت بالناس ليرجعوا فلم يفعلوا لما تقدم في قلوبهم من هيبة الروسية فعلمت انه ان استمر الناس على الهزيمة قتل الروس أكثرهم ثم عادوا الى الكمين ففطنوا بهم فقتلوهم عن آخرهم قال فرجعت وحدي وتبعني أخي وصاحبي ووطنت نفسي على الشهادة فحينئذ عاد أكثر الديلم استحياء فرجعوا وقاتلناهم ونادينا بالكمين بالعلامة بيننا فخرجوا من ورائهم وصدقناهم القتال فقتلنا منهم خلقا كثيرا منهم أميرهم والتجأ الباقون الى حصن البلد وتسمى شهرستان وكانوا قد نقلوا اليه ميرة كثيرة وجعلوا معهم السبي والاموال فحاصرهم المرزبان وصابرهم فأتاه الخبر بان أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان قد سار الى اذربيجان وانه واصل الى سلماس وكان ابن عمه ناصر الدولة قد سيره ليستولي على اذربيجان فلما بلغ الخبر الى المرزبان ترك على الروسية من يحاصرهم وسار الى ابن حمدان فاقتتلوا ثم نزل الثلج فتفرق أصحاب ابن حمدان لان أكثرهم اعراب ثم أتاه كتاب ناصر الدولة يخبره بموت تورون وانه يريد الانحدار الى بغداد ويأمره بالعود اليه فرجع وأما أصحاب المرزبان فانهم أقاموا يقاتلون الروسية وزاد الوباء على الروسية فكانوا اذا دفنوا الرجل دفنوا معه سلاحه فاستخرج المسلمون من ذلك شيأ كثيرا بعد انصراف الروس ثم انهم خرجوا من الحصن ليلا وقد حملوا على ظهورهم ما أرادوا من الاموال وغيرها ومضوا الى الكر وركبوا في سفنهم ومضوا وعجز أصحاب المرزبان عن اتباعهم وأخذ ما معهم فتركوهم وطهر الله البلاد منهم

﴿ذكر خروج ابن اشكام على نوح﴾

وفي هذه السنة خالف عبد الله بن اشكام على الامير نوح وامتنع بخوارزم فسار نوح من بخارا الى مرو بسببه وسير اليه جيشا وجعل عليهم ابراهيم بن بارس وسار وا نحوه فمات ابراهيم في الطريق وكاتب ابن اشكام ملك الترك وراسله واحتمى به وكان لملك الترك ولد في يد نوح وهو محبوس ببخارا فراسل نوح أباه في اطلاقه ليقبض على ابن اشكام فاجابه ملك الترك الى ذلك فلما علم ابن اشكام الحال عاد الى طاعة نوح وفارق خوارزم فاحسن اليه نوح وأكرمه وعفا عنه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في رمضان مات أبو طاهر الهجري رئيس القرامطة اصابه جدري فمات وكان له ثلاثة اخوة منهم أبو القاسم سعيد بن الحسن وهو الاكبر وابو العباس الفضل بن الحسن وهذان كانا يتفقان مع أبي طاهر على الرأي والتدبير وكان لهم أخ ثالث لا يجتمع بهما وهو مشغول بالشرب واللهو وفيها في جمادى الاولى غلت الاسعار ببغداد حتى بيع القفيز الواحد من الدقيق

فأمرت من يتعرف خبره فعرفت انه اصابه الجذام وانه قد تورم واسود فصرت اليه فوالله ما كدت أعرفه لانه قد صار كالزق العظيم ثم اسود حتى صار كالفحم فصرت الى الرشيد فعرفته خبره فما انقضى كلامي حتى أتى خبر وفاته فبادرت بالخروج وأمرت بتعجيل أمره والفراغ منه وتوليت الصلاة عليه فلما دلوه في حفرته لم يستقر فيها حتى انخسفت به وخرجت منه رائحة مفرطة النتن فرأيت احمال شوك تمر في الطريق فقلت علي بألواح ساج فطرحت على موضع قبره ثم طرح التراب عليها وانصرفت الى الرشيد فعرفته الخبر فأكثر التعجب من ذلك وأمرني بتخلية موسى بن عبد الله رضي الله عنه وان أعطيه ألف دينار وأحضر الرشيد موسى فقال له لم عدلت عن اليمين المتعارفة بين الناس قال لانا روينا عن جدنا علي رضي الله عنه انه قال من حلف بيمين مجد الله فيها استحى الله من تعجيل عقوبته وما من أحد حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته الا عجل الله العقوبة قبل ثلاث وقيل ان صاحب هذا الخبر هو يحيى بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي أخو موسى بن عبد الله رضوان الله عليهم وكان يحيى قد سار الى الديلم مستجيرا فباعه صاحب الديلم من عامل الرشيد بمائة ألف درهم فقتل اه وقد روي من وجه آخر على وجه حسب

الخشكار بنيف وستين درهما والخبز الخشكاري ثلاثة ارطال بدرهم وكانت الامطار كثيرة مسرفة جدا حتى خربت المنازل ومات خلق كثير تحت الهدم ونقصت قيمة العقار حتى صار ما كان يساوي دينارا يباع بأقل من درهم حقيقة وما يسقط من الابنية لا يعاد وتعطل كثير من الحمامات والمساجد والاسواق لقلة الناس وتعطل كثير من أتاتين الآجر لقلة البناء ومن يضطر اليه اجترى بالانقاض وكثرت الكبسات من اللصوص بالليل والنهار من أصحاب ابن حمدي وتحارس الناس بالبوقات وعظم أمر ابن حمدي فاعجز الناس وأمنه ابن شيرزاد وخلع عليه وشرط معه ان يوصله كل شهر خمسة عشر ألف دينار مما يسرقه هو وأصحابه وكان يستوفيها من ابن حمدي بالروزات فعظم شره حينئذ وهذا ما لم يسمع بمثله ثم ان أبا العباس الديلمي صاحب الشرطة ببغداد ظفر بابن حمدي فقتله في جمادى الآخرة فخف عن الناس بعض ما هم فيه وفيها في شعبان وهو الواقع في نيسان ظهر في الجو شئ كثير يستر عين الشمس ببغداد فتوهمه الناس جرادا لكثرته ولم يشكوا في ذلك الى ان سقط منه شئ على الارض فاذا هو حيوان يطير في البساتين وله جناحان قائمان منقوشان فاذا أخذ الانسان جناحه بيده بقي أثر ألوان الجناح في يده ويعدم الجناح يسميه الصبيان طحان الذريرة وفيها استولى معز الدولة على واسط وانحدر من كان من أصحاب البريدي فيها الى البصرة وفيها قبض سيف الدولة بن حمدان على محمد بن ينال الترجمان بالرقة وقتله وسبب ذلك انه قد بلغه انه قد واطأ المتقي على الايقاع بسيف الدولة وفيها عرض لتورون صرع وهو جالس للسلام والناس بين يديه فقام ابن شيرزاد ومد في وجهه ما ستره عن الناس فصرفهم وقال انه قد ثار به خمار لحقه وفيها ثار نافع غلام يوسف بن وجيه صاحب عمان على مولاه يوسف وملك البلد بعده وفيها دخل الروم رأس عين في ربيع الاول فاقاموا بها ثلاثة أيام ونهبوها وسبوا من أهلها وقصدهم الاعراب فقاتلوهم ففارقها الروم وكان الروم في ثمانين ألفا مع الدمستق وفيها في ربيع الاول استعمل ناصر الدولة بن حمدان أبا بكر محمد بن علي بن مقاتل على طريق الفرات وديار مضر وجند قنسرين والعواصم وحمص وانفذه اليها من الموصل ومعه جماعة من القواد ثم استعمل بعده في رجب من السنة ابن عمه أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان على ذلك فلما وصل الى الرقة منعه أهلها فقاتلهم وظفر بهم وأحرق من البلد قطعة وأخذ رؤساء أهلها وسار الى حلب

❁ (ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة) ❁

❁ (ذكر مسير المتقي الى بغداد وخلعه) ❁

كان المتقي لله قد كتب الى الاخشيد محمد بن طغج متولي مصر يشكو حاله ويستقدمه اليه فاتاه من مصر فلما وصل الى حلب سار عنها أبو عبد الله بن سعيد بن حمدان وكان ابن مقاتل بها معه فلما علم برحيله عنها اختفى فلما قدم الاخشيد اليها ظهر اليه ابن مقاتل فاكرمه الاخشيد واستعمله على خراج مصر وانكسر عليه ما بقي من المصادرة التي صادره بها ناصر الدولة بن حمدان ومبلغه خمسون ألف دينار وسار الاخشيد من حلب فوصل الى المتقي منتصف محرم وهو بالرقة فاكرمه المتقي واحترمه ووقف الاخشيد وقوف الغلمان ومشى بين يديه فامره المتقي بالركوب فلم يفعل الى ان نزل المتقي وحمل الى المتقي هدايا عظيمة والى الوزير أبي الحسين بن مقلة وسائر الاصحاب واجتهد بالمتقي ليسير معه الى مصر والشام ويكون بين يديه فلم يفعل وأشار عليه بالمقام مكانه ولا يرجع الى بغداد وخوفه من تورون فلم يفعل وأشار على ابن مقلة ان يسير معه الى مصر

تباين النسخ وطرق الرواية في ذلك في كتب الانسان والتواريخ ان يحيى القي في بركة فيها سباع قد جوعت فامسكت عن أكله ولاذت بناحيته وهابت الدنو منه فبني عليه ركن بالجص والحجر وهو حي وقد كان محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي كرم الله وجهه سار الى مصر فطلب فدخل المغرب واتصل ببلاد تاهرت السفلى واجتمع اليه خلق من الناس فظهر فيهم بعدل وحسن استقامة فمات هنالك مسموما وقد أتينا على كيفية خبره وما كان من أمره في كتاب حدائق الاذهان في أخبار أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان وفي سنة ثمان وثمانين ومائة حج الرشيد وهي آخر حجة حجها فذكر عن أبي بكر ابن عياش وكان من علية أهل العلم انه قال وقد اجتاز الرشيد بالكوفة في حال منصرفه من هذه الحجة لا يعود الى هذه الطريق ولا خليفة من بني العباس بعده ابدا فقيل له أضرب من الغيب قال نعم قيل بوحي قال نعم قيل اليك قال لا الى محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك خبر عنه عليه السلام المقتول في هذا الموضع وأشار الى الموضع الذي قتل فيه بالكوفة رضي الله عنه وفي سنة تسع وثمانين ومائة وذلك في أيام الرشيد

ليحكمه في جميع بلاده فلم يجبه الى ذلك لخوفه أيضا من توزون وكان ابن مقلة يقول بعد ذلك نصحني الاخشيد فلم أقبل نصيحته وكان قد أنفذ رسلا الى توزون في الصلح على ما ذكرناه فحلفوا توزون للخليفة والوزير فلما حلف كتب الرسل الى المتقي بذلك فكتب اليه الناس أيضا بما شاهدوا من تأكيد اليمين فانحدر المتقي من الرقة في الفرات الى بغداد لاربع بقين من المحرم وعاد الاخشيد الى مصر فلما وصل المتقي الى هيت أقام بها وأنفذ من يجدد اليمين على توزون فعاد وحلف وسار عن بغداد لعشر بقين من صفر ليلتقي مع المتقي فالتقى معه بالسندية فنزل توزون وقبل الارض وقال ها أنا قد وفيت بيميني والطاعة لك ثم وكل به وبالوزير وبالجماعة وأنزلهم في مضرب نفسه مع حرم المتقي ثم كحله فاذهب عينيه فلما سمله صاح وصاح من عنده من الحرم والخدم وارتجت الدنيا فامر توزون بضرب الدبادب لئلا تظهر أصواتهم فخفيت أصواتهم وعمي المتقي لله وانحدر توزون من الغد الى بغداد والجماعة في قبضته وكانت خلافة المتقي لله ثلاث سنين وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما وكان أبيض أشهل العينين وأمه أم ولد اسمها خلوب وكانت وزارة ابن مقلة سنة واحدة وخمسة أشهر واثني عشر يوما

(ذكر خلافة المستكفي بالله)

هو المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بالله علي بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق بن المتوكل على الله يجتمع هو والمتقي لله في المعتضد لما قبض توزون على المتقي لله أحضر المستكفي اليه الى السندية وبايعه هو وعامة الناس وكان سبب البيعة له ما حكاه أبو العباس التميمي الرازي وكان من خواص توزون قال كنت أنا السبب في البيعة للمستكفي وذلك انني دعاني ابراهيم بن الزوبينذار الديلمي فضيت اليه فذكر لي انه تزوج الى قوم وان امرأة منهم قالت له ان هذا المتقي قد عاداكم وعاديتموه وكاشفكم ولا يصفو قلبه لكم وههنا رجل من أولاد الخلفاء من ولد المكتفي وذكرت عقله وأدبه ودينه تنصبونه للخلافة فيكون صنيعتكم وغرسكم ويدلكم على أموال جليلة لا يعرفها غيره وتستريحون من الخوف والحراسة قال فعلمت ان هذا أمر لا يتم الا بك فدعوتك له فقلت أريد أن اسمع كلام المرأة فجاءني بها فرأيت امرأة عاقلة جزلة فذكرت لي نحوا من ذلك فقلت لابد أن ألقى الرجل فقالت تعود غدا الى ههنا حتى أجمع بينكما فعدت اليها من الغد فوجدته قد أخرج من دار ابن طاهر في زي امرأة فعرفني نفسه وضمن اظهار ثمانمائة ألف دينار منها مائة ألف لتوزون وذكر وجوهها وخاطبني خطاب رجل فهم عاقل ورأيته يتشيع قال فانيت توزون فاخبرته فوقع كلامي بقلبه وقال أريد ان ابصر الرجل فقلت لك ذلك ولكن اكتم أمرنا من ابن شيرزاد فقال أفعل وعدت اليهم وأخبرتهم الذي ذكر ووعدتهم حضور توزون من الغد فلما كان ليلة الاحد لاربع عشرة خلت من صفر مشيت مع توزون مستخفين فاجتمعنا به وخاطبه توزون وبايعه تلك الليلة وكتم الامر فلما وصل المتقي قلت لتوزون لما لقيه أنت على ذلك العزم قال نعم قلت فافعله الساعة فانه ان دخل الدار بعد عليك من اسمه فوكل به وسمله وجرى ما جرى وبويع المستكفي بالخلافة يوم خلع المتقي وأحضر المتقي فبايعه وأخذ منه البردة والقضيب وصارت تلك المرأة قهرمانة المستكفي وسمت نفسها علم وغلبت على أمره كله واستوزر المستكفي بالله أبا الفرج محمد بن علي الساري يوم الاربعاء لست بقين من صفر ولم يكن له الا اسم الوزارة والذي يتولى الامور ابن شيرزاد وحبس المتقي وخلع المستكفي بالله على توزون خلعة وتاجا وطلب المستكفي بالله أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله وهو الذي ولي الخلافة

وكذلك مات محمد بن الحسن الشيباني القاضي ويكنى أبا عبد الله ودفن بالري وهو مع الرشيد وتطير من وفاة محمد ابن الحسن لرؤيا كان رآها في نومه اهـ وفي هذه السنة كانت وفاة يحيى بن برمك ابن خالد وفي سنة ثمان وثمانين ومائة كان سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فحدث غوث بن المدرع عن الرياشي قال سمعت الاصمعي يقول كنت عند الرشيد وأتى بعبد الملك بن صالح يرفل في قيوده فلما نظر اليه قال هيه يا عبد الله كاني انظر اليك وشؤبوبها قد همع وعارضها قد لمع وكاني بالوليد قد أقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم مهلا مهلا بني هاشم والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت اليكم الامور أزمتها فخذوا حذركم مني قبل حلول داهية خبوط باليد والرجل فقال له عبد الملك أفذا أتكلم أو توأما فقال بل توأما فقال فاتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك وراقبه في رعاياك التي استرعاك فقد سهلت لك والله الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصدور وكنت كما قال أخو كعب بن

كلاب ومقام ضيق فرجته * بلسان أو بيان أو جدل

ولقب المطيع لله لانه كان يعرفه بطلب الخلافة فاستتر مدة خلافة المستكفى فهدمت داره التى على دجلة عند دار ابن طاهر حتى لم يبق منها شئ

﴿ذكر خروج أبى يزيد الخارجى بافريقية﴾

فى هذه السنة اشتدت شوكة أبى يزيد بافريقية وكثر اتباعه وهزم الجيوش وكان ابتداء أمره انه من زناتة واسم والده كنداد من مدينة توزر من قسطيلية وكان يختلف الى بلاد السودان لتجارة فولد له بها أبو يزيد من جارية هوارية فاتى بها الى توزر فنشأ بها وتعلم القرآن وخالط جماعة من النكارية فمالت نفسه الى مذهبهم ثم سافر الى تاهرت فاقام بها يعلم الصبيان الى ان خرج أبو عبد الله الشيعى الى سجلماسة فى طلب المهدى فانتقل الى تقيوس واشترى ضيعة وأقام يعلم فيها وكان مذهبه تكفير أهل الملة واستباحة الاموال والدماء والخروج على السلطان فابتدأ يحتسب على الناس فى أفعالهم ومذاهبهم فصار له جماعة يعظمونه وذلك أيام المهدى سنة ست عشرة وثلثمائة ولم يزل على ذلك الى ان اشتدت شوكته وكثر تبعه فى أيام القائم ولد المهدى فصار يغير ويحرق ويفسد وزحف الى بلاد القائم وحاصر باغاية وهزم الجيوش الكثيرة عليها ثم حاصر قسطيلية سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وفتح تبسة ومجانة وهدم سورها وأمن أهلها ودخل مرمجنة فلقيه رجل من أهلها وأهدى له حمارا أشهب مليح الصورة فركبه أبو يزيد من ذلك اليوم وكان قصيرا أعوج يلبس جبة صوف قصيرة قبيح الصورة ثم انه هزم كتامة وأنفذ طائفة من عسكره الى سبيبة ففتحها وصلب عاملها وسار الى الاربس ففتحها وأحرقها ونهبها وجاء الناس الى الجامع فقتلهم فيه فلما اتصل ذلك باهل المهدية استعظموه وقالوا للقائم الاربس باب افريقية ولو أخذت زالت دولة بنى الاغلب فقال لابد أن يبلغ أبو يزيد المصلى وهو أقصى غايته ثم ان القائم أخرج الجيوش لضبط البلاد فاخرج جيشا الى رقادة وجيشا الى القيروان وجمع العساكر فخاف أبو يزيد وعول على أخذ بلاد افريقية واخرابها وقتل أهلها وسير القائم الجيش الذى اجتمع له مع فتاه ميسور وسير بعضه مع فتاه بشرى الى باجة فلما بلغ أبا يزيد خبر بشرى ترك اثقاله وسار جريدة اليه فالتقوا بباجة فانهزم عسكر أبى يزيد وبقى فى نحو أربعمائة مقاتل فقال لهم ميلوا بنا نخالفهم الى خيامهم ففعلوا ذلك فانهزم بشرى الى تونس وقتل من عسكره كثير من وجوه كتامة وغيرهم ودخل أبو يزيد باجة فاحرقها ونهبها وقتلوا الاطفال وأخذوا النساء وكتب الى القبائل يدعوهم الى نفسه فاتوه وعمل الاخبية والبنود وآلات الحرب ولما وصل بشرى الى تونس جمع الناس وأعطاهم الاموال فاجتمع اليه خلق كثير فجهزهم وسيرهم الى أبى يزيد وسير اليهم أبو يزيد جيشا فالتقوا واقتتلوا فانهزم أصحاب أبى يزيد ورجع أصحاب بشرى الى تونس غانمين ووقعت فتنة فى تونس ونهب أهلها دار عاملها فهرب وكاتبوا أبا يزيد فاعطاهم الامان وولى عليهم رجلا منهم يقال له رحمون وانتقل الى فحص أبى صالح وخافه الناس فانتقلوا الى القيروان وأتاه كثير منهم خوفا ورعبا وأمر القائم بشرى ان يتجسس اخبار أبى يزيد فمضى نحوه وبلغ الخبر الى أبى يزيد فسير اليهم طائفة من عسكره وأمر مقدمهم ان يقتل ويمثل وينهب ليرعب قلوب الناس ففعل ذلك والتقى هو وبشرى فاقتتلوا وانهزم عسكر أبى يزيد وقتل منهم أربعة آلاف وأسر خمسمائة أسير هم بشرى الى المهدية فى السلاسل فقتلهم العامة

﴿ذكر استيلاء أبى يزيد على القيروان ورقادة﴾

لما انهزم أصحاب أبى يزيد غاظه ذلك وجمع الجموع ورحل وسار الى قتال الكاميين فوصل الى

عبد الملك عند الرشيد فقال له يا عبد الملك بلغنى انك حقود فقال أصلح الله الوزير ان يكن الحقد هو بقاء الخير والشر عندى انهما الباقيان فى قلبى فالتفت الرشيد الى الاصمعى فقال يا أصمعى حررها فوالله ما احتج أحد للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ثم أمر به فرد الى محبسه ثم التفت الى الاصمعى فقال والله يا أصمعى لقد نظرت الى موضع السيف من عنقه مرارا يمنعنى من ذلك ابقائى على قومى فى مثله (حدث) يوسف بن ابراهيم بن المهدى قال حدثنى سليمان الخادم الخراسانى مولى الرشيد انه كان واقفا على رأس الرشيد بالحيرة وهو يتغدى اذ دخل عليه عون العبادى وكان صاحب الحيرة وفى يده صحفة فيها سمكة منعوتة السمن فوضعها بين يديه ومعه محبس قد اتخذ لها فحاول الرشيد أكل شئ منها فمنعه جبريل بن بختيشوع وأشار جبريل الى صاحب المائدة ان يشيلها عن المائدة ويعزلها له ففطن له الرشيد فلما رفعت المائدة وغسل الرشيد يده وخرج جبريل أمرنى الرشيد باتباعه وان اكبسه فى منزله وهو يأكل فأرجع اليه بخبره ففعلت ما أمرنى وأحسب ان أمرى لم يخف على جبريل فيما تبينت من تحرزه وانه صار

الجزيرة وتلاقت الطلائع وجرى بينهم قتال فانهزمت طلائع الكتاميين وتبعهم البربر الى رقادة ونزل أبو يزيد بالغرب من القيروان فى مائة ألف مقاتل ونزل من الغد شرقى رقادة وعاملها خليل لا يلتفت الى أبى يزيد ولا يبالى به والناس يأتونه ويخبرونه بقربهم فامر أن لا يخرج أحد لقتال وكان ينتظر وصول ميسور فى الجيش الذى معه فلما علم أبو يزيد ذلك زحف الى البلد ببعض عسكره فانشبوا القتال فجرى بينهم قتال عظيم قتل فيه من أهل القيروان خلق كثير فانهزموا وخليل لم يخرج معهم فصاح به الناس فخرج متكارها من باب تونس وأقبل أبو يزيد فانهزم خليل بغير قتال ودخل القيروان ونزل بداره وأغلق بابها ينتظر وصول ميسور وفعل كذلك أصحابه ودخل البربر المدينة فقتلوا وأفسدوا وقاتل بعض الناس فى اطراف البلد وبعث أبو يزيد رجلا من أصحابه اسمه أيوب الزويلى الى القيروان بعسكر فدخلها أواخر صفر فنهب البلد وقتل وعمل اعمالا عظيمة وحصر خليلا فى داره فنزل هو ومن معه بالامان فحمل خليل الى أبى يزيد فقتله وخرج شيوخ أهل القيروان الى أبى يزيد وهو برقادة فسلموا عليه وطلبوا الامان فماطلهم وأصحابه يقتلون وينهبون فعاودوا الشكوى وقالوا اخربت المدينة فقال وما يكون خربت مكة والبيت المقدس ثم أمر بالامان وبقى طائفة من البربر ينهبون فاتاهم الخبر بوصول ميسور فى عساكر عظيمة فخرج عند ذلك البربر من المدينة خوفا منه وقارب ميسور مدينة القيروان واتصل الخبر بالقائم ان بنى كملان قد كاتب بعضهم أبا يزيد على ان يمكنوه من ميسور فكتب الى ميسور يعرفه ويحذره ويأمره بطردهم فرجعوا الى أبى يزيد وقالوا له ان عجلت ظفرت فسار من يومه فالتقوا واشتد القتال بينهم وانهزمت ميسرة أبى يزيد فلما رأى أبو يزيد ذلك حمل على ميسور فانهزم أصحاب ميسور فعطف ميسور فرسه فكبا به فسقط عنه وقاتل أصحابه عليه ليمنعوه فقصده بنو كملان الذين طردهم فاشتد القتال حينئذ فقتل ميسور وحمل رأسه الى أبى يزيد وانهزم عامة عسكره وسير الكتب الى عامة البلاد يخبر بهذا الظفر وطيف برأس ميسور بالقيروان واتصل خبر الهزيمة بالقائم فخاف هو ومن معه بالمهدية وانتقل أهلها من ارباضها الى البلد فاجتمعوا واحتموا بسوره فمنعهم القائم ووعدهم الظفر فعادوا الى زويلة واستعدوا للحصار واقام أبو يزيد شهرين وثمانية أيام فى خيم ميسور وهو يبعث السرايا الى كل ناحية فيغنمون ويعودون وأرسل سرية الى سوسة ففتحوها بالسيف وقتلوا الرجال وسبوا النساء وأحرقوها وشقوا فروج النساء وبقروا البطون حتى لم يبق موضع فى افريقية معمور ولا سقف مرفوع ومضى جميع من بقى الى القيروان حفاة عراة ومن تخلص من السبى مات جوعا وعطشا وفى آخر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة أمر القائم بحفر الخنادق حول ارباض المهدية وكتب الى زيرى بن مناد سيد صنهاجة والى سادات كتامة والقبائل يحثهم على الاجتماع بالمهدية وقتال النكار فتأهبوا للمسير الى القائم

(ذكر حصار أبى يزيد المهدية)

لما سمع أبو يزيد بتأهب صنهاجة وكتامة وغيرهم لنصرة القائم خاف ورحل من ساعته نحو المهدية فنزل على خمسة عشر ميلا منها وبث سراياه الى ناحية المهدية فانتهبت ما وجدت وقتلت من أصابت فاجتمع الناس الى المهدية واتفقت كتامة وأصحاب القائم على ان يخرجوا الى أبى يزيد ليضربوا عليه فى معسكره لما سمعوا أن عسكره قد تفرق فى الغارة فخرجوا يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الاولى من السنة وبلغ ذلك أبا يزيد وقد أتاه ولده فضل بعسكر من القيروان

الى موضع من دار عون ودعا بالطعام فاحضر له وفيه السمكة فدعا باقداح ثلاث فجعل فى واحد منها قطعة من السمك وصب عليها من خمر طبريان (وهى قرية بين الكوفة والقادسية ذات كروم وأشجار ونخل ورياض تخرقها الانهار من كل البقاع من الفرات شرابها موصوف بالجودة كوصف القطربلى) فصبه على السمكة وقال هذا أكل جبريل وجعل فى قدح آخر قطعة منها وصب عليها ماء بثلج شديد البرودة وقال هذا أكل أمير المؤمنين أعزه الله ان لم يخلط السمك بغيره وجعل فى القدح الثالث قطعا من اللحم من ألوان مختلفة من شواء ومن حلوى ومن بوارد وبقول ومن سائر ماقدم اليه من الالوان من كل واحد منها جزأ يسيرا مثل اللقمة واللقمتين وصب عليها ماء بثلج وقال هذا أكل أمير المؤمنين ان خلط السمك بغيره ودفع الثلاثة الاقداح الى صاحب المائدة وقال احتفظ بها الى ان ينتبه أمير المؤمنين أعزه الله ثم أقبل جبريل على السمكة فأكل منها حتى تضلع وكان كلما عطش دعا بقدح من الخمر الصرف فشربه ثم قام فلما انتبه الرشيد من نومه سألنى عما عندى من خبر جبريل وهل أكل من السمكة شيأ أم لم يأكل فأخبرته بالخبر فأمر باحضار الاقداح الثلاثة فوجد ما فى القدح الاول وهو الذى ذكر جبريل انه اكله وصب عليه الخمر

فوجههم الى قتال كتامة وقدم عليهم ابنه فالتقوا على ستة أميال من المهدية واقتتلوا وبلغ الخبر أبا يزيد فركب بجميع من بقي معه فلقي أصحابه منهزمين وقد قتل كثير منهم فلما رآه الكتاميون انهزموا من غير قتال وأبو يزيد في أثرهم الى باب الفتح واقتحم قوم من البربر فدخلوا باب الفتح فانصرف أبو يزيد على المهدية ثم رجع الى منزله ثم تقدم الى المهدية في جمادى الآخرة فاتى باب الفتح ووجه زويلة الى باب بكر ثم وقف هو على الخندق المحدث وبه جماعة من العبيد فناشبهم أبو يزيد القتال على الخندق ثم اقتحم أبو يزيد ومن معه البحر فبلغ الماء صدور الدواب حتى جاوزوا السور المحدث فانهزم العبيد وأبو يزيد في طلبهم ووصل أبو يزيد الى باب المهدية عند المصلى الذي للعيد وبينه وبين المهدية رمية سهم وتفرق أصحابه في زويلة ينهبون ويقتلون وأهلها يطلبون الامان والقتال عند باب الفتح بين كتامة والبربر وهم لا يعلمون ما صنع أبو يزيد في ذلك الجانب فحمل الكتاميون على البربر فهزموهم وقتلوا فيهم وسمع أبو يزيد بذلك ووصول زيري بن مناد في صنهاجة فخاف المقام فقصد باب الفتح ليأتي زيري وكتامة من ورائهم بطبوله وبنوده فلما رأى أهل الارباض ذلك ظنوا أن القائم قد خرج بنفسه من المهدية فكبروا وقويت نفوسهم واشتد قتالهم فتحير أبو يزيد وعرفه أهل تلك الناحية فمالوا عليه ليقتلوه فاشتد القتال عنده فهدم بعض أصحابه حائطا وخرج منه فتخلص ووصل الى منزله بعد المغرب وهم يقاتلون العبيد فلما رأوه قويت قلوبهم وانهزم العبيد وافترقوا ثم رحل أبو يزيد الى ترنوطة وحفر على عسكره خندقا واجتمع اليه خلق عظيم من افريقية والبربر ونفوسة والزاب واقاصي المغرب فحصر المهدية حصارا شديدا ومنع الناس من الدخول اليها والخروج منها ثم زحف اليها السبع بقين من جمادى الآخرة من السنة فجرى قتال عظيم قتل جماعة من وجوه عسكر القائم واقتحم أبو يزيد بنفسه حتى وصل الى قرب الباب فعرفه بعض العبيد فقبض على لجامه وصاح هذا أبو يزيد فاقتلوه فاتاه رجل من أصحاب أبي يزيد فقطع يده وخلص أبو يزيد فلما رأى شدة قتال أصحاب القائم كتب الى عامل القيروان يأمره بارسال مقاتلة أهلها اليه ففعل ذلك فوصلوا اليه فزحف بهم آخر رجب فجرى قتال شديد انهزم فيه أبو يزيد هزيمة منكرة وقتل فيها جماعة من أصحابه وأكثر أهل القيروان ثم زحف الزحفة الرابعة في العشر الآخر من شوال فجرى قتال عظيم وانصرف الى منزله وكثر خروج الناس من الجوع والغلاء ففتح عند ذلك القائم الاهراء التي عملها المهدي وملأها طعاما وفرق ما فيها على رجاله وعظم البلاء على الرعية حتى أكلوا الدواب والميتة وخرج من المهدية أكثر السوقة والتجار ولم يبق بها سوى الجند فكان البربر يأخذون من خرج ويقتلونهم ويشقون بطونهم طلبا للذهب ثم وصلت كتامة فنزلت بقسنطينة فخاف أبو يزيد فسار رجل من عسكره في جمع عظيم من ورفجومة وغيرهم الى كتامة فقاتلهم فهزمهم فتفرقوا وكان البربر يأتون الى أبي يزيد من كل ناحية وينهبون ويقتلون ويرجعون الى منازلهم حتى أفنوا ما كان في افريقية فلما لم يبق ما ينهب توقفوا عن المجيء اليه فلم يبق معه سوى اهل أوراس وبني كملان فلما علم القائم تفرق عساكره أخرج عسكره اليه وكان بينهم قتال شديد لست خلون من ذي القعدة من سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ثم صبحوهم من الغد فلم يخرج اليهم أحد وكان أبو يزيد قد بعث في طلب الرجال من اوراس ثم زحفت عساكر القائم اليه فخرج من خندقه واقتتلوا واشتد بينهم القتال فقتل من أصحاب أبي يزيد جماعة منهم رجل من وجوه أصحابه فعظم قتله عليه ودخل خندقه ثم عاود القتال فهبت ريح شديدة مظلمة فكان الرجل لا يبصر صاحبه فانهزم عسكر

القائم

الصرف قد تفتت وانماع واختلط ووجد مافي القدح الثاني الذي قال جبريل أنه أكل أمير المؤمنين وصب عليه الماء الثلج قدرا وصار على النصف مما كان ونظر الى القدح الثالث الذي قال جبريل وهذا أكل أمير المؤمنين ان خالط السمك بغيره قد تغيرت رائحته وحدثت له سهوكة كاد الرشيدان يتقايأ حين قرب منه وأمر بحمل خمسة آلاف دينار الى جبريل وقال من يلومني على محبة هذا الرجل الذي يدبرني بهذا التدبير فاوصلت اليه المال (وذكر) عبد الله بن مالك الخزاعي وكان على دار الرشيد وشرطته قال اتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي فراعني ذلك فلما صرت الى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فاذن لي في الدخول فدخلت فوجدته قاعدا على فراشه فسلمت فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعف الجزع ثم قال لي يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال اني رأيت الساعة في منامي كأن حبشيا قد أتاني ومعه حربة فقال ان لم تخل عن موسى ابن جعفر الساعة والا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخل عنه فقلت يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ثلاثا قال نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين ألف درهم وقل له ان احببت

القائم وقتـل منهم جماعة وعاد الحصار على ما كان عليه وهرب كثير من أهـل المهدية الى جزيرة صقلية وطرابلس ومصر وبلد الروم وفى آخر ذى القعدة اجتمع عند أبى يزيد جموع عظيمة وتقدم الى المهدية فقاتل عليها فتخـير الكتاميون منهم مائتى فارس فحملوا حملة رجـل واحد فقتـلوا فى أصحابه كثيرا وأسروا امثالهم وكادوا يصلون اليه فقاتل أصحابه دونه وخلصوه وفرح أهل المهدية وأخذوا الاسرى فى الحبال الى المهدية ودخلت سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وهو مقيم على المهدية وفى المحرم منها ظهر بافريقية رجـل يدعو الناس الى نفسه فاجابه خلق كثـير وأطاعوه وادعى انه عباسى ورد من بغداد ومعه أعلام سود فظفر به بعض أصحاب أبى يزيد وقبض عليـه وسيره الى أبى يزيد فقتـله ثم ان بعض أصحاب أبى يزيد هرب الى المهدية بسبب عـداوة كانت بينهم وبين أقوام سعوا بهم اليه فخرجوا من المهدية مع أصحاب القائم فقاتلوا أصحاب أبى يزيد فظفروا فتفرق عند ذلك أصحاب أبى يزيد ولم يبق معه غـير هوارة وأوراس وبنى كملان وكان اعتماده عليهم

(ذكر رحيل أبى يزيد عن المهدية)

لما تفرق أصحابه عنـه كما ذكرنا اجتمع رؤساء من بقى معه وتشاوروا وقالوا نمضى الى القـيروان ونجمع البربر من كل ناحية ونرجع الى أبى يزيد فاننا لا نأمن أن يعرف القائم خبرنا فيقصدنا فركبوا ومضوا ولم يشاوروا أبا يزيد ومعهم أكثر العسكر فبعث اليهم أبو يزيد ليردهم فلم يقبلوا منه فرحل مسرعا فى ثلاثين رجلا وترك جميع اثقاله فوصل الى القيروان سادس صفر فنزل المصلى ولم يخرج اليه أحـد من أهل القيروان سوى عامله وخرج الصبيان يلعبون حوله ويضحكون منه وبلغ القائم رجوعـه فخرج الناس الى أثقاله فوجـدوا الطعام والخيام وغـير ذلك على حاله فاخذوه وحسنت أحوالهم واستراحوا من شدة الحصار ورخصت الاسعار وأنفذ القائم الى البلاد عمـالا يطردون عمـال أبى يزيد عنها فلما رأى اهل القيروان قلة عسكر أبى يزيد خافوا القائم فارادوا أن يقبضوا أبا يزيد ثم هابوه فكاتبوا القائم يسألونه الامان فلم يجبهـم وبلغ أبا يزيد الخـبر فانكر على عامله بالقيروان اشـتغاله بالاكل والشرب وغير ذلك وأمره ان يخرج العساكر من القـيروان للجهاد ففعل ذلك وألان لهم القول وخوفهم القائم فخرجوا اليه وتسامع النـاس فى البلاد بذلك فاتاه العساكر من كل ناحية وكان أهـل المدائن والقرى لما سمعوا تفرق عساكره عنه أخـذوا عمـاله فنهم من قتل ومنهم من أرسل الى المهدية وثار أهل سوسة فقبضوا على جماعـة من أصحابه فارسلوهم الى القائم فشكرهم ذلك وأرسل اليهم سبع مراكب من الطعام فلما اجتمعت عساكر أبى يزيد أرسـل الجيوش الى البـلاد وأمرهم بالقتل والسبى والنهب والخراب واحراق المنازل فوصل عسكره الى تونس فدخلوها بالسيف فى العشرين من صفر سنة أربع وثلاثين وثلثمائة فنهبوا جميع مافيها وسبوا النساء والاطفال وقتلوا الرجال وهدموا المساجد ولجأ كثـير من الناس الى البحر فغرق فسير اليهم القائم عسكرا الى تونس فخرج اليهم أصحاب أبى يزيد واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر القائم هزيمة قبيحة وحال بينهم الليـل والتجؤا الى جبـل الرصاص ثم الى اصطفورة فتبعهم عسكر أبى يزيد فلحقوهم واقتتلوا وصبر عسكر القائم فانهزم عسكر أبى يزيد وقتل منهـم خلق كثير وقتلوا حتى دخلوا تونس خامس ربيـع الاول واخرجوا من فيها من أصحاب أبى يزيد بعد ان قتلوا أكثرهم وأخذ لهم من الطعام شئ كثير وكان لابى يزيد ولد اسمه أيوب فلما بلغه الخبر اخرج معه عسكرا كثيرا فاجتمع مع من سلم من ذلك الجيش ورجعوا الى تونس فقتلوا من عاد اليها وأحرقوا ما بقى فيها وتوجه الى باجه فقتـل من بها من أصحاب القائم ودخلها بالسيف وأحرقها وكان فى هذه

المقام قبلناه فالك عندى ماتحب وان أحببت المضى الى المدينة فالاذن فى ذلك اليك قال فمضيت الى الحبس لاخرجـه فلما رآنى موسى وثب الى قائما وظن انى قد أمرت فيـه بمكروه فقلت لاتخف قد أمرنى أمـير المؤمنـين باطلاقك وان أدفع اليـك ثلاثين ألف درهـم وهو يقول لك ان احببت المقـام قبلنـا فلك ماتحـب وان احببت الانصراف فالامر فى ذلك مطلق اليك واعطيته الثلاثين ألف درهم وخليت سبيله وقلت له لقـد رأيت من أمرك عجبا قال فانى أخـبرك بينما انا نائم اذ أتانى النبى صلى الله عليـه وسلم فقـال موسى حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فانك لاتبيت هـذه الليلة فى الحبس فقلت بأبى وأمى ما أقول فقال قل ياسامع كل صوت ويا سابق الفـوت ويا كاسى العظـام لحما ومنشرها بعد الموت اسالك باسمائك الحسنى وباسمك الاعظم الاكبر المخزون المكنون الذى لم يطلـع عليه أحد من المخلوقين ياحليما ذا أناة لا يقوى عـلى أناته ياذا المعروف الذى لا ينقطع أبدا ولا يحصى عددا فرج عنى فكان ماترى (وذكر) حماد بن اسحق بن ابراهيم الموصلى قال قال ابراهيم بن المهدى حججت مع الرشيد فبينما نحن فى الطريق وقد انفردت أسير وحدى وأنا على

دابتي اذ جاءتني عيناي فسلكت بي الدابة غير الطريق فانتبهت وأنا على غير الجادة فاشتد بي الحر

المدة من القتل والسبي والتخريب مالا يوصف واتفق جماعة على قتل أبي يزيد وأرسلوا الى القائم فرغبهم فوعدهم فاتصل الخبر بابي يزيد فقتلهم وهجم رجال من البربر في الليل على رجل من أهل القيروان وأخذوا ماله وثلاث بنات ابكار فلما أصبح واجتمع الناس لصلاة الصبح قام الرجل في الجامع وصاح وذكر ماحل به فقام الناس معه وصاحوا فاجتمع الخلق العظيم ووصلوا الى أبي يزيد فأسمعوه كلاما غليظا فاعتذر اليهم ولطف بهم وأمر برد البنات فلما انصرفوا وجدوا في طريقهم رجلا مقتولا فسألوا عنه فقيل ان فضل بن أبي يزيد قتله واخذ امرأته وكانت جميلة فحمل الناس المقتول الى الجامع وقالوا لا طاعة الا للقائم وأرادوا الوثوب بابي يزيد فاجتمع أصحاب أبي يزيد عنده ولاموه وقالوا افتحت على نفسك مالا طاقة لك به لاسيما والقائم قريب منا فجمع أهل القيروان واعتذر اليهم واعطاهم العهود أنه لا يقتل ولا ينهب ولا يأخذ الحريم فأتاه سبي أهل تونس وهم عنده فوثبوا اليهم وخلصوهم وكان القائم قد أرسل الى مقدم من أصحابه يسمى على بن حمدون يأمره بجمع العساكر ومن قدر عليه من المسيلة فجمع منها ومن سطيف وغيرها فاجتمع له خلق كثير وتبعه بعض بني هراس فقصد المهدية فسمع به أيوب بن أبي يزيد وهو بمدينة باجه ولم يعلم به على بن حمدون فسار اليه أيوب وكبسه واستباح عسكره وقتل فيهم وغنم اثقالهم وهرب على المذكور ثم سير أيوب جريدة خيل الى طائفة من عسكر المهدي خرجوا الى تونس فساروا واجتمعوا ووقع بعضهم على بعض فكان بين الفريقين قتال عظيم قتل فيه جمع كثير وانهزم عسكر القائم ثم عادوا ثانية وثالثة وعزموا على الموت وحملوا حملة رجل واحد فانهزم أصحاب أبي يزيد وقتلوا قتلا ذريعا وأخذت اثقالهم وعددهم وانهزم أيوب وأصحابه الى القيروان في شهر ربيع الاول سنة أربع وثلاثين وثلثمائة فعظم ذلك على أبي يزيد وأراد ان يهرب عن القيروان فاشار عليه أصحابه بالتوقف وترك العجلة ثم جمع عسكرا عظيما وأخرج ابنه أيوب ثانية لقتال على بن حمدون بمكان يقال له بلطة وكانوا يقتتلون فمرة يظفر أيوب ومرة يظفر على وكان على قد وكل بحراسة المدينة من يثق به وكان يحرس بابا منها رجل اسمه أحمد فراسل أيوب في التسليم اليه على مال يأخذه فأجابه أيوب الى ماطلب وقاتل على ذلك الباب ففتحه أحمد ودخله أصحاب أبي يزيد فقتلوا من كان بها وهرب على الى بلاد كتامة في ثلثمائة فارس وأربعمائة راجل وكتب الى قبائل كتامة ونفزة ومزاتة وغيرهم فاجتمعوا وعسكروا على مدينة قسنطينة ووجه عسكرا الى هوارة فقتلوا هوارة وغنموا أموالهم وكان اعتماد أبي يزيد عليهم فاتصل الخبر بابي يزيد فسير اليهم عساكر عظيمة يتبع بعضها بعضا وكان بينهم حروب كثيرة والفتح والظفر في كلها لعلي وعسكر القائم وملك مدينة تيجس ومدينة باغاية وأخذهما من أبي يزيد

(ذكر محاصرة أبي يزيد سوسة وانهزامه منها)

لما رأى أبو يزيد ماجرى على عسكره من الهزيمة جد في أمره فجمع العساكر وسار الى سوسة سادس جمادى الآخرة من السنة وبها جيش كثير للقائم فحصرها حصرا شديدا فكان يقاتلها كل يوم فمرة له ومرة عليه وعمل الدبابات والمنجنيقات فقتل من أهل سوسة خلق كثير وحاصرها الى ان فوّض القائم العهد الى ولده اسمعيل المنصور في شهر رمضان وتوفى القائم وملك الملك ابنه المنصور على ماذكره وكتم موت أبيه خوفا من أبي يزيد لقربه وهو على مدينة سوسة فلما ولي عمل المراكب وشحنها بالرجال وسيرها الى سوسة واستعمل عليها رشيقا الكاتب ويعقوب بن اسحق ووصاهما ان لا يقاتلا حتى يأمرهما ثم سار من الغد يريد سوسة ولم يعلم أصحابه

فعطشت عطشا شديدا فارتفع لي خباء فقصدته فاذا بقبة وبجنبها بئر ماء بقرب مزرعة وذلك بين مكة والمدينة ولم أر بها انسيا فاطلعت في القبة فاذا أنا بأسود نائم فأحس بي ففتح عينيه كأنهما أجانتي دم فاستوى جالسا واذا هو عظيم الصورة فقلت يا أسود اسقني من هذا الماء فقال يا أسود اسقني من هذا الماء محاكيا لي وقال ان كنت عطشانا فانزل واشرب وكان تحتي برذون خبيث نفور فخشيت ان أنزل عنه فينفر فضربت رأس البرذون ومانفعني الغناء قط الا في ذلك اليوم وذلك اني رفعت عقيرتي وأنا أغني

كفنوني ان مت في درع اروى
واستقوا لي من بئر عروة ماء
فلها مربع بجنب اجاج
ومصيف بالقصر قصر قباء

فرفع الاسود رأسه الي وقال ايما أحب اليك ان اسقيك ماء وحده أو ماء وسويقا فقلت الماء والسويق فأخرج قعبا له فصب السويق في القدح فسقاني واقبل يضرب بيده على رأسه وصدره ويقول واحر صدراه وانارات اللهب في فؤادي يامولاي زدني وانا أزيدك وشربت

ذلك

ذلك فلما انتصف الطريق علموا فتضرعوا اليه وسألوه ان يعود ولا يخاطر بنفسه فعاد وأرسل الى رشيق ويعقوب بالجد في القتال فوصلوا الى سوسة وقد أعد أبو يزيد الحطب لاحراق السور وعمل دبابة عظيمة فوصل اسطول المنصور الى سوسة واجتمعوا بمن فيها وخرجوا الى قتال أبي يزيد فركب بنفسه واقتتلوا واشتدت الحرب وانهزم بعض أصحاب المنصور حتى دخلوا المدينة فالقى رشيق النار في الحطب الذي جمعه أبو يزيد وفي الدبابة فاظلم الجو بالدخان واشتعلت النار فلما رأى ذلك أبو يزيد وأصحابه خافوا وظنوا أن أصحابه في تلك الناحية قد هلكوا فلم يتمكن أصحاب المنصور من احراق الحطب اذ لم ير بعضهم بعضا فانهزم أبو يزيد وأصحابه وخرجت عساكر المنصور فوضعوا السيف فيمن تخلف من البربر وأحرقوا خيامه ووجد أبو يزيد هاربا حتى دخل القيروان من يومه وهرب البربر على وجوههم فمن سلم من السيف مات جوعا وعطشا ولما وصل أبو يزيد الى القيروان أراد الدخول اليها فمنعه أهلها ورجعوا الى دار عامله فحصروه وأرادوا كسر الباب فنثر الدنانير على رؤس الناس فاشتغلوا عنه فخرج الى أبي يزيد وأخذ أبو يزيد امرأته أم أيوب وتبعه أصحابه بعيالاتهم ورحلوا الى ناحية سبيبة وهي على مسافة يومين من القيروان فنزلوها

(ذكر ملك المنصور مدينة القيروان وانهزام أبي يزيد)

لما بلغ المنصور الخبر سار الى مدينة سوسة لسبع بقين من شوال من السنة فنزل خارجا منها وسر بما فعله أهل القيروان فكتب اليهم كتابا يؤمنهم فيه لانه كان واجدا عليهم لطاعتهم أبا يزيد وأرسل من ينادي في الناس بالامان وطابت نفوسهم ورحل اليهم فوصلها يوم الخميس لست بقين من شوال وخرج اليه أهلها فأمنهم ووعدهم خيرا ووجد في القيروان من حرم أبي يزيد وأولاده جماعة فحملهم الى المهدية وأجرى عليهم الارزاق ثم ان أبا يزيد جمع عساكره وأرسل سرية الى القيروان يتخبرون له فاتصل خبرهم بالمنصور فسير اليهم سرية فالتقوا واقتتلوا وكان أصحاب أبي يزيد قد جعلوا كمينا فانهزموا وتبعهم أصحاب المنصور فخرج الكمين عليهم فاكثر فيهم القتل والجراح فلما سمع الناس ذلك سارعوا الى أبي يزيد فكثر جمعه فعاد ونازل القيروان وكان المنصور قد عمل خندقا على عسكره ففرق أبو يزيد عسكره ثلاث فرق وقصد هو بشجعان أصحابه الى خندق المنصور فاقتتلوا وعظم الامر وكان الظفر للمنصور ثم عاودوا القتال فباشر المنصور القتال بنفسه وجعل يحمل يمينا وشمالا والمظلة على رأسه كالعلم ومعه خمسمائة فارس وأبو يزيد في مقدار ثلاثين ألفا فانهزم أصحاب المنصور هزيمة عظيمة حتى دخلوا الخندق وثبتوا وبقي المنصور في نحو عشرين فارسا وأقبل أبو يزيد قاصدا الى المنصور فلما رآهم شهر سيفه وثبت مكانه وحمل بنفسه على أبي يزيد حتى كاد يقتله فولى أبو يزيد هاربا وقتل المنصور من أدرك منهم وأرسل من يرد عسكره فعادوا وكانوا قد سلكوا طريق المهدية وسوسة وتمادى القتال الى الظهر فقتل منهم خلق كثير وكان يوما من الايام المشهورة لم يكن في ماضي الايام مثله ورأى الناس من شجاعة المنصور ما لم يظنوه فزادت هيبته في قلوبهم ورحل أبو يزيد عن القيروان أواخر ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ثم عاد اليها فلم يخرج اليه أحد ففعل ذلك غير مرة ونادى المنصور من أتى برأس أبي يزيد فله عشرة آلاف دينار وأذن للناس في القتال فجرى قتال شديد فانهزم أصحاب المنصور حتى دخلوا الخندق ثم رجعت الهزيمة على أبي يزيد فافترقوا وقد انتصف بعضهم من بعض وقتل بينهم جمع عظيم وعادت الحرب مرة لهذا ومرة لهذا وصار أبو يزيد

السويق ثم قال لي يا مولاي ان بينك وبين الطريق أميالا ولست أشك انك عطش لكن أملأ قربتي هذه وأحملها قدامك فقلت افعل قال فملأ قربته وسار قدامي وهو يحجل في مشيته غير خارج عن الايقاع فاذا أمسكت لاستريح أقبل علي فقال يا مولاي عطشت فأغنيه النصب الى ان أوقفني على الجادة ثم قال لي سر رعاك الله ولا سلبك ما كساك من هذه النعم بكلام عجمي معناه هذا الدعاء فلحقت بالقافلة والرشيد قد فقدني وقد بث الخيل والخيل في البر يطلبوني فسر بي حين رآني فاتيته فقصصت عليه الامر فقال علي بالاسود فما كان الا هنيهة حتى مثل بين يديه فقال له ويلك ما حر صدرك فقال يا مولاي ميمونة قال ومن ميمونة قال حبشية قال ومن حبشية قال بنت بلال يا مولاي فأمر من يستفهمه فاذا الاسود عبد لبني جعفر الطيار واذا السوداء التي يهواها القوم من ولد الحسن ابن علي فأمر الرشيد بابتياعها له فأبى مواليها أن يقبلوا لها ثمنا ووهبوها للرشيد فاشترى الاسود وأعتقه وزوجه منها ووهب له من ماله بالمدينة حديقتين وثلثمائة دينار (ودخل ابن السماك) على الرشيد وبين يديه حمامة تلتقط حبا فقال له صفها وأوجز فقال كأنما تنظر من ياقوتتين وتلتقط بدرتين وتطأ على عقيقتين وأنشد وناله بعضهم

يرسل السرايا فيقطع الطريق بين المهدية والقيروان وسوسة ثم انه أرسل الى المنصور يسأل ان يسلم اليه حرمه وعياله الذين خلفهم بالقيروان وأخذهم المنصور فان فعل ذلك دخل فى طاعته على ان يؤمنه وأصحابه وحلف له باغلظ الأيمان على ذلك فاجابه المنصور الى ما طلب وأحضر عياله وسيرهم اليه مكرمين بعد أن وصلهم وأحسن كسوتهم وأكرمهم فلما وصلوا اليه نكث جميع ما عقده وقال انما وجههم خوفا منى فانقضت سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهم على حالهم فى القتال ففى خامس المحرم منها زحف أبو يزيد وركب المنصور وكان بين الفريقين قتال ما سمع بمثله وحملت البربر على المنصور وحمل عليها وجعل يضرب فيهم فانهزموا امنه بعد ان قتل خلق كثير فلما انتصف المحرم عبى المنصور عسكره فجعل فى الميمنة أهل افريقية وكتامة فى الميسرة وهو فى عبيده وخاصته فى القلب فوقع بينهم قتال شديد فحمل أبو يزيد على الميمنة فهزمها ثم حمل على القلب فبادر اليه المنصور وقال هذا يوم الفتح ان شاء الله تعالى وحمل هو ومن معه حملة رجل واحد فانهزم أبو يزيد وأخذت السيوف أصحابه فولوا منهزمين وأسلموا أثقالهم وهرب أبو يزيد على وجهه فقتل من أصحابه ما لا يحصى فكان ما احذه أطفال أهل القيروان من رؤس القتلى عشرة آلاف رأس وسار أبو يزيد الى تاهمديت

﴿ذكر قتل أبي يزيد﴾

لما تمت الهزيمة على أبي يزيد أقام المنصور يتجهز للمسير فى أثره ثم رحل أواخر شهر ربيع الاول من السنة واستخلف على البلد مذاما الصقلى فادرك أبا يزيد وهو محاصر مدينة باغاية لانه أراد دخولها لما انهزم فمنع من ذلك فحصرها فادركه المنصور وقد كاد يفتحها فلما قرب منه هرب أبو يزيد وجعل كلما قصد موضعا يتحصن فيه سبقه المنصور حتى وصل طبنة فوصلت رسل محمد بن خزر الزناتى وهو من أعيان أصحاب أبي يزيد يطلب الامان فأمنه المنصور وأمره ان يرصد أبا يزيد واستمر الهرب بأبى يزيد حتى وصل الى جبل للبربر يسمى برزال وأهله على مذهبه وسلك الرمال ليخفى أثره فاجتمع معه خلق كثير فعاد الى نواحى مقبرة والمنصور بها فكمن أبو يزيد أصحابه فلما وصل عسكر المنصور رآهم فحذروا منهم فعبى حينئذ أبو يزيد أصحابه واقتتلوا فانهزمت ميمنة المنصور وحمل هو بنفسه ومن معه فانهزم أبو يزيد الى جبل سالات ورحل المنصور فى أثره فدخل مدينة المسيلة ورحل فى أثر أبي يزيد فى جبال وعرة وأودية عميقة خشنة الارض فاراد الدخول وراءه فعرفه الادلاء ان هذه الارض لم يسلكها جيش قط واشتد الامر على العسكر فبلغ عليق كل دابة دينارا ونصفا وبلغت قربة الماء دينارا وان ما وراء ذلك رمال وقفار بلاد السودان ليس فيها عمارة وان أبا يزيد اختار الموت جوعا وعطشا على القتل بالسيف فلما سمع ذلك رجع الى بلاد صنهاجة فوصل الى موضع يسمى قرية دمره فاتصل به الامير زيرى ابن مناد الصنهاجى الحميرى بعساكر صنهاجة وهذا زيرى هو جد بنى باديس ملوك افريقية كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى فاكرمه المنصور وأحسن اليه ووصل كتاب محمد بن خزر يذكر الموضع الذى فيه أبو يزيد من الرمال ومرض المنصور مرضا شديدا أشفى منه فلما أفاق من مرضه رحل الى المسيلة ثانى رجب وكان أبو يزيد قد سبقه اليها لما بلغه مرض المنصور وحصرها فلما قصده المنصور هرب منه يريد بلاد السودان فابى ذلك بنو كملان وهوارة وخدعوه وصعد الى جبال كتامة وعجيسة وغيرهم فتحصن بها واجتمع اليه أهلها وصاروا ينزلون يتخطفون الناس فسار المنصور عاشر شعبان اليه فلم ينزل أبو يزيد فلما عاد نزل الى ساقة العسكر

هتفت هاتفة أذنها ألف بين
ذات طوق مثل عطف النون أقنى الطرفين
وتراها ناظرة نحوك من ياقوتتين
ترجع الانفاس من ثقبين
كاللؤلؤتين
وترى مثل البساتين لها
قادمتين
ولها الحيان كالصدغين من
عرعرتين
ولها ساقان حمراوان مثل
الوردتين
نسجت فوق جناحيها لها
برنوستين
وهى طاوسية اللون بيان
المنكبين
تحت ظل من ظلال الايك
صافى الكنفين
فقدت ألفا فناحت * من
تباريح وبين
فهى تبكيه بلا دمع جمود
المقلتين
وهى لا تصبغ عيناها * كما
تصبغ عينى

(ودخل) معن بن زائدة على الرشيد وقد كان وجد عليه فمشى فقارب الخطو فقال له هرون كبرت والله يامعن قال فى طاعتك ياأمير المؤمنين قال وان فيك على ذلك لبقية قال هى لك ياأمير المؤمنين قال وانك لجلد قال على أعدائك ياأمير المؤمنين فرضى عنه وولاه قال وعرض كلامه هذا على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة قال ويح هذا ما ترك لربه شيأ وقال الرشيد يوما لمعن بن زائدة انى قد أعددتك لامر كبير فقال ياأمير المؤمنين ان الله قد أعد لك منى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة بطاعتك فرجع

فرجع المنصور ووقعت الحرب فانهزم أبو يزيد وأسلم أولاده وأصحابه ولحقه فارسان فعقرا فرسه فسقط عنه فاركبه بعض أصحابه ولحقه زيري بن مناد فطعنه فالقاه وكثر القتال عليه فخلصه أصحابه وخلصوا معه وتبعهم أصحاب المنصور فقتلوا منهم ما يزيد على عشرة آلاف ثم سار المنصور في أثره أول شهر رمضان فاقتتلوا أيضا أشد قتال ولم يقدر أحد الفريقين على الهزيمة لضيق المكان وخشونته ثم انهزم أبو يزيد أيضا واحترقت أثقاله وما فيها وطلع أصحابه على رؤس الجبال يرمون بالصخر وأحاط القتال بالمنصور وتواخذوا بالايدي وكثر القتل حتى ظنوا انه الفناء وافترقوا على السواء والتجأ أبو يزيد الى قلعة كتامة وهي منيعة فاحتمى بها وفي ذلك اليوم أتى الى المنصور جند له من كتامة برجل ظهر في أرضهم ادعى الربوبية فامر المنصور بقتله وأقبلت هوارة واكثرمن مع أبي يزيد يطلبون الامان فامنهم المنصور وسار الى قلعة كتامة فحصر أبا يزيد فيها وفرق جنده حولها فناشبه أصحاب أبي يزيد القتال وزحف اليها المنصور غير مرة ففي آخرها ملك أصحابه بعض القلعة وألقوا فيها النيران وانهزم أصحاب أبي يزيد وقتلوا قتلا ذريعا ودخل أبو يزيد وأولاده وأعيان أصحابه الى قصر في القلعة فاجتمعوا فيه فاحترقت أبوابه وأدركهم القتل فامر المنصور باشعال النار في شعارى الجبل وبين يديه لئلا يهرب أبو يزيد فصار الليل كالنهار فلما كان آخر الليل خرج أصحابه وهم يحملونه على أيديهم وحملوا على الناس حملة منكرة فافرجوا لهم فنجوا به ونزل من القلعة خلق كثير فاخذوا فاخبروا بخروج أبي يزيد فامر المنصور بطلبه وقال ما أظنه الا قريبا منا فبيناهم كذلك اذ أتى بأبي يزيد وذلك ان ثلاثة من أصحابه حملوه من المعركة ثم ولوا عنه وانما حملوه لقبح عرجه فذهب لينزل من الوعر فسقط في مكان صعب فادرك فاخذ وحمل الى المنصور فسجد شكرا لله تعالى والناس يكبرون حوله وبقي عنده الى سلخ المحرم من سنة ست وثلاثين وثلثمائة فمات من الجراح الذي به فامر بادخاله في قفص عمل له وجعل معه قردين يلعبان عليه وأمر بسلخ جلده وحشاه تبنا وأمر بالكتب الى سائر البلاد بالبشارة ثم خرج عليه عدة خوارج منهم محمد بن خزر فظفر به المنصور سنة ست وثلاثين وثلثمائة وكان يريد نصرة أبي يزيد وخرج أيضا فضل بن أبي يزيد وأفسد وقطع الطريق فغدر به بعض أصحابه وقتله وحمل رأسه الى المنصور سنة ست وثلاثين أيضا وعاد المنصور الى المهدية فدخلها في شهر رمضان من السنة

﴿ذكر قتل أبي الحسين البريدي واحراقه﴾

في هذه السنة في ربيع الاول قدم أبو الحسين البريدي الى بغداد مستأمنا الى تورون فأمنه وأنزله أبو جعفر بن شيرزاد الى جانب داره وأكرمه وطلب ان يقوى يده على ابن أخيه وضمن انه اذا أخذ البصرة يوصل له مالا كثيرا فوعدوه النجدة والمساعدة فانفذ ابن أخيه من البصرة مالا كثيرا خدم به تورون وابن شيرزاد فاعيدوا له الخلع وأقروه على عمله فلما علم أبو الحسين بذلك سعى في ان يكتب لتورون ويقبض على ابن شيرزاد فعلم ابن شيرزاد بذلك فسعى به الى ان قبض عليه وقيده وضرب ضربا عنيفا وكان أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي قد أخذ أيام ناصر الدولة فتوى الفقهاء والقضاة باحلال دمه فاحضرها وأحضر القضاة والفقهاء في دار الخليفة وأخرج أبو الحسين وسئل الفقهاء عن الفتاوى فاعترفوا انهم أفتوا بذلك فامر بضرب رقبته فقتل وصلب ثم أنزل وأحرق ونهبت داره وكان هذا آخر أمر البريديين وكان قتله منتصف ذي الحجة وفيها نقل المستكفي بالله القاهر بالله من دار الخلافة الى دار ابن طاهر وكان قد بلغ به الضر والفقر

(وقال الكسائي) دخلت على الرشيد فلما قضيت حق التسليم والدعاء وثبت للقيام فقال اقعد فلم ازل عنده حتى خف عامة من كان في مجلسه ولم يبق الا خاصته فقال لي يا علي ألا تحب أن ترى محمدا وعبد الله قلت ما أشوقني اليهما يا أمير المؤمنين وأسرني بمعاينة نعمة الله على أمير المؤمنين فيهما فأمر باحضارهما فلم البث ان أقبلا ككوكبي افق يزينهما هدوء ووقار وقد غضا أبصارهما وقاربا خطوهما حتى وقفا على باب المجلس فسلما على ابيهما بالخلافة ودعواله بأحسن الدعاء فأمرهما بالدنو منه فصير محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرني ان استقرئهما واسالهما ففعلت فما سألتهما عن شئ الا احسنا الجواب فيه والخروج منه فسر بذلك الرشيد حتى تبينته فيه ثم قال لي يا علي كيف ترى مذهبهما وجوابهما فقلت يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر

أرى قمري مجد وفرعي خلافة
يزينهما عرق كريم ومحتد
بأمير المؤمنين هما فرع
زكا أصله وطاب مغرسه
وتمكنت في الثرى عروقه
وعذبت مشاربه أبوهما

أغر نافذ الامر واسع العلم عظيم الحلم يحكم بحكمه

الى ان كان ملتفا بقطن جبة وفى رجله قبقاب خشب

﴿ذكر مسير أبى على الى الرى وعوده قبل ملكها﴾

لما استقر الامير نوح فى ولايته بما وراء النهر وخراسان أمر أبا على بن محتاج ان يسير فى عساكر خراسان الى الرى ويستنقذها من يد ركن الدولة بن بويه فسار فى جمع كثير فلقيه وشمكير بخراسان وهو يقصد الامير نوحا فسيره اليه وكان نوح حينئذ بمرو فلما قدم عليه أكرمه وأنزله وبالغ فى اكرامه والاحسان اليه وأما أبو على فانه سار نحو الرى فلما نزل ببسطام خالف عليه بعض من معه وعادوا عنه مع منصور بن قراتكين وهو من أكابر أصحاب نوح وخواصه فسار وانحو جرجان وبها الحسن بن الفيرزان فصدهم الحسن عنها فانصرفوا الى نيسابور وسار أبو على نحو الرى فيمن بقى معه فخرج اليه ركن الدولة محاربا فالتقوا على ثلاثة فراسخ من الرى وكان مع أبى على جماعة كثيرة من الاكراد فغدروا منه واستأمنوا الى ركن الدولة فانهزم أبو على وعاد نحو نيسابور وغنموا بعض اثقاله

﴿ذكر استيلاء وشمكير على جرجان﴾

لما عاد أبو على الى نيسابور لقيه وشمكير وقد سيره الامير نوح ومعه جيش فيهم مالك بن شكرتكين وأرسل الى أبى على يأمره بمساعدة وشمكير فوجه فيمن معه الى جرجان وبها الحسن بن الفيرزان فالتقوا واقتتلوا فانهزم الحسن واستولى وشمكير على جرجان فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة

﴿ذكر استيلاء أبى على على الرى﴾

فى هذه السنة سار أبو على من نيسابور الى نوح وهو بمرو فاجتمع به فاعاده الى نيسابور وأمره بقصد الرى وأمده بجيش كثير فعاد الى نيسابور وسار منها الى الرى فى جمادى الآخرة وبها ركن الدولة فلما علم ركن الدولة بكثرة جموعه سار عن الرى واستولى أبو على عليها وعلى سائر أعمال الجبال وأنفذ نوابه الى الاعمال وذلك فى شهر رمضان من هذه السنة ثم ان الامير نوحا سار من مرو الى نيسابور فوصل اليها فى رجب وأقام بها خمسين يوما فوضع أعداء أبى على جماعة من الغوغاء والعامة فاجتمعوا واستغاثوا عليه وشكوا سوء سيرته وسيرة نوابه فاستعمل الامير نوح على نيسابور ابراهيم ابن سيمجور وعاد عنها الى بخارا فى رمضان وكان مرادهم بذلك ان يقطعوا طمع أبى على عن خراسان ليقيم بالرى وبلاد الجبل فاستوحش أبو على لذلك فانه كان يعتقد انه يحسن اليه بسبب فتح الرى وتلك الاعمال فلما عزل شق ذلك عليه ووجه أخاه أبا العباس الفضل بن محمد الى كور الجبال وولاه همذان وجعله خليفة على من معه من العساكر فقصد الفضل نهاوند والدينور وغيرها واستولى عليها واستأمن اليه رؤساء الاكراد من تلك الناحية وأنفذوا اليه رهائنهم

﴿ذكر وصول معز الدولة الى واسط وعوده عنها﴾

فى هذه السنة آخر رجب وصل معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه الى مدينة واسط فسمع توزون به فسار هو والمستكفى بالله من بغداد الى واسط فلما سمع معز الدولة بسيرهم اليه فارقها سادس رمضان ووصل الخليفة وتوزون الى واسط فارسل أبو القاسم البريدى يضمن البصرة فاجابه توزون الى ذلك وضمنه وسلمها اليه وعاد الخليفة وتوزون الى بغداد فدخلاها ثامن شوال من السنة

﴿ذكر ملك سيف الدولة مدينة حلب وحمص﴾

فى هذه السنة سار سيف الدولة على بن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان الى حلب فملكها واستولى

عليها

ويستضيئان بنوره وينطقان بلسانه ويتقلبان فى سعادته فامتع الله أمير المؤمنين بهما وانس جميع الامة ببقائه وبقائهما فما رأيت أحدا من أولاد الخلفاء وأغصان هذه الشجرة المباركة اذرب ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على تأدية ما حفظا منهما ودعوت لهما دعاء كثيرا وأمن الرشيد على دعائى ثم ضمهما اليه وجمع يده عليهما فلم يبسطها حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج فلما خرجا أقبل على فقال كانك بهما وقد حم القضاء ونزلت مقادير السماء وبلغ الكتاب أجله قد تشتتت كلمتهما واختلف أمرهما وظهر تعاديهما ثم لم يبرح ذلك بهما حتى يسفك الدماء وتقتل القتلى وتهتك ستور النساء ويتمنى كثير من الاحياء انهم فى عداد الموتى قلت أيكون ذلك يا أمير المؤمنين لامر روى فى أصل مولدهما أو لاثر وقع لامير المؤمنين فى مولدهما فقال لا والله الا باثر واجب حملته العلماء عن الاوصياء عن الانبياء وقال الاحمر النحوى بعث الى الرشيد لتأديب ولده محمد الامين فلما دخلت قال يا أحمر ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك عليه واجبة وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين اقرئه القرآن وعرفه الآثار وروه الاشعار وعلمه السنن

عليها وكان مع المتقى لله بالرقة فلما عاد المتقى الى بغداد وانصرف الاخشيد الى الشام بقى يأنس المؤنسى بحلب فقصده سيف الدولة فلما نازلها فارقها يأنس وسار الى الاخشيد فكاتبها سيف الدولة ثم سار منها الى حمص فلقيه بها عساكر الاخشيد محمد بن طغج صاحب الشام ومصر مع مولاه كافور واقتتلوا فانهزم عسكر الاخشيد وكافور وملك سيف الدولة مدينة حمص وسار الى دمشق لحصرها فلم يفتحها أهلها له فرجع وكان الاخشيد قد خرج من مصر الى الشام وسار خلف سيف الدولة فالتقيا بقنسرين فلم يظفر أحد العسكرين بالآخر ورجع سيف الدولة الى الجزيرة فلما عاد الاخشيد الى دمشق رجع سيف الدولة الى حلب ولما ملك سيف الدولة حلب سارت الروم اليها فخرج اليهم فقاتلهم بالقرب منها فظفر بهم وقتل منهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ثامن جمادى الاولى قبض المستكفى بالله على كاتبه أبى عبد الله بن أبى سليمان وعلى أخيه واستكتب أبا أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازى على خاص أمره وكان أبو أحمد لما تقلد المستكفى الخلافة بالموصل يكتب لناصر الدولة فلما بلغه خبر تقلده الخلافة انحدر الى بغداد لانه كان يخدم المستكفى بالله ويكتب له وهو فى دار ابن طاهر وفيها فى رجب سار توزون ومعه المستكفى بالله من بغداد يريدان الموصل وقصدا ناصر الدولة لانه كان قد أخر حمل المال الذى عليه من ضمان البلاد واستخدم غلمانا هربوا من توزون وكان الشرط بينهم انه لا يقبل أحدا من عسكر توزون فلما خرج الخليفة وتوزون من بغداد ترددت الرسل فى الصلح وتوسط أبو جعفر بن شيرزاد الامر وانقاد ناصر الدولة لحمل المال وكان أبو القاسم بن مكرم كاتب ناصر الدولة هو الرسول فى ذلك ولما تقرر الصلح عاد المستكفى وتوزون فدخلا بغداد وفيها فى سابع ربيع الآخر قبض المستكفى على وزيره أبى الفرج السرمرى وصودر على ثلثمائة ألف درهم وكانت مدة وزارته اثنين وأربعين يوما

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلثمائة

(ذكر موت توزون وامارة ابن شيرزاد)

فى هذه السنة فى المحرم مات توزون فى داره ببغداد وكانت مدة امارته سنتين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوما وكتب له ابن شيرزاد مدة امارته غير ثلاثة أيام ولما مات توزون كان ابن شيرزاد بهيت لتخليص أموالها فلما بلغه الخبر عزم على عقد الامارة لناصر الدولة بن حمدان فاضطربت الاجناد وعقدوا الرياسة عليهم لابن شيرزاد فحضر ونزل بباب حرب مستهل صفر وخرج عليه الاجناد جميعهم واجتمعوا اليه وحلفوا له ووجه الى المستكفى بالله ليحلف له فاجابه الى ذلك وحلف له بحضرة القضاة والعدول ودخل اليه ابن شيرزاد وعاد مكرما يخاطب بامير الامراء وزاد الاجناد زيادة كثيرة فضاقت الاموال عليه فارسل الى ناصر الدولة مع أبى عبد الله محمد بن أبى موسى الهاشمى وهو بالموصل يطالبه بحمل المال ويعده برد الرياسة اليه وأنفذ له خمسمائة ألف درهم وطعاما كثيرا ففرقها فى عسكره فلم يؤثر فقسط الاموال على العمال والكتاب والتجار وغيرهم لارزاق الجند وظلم الناس ببغداد وظهر اللصوص وأخذوا الاموال وجلا التجار واستعمل على واسط ينال كوشة وعلى تكريت الفتح اللشكرى فاما ينال فانه كاتب معز الدولة بن بويه واستقدمه وصار معه وأما الفتح اللشكرى فانه سار الى ناصر الدولة بالموصل وصار معه فاقره على تكريت

وبصره مواقع الكلام وبدئه وامنعه الضحك الا فى أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا اليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير ان يخرق بك فتميت ذهنه ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة (ويقال) ان العمانى الشاعر قام بحضرة الرشيد فلم يزل يحرض محمدا ويحضه على تجديد العهد له فلما فرغ من كلامه قال له ابشر يا عمانى بولاية العهد له فقال اى والله يا أمير المؤمنين سرور العشب بالغيث والمرأة النزور بالولد والمريض المدنف بالبرء لانه نسيج وحده وحامى مجده وشبيه جده قال فما تقول فى عبد الله قال مرعى ولا كالسعدان فتبسم الرشيد وقال قاتله الله ما أعرفه بمواضع الرغبة أما والله انى لاتعرف فى عبد الله حزم المنصور ونسك المهدى وعز نفس الهادى والله لو شاء الله ان أنسبه الى الرابعة لنسبته اليها (قال الاصمعى) بينما انا اساير الرشيد ذات ليلة اذ رأيته قد قلق قلقا شديدا فكان يقعد مرة ويضطجع مرة ويبكى ثم انشأ يقول

قلد أمور عباد الله ذا ثقة * موحد الرأى لا نكس ولا برم
واترك مقالة أقوام ذوى خطل * لا يفهمون

فلما سمعت منه ذلك علمت أنه يريد أمرا عظيما ثم قال لمروان الخادم على بيحيى

(ذكر استيلاء معز الدولة على بغداد)

لما كاتب ينال كوشة معز الدولة بن بويه وهو بالاهواز ودخل فى طاعته سار معز الدولة نحوه فاضطرب الناس ببغداد فلما وصل الى باجسرى اختفى المستكفى بالله وابن شيرزاد وكانت امارته ثلاثة أشهر وعشرين يوما فلما استتر سار الاتراك الى الموصل فلما أبعدوا ظهر المستكفى وعاد الى بغداد الى دار الخلافة وقدم أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى صاحب معز الدولة الى بغداد فاجتمع بابن شيرزاد بالمكان الذى استتر به ثم اجتمع بالمستكفى فاظهر المستكفى السرور بقدوم معز الدولة وأعلمه انه انما استتر من الاتراك ليتفرقوا فيحصل الامر لمعز الدولة بلا قتال ووصل معز الدولة الى بغداد حادى عشر جمادى الاولى فنزل بباب الشماسية ودخل من الغد الى الخليفة المستكفى وبايعه وحلف له المستكفى وسأله معز الدولة ان يأذن لابن شيرزاد بالظهور وان يأذن ان يستكتبه فاجابه الى ذلك فظهر ابن شيرزاد ولقى معز الدولة فولاه الخراج وجباية الاموال وخلع الخليفة على معز الدولة ولقبه ذلك اليوم معز الدولة ولقب أخاه عليا عماد الدولة ولقب أخاه الحسن ركن الدولة وأمر ان تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم ونزل معز الدولة بدار مؤنس ونزل أصحابه فى دور الناس فلحق الناس من ذلك شدة عظيمة وصار رسما عليهم بعد ذلك وهو أول من فعله ببغداد ولم يعرف بها قبله وأقيم للمستكفى بالله كل يوم خمسة آلاف درهم لنفقاته وكانت ربما تأخرت عنه فاقرت له مع ذلك ضياع سلمت اليه تولاها أبو أحمد الشيرازى كاتبه

(ذكر خلع المستكفى بالله)

وفى هذه السنة خلع المستكفى بالله لثمان بقين من جمادى الآخرة وكان سبب ذلك ان علم القهرمانة صنعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم والاتراك فاتهمها معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفى ويزيلوا معز الدولة فساءظنه لذلك لما رأى من اقدام علم وحضر اسفهدوست عند معز الدولة وقال قد راسلنى الخليفة فى ان القاه متنكرا فلما مضى اثنان وعشرون يوما من جمادى الآخرة حضر معز الدولة والناس عند الخليفة وحضر رسول صاحب خراسان ومعز الدولة جالس ثم حضر رجلان من نقباء الديلم يصيحان فتناولا يد المستكفى بالله فظن انهما يريدان تقبيلها فمدها اليهما فجذباه عن سريره وجعلا عمامته فى حلقه ونهض معز الدولة واضطرب الناس ونهبت الاموال وساق الديلميان المستكفى بالله ماشيا الى دار معز الدولة فاعتقل بها ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق بها شئ وقبض على أبى أحمد الشيرازى كاتب المستكفى وأخذت علم القهرمانة فقطع لسانها وكانت مدة خلافة المستكفى سنة واحدة وأربعة أشهر وما زال مغلوبا على أمره مع توزون وابن شيرزاد ولما بويع المطيع لله سلم اليه المستكفى فسمله وأعماه وبقى محبوسا الى ان مات فى ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وكان مولده ثالث عشر صفر سنة ست وتسعين ومائتين وأمه أم ولد اسمها غصن وكان أبيض حسن الوجه قد وخطه الشيب

(ذكر خلافة المطيع لله)

لما ولى المستكفى بالله الخلافة خافه المطيع وهو أبو القاسم الفضل بن المقتدر لانه كان بينهما منازعة وكان كل منهما يطلب الخلافة وهو يسعى فيها فلما ولى المستكفى خافه واستتر منه فطلبه المستكفى أشد الطلب فلم يظفر به فلما قدم معز الدولة بغداد قيل ان المطيع انتقل اليه واستتر عنده واغراه بالمستكفى حتى قبض عليه وسمله فلما قبض المستكفى بويع للمطيع لله بالخلافة يوم

اذا ما معشر فهموا فما لبث أن أتاه فقال يا أبا الفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فى غير وصية والاسلام جذع والايمان جديد وكلمة العرب مجتمعة قد آمنها الله تعالى بعد الخوف وعزها بعد الذل فما لبث أن ارتدت عامة العرب على أبى بكر وكان من خبره ما قد علمت وان أبا بكر صير الامر الى عمر فسلمت الامة له ورضيت بخلافته ثم صيرها عمر شورى فكان بعده ما قد بلغك من الفتن حتى صارت الى غير أهلها وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره الى من أرضى سيرته وأحمد طريقته وأثق بحسن سياسته وآمن ضعفه ووهنه وهو عبد الله وبنو هاشم مائلون الى محمد بأهوائهم وفيه ما فيه من الانقياد لهواه والتصرف مع طويته والتبذير لما حوته يده ومشاركة النساء والاماء فى رأيه وعبد الله المرضى الطريقة الاصيل الرأى الموثوق به فى الامر العظيم فان ملت الى عبد الله أسخطت بنى هاشم وان أفردت محمدا بالامر لم آمن تخليطه على الرعية فاشر على فى هذا الامر برأيك مشورة يعم فضلها ونفعها فانك بحمد الله مبارك الرأى لطيف النظر فقال يا أمير المؤمنين ان كل زلة مستقالة وكل

الخميس ثانى عشر جمادى الآخرة ولقب المطيع لله واحضر المستكفى عنده فسلم عليه بالخلافة واشهد على نفسه بالخلع وازداد أمر الخلافة ادبارا ولم يبق لهم من الامر شئ البتة وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل والحرمة قائمة بعض الشئ فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث ان الخليفة لم يبق له وزير انما كان له كاتب يدبر اقطاعه واخراجاته لا غير وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد وكان من أعظم الاسباب فى ذلك ان الديلم كانوا يتشيعون ويغالون فى التشيع ويعتقدون ان العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها فلم يكن عندهم باعث دينى يحثهم على الطاعة حتى لقد بلغنى ان معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه فى اخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعز لدين الله العلوى أو لغيره من العلويين فكلهم أشار عليه بذلك ما عدا بعض خواصه فانه قال ليس هذا برأى فانك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك انه ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لقتلوه فاعرض عن ذلك فهذا كان من أعظم الاسباب فى زوال أمرهم ونهيهم مع حب الدنيا وطلب التفرد بها وتسلم معز الدولة العراق باسره ولم يبق بيد الخليفة منه شئ البتة الا ما أقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجته

﴿ذكر الحرب بين ناصر الدولة ومعز الدولة﴾

وفيها فى رجب سير معز الدولة عسكرا فيهم موسى فيادة وينال كوشة الى الموصل فى مقدمته فلما نزلوا عكبرا أوقع ينال كوشة بموسى فيادة ونهب سواده ومضى هو ومن معه الى ناصر الدولة وكان قد خرج من الموصل نحو العراق ووصل ناصر الدولة الى سامرا فى شعبان ووقعت الحرب بينه وبين أصحاب معز الدولة بعكبرا وفى رمضان سار معز الدولة مع المطيع لله الى عكبرا فلما سار عن بغداد لحق ابن شيرزاد بناصر الدولة وعاد الى بغداد مع عسكر لناصر الدولة فاستولوا عليها ودبر ابن شيرزاد الامور بها نيابة عن ناصر الدولة وناصر الدولة يحارب معز الدولة فلما كان عاشر رمضان سار ناصر الدولة من سامرا الى بغداد فاقام بها فلما سمع معز الدولة الخبر سار الى تكريت فنهبها لانها كانت لناصر الدولة وعاد الخليفة معه الى بغداد فنزلوا بالجانب الغربى ونزل ناصر الدولة بالجانب الشرقى ولم يخطب للمطيع ببغداد ثم وقعت الحرب بينهم ببغداد وانتشرت اعراب ناصر الدولة بالجانب الغربى فمنعوا أصحاب معز الدولة من الميرة والعلف فغلت الاسعار على الديلم حتى بلغ الخبز عندهم كل رطل بدرهم وربع وكان السعر عند ناصر الدولة رخيصا كانت تأتيه الميرة فى دجلة من الموصل فكان الخبز عنده كل خمسة ارطال بدرهم ومنع ناصر الدولة من المعاملة بالدنانير التى عليها اسم المطيع وضرب دنانير ودراهم على سكة سنة احدى وثلاثين وثلثمائة وعليها اسم المتقى لله واستعان ابن شيرزاد بالعيارين والعامة على حرب معز الدولة فكان يركب فى الماء وهم معه ويقاتل الديلم وفى بعض الليالى عبر ناصر الدولة فى ألف فارس لكبس معز الدولة فلقيهم اسفهدوست فهزمهم وكان من أعظم الناس شجاعة وضاق الامر بالديلم حتى عزم معز الدولة على العود الى الاهواز وقال نعمل معهم حيلة هذه المرة فان افادت والا عدنا ورتب ما معه من المعابر بناحية التمارين وأمر وزيره أبا جعفر الصيمرى واسفهدوست بالعبور ثم أخذ معه باقى العسكر وأظهر انه يعبر فى قطربل وسار ليلا ومعه المشاعل على شاطئ دجلة فسار أكثر عسكر ناصر الدولة بازائه ليمنعوه من العبور فتمكن الصيمرى واسفهدوست من العبور فعبروا وتبعهم أصحابهم

رأى يتلافى خللا هذا العهد فان الخطأ فيه غير مأمون والزلة فيه لا تستدرك وللنظر فيه مجلس غير هذا فعلم الرشيد أنه يريد الخلوة فامرنى بالتنحى فقمت وقعدت ناحية بحيث اسمع كلامهما فما زالا فى مناجاة ومناظرة طويلة حتى مضى الليل وافترقا على ان عقد الامر لعبد الله بعد محمد (ودخلت) أم جعفر على الرشيد فقالت ما انصفت ابنك محمدا حيث وليته العراق واعريته من العدد والقواد وصيرت ذلك الى عبد الله دونه فقال لها وما أنت وتمييز الاعمال وأخبار الرجال انى وليت ابنك السلم وعبد الله الحرب وصاحب الحرب احوج الى الرجال من المسالم ومع هذا فانا نتخوف ابنك على عبد الله ولا نتخوف عبد الله على ابنك ان بويع وفى سنة ست وثمانين ومائة خرج الرشيد حاجا ومعه وليا عهده الامين والمأمون وكتب الشرطين بينهما وعلقهما فى الكعبة (وحكى) عن ابراهيم الحجبى ان الكتاب لما رفع ليعلق بالكعبة وقع فقلت فى نفسى وقع قبل ان يرتفع ان هذا الامر سريع انتقاضه قبل تمامه (وحكى) عن سعيد بن عامر البصرى قال حججت فى هذه السنة وقد استعظم الناس أمر الشرط والايمان فى الكعبة فرأيت رجلا من هذيل يقود بعيره وهو يقول

ولما علم معز الدولة بعبور أصحابه عاد الى مكانه فعلموا بحيلته فلقيهم ينال كوشة في جماعة أصحاب ناصر الدولة فهزموه واضطرب عسكر ناصر الدولة وملك الديلم الجانب الشرقي وأعيد الخليفة الى داره في المحرم سنة خمس وثلاثين وغنم الديلم ونهبوا أموال الناس ببغداد وكان مقدار ما غنموه ونهبوه من أموال المعروفين دون غيرهم عشرة آلاف ألف دينار وأمرهم معز الدولة برفع السيف والكف عن النهب وأمن الناس فلم ينتهوا فأمر وزيره أبا جعفر الصيمري فركب وقتل وصلب جماعة وطاف بنفسه فامتنعوا واستقر معز الدولة ببغداد وأقام ناصر الدولة بعكبرا وأرسل في الصلح بغير مشورة من الاتراك التورونية فهموا بقتله فسار عنهم مجدا نحو الموصل ثم استقر الصلح بينه وبين معز الدولة في المحرم سنة خمس وثلاثين

﴿ذكر وفاة القائم وولاية المنصور﴾

وفي هذه السنة توفي القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن عبد الله المهدي العلوي صاحب افريقية لثلاث عشرة مضت من شوال وقام بالامر بعده ابنه اسمعيل وتلقب بالمنصور بالله وكتم موته خوفا ان يعلم بذلك أبو يزيد وهو بالقرب منه على سوسة وابقى الامور على حالها ولم يتسم بالخليفة ولم يغير السكة ولا الخطبة ولا البنود وبقي على ذلك الى ان فرغ من أمر أبي يزيد فلما فرغ منه أظهر موته وتسمى بالخلافة وعمل آلات الحرب والمراكب وكان شهما شجاعا وضبط الملك والبلاد

﴿ذكر اقطاع البلاد وتخريبها﴾

فيها شغب الجند على معز الدولة بن بويه وأسمعوه المكروه فضمن لهم أيضا أرزاقهم في مدة ذكرها لهم فاضطر الى خبط الناس وأخذ الاموال من غير وجوهها وأقطع قواده وأصحابه القرى جميعها التي للسلطان وأصحاب الاملاك فبطل لذلك أكثر الدواوين وزالت أيدي العمال وكانت البلاد قد خربت من الاختلاف والغلاء والنهب فأخذ القواد القرى العامرة وزادت عمارتها معهم وتوفر دخلها بسبب الجاه فلم يمكن معز الدولة العود عليهم بذلك وأما الاتباع فان الذي أخذوه ازداد خرابا فردوه وطلبوا العوض عنه فعوضوا وترك الاجناد الاهتمام بمشارب القرى وتسويه طرقها فهلكت وبطل الكثير منها وأخذ غلمان المقطعين في ظلم وتحصيل العاجل وكان احدهم اذا عجز الحاصل تممه بمصادرات ثم ان معز الدولة فوض حماية كل موضع الى بعض أكابر أصحابه فاتخذه مسكنا وأطمعه فاجتمع اليهم الاخوة وصار القواد يدعون الخسارة في الحاصل فلا يقدر وزيره ولا غيره على تحقيق ذلك فان اعترضهم معترض صاروا أعداء له فتركوا وما يريدون فازداد طمعهم ولم يقفوا عند غاية فتعذر على معز الدولة جمع ذخيرة تكون للنوائب والحوادث وأكثر من اعطاء غلمانه الاتراك والزيادة لهم في الاقطاع فحسدهم الديلم وتولد من ذلك الوحشة والمنافرة فكان من ذلك ما نذكره

﴿ذكر موت الاخشيد وملك سيف الدولة دمشق﴾

في هذه السنة في ذي الحجة مات الاخشيد أبو بكر محمد بن طغج صاحب ديار مصر وكان مولده سنة ثمان وستين ومائتين ببغداد وكان موته بدمشق وقيل مات سنة خمس وثلاثين وولي الامر بعده ابنه أبو القاسم انوجور فاستولى على الامر كافور الخادم الاسود وهو من خدم الاخشيد وغلب أبا القاسم واستضعفه وتفرد بالولاية وهذا كافور هو الذي مدحه المتنبي ثم هجاه وكان أبو القاسم صغيرا وكان كافور أتابكه فلهذا استضعفه وحكم عليه فسار كافور الى مصر فقصد سيف الدولة دمشق

ستنسل والفتنة ستقع والتنازع في الملك سيظهر قالت وكيف ترى ذلك قال أما ترى البعير واقفا والرجلان يتنازعان والغرابان قد وقعا على الدم والتطخابه والله لا يكن آخر هذا الامر الا محاربة وشر (ويروى) ان الامين لما حلف للرشيد بما حلف له به وأراد الخروج من الكعبة رده جعفر بن يحيى وقال له فان غدرت باخيك خذلك الله حتى فعل ذلك ثلاثا كلها يحلف له وبهذا السبب اضطغنت أم جعفر على جعفر بن يحيى وكانت أحد من حرض الرشيد على أمره وبعثته على ما نزل به (قال المسعودي) وفي سنة سبع وثمانين ومائة بايع الرشيد لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون فاذا افضت الخلافة الى المأمون كان أمره اليه ان شاء ان يقره أقره وان شاء ان يخلعه خلعه اه

وفي هذه السنة وهي سنة سبع وثمانين ومائة توفي الفضيل بن عياض ويكنى أبا علي وكان مولده بخراسان وقدم الكوفة وسمع من المنصور بن المعتمر وغيره ثم تعبد وانتقل الى مكة فاقام بها الى ان مات (حدث) سفيان بن عيينة قال دعانا الرشيد فدخلنا عليه ودخل الفضيل آخرنا

دمشق فلكها وأقام بها فاتفق انه كان يسيرهو والشريف العقيلى بنواحى دمشق فقال سيف الدولة ماتصلح هذه الغوطة الا لرجل واحد فقال له العقيلى هى لاقوام كثيرة فقال سيف الدولة لئن أخذتها القوانين السلطانية لينبرون منها فاعلم العقيلى أهل دمشق بذلك وكاتبوا كافورا يستدعونه فجاءهم فاخرجوا سيف الدولة عنهم سنة ست وثلاثين وثلثمائة وكان انوجور مع كافور فتبعوا سيف الدولة الى حلب فخافهم سيف الدولة فعبر الى الجزيرة وأقام انوجور على حلب ثم استقر الامر بينهما وعاد انوجور الى مصر وعاد سيف الدولة الى حلب وأقام كافور بدمشق يسيرا وولى عليها بدرا الاخشيدى ويعرف ببدير وعاد الى مصر فبقى بدير على دمشق سنة ثم وليها أبو المظفر بن طغج وقبض على بدير

❁(ذكر مخالفة أبى على على الامير نوح)❁

وفى هذه السنة خالف أبو على بن محتاج على الامير نوح صاحب خراسان وماوراء النهر وسبب ذلك ان أبا على لما عاد من مرو الى نيسابور وتجهز للمسير الى الرى أنفذ اليه الامير نوح عارضا يستعرض العسكر فاساء العارض السيرة معهم وأسقط منهم ونقص فنفرت قلوبهم فساروا وهم على ذلك وانضاف الى ذلك ان نوحا أنفذ معهم من يتولى أعمال الديوان وجعل اليه الحل والعقد والاطلاق فنفر قلبه لذلك ثم انه عزل عن خراسان بعد ان كان جميعه أيام السعيد نصر بن أحمد الى أبى على فنفر قلبه لذلك ثم ان المتولى أساء الى الجند فى معاملاتهم وجوائجهم واستعمل عليها ابراهيم بن سيمجور كما ذكرناه ثم ان المتولى أساء الى الجند فى معاملاتهم وحوائجهم وأرزاقهم فازدادوا نفورا فشكا بعضهم الى بعض وهم اذ ذاك بهمذان واتفق رأيهم على مكاتبة ابراهيم بن أحمد بن اسمعيل عم نوح واستقدامه اليهم ومبايعته وتمليكه البلاد وكان ابراهيم حينئذ بالموصل فى خدمة ناصر الدولة وكان سبب مسيره اليها ماذكرناه قبل فلما اتفقوا على ذلك أظهروا عليه أبا على فنهاهم عنه فتوعدوه بالقبض عليه ان خالفهم فاجابهم الى ماطلبوا وكاتبوا ابراهيم وعرفوه حالهم فسار اليهم فى تسعين فارسا فقدم عليهم فى رمضان من هذه السنة ولقيه أبو على بهمذان وساروا معه الى الرى فى شوال فلما وصلوا اليها اطلع أبو على من أخيه الفضل على كتاب كتبه الى الامير نوح يطلعه على حالهم فقبض عليه وعلى ذلك المتولى الذى أساء الى الجند وسار الى نيسابور واستخلف على الرى والجبل نوابه وبلغ الخبر الى الامير نوح فتجهز وسار الى مرو من بخارا وكان الاجناد قد ملوا من محمد بن أحمد الحاكم المتولى للامور لسوء سيرته فقالوا لنوح ان الحاكم أفسد عليك الامور بخراسان وأحوج ابا على الى العصيان وأوحش الجنود وطلبوا تسليمه اليهم والاساءوا الى عمه ابراهيم وأبى على فسلمه اليهم فقتلوه فى جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين ولما وصل أبو على الى نيسابور كان بها ابراهيم بن سيمجور ومنصور بن قراتكين وغيرهما من القواد فاستمالهما أبو على فمالا اليه وصارا معه ودخلها فى المحرم سنة خمس وثلاثين ثم ظهر له من منصور مايكره فقبض عليه ثم سار أبو على وابراهيم من نيسابور فى ربيع الاول سنة خمس وثلاثين الى مرو وبها الامير نوح فهرب الفضل أخو أبى على من محبسه احتال على الموكلين به وهرب الى قهستان فاقام بها وسار أبو على الى مرو فلما قاربها أتاه كثير من عسكر نوح وسار نوح عنها الى بخارا واستولى أبو على على مرو فى جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وأقام بها أياما وأتاه أكثر اجناد نوح وسار نحو بخارا وعبر النهر اليها ففارقها نوح وسار الى سمرقند ودخل أبو على بخارا فى جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وخطب فيها لابراهيم العم وبايع له الناس ثم ان أبا على اطلع من ابراهيم على سوء قد أضمره له ففارقه وسار الى تركستان وبقى ابراهيم فى بخارا وفى

مقنعا رأسه بردائه فقال لى ياسفيان أيهم أمير المؤمنين فقلت هذا وأومأت الى الرشيد فقال أنت يا حسن الوجه الذى أمر هذه الامة فى يدك وعنقك لقد تقلدت أمرا عظيما فبكى الرشيد ثم أتى كل رجل منا ببدرة فكل قبلها الا الفضيل فقال له الرشيد يا أبا على ان لم تستحلها فاعطها ذا دين واشبع بها جائعا واكس بها عريانا فاستعفاه منها فلما خرجنا قلت له يا أبا على اخطأت ألا أخذتها وصرفتها فى أبواب البر فاخذ بلحيتى ثم قال يا أبا محمد أنت فقيه البلد وتغلط مثل هذا الغلط لو طابت لاولئك لطابت لى (وقبض موسى) بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب ببغداد مسموما لخمس عشرة سنة خلت من ملك الرشيد سنة ست وثمانين ومائة وهو ابن أربع وخمسين سنة وقد ذكرنا فى رسالة بيان أسماء الائمة القطعية من الشيعة اسماءهم واسماء أمهاتهم ومواضع قبورهم ومقادير أعمارهم وكم عاش كل واحد منهم مع أبيه ومن أدرك اجداده عليهم السلام ولكلثوم العتابى فى الرشيد من أبيات

خلال ذلك أطلق أبو علي منصور بن قراتكين فسار الى الامير نوح ثم ان ابراهيم وافق جماعة في السر على ان يخلع نفسه من الامر ويرده الى ولد أخيه الامير نوح ويكون هو صاحب جيشه ويتفق معه على قصد أبي علي ودعا أهل بخارا الى ذلك فاجابوه واجتمعوا وخرجوا الى أبي علي وقد تفرق عنه أصحابه وركب اليهم في خيل فردهم الى البلد أقبح رد وأراد احراق البلد فشفع اليه مشايخ بخارا فعفا عنهم وعاد الى مكانه واستحضر أبا جعفر محمد بن نصر بن أحمد وهو أخو الامير نوح وعقد له الامارة وبايع له وخطب له في النواحي كلها ثم ظهر لابي علي فساد نيات جماعة من الجند فرتب أبا جعفر في البلد ورتب ما يجب ترتيبه وخرج عن البلد يظهر المسير الى سمرقند ويضمر العود الى الصغانيان ومنها الى نسف فلما خرج من البلد رد جماعة من الجند والحشم الى بخارا وكاتب نوحا بافراجه عنها ثم سار الى الصغانيان في شعبان ولما فارق أبو علي بخارا خرج ابراهيم وأبو جعفر محمد ابن نصر الى سمرقند مستأمنين الى نوح مظهرين الندم على ما كان منهم فقربهم وقبلهم ووعدهم وعاد الى بخارا في رمضان وقتل نوح في تلك الايام طغان الحاجب وسمل عمه ابراهيم واخوته أبا جعفر محمدا وأحمد وعادت الجيوش فاجتمعت عليه والاجناد وأصلح الفساد وأما الفضل بن محمد أخو أبي علي فانه لما هرب من أخيه كما ذكرناه ولحق بقهستان جمع جمعا كثيرا وسار نحو نيسابور وبها محمد بن عبد الرزاق من قبل أبي علي فخرج منها الى الفضل فالتقيا وتحاربا فانهزم الفضل ومعه فارس واحد فلحق ببخارا فاكرمه الامير نوح وأحسن اليه وأقام في خدمته

❁(ذكر استعمال منصور بن قراتكين على خراسان)❁

لما عاد الامير نوح الى بخارا وأصلح البلاد وكان أبو علي بالصغانيان وبمرو أبو أحمد محمد بن علي القزويني فرأى نوح أن يجعل منصور بن قراتكين على جيوش خراسان فولاه ذلك وسيره الى مرو وبها أبو أحمد وقد غور المناهل ما بين آمل ومرو ووافق أبا علي ثم تخلى عنه وسار اليه منصور جريدة في ألفي فارس فلم يشعر القزويني الا بنزول منصور بكشماهن على خمسة فراسخ من مرو واستولى منصور على مرو واستقبله أبو أحمد القزويني فاكرمه وسيره الى بخارا مع ماله وأصحابه فلما بلغها أكرمه الامير نوح وأحسن اليه الا انه وكل به فظفر بعض الايام برقعة قد كتبها القزويني بما أنكره فاحضره وبكته بذنوبه ثم قتله

❁(ذكر مصالحة أبي علي مع نوح)❁

ثم ان أبا علي أقام بالصغانيان فبلغه ان الامير نوحا قد عزم على تسيير عسكر اليه فجمع أبو علي الجيوش وخرج الى بلخ وأقام بها وأتاه رسول الامير نوح في الصلح فاجاب اليه فأبى عليه جماعة ممن معه من قواد نوح الذين انتقلوا اليه وقالوا نحب ان تردنا الى منازلنا ثم صالح فخرج أبو علي نحو بخارا فخرج اليه الامير نوح في عساكره وجعل الفضل بن محمد اخا أبي علي صاحب جيشه فالتقوا بخرجيك في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة وتحاربوا قبيل العصر فاستأمن اسمعيل بن الحسن الداعي الى نوح وتفرق العسكر عن أبي علي فانهزم ورجع الى الصغانيان ثم بلغه ان الامير نوحا قد أمر العساكر بالمسير اليه من بخارا وبلخ وغيرهما وان صاحب الختل قد تجهز لمساعدة أصحاب أبي علي فسار أبو علي في جيشه الى ترمذ وعبر جيحون وسار الى بلخ فنازلها واستولى عليها وعلى طخارستان وجبى مال تلك الناحية وسار من بخارا عسكر جرار الى الصغانيان فاقاموا بنسف ومعهم الفضل بن محمد اخو أبي علي فكتب جماعة من قواد العسكر الى الامير نوح بأن الفضل قد اتهموه بالميل الى أخيه فامرهم بالقبض عليه فقبضوا عليه وسيروه الى بخارا وبلغ خبر

امام له كف يضم بنانها
عصا الدين ممنوع من البر عودها
وعين محيط بالبرية طرفها
سواء عليه قربها وبعيدها
وأسمع يقظانا يبيت مناجيا
له في الحشا مستودعات يكيدها

(حدث) غوث بن المزرع قال حدثني خالد عن عمرو ابن بحر الجاحظ قال كان كلثوم العتابي يضع من قدر أبي نواس فقال له راوية أبي نواس يوما كيف تضع من قدر أبي نواس وهو الذي يقول

اذا نحن اثنينا عليك بصالح
فانت الذي نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الالفاظ منا بمدحة
لغيرك انسانا فانت الذي نعني

قال العتابي هذا سرقة قال ممن قال من أبي الهذيل الجمحي حيث يقول

واذا يقال لبعضهم نعم الفتى
فابن المغيرة ذلك النعم
عقم النساء فلا يجئن بمثله
ان النساء بمثله عقم

قال لقد أحسن في قوله

فتمشت في مفاصلهم
كتمشي البرء في السقم

قال سرقة أيضا قال له ممن قال من سوسة المقعسي حيث يقول

العسكر

العسكر الى ابى على وهو بطخارستان فعاد الى الصغانيان ووقعت بينهم حروب وضيق عليهم أبو على فى الملوفة فانتقلوا الى قرية أخرى على فرسخين من الصغانيان فقاتلهم أبو على فى ربيع الاول سنة سبع وثلاثين قتالا شديدا فقهروه وسار الى شومان وهى على ستة عشر فرسخا من الصغانيان ودخل عسكر نوح الى الصغانيان فاخربوا قصور أبى على ومساكنه وتبعوا أبا على فعاد اليهم واجتمع اليه الكتيبة وضيق على عسكر نوح وأخذ عليهم المسالك فانقطعت عنهم اخبار بخارا واخبارهم عن بخارا نحو عشرين يوما فارسلوا الى أبى على يطلبون الصلح فاجابهم اليه واتفقوا على انفاذ ابنه أبى المظفر عبد الله رهينة الى الامير نوح واستقر الصلح بينهما فى جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وسير ابنه الى بخارا فامر نوح باستقباله فاكرمه وأحسن اليه وكان قد دخل اليه بعمامة فخلع عليه القلنسوة وجعله من ندمائه وزال الخلاف وكان ينبغى ان نذكر هذه الحوادث فى السنين التى هى فيها كانت وانما أوردناها متتابعة فى هذه السنة لئلا يتفرق ذكرها هذا الذى ذكره أصحاب التواريخ من الخراسانيين وقد ذكر العراقيون هذه الحوادث على غير هذه السياقة وأهل كل بلد أعلم باحوالهم ونحن نذكر ماذكره العراقيون مختصرا قالوا ان أبا على لما سار نحو الرى فى عساكر خراسان كتب ركن الدولة الى أخيه عماد الدولة يستمده فارسل اليه يأمره بمفارقة الرى والوصول اليه لتدبيرله فى ذلك ففعل ركن الدولة ذلك ودخل أبو على الرى فكتب عماد الدولة الى نوح سرا يبذل له فى الرى فى كل سنة زيادة على مابذله أبو على مائة ألف دينار ويعجل ضمان سنة ويبذل من نفسه مساعدته على أبى على حتى يظفر به وخوفه منه فاستشار نوح أصحابه وكانوا يحسدون أبا على ويعادونه فاشاروا عليه باجابته فارسل نوح الى ابن بويه من يقرر القاعدة ويقبض المال فاكرم الرسول ووصله بمال جزيل وأرسل الى أبى على يعلمه خبر هذه الرسالة وانه مقيم على عهده ووده وحذره من غدر الامير نوح فانفذ أبو على رسوله الى ابراهيم وهو بالموصل يستدعيه ليملكه البلاد فسار ابراهيم ولقيه أبو على بهمذان وساروا الى خراسان وكتب عماد الدولة الى أخيه ركن الدولة يأمره بالمبادرة الى الرى فعاد اليه واضطربت خراسان ورد عماد الدولة رسول نوح بغير مال وقال أخاف ان أنفذ المال فيأخذه أبو على وأرسل الى نوح يحذره من أبى على ويعده المساعدة عليه وأرسل الى أبى على يعده بانفاذ العساكر نجدة له ويشير عليه بسرعة اللقاء وان نوحا سار فالتقى هو وأبو على بنيسابور فانهزم نوح وعاد الى سمرقند واستولى أبو على على بخارا وان أبا على استوحش من ابراهيم فانقبض عنه وجمع نوح العساكر وعاد الى بخارا وحارب عمه ابراهيم فلما التقى الصفان عاد جماعة من قواد ابراهيم الى نوح وانهزم الباقون وأخذ ابراهيم أسيرا فسمل هو وجماعة من أهل بيته سملهم نوح

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة اصطلح معز الدولة وأبو القاسم البريدى وضمن أبو القاسم مدينة واسط وأعمالها منه وفيها اشتد الغلاء ببغداد حتى أكل الناس الميتة والكلاب والسنانير وأخذ بعضهم ومعه صبى قد شواه ليأكله وأكل الناس خروب الشوك فاكثروا منه وكانوا يسلقون حبه ويأكلونه ولحق الناس أمراض وأورام فى احشائهم وكثر فيهم الموت حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانت الكلاب تأكل لحومهم وانحدر كثير من أهل بغداد الى البصرة فمات أكثرهم فى الطريق ومن وصل منهم مات بعد مدة يسيرة وبيعت الدور والعقار بالخبز فلما دخلت الغلات انحل السعر وفيها توفى على بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير وله تسعون سنة وقد تقدم

على سالف الايام لم يبق موهبا

قال فقد أحسن فى قوله

وماخاقت الالبذل اكفهم
واقدامهم الالاعواد منبر

قال وقد سرقه أيضا قال ممن

قال من مروان بن أبى حفصة حيث يقول

وماخلقت الالبذل اكفهم
وألسنهم الالتحبير منطق

فيوما يبارون الرياح سماحة
ويوما لبذل الخاطب المتشدق

قال فسكت الراوية ولو أتى بشعره كله لقال له سرقه (وحدث) أبو العباس أحمد ابن يحيى ثعلب قال كان أبو العتاهية قد اكثر مسئلة الرشيد فى عتبة فوعده بتزويجها وأنه يسألها فى ذلك فان أجابت جهزها وأعطاه مالا عظيما ثم ان الرشيد سنح له شغل استمر به فحجب أبو العتاهية عن الوصول اليه فدفع الى مسرور الكبير ثلاث مراوح فدخل بها على الرشيد وهو يتبسم وكانت مجتمعة فقرأ على واحدة منهن مكتوبا

ولقد تنسمت الرياح لحاجتى
فاذا لها من راحتيه نسيم

فقال أحسن الخبيث واذا على الثانية

اعلقت نفسى من رجائك ماله

من أخباره ما يدل على دينه وكفايته وفيها توفى أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقى الفقيه الحنبلى ببغداد وأبو بكر الشبلى الصوفى توفى فى ذى الحجة ومحمد بن عيسى أبو عبد الله ويعرف بابن أبى موسى الفقيه الحنفى فى ربيع الاول

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلثمائة)

فى هذه السنة فى المحرم استقر معز الدولة ببغداد وأعاد المطيع لله الى دار الخلافة بعد ان استوثق منه وقد تقدم ذلك مفصلا وفيها اصطلح معز الدولة وناصر الدولة وكانت الرسل تتردد بينهما بغير علم من الاتراك التوزونية وكان ناصر الدولة نازلا بشرقى تكريت فلما علم الاتراك بذلك ثاروا بناصر الدولة فهرب منهم وعبر دجلة الى الجانب الغربى فنزل على ملهم والقرامطة فاجاروه وسيروه ومعه ابن شيرزاد الى الموصل

(ذكر حروب تكين وناصر الدولة)

لما هرب ناصر الدولة من الاتراك ولم يقدروا عليه اتفقوا على تأمير تكين الشيرازى وقبضوا على ابن قرابه وعلى كتاب ناصر الدولة ومن تخلف من أصحابه وقبض ناصر الدولة على ابن شيرزاد عند وصوله الى جهينة ولم يلبث ناصر الدولة بالموصل بل سار الى نصيبين ودخل تكين والاتراك الى الموصل وساروا فى طلبه فمضى الى سنجار فتبعه تكين اليها فسار ناصر الدولة من سنجار الى الحديثة فتبعه تكين وكان ناصر الدولة قد كتب الى معز الدولة يستصرخه فسير الجيوش اليه فسار ناصر الدولة من الحديثة الى السن فاجتمع هناك بعسكر معز الدولة وفيهم وزيره أبو جعفر الصيمرى وساروا بأسرهم الى الحديثة لقتال تكين فالتقوا بها واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم تكين والاتراك بعد ان كادوا يستظهرون فلما انهزموا تبعهم العرب من أصحاب ناصر الدولة فادركوهم وأكثروا القتل فيهم وأسروا تكين الشيرازى وحملوه الى ناصر الدولة فسمله فى الوقت فاعماه وحمله الى قلعة من قلاعه فحبسه بها وسار ناصر الدولة والصيمرى الى الموصل فنزلوا شرقيها وركب ناصر الدولة الى خيمة الصيمرى فدخل اليه ثم خرج من عنده الى الموصل ولم يعد اليه فحكى عن ناصر الدولة انه قال ندمت حين دخلت خيمته فبادرت وخرجت وحكى عن الصيمرى انه قال لما خرج ناصر الدولة من عندى ندمت حيث لم أقبض عليه ثم تسلم الصيمرى ابن شيرزاد من ناصر الدولة ألف كر حنطة وشعيرا وغير ذلك

(ذكر استيلاء ركن الدولة على الرى)

لما كان من عساكر خراسان ما ذكرناه من الاختلاف وعاد أبو على الى خراسان رجع ركن الدولة الى الرى واستولى عليها وعلى سائر أعمال الجبل وازال عنها الخراسانية وعظم ملك بنى بويه فانهم صار بايديهم أعمال الرى والجبل وفارس والاهواز والعراق ويحمل اليهم ضمان الموصل وديار بكر وديار مضر من الجزيرة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة اختلف معز الدولة بن بويه وأبو القاسم بن البريدى والى البصرة فأرسل معز الدولة جيشا الى واسط فسير اليهم ابن البريدى جيشا من البصرة فى الماء وعلى الظهر فالتقوا واقتتلوا فانهزم أصحاب البريدى وأسر من أعيانهم جماعة كثيرة وفيها كان الفداء بالثغور بين المسلمين والروم على يد نصر الثملى أمير الثغور لسيف الدولة بن حمدان وكان عدة الاسرى ألفين وأربعمائة أسير وثمانين أسيرا من ذكر وأنثى وفضل للروم على المسلمين مائتان وثلاثون أسيرا الكثرة من

يا أبا العتاهية وفى غد نقضى حاجتك ان شاء الله وبعث الى عتبة ان لى اليك حاجة فانتظرينى الليلة فى منزلك فأكبرت ذلك وأعظمته وصارت اليه تستعفيه فحلف ان لا يذكرها حاجته الا فى منزلها فلما كان الليل سار اليها ومعه جماعة من خواص خدمه فقال لها لست اذكر حاجتى أو تضمنين قضاءها قالت انا امتك وأمرك نافذ فى ما خلا أمر أبى العتاهية فانى حلفت لابيك رضى الله عنه بكل يمين يحلف بها بر وفاجر وبالمشى الى بيت الله الحرام حافية كلما انقضت عنى حجة وجبت على أخرى لا اقتصر على الكفارة وكلما افدت شيأ تصدقت به الاما أصلى فيه وبكت بين يديه فرق لها ورحمها وانصرف عنها وغدا عليه أبو العتاهية فقال له الرشيد والله ما قصرت فى أمرك ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لى بذلك وشرح له الخبر قال أبو العتاهية فلما أخبرنى بذلك مكثت مليا لا أدرى أين أنا قائم أو قاعد وقلت الآن يئست منها اذ ردتك وعلمت انها لا تجيب أحدا بعدك فلبس أبو العتاهية الصوف وقال فى ذلك من أبيات قطعت منها حبائل الآمال * وحططت عن ظهر المطى رحالى

معهم من الاسرى فوفاهم ذلك سيف الدولة وفيها في شعبان قبض سيف الدولة بن حمدان على
أبي اسحق محمد القراريطي وكان استكتبه استظهارا على أبي الفرج محمد بن علي السرمري
واستكتب أبا عبد الله محمد بن سليمان بن فهد الموصلي وفيها توفي محمد بن اسمعيل بن بحر أبو عبد الله
الفارسي الفقيه الشافعي في شوال ومحمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول أبو بكر
الصولي وكان عالما بفنون الآداب والاخبار

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلثمائة)

(ذكر استيلاء معز الدولة على البصرة)

في هذه السنة سار معز الدولة ومعه المطيع لله الى البصرة لاستنقاذها من يد أبي القاسم عبد الله
ابن أبي عبد الله البريدي وسلكوا البرية اليها فارسل القرامطة من هجر الى معز الدولة ينكرون
عليه مسيره الى البرية بغير أمرهم وهي لهم فلم يجبهم عن كتابهم وقال للرسول قل لهم من أنتم حتى
تستأمروا وليس قصدي من أخذ البصرة غيركم وستعلمون ما تقولون مني ولما وصل معز الدولة
الى الدرهمية استأمن اليه عساكر أبي القاسم البريدي وهرب أبو القاسم في الرابع والعشرين من
ربيع الآخر الى هجر والتجأ الى القرامطة وملك معز الدولة البصرة فانحلت الاسعار ببغداد
انحلالا كثيرا وسار معز الدولة من البصرة الى الاهواز ليلقى اخاه عماد الدولة واقام الخليفة وأبو
جعفر الصيمري بالبصرة وخالف كوركير وهو من أكابر القواد على معز الدولة فسير اليه الصيمري
فقاتله فانهزم كوركير وأخذ أسيرا فحبسه معز الدولة بقلعة رامهرمز ولقي معز الدولة أخاه عماد
الدولة بأرجان في شعبان وقبل الارض بين يديه وكان يقف قائما عنده فيأمره بالجلوس فلا يفعل
ثم عاد الى بغداد وعاد المطيع أيضا اليها وأظهر معز الدولة انه يريد أن يسير الى الموصل فترددت
الرسل بينه وبين ناصر الدولة واستقر الصلح وحمل المال الى معز الدولة فسكت عنه

(ذكر مخالفة محمد بن عبد الرزاق بطوس)

كان محمد بن عبد الرزاق بطوس واعمالها وهي في يده وبيد نوابه فخالف على الامير نوح بن نصر
الساماني وكان منصور بن قراتكين صاحب جيش خراسان بمرو عند نوح فوصل اليهما وشمكير
منهزما من جرجان قد غلبه عليها الحسن بن الفيرزان فأمر نوح منصورا بالمسير الى نيسابور
ومحاربة محمد بن عبد الرزاق وأخذ ما بيده من الاعمال ثم يسير مع وشمكير الى جرجان فسار منصور
ووشمكير الى نيسابور وكان بها محمد بن عبد الرزاق ففارقها نحو استوا فاتبعه منصور فسار محمد الى
جرجان وكاتب ركن الدولة بن بويه واستأمن اليه فامره بالوصول الى الري وسار منصور من
نيسابور الى طوس وحصر رافع بن عبد الرزاق بقلعة شميلان فاستأمن بعض أصحاب رافع اليه
فهرب رافع من شميلان الى حصن درك فاستولى منصور على شميلان وأخذ ما فيها من مال وغيره
واحتمى رافع بدرك وبها أهله ووالدته وهي على ثلاثة فراسخ من شميلان فأخرب منصور شميلان
وسار الى درك فحاصرها وحاربهم عدة أيام فتغيرت المياه بدرك فاستأمن أحمد بن عبد الرزاق الى
منصور في جماعة من بني عمه وأهله وعمد اخوه رافع الى الصامت من الاموال والجواهر
وألقاها في البسط الى تحت القلعة ونزل هو وجماعة فأخذوا تلك الاموال وتفرقوا في الجبال
واحتوى منصور على ما كان في قلعة درك وانفذ عيال محمد بن عبد الرزاق ووالدته الى بخارا
فاعتقلوا بها وأما محمد بن عبد الرزاق فانه سار من جرجان الى الري وبها ركن الدولة بن بويه فاكرمه
ركن الدولة وأحسن اليه وحمل اليه شيأ كثيرا من الاموال وغيرها وسرحه الى محاربة المرزبان

ووجدت برد اليأس بين جوانحي * فغنيت عن حل وعن ترحال (وذكر)
أنه لما اتصل بالرشيد قول
أبي العتاهية
ألا ان ظبيا للخليفة صادني
ومالي عن ظبي الخليفة من
عذر
غضب الرشيد وقال أسخر
منا فبعث وأمر بحبسه
فدفعه الى نجاب صاحب
عقوبته وكان فظا غليظا
فقال أبو العتاهية
نجاب لا تعجل علي
فليس ذا من رائه
ماخلت هذا في مخا
يل ضوء برق سمائه
وكان من اشعاره في الحبس
بعدما طال مكثه
انما أنت رحمة وسلامه
زادك الله غبطة وكرامه
قيل لي قد رضيت عني
فمن لي
ان أرى لي على رضاك علامه
فقال الرشيد لله أبوه لو رأيته
ما حبسته وانما سمحت
نفسي بحبسه لانه كان
غائبا عني وأمر باطلاقه
وأبو العتاهية الذي يقول
نراع لذكر الموت ساعة
وقته
ونغتر بالدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا
لغيرها
وما كنت فيه فهو شيء
محبب
وهو الذي يقول أيضا
حتوفها رصد وعيشها
رنق
وكدرها نكد وملكها دول
وقال
المرء في تأخير مدته * كالثوب يبلى بعد جدته
عجبا لمنتبه يضيع ما * يحتاج فيه ليوم رقدته

على ما نذكره

﴿ذكر ولاية الحسن بن علي صقلية﴾

في هذه السنة استعمل المنصور الحسن بن علي بن أبي الحسن الكلبي على جزيرة صقلية وكان له محل كبير عند المنصور وله اثر عظيم في قتال أبي يزيد وكان سبب ولايته ان المسلمين كانوا قد استضعفهم الكفار بها أيام عطاف لعجزه وضعفه وامتنعوا من اعطاء مال الهدنة وكان بصقلية بنو الطبري من اعيان الجماعة ولهم اتباع كثيرون فوثبوا بعطاف أيضا واعانهم أهل المدينة عليه يوم عيد الفطر سنة خمس وثلاثين وقتلوا جماعة من رجاله وافلت عطاف هاربا بنفسه الى الحصن فاخذوا أعلامه وطبوله وانصرفوا الى ديارهم فارسل أبو عطاف الى المنصور يعلمه الحال ويطلب المدد فلما علم المنصور ذلك استعمل على الولاية الحسن بن علي وأمره بالمسير فسار في المراكب فأرسى بمدينة مازر فلم يلتفت اليه أحد فبقي يومه فاتاه في الليل جماعة من أهل افريقية وكتامة وغيرهم وذكروا انهم خافوا الحضور عنده من ابن الطبري ومن اتفق معه من أهل البلاد وان علي ابن الطبري ومحمد بن عبدون وغيرهما قد ساروا الى افريقية وأوصوا بنيهم ليمنعوه من دخول البلد ومفارقة مراكبه الى ان تصل كتبهم بما يلقون من المنصور وقد مضوا يطلبون ان يولي المنصور غيره ثم أتاه نفر من أصحاب ابن الطبري ومن معه ليشاهدوا من معه فرأوه في قلة فطمعوا فيه وخادعوه وخادعهم ثم عادوا الى المدينة وقد وعدهم انه يقيم بمكانه الى ان يعودوا اليه فلما فارقوه جد السير الى المدينة قبل ان يجمعوا أصحابهم ويمنعوه فلما انتهى الى البيضاء اتاه حاكم البلد وأصحاب الدواوين وكل من يريد العافية فلقيهم وأكرمهم وسألهم عن أحوالهم فلما سمع اسمعيل ابن الطبري بخروج هذا الجمع اليه اضطر الى الخروج اليه فلقيه الحسن وأكرمه وعاد الى داره ودخل الحسن البلد ومال اليه كل منحرف عن بني الطبري ومن معه فلما رأى ابن الطبري ذلك أمر رجلا صقليا فدعا بعض عبيد الحسن وكان موصوفا بالشجاعة فلما دخل بيته خرج الرجل يستغيث ويصيح ويقول ان هذا دخل بيتي واخذ امرأتي بحضرتي غصبا فاجتمع أهل البلد لذلك وحركهم ابن الطبري وخوفهم وقال هذا فعلهم ولم يتمكنوا من البلد وأمر الناس بالحضور عند الحسن ظنا منه انه لا يعاقب مملوكه فيثور الناس به فيخرجونه من البلد فلما اجتمع الناس وذلك الرجل يصيح ويستغيث أحضره الحسن عنده وسأله عن حاله فحلفه بالله تعالى على ما يقول فحلف وأمر بقتل الغلام فقتل فسر أهل البلد وقالوا الآن طابت نفوسنا وعلمنا أن بلدنا يتعمر ويظهر فيه العدل فانعكس الامر على ابن الطبري وأقام الحسن وهو خائف منهم ثم ان المنصور أرسل الى الحسن يعرفه انه قبض على علي بن الطبري وعلى محمد بن عبدون ومحمد بن جنا ومن معهم ويأمره بالقبض على اسمعيل بن الطبري ورجاء بن جنا ومحمد ومخالفي الجماعة المقبوضين فاستعظم الامر ثم أرسل الى ابن الطبري يقول له كنت قد وعدتني ان نتفرج في البستان الذي لك فتحضر لنمضي اليه وأرسل الى الجماعة على لسان ابن الطبري يقول تحضرون لنمضي مع الامير الى البستان فحضروا عنده وجعل يحادثهم ويطول الى أن أمسوا فقال قد فات الليل وتكونون أضيافنا فأرسل الى أصحابهم يقول انهم الليلة في ضيافة الامير فيعودون الى بيوتهم الى الغد فمضى أصحابهم فقبض عليهم وأخذ جميع أموالهم وكثر جمعه واتفق الناس عليه وقويت نفوسهم فلما رأى الروم ذلك احضروا الراهب مال الهدنة لثلاث سنين ثم ان ملك الروم ارسل بطريقا في البحر في جيش كثير الى صقلية واجتمع هو والسردغوس فارسل الحسن بن علي الى المنصور يعرفه الحال فارسل اليه اسطولا فيه سبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف وخمسمائة راجل سوى البحرية وجمع الحسن اليهم

وقال لا تأمن الدنيا على غدرها كم غدرت قبل بأمثالكا
اجمع الناس على ذمها وما أرى منهم لها تاركا

وقال

انما أنت مستعير ما سوف تردين والمعار يرد
كيف يهوى امرؤ لذاذة أيا م عليه الانفاس فيها تعد

وقال

حياتك انفاس تعد فكلما مضى نفس منها انتقصت به جزأ

وقال

ألا يا موت لم أر منك بدا أتيت بما يحيف ولا تحابي
كأنك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيب على شبابي

وقال

نسيت الموت فيما قد نسيت كأني لم أر أحدا يموت
أليس الموت غاية كل حي فمالي لا أبادر ما يفوت

وقال

وعظتك احداث صمت ونعتك ساكنة خفت
وتكلمت عن أعظم تبلى وعن صور سبت
وأرتك قبرك في القبو ر وأنت حي لم تمت

وقال

ومشيد دارا ليسكن ظلها سكن القبور وداره لم يسكن

(حدث) اسحق بن ابراهيم الموصلي قال بينا أنا ذات ليلة عند الرشيد أغنيه اذ طرب لغنائي وقال لا تبرح ولم أزل أغنيه حتى نام فأمسكت ووضعت العود من حجري وجلست مكاني فاذا شاب حسن القد عليه

جمعا

جمعا كثيرا وسار فى البر والبحر فوصل الى مسينى وعدت العساكر الاسلامية الى ريو وبث الحسن السرايا فى أرض قلورية ونزل الحسن على جراجة وحاصرها اشد حصار واشرفوا على الهلاك من شدة العطش فوصله الخبر ان الروم قد زحفوا اليه فصالح أهل جراجة على مال أخذه منهم وسار الى لقاء الروم ففروا من غير حرب الى مدينة بارة ونزل الحسن على قلعة قسانة وبث سراياه الى قلورية وأقام عليها شهرا فسألوه الصلح فصالحهم على مال أخذوه منهم ودخل الشتاء فرجع الجيش الى مسينى وشتى الاسطول بها فأرسل المنصور يأمره بالرجوع الى قلورية فسار الحسن وعدا المجاز الى جراجة فالتقى المسلمون والسردغوس ومعه الروم يوم عرفة سنة أربعين وثلثمائة فاقتتلوا أشد قتال رآه الناس فانهزمت الروم وركب المسلمون اكتافهم الى الليل وأكثروا القتل فيهم وغنموا أثقالهم وسلاحهم ودوابهم ثم دخلت سنة احدى وأربعين فقصد الحسن جراجة فحصرها فأرسل اليه قسطنطين ملك الروم يطلب منه الهدنة فهادنه وعاد الحسن الى ريو وبنى بها مسجدا كبيرا فى وسط المدينة وبنى فى احد اركانه مأذنة وشرط على الروم أنهم لا يمنعون المسلمين من عمارته واقامة الصلاة فيه والاذان وأن لا يدخله نصرانى ومن دخله من الاسارى المسلمين فهو آمن سواء كان مرتدا أو مقيما على دينه وان أخرجوا حجرا منه هدمت كنائسهم كلها بصقلية وافريقية فوفى الروم بهذه الشروط كلها ذلة وصغارا وبقى الحسن بصقلية الى ان توفى المنصور وملك المعز فسار اليه وكان ما نذكره

(ذكر عصيان جمان بالرحبة وما كان منه)

كان هذا جمان من أصحاب تورون وصار فى جملة ناصر الدولة بن حمدان فلما كان ناصر الدولة ببغداد فى الجانب الشرقى وهو يحارب معز الدولة ضم ناصر الدولة جميع الديلم الذين معه الى جمان لقلة ثقته بهم وقلده الرحبة وأخرجه اليها فعظم أمره هناك وقصده الرجال فاظهر العصيان على ناصر الدولة وعزم على التغلب على الرقة وديار مضر فسار الى الرقة فحصرها سبعة عشر يوما فحاربه أهلها وهزموه ووثب أهل الرحبة بأصحابه وعماله فقتلوهم لشدة ظلمهم وسوء معاملتهم فلما عاد من الرقة وضع السيف فى أهلها فقتل منهم مقتلة عظيمة فأرسل اليه ناصر الدولة حاجبه ياروخ فى جيش فاقتتلوا على شاطئ الفرات فانهزم جمان فوقع فى الفرات فغرق واستأمن أصحابه الى ياروخ وأخرج جمان من الماء فدفن مكانه

(ذكر ملك ركن الدولة طبرستان وجرجان)

وفيها فى ربيع الاول اجتمع ركن الدولة بن بويه والحسن بن الفيرزان وقصدوا بلاد وشمكير فالتقاهم وشمكير وانهزم منهم وملك ركن الدولة طبرستان وسار منها الى جرجان فملكها واستأمن من قواد وشمكير مائة وثلاثة عشر قائدا فاقام الحسن بن الفيرزان بجرجان ومضى وشمكير الى خراسان مستجيرا ومستنجدا الاعادة بلاده فكان ما نذكره

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى صفر ظهر كوكب له ذنب طوله نحو ذراعين فى المشرق وبقى نحو عشرة أيام واضمحل وفيها مات سلامة الطولونى الذى كان حاجب الخلفاء فأخذ ماله وعياله وسار الى الشام أيام المستكفى فمات هناك ولما سار عن بغداد أخذ ماله فى الطريق ومات هو الآن فذهبت نعمته ونفسه حيث ظن السلامة ولقد أحسن القائل حيث يقول

واذا خشيت من الامور مقدرا * فهربت منه فنحوه تتقدم

مقطمات خز وهيئة جميلة فدخل وسلم وجلس فجاءت أعجب من دخوله فى ذلك الوقت الى ذلك الموضع بغير استئذان ثم قلت فى نفسى عسى بعض ولد الرشيد ممن لا نعرفه ولم نره فضرب بيده على العود فأخذه ووضعه فى حجره وجسه فرأيت انه جس أحسن خلق الله ثم أصلحه اصلاحا ما أدرى ما هو ثم ضرب ضربا فما سمعت اذنى صوتا أجود منه ثم اندفع يغنى

الا عللانى قبل ان نتفرقا
وهات اسقنى صرفا شرابا مروقا
فقد كاد ضوء الصبح ان يفضح الدجا
وكاد قميص الليل ان يتمزقا

ثم وضع العود من حجره وقال يا عاض بظر أمه اذا غنيت فغن هكذا ثم خرج فقمت على أثره فقلت للحاجب من الفتى الذى خرج الساعة فقال ما دخل هنا أحد ولا خرج فقمت متعجبا ورجعت الى مجلسى وانتبه الرشيد فقال ما شأنك فحدثته بالقضية فبقى متعجبا وقال لقد صادفت شيطانا ثم قال أعد على الصوت فأعدته فطرب طربا شديدا وأمر لى بجائزة وانصرفت

(وحدث) ابراهيم الموصلى قال جمع الرشيد ذات يوم المغنين فلم يبق أحد من الرؤساء الا حضر وكنت فيهم وحضر معنا مسكين المدنى ويعرف بأبى صدقة وكان يوقع بالقضيب مطبوعا حاذقا طيب العشرة مليح البادرة فاقترح الرشيد وقد عمل فيه النبيذ

وفيها توفى محمد بن أحمد بن حماد أبو العباس الاثرم المقرى

﴿ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلثمائة﴾

﴿ذكر ملك معز الدولة الموصل وعوده عنها﴾

فى هذه السنة سار معز الدولة من بغداد الى الموصل قاصد الناصر الدولة فلما سمع ناصر الدولة بذلك سار عن الموصل الى نصيبين ووصل معز الدولة فملك الموصل فى شهر رمضان وظلم أهلها وعسفهم وأخذ أموال الرعايا فكثر الدعاء عليه وأراد معز الدولة ان يملك جميع بلاد ناصر الدولة فاتاه الخبر من أخيه ركن الدولة ان عساكر خراسان قد قصدت جرجان والرى ويستمده ويطلب منه العساكر فاضطر الى مصالحة ناصر الدولة فترددت الرسل بينهما فى ذلك واستقر الصلح بينهما على ان يؤدى ناصر الدولة عن الموصل وديار الجزيرة كلها والشام كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم ويخطب فى بلاده لعماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة بنى بويه فلما استقر الصلح عاد معز الدولة الى بغداد فدخلها فى ذى الحجة من السنة

﴿ذكر مسير عسكر خراسان الى جرجان﴾

فى هذه السنة سار منصور بن قراتكين فى جيوش خراسان الى جرجان صحبة وشمكير وبها الحسن ابن الفيرزان وكان منصور منحرفا عن وشمكير فى السير فتساهل لذلك مع الحسن وصالحه وأخذ ابنه رهينة ثم بلغ منصورا أن الامير نوحا اتصل بابنة ختكين مولى قراتكين وهو صاحب بست والرخج فساء ذلك منصورا واقلقه وكان نوح قد زوج قبل ذلك بنتا لمنصور من بعض مواليه اسمه فتكين فقال منصور يتزوج الامير بابنة مولاى وتزوج ابنتى من مولاه فحمله ذلك على مصالحة الحسين بن الفيرزان وأعاد عليه ابنه وعاد عنه الى نيسابور وأقام الحسن بزوزن وبقى وشمكير بجرجان

﴿ذكر مسير المرزبان الى الرى﴾

فى هذه السنة سار المرزبان محمد بن مسافر صاحب اذربيجان الى الرى وسبب ذلك انه بلغه خروج عساكر خراسان الى الرى وان ذلك يشغل ركن الدولة عنه ثم انه كان أرسل رسولا الى معز الدولة فحلق معز الدولة لحيته وسبه وسب صاحبه وكان سفيها فعظم ذلك على المرزبان وأخذ فى جمع العساكر واستأمن اليه بعض قواد ركن الدولة وأطمعه فى الرى وأخبره ان وراءه من القواد من يريدونه فطمع لذلك فراسله ناصر الدولة يعده المساعدة ويشير عليه ان يبتدئ ببغداد فخالفه ثم أحضر أباه وأخاه وهسوذان واستشارهما فى ذلك فنهاه أبوه عن قصد الرى فلم يقبل فلما ودعه بكى أبوه وقال يا بنى أين اطلبك بعد يومى هذا قال اما فى دار الامارة بالرى واما بين القتلى فلما عرف ركن الدولة خبره كتب الى أخويه عماد الدولة ومعز الدولة يستمدهما فسير عماد الدولة ألفى فارس وسير اليه معز الدولة جيشا مع سبكتكين التركى وأنفذ عهدا من المطيع لله لركن الدولة بخراسان فلما صاروا بالدينور خالف الديلم على سبكتكين وكبسوه ليلا فركب فرس النوبة ونجا واجتمع الاتراك عليه فعلم الديلم انهم لا قوة لهم به فعادوا اليه وتضرعوا فقبل عذرهم وكان ركن الدولة قد شرع مع المرزبان فى المخادعة واعمال الحيلة فكتب اليه يتواضع له ويعظمه ويسأله ان ينصرف عنه على شرط أن يسلم اليه ركن الدولة زنجان وابهر وقزوين وترددت الرسل فى ذلك الى ان وصله المدد من عماد الدوله ومعز الدولة وأحضر معه محمد بن عبد الرزاق وأنفذ له الحسن بن الفيرزان عسكرا مع محمد بن ما كان فلما كثر جمعه قبض على جماعة ممن كان يتهمهم من قواده وسار الى قزوين فعلم المرزبان عجزه عنه وأنف من الرجوع فالتقيا فانهزم عسكر المرزبان وأخذ أسيرا وحمل الى سميرم

صوتا وأمر صاحب الستارة ابن جامع ان يغنيه ففعل فلم يطرب عليه ثم فعل مثل ذلك بجماعة ممن حضر فلم يحرك منه أحد فقال صاحب الستارة لمسكين المدنى يأمرك أمير المؤمنين ان كنت تحسن هذا الصوت فغنه قال ابراهيم فاندفع فغناه فأمسكنا جميعا نتعجب من جراءته مثله على الغناء بحضرتنا فى صوت قد قصرنا فيه عن مراد الخليفة قال ابراهيم فلما فرغ منه سمعت الرشيد يقول يا مسكين أعده فأعاده بقوة ونشاط فقال أحسنت وأجملت ورفعت الستارة بيننا وبينه فقال مسكين يا أمير المؤمنين ان لهذا الصوت خبرا قال وما هو قال كنت عبدا خياطا لبعض آل الزبير وكان لمولاى على ضريبة ادفع اليه كل يوم درهمين فاذا دفعت ضريبتى تصرفت فى حوائجى فخطت يوما قميصا لبعض الطالبيين فدفع الى درهمين وتغديت وسقانى اقداحا فخرجت وأنا جذلان فلقيتنى سوداء على رقبتها جرة وهى تغنى هذا الصوت فأذهلنى عن كل مهم وأنسانى كل حاجة فقلت بصاحب هذا القبر والمنبر الا ألقيت على هذا الصوت فقالت وحق صاحب هذا القبر والمنبر لا ألقيه عليك الا بدرهمين فأخرجت الدرهمين فدفعتهما اليها فأنزلت الجرة عن عاتقها واندفعت

فجلس

فحبس بها وعاد ركن الدولة ونزل محمد بن عبد الرزاق بنواحي اذربيجان وأما أصحاب المرزبان فانهم اجتمعوا على أبيه محمد بن مسافر وولوه أمرهم فهرب منه ابنه وهسوذان الى حصن له فاساء محمد السيرة مع العسكر فارادوا قتله فهرب الى ابنه وهسوذان فقبض عليه وضيق عليه حتى مات ثم تحير وهسوذان في أمره فاستدعى ديسم الكردي لطاعة الاكراد له وقوّاه وسيره الى محمد ابن عبد الرزاق فالتقيا فانهزم ديسم وقوي ابن عبد الرزاق فاقام بنواحي اذربيجان يجبي أموالها ثم رجع الى الري سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وكاتب الامير نوحا واهدى له هدية وسأله الصفح فقبل عذره وكاتب وشمكير بمهادنته فهادنه ثم عاد محمد الى طوس سنة تسع وثلاثين لما خرج منصور الى الري

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سار سيف الدولة بن حمدان الى بلاد الروم فلقيه الروم واقتتلوا فانهزم سيف الدولة وأخذ الروم مرعش وأوقعوا باهل طرسوس وفيها قبض معز الدولة على اسفهدوست وهو خال معز الدولة وكان من أكابر قواده وأقرب الناس اليه وكان سبب ذلك انه كان يكثر الدالة عليه ويعيبه في كثير من أفعاله ونقل عنه انه كان يراسل المطيع لله في قتل معز الدولة فقبض عليه وسيره الى رامهرمز فسجنه بها وفيها استأمن أبو القاسم البريدي الى معز الدولة وقدم بغداد فلقي معز الدولة فاحسن اليه وأقطعه

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة)

(ذكر حال عمران بن شاهين)

في هذه السنة استفحل أمر عمران بن شاهين وقوي شأنه وكان ابتداء حاله انه من أهل الجامدة فجبى جبايات فهرب الى البطيحة خوفا من السلطان وأقام بين القصب والآجام واقتصر على ما يصيده من السمك وطيور الماء قوتا ثم صار يقطع الطريق على من يسلك البطيحة واجتمع اليه جماعة من الصيادين وجماعة من اللصوص فقوي بهم وحمى جانبه من السلطان فلما خاف ان يقصد استأمن الى أبي القاسم البريدي فقلده حماية الجامدة ونواحي البطائح وما زال يجمع الرجال الى ان كثر أصحابه وقوي واستعد بالسلاح واتخذ معاقل على التلول التي بالبطيحة وغلب على تلك النواحي فلما اشتد أمره سير معز الدولة الى محاربته وزيره أبا جعفر الصيمري فسار اليه في الجيوش وحاربه مرة بعد مرة واستأسر أهله وعياله وهرب عمران بن شاهين واستتر وأشرف على الهلاك فاتفق ان عماد الدولة بن بويه مات واضطرب جيشه بفارس فكتب معز الدولة الى الصيمري بالمبادرة الى شيراز لاصلاح الامور بها فترك عمران وسار الى شيراز على ما نذكره في موت عماد الدولة فلما سار الصيمري عن البطائح ظهر عمران بن شاهين من استتاره وعاد الى أمره وجمع من تفرق عنه من أصحابه وقوي أمره وسنذكر من اخباره فيما بعد ما تدعو الحاجة اليه

(ذكر موت عماد الدولة بن بويه)

في هذه السنة مات عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه بمدينة شيراز في جمادى الآخرة وكانت علته التي مات بها قرحة في كلاه طالت به وتوالت عليه الاسقام والامراض فلما أحس بالموت أنفذ الى أخيه ركن الدولة يطلب منه ان ينفذ اليه ابنه عضد الدولة فناخسرو ليجعله ولي عهده ووارث مملكته بفارس لان عماد الدولة لم يكن له ولد ذكر فانفذ ركن الدولة ولده عضد الدولة فوصل في حياة عمه قبل موته بسنة وسار في جملة ثقات أصحاب ركن الدولة فخرج عماد الدولة الى لقائه في جميع عسكره وأجلسه في داره على السرير ووقف هو بين يديه وأمر الناس بالسلام

وكان فقال يا ابن اللخناء وبطحني وضربني وحلق لحيتي ورأسي فبت يا أمير المؤمنين من اسوء خلق الله حالا وأنسيت الصوت مما نالني فلما أصبحت غدوت نحو الموضع الذي لقيتها فيه وبقيت متحيرا لا أعرف اسمها ولا منزلها اذ نظرت بها مقبلة فأنسيت كل ما نالني وملت اليها فقالت أنسيت الصوت ورب الكعبة فقلت الامر كما ذكرت وعرفتها ما مر بي من حلق الرأس واللحية فقالت وحق القبر ومن فيه لا فعلت الا بدرهمين فاخرجت جلمي ورهنته على درهمين فدفعتهما اليها فأنزلت الجرة عن رأسها واندفعت تغني فيه ثم قالت كأني بك مكان الاربعة دراهم أربعة آلاف دينار ثم انصرفت الى مولاي وجلا فقال هلم خراجك فلويت لساني فقال يا ابن اللخناء ألم يكفك ما مر عليك بالامس فقلت اني اعرفك اني اشتريت بخراجي امس واليوم هذا الصوت واندفعت اغنيه فقال لي ويحك معك مثل هذا الصوت ولم تعلمني امرأته طالق لو كنت قلته امس لاعتقتك فضحك الرشيد وقال ويلك ما ادري أيما أحسن حديثك أم غناؤك وقد أمرت لك بما ذكرته السوداء فقبضه وانصرف والشعر

على عضد الدولة والانقياد له وكان يوما عظيما مشهودا وكان فى قواد عماد الدولة جماعة من الاكابر يخافهم ويعرفهم بطلب الرياسة وكانوا يرون أنفسهم أكبر منه نفسا وبيتا وأحق بالتقدم وكان يداريهم فلما جعل ولد أخيه فى الملك خافهم عليه فافناهم بالقبض وكان منهم قائد كبير يقال له شيرنجين فقبض عليه فشفع فيه أصحابه وقواده فقال لهم انى أحدثكم عنه بحديث فان رأيتم ان أطلقه فعلت فحدثهم انه كان فى خراسان فى خدمة نصر بن أحمد ونحن شرذمة قليلة من الديلم ومعنا هذا فجلس يوما نصر وفى خدمته من مماليكه ومماليك أبيه بضعة عشر ألفا سوى سائر العسكر فرأيت شيرنجين هذا قد جرد سكينا معه ولفه فى كسائه فقلت ما هذا فقال أريد ان أقتل هذا الصبى يعنى نصرا ولا أبالى بالقتل بعده فانى قد أنفت نفسى من القيام فى خدمته وكان عمر نصر بن أحمد يومئذ عشرين سنة وقد خرجت لحيته فعلمت انه اذا فعل ذلك لم يقتل وحده بل نقتل كلنا فاخذت بيده وقلت له بينى وبينك حديث فمضيت به الى ناحية وجمعت الديلم وحدثتهم حديثه فاخذوا منه السكين فتريدون منه بعد ان سمعتم حديثه فى معنى نصر أن أمكنه من الوقوف بين يدى هذا الصبى يعنى ابن أخى فامسكوا عنه وبقى محبوسا حتى مات فى محبسه ومات عماد الدولة وبقى عضد الدولة بفارس فاختلف أصحابه فكتب معز الدولة الى وزيره الصيمرى بالمسير الى شيراز وترك محاربة عمران بن شاهين فسار الى فارس ووصل ركن الدولة أيضا واتفقا على تقرير قاعدة عضد الدولة وكان ركن الدولة قد استخلف على الرى على ابن كامة وهو من أعيان أصحابه ولما وصل ركن الدولة الى شيراز ابتدأ بزيارة قبر أخيه باصطخر فمشى حافيا حاسرا ومعه العساكر على حاله ولزم القبر ثلاثة أيام الى ان سأله القواد الاكابر ليرجع الى المدينة فرجع اليها وأقام تسعة أشهر وأنفذ الى أخيه معز الدولة شيأ كثيرا من المال والسلاح وغير ذلك وكان عماد الدولة فى حياته هو أمير الامراء فلما مات صار أخوه ركن الدولة أمير الامراء وكان معز الدولة هو المستولى على العراق والخلافة وهو كالنائب عنهما وكان عماد الدولة كريما حليما عاقلا حسن السياسة للملك والرعية وقد تقدم من أخباره ما يدل على عقله وسياسته

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة قلد أبو السائب عتبة بن عبد الله قضاء القضاة ببغداد وفيها فى ربيع الآخر مات المستكفى بالله فى دار السلطان وكانت علته نفث الدم

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر موت الصيمرى ووزارة المهلبى ﴾

فى هذه السنة توفى أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمرى وزير معز الدولة باعمال الجامدة وكان قد عاد من فارس اليها وأقام يحاصر عمران بن شاهين فاخذته حمى حادة مات منها واستوزر معز الدولة أبا محمد الحسن بن محمد المهلبى فى جمادى الاولى وكان يخلف الصيمرى بحضرة معز الدولة فعرف أحوال الدولة والدواوين فامتحنه معز الدولة فرأى فيه ما يريده من الامانة والكفاية والمعرفة بمصالح الدولة وحسن السيرة فاستوزره ومكنه من وزارته فاحسن السيرة وأزال كثيرا من المظالم خصوصا بالبصرة فان البريديين كانوا قد أظهروا فيها كثيرا من المظالم فازالها وقرب أهل العلم والادب وأحسن اليهم وتنقل فى البلاد لكشف ما فيها من المظالم وتخليص الاموال فحسن أثره رحمه الله تعالى

وقف بالمنازل ساعة فتأمل مجلسه فى صدر الميدان حيث توافى اليه الخيل فوقف عن فرسه وكان فى أوائلها سوابق من خيل له يقدمها فرسان فى عنان واحد لا يتقدم احدهما صاحبه فتأملها فقال فرسى والله ثم تأمل الآخر فقال فرس ابنى المأمون قال فجاآ يحتكان أمام الخيل وكان فرسه السابق وفرس المأمون ثانية فسر بذلك ثم جاء الخيل بعد ذلك فلما انقضى المجلس وهم بالانصراف قال الاصمعى وكان حاضرا للفضل بن الربيع يا أبا العباس هذا يوم من الايام فأحب ان توصلنى الى أمير المؤمنين وقام الفضل فقال يا أمير المؤمنين هذا الاصمعى يذكر شيأ من أمر الفرسين يزيد الله به أمير المؤمنين سرورا قال هاته فلما دنا قال ما عندك يا أصمعى قال يا أمير المؤمنين كنت وابنك اليوم والفرسين كما قالت الخنساء

جارى اباه فاقبلا وهما
يتنازعان كقاذف الحصر
وهما كأنهما وقد برزا
صقران قد حطا على وكر
برزت صفيحة وجه والده
ومضى على غلوائه يجرى
أولى فاولى ان يقاربه
لولا جلال السن والكبر

(حدث) ابراهيم بن المهدى قال استزرت الرشيد بالرقة فزارنى وكان يأكل وأجرى الرشيد الخيل يوما بالرقة فلما ارسلت صار الى

﴿ ذكر

﴿ذكر غزو سيف الدولة بلاد الروم﴾

في هذه السنة دخل سيف الدولة بن حمدان الى بلاد الروم فغزا وأوغل فيها وفتح حصونا كثيرة وسبى وغنم فلما أراد الخروج من بلد الروم أخذوا عليه المضايق فهلك من كان معه من المسلمين اسرا وقتلا واسترد الروم الغنائم والسبي وغنموا أثقال المسلمين وأموالهم ونجا سيف الدولة في عدد يسير

﴿ذكر اعادة القرامطة الحجر الاسود﴾

في هذه السنة أعاد القرامطة الحجر الاسود الى مكة وقالوا أخذناه بأمر وأعدناه بأمر وكان بجكم قد بذل لهم في رده خمسين ألف دينار فلم يجيبوه وردوه الآن بغير شئ في ذي القعدة فلما أرادوا رده حملوه الى الكوفة وعلقوه بجامعها حتى رآه الناس ثم حملوه الى مكة وكانوا أخذوه من ركن البيت الحرام سنة سبع عشرة وثلثمائة وكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة

﴿ذكر مسير الخراسانيين الى الري﴾

في هذه السنة سار منصور بن قراتكين من نيسابور الى الري في صفر أمره الامير نوح بذلك وكان ركن الدولة ببلاد فارس على ما ذكرناه فوصل منصور الى الري وبها علي بن كامة خليفة ركن الدولة فسار علي عنها الى أصبهان ودخل منصور الري واستولى عليها وفرق العساكر في البلاد فملكوا بلاد الجبل الى قرميسين وأزالوا عنها نواب ركن الدولة واستولوا على همذان وغيرها فبلغ الخبر الى ركن الدولة وهو بفارس فكتب الى أخيه معز الدولة يأمره بانفاذ عسكر يدفع تلك العساكر عن النواحي المجاورة للعراق فسير سبكتكين الحاجب في عسكر ضخم من الاتراك والديلم والعرب فلما سار سبكتكين عن بغداد خلف أثقاله واسرى جريدة الى من بقرميسين من الخراسانيين فكبسهم وهم غارون وقتل فيهم واسر مقدمهم من الحمام واسمه بجكم الخمارتكيني فانفذه مع الاسرى الى معز الدولة فحبسه مدة ثم أطلقه فلما بلغ الخراسانية ذلك اجتمعوا الى همذان فسار سبكتكين نحوهم ففارقوا همذان ولم يحاربوه ودخل سبكتكين همذان وأقام بها الى ان ورد عليه ركن الدولة في شوال وسار منصور من الري في العساكر نحو همذان وبها ركن الدولة فلما بقي بينهما مقدار عشرين فرسخا عدل منصور الى أصبهان ولو قصد همذان لانحاز ركن الدولة عنه وكان ملك البلاد بسبب اختلاف كان في عسكر ركن الدولة ولكنه عدل عنه لامر يريده الله تعالى وتقدم ركن الدولة الى سبكتكين بالمسير في مقدمته فلما أراد المسير شغب عليه بعض الاتراك مرة بعد أخرى فقال ركن الدولة هؤلاء أعداؤنا ومعنا والرأي ان نبدأ بهم فواقعهم واقتتلوا فانهزم الاتراك وبلغ الخبر الى معز الدولة فكتب الى ابن أبي الشوك الكردي وغيره يأمرهم بطلبهم والايقاع بهم فطلبوهم وأسروا منهم وقتلوا ومضى من سلم منهم الى الموصل وسار ركن الدولة نحو أصبهان ووصل ابن قراتكين الى أصبهان فانتقل من كان بها من أصحاب ركن الدولة وأهله وأسبابه وركبوا الصعب والذلول حتى البقر والحمير وبلغ كراء الثور والحمار الى خان لنجان مائة درهم وهي على تسعة فراسخ من أصبهان فلم يمكنهم مجاوزة ذلك الموضع ولو سار اليهم منصور لغنمهم وأخذ ما معهم وملك ما وراءهم الا انه دخل أصبهان وأقام بها ووصل ركن الدولة فنزل بخان لنجان وجرت بينهما حروب عدة أيام وضاقت الميرة على الطائفتين وبلغ بهم الامر الى ان ذبحوا دوابهم ولو أمكن ركن الدولة الانهزام لفعل ولكنه تعذر عليه ذلك واستشار وزيره أبا الفضل بن العميد في بعض الليالي في الهرب فقال له لا ملجأ لك الا الله تعالى فانو للمسلمين خيرا وصمم العزم على حسن السيرة والاحسان اليهم فان الحيل البشرية كلها تقطعت بنا وان

الطعام الحار قبل البارد فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب اليه منها جام قريص سمك فاستصغر القطع وقال لم صغر طباخك تقطيع السمك فقالت يا أمير المؤمنين هذه ألسنة السمك قال فيشبه ان يكون في هذا الجام مائة لسان فقال مراقب خادمه يا أمير المؤمنين فيها أكثر من مائة وخمسين فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك فاخبره انه قام بأكثر من ألف درهم فرفع الرشيد يده وحلف ان لا يطعم شيأ دون أن يحضره مراقب ألف درهم فلما حضر المال أمر أن يتصدق به وقال أرجو أن يكون كفارة لسرفك في انفاقك على جام سمك ألف درهم ثم ناول الجام بعض خدمه وقال أول سائل تراه فادفعه اليه قال ابراهيم وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين دينارا فغمزت بعض خدمي للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير اليه وفطن الرشيد فقال له يا غلام اذا دفعته الى سائل فقل له يقول لك أمير المؤمنين احذر أن تبيعه بأقل من مائتي دينار فانه خير منها ففعل الخادم ذلك فوالله ما أمكن الخادم ان يخلصه من السائل الا بمائتي دينار * وقال ابراهيم بن المهدي كنت أنا والرشيد على ظهر حراقة وهو يريد نحو الموصل والمدادون يمدون والشطرنج بين أيدينا فلما فرغنا قال لي الرشيد يا ابراهيم ما أحسن الاسماء قلت اسم رسول الله صلى

انهزمنا تبعونا وأهلكونا وهم أكثر منا فلا يفلت منا أحد فقال له قدسبقنك الى هذا فلما كان الثلث الاخير من الليل أتاهم الخبر ان منصورا وعسكره قد عادوا الى الري وتركوا خيامهم وكان سبب ذلك ان الميرة والعلوفة ضاقت عليهم أيضا الا ان الديلم كانوا يصبرون ويقنعون بالقليل من الطعام واذا نجوا دابة أوجلا قنع به الخلق الكثير منهم وكان الخراسانية بالضد منهم لا يصبرون ولا يكفيهم القليل فشغبوا على منصور واختلفوا وعادوا الى الري فكان عودهم في المحرم سنة أربعين فاتى الخبر ركن الدولة فلم يصدقه حتى تواتر عنده فركب هو وعسكره واحتوى على ما خلفه الخراسانية حكى أبو الفضل بن العميد قال استدعاني ركن الدولة تلك الليلة الثلث الاخير وقال لي قد رأيت الساعة في منامي كاني على دابتي فيروز وقد انهزم عدونا وأنت تسير الى جانبي وقد جاءنا الفرج من حيث لا نحتسب فمددت عيني فرأيت على الارض خاتما فاخذته فاذا فصه من فيروزج فجعلته في اصبعي وتبركت به وانتبهت وقد أيقنت بالظفر فان الفيروزج معناه الظفر ولذلك لقب الدابة فيروز قال ابن العميد فاتانا الخبر والبشارة بأن العدو قد رحل فاصدقنا حتى تواترت الاخبار فركبنا ولا نعرف سبب هربهم وسرنا حذرين من كمين وسرت الى جانب ركن الدولة وهو على فرسه فيروز فصاح ركن الدولة بغلام بين يديه ناولني ذلك الخاتم فاخذ خاتما من الارض فناوله اياه فاذا هو فيروزج فجعله في اصبعه وقال هذا تأويل رؤياي وهذا الخاتم الذي رأيت منذ ساعة وهذا من أحسن ما يحكى وأعجبه

﴿ذكر أخبار عمران بن شاهين وانهزام عساكر معز الدولة﴾

وقد ذكرنا حال عمران بن شاهين بعد مسير الصيمري عنه وانه زاد قوة وجراءة فانفذ معز الدولة الى قتاله روزبهان وهو من أعيان عسكره فنازله وقاتله فطاوله عمران وتحصن منه في مضايق البطيحة فضجر روزبهان وأقدم عليه طالبا للمناجزة فاستظهر عليه عمران وهزمه وأصحابه وقتل منهم وغنم جميع ما معهم من السلاح وآلات الحرب فقوي بها وتضاعفت قوته فطمع أصحابه في السلطان فصار واذا اجتاز بهم أحد من أصحاب السلطان يطلبون منه البذرقة والخفارة فان أعطاهم والا ضربوه واستخفوا به وشتموه وكان الجند لا بد لهم من العبور عليهم الى ضياعهم ومعايشهم بالبصرة وغيرها ثم انقطع الطريق الى البصرة الا على الظهر فشكا الناس ذلك الى معز الدولة فكتب الى المهلبي بالمسير الى واسط لهذا السبب وكان بالبصرة فاصعد اليها وأمده معز الدولة بالقواد والاجناد والسلاح وأطلق يده في الانفاق فزحف الى البطيحة وضيق على عمران وسد المذاهب عليه فانتهى الى المضايق لا يعرفها الا عمران وأصحابه وأحب روزبهان ان يصيب المهلبي ما أصابه من الهزيمة ولا يستبد بالظفر والفتح وأشار على المهلبي بالهجوم على عمران فلم يقبل منه فكتب الى معز الدولة يعجز المهلبي ويقول انه يطاول لينفق الاموال ويفعل ما يريد فكتب معز الدولة بالعتب والاستبطاء فترك المهلبي الحزم وما كان يريد أن يفعله ودخل بجميع عسكره وهجم على مكان عمران وكان قد جعل الكمناء في تلك المضايق وتأخر روزبهان ليسلم عند الهزيمة فلما تقدم المهلبي خرج عليه وعلى أصحابه الكمناء ووضعوا فيهم السلاح فقتلوا وغرقوا وأسروا وانصرف روزبهان سالما هو وأصحابه وألقى المهلبي نفسه في الماء فنجا سباحة وأسر عمران القواد والاكابر فاضطر معز الدولة الى مصالحته واطلاق من عنده من أهل عمران واخوته فاطلق عمران من في أسره من أصحاب معز الدولة وقلده معز الدولة البطائح فقوي واستفحل أمره

و يلك ابراهيم خليل الرحمن جل وعز قلت بشؤم هذا الاسم لقي ما لقي من نمرود قال وابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لاجرم لما سمي بهذا الاسم لم يعش قال فابراهيم الامام قلت بحرفة اسمه قتله مروان الجعدي في جراب النورة وأزيدك يا أمير المؤمنين ابراهيم بن الوليد خلع وابراهيم بن عبد الله بن الحسن قتل ولم أجد أحدا سمي بهذا الاسم الا رأيته مقتولا أو مضروبا أو مطرودا فما انقضى كلامي حتى سمعت ملاحا على بعض الحرافات يهتف بأعلى صوته يا ابراهيم يا عاض كذا وكذا من أمه فالتفت الى الرشيد فضحك حتى فحص برجله قال وكنت يوما عنده فاذا رسول عبد الله معه اطباق خيزران عليها مناديل ومعها كتاب فجعل الرشيد يقرأ الكتاب ويقول بره الله ووصله ثم قال هذا عبد الله بن صالح ثم كشف المنديل فاذا بعضها فوق بعض في أحدها فستق وفي الآخر بندق الى غير ذلك من الفاكهة فقلت يا أمير المؤمنين مالي هذا البر ما يستحق به هذا الدعاء الا ان يكون في الكتاب شيء قد خفي علي فنبذه الي فاذا فيه دخلت يا أمير المؤمنين بستانا لي

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة ليلة يوم السبت رابع عشر ذي الحجة طلع القمر منكسفا وانكسف جميعه وفيها في المحرم توفي أبو بكر محمد بن أحمد بن قرابة بالموصل وحمل تابوته الى بغداد وفيها توفي أبو نصر محمد بن محمد الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف فيها وكان موته بدمشق وكان تلميذ يوحنا بن حيلان وكانت وفاة يوحنا أيام المقتدر بالله وفيها مات أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي النحوي وقيل سنة أربعين

﴿ ثم دخلت سنة أربعين وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر وفاة منصور بن قراتكين وأبي المظفر بن محتاج ﴾

في هذه السنة مات منصور بن قراتكين صاحب جيوش الخراسانية في شهر ربيع الاول بعد عوده من أصبهان الى الري فذكر العراقيون انه أدمن الشرب عدة أيام بلياليها فمات فجأة وقال الخراسانيون انه مرض ومات والله أعلم ولما مات رجعت العساكر الخراسانية الى نيسابور وحمل تابوت منصور ودفن الى جانب والده باسبيجاب ومن عجيب ما يحكى ان منصورا لما سار من نيسابور الى الري سير غلاما له الى اسبيجاب ليقيم في رباط والده قراتكين الذي فيه قبره فلما ودعه قال كأنك بي قد حملت في تابوت الى تلك التربة فكان كما قال بعد قليل مات وحمل تابوته الى ذلك الرباط ودفن عند قبر والده وفيها توفي أبو المظفر بن أبي علي بن محتاج ببخارا كان قد ركب دابة أنفذها اليه أبوه فالقته وسقطت عليه فهشمته ومات من يومه وذلك في ربيع الاول وعظم موته على الناس كافة وشق موته على الامير نوح وحمل الى الصغانيان الى والده أبي علي وكان مقيما بها

﴿ ذكر عود أبي علي الى خراسان ﴾

وفي هذه السنة أعيد أبو علي بن محتاج الى قيادة الجيوش بخراسان وأمر بالعود الى نيسابور وكان سبب ذلك ان منصور بن قراتكين كان قد تأذى بالجند واستصعب اياتهم وكانوا قد استبدوا بالامور دونه وعاثوا في نواحي نيسابور فتواترت كتبه الى الامير نوح بالاستعفاء من ولايتهم ويطلب ان يقتصر به على هراة وتولى ما بيده من أراد نوح فكان نوح يرسل الى أبي علي يعده باعادته الى مرتبته فلما توفي منصور أرسل الامير نوح الى أبي علي الخلع واللواء وأمره بالمسير الى نيسابور وأقطع الري وأمره بالمسير اليها فسار عن الصغانيان في شهر رمضان واستخلف مكانه ابنه أبا منصور ووصل الى مرو وأقام بها الى ان أصلح أمر خوارزم وكانت شاغرة وسار الى نيسابور فوردها في ذي الحجة فاقام بها

﴿ ذكر الحرب بصقلية بين المسلمين والروم ﴾

كان المنصور العلوي صاحب افريقية قد استعمل على صقلية سنة ست وثلاثين وثلثمائة الحسن ابن علي بن أبي الحسين الكلبي فدخلها واستقر بها كما ذكرناه وغزا الروم الذين بها عدة غزوات فاستمدوا ملك قسطنطينية فسير اليهم جيشا كثيرا فنزلوا اذرنت فارسل الحسن بن علي الى المنصور يعرفه الحال فسير اليه جيشا كثيفا مع خادمه فرح فجمع الحسن جنده مع الواصلين وسار الى ريو وبث السرايا في أرض قلورية وحاصر الحسن جراجة أشد حصار فاشرف أهلها على الهلاك من شدة العطش ولم يبق الا أخذها فاتاه الخبر أن عسكر الروم واصل اليه فهادن أهل جراجة على مال يؤدونه وسار الى الروم فلما سمعوا بقربه منهم انهزموا بغير قتال وتركوا اذرنت ونزل الحسن على قلعة قسانة وبث سراياه تنهب فصالحه أهل قسانة على مال ولم يزل

في داري حمرته بنعمتك وقد أينعت فواكهه فاخذت من كل شيء وصيرته في اطباق قضبان ووجهته الى أمير المؤمنين ليصل الي من بركة دعائه ما وصل الي من نوافل بره قلت ولا والله ما في هذا أيضا ما يستحق به هذا فقال يا صبي أما ترى كيف كنى بالقضبان عن الخيزران اعظاما لأمنا رحمها الله تعالى ووقف رجل من بني أمية في طريق الرشيد ومعه كتاب فيه

يا أمين الله اني قائل ... قول ذي لب وصدق وحسب

لكم الفضل علينا ولنا ... بكم الفضل على كل العرب

عبد شمس كان يتلو هاشما ... وهما بعد لأم ولأب

فصل الارحام منا انما ... عبد شمس عم عبد المطلب

فأمر له لكل بيت بألف دينار وقال لو زدتنا لزدناك ودخل عبد الملك بن صالح الى الرشيد فقال له الحاجب ان أمير المؤمنين قد أصيب في هذه الليلة بولد وولد له ولد فعز وهن فلما مثل قال يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك وجعل هذه لهذه ثوابا للصابر وجزاء للشاكر ولما اشتدت علته وصار الى طوس سنة ثلاث وتسعين ومائة هونوا عليه الاطباء علته فأرسل الى طبيب فارسي كان هناك فأراه ماءه مع قوارير شتى فلما انتهى الى قارورته قال عرفوا صاحب هذا الماء انه هالك فليوص فانه لا برء له من هذه العلة فبكى الرشيد وجعل يردد هذين البيتين

كذلك الى شهر ذى الحجة وكان المصاف بين المسلمين وعسكر قسطنطينية ومن معه من الروم الذين بصقلية ليلة الاضحى واقتتلوا واشتد القتال فانهزم الروم وركبهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى الليل وغنموا جميع اثقالهم وسلاحهم ودوابهم وسير الرؤس الى مدائن صقلية وافريقية وحصر الحسن جراحة فصالحوه على مال يحملونه ورجع عنهم وسير سرية الى مدينة بطرقوقة ففتحوها وغنموا مافيها ولم يزل الحسن بجزيرة صقلية الى سنة احدى وأربعين فمات المنصور فسار عنها الى افريقية واتصل بالمعز بن المنصور واستخلف على صقلية ابنه أبا الحسين أحمد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة رفع الى المهلبى أن رجلا يعرف بالبصرى مات ببغداد وهو مقدم القراقرية يدعى أن روح أبى جعفر محمد بن على بن أبى القراقر قد حلت فيه وانه خلف مالا كثيرا كان يجبيه من هذه الطائفة وان له أصحابا يعتقدون ربوبيته وان أرواح الانبياء والصديقين حلت فيهم فامر بالختم على التركة والقبض على أصحابه والذى قام بامرهم بعده فلم يجد الا مالا يسيرا ورأى دفاتر فيها أشياء من مذاهبهم وكان فيهم غلام شاب يدعى أن روح على بن أبى طالب حلت فيه وامرأة يقال لها فاطمة تدعى ان روح فاطمة حلت فيها وخادم لبنى بسطام يدعى انه ميكائيل فامر بهم المهلبى فضربوا ونالهم مكروه ثم انهم توصلوا بمن ألقى الى معز الدولة من انهم شيعة على بن أبى طالب فامر باطلاقهم وخاف المهلبى ان يقيم على تشدده فى أمرهم فينسب الى ترك التشيع فسكت عنهم وفى هذه السنة توفى عبد الله بن الحسين بن لال أبو الحسن الكرخى الفقيه الحنفى المشهور فى شعبان ومولده سنة ستين ومائتين وكان عابدا معتزليا وفيها توفى أبو جعفر الفقيه ببخارا

(ثم دخلت سنة احدى وأربعين وثلثمائة)

(ذكر حصار البصرة)

فى هذه السنة سار يوسف بن وجيه صاحب عمان فى البحر والبر الى البصرة فحصرها وكان سبب ذلك ان معز الدولة لما سلك البرية الى البصرة وأرسل القرامطة ينكرون عليه ذلك وأجابهم بما ذكرناه علم يوسف بن وجيه استيحاشهم من معز الدولة فكتب اليهم يطمعهم فى البصرة وطلب منهم ان يمدوه من ناحية البر فأمدوه بجمع كثير منهم وسار يوسف فى البحر فبلغ الخبر الى الوزير المهلبى وقد فرغ من الاهواز والنظر فيها فسار مجدا فى العساكر الى البصرة فدخلها قبل وصول يوسف اليها وشحنها بالرجال وأمده معز الدولة بالعساكر وما يحتاج اليه وتحارب هو وابن وجيه أياما ثم انهزم ابن وجيه وظفر المهلبى بمراكبه وما معه من سلاح وغيره

(ذكر وفاة المنصور العلوى وملك ولده المعز)

فى هذه السنة توفى المنصور بالله أبو الطاهر اسمعيل بن القائم أبى القاسم محمد بن عبيد الله المهدى سلخ شوّال وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوما وكان عمره تسعا وثلاثين سنة وكان خطيبا بليغا يخترع الخطبة لوقته وأحواله مع أبى يزيد الخارجى وغيره تدل على شجاعة وعقل وكان سبب وفاته انه خرج الى سفاقس وتونس ثم الى قابس وأرسل الى أهل جزيرة جربة يدعوهم الى طاعته وأجابوه الى ذلك وأخذ منهم رجالا معه وعاد وكانت سفرته شهرا وعهد الى ابنه معد بولاية العهد فلما كان رمضان خرج متنزها أيضا الى مدينة جلولاء وهو موضع كثير الثمار وفيه من الاترج مالا يرى مثله فى عظمه يكون شئ يحمل الجمل منه اربع اترجات فحمل منه الى قصره وكان للمنصور جارية حظية عنده فلما رأته استحسنته وسألت المنصور أن تراه فى اغصانه فاجابها الى

ان الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع محذور اتى * ما للطبيب يموت بالداء الذى قد كان يبرئ مثله فيما مضى

واشتد ضعفه وأرجف الناس بموته فدعا بحمار ليركبه فلما صار عليه سقطت فخذاه فلم يثبت على السرج فقال أنزلونى صدق المرجفون ثم دعا بأكفان فاختار منها ما أراد وأمر بحفر قبر فلما اطلع فيه قال ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ثم دعا بأخى رافع فقال أزعجتمونى حتى تجشمت هذه الاسفار مع علتى وضعفى وكان رافع ممن خرج عليه قال لاقتلنك قتلة ماقتل مثلها أحد قبلك ثم أمر ففصل عضوا عضوا واستأمن رافع بعد ذلك على المأمون وقد ذكرنا خبره فى غير هذا الكتاب ثم دعا من كان بعسكره من بنى هاشم فقال ان كل مخلوق ميت وكل جديد بال وقد نزل بى ما ترون وأنا أوصيكم بثلاث الحفظ لامانتكم والنصيحة لائمتكم واجتماع كلمتكم وانظروا محمدا وعبد الله فمن بغى منهما على صاحبه فردوه عن بغيه وقبحوا له بغيه ونكثه وأقطع فى ذلك اليوم اموالا وضياعا قال الرياشى قال الاصمعى دخلت على الرشيد وهو ينظر فى كتاب ودموعه تحدر على خديه فظللت قائما حتى سكن وحان منه التفاتة فقال اجلس يا أصمعى أرأيت ما كان قلت نعم يا أمير المؤمنين قال أما والله لو كان لأمر الدنيا ما رأيت هذا ورمى بقرطاس

ذلك ورحل اليها في خاصته وأقام بها أياما ثم عاد الى المنصورية فاصابه في الطريق ريح شديد وبرد ومطر ودام عليه فصبر وتجلد وكثر الثلج فمات جماعة من الذين معه واعتل المنصور علة شديدة لانه لما وصل الى المنصورية أراد دخول الحمام فنهاه طبيبه اسحق بن سليمان الاسرائيلي عن ذلك فلم يقبل منه ودخل الحمام ففنيت الحرارة الغريزية منه ولازمه السهر فاقبل اسحق يعالج المرض والسهر باق بحاله فاشتد ذلك على المنصور فقال لبعض الخدم أما في القيروان طبيب غير اسحق يخلصني من هذا الامر قال ههنا شاب قد نشأ الآن اسمه ابراهيم فامر باحضاره وشكا اليه ما يجده من السهر فجمع له أشياء منومة وجعلت في قنينة على النار وكلفه شمها فلما ادمن شمها نام وخرج ابراهيم وهو مسرور بما فعل وبقي المنصور نائما فجاء اسحق فطلب الدخول عليه فقيل هو نائم فقال ان كان صنع له شيء ينام منه فقد مات فدخلوا عليه فوجدوه ميتا فدفن في قصره وأرادوا قتل ابراهيم فقال اسحق ماله ذنب انما داواه بما ذكره الاطباء غير انه جهل أصل المرض وما عرفتموه وذلك أنني كنت في معالجته انظر في تقوية الحرارة الغريزية وبها يكون النوم فلما عولج بالاشياء المطفئة لها علمت انه قد مات ولما مات ولي الامر بعده ابنه معد وهو المعز لدين الله وأقام في تدبير الامور الى سابع ذي الحجة فاذن للناس فدخلوا عليه وجلس لهم فسلموا عليه بالخلافة وكان عمره أربعا وعشرين سنة فلما دخلت سنة ست وأربعين صعد جبل اوراس وجال فيه عسكره وهو ملجأ كل منافق على الملوك وكان فيه بنو كملان ومليلة وقبيلتان من هوارة لم يدخلوا في طاعة من تقدمه فاطاعوا المعز ودخلوا معه البلاد وأمر نوابه بالاحسان الى البربر فلم يبق منهم أحد الا أتاه وأحسن اليهم المعز وعظم أمره ومن جملة من استأمن اليه محمد بن خزر الزناتي أخو معبد فامنه المعز وأحسن اليه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول ضرب معز الدولة وزيره أبا محمد المهلبي بالمقارع مائة وخمسين مقرعة ووكل به في داره ولم يعزله من وزارته وكان نقم عليه أمورا ضربه بسببها وفيها في ربيع الآخر وقع حريق عظيم ببغداد في سوق الثلاثاء فاحترق فيه للناس ما لا يحصى وفي هذه السنة ملك الروم مدينة سروج وسبوا أهلها وغنموا أموالهم واخربوا المساجد وفيها سار ركن الدولة من الري الى طبرستان وجرجان فسار عنها الى ناحية نسا وأقام بها واستولى ركن الدولة على تلك البلاد وعاد عنها الى الري واستخلف بجرجان الحسن بن فيرزان وعلي بن كامة فلما رجع ركن الدولة عنها قصدها وشمكير فانهزم من امامه واستردها وشمكير وفيها ولد أبو الحسن علي بن ركن الدولة ابن بويه وهو فخر الدولة وفيها توفي أبو علي اسمعيل بن محمد بن اسمعيل الصفار النحوي المحدث وهو من أصحاب المبرد وكان مولده سنة سبع وأربعين ومائتين وكان مكثرا من الحديث

(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة)

(ذكر هرب ديسم عن اذربيجان)

في هذه السنة هرب ديسم بن ابراهيم أبو سالم عن اذربيجان وكما قد ذكرنا استيلاءه عليها واما سبب هربه عنها فانه كان ركن الدولة بن بويه قد قبض على بعض قواده واسمه علي بن ميسكي فافلت من الحبس وقصد الجبل وجمع جمعا وسار الى وهسوذان أخي المرزبان فاتفق معه وتساعدا على ديسم ثم ان المرزبان استولى على قلعة سميرم على ما نذكره ووصلت كتبه الى أخيه وعلي بن ميسكي بخلاصه وكاتب الديلم واستمالهم ولم يعلم ديسم بخلاصه انما كان يظن ان وهسوذان وعلي بن

فاذا فيه شعر لابي العتاهية بخط جليل وهو

هل أنت معتبر بمن خليت
منه غداة مضى دساكره
وبمن اذل الموت مصرعه
فتبرأت منه عشائره
وبمن خلت منه أسرته
وبمن خلت منه منابره
أين الملوك وأين غيرهم
صاروا مصيرا أنت صائره
يا مؤثر الدنيا بلذته
والمستعد لمن يفاخره
نل ما بدا لك ان تنال من الـ
ـدنيا فان الموت آخره

ثم قال الرشيد كأني والله اخاطب بذلك دون الناس فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا حتى مات (قال المسعودي) قد ذكرنا جملا من أخبار الرشيد والله ولي التوفيق (فلنذكر الآن جملا من أخبار البرامكة) لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده في جودة رأيه وبأسه وجميع خلاله لا يحيى في رأيه ولا الفضل في جوده ولا جعفر بن يحيى في كتابته وفصاحته ولا محمد بن يحيى في رأيه وهمته ولا موسى بن يحيى في شجاعته وفيهم ذكرنا يقول الشاعر

أولاد يحيى بن خالد وهم
أربعة سيد ومتبوع
الخير فيهم اذا سألت بهم
مفرق فيهم ومجموع

ولما أفضت الخلافة الى الرشيد استوزر البرامكة فاحتازوا الاموال دونه حتى كان يحتاج الى اليسير من المال فلا يقدر عليه وكان ايقاعه بهم في سنة سبع وثمانين ومائة واختلف في سبب ذلك فقيل احتياز الاموال وأنهم أطلقوا رجلا من آل أبي طالب

ميسكى يقاتلانه وكان له وزير يعرف بابى عبد الله النعيمى فشره الى ماله وقبض عليه واستكتب انسانا كان يكتب للنعيمى فاحتال النعيمى بان أجابه الى كل ما التمس منه وضمن منه ذلك الكاتب بمال فاطلقه ديسم وسلم اليه كاتبه وأعاده الى حاله ثم سار ديسم وخلفه باردبيل ليحصل المال الذى بذله فقتل النعيمى ذلك الكاتب وهرب بما معه من المال الى على بن ميسكى فبلغ الخبر ديسم بقرب زنجان فعاد الى اردبيل فشغب الديلم عليه ففرق فيهم ما كان له من مال وأتاه الخبر بمسير على بن ميسكى الى اردبيل فى عدة يسيرة فسار نحوه والتقيا واقتتلا فانحاز الديلم الى على وانهزم ديسم الى أرمينية فى نفر من الاكراد فحمل اليه ملوكها ما تماسك به وورد عليه الخبر بمسير المرزبان عن قلعة سميرم الى اردبيل واستيلائه على اذربيجان وانفاذه جيشا نحوه فلم يمكنه المقام فهرب عن ارمينية الى بغداد فكان وصوله هذه السنة فلقيه معز الدولة وأكرمه وأحسن اليه فاقام عنده فى أرغد عيش ثم كاتبه أهله وأصحابه باذربيجان يستدعونه فرحل عن بغداد سنة ثلاث وأربعين وطلب من معز الدولة ان يجده بعسكر فلم يفعل لان المرزبان قد كان صالح ركن الدولة وصاهره فلم يمكن معز الدولة مخالفة ركن الدولة فسار ديسم الى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل يستنجده فلم ينجده فسار الى سيف الدولة بالشام وأقام عنده الى سنة أربع وأربعين وثلثمائة واتفق أن المرزبان خرج عليه جمع بباب الابواب فسار اليهم فارسل مقدم من اكراد اذربيجان الى ديسم يستدعيه الى اذربيجان ليعاضده على ملكها فسار اليها وملك مدينة سلماس فارسل اليه المرزبان قائدا من قواده فقاتله فاستأمن أصحاب القائد الى ديسم فعاد القائد منهزما وبقى ديسم بسلماس فلما فرغ المرزبان من أمر الخوارج عليه عاد الى اذربيجان فلما قرب من ديسم فارق سلماس وسار الى ارمينية وقصد ابن الديرانى وابن حاجيق لثقته بهما فكتب المرزبان الى ابن الديرانى يأمره بالقبض على ديسم فدافعه ثم قبض عليه خوفا من المرزبان فلما قبض عليه أمره المرزبان بان يحمله اليه فدافعه ثم اضطر الى تسليمه فلما تسلمه المرزبان سمله واعماه ثم حبسه فلما توفى المرزبان قتل ديسم بعض أصحاب المرزبان خوفا من غائلته

(ذكر استيلاء المرزبان على سميرم)

قد ذكرنا أسر المرزبان وحبسه بسميرم واما سبب خلاصه فان والدته وهى ابنة جستان بن وهسوذان الملك وضعت جماعة للسعى فى خلاصه فقصدوا سميرم واظهروا انهم تجار وأن المرزبان قد أخذ منهم أمتعة نفيسة ولم يوصل ثمنها اليهم واجتمعوا بمتولى سميرم ويعرف بشيراسفار وعرفوه ما ظلمهم به المرزبان وسألوه أن يجمع بينه وبينهم ليحاسبوه وليأخذوا خطه الى والدته بايصال مالهم اليهم فرق لهم بشيراسفار وجمع بينه وبينهم فطالبوه بمالهم فانكر المرزبان ذلك فغمزه أحدهم ففطن لهم واعترف لهم وقال حتى اتذكر مالكم فانى لا أعرف مقداره فاقاموا هنالك وبذلوا الاموال لبشيراسفار والاجناد وضمنوا لهم الاموال الجليلة اذا خلص مالهم عند المرزبان فصاروا لذلك يدخلون الحصن بغير اذن وكثر اجتماعهم بالمرزبان وأوصلوا اليه أموالا من عند والدته وأخبارا وأخذوا منه ما عنده من الاموال وكان لبشيراسفار غلام أمرد جميل الوجه يحمل ترسه وزوبينه فاظهر المرزبان لذلك الغلام محبة شديدة وعشقا وأعطاه مالا كثيرا مما جاءه من والدته فواطأه على ما يريد وأوصل اليه درعا ومباردا فبرد قيده واتفق المرزبان وذلك الغلام والذين جاؤا لتخليص المرزبان على ان يقتلوا بشيراسفار فى يوم ذكروه وكان بشيراسفار يقصد المرزبان كل اسبوع ذلك اليوم يفتقده وقيوده ويصبره ويعود فلما كان يوم الموعد دخل أحد أولئك

كان فى أيديهم وقيل غير ذلك والله أعلم (ويحكى) أنه ورد على الرشيد يوما كتاب صاحب البريد بخراسان ويحيى بن خالد بين يديه يذكر فيه أن الفضل بن يحيى تشاغل بالصيد واللذات عن النظر فى أمور الرعية فلما قرأه الرشيد رمى به ليحيى وقال له يا أبة اقرأ هذا الكتاب واكتب اليه كتابا يردعه عن مثل هذا فمد يده الى دواة الرشيد وكتب الى الفضل على ظهر كتاب الرشيد حفظك الله يا بنى وأمتع بك قد انتهى الى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر فى أمور الرعية ما أنكره فعاود ما هو أزين بك فانه من عاد الى ما يزينه لم يعرفه أهل دهره الا به والسلام وكتب فى أسفله هذه الابيات

انصب نهارا فى طلاب العلا
واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى اذا الليل بدا مقبلا
واستترت فيه وجوه العيوب
فبادر الليل بما تشتهى
فانما الليل نهار الاريب
كم من فتى تحسبه ناسكا
يستقبل الليل بأمر عجيب
ألقى عليه الليل استاره
فبات فى لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مكشوفة
يسعى بها كل عدو رقيب

والرشيد ينظر الى ما يكتب فلما فرغ قال أبلغت يا أبة فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهارا الى ان انصرف عن عمله قال اسحق كنت عند

التجار فقعد عند المرزبان وجلس آخر عند البواب وأقام الباقون عند باب الحصن ينتظرون الصوت ودخل بشير اسفار الى المرزبان فتلطف به المرزبان وسأله ان يطلقه وبذل له أموالا جليلة واقطاعا كثيرا فامتنع عليه وقال لا اخون ركن الدولة ابدا فنهض المرزبان وقد أخرج رجله من قيده وتقدم الى الباب فاخذ الترس والزوبين من ذلك الغلام وعاد الى بشير اسفار فقتله هو وذلك التاجر الذى عنده وثار الرجل الذى عند البوّاب به فقتله ودخل من كان عند باب الحصن الى المرزبان وكان اجناد القلعة متفرقين فلما وقع الصوت اجتمعوا فرأوا اصحابهم قتيلا فسألوا الامان فامنهم المرزبان وأخرجهم من القلعة واجتمع اليه أصحابه وغيرهم وكثر جمعه وخرج فلحق بامه واخيه واستولى على البلاد على ماذكرناه قبل

﴿ذكر مسير أبى على الى الرى﴾

لما كان من أمر وشمكير وركن الدولة ماذكرناه كتب وشمكير الى الامير نوح يستمده فكتب نوح الى أبى على بن محتاج يأمره بالمسير فى جيوش خراسان الى الرى وقتال ركن الدولة فسار أبو على فى جيوش كثيرة واجتمع معه وشمكير فسارا الى الرى فى شهر ربيع الاول من هذه السنة وبلغ الخبر ركن الدولة فعلم انه لا طاقة له بمن قصده فرأى ان يحفظ بلده ويقاتل عدوّه من وجه واحد فحارب الخراسانيين بطبرك وأقام عليه أبو على عدة شهور يقاتله فلم يظفر به وهلكت دواب الخراسانية وأتاهم الشتاء وملوا فلم يصبروا فاضطر أبو على الى الصلح فتراسلوا فى ذلك وكان الرسول أبا جعفر الخازن صاحب كتاب زيج الصفائح وكان عارفا بعلوم الرياضة وكان المشير به محمد بن عبد الرزاق المقدم ذكره فتصالحا وتقرر على ركن الدولة كل سنة مائتا ألف دينار وعاد أبو على الى خراسان وكتب وشمكير الى الامير نوح يعرفه الحال ويذكر له أن أبا على لم يصدق فى الحرب وأنه مالأ ركن الدولة فاغتاظ نوح من أبى على وأما ركن الدولة فانه لما عاد عنه أبو على سار نحو وشمكير فانهزم وشمكير من بين يديه الى اسفرايين واستولى ركن الدولة على طبرستان

﴿ذكر عزل أبى على عن خراسان﴾

لما اتصل خبر عود أبى على عن الرى الى الامير نوح ساءه ذلك وكتب وشمكير الى نوح يلزم الذنب فيه أبا على فكتب الى أبى على بعزله عن خراسان وكتب الى القوّاد يعرفهم انه قد عزله عنهم فاستعمل على الجيوش بعده أبا سعيد بكر بن مالك الفرغانى فانفذ أبو على يعتذر وراسل جماعة من أعيان نيسابور يقيمون عذره ويسألون ان لا يعزل عنهم فلم يجابوا الى ذلك وعزل أبو على عن خراسان وأظهر الخلاف وخطب لنفسه بنيسابور وكتب نوح الى وشمكير والحسن بن فيرزان يأمرهما بالصلح وان يتساعدا على من يخالف الدولة ففعلا ذلك فلما علم أبو على باتفاق الناس مع نوح عليه كاتب ركن الدولة فى المصير اليه لانه علم انه لا يمكنه المقام بخراسان ولا يقدر على العود الى الصغانيان فاضطر الى مكاتبة ركن الدولة فى المصير اليه فأذن له فى ذلك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى الحادى والعشرين من شباط ظهر بسواد العراق جراد كثير أقام أياما وأثر فى الغلات آثارا قبيحة وكذلك ظهر بالاهواز وديار الموصل والجزيرة والشام وسائر النواحى ففعل مثل مافعله بالعراق وفيها عاد رسل كان الخليفة أرسلهم الى خراسان للصلح بين ركن الدولة ونوح صاحب خراسان فلما وصل الى حلوان خرج عليهم ابن أبى الشوك فى أكراده فنهبهم ونهب القافلة التى كانت معهم وأسر الرسل ثم أطلقهم فسير معز الدولة عسكرا الى حلوان فاوقعوا بالاكراد

الرشيد يوما وأحضر البرامكة الشراب وأحضر يحيى بن خالد جارية فغنت
أرقت حتى كأنى اعشق الارقا
وذبت حتى كأن السقم لى خلقا
وفاض دمعى على قلبى فاغرقه
يامن رأى غرقا فى الماء محترقا
فقال الرشيد لمن هذا فقيل لخالد بن يزيد الكاتب قال خالد فاحضرت وقيل للجارية أعيدى فاعادت فقال لمن هذا فقلت لى يا أمير المؤمنين فبينا نحن كذلك اذ أقبلت وصيفة معها تفاحة عليها مكتوب بغالية
سرورك ألهاك عن موعدى
فصيرت تفاحتى تذكره
فأخذ الرشيد تفاحة وكتب عليها بغالية
تقاضيت وعدى ولم انسه
فتفاحتى هذه معذره
ثم قال ياخالد قل فى هذا شيأ فقال
تفاحة خرجت بالدرمن
فيها
أشهى الى من الدنيا ومافيها
بيضاء من حمرة غلت بغالية
كأنما قطفت من خدمهديها
(حدث الجاحظ) عن انس ابن أبى شيخ قال ركب جعفر

وأصلحوا البلاد هناك وعادوا وفيها سير الحجاج الشريف أبو الحسن محمد بن عبد الله وأبو عبد الله أحمد بن عمر بن يحيى العلويان فجرى بينهما وبين عساكر المصريين من أصحاب ابن طغج حرب شديدة وكان الظفر لهما فخطب لمعز الدولة بمكة فلما خرجا من مكة لحقهما عسكر مصر فقاتلهما فظفر به أيضا وفيها توفي علي بن أبي الفهم داود أبو القاسم جد القاضي علي بن الحسن بن علي التنوخي في ربيع الاول وكان عالما بأصول المعتزلة والنجوم وله شعر وفيها في رمضان مات الشريف أبو علي عمر بن علي العلوي الكوفي ببغداد بصرع لحقه وفيها في شوال مات أبو عبد الله محمد بن سليمان بن فهد الموصلي وفيها مات أبو الفضل العباس بن فسانجس بالبصرة من ذرب لحقه وحمل الى الكوفة فدفن بمشهد أمير المؤمنين علي وتقلد الديوان بعده ابنه أبو الفرج وأجرى على قاعدة أبيه وفيها في ذي القعدة ماتت بدعة المغنية المشهورة المعروفة ببدعة الحمدونية عن اثنتين وتسعين سنة

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر حال أبي علي بن محتاج﴾

قد ذكرنا من أخبار أبي علي ما تقدم فلما كتب الى ركن الدولة يستأذنه في المصير اليه اذن له فسار الى الري فلقيه ركن الدولة وأكرمه وأقام له الانزال والضيافة له ولمن معه وطلب أبو علي ان يكتب له عهدا من جهة الخليفة بولاية خراسان وأرسل ركن الدولة الى معز الدولة في ذلك فسير له عهدا بما طلب وسير له نجدة من عسكره فسار أبو علي الى خراسان واستولى على نيسابور وخطب للمطيع بها وبما استولى عليه من خراسان ولم يكن يخطب له بها قبل ذلك ثم ان نوحا مات في خلال ذلك وتولى بعده ولده عبد الملك فلما استقر أمره سير بكر بن مالك الى خراسان من بخارا وجعله مقدما على جيوشها وأمره باخراج أبي علي من خراسان فسار في العساكر نحو أبي علي فتفرق عن أبي علي أصحابه وعسكره وبقي معه من أصحابه مائتا رجل سوى من كان عنده من الديلم نجدة له فاضطر الى الهرب فسار نحو ركن الدولة فأنزله معه في الري واستولى ابن مالك على خراسان فأقام بنيسابور وتتبع أصحاب أبي علي

﴿ذكر موت الامير نوح بن نصر وولاية ابنه عبد الملك﴾

وفي هذه السنة مات الامير نوح بن نصر الساماني في ربيع الآخر وكان يلقب بالامير الحميد وكان حسن السيرة كريم الاخلاق ولما توفي ملك بعده ابنه عبد الملك وكان قد استعمل بكر بن مالك على جيوش خراسان كما ذكرنا فمات قبل ان يسير بكر الى خراسان فقام بكر بأمر عبد الملك بن نوح وقرر أمره فلما استقر حاله وثبت ملكه أمر بكرا بالمسير الى خراسان فسار اليها وكان من أمره مع أبي علي ما قدمنا ذكره

﴿ذكر غزاة لسيف الدولة بن حمدان﴾

في هذه السنة في شهر ربيع الاول غزا سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم فقتل وأسر وسبى وغنم وكان فيمن قتل قسطنطين بن الدمستق فعظم الامر على الروم وعظم الامر على الدمستق فجمع عساكره من الروم والروس والبلغار وغيرهم وقصد الثغور فسار اليه سيف الدولة بن حمدان فالتقوا عند الحدث في شعبان فاشتد القتال بينهم وصبر الفريقان ثم ان الله تعالى نصر المسلمين فانهزم الروم وقتل منهم وممن معهم خلق عظيم وأسر صهر الدمستق وابن ابنته وكثير من بطارقته وعاد الدمستق مهزوما مسلولا

ابن يحيى ذات يوم وأمر خادما له ان يحمل ألف دينار وقال سأجعل طريقي على الاصمعي فاذا حدثني فرأيتني ضحكت فاجعلها بين يديه ونزل جعفر عند الاصمعي فجعل يحدثه بكل اعجوبة ونادرة تطرب وتضحك فلم يضحك وخرج من عنده فقال له انس رأيت منك عجبا أمرت بألف دينار للاصمعي وقد حركك بكل مضحكة وليس من عادتك ان ترد الى بيت مالك ما قد خرج عنه فقال له ويحك انه قد وصل اليه من أموالنا مائة ألف درهم قبل هذه المرة فرأيت في داره حبا مكسورا وعليه دراعة خلق ومقعدا وسخا وكل شئ عنده رثا وأنا أرى ان لسان النعمة أنطق من لسانه وأن ظهور الصنيعة امدح وأهجى من مدحه وهجائه فعلى أي وجه اعطيه اذا كانت الصنيعة لم تظهر عنده ولم تنطق النعمة بالشكر عنه وفي الرشيد وجعفر يقول الشاعر

اضاف الى سعته سعة
فقام بها جعفر وحده
بنو برمك اسسوا ملكه
وشدوا لواربه عقده

وكان يحيى بن خالد ذا بحث ونظر وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كان بخراسان والجبال وباء عظيم هلك فيه خلق كثير لا يحصون كثرة وفيها صرف الابرعاجي عن شرطة بغداد وصودر على ثلثمائة ألف درهم ورتب مكانه بكبيك نقيب الاتراك وفيها سار ركن الدولة الى جرجان ومعه أبو علي بن محتاج فدخلها بغير حرب وانصرف وشمكير عنها الى خراسان وفيها وقعت الحرب بمكة بين أصحاب معز الدولة وأصحاب ابن طغج من المصريين فكانت الغلبة لاصحاب معز الدولة فخطب بمكة والحجاز لركن الدولة ومعز الدولة وولده عز الدولة بختيار وبعدهم لابن طغج وفيها أرسل معز الدولة سبكتكين في جيش الى شهرزور في رجب ومعه المنجنيقات لفتحها فسار اليها وأقام بتلك الولاية الى المحرم من سنة أربع وأربعين وثلثمائة فعاد ولم يمكنه فتحها لانه اتصل به خروج عساكر خراسان الى الري على ما نذكره ان شاء الله تعالى فعاد الى بغداد فدخلها في المحرم وفيها في شوال مات الحسين محمد بن العباس بن الوليد المعروف بابن النحوي الفقيه وفيها في شوال أيضا مات أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلثمائة

ذكر مرض معز الدولة وما فعله ابن شاهين

كان قد عرض لمعز الدولة في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين مرض يسمى فريافسمس وهو دوام الانعاظ مع وجع شديد في ذكره مع توتر أعصابه وكان معز الدولة خوارا في أمراضه فارجف الناس به واضطربت بغداد فاضطر الى الركوب فركب في ذي الحجة على ما به من شدة المرض فلما كان في المحرم من سنة أربع وأربعين وثلثمائة أوصى الى ابنه بختيار وقلده الامر بعده وجعله أمير الامراء وبلغ عمران بن شاهين ان معز الدولة قد مات واجتاز عليه مال يحمل الى معز الدولة من الاهواز وفي صحبته خلق كثير من التجار فخرج عليهم فاخذ الجميع فلما عوفي معز الدولة راسل ابن شاهين في المعنى فرد عليه ما أخذه له وحصل له أموال التجار وانفسخ الصلح بينهما وكان ذلك في المحرم

ذكر خروج الخراسانية الى الري واصبهان

في هذه السنة خرج عسكر خراسان الى الري وبها ركن الدولة كان قد قدمها من جرجان أول المحرم فكتب الى أخيه معز الدولة يستمده فامده بعسكر مقدمهم الحاجب سبكتكين وسير من خراسان عسكرا آخر الى اصبهان على طريق المفازة وبها الامير أبو منصور بويه بن ركن الدولة فلما بلغه خبرهم سار عن اصبهان بالخزائن والحرم التي لابيه فبلغوا خان لنجان وكان مقدم العسكر الخراساني محمد بن ماكان فوصلوا الى اصبهان فدخلوها وخرج ابن ماكان منها في طلب بويه فادرك الخزائن فاخذها وسار في أثره وكان من لطف الله به ان الاستاذ أبا الفضل بن العميد وزير ركن الدولة اتصل بهم في تلك الساعة فعارض ابن ماكان وقاتله فانهزم أصحاب ابن العميد عنه واشتغل أصحاب ابن ماكان بالنهب قال ابن العميد فبقيت وحدي وأردت اللحاق باصحابي ففكرت وقلت باي وجه ألقى صاحبي وقد أسلمت أولاده وأهله وأمواله وملكه ونجوت بنفسي فرأيت القتل أيسر علي من ذلك فوقفت وعسكر ابن ماكان ينهب أثقالي وأثقال عسكري فلحق بابن العميد نفر من أصحابه ووقفوا معه وأتاهم غيرهم فاجتمع معهم جماعة فحمل على الخراسانيين وهم مشغولون بالنهب وصاحوا فيهم فانهزم الخراسانيون فاخذوا من بين قتيل وأسير وأسر ابن ماكان وأحضر عند ابن العميد وسار ابن العميد الى اصبهان فاخرج من كان بها من أصحاب ابن

الاسلام وغيرهم من أهل النحل فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده قد أكثرتم الكلام في الكمون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفي والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والجزء والطفرة والاجسام والاعراض والتعديل والتجوير والكمية والكيفية والمضاف والامامة أنص هي أم اختيار وسائر ما توردونه من الكلام في الاصول والفروع فقولوا الآن في العشق على غير منازعة وليورد كل واحد منكم ما سنح له فيه وخطر بباله فقال علي بن هيثم أيها الوزير العشق ثمر المشاكلة وهو دليل على تمازج الروحين وهو من بحر اللطافة ورقة الصنيعة وصفاء الجوهر والزيادة فيه نقصان من الجسد وقال أبو مالك الحضرمي وهو خارجي المذهب أيها الوزير العشق نفث السحر وهو أخفى وأحر من الجمر ولا يكون الا بازدواج الطبعين وامتزاج الشكلين وله نفوذ في القلب كنفوذ صيب المزن في خلل الرمل تنقاد له العقول وتستكين له الآراء وقال أبو الهذيل وهو معتزلي أيها الوزير العشق يختم على النواظر ويطبع على الافئدة مرتعه في الاجساد ومسرعه في الاكباد وصاحبه منصرف الظنون متغير الاوهام

ما كان وأعاد أولاد ركن الدولة وحرمه الى اصبهان واستنقذ أمواله ثم ان ركن الدولة راسل بكر بن مالك صاحب جيوش خراسان واستماله فاصطلحا على مال يحمله ركن الدولة اليه ويكون الرى وبلد الجبل باسره مع ركن الدولة وأرسل ركن الدولة الى أخيه معز الدولة يطلب خلعا ولواء بولاية خراسان لبكر بن مالك فارسل اليه ذلك

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة وقع بالرى وباء كثير مات فيه من الخلق مالا يحصى وكان فيمن مات أبو على بن محتاج الذى كان صاحب جيوش خراسان ومات معه ولده وحمل أبو على الى الصغانيان وعاد من كان معه من القوّاد الى خراسان وفيها وقع الاكراد بناحية ساوه على قفل من الحجاج فاستباحوه وفيها خرج بناحية دينوند رجل ادعى النبوّة فقتل وخرج باذربيجان رجل آخر يدعى انه يحرم اللحوم ومايخرج من الحيوان وانه يعلم الغيب فاضافه رجل أطعمه كشكية بشحم فلما أكلها قال له ألست تحرم اللحم ومايخرج من الحيوان وانك تعلم الغيب قال بلى قال فهذه الكشكية بشحم ولو علمت الغيب لما خفى عليك ذلك فاعرض الناس عنه وفيها أنشأ عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس مركبا كبيرا لم يعمل مثله وسير فيه أمتعة الى بلاد الشرق فلقى فى البحر مركبا فيه رسول من صقلية الى المعز فقطع عليه أهل المركب الاندلسى وأخذوا مافيه وأخذوا الكتب التى الى المعز فبلغ ذلك المعز فعمر اسطولا واستعمل عليه الحسن بن على صاحب صقلية وسيره الى الاندلس فوصلوا الى المرية فدخلوا المرسى وأحرقوا جميع مافيه من المراكب وأخذوا ذلك المركب وكان قد عاد من الاسكندرية وفيه أمتعة لعبد الرحمن وجوار مغنيات وصعد من فى الاسطول الى البر فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين الى المهدية ولما سمع عبد الرحمن الاموى سير اسطولا الى بعض بلاد افريقية فنزلوا ونهبوا فقصدتهم عساكر المعز فعادوا الى مراكبهم ورجعوا الى الاندلس وقد قتلوا وقتل منهم خلق كثير

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثلثمائة)

(ذكر عصيان روزبهان على معز الدولة)

فى هذه السنة خرج روزبهان بن ونداد خرشيد الديلمى على معز الدولة وعصى عليه وخرج أخوه بلكا بشيراز وخرج أخوهما اسفار بالاهواز ولحق به روزبهان الى الاهواز وكان يقاتل عمران بالبطيحة فعاد الى واسط وسار الى الاهواز فى رجب وبها الوزير المهلبى فاراد محاربة روزبهان فاستأمن رجاله الى روزبهان فانحاز المهلبى عنه وورد الخبر بذلك الى معز الدولة فلم يصدق به لاحسانه اليه لانه رفعه بعد الضعة ونوّه بذكره بعد الخمول فتجهز معز الدولة الى محاربته ومال الديلم باسرهم الى روزبهان ولقوا معز الدولة بما يكره واختلفوا عليه وتتابعوا على المسير الى روزبهان وسار معز الدولة عن بغداد خامس شعبان وخرج الخليفة المطيع لله منحدرا الى معز الدولة لان ناصر الدولة لما بلغه الخبر سير العساكر من الموصل مع ولده أبى المرجا جابر لقصد بغداد والاستيلاء عليها فلما بلغ ذلك الخليفة انحدر من بغداد فاعاد معز الدولة الحاجب سبكتكين وغيره ممن يثق بهم من عسكره الى بغداد فشغب الديلم الذين ببغداد فوعدوا بارزاقهم فسكنوا وهم على قنوط من معز الدولة وأما معز الدولة فانه سار الى ان بلغ قنطرة اربق فنزل هناك وجعل على الطرق من يحفظ أصحاب الديلم من الاستئمان الى روزبهان لانهم كانوا يأخذون العطاء منه ثم يهربون عنه وكان اعتماد معز الدولة على أصحابه الاتراك ومماليكه ونفر يسير من الديلم فلما كان سلخ رمضان

لا يصفو له موجود ولا يسلم له موعود تسرع اليه النوائب وهو جرعة من نقيع الموت وبقية من حياض الثكل غير أنه من أريحية تكون فى الطبع وطلاوة توجد فى الشمائل وصاحبه جواد لا يصغو الى داعية المنع ولا يسنح به نازع العذل وقال النظام ابراهيم بن يسار المعتزلى العشق أرق من الشراب وأدب من الشباب وهو من طينة عطرة عجنت فى اناء الحلى حلو المجتنى ما اقتصد فاذا أفرط عاد أصلا قاتلا وفسادا معضلا لا يطمع فى اصلاحه له سحابة غزيرة على القلوب فتعشب شغفا وتثمر كلفا وصريعه دائم اللوعة ضيق المتنفس مشارف الزمن طويل الفكر اذا جنه الليل أرق واذا وضح النهار قلق صومه البلوى وافطاره الشكوى ثم قال الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر ومن يليهم حتى طال الكلام فى العشق بالفاظ مختلفة ومعان تتقارب وتتناسب وفيما مر دليل عليه (قال المسعودى) تنازع الناس فى ابتداء وقوع الهوى وكيفيته وهل ذلك من نظر وسماع واختيار واضطرار وما علة وقوعه بعد أن لم يكن وزواله بعد كونه وهل ذلك فعل النفس الناطقة أو الجسم وطباعه فقال بقراط هو امتزاج النفسين كما لو امتزج الماء بماء مثله عسر تخليصه بحيلة من الاحتيال والنفس اراد

أراد معز الدولة العبور هو وأصحابه الذين يثق بهم الى محاربة روزبهان فاجتمع الديلم وقالوا لمعز الدولة ان كان رجالك فاخرجنا معك نقاتل بين يديك فانه لا صبر لنا على القعود مع الصبيان والغلمان فان ظفرت كان الاسم لهؤلاء دوننا وان ظفر عدوك لحقنا العار وانما قالوا هذا الكلام خديعة ليمكنهم من العبور معه فيتمكنون منه فلما سمع قولهم سألهم التوقف وقال انما أريد أن أذوق حربهم ثم أعود فاذا كان الغد لقيناهم بأجمعنا وناجزناهم وكان يكثر لهم العطاء فامسكوا عنه وعبر معز الدولة وعبى أصحابه كراديس تتناوب الحملات فما زالوا كذلك الى غروب الشمس ففنى نشاب الاتراك وتعبوا وشكوا الى معز الدولة ما أصابهم من التعب وقالوا نستريح الليلة ونعود غدا فعلم معز الدولة انه ان رجع زحف اليه روزبهان والديلم وثار معهم أصحابه الديلم فهلك ولا يمكنه الهرب فبكى بين يدى أصحابه وكان سريع الدمعة ثم سألهم ان تجمع الكراديس كلها ويحملوا حملة واحدة وهو فى أولهم فاما ان يظفروا واما ان يقتل أول من يقتل فطالبوه بالنشاب فقال قد بقى مع صغار الغلمان نشاب فخذوه واقسموه وكان جماعة صالحة من الغلمان الاصاغر تحتهم الخيل الجياد وعليهم اللبس الجيد وكانوا سألوا معز الدولة ان يأذن لهم فى الحرب فلم يفعل وقال اذا جاء وقت يصلح لكم أذنت لكم فى القتال فوجه اليهم تلك الساعة من يأخذ منهم النشاب وأومأ معز الدولة اليهم بيده ان اقبلوا منه وسلموا اليه النشاب فظنوا انه يأمرهم بالحملة فحملوا وهم مستريحون فصدموا صفوف روزبهان فخرقوها وألقوا بعضها فوق بعض فصاروا خلفهم وحمل معز الدولة فيمن معه باللتوت فكانت الهزيمة على روزبهان وأصحابه وأخذ روزبهان أسيرا وجماعة من قواده وقتل من أصحابه خلق كثير وكتب معز الدولة بذلك فلم يصدق الناس لما علموا من قوة روزبهان وضعف معز الدولة وعاد الى بغداد ومعه روزبهان ليراه الناس وسير سبكتكين الى أبى المرجا بن ناصر الدولة وكان بعكبرا فلم يلحقه لانه لما بلغه الخبر عاد الى الموصل وسجن معز الدولة روزبهان فبلغه ان الديلم قد عزموا على اخراجه قهرا والمبايعة له فاخرجه ليلا وغرقه وأما أخو روزبهان الذى خرج بشيراز فان الاستاذ أبا الفضل بن العميد سار اليه فى الجيوش فقاتله فظفر به وأعاد عضد الدولة بن ركن الدولة الى ملكه وانطوى خبر روزبهان واخوته وكان قد اشتعل اشتعال النار فقبض معز الدولة على جماعة من الديلم وترك من سواهم واصطنع الاتراك وقدمهم وأمرهم بتوبيخ الديلم والاستطالة عليهم ثم أطلق للاتراك اطلاقات زائدة على واسط والبصرة فساروا لقبضها مدلين بما صنعوا فاخربوا البلاد ونهبوا الاموال وصار ضررهم أكثر من نفعهم

﴿ذكر غزو سيف الدولة بلاد الروم﴾

فى هذه السنة فى رجب سار سيف الدولة بن حمدان فى جيوش الى بلاد الروم وغزاها حتى بلغ خرشنة وصارخة وفتح عدة حصون وسبى وأسر وأحرق وخرب وأكثر القتل فيهم ورجع الى اذنة فاقام بها حتى جاءه رئيس طرسوس فخلع عليه وأعطاه شيأ كثيرا وعاد الى حلب فلما سمع الروم بما فعل جمعوا وساروا الى ميافارقين وأحرقوا سوادها ونهبوه وخربوا وسبوا أهله ونهبوا أموالهم وعادوا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة وقعت الفتنة باصبهان بين أهلها وبين أهل قم بسبب المذاهب وكان سببها انه قيل عن رجل قمى انه سب بعض الصحابة وكان من أصحاب شحنة اصبهان فثار أهلها واستغاثوا باهل

ألطف من الماء وأرق مسلكا فمن أجل ذلك لا تزيله الليالى ولا تخلقه الدهور دق عن الاوهام مسلكه وخفى عن الابصار موضعه غير ان ابتداء حركته من القلب ثم تسير الى سائر الاعضاء فتظهر الرعدة فى الاطراف والصفرة فى الالوان واللجلجة فى الكلام والضعف فى الرأى حتى ينسب صاحبه الى النقص وذهب بعض الاطباء الى ان العشق طمع يتولد فى القلب وتجتمع اليه مواد الحكمة فاذا قوى زاد بصاحبه الاهتياج واللجاج والفكر والامانى ويبس الدماغ وذلك أن التمادى فى الطمع للدم محرق فاذا احترق استحال الى السوداء فاذا قويت جلبت الفكر فتستعلى الحرارة وتلتهب الصفراء ثم تستحيل الصفراء سوداء وتصير مادة لها فتقوى طباع السوداء فتختلط الكيموسات فحينئذ يشتد مابه فيموت أو يقتل نفسه وربما شهق فتخفى روحه أربعا وعشرين ساعة فيظن أنه مات فيصير حيا وربما تنفس الصعداء فتخفى روحه فى تامور قلبه وينضم القلب ولا ينفرج حتى يموت وربما ارتاح وتشوق ونظر الى من يحب فجأة وقد يرى العاشق اذا سمع ذكر من يحب كيف يموت دمه ويحول لونه وقال بعضهم ان الله خلق كل روح مدورة على هيئة الكرة وجزأها انصافا وجعل كل نصف جسد فكل جسد لقى قسيمه

السواد فاجتمعوا في خلق لا يحصون كثرة وحضروا دار الشحنة وقتل بينهم قتلى ونهب أهل اصبهان أموال التجار من أهل قم فبلغ الخبر ركن الدولة فغضب لذلك وأرسل اليها فطرح على أهلها مالا كثيرا وفيها توفي محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمرو الزاهد غلام ثعلب في ذي القعدة وفيها كانت الزلزلة بهمذان واستراباذ ونواحيها وكانت عظيمة أهلكت تحت الهدم خلقا كثيرا وانشقت منها حيطان قصر شيرين من صاعقة وفيها في جمادى الآخرة سار الروم في البحر فأوقعوا بأهل طرسوس وقتلوا منهم ألفا وثمانمائة رجل وأحرقوا القرى التي حولها وفيها سار الحسن بن علي صاحب صقلية على اسطول كثير الى بلاد الروم

ثم دخلت سنة ست وأربعين وثلثمائة

ذكر موت المرزبان

في هذه السنة في رمضان توفي السلار المرزبان باذربيجان وهو صاحبها فلما يئس من نفسه أوصى الى أخيه وهسوذان بالملك وبعده لابنه جستان بن المرزبان وكان المرزبان قد تقدم أولا الى نوابه بالقلاع ان لا يسلموها بعده الا الى ولده جستان فان مات فالى ابنه ابراهيم فان مات فالى ابنه ناصر فان لم يبق منهم أحد فالى أخيه وهسوذان فلما أوصى هذه الوصية الى أخيه عرفه علامات بينه وبين نوابه في قلاعه ليتسلمها منهم فلما مات المرزبان أنفذ أخوه وهسوذان خاتمه وعلاماته اليهم فاظهروا وصيته الاولى فظن وهسوذان ان أخاه خدعه بذلك فأقام مع أولاد أخيه فاستبدوا بالامر دونه فخرج من اردبيل كالهارب الى الطرم فاستبد جستان بالامر واطاعه اخوته وقلد وزارته أبا عبد الله النعيمي وأتاه قواد أبيه الا جستان بن شرمزن فانه عزم على التغلب على أرمينية وكان واليا عليها وشرع وهسوذان في الافساد بين اولاد أخيه وتفريق كلمتهم واطماع أعدائهم فيهم حتى بلغ ما أراد وقتل بعضهم

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كثر ببغداد ونواحيها أورام الحلق والماشرا وكثر الموت بهما وموت الفجأة وكل من افتصد انصب الى ذراعيه مادة حادة عظيمة تبعها حمى حادة وما سلم أحد ممن افتصد وكان المطر معدوما وفيها تجهز معز الدولة وسار نحو الموصل لقصد ناصر الدولة بسبب ما فعله فراسله ناصر الدولة وبذل له مالا وضمن البلاد منه كل سنة بالفي ألف درهم وحمل اليه مثلها فعاد معز الدولة بسبب خراب بلاده للفتنة المذكورة ولانه لم يثق باصحابه ثم ان ناصر الدولة منع حمل المال فسار اليه معز الدولة على ما نذكره وفيها انتقص البحر ثمانين باعا فظهرت فيه جزائر وجبال لم تعرف قبل ذلك وفيها توفي أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل الاموي النيسابوري المعروف بالاصم وكان عالي الاسناد في الحديث وصحب الربيع بن سليمان صاحب الشافعي وروى عنه كتب الشافعي وفيها توفي أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن أحمد بن اسحق الفقيه البخاري الامين وفيها كانت بالعراق وبلاد الجبال وقم ونواحيها زلازل كثيرة متتابعة دامت نحو أربعين يوما تسكن وتعود فتهدمت الابنية وغارت المياه وهلك تحت الهدم من الامم الكثير وكذلك كانت زلزلة بالري ونواحيها مستهل ذي الحجة أخربت كثيرا من البلد وهلك من أهلها كثير وكذلك أيضا كانت الزلزلة بالطالقان ونواحيها عظيمة جدا أهلكت أمما كثيرة

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلثمائة

ذكر استيلاء معز الدولة على الموصل وعوده عنها

ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وذهب قوم الى ما تعتقده العرب في ذلك ومنه قول جميل في بثينة

تعلق روحي روحها قبل خلقها ... ومن قبل ما كنا نطافا وفي المهد

فزاد كما زدنا فأصبح ناميا ... وليس وان متنا بمنتقض العهد

ولكنه باق على كل حالة ... وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

وقال جالينوس المحبة تقع بين العاقلين لتشاكلهما في العقل ولا تقع بين الاحمقين وان تشاكلا في الحمق لان العقل يجري على ترتيب فهما يجريان فيه على طريق واحدة والاحمق لا يجري على ترتيب ولا يجوز أن يتفق فيه اثنان ولا يختلفان وقسم بعض العرب الهوى فقال ثلاثة أحباب حب علاقة وحب تملاق وحب هو القتل

وقال الصوفية ببغداد ان الله عز وجل انما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه ليشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستدلوا بذلك على قدر طاعة الله اذ كان لا مثل له ولا نظير فاذا أوجبوا على أنفسهم طاعة سواه كان تعالى أحرى أن يتبع رضاه وللباطنية

قد ذكرنا صلح معز الدولة مع ناصر الدولة على ألفي ألف درهم كل سنة فلما كان هذه السنة أخر ناصر الدولة حمل المال فتجهز معز الدولة الى الموصل وسار نحوها منتصف جمادى الاولى ومعه وزيره المهلبي ففارقها ناصر الدولة الى نصيبين واستولى معز الدولة على الموصل وكان من عادة ناصر الدولة اذا قصده أحد سار عن الموصل واستصحب معه جميع الكتاب والوكلاء ومن يعرف أبواب المال ومنافع السلطان وربما جعلهم في قلاعه كقلعة كواشي والزعفران وغيرهما وكانت قلعة كواشي تسمى ذلك الوقت قلعة اردمشت وكان ناصر الدولة يأمر العرب بالاغارة على العلافة ومن يحمل الميرة فكان الذي يقصد بلاد ناصر الدولة يبقى محصورا مضيقا عليه فلما قصده معز الدولة هذه المرة فعل ذلك به فضاقت الاقوات على معز الدولة وعسكره وبلغه ان بنصيبين من الغلات السلطانية شيأ كثيرا فسار عن الموصل نحوها واستخلف بالموصل سبكتكين الحاجب الكبير فلما توسط الطريق بلغه ان أولاد ناصر الدولة أبا المرجا وهبة الله بسنجار في عسكر فسير اليهم عسكرا فلم يشعر أولاد ناصر الدولة بالعسكر الا وهم معهم فعجلوا عن أخذ أثقالهم فركبوا دوابهم وانهزموا ونهب عسكر معز الدولة ما تركوه ونزلوا في خيامهم فعاد أولاد ناصر الدولة اليهم وهم غارون فوضعوا السيف فيهم فقتلوا وأسروا وأقاموا بسنجار وسار معز الدولة الى نصيبين ففارقها ناصر الدولة الى ميافارقين ففارقه أصحابه وعادوا الى معز الدولة مستأمنين فلما رأى ناصر الدولة ذلك سار الى أخيه سيف الدولة بحلب فلما وصل خرج اليه ولقيه وبالغ في اكرامه وخدمه بنفسه حتى انه نزع خفه بيديه وكان أصحاب ناصر الدولة في حصونه ببلد الموصل والجزيرة يغيرون على أصحاب معز الدولة بالبلد فيقتلون فيهم ويأسرون منهم ويقطعون الميرة عنهم ثم ان سيف الدولة راسل معز الدولة في الصلح وترددت الرسل في ذلك فامتنع معز الدولة من تضمين ناصر الدولة لخلفه معه مرة بعد أخرى فضمن سيف الدولة البلاد منه بألفي ألف درهم وتسعمائة ألف درهم واطلاق من أسر من أصحابه بسنجار وغيرها وكان ذلك في المحرم سنة ثمان وأربعين وانما أجاب معز الدولة الى الصلح بعد تمكنه من البلاد لانه ضاقت عليه الاموال وتقاعد الناس في حمل الخراج واحتجوا بانهم لا يصلون الى غلاتهم وطلبوا الحماية من العرب أصحاب ناصر الدولة فاضطر معز الدولة الى الانحدار وأنف من ذلك فلما وردت عليه رسالة سيف الدولة استراح اليها وأجابه الى ما طلبه من الصلح ثم انحدر الى بغداد

(ذكر مسير جيوش المعز العلوي الى أقاصي المغرب)

وفيها عظم أمر أبي الحسن جوهر عند المعز بافريقية وعلا محله وصار في رتبة الوزارة فسيره المعز في صفر في جيش كثيف منهم زيري بن مناد الصنهاجي وغيره وأمره بالمسير الى أقاصي المغرب فسار الى تاهرت فحضر عنده يعلى بن محمد الزناتي فاكرمه وأحسن اليه ثم خالف على جوهر فقبض عليه وثار أصحابه فقاتلهم جوهر فانهزموا وتبعهم جوهر الى مدينة افكان فدخلها بالسيف ونهبها ونهب قصور يعلى وأخذ ولده وكان صبيا وأمر بهدم افكان واحراقها بالنار وكان ذلك في جمادى الآخرة ثم سار منها الى فاس وبها صاحبها أحمد بن بكر فاغلق أبوابها فنازلها جوهر وقاتلها مدة فلم يقدر عليها وأتته هدايا الامراء الفاطميين بأقاصي السوس وأشاروا على جوهر وأصحابه بالرحيل الى سجلماسة وكان صاحبها محمد بن واسول قد تلقب بالشاكر لله ويخاطب بامير المؤمنين وضرب السكة باسمه وهو على ذلك ست عشرة سنة فلما سمع بجوهر هرب ثم أراد الرجوع الى سجلماسة فلقيه أقوام فأخذوه أسيرا وحملوه الى جوهر ومضى جوهر حتى انتهى الى البحر المحيط

المتصوفة في هذا كلام كثير وقال افلاطون ما أدري ما الهوى غير أنه جنون والهوى لا محمود ولا مذموم * وكتب بعض الكتاب الى أخ له اني صادفت منك جوهر نفسي فانا غير محمود على الانقياد اليك لان النفس يتبع بعضها بعضا وللناس ممن خالف وسالف من الفلاسفة والفلكيين والاسلاميين وغيرهم كلام كثير في العشق قد أتينا على ذلك في كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وانما أخرجنا عما كنا فيه آنفا من أخبار البرامكة عند ذكرنا العشق فتغلغل بنا الكلام الى ايراد لمع مما قيل في ذلك فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من أخبارهم واتساق أيامهم وانتظامها لهم بالسعود ثم انعكاسها الى النحوس ذكر ذو معرفة بأخبار البرامكة أنه لما بلغ جعفر ابن يحيى بن خالد بن برمك ويحيى بن خالد والفضل وغيرهم من آل برمك ما بلغوا في الملك وتناهوا في الرياسة واستقامت لهم الامور حتى قيل ان أيامهم عروس وسرور دائم لا يزول قال الرشيد لجعفر بن يحيى ويحك يا جعفر ليس في الارض طلعة آنس بها ولا أميل اليها وأنا بها أشد استمتاعا وأنسا مني برؤيتك وان للعباسة أختي مني موقعا ليس بدون ذلك وقد نظرت في أمري معكما فوجدتني لا أصبر عنك ولا عنها ورأيتني ناقص الحظ

والسرور منك يوم أكون معها وكذلك حكمي في يوم كوني معك دونها وقد رأيت شيأ يجتمع لي به السرور وتتكاثف لي به

فأمر ان يصطاد له من سمكه فاصطادوا له فجعله في قلال الماء وحمله الى المعز وسلك تلك البلاد جميعها فافتتحها وعاد الى فاس فقاتلها مدة طويلة فقام زيري بن مناد فاختار من قومه رجالا لهم شجاعة وأمرهم ان يأخذوا السلاليم وقصدوا البلد فصعدوا الى السور الادنى في السلاليم وأهل فاس آمنون فلما صعدوا على السور قتلوا من عليه ونزلوا الى السور الثاني وفتحوا الابواب وأشعلوا المشاعل وضربوا الطبول وكانت الامارة بين زيري وجوهر فلما سمعها جوهر ركب في العساكر فدخل فاسا فاستخفى صاحبها وأخذ بعد يومين وجعل مع صاحب سجلماسة وكان فتحها في رمضان سنة ثمان وأربعين وثلثمائة فحملهما في قفصين الى المعز بالمهدية وأعطى تاهرت لزيري بن مناد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة كان ببلاد الجبل وباء عظيم مات فيه أكثر أهل البلاد وكان أكثر من مات فيه النساء والصبيان وتعذر على الناس عيادة المرضى وشهود الجنائز لكثرتها وفيها انخسف القمر جميعه وفيها توفي أبو الحسن علي بن أحمد البوشنجي الصوفي بنيسابور وهو أحد المشهورين منهم وأبو الحسن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب قاضي بغداد وكان مولده سنة اثنتين وتسعين ومائتين وأبو علي الحسين بن علي بن يزيد الحافظ النيسابوري في جمادى الاولى وفيها توفي عبد الله ابن جعفر بن درستويه أبو محمد الفارسي النحوي في صفر وكان مولده سنة ثمان وخمسين ومائتين أخذ النحو عن المبرد

﴿ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثلثمائة﴾

في هذه السنة في المحرم تم الصلح بين سيف الدولة ومعز الدولة وعاد معز الدولة الى العراق ورجع ناصر الدولة الى الموصل وفيها انفذ الخليفة لواء وخلعة لابي علي بن الياس صاحب كرمان وفيها مات أبو الحسن محمد بن أحمد المافروخي كاتب معز الدولة وكتب بعده أبو بكر بن أبي سعيد وفيها كانت حرب شديدة بين علي بن كامة وهو ابن أخت ركن الدولة وبين بيستون بن وشمكير فانهزم بيستون وفيها غرق من حجاج الموصل في الماء بضعة عشر زورقا وفيها غزت الروم طرسوس والرها فقتلوا وسبوا وغنموا وعادوا سالمين وفيها سار مؤيد الدولة بن ركن الدولة من الري الى بغداد فتزوج بابنة عمه معز الدولة ونقلها معه الى الري ثم عاد الى اصبهان وفيها في جمادى الاولى وقعت حرب شديدة بين عامة بغداد وقتل فيها جماعة واحترق من البلد كثير وفيها توفي أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن الفقيه الحنبلي المعروف بالنجاد وكان عمره خمسا وتسعين سنة وجعفر ابن محمد بن نصير الخلدي الصوفي وهو من أصحاب الجنيد فروى الحديث وأكثر وفيها انقطعت الامطار وغلت الاسعار في كثير من البلاد فخرج الناس يستسقون في كانون الثاني في البلاد ومنها بغداد فلم يسقوا فلما كان في اذار ظهر جراد عظيم فأكل ما كان قد نبت من الخضراوات وغيرها فاشتد الامر على الناس

﴿ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر ظهور المستجير بالله﴾

في هذه السنة ظهر باذربيجان رجل من أولاد عيسى بن المكتفي بالله وتلقب بالمستجير بالله وبايع للرضا من آل محمد ولبس الصوف وأظهر العدل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وكثر اتباعه وكان السبب في ظهوره ان جستان بن المرزبان صاحب اذربيجان ترك سيرة والده في سياسة الجيش واشتغل باللعب ومشاورة النساء وكان جستان بن شرمزن بارمينية متحصنا

اللذة والانس فقال وفقك الله يا أمير المؤمنين وعزم لك على الرشد في أمورك كلها فقال له الرشيد قد زوجتكها تزويجا تملك به مجالستها والنظر اليها والاجتماع بها في مجالس انا معكما فيه فزوجه الرشيد بعد امتناع كان من جعفر اليه في ذلك وأتى فاشهد له من حضره من خدمه وخاصة مواليه وأخذ الرشيد عليه عهد الله ومواثيقه وغليظ أيمانه أنه لا يخلو بها ولا يجلس معها ولا يظله واياها سقف بيت الا وأمير المؤمنين الرشيد ثالثهما فحلف له جعفر على ذلك ورضي به وألزمه نفسه وكانوا يجتمعون على هذه الحالة التي وصفنا وجعفر في ذلك صارف بصره عنها مزور بوجهه هيبة لامير المؤمنين ووفاء بعهده وأيمانه ومواثيقه على ما واثقه الرشيد عليه وعلقته العباسة وأضمرت الاحتيال عليه وكتبت اليه رقعة فزال رسوها وتهددها وعادت فعاد بمثل ذلك فلما استحكم اليأس عليها قصدت لامه ولم تكن بالحازمة فاستمالتها بالهدايا من نفيس الجواهر والالطاف وما أشبه ذلك من كثرة المال والطاف الملوك حتى اذا ظنت انها لها في الطاعة كالامة وفي النصيحة والاشفاق كالوالدة ألقت اليها طرفا من الامر الذي تريده وأعلمتها ما لها في ذلك

بها

بها وكان وهسوذان بالطرم يضرب بين أولاد أخيه ليختلفوا ثم ان جستان بن المرزبان قبض على وزيره النعيمي وكان بينه وبين وزير جستان بن شرمزن مصاهرة وهو أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه فاستوحش أبو الحسن لقبض النعيمي فحمل صاحبه ابن شرمزن على مكاتبة ابراهيم بن المرزبان وكان بارمينية وكاتبه وأطمعه في الملك فسار اليه فقصدوا مراغة واستولوا عليها فلما علم جستان بن المرزبان بذلك راسل ابن شرمزن ووزيره أبا الحسن فاصلحهما وضمن لهما اطلاق النعيمي فعادا عن نصرة ابراهيم وظهر له ولاخيه نفاق ابن شرمزن فتراسلا واتفقا عليه ثم ان النعيمي هرب من حبس جستان بن المرزبان وسار الى موقان وكاتب ابن عيسى ابن المكتفي بالله وأطمعه في الخلافة وان يجمع له الرجال ويملك له اذربيجان فاذا قوي قصد العراق فسار اليه في نحو ثلثمائة رجل وأتاه جستان بن شرمزن فقوي به وبايعه الناس واستفحل أمره فسار اليهم جستان وابراهيم ابنا المرزبان قاصدين قتالهم فلما التقوا انهزم أصحاب المستجير وأخذ اسيرا فعدم فقيل انه قتل وقيل بل مات

﴿ذكر استيلاء وهسوذان على بني أخيه وقتلهم﴾

وأما وهسوذان فانه لما رأى اختلاف أولاد أخيه وان كل واحد منهم قد انطوى على غش صاحبه راسل ابراهيم بعد وقعة المستجير واستزاره فزاره فاكرمه عمه ووصله بما ملأ عينه وكاتب ناصرا ولد أخيه أيضا واستغواه ففارق أخاه جستان وصار الى موقان فوجد الجند طريقا الى تحصيل الاموال ففارق أكثرهم جستان وصاروا الى أخيه ناصر فقوي بهم على أخيه جستان واستولى على اردبيل ثم ان الاجناد طالبوا ناصرا بالاموال فعجز عن ذلك وقعد عمه وهسوذان عن نصرته فعلم انه كان يغويه فراسل أخاه جستان وتصالحا واجتمعا وهما في غاية ما يكون من قلة الاموال واضطراب الامور وتغلب أصحاب الاطراف على ما بايديهم فاضطر جستان وناصر ابنا المرزبان الى المسير الى عمهما وهسوذان مع والدتهما فراسلاه في ذلك وأخذا عليه العهود وساروا اليه فلما حضروا عنده نكث وغدر بهم وقبض عليهم وهم جستان وناصر ووالدتهما واستولى على العسكر وعقد الامارة لابنه اسمعيل وسلم اليه أكثر قلاعه وأخرج الاموال وأرضى الجند وكان ابراهيم بن المرزبان قد سار الى ارمينية فتأهب لمنازعة اسمعيل واستنقاذ أخويه من حبس عمهما وهسوذان فلما علم وهسوذان ذلك ورأى اجتماع الناس عليه بادر فقتل جستان وناصرا ابني أخيه وأمهما وكاتب جستان بن شرمزن وطلب اليه ان يقصد ابراهيم وأمده بالجند والمال ففعل ذلك واضطر ابراهيم الى الهرب والعود الى ارمينية واستولى ابن شرمزن على عسكره وعلى مدينة مراغة مع ارمينية

﴿ذكر غزو سيف الدولة بلاد الروم﴾

في هذه السنة غزا سيف الدولة بلاد الروم في جمع كثير فاثر فيها آثارا كثيرة وأحرق وفتح عدة حصون وأخذ من السبي والغنائم والاسرى شيأ كثيرا وبلغ الى خرشنة ثم ان الروم أخذوا عليه المضايق فلما أراد الرجوع قال له من معه من أهل طرسوس ان الروم قد ملكوا الدرب خلف ظهرك فلا تقدر على العود منه والرأي ان ترجع معنا فلم يقبل منهم وكان معجبا برأيه يحب ان يستبد ولا يشاور أحدا لئلا يقال انه أصاب برأي غيره وعاد في الدرب الذي دخل منه فظهر الروم عليه واستردوا ما كان معه من الغنائم وأخذوا اثقاله ووضعوا السيف في أصحابه فاتوا عليهم قتلا وأسرا وتخلص هو في ثلثمائة رجل بعد جهد ومشقة وهذا من سوء رأي كل من يجهل آراء الناس العقلاء

من جزيل العاقبة وما لهما من الفخر والشرف بمصاهرة أمير المؤمنين وأوهمتها ان هذا الأمر اذا وقع كان به امان لها ولولدها من زوال النعمة وسقوط مرتبته فاستجابت لها أم جعفر ووعدتها اعمال الحيلة في ذلك وأنها تلطف لها حتى تجمع بينهما وأقبلت على جعفر يوما وقالت له يا بني قد وصفت لي وصيفة في بعض القصور من تربية الملوك قد بلغت في الادب والمعرفة والظرف والحلاوة مع الجمال الرائع والقد البارع والخصال المحمودة ما لم ير مثله وقد عزمت على اشترائها لك وقد قرب الأمر بيني وبين مالكها فاستقبل كلامها بالقبول وعلقت قلبه وتطلعت اليها نفسه وجعلت تمطله حتى اشتد شوقه وقويت شهوته وهو في ذلك يلح عليها فلما علمت أنه قد عجز عن الصبر واشتد به القلق قالت له انا مهديتها اليك ليلة كذا وكذا وبعثت الى العباسة فأعلمتها بذلك فتأهبت وسارت اليها تلك الليلة وانصرف جعفر من عند الرشيد وقد بقي في نفسه من الشراب فضلة لما عزم عليه فدخل منزله وسأل عن الجارية فخبر بمكانها وأدخلت على فتى سكران لم يكن بصورتها عالما ولا على خلقها واقفا فقام اليها فواقعها فلما قضى اليها حاجته قالت له كيف رأيت حيل بنات الملوك قال وأي بنات الملوك تعنين وهو يرى انها من بعض

والله أعلم بالصواب

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قبض عبد الملك بن نوح صاحب خراسان وماوراء النهر على رجل من أكابر قواده وأمرائه يسمى تجتكين وقتله فاضطربت خراسان وفيها استأمن أبو الفتح المعروف بابن العريان أخو عمران بن شاهين صاحب البطيحة الى معز الدولة باهله وماله وكان خاف أخاه فاكرمه معز الدولة وأحسن اليه وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن أبى عبد الله البريدى وفيها أسلم من الاتراك نحو مائتى ألف خركاه وفيها انصرف حجاج مصر من الحج ونزلوا واديا وباتوا فيه فاتاهم السيل ليلا فاخذهم جميعهم مع اثقالهم وجمالهم فالقاهم فى البحر وفيها سار ركن الدولة من الرى الى جرجان فلقيه الحسن بن الفيرزان وابن عبد الرزاق فوصلهما بمال جليل وفيها كان بالبلاد وباء شديد وكان أكثره بالموصل فبلغ الكر من الحنطة الفا ومائتى درهم والكر من الشعير ثمانمائة درهم وهرب أهلها الى الشام والعراق وفيها خامس شعبان كان ببغداد فتنة عظيمة بين العامة وتعطلت الجمعة من الغد لاتصال الفتنة فى الجانبين سوى مسجد براثا فان الجمعة تمت فيه وقبض على جماعة من بنى هاشم اتهموا انهم سبب الفتنة ثم أطلقوا من الغد وفيها توفى أبو الخير الاقطع التيناتى أو قريبا من هذه السنة وكان عمره مائة وعشرين سنة وله كرامات مشهورة مسطورة (التيناتى بالتاء المكسورة المعجمة باثنتين من فوق ثم الياء المعجمة باثنتين من تحت ثم بالنون والالف ثم بالتاء المثناة من فوق أيضا) وفيها مات أبو اسحق بن ثوابة كاتب الخليفة ومعز الدولة وقلد ديوان الرسائل بعده ابراهيم بن هلال الصابى وفيها فى آخرها مات أنوجور بن الاخشيد صاحب مصر وتقلد أخوه على مكانه

(ثم دخلت سنة خمسين وثلثمائة)

(ذكر بناء معز الدولة دوره ببغداد)

فى هذه السنة فى المحرم مرض معز الدولة وامتنع عليه البول ثم كان يبول بعد جهد ومشقة دما وتبعه البول والحصا والرمل فاشتد جزعه وقلقه وأحضر الوزير المهلبى والحاجب سبكتكين فاصلح بينهما ووصاهما بابنه بختيار وسلم جميع ماله اليه ثم انه عوفى فعزم على المسير الى الاهواز لانه اعتقد أن ما اعتاده من الامراض انما هو بسبب مقامه ببغداد وظن انه ان عاد الى الاهواز عاوده ما كان فيه من الصحة ونسى الكبر والشباب فلما انحدر الى كلواذى ليتوجه الى الاهواز أشار عليه أصحابه بالمقام وان يفكر فى هذه الحركة ولا يعجل فاقام بها ولم يؤثر أحد من أصحابه انتقاله لمفارقة أوطانهم وأسفا على بغداد كيف تخرب بانتقال دار الملك عنها فاشاروا عليه بالعود الى بغداد وان يبنى بها له دارا فى أعلى بغداد لتكون أرق هواء وأصفى ماء ففعل وشرع فى بناء داره فى موضع المسناة المعزية فكان مبلغ ما خرج عليها الى ان مات ثلاثة عشر ألف ألف درهم فاحتاج بسبب ذلك الى مصادرة جماعة من أصحابه

(ذكر موت الامير عبد الملك بن نوح)

فى هذه السنة سقط الفرس تحت الامير عبد الملك بن نوح صاحب خراسان فوقع الى الارض فمات من سقطته وافتتنت خراسان بعده وولى بعده أخوه منصور بن نوح وكان موته يوم الخميس حادى عشر شوال

(ذكر وفاة عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس وولاية ابنه الحاكم)

بنات الملوك فقالت انا مولاتك العباسة بنت المهدى فوثب فزعا قد زال عنه سكره وفارقه عقله فأقبل عليها وقال لقد بعتنى بالثمن الرخيص وحملتنى على المركب الوعر وانظرى ما يؤول اليه حالى وانصرفت مشتملة منه على حمل ثم ولدت غلاما فوكلت به خادما من خدمها يقال له رياش وحاضنة تسمى برة فلما خافت ظهور الخبر وانتشاره وجهت الصبى والخادم والحاضنة الى مكة وأمرتهما بتربيته وطالت مدة جعفر وغلب هو وأبوه واخوته على أمر المملكة وكانت زبيدة من الرشيد بالمنزلة التى لا يتقدمها أحد من نظرائها وكان يحيى بن خالد لا يزال يتفقد أمر حرم الرشيد ويمنعهن من خدمة الخدم فشكت زبيدة الى الرشيد فقال ليحيى بن خالد يا أبت ما بال أم جعفر تشكوك فقال يا أمير المؤمنين أمتهم انا فى حرمك وتدبير منزلك عندك فقال لا والله فقال لا تقبل قولها قال الرشيد فلست أعاودك فازداد يحيى لها منعا وعليها فى ذلك غلظة وكان يأمر بقفل أبواب الحرم بالليل ويمضى بالمفاتيح الى منزله فبلغ ذلك من أم جعفر كل مبلغ فدخلت ذات يوم على الرشيد فقالت يا أمير المؤمنين ما يحمل يحيى على ما لا تزال تفعل من منعه اياى من خدمى ووضعه اياى فى غير موضعى فقال لها الرشيد يحيى عندى غير متهم

فى

في هذه السنة توفي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله صاحب الاندلس الملقب بالناصر لدين الله في رمضان فكانت امارته خمسين سنة وستة أشهر وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة وكان أبيض أشهل حسن الوجه عظيم الجسم قصير الساقين كان ركاب سرجه يقارب الشبر وكان طويل الظهر وهو أوّل من تلقب من الامويين بالقاب الخلفاء وتسمى بامير المؤمنين وخلف احد عشر ولدا ذكرا وكان من تقدمه من آبائه يخاطبون ويخطب لهم بالامير وابناء الخلائف وبقي هو كذلك الى ان مضى من امارته سبع وعشرون سنة فلما بلغه ضعف الخلفاء بالعراق وظهور العلويين بافريقية ومخاطبتهم بامير المؤمنين أمر حينئذ ان يلقب الناصر لدين الله ويخطب له بامير المؤمنين ويقول أهل الاندلس انه أوّل خليفة ولي بعد جده وكانت أمه أم ولد اسمها مزنة ولم يبلغ أحد ممن تلقب بامير المؤمنين مدته في الخلافة غير المستنصر العلوي صاحب مصر فان خلافته كانت ستين سنة ولما مات ولي الامر بعده ابنه الحاكم بن عبد الرحمن وتلقب بالمستنصر وأمه أم ولد تسمى مرجانة وخلف الناصر عدة أولاد منهم عبد الله وكان شافعي المذهب عالما بالشعر والاخبار وغيرهما وكان ناسكا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سار قفل عظيم من انطاكية الى طرسوس ومعهم صاحب انطاكية فخرج عليهم كمين للروم فاخذ من كان فيها من المسلمين وقتل كثيرا منهم وأفلت صاحب انطاكية وبه جراحات وفيها في رمضان دخل نجا غلام سيف الدولة بلاد الروم من ناحية ميافارقين غازيا وانه في رمضان غنم ما قيمته قيمة عظيمة وسبى وأسر وخرج سالما وفيها مات القاضي أبو السائب عتبة بن عبد الله وقبضت أملاكه وتولى قضاء القضاة أبو العباس بن عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب وضمن ان يؤدي كل سنة مائتي ألف درهم وهو أوّل من ضمن القضاء وكان ذلك أيام معز الدولة ولم يسمع بذلك قبله فلم يأذن له الخليفة المطيع لله بالدخول عليه وأمر بان لا يحضر الموكب لما ارتكبه من ضمان القضاء ثم ضمنت بعده الحسبة والشرطة ببغداد وفيها وصل أبو القاسم أخو عمران بن شاهين الى معز الدولة مستأمنا وفيها توفي القاضي أبو بكر أحمد بن كامل وهو من أصحاب الطبري وكان يروي تاريخه

(ثم دخلت سنة احدى وخمسين وثلثمائة)

(ذكر استيلاء الروم على عين زربة)

في هذه السنة في المحرم نزل الروم مع الدمستق على عين زربة وهي في سفح جبل عظيم وهو مشرف عليها وهم في جمع عظيم فانفذ بعض عسكره فصعدوا الجبل فملكوه فلما رأى ذلك أهلها وان الدمستق قد ضيق عليهم ومعه الدبابات وقد وصل الى السور وشرع في النقب طلبوا الامان فأمنهم الدمستق وفتحوا له باب المدينة فدخلها فرأى أصحابه الذين في الجبل قد نزلوا الى المدينة فندم على اجابتهم الى الامان ونادى في البلد أوّل الليل بان يخرج جميع أهله الى المسجد الجامع ومن تأخر في منزله قتل فخرج من امكنه الخروج فلما أصبح انفذ رجالته في المدينة وكانوا ستين ألفا وأمرهم بقتل من وجدوه في منزله فقتلوا خلقا كثيرا من الرجال والنساء والصبيان وأمر بجمع ما في البلد من السلاح فجمع فكان شيأ كثيرا وأمر من في المسجد بان يخرجوا من البلد حيث شاؤا يومهم ذلك ومن امسى قتل فخرجوا مزدحمين فمات بالزحمة جماعة ومروا على وجوههم لا يدرون أين يتوجهون فماتوا في الطرقات وقتل الروم من وجدوه بالمدينة آخر النهار

في حرمي فقالت ان كان كذلك لتحفظ ابنه مما ارتكبه فقال وماذاك فخبرته وقصت عليه قصة العباسة مع جعفر فسقط في يده وقال لها هل لك على ذلك من دليل وشاهد قالت وأي دليل أدل من الولد قال وقد كان ههنا فلما خافت ظهور أمره وجهته الى مكة فقال لها فيعلم هذا أحد غيرك قالت ما في قصرك جارية الا وقد علمت به فأمسك على ذلك وطوى عليه كشحا وأظهر أنه يريد الحج فخرج هو وجعفر بن يحيى وكتبت العباسة الى الخادم والحاضنة ان يخرجا بالصبي الى اليمن فلما صار الرشيد الى مكة وكل من يثق به بالفحص والبحث عن أمره فوجد الأمر صحيحا فلما قضى حجه ورجع اضمر في البرامكة على ازالة نعمهم فأقام ببغداد مديدة ثم خرج الى الانبار فلما كان في اليوم الذي عزم فيه على قتل جعفر دعا بالسندي ابن شاهك فأمره بالمضي الى مدينة السلام والتوكيل بدور البرامكة ودور كتابهم وقراباتهم وان يجعل ذلك سرا من حيث لا يكلم أحدا حتى يصل الى بغداد ثم يفضي بذلك لمن يثق به من أهله وأعوانه فامتثل السندي ذلك وقعد الرشيد وجعفر عنده في موضع يعرف في الانبار بالقمر فاقاما يومهما بأحسن هيئة

وأخذوا كل ماخلفه الناس من أموالهم وامتعتهم وهدموا سوري المدينة وأقام الدمستق في بلد الاسلام أحدا وعشرين يوما . فتح حول عين زربة أربعة وخمسين حصنا للمسلمين بعضها بالسيف وبعضها بالامان وان حصنا من تلك الحصون التي فتحت بالامان أمر أهله بالخروج منه فخرجوا فتعرض أحد الارمن ببعض حرم المسلمين فلحق المسلمين غيرة عظيمة فجردوا سيوفهم فاغتاظ الدمستق لذلك فامر بقتل جميع المسلمين وكانوا أربعمائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا من يصلح ان يسترق فلما ادركه الصوم انصرف على انه يعود بعد العيد وخلف جيشه بقيسارية وكان ابن الزيات صاحب طرسوس قد خرج في أربعة آلاف رجل من الطرسوسيين فاوقع بهم الدمستق فقتل أكثرهم وقتل أخا لابن الزيات فعاد الى طرسوس وكان قد قطع الخطبة لسيف الدولة بن حمدان فلما أصابهم هذا الوهن أعاد أهل البلد الخطبة لسيف الدولة وراسلوه بذلك فلما علم ابن الزيات حقيقة الامر صعد الى روشن في داره فالقى نفسه منه الى نهر تحته فغرق وراسل أهل بغراس الدمستق وبذلوا له مائة ألف درهم فاقرهم وترك معارضتهم

﴿ ذكر استيلاء الروم على مدينة حلب وعودهم عنها بغير سبب ﴾

في هذه السنة استولى الروم على مدينة حلب دون قلعتها وكان سبب ذلك ان الدمستق سار الى حلب ولم يشعر به المسلمون لانه كان قد خلف عسكره بقيسارية ودخل بلادهم كما ذكرناه فلما قضى صوم النصارى خرج الى عسكره من البلاد جريدة ولم يعلم به أحد وسار بهم فعند وصوله سبق خبره وكبس مدينة حلب ولم يعلم به سيف الدولة بن حمدان ولا غيره فلما بلغها وعلم سيف الدولة الخبر أعجله الامر عن الجمع والاحتشاد فخرج اليه فيمن معه فقاتله فلم يكن له قوة الصبر لقلة من معه فقتل أكثرهم ولم يبق من أولاد داود بن حمدان أحد قتلوا جميعهم فانهزم سيف الدولة في نفر يسير وظفر الدمستق بداره وكانت خارج مدينة حلب تسمى الدارين فوجد فيها لسيف الدولة ثلثمائة بدرة من الدراهم وأخذ له ألفا وأربعمائة بغل ومن خزائن السلاح مالا يحصى فاخذ الجميع وخرب الدار وملك الحاضر وحصر المدينة فقاتله أهلها وهدم الروم في السور ثلمة فقاتلهم أهل حلب عليها فقتل من الروم كثير ودفعوهم عنها فلما جنهم الليل عمروها فلما رأى الروم ذلك تأخروا الى جبل جوشن ثم ان رجالة الشرطة بحلب قصدوا منازل الناس وخانات التجار لينهبوها فلحق الناس أموالهم ليمنعوها فخلا السور منهم فلما رأى الروم السور خاليا من الناس قصدوه وقربوا منه فلم يمنعهم أحد فصعدوا الى أعلاه فرأوا الفتنة قائمة في البلد بين اهله فنزلوا وفتحوا الابواب ودخلوا البلد بالسيف يقتلون من وجدوا ولم يرفعوا السيف الى أن تعبوا وضجروا وكان في حلب ألف وأربعمائة من الاسارى فتخلصوا وأخذوا السلاح وقتلوا الناس وسبي من البلد بضعة عشر ألف صبي وصبية وغنموا مالا يوصف كثرة فلما لم يبق مع الروم مايحملون عليه الغنيمة أمر الدمستق باحراق الباقي واحرق المساجد وكان قد بذل لاهل البلد الامان على ان يسلموا اليه ثلاثة آلاف صبي وصبية ومالا ذكره وينصرف عنهم فلم يجيبوه الى ذلك فملكهم كما ذكرنا وكان عدة عسكره مائتي ألف رجل منهم ثلاثون ألف رجل بالجواشن وثلاثون ألفا للهدم واصلاح الطرق من الثلج وأربعة آلاف بغل يحمل الحسك الحديد ولما دخل الروم البلد قصد الناس القلعة فمن دخلها نجا بحشاشة نفسه واقام الدمستق تسعة أيام وأراد الانصراف عن البلد بما غنم فقال له ابن أخت الملك وكان معه هذا البلد قد حصل في أيدينا وليس من يدفعنا عنه فلاي سبب ننصرف عنه فقال الدمستق قد بلغنا مالم يكن الملك يؤمله

وأطيب عيش ثم لما انصرف جعفر من عنده خرج الرشيد حتى ركب مشيعا له ثم رجع فمضى جعفر الى منزله وفيه فضلة الشراب ودعا بابي بكار الاعمى الطنبوري وابن أبي نجيح كاتبه ومدت ستارة وجلس جواريه خلفها يضربن ويغنين وابن بكار يغنيه

ماتريد الناس منا ... ماتنام الناس عنا

انما همتهم ان ... يظهروا ماقد دفنا

وأمر الرشيد من ساعته ياسرا خادمه المعروف بوخلة فقال له اني أندبك لامر لم أر محمدا ولا القاسم له أهلا ولا موضعا ورأيتك به مستقلا ناهضا فحقق ظني واحذر أن تخالفني فقال ياأمير المؤمنين لو أمرتني ان ادخل السيف في بطني واخرجه من ظهري بين يديك لفعلت فمر بامرك فاني والله مسرع فقال ألست تعرف جعفر بن يحيى البرمكي قال ياأمير المؤمنين وهل أعرف سواه او ينكر مثل جعفر قال ألم تر تشييعي اياه عند خروجه قال بلى قال فامض الساعة اليه فائتني برأسه على اي حالة تجده عليها فارتج على ياسر الكلام وأخذته رعدة ووقف لايحير جوابا فقال ياياسر ألم اتقدم اليك بترك الخلاف علي قال بلى ياأمير المؤمنين ولكن الخطب اجل من ذلك والامر الذي ندبني اليه أمير المؤمنين وددت لو أني كنت مت قبل ان يجري على يدي منه شيء فقال دع عنك هذا وامض

وغمنا

وغنمنا وقتلنا وخربنا وأحرقنا وخلصنا أسرانا وبلغنا مالم يسمع بمثله فتراجعا الكلام الى ان قال له الدمستق انزل على القلعة فحاصرها فانني مقيم بعسكري على باب المدينة فتقدم ابن أخت الملك الى القلعة ومعه سيف وترس وتبعه الروم فلما قرب من باب القلعة ألقى عليه حجر فسقط ورمى بخشب فقتل فاخذه أصحابه وعادوا الى الدمستق فلما رآه قتيلا قتل من معه من أسرى المسلمين وكانوا ألفا ومائتي رجل وعاد الى بلاده ولم يعرض لسواد حلب وأمر أهله بالزراعة والعمارة ليعود اليهم بزعمه

﴿ذكر استيلاء ركن الدولة بن بويه على طبرستان وجرجان﴾

في هذه السنة في المحرم سار ركن الدولة الى طبرستان وبها وشمكير فنزل على مدينة سارية فحصرها وملكها ففارق حينئذ وشمكير طبرستان وقصد جرجان فاقام ركن الدولة بطبرستان الى أن ملكها كلها وأصلح أمورها وسار في طلب وشمكير الى جرجان فازاح وشمكير عنها واستولى عليها واستأمن اليه من عسكر وشمكير ثلاثة آلاف رجل فازداد قوة وازداد وشمكير ضعفا ووهنا فدخل بلاد الجيل

﴿ذكر ما كتب على مساجد بغداد﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر كتب عامة الشيعة ببغداد بأمر معز الدولة على المساجد ما هذه صورته لعن الله معاوية بن أبي سفيان ولعن من غصب فاطمة رضي الله عنها فدكا ومن منع من ان يدفن الحسن عند قبر جده عليه السلام ومن نفى أبا ذر الغفاري ومن أخرج العباس من الشورى فاما الخليفة فكان محكوما عليه لا يقدر على المنع وأما معز الدولة فبأمره كان ذلك فلما كان الليل حكه بعض الناس فاراد معز الدولة اعادته فاشار عليه الوزير أبو محمد المهلبي بان يكتب مكان ما محي لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يذكر أحدا في اللعن الا معاوية ففعل ذلك

﴿ذكر فتح طبرمين من صقلية﴾

وفي هذه السنة سارت جيوش المسلمين بصقلية وأميرهم حينئذ أحمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين الى قلعة طبرمين من صقلية أيضا وهي بيد الروم فحصروها وهي من أمنع الحصون وأشدها على المسلمين فامتنع أهلها ودام الحصار عليهم فلما رأى المسلمون ذلك عمدوا الى الماء الذي يدخلها فقطعوه عنها وأجروه الى مكان آخر فعظم الامر عليهم وطلبوا الامان فلم يجابوا اليه فعادوا وطلبوا ان يؤمنوا على دمائهم ويكونوا رقيقا للمسلمين وأموالهم فيأ فاجيبوا الى ذلك وأخرجوا من البلد وملكه المسلمون في ذي القعدة وكان مدة الحصار سبعة اشهر ونصفا وأسكن القلعة نفرا من المسلمين وسميت المعزية نسبة الى المعز العلوي صاحب افريقية وسار جيش الى رمطة مع الحسن بن عمار فحصروها وضيقوا عليها فكان ما نذكره سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في ربيع الاول أرسل الامير منصور بن نوح صاحب خراسان وما وراء النهر الى بعض قواده الكبار واسمه الفتكين يستدعيه فامتنع فانفذ اليه جيشا فلقيهم الفتكين فهزمهم وأسر وجوه القواد منهم وفيهم خال منصور وفيها في منتصف ربيع الاول أيضا انخسف القمر جميعه وفيها في جمادى الاولى كانت فتنة بالبصرة وبهمذان أيضا بين العامة بسبب المذاهب قتل فيها خلق كثير وفيها أيضا فتح الروم حصن دلوك وثلاثة حصون مجاورة له بالسيف وفيها لقب الخليفة المطيع لله فنا خسرو بن ركن الدولة بعضد الدولة وفيها في جمادى الآخرة أعاد سيف الدولة بناء عين زربة وسير حاجبه في جيش مع أهل طرسوس الى بلاد الروم فغنموا وقتلوا

لما قد أمرتك فمضى ياسر حتى دخل على جعفر وهو على حال لهوه فقال له ان أمير المؤمنين قد أمرني فيك بكيت وكيت فقال جعفر ان أمير المؤمنين يمازحني بأصناف من المزاح فاحسب ان هذا جنس منه فقال والله ما افتقدت من عقله شيأ ولا ظننته شرب خمرا في يومه مع ما رأيت من عبارته قال له فان لي عليك حقوقا لم تجد لها مكافأة وقتا من الاوقات الا هذا الوقت قال تجدني الى ذلك سريعا الا فيما خالف أمير المؤمنين قال فارجع اليه فاعلمه انك قد نفذت ما أمرك به فان أصبح نادما كانت حياتي على يديك جارية وكانت لك عندي نعمة مجددة وان أصبح على مثل هذا الرأي نفذت ما أمرت به في غد قال ليس الى ذلك سبيل قال فاصير معك الى مضرب أمير المؤمنين حتى أقف بحيث أسمع كلامه ومراجعته اياك فاذا أبديت عذرا ولم يقنع الا بمصيرك اليه برأسي خرجت فاخذت رأسي من قرب قال له أما هذا فنعم فمضيا جميعا الى مضرب الرشيد فدخل اليه ياسر فقال قد أخذت رأسه يا أمير المؤمنين وها هو ذا بالحضرة فقال له ائتني به والا والله قتلتك قبله فخرج فقال أسمعت الكلام قال نعم فشأنك وما امرت به فاخرج جعفر من كمه منديلا صغيرا فعصب به عينيه ومد رقبته فضرب بها وأدخل رأسه الى الرشيد فلما رأى الرأس بين يديه أقبل

وسبوا وعادوا واقصد الروم حصن سيسية فلكوه وفيها سار نجا غلام سيف الدولة في جيش الى حصن زياد فلاقيه جمع من الروم فهزمهم واستأمن اليه من الروم خمسمائة رجل وفيها في شوال أسرت الروم أبا فراس بن سعيد بن حمدان من منبج وكان متقلدها وله ديوان شعر جيد وفيها سار جيش من الروم في البحر الى جزيرة اقريطش فأرسل أهلها الى المعز لدين الله العلوي صاحب افريقية يستنجدونه فارسل اليهم نجدة فقاتلوا الروم فانتصر المسلمون وأسر من كان بالجزيرة من الروم وفيها توفي أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد النقاش المقرى صاحب كتاب شفاء الصدور وعبد الباقي بن قانع مولى بني أمية وكان مولده سنة خمس وتسعين ومائتين ودعلج بن أحمد السجزي العدل وأبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عصيان أهل حران﴾

في هذه السنة في صفر امتنع أهل حران على صاحبها هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان وعصوا عليه وسبب ذلك انه كان متقلدها ولغيرها من ديار مضر من قبل عمه سيف الدولة فعسفهم نوابه وظلموهم وطرحوا الامتعة على التجار من أهل حران وبالغوا في ظلمهم وكان هبة الله عند عمه سيف الدولة بحلب فثار أهلها على نوابه وطردوهم فسمع هبة الله بالخبر فسار اليهم وحاربهم وحصرهم فقاتلهم وقاتلوه أكثر من شهرين وقتل منهم خلق كثير فلما رأى سيف الدولة شدة الامر واتصال الشر قرب منهم وراسلهم وأجابهم الى ما يريدون فاصطلحوا وفتحوا أبواب البلد وهرب منه العيارون خوفا من هبة الله

﴿ذكر وفاة الوزير أبي محمد المهلبي﴾

في هذه السنة سار الوزير أبو محمد المهلبي وزير معز الدولة في جمادى الآخرة في جيش كثيف الى عمان ليفتحها فلما بلغ البحر اعتل واشتدت علته فأعيد الى بغداد فمات في الطريق في شعبان وحمل تابوته الى بغداد فدفن بها وقبض معز الدولة أمواله وذخائره وكل ما كان له وأخذ أهله وأصحابه وحواشيه حتى ملاحه ومن خدمه يوما واحدا فقبض عليهم وحبسهم فاستعظم الناس ذلك واستقبحوه وكانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وكان كريما فاضلا ذا عقل ومروءة فقدت بموته الكرم ونظر في الامور بعده أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس من غير تسمية لاحدهما بوزارة

﴿ذكر غزوة الى الروم وعصيان حران﴾

في هذه السنة في شوال دخل أهل طرسوس بلاد الروم غازين ودخلها أيضا نجا غلام سيف الدولة ابن حمدان من درب آخر ولم يكن سيف الدولة معهم لمرضه فانه كان قد لحقه قبل ذلك بسنتين فالج فاقام على رأس درب من تلك الدروب فاوغل أهل طرسوس في غزوتهم حتى وصلوا الى قونية وعادوا فرجع سيف الدولة الى حلب فلحقه في الطريق غشية أرجف عليه الناس بالموت فوثب هبة الله بن أخيه ناصر الدولة بن حمدان بابن دنجا النصراني فقتله وكان خصيصا بسيف الدولة وانما قتله لانه كان يتعرض لغلام له فغار لذلك ثم أفاق سيف الدولة فلما علم هبة الله ان عمه لم يمت هرب الى حران فلما دخلها أظهر لاهلها ان عمه مات وطلب منهم اليمين على ان يكونوا سلما لمن سالمه وحربا لمن حاربه فحلفوا له واستثنوا عمه في اليمين فارسل سيف الدولة غلامه نجا الى حران في طلب هبة الله فلما قاربها هرب هبة الله الى أبيه بالموصل فنزل نجا على حران في السابع والعشرين

أنظر الى قاتل جعفر وقال الاصمعي وجه الي الرشيد في ثلث الليل فلما ادخلت اليه قال يا أصمعي قد قلت شعرا فاسمعه قلت نعم يا أمير المؤمنين فانشد

لو أن جعفر هاب أسباب الردى
لنجا بمهجته طمر ملجم
ولكان من حذر المنون بحيث لا
يسمو اليه به الغراب القشعم
لكنه لما تقرب وقته
لم يدفع الحدثان عنه منجم

قال الاصمعي ورجعت الى منزلي فلم أصر اليه حتى تحدث الناس بقتل جعفر وأصيب على باب قصر علي ابن عيسى بن ماهان بخراسان في صبيحة الليلة التي قتل فيها جعفر وأوقع بالبرامكة مكتوب بقلم جليل

ان المساكين بنو برمك
صبت عليهم غير الدهر
ان لنا في أمرهم عبرة
فليعتبر ساكن ذا القصر

(قال المسعودي) وكان مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم النضرة الحسنة من استخلاف هرون الرشيد الى ان قتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما وقد رثتهم الشعراء فمن ذلك قول علي بن أبي معاذ

يا أيها المغتر بالدهر * والدهر ذو صرف وذو غدر
لا تأمن الدهر وصولاته * وكن من الدهر على حذر

والعشرين من شوال فخرج أهلها اليه من الغد فقبض عليهم وصادرهم على ألف ألف درهم وو كل بهم حتى أدوها فى خمسة أيام بعد الضرب الوجيع بحضرة عيالاتهم وأهليهم فاخرجوا أمتعتهم فباعوا كل ما يساوى دينارا بدرهم لان أهل البلد كلهم كانوا يبيعون ليس فيهم من يشترى لانهم مصادرون فاشترى ذلك أصحاب نجا بما أرادوا وافتقر أهل البلد وسار نجا الى ميافارقين وترك حران شاغرة بغير وال فتسلط العيارون على أهلها وكان من أمر نجا ما نذكره سنة ثلاث وخمسين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عاشر المحرم أمر معز الدولة الناس ان يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الاسواق والبيع والشراء وان يظهروا النياحة ويلبسوا قبابا عملوها بالمسوح وان يخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن فى البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن على رضى الله عنهما ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولان السلطان معهم وفيها فى ربيع الاول اجتمع من رجالة الارمن جماعة كثيرة وقصدوا الرها فأغاروا عليها فغنموا وأسروا وعادوا موفورين وفيها عزل ابن أبى الشوارب عن قضاء بغداد وتقلد مكانه أبو بشر عمرو بن أكثم وعفا عما كان يحمله ابن ابى الشوارب من الضمان عن القضاء وأمر بابطال أحكامه وسجلاته وفيها فى شعبان ثار الروم بملكهم فقتلوه وملكوا غيره وصار ابن شمشقيق دمستقا وهو الذى يقوله العامة ابن الشمشكى وفيها فى ثامن عشر ذى الحجة أمر معز الدولة باظهار الزينة فى البلد وأشعلت النيران بمجلس الشرطة وأظهر الفرح وفتحت الاسواق بالليل كما يفعل ليالى الاعياد فعل ذلك فرحا بعيد الغدير يعنى غدير خم وضربت الدبادب والبوقات وكان يوما مشهودا وفيها فى ذى الحجة الواقع فى كانون الثانى خرج الناس فى العراق للاستسقاء لعدم المطر

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عصيان نجا وقتله وملك سيف الدولة بعض ارمينية﴾

قد ذكرنا سنة اثنتين وخمسين ما فعله نجا غلام سيف الدولة بن حمدان بأهل حران وما أخذه من أموالهم فلما اجتمعت عنده تلك الاموال قوى بها وبطر ولم يشكر ولى نعمته بل كفره وسار الى ميافارقين وقصد بلاد ارمينية وكان قد استولى على كثير منها رجل من العرب يعرف بأبى الورد فقاتله نجا فقتل أبو الورد وأخذ نجا قلاعه وبلاده خلاط وملازكرد وموش وغيرها وحصل له من أموال أبى الورد شئ كثير فاظهر العصيان على سيف الدولة فاتفق ان معز الدولة بن بويه سار من بغداد الى الموصل ونصيبين واستولى عليها وطرد عنها ناصر الدولة على ما نذكره آنفا فكاتبه نجا وراسله وهو بنصيبين بعده المعاضدة والمساعدة على موالية بنى حمدان فلما عاد معز الدولة الى بغداد واصطلح هو وناصر الدولة سار سيف الدولة الى نجا ليقاتله على عصيانه عليه وخروجه عن طاعته فلما وصل الى ميافارقين هرب نجا من بين يديه فملك سيف الدولة بلاده وقلاعه التى أخذها من أبى الورد واستأمن اليه جماعة من أصحاب نجا فقتلهم واستأمن اليه أخو نجا فاحسن اليه وأكرمه وأرسل الى نجا يرغبه ويرهبه الى ان حضر عنده فاحسن اليه وأعاده الى مرتبته ثم ان غلمان سيف الدولة وثبوا على نجا فى دار سيف الدولة بميافارقين فى ربيع الاول سنة أربع وخمسين فقتلوه بين يديه فغشى على سيف الدولة وأخرج نجا فالقى فى مجرى الماء والاقذار وبقى الى الغد ثم اخرج ودفن

وخذ من الدنيا صفاء عيشها
واجرمع الدهر كما يجرى
كان وزير القائم المرتضى
وذا الحجى والفضل والذكر
وكانت الدنيا بأقطارها
اليه فى البر وفى البحر
يشيد الملك بآرائه
وكان فيه نافذ الامر
فبينما جعفر فى ملكه
عشية الجمعة بالقصر
يطير فى الدنيا بأجناحه
باهل طول الجد والعمر
اذ عثر الدهر به عثرة
يا ويلنا من عثرة الدهر
وزلت النعل به زلة
كانت له قاصمة الظهر
فعود را البائس فى ليلة الـ
سبت قتيلا مطلع الفجر
وأصبح الفضل بن يحيى وقد
أحيط بالشيخ وما يدرى
وجى بالشيخ وأولاده
يحيى معا فى الغل والاسر
والبرمكيين وأتباعهم
من كان فى الآفاق والمصر
كانما كانوا على موعد
كموعد الناس الى الحشر
وأصبح الناس احدوثة
سبحان ذى السلطان والامر
وقال
الى أن أرحنا واستراحت ركابنا
وأمسك من يجدى ومن كان يجتدى
فقل للمطايا قد أمنت من السرى

﴿ذكر حصر الروم المصيصة ووصول الغزاة من خراسان﴾

في هذه السنة حصر الروم مع الدمستق المصيصة وقاتلوا أهلها ونقبوا سورها واشتد قتال أهلها على النقب حتى دفعوهم عنه بعد قتال عظيم واحرق الروم رستاقها ورستاق اذنة وطرسوس لمساعدتها أهلها فقتل من المسلمين خمسة عشر ألف رجل وأقام الروم في بلاد الاسلام خمسة عشر يوما لم يقصدهم من يقاتلهم فعادوا والغلاء الاسعار وقلة الاقوات ثم ان انسانا وصل الى الشام من خراسان يريد الغزاة ومعه نحو خمسة آلاف رجل وكان طريقهم على ارمينية وميافارقين فلما وصل الى سيف الدولة في صفر أخذهم سيف الدولة وسار بهم نحو بلاد الروم لدفعهم عن المسلمين فوجدوا الروم قد عادوا فتفرق الغزاة الخراسانية في الثغور لشدة الغلاء وعاد أكثرهم الى بغداد ومنها الى خراسان ولما أراد الدمستق العود الى بلاد الروم أرسل الى أهل المصيصة وأذنة وطرسوس اني منصرف عنكم لا لعجز ولكن لضيق العلوفة وشدة الغلاء وأنا عائد اليكم فمن انتقل منكم فقد نجا ومن وجدته بعد عودي قتلته

﴿ذكر ملك معز الدولة الموصل وعوده عنها﴾

في هذه السنة في رجب سار معز الدولة من بغداد الى الموصل وملكها وسبب ذلك ان ناصر الدولة كان قد استقر الصلح بينه وبين معز الدولة على ألف ألف درهم يحملها ناصر الدولة كل سنة فلما حصلت الاجابة من معز الدولة بذل زيادة ليكون اليمين أيضا لولده أبي تغلب فضل الله الغضنفر معه وان يحلف معز الدولة لهما فلم يجب الى ذلك وتجهز معز الدولة وسار الى الموصل في جمادى الآخرة فلما قاربها سار ناصر الدولة الى نصيبين ووصل معز الدولة الى الموصل وملكها في رجب وسار يطلب ناصر الدولة حادي عشر شعبان واستخلف على الموصل أبا العلاء صاعد بن ثابت ليحمل الغلات ويجبي الخراج وخلف بكتوزون وسبكتكين العجمي في جيش ليحفظ البلد فلما قارب معز الدولة نصيبين فارقها ناصر الدولة وملك معز الدولة نصيبين ولم يعلم أي جهة قصد ناصر الدولة فخاف ان يخالفه الى الموصل فعاد عن نصيبين نحو الموصل وترك بها من يحفظها وكان أبو تغلب ابن ناصر الدولة قد قصد الموصل وحارب من بها من أصحاب معز الدولة وكانت الدائرة عليه فانصرف بعد ان احرق السفن التي لمعز الدولة وأصحابه ولما انتهى الخبر الى معز الدولة بظفر أصحابه سكنت نفسه وأقام ببرقعيد يتوقع أخبار ناصر الدولة فبلغه انه نزل بجزيرة ابن عمر فرحل عن برقعيد اليها فوصلها سادس شهر رمضان فلم يجد بها ناصر الدولة فملكها وسأل عن ناصر الدولة فقيل انه بالحسنية ولم يكن كذلك وانما كان قد اجتمع هو وأولاده وعساكره وسار نحو الموصل فأوقع بمن فيها من أصحاب معز الدولة وقتل كثيرا منهم وأسر كثيرا وفي الاسرى أبو العلاء وسبكتكين وبكتوزون وملك جميع ما خلفه معز الدولة من مال وسلاح وغير ذلك وحمل جميعه مع الاسرى الى قلعة كواشي فلما سمع معز الدولة بما فعله ناصر الدولة سار يقصده فرحل ناصر الدولة الى سنجار فلما وصل معز الدولة بلغه مسير ناصر الدولة الى سنجار فعاد الى نصيبين فسار أبو تغلب بن ناصر الدولة الى الموصل فنزل بظاهرها عند الدير الاعلى ولم يتعرض الى أحد ممن بها من أصحاب معز الدولة فلما سمع معز الدولة بنزول أبي تغلب بالموصل سار اليها ففارقها أبو تغلب وقصد الزاب فأقام عنده وراسل معز الدولة في الصلح فأجابه لانه علم انه متى فارق الموصل عادوا وملكوها ومتى أقام بها لا يزال مترددا وهم يغيرون على النواحي فأجابه الى ما التمسه وعقد عليه ضمان الموصل

بها يعرف الهادي طويل المسالك

وقال فيهم صالح الاعرابي

لقد خان هذا الدهر أبناء برمك
وأي ملوك لم تخنها دهورها
ألم يك يحيى والي الارض كلها
فأضحى كمن وارته منها قبورها

وقال فيهم أبو حزرة الاعرابي وقيل أبو نواس

ما رعى الدهر آل برمك لما
ان رمى ملكهم بأمر بديع
ان دهرا لم يرع حقا ليحيى
غير راع حقا لآل الربيع

وقال

يا بني برمك واها لكم
ولأيامكم المقتبلة

وقال أشجع فيهم

ولى عن الدنيا بنو برمك
فلو تولى الناس ما زادا
كأنما أيامهم كلها
كانت لاهل الارض أعيادا

وقال منصور النمري

ابدت بني برمك لدينا
تبكي عليهم بكل واد
كانت بهم برهة عروسا
فأضحت الارض في حداد

وقال دعبل

ألم تر صرف الدهر في آل برمك
وفي ابن نهيك والقرون التي تخلو

وقال أشجع فيهم أيضا

قد سار دهر بني برمك * ولم يدع فيهم لنا لقيا   كانوا أولي الخير وهم أهله * فارتفع الخير عن الدنيا

وديار

ودياربيعة والرحبة وما كان فى يد أبيه بمال قرره وان يطلق من عندهم من الاسرى فاستقرت القواعد على ذلك ورحل معز الدولة الى بغداد وكان معه فى سفرته هذه ثابت بن سنان بن ثابت ابن قرة

﴿ذكر حال الداعى العلوى﴾

كان قد هرب أبو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الداعى من بغداد وهو حسنى من أولاد الحسن بن على رضى الله عنهما وسار نحو بلاد الديلم وترك أهله وعياله ببغداد فلما وصل الى بلاد الديلم اجتمع عليه عشرة آلاف رجل فهرب ابن الناصر العلوى من بين يديه وتلقب ابن الداعى بالمهدى لدين الله وعظم شأنه واوقع بقائد كبير من قوّاد وشمكير فهزمه

﴿ذكر حصر الروم طرسوس والمصيصة﴾

وفى هذه السنة أيضا نزل ملك الروم على طرسوس وحصرها وجرى بينهم وبين أهلها حروب كثيرة سقط فى بعضها الدمستق بن الشمشقيق الى الارض وكاد يؤسر فقاتل عليه الروم وخلصوه وأسر أهل طرسوس بطريقا كبيرا من بطارقة الروم ورحل الروم عنهم وتركوا عسكرا على المصيصة مع الدمستق فحصرها ثلاثة أشهر لم يمنعهم منها أحد فاشتد الغلاء على الروم وكان شديدا قبل نزولهم فلهذا طمعوا فى البلاد لعدم الاقوات عندهم فلما نزل الروم زاد شدة وكثر الوباء أيضا فمات من الروم كثير فاضطروا الى الرحيل

﴿ذكر فتح رمطة والحرب بين المسلمين والروم بصقلية﴾

قد ذكرنا سنة احدى وخمسين فتح طبرمين وحصر رمطة والروم فيها فلما رأى الروم ذلك خافوا وأرسلوا الى ملك القسطنطينية يعلمونه الحال ويطلبون منه ان ينجدهم بالعساكر فجهز اليهم عسكرا عظيما يزيدون على أربعين ألف مقاتل وسيرهم فى البحر فوصلت الاخبار الى الامير احمد أمير صقلية فارسل الى المعز بافريقية يعرفه ذلك ويستمده ويسأل ارسال العساكر اليه سريعا وشرع هو فى اصلاح الاسطول والزيادة فيه وجمع الرجال المقاتلة فى البر والبحر وأما المعز فانه جمع الرجال وحشد وفرق فيهم الاموال الجليلة وسيرهم مع الحسن بن على والد احمد فوصلوا الى صقلية فى رمضان وسار بعضهم الى الذين يحاصرون رمطة فكانوا معهم على حصارها فاما الروم فانهم وصلوا أيضا الى صقلية ونزلوا عند مدينة مسينى فى شوال وزحفوا منها بجموعهم الى رمطة فلما سمع الحسن بن عمار مقدم الجيش الذين يحاصرون رمطة ذلك جعل عليها طائفة من عسكره يمنعون من يخرج منها وبرز بالعساكر للقاء الروم وقد عزموا على الموت ووصل الروم وأحاطوا بالمسلمين ونزل أهل رمطة الى من يليهم ليأتوا المسلمين من ظهورهم فقاتلهم الذين جعلوا هناك لمنعهم وصدوهم عما أرادوا وتقدم الروم الى القتال وهم مدلون بكثرتهم وبما معهم من العدد وغيرها والتحم القتال وعظم الامر على المسلمين والحقهم العدو بخيامهم وايقن الروم بالظفر فلما رأى المسلمون عظم ما نزل بهم اختاروا الموت ورأوا انه أسلم لهم وأخذوا بقول الشاعر

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل ان أتقدما

فحمل بهم الحسن بن عمار أميرهم وحمى الوطيس حينئذ وحرضهم على قتال الكفار وكذلك فعل بطارقة الروم حملوا وحرضوا عساكرهم وحمل منويل مقدم الروم فقتل فى المسلمين فطعنه المسلمون فلم يؤثر فيه لكثرة ما عليه من اللباس فرمى بعضهم فرسه فقتله واشتد القتال عليه فقتل هو وجماعة من بطارقته فلما قتل انهزم الروم أقبح هزيمة وأكثر المسلمون فيهم القتل ووصل

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
فلا نحن فى الاموات فيها ولا الاحيا
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة
عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وكان الرشيد كثيرا ما ينشد بعد نكبة البرامكة

ان سها منا اذا وقعت
لنفذ ما تعلو بها رتبه
واذا بدت للنمل اجنحة
حتى يطير فقد دنا عطبه

وقال محمد بن عبد الرحمن الهاشمى دخلت على والدتى يوم نحر فوجدتها وعندها برزة متكلمة فقالت لى اتعرف هذه قلت لا قالت هذه عبادة أم جعفر بن يحيى فأقبلت عليها أحدثها واعظمها ثم قلت لها يا أماه ما اعجب ما رأيت فقالت يا بنى لقد أتى على عيد مثل هذا وأنا على رأسى أربعمائة وصيفة وانى اعد ابنى عاقا ولقد أتى على هذا العيد وما أتمنى سوى جلدتين أفترش أحدهما والتحف الآخر قال فدفعت اليها خمسمائة درهم فكادت تموت فرحا بها ولم تزل تختلف الينا حتى فرق الموت بيننا (وحكى) عن بعض عمومة الرشيد أنه صار الى يحيى عند تغير الرشيد له قبل الايقاع بهم فقال له ان أمير المؤمنين قد أحب جمع الاموال وقد كثر ولده عليك وعلى أصحابك فلو

المنهزمون الى جرف خندق عظيم كالحفرة فسقطوا فيها من خوف السيف فقتل بعضهم بعضا حتى امتلأت وكانت الحرب من بكرة الى العصر وبات المسلمون يقاتلونهم في كل ناحية وغنموا من السلاح والخيل وصنوف الاموال مالا يحد وكان في جملة الغنيمة سيف هندي عليه مكتوب هذا سيف هندي وزنه مائة وسبعون مثقالا طالما ضرب به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى المعز مع الاسرى والرؤس وسار من سلم من الروم الى ريو وأما أهل رمطة فانهم ضعفت نفوسهم وكانت الاقوات قد قلت عندهم فاخرجوا من فيها من الضعفاء وبقي المقاتلة فزحف اليهم المسلمون وقاتلوهم الى الليل ولزموا القتال في الليل أيضا وتقدموا بالسلالم فملكوها عنوة وقتلوا من فيها وسبوا الحرم والصغار وغنموا ما فيها وكان شيأ كثيرا عظيما ورتب فيها من المسلمين من يعمرها ويقيم فيها ثم ان الروم تجمع من سلم منهم وأخذوا معهم من في صقلية وجزيرة ريو منهم وركبوا مراكبهم يحفظون نفوسهم فركب الامير أحمد في عساكره وأصحابه في المراكب أيضا وزحف اليهم في الماء وقاتلهم واشتد القتال بينهم وألقى جماعة من المسلمين نفوسهم في الماء وخرقوا كثيرا من المراكب التي للروم فغرقت وكثر القتل في الروم فانهزموا لا يلوي أحد على أحد وسارت سرايا المسلمين في مدائن الروم فغنموا منها فبذل أهلها لهم من الاموال وهادنوهم وكان ذلك سنة أربع وخمسين وثلثمائة وهذه الوقعة الاخيرة هي المعروفة بوقعة المجاز

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عاشر المحرم أغلقت الاسواق ببغداد يوم عاشوراء وفعل الناس ما تقدم ذكره فثارت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنية جرح فيها كثير ونهبت الاموال وفيها في ذي الحجة ظهر بالكوفة انسان ادّعى أنه علوي وكان مبرقعا فوقع بينه وبين أبي الحسن محمد بن عمر العلوي وقائع فلما عاد معز الدولة من الموصل هرب المبرقع

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلثمائة)

(ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس)

في هذه السنة فتح الروم المصيصة وطرسوس وكان سبب ذلك ان نقفور ملك الروم بنى بقيسارية مدينة ليقرب من بلاد الاسلام وأقام بها ونقل أهله اليها فأرسل اليه أهل طرسوس والمصيصة يبذلون له اتاوة ويطلبون منه ان ينفذ اليهم بعض أصحابه يقيم عندهم فعزم على اجابتهم الى ذلك فاتاه الخبر بانهم قد ضعفوا وعجزوا وانهم لا ناصر لهم وان الغلاء قد اشتد عليهم وقد عجزوا عن القوت وأكلوا الكلاب والميتة وقد كثر فيهم الوباء فيموت منهم في اليوم نحو ثلثمائة نفس فعاد نقفور عن اجابتهم وأحضر الرسول وأحرق الكتاب على رأسه واحترقت لحيته وقال لهم أنتم كالحية في الشتاء تخدر وتذبل حتى تكاد تموت فان أخذها انسان وأحسن اليها وادفأها انتعشت ونهشته وأنتم انما أطعتم لضعفكم وان تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تاذيت بكم وأعاد الرسول وجمع جيوش الروم وسار الى المصيصة بنفسه فحاصرها وفتحها عنوة بالسيف يوم السبت ثالث عشر رجب ووضع السيف فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رفع السيف ونقل كل من بها الى بلاد الروم وكانوا نحو مائتي ألف انسان ثم سار الى طرسوس فحصرها فاذعن أهلها بالطاعة وطلبوا الامان فأجابهم اليه وفتحوا البلد فلقيهم بالجميل وأمرهم ان يحملوا من سلاحهم وأموالهم ما يطيقون ويتركوا الباقي ففعلوا ذلك وساروا برا وبحرا وسير معهم من يحميهم حتى بلغوا انطاكية وجعل الملك المسجد الجامع اصطبلا لدوابه وأحرق المنبر وعمر طرسوس وحصنها

السلامة وان يرجع لك أمير المؤمنين فقال له يحيى والله لان تزول النعمة عني أحب الي من ان ازيلها عن قوم كنت سببها اليهم (وذكر) الخليل بن الهيثم وكان قد وكله الرشيد بيحيى والفضل في الحبس قال أتاني مسرور الخادم ومعه جماعة من الخدم ومع خادم منهم منديل ملفوف فسبق الى نفسي ان الرشيد قد تعطف عليهم فوجه اليهم بالطاف فقال لي مسرور أخرج الفضل بن يحيى فلما مثل بين يديه قال ان أمير المؤمنين يقول لك اني قد أمرتك ان تصدقني عن اموالكم فزعمت انك قد فعلت وقد صح عندي انك أبقيت لك أموالا وقد أمرت مسرورا ان لم تطلعه عليها ان يضربك مائتي سوط فقال له الفضل هلكت والله يا أبا هاشم فقال له مسرور يا أبا العباس ارى لك ان لا تؤثر مالك على مهجتك فاني لا آمن ان انفذ ما أمرت به فيك ان آتي على نفسك فرفع الفضل رأسه الى السماء وقال له يا ابا هاشم ما كذبت بأمير المؤمنين ولو كانت الدنيا لي وخيرت بين الخروج منها وبين ان اقرع مقرعة لاخترت الخروج منها وأمير المؤمنين يعلم وأنت تعلم انا كنا نصون اعراضنا

وجلب الميرة اليها حتى رخصت الاسعار وتراجع اليها كثير من أهلها ودخلوا فى طاعة الملك وتنصر بعضهم واراد المقام بها ليقرب من بلاد الاسلام ثم عاد الى القسطنطينية وأراد الدمستق وهو ابن الشمشقيق ان يقصد ميافارقين وبها سيف الدولة فأمره الملك باتباعه الى القسطنطينية فمضى اليه

﴿ذكر مخالفة أهل انطاكية على سيف الدولة﴾

وفى هذه السنة عصى أهل انطاكية على سيف الدولة بن حمدان وكان سبب ذلك ان انسانا من أهل طرسوس كان مقدما فيها يسمى رشيقا النسيمى كان فى جملة من سلمها الى الروم وخرج الى انطاكية فلما وصلها أخذ معه انسان يعرف بابن الاهوازى كان يضمن الارحاء بانطاكية فسلم اليه ما اجتمع عنده من حاصل الارحاء وحسن له العصيان وأعلمه ان سيف الدولة بميافارقين قد عجز عن العود الى الشام فعصى واستولى على انطاكية وسار الى حلب وجرى بينه وبين النائب عن سيف الدولة وهو قرعويه حروب كثيرة فصعد قرعويه الى قلعة حلب فتحصن بها وأنفذ سيف الدولة عسكرا مع خادمه بشارة نجدة لقرعويه فلما علم بهم رشيق انهزم عن حلب فسقط عن فرسه فنزل اليه انسان عربى فقتله وأخذ رأسه وحمله الى قرعويه وبشارة ووصل ابن الاهوازى الى انطاكية فاظهر انسانا من الديلم اسمه دزبر وسماه الامير وتقوى بانسان علوى ليقيم له الدعوة وتسمى هو بالاستاذ فظلم الناس وجمع الاموال وقصد قرعويه الى انطاكية وجرت بينهما وقعة عظيمة فكانت على ابن الاهوازى أولا ثم عادت على قرعويه فانهزم وعاد الى حلب ثم ان سيف الدولة عاد عن ميافارقين عند فراغه من الغزاة الى حلب فاقام بها ليلة وخرج من الغد فواقع دزبر وابن الاهوازى فقاتل من بها فانهزموا وأسر دزبر وابن الاهوازى فقتل دزبر وسجن ابن الاهوازى مدة ثم قتله

﴿ذكر عصيان أهل سجستان﴾

وفى هذه السنة عصى أهل سجستان على أميرهم خلف بن أحمد وكان هذا خلف هو صاحب سجستان حينئذ وكان عالما محبا لاهل العلم فاتفق انه حج سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة واستخلف على أعماله انسانا من أصحابه يسمى طاهر بن الحسين فطمع فى الملك وعصى على خلف لما عاد من الحج فسار خلف الى بخارا واستنصر بالامير منصور بن نوح وسأله معونته ورده الى ملكه فانجده وجهز معه العساكر فسار بهم نحو سجستان فلما أحس بهم طاهر فارق مدينة خلف وتوجه نحو اسفرار وعاد خلف الى قراره وملكه وفرق العساكر فلما علم طاهر بذلك عاد اليه وغلب على سجستان وفارقها خلف وعاد الى حضرة الامير منصور أيضا ببخارا فاكرمه وأحسن اليه وأنجده بالعساكر الكثيرة ورده الى سجستان فوافق وصوله موت طاهر وانتصاب ابنه الحسين مكانه فحاصره خلف وضايقه وكثر بينهم القتلى واستظهر خلف عليه فلما رأى ذلك كتب الى بخارا يعتذر ويتنصل ويظهر الطاعة ويسأل الاقالة فاجابه الامير منصور الى ما طلبه وكتب فى تمكينه من المسير اليه فسار من سجستان الى بخارا فاحسن الامير منصور اليه واستقر خلف بن أحمد بسجستان ودامت أيامه فيها وكثرت أمواله ورجاله فقطع ما كان يحمله الى بخارا من الخلع والخدم والاموال التى استقرت القاعدة عليها فجهزت العساكر اليه وجعل مقدمها الحسين بن طاهر بن الحسين المذكور وساروا الى سجستان وحصروا خلف بن أحمد بحصن ارك وهو من أمنع الحصون وأعلاها محلا وأعمقها خندقا فدام الحصار عليه سبع سنين وكان خلف يقاتلهم بانواع السلاح ويعمل بهم أنواع الحيل حتى انه كان يأمر بصيد الحيات ويجعلها فى جرب

بأموالنا وكيف صرنا اليوم نصون أموال الناس منكم بأنفسنا فان كنت أمرت بشئ فامض له فأمر بالمنديل فنفض فسقط منه اسواط بأثمارها فضرب مائتى سوط وتولى ضربه أولئك الخدم فضربوه اشد الضرب الذى يكون بغير معرفة فكادوا يأتون على نفسه فخفنا عليه الموت فقال الخليل بن الهيثم لوكيله المعروف بابن يحيى ان ههنا رجلا قد كان فى الحبس وهو بصير بالعلاج لمثل هذا أوشبهه فسر اليه واسأله ان يعالجه قال فانسب اليه ذلك قال لعلك تريد أن تعالج الفضل بن يحيى فقد بلغنى ما صنع به وقلت أياه أريد قال فامض بنا اليه حتى أعالجه فلما رآه قال أحسبه ضربه خمسين سوطا قال انه ضرب مائتى سوط قال ماأظن الا أن هذا أثر خمسين سوطا ولكن يحتاج ان ينام على بارية وأدوس صدره ساعة فاخذ بيده فجذبه حتى أقامه وقد خرج الفضل ثم جاء به فالقاه على البارية وجعل يدوس صدره ثم جذبه حتى أقامه على البارية فتعلق بها من لحم ظهره شئ كثير ثم جعل يختلف اليه ويعالجه الى ان نظر يوما اليه فخر ساجدا فقلت مالك فقال ياأبا يحيى قد برئ أبو العباس ادن منى حتى ترى قال فدنوت منه فأرانى فى ظهره لحما نابتا ثم قال أتحفظ قولى

و يقـذ فونها فى المجنيق اليهـم فكانوا ينتقـلون لذلك من مكان الى مكان فلما طال ذلك الحصار وفنيت الاموال والآلات كتب نوح بن منصور الى أبى الحسن بن سيمجور الذى كان أمير جيوش خراسان وكان حينئذ قد عزل عنها على ما سنذكره يأمره بالمسير الى خلف ومحاصرته وكان بقهستان فسار منها الى سجستان وحصر خلفا وكان بينهما مودة فارسل اليه أبو الحسن يشير عليه بالنزول عن حصن ارك وتسليمه الى الحسين بن طاهر ليصير لمن قد حصره من العساكر طريق وحجة يعودون بها الى بخارا فاذا افترقت العساكر عاود هو محاربة الحسين وبكر بن الحسين مفردا من العساكر فقبل خلف مشورته وفارق حصن ارك الى حصن الطارق ودخل أبو الحسن السيمجورى الى ارك وأقام به الخطبة للامير نوح وانصرف عنه وقرر الحسين بن طاهر فيه وسنورد ما يتجدد فيما بعد وكان هـذا أول وهن دخل على دولة السامانية فطمع أصحاب الاطراف فيهـم لسوء طاعة أصحابهم لهم وقد كان ينبغى أن نورد كل حادثة من هـذه الحوادث فى سنتها لكننا جمعناه لقلته فانه كان ينسى أوله لبعد ما بينه وبين آخره

﴿ ذكر طاعة أهل عمان معز الدولة وما كان منهم ﴾

وفيها سير معز الدولة عسكرا الى عمان فلقوا أميرها وهو نافع مولى يوسف بن وجيه وكان يوسف قد هلك وملك نافع البلاد بعده وكان أسود فدخل نافع فى طاعة معز الدولة وخطب له وضرب له اسمه على الدينار والدرهم لما عاد العسكر عنه وثب به أهل عمان فاخرجوه عنهم وأدخلوا القرامطة الهجريين اليهم وتسلموا البلاد فكانوا يقيمون فيه نهارا ويخرجون ليلا الى معسكرهم وكتبوا الى أصحابهم بهجر يعرفونهم الخبر ليأمروهم بما يفعلون

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة ليلة السبت رابع عشر صفر انخسف القمر جميعه وفيها نزلت طائفة من الترك على بلاد الخزر فانتصر الخزر باهل خوارزم فلم ينجدوهم وقالوا أنتم كفار فان أسلمتم نصرناكم فاسلموا الاملكهم فنصرهم أهل خوارزم وأزالوا الترك عنهم ثم أسلم ملكهم بعد ذلك وفيها رابع جمادى الآخرة تقلد الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى والد الرضى والمرتضى نقابة العلويين وامارة الحاج وكتب له منشور من ديوان الخليفة وفيها أنفذ القرامطة سرية الى عمان والشراة فى جبالها كثير فاجتمعوا فاوقعوا بالقرامطة فقتلوا كثيرا منهم وعاد الباقون وفيها ثار انسان من القرامطة الذين استأمنوا الى سيف الدولة واسمه مروان وكان يتقلد السواحل لسيف الدولة فلما تمكن ثار بحمص فملكها وملك غيرها فخرج اليه غلام لقرعويه حاجب سيف الدولة اسمه بدر وواقع القرمطى عدة وقعات ففى بعضها رمى بدر مروان بنشابة مسمومة واتفق ان أصحاب مروان أسروا بدرا فقتله مروان ثم عاش بعد قتله أياما ومات وفيها قتل المتنبى الشاعر واسمه أبو الطيب أحمد بن الحسين الكندى قريبا من النعمانية وقتل معه ابنه وكان قد عاد من عند عضد الدولة بفارس فقتله الاعراب هناك وأخذوا ما معه وفيها توفى محمد بن حبان بن أحمد ابن حبان أبو حاتم البستى صاحب التصانيف المشهورة وأبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم المفسر النحوى المقرى وكان عالما بنحو الكوفيين وله تفسير كبير حسن ومحمد بن عبد الله بن ابراهيم بن عبدويه أبو بكر الشافعى فى ذى الحجة وكان عالما بالحديث عالى الاسناد (حبان بكسر الحاء والباء الموحدة)

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلثمائة ﴾

قالت ذلك لكى تقوى نفسه فيعيننى على علاجه فلما خرج الرجل قال لى الفضل يا أبا يحيى قد احتجت عشرة آلاف درهـم فسر الى المعروف بالسنانى وأعلمه حاجتى اليها قال فاتيتـه بالرسالة فامر بحملها اليه فقال يا أبا يحيى أحب ان تمضى بها الى هذا الرجل وتعتذر اليه وتسأله قبول ما وجهت به قال فصيت اليه فوجدته قاعدا على حصير وطنبور له معلق ودساتيج فيها نبيذ وأداة رثة فقال ما حاجتك يا أبا يحيى فاقبلت أعتذر عن الفضل وأذكر ضيق الامر عليه وأعلمه بما وجه به اليه فاستنهض من ذلك حتى أفزعنى وقال عشرة آلاف درهـم فجهدت كل الجهد أن يقبلها فابى فصرت الى الفضل فاعلمته فقال لى استقلها والله ثم قال لى الفضل أحب أن تعود الى السنانى ثانية وتعلمه انى احتجت الى عشرة آلاف درهـم أخرى فاذا دفعها اليك فسر بالكل الى الرجل قال فقبضت من السنانى عشرة آلاف أخرى ورجعت الى الرجل ومعى المال وعرفته الخبر فأبى ان يقبل شيأ منه فقال أنا أعالج فتى من الابناء بعد الذهب عنى فوالله لو كانت عشرون ألف دينار ما قبلتها فرجعت

(ذكر

﴿ذكر ما تجدد بعمان واستيلاء معز الدولة عليه﴾

قد ذكرنا في السنة التي قبل هذه خبر عمان ودخول القرامطة اليها وهرب نافع عنها فلما هرب نافع واستولى القرامطة على البلد كان معهم كاتب يعرف بعلى بن أحمد ينظر في أمر البلد وكان بعمان قاض له عشيرة وجاه فاتفق هو وأهل البلد ان ينصبوا في الامرة رجلا يعرف بابن طغان وكان من صغار القواد بعمان وأدناهم مرتبة فلما استقر في الامرة خاف ممن فوقه من القواد فقبض على ثمانين قائدا فقتل بعضهم وغرق بعضهم وقدم البلد ابنا أخت لرجل ممن قد غرقهم فأقاما مدة ثم انهما دخلا على طغان يوما من أيام السلام فسلما عليه فلما تقوض المجلس قتلاه فاجتمع رأى الناس على تأمير عبد الوهاب بن أحمد بن مروان وهو من أقارب القاضي فولى الامارة بعد امتناع منه واستكتب على بن أحمد الذى كان مع الهجريين فأمر عبد الوهاب كاتبه عليا ان يعطى الجند أرزاقهم صلة ففعل ذلك فلما انتهى الى الزنج وكانوا ستة آلاف رجل ولهم بأس وشدة قال لهم على ان الامير عبد الوهاب أمرنى أن أعطى البيض من الجند كذا وكذا وأمر لكم بنصف ذلك فاضطربوا وامتنعوا فقال لهم هل لكم ان تبايعونى فأعطيكم مثل سائر الاجناد فاجابوه الى ذلك وبايعوه وأعطاهم مثل البيض من الجند فامتنع البيض من ذلك ووقع بينهم حرب فظهر الزنج عليهم فسكنوا واتفقوا مع الزنج وأخرجوا عبد الوهاب من البلد فاستقر في الامارة على بن أحمد ثم ان معز الدولة سار الى واسط لحرب عمران بن شاهين ولارسال جيش الى عمان فلما وصل الى واسط قدم اليه نافع الاسود الذى كان صاحب عمان فأحسن اليه وأقام للفراغ من أمر عمران بن شاهين على ما نذكره ان شاء الله تعالى وانحدر من واسط الى الابلة في شهر رمضان فأقام بها يجهز الجيش والمراكب ليسيروا الى عمان ففرغ منه وساروا في منتصف شوال واستعمل عليهم أبا الفرج محمد بن العباس بن فسانجس وكانوا في مائة قطعة فلما كانوا بسيراف انضم اليهم الجيش الذى جهزه عضد الدولة من فارس نجدة لعمه معز الدولة فاجتمعوا وساروا الى عمان ودخلوها تاسع ذى الحجة وخطب لمعز الدولة فيها وقتل من أهلها مقتلة عظيمة وأحرقت مراكبهم وهى تسعة وثمانون مركبا

﴿ذكر هزيمة ابراهيم بن المرزبان﴾

في هذه السنة انهزم ابراهيم بن المرزبان عن اذربيجان الى الرى وسبب ذلك أن ابراهيم لما انهزم من جستان بن شرمزن على ما ذكرناه سنة تسع وأربعين وثلثمائة قصد ارمينية وشرع يستعد ويتجهز للعود الى اذربيجان وكانت ملوك ارمينية من الارمن والاكراد وراسل جستان بن شرمزن وأصلحه فأتاه الخلق الكثير واتفق ان اسمعيل ابن عمه وهسوذان توفى فسار ابراهيم الى أردبيل فملكها وانصرف أبو القاسم بن مسيكي الى وهسوذان وصار معه وسار ابراهيم الى عمه وهسوذان يطالبه بثار اخوته فخافه عمه وهسوذان وسار هو وابن مسيكي الى بلد الديلم واستولى ابراهيم على أعمال عمه وخبط أصحابه وأخذ أمواله التى ظفر بها وجمع وهسوذان الرجال وعاد الى قلعته بالطرم وسير أبا القاسم بن مسيكي في الجيوش الى ابراهيم فلقيهم ابراهيم فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم ابراهيم وتبعه الطالب فلم يدركوه وسار وحده حتى وصل الى الرى الى ركن الدولة فأكرمه ركن الدولة وأحسن اليه وكان زوج أخت ابراهيم فبالغ في اكرامه لذلك وأجزل له الهدايا والصلات

﴿ذكر خبر الغزاة الخراسانية مع ركن الدولة﴾

الى التفضل وأخبرته الخبر فقال لى يا أبا يحيى حدثنى باحسن ما رأيت أو بلغك من أفعالنا قال فجمعت أحدثه فقال لى دع عنك هذا فوالله ان ما فعله هذا الرجل أحسن من كل ما فعلناه في أيامنا كلها * وقتل جعفر بن يحيى وهو ابن خمس وأربعين سنة ومات يحيى بالرقة في سنة تسع وثمانين ومائة على ما قدمنا (قال المسعودى) وللبرامكة أخبار حسان وسير وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من كتبنا في ذكر أخبار ملوك الروم بعد ظهور الاسلام وما كان بينه وبين يعفور فيما تقدم من هذا الكتاب وللبرامكة أخبار حسان وما كان منهم من الافضال بالمعروف واصطناع المكارم وغير ذلك من عجائب أخبارهم وسيرهم وما مدحتهم الشعراء به ومراثيهم وقد أتينا على جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نورد في هذا الكتاب لمعا من الاخبار لم يتقدم لها ايراد في غيره من كتبنا وكذلك ذكر بدء أخبارهم قبل ظهور الاسلام وكونهم على بيت النوبهار وهو بيت النار ببلخ المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وعلة تسمية برمك وخبر برمك الاكبر مع ملوك الترك وخبرهم بعد ظهور الاسلام وما كان منهم في أيام بني أمية كهشام بن عبد الملك وغيره وما كان منهم في أيام المنصور واكتفينا بما ذكرناه

في هذه السنة في رمضان خرج من خراسان جمع عظيم يبلغون عشرين ألفا الى الري بنية الغزاة فبلغ خبرهم الى ركن الدولة وكثرة جمعهم وما فعلوه في اطراف بلاده من الفساد وان رؤساءهم لم يمنعوهم عن ذلك فاشار عليه الاستاذ أبو الفضل بن العميد وهو وزيره بمنعهم من دخول بلاده مجتمعين فقال لا تتحدث الملوك اني خفت جمعا من الغزاة فاشار عليه بتأخيرهم الى ان يجمع عسكره وكانوا متفرقين في أعمالهم فلم يقبل منه فقال له اخاف أن يكون لهم مع صاحب خراسان مواطأة على بلادك ودولتك فلم يلتفت الى قوله فلما وردوا الري اجتمع رؤساؤهم وفيهم القفال الفقيه وحضروا مجلس ابن العميد وطلبوا مالا ينفقونه فوعدهم فاشتطوا في الطلب وقالوا نريد خراج هذه البلاد جميعها فانه لبيت المال وقد فعل الروم بالمسلمين ما بلغكم واستولوا على بلادكم وكذلك الارمن ونحن غزاة وفقراء وأبناء سبيل فنحن أحق بالمال منكم وطلبوا جيشا يخرج معهم واشتطوا في الاقتراح فعلم ابن العميد حينئذ خبث سرائرهم وتيقن ما كان ظنه فيهم فرفق بهم وداراهم فعدلوا عنه الى مشاتمة الديلم ولعنهم وتكفيرهم ثم قاموا عنه وشرعوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسلبون العامة بحجة ذلك ثم انهم أثاروا الفتنة وحاربوا جماعة من الديلم الى ان حجز بينهم الليل ثم باكروا القتال ودخلوا المدينة ونهبوا دار الوزير ابن العميد وجرحوه وسلم من القتل وخرج ركن الدولة اليهم في أصحابه وكان في قلة فهزمه الخراسانية فلو تبعوه لاتوا عليه وملكوا البلد منه لكنهم عادوا عنه لان الليل أدركهم فلما أصبحوا راسلهم ركن الدولة ولطف بهم لعلهم يسيرون من بلده فلم يفعلوا وكانوا ينتظرون مددا يأتيهم من صاحب خراسان فانه كان بينهم مواعدة على تلك البلاد ثم انهم اجتمعوا وقصدوا البلد ليملكوه فخرج ركن الدولة اليهم فقاتلهم وأمر نفرا من أصحابه أن يسيروا الى مكان يراهم ثم يثيروا غبرة شديدة ويرسلوا اليه من يخبره ان الجيوش قد أتته ففعلوا ذلك وكان أصحابه قد خافوا لقلتهم وكثرة عدوهم فلما رأوا الغبرة وأتاهم من أخبرهم أن أصحابهم لحقوهم قويت نفوسهم وقال لهم ركن الدولة احملوا على هؤلاء لعلنا نظفر بهم قبل وصول أصحابنا فيكون الظفر والغنيمة لنا فكبروا وحملوا حملة صادقة فكان لهم الظفر وانهزم الخراسانية وقتل منهم خلق كثير وأسر أكثر من قتل وتفرق الباقون فطلبوا الامان فامنهم ركن الدولة وكان قد دخل البلد جماعة منهم يكبرون كأنهم يقاتلون الكفار ويقتلون كل من رأوه بزي الديلم ويقولون هؤلاء رافضة فبلغهم خبر انهزام أصحابهم وقصدهم الديلم ليقتلوهم فمنعهم ركن الدولة وأمنهم وفتح لهم الطريق ليعودوا ووصل بعدهم نحو ألفي رجل بالعدة والسلاح فقاتلهم ركن الدولة فهزمهم وقتل فيهم ثم أطلق الاسارى وأمر لهم بنفقات وردهم الى بلادهم وكان ابراهيم بن المرزبان عند ركن الدولة فاثر فيهم آثارا حسنة

﴿ذكر عود ابراهيم بن المرزبان الى اذربيجان﴾

في هذه السنة عاد ابراهيم بن المرزبان الى اذربيجان واستولى عليها وكان سبب ذلك انه لما قصد ركن الدولة على ما ذكرناه جهز العساكر معه وسير معه الاستاذ أبا الفضل بن العميد ليرده الى ولايته ويصلح له أصحاب الاطراف فسار معه اليها واستولى عليه وأصلح له جستان بن شرمزن وقاده الى طاعته وغير من طوائف الاكراد ومكنه من البلاد وكان ابن العميد لما وصل الى تلك البلاد ورأى كثرة دخلها وسعة مياهها ورأى ما يحصل لابراهيم منها فوجده قليلا لسوء تدبيره وطمع الناس فيه لاشتغاله بالشرب والنساء فكتب الى ركن الدولة يعرفه الحال ويشير بان

في هذا الكتاب من التلويحات من أخبارهم واللمع من آثارهم

﴿ذكر خلافة محمد الامين﴾

بويع محمد بن هرون في اليوم الذي مات فيه هرون الرشيد وهو يوم السبت لاربع ليال خلون من جمادى الاولى بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة وتقدم ببيعته رجاء الخادم وكان القيم ببيعته الفضل ابن الربيع وكان محمد يكنى بابي موسى وأمه زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر وكان مولده بالرصافة وقتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة عشر يوما ودفنت جثته ببغداد وحمل رأسه الى خراسان وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وكان أصغر من المأمون بستة أشهر وكانت أيامه من خلعه الى مقتله سنة ونصفا وثلاثة عشر يوما حبس فيها يومين

﴿ونذكر جملا من اخباره وسيره ولمعا مما كان في أيامه﴾

قبض الرشيد والمأمون بمرو وبعث صالح بن الرشيد رجاء الخادم مولى محمد الامين الى محمد فاتاه بالخبر في اثني عشر يوما الى مدينة السلام يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة (وذكر) العتبي وغيره ان زبيدة رأت في المنام ليلة علقت بمحمد كأن ثلاث نسوة دخلن عليها وهي بمجلس فقعد اثنتان عن يمينها وواحدة عن يسارها فدنت احداهن فجعلت يدها على بطن أم جعفر ثم قالت ملك عظيم البدل ثقيل الحمل

يعوضه

يعوضه من بعض ولايته بمقدار ما يحصل له من هذه البلاد و يأخذها منه فانه لا يستقيم له حال مع الذين بها وانها تؤخذ منه فامتنع ركن الدولة من قبول ذلك منه وقال لا يتحدث الناس عني اني استجار بي انسان وطمعت فيه وأمر أبا الفضل بالعود عنه وتسليم البلاد اليه ففعل وعاد وحكى لركن الدولة صورة الحال وحذره خروج البلاد من يد ابراهيم وكان الامر كما ذكره حتى أخذ ابراهيم وحبس على ما نذكره

(ذكر خروج الروم الى بلاد الاسلام)

وفي هذه السنة في شوال خرجت الروم فقصدوا مدينة آمد ونزلوا عليها وحصروها وقاتلوا أهلها فقتل منهم ثلثمائة رجل وأسر نحو أربعمائة أسير ولم يمكنهم فتحها فانصرفوا الى دارا وقربوا من نصيبين ولقيهم قافلة واردة من ميافارقين فأخذوها وهرب الناس من نصيبين خوفا منهم حتى بلغت أجرة الدابة مائة درهم وراسل سيف الدولة الاعراب ليهرب معهم وكان في نصيبين فاتفق ان الروم عادوا قبل هربه فأقام بمكانه وساروا من ديار الجزيرة الى الشام فنازلوا انطاكية فأقاموا عليها مدة طويلة يقاتلون أهلها فلم يمكنهم فتحها فخربوا بلدها ونهبوه وعادوا الى طرسوس

(ذكر ما جرى لمعز الدولة مع عمران بن شاهين)

قد ذكرنا انحدار معز الدولة الى واسط لاجل قصد ولاية عمران بن شاهين بالبطائح فلما وصل الى واسط أنفذ الجيش مع أبي الفضل العباس بن الحسن فساروا فنزلوا الجامدة وشرعوا في سد الانهار التي تصب الى البطائح وسار معز الدولة الى الابلة وأرسل الجيش الى عمان على ما ذكرناه وعاد الى واسط لاتمام حرب عمران وملك بلده فأقام بها فمرض وأصعد الى بغداد لليلتين بقيتا من ربيع الاول سنة ست وخمسين وهو عليل وخلف العسكر بها ووعدهم أنه يعود اليهم فلما وصل الى بغداد توفي على ما نذكره فدعت الضرورة الى مصالحة عمران والانصراف عنه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة خرجت بنو سليم على الحجاج السائرين من مصر والشام وكانوا عالما كثيرا ومعهم من الاموال ما لا حد عليه لان كثيرا من الناس من أهل الثغور والشام هربوا من خوفهم من الروم بأموالهم وأهليهم وقصدوا مكة ليسيروا منها الى العراق فأخذوا ومات من الناس في البرية ما لا يحصى ولم يسلم الا القليل وفيها عظم أمر أبي عبد الله الداعي بالديلم ولبس الصوف وأظهر النسك والعبادة وحارب ابن وشمكير فهزمه وعزم على المسير الى طبرستان وكتب الى العراق كتابا يدعوهم فيه الى الجهاد وفيها تم الفداء بين سيف الدولة والروم وسلم سيف الدولة ابن عمه أبا فراس ابن حمدان وأبا الهيثم ابن القاضي أبي الحصين وفيها انخسف القمر جميعه ليلة السبت ثالث عشر شعبان وغاب منخسفا وفيها توفي أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سالم المعروف بابن الجعابي الحافظ البغدادي بها وكان يتشيع وأبو عبد الله محمد بن الحسين بن علي بن الحسين بن الوضاح الوضاحي الشاعر الانباري

(ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلثمائة)

(ذكر موت معز الدولة وولاية ابنه بختيار)

في هذه السنة ثالث عشر ربيع الآخر توفي معز الدولة بعلة الذرب وكان بواسط وقد جهز الجيوش لمحاربة عمران بن شاهين فابتدأ به الاسهال وقوي عليه فسار نحو بغداد وخلف أصحابه ووعدهم انه يعود اليهم لانه رجا العافية فلما وصل الى بغداد اشتد مرضه وصار لا يثبت في معدته

نكد الامر ثم فعلت الثانية كما فعلت الاولى وقالت ملك ناقص الجد مفلول الحد ممذوق الود تجوز أحكامه ونحونه أيامه ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية وقالت قصاف عظيم الايلاف كثير الخلاف قليل الانصاف قالت فاستيقظت وأنا فزعة فلما كان في الليلة التي وضعت فيها محمدا دخلن علي وأنا نائمة كما كن دخلن فقعدن عند رأسي ونظرن في وجهي ثم قالت احداهن شجرة نضرة وريحانة حسنة وروضة زاهرة ثم قالت الثانية عين غدقة قليل لبثها سريع فناؤها عجل ذهابها وقالت الثالثة عدو لنفسه ضعيف في بطشه سريع الى غشه مزال عن عرشه فاستيقظت وأنا فزعة بذلك وأخبرت بذلك بعض قهارمتي فقالت بعض ما يطرق النائم وعبث من عبث التوابع فلما تم فصاله أخذت مرقدي ومحمد أمامي في مهده اذ بهن قد وقفن على رأسي وأقبلن على ولدي محمد فقالت احداهن ملك جبار متلاف مهذار بعيد الآثار سريع العثار ثم قالت الثانية ناطق مخصوم ومحارب مهزوم وراغب محروم وشقي مهموم وقالت الثالثة احفروا قبره ثم شقوا لحده وقدموا أكفانه وأعدوا جهازه فان موته خير من حياته قالت فاستيقظت وأنا مضطربة وجلة وسألت مفسري الاحلام والمنجمين فكل يخبرني بسعادته

شئ فلما أحس بالموت عهد الى ابنه عز الدولة بختيار وأظهر التوبة وتصدق بأكثر ماله وأعتق مماليكه ورد شيأ كثيرا على أصحابه وتوفي ودفن بباب التبن في مقابر قريش فكانت امارته احدى وعشرين سنة واحد عشر شهرا ويومين وكان حليما كريما عاقلا ولما مات معز الدولة وجلس ابنه عز الدولة في الامارة مطر الناس ثلاثة أيام بلياليها مطرا دائما منع الناس من الحركة فأرسل الى القواد فأرضاهم فانجلت السماء وقد رضوا فسكنوا ولم يتحرك أحد وكتب عز الدولة الى العسكر بمصالحة عمران بن شاهين ففعلوا وعادوا وكانت احدى يدي معز الدولة مقطوعة واختلف في سبب قطعها فقيل قطعت بكرمان لما سار الى قتال من بها وقد ذكرناه وقيل غير ذلك وهو الذي أحدث أمر السعاة وأعطاهم عليه الجرايات الكثيرة لانه أراد ان يصل خبره الى أخيه ركن الدولة سريعا فنشأ في أيامه فضل ومرعوش وفاقا جميع السعاة وكان كل واحد منهما يسير في اليوم نيفا وأربعين فرسخا وتعصب لهما الناس وكان أحدهما ساعي السنة والآخر ساعي الشيعة

﴿ذكر سوء سيرة بختيار وفساد حاله﴾

لما احتضر معز الدولة الوفاة وصى ولده بختيار بطاعة عمه ركن الدولة واستشارته في كل ما يفعله وبطاعة عضد الدولة ابن عمه لانه أكبر منه سنا وأقوم بالسياسة ووصاه بتقرير كاتبيه أبي الفضل العباس بن الحسين وأبي الفرج محمد بن العباس لكفايتهما وامانتهما ووصاه بالديلم والاتراك وبالحاجب سبكتكين فخالف هذه الوصايا جميعها واشتغل باللهو واللعب وعشرة النساء والمساخر والمغنين وشرع في ايحاش كاتبيه وسبكتكين فاستوحشوا وانقطع سبكتكين عنه فلم يحضر داره ونفى كبار الديلم عن مملكته شرها الى اقطاعاتهم وأموالهم وأموال المتصلين بهم فاتفق أصاغرهم عليه وطلبوا الزيادات واضطر الى مرضاتهم واقتدى بهم الاتراك فعملوا مثل ذلك ولم يتم له على سبكتكين ما يريد لاحتياطه واتفق الاتراك معه وخرج الديلم الى الصحراء وطالبوا بختيار باعادة من أسقط منهم فاحتاج ان يجيبهم لتغير سبكتكين عليه وفعل الاتراك أيضا مثل فعلهم واتصل خبر موت معز الدولة بكاتبه أبي الفرج محمد بن العباس وهو متولي أمر عمان فسلمها الى نواب عضد الدولة وسار نحو بغداد وكان سبب تسليمها الى عضد الدولة ان بختيار لما ملك بعد موت أبيه تفرد أبو الفضل بالنظر في الامور فخاف أبو الفرج ان يستمر انفراده عنه فسلم عمان الى عضد الدولة لئلا يؤمر بالمقام فيها لحفظها واصلاحها وسار الى بغداد فلم يتمكن من الذي أراد وتفرد أبو الفضل بالوزارة

﴿ذكر خروج عساكر خراسان وموت وشمكير﴾

وفي هذه السنة جهز الامير منصور بن نوح صاحب خراسان وما وراء النهر الجيوش الى الري وكان سبب ذلك ان أبا علي بن الياس سار من كرمان الى بخارا ملتجئا الى الامير منصور على ما نذكره ان شاء الله تعالى فلما ورد عليه أكرمه وعظمه فأطمعه في ممالك بني بويه وحسن له قصدها وعرفه ان نوابه لا يناصحونه وانهم يأخذون الرشى من الديلم فوافق ذلك ما كان يذكره وشمكير وكاتب الامير منصور وشمكير والحسن بن الفيرزان يعرفهما ما عزم عليه من قصد الري ويأمرهما بالتجهز لذلك ليسيرا مع عسكره ثم انه جهز العساكر وسيرها مع صاحب جيوش خراسان وهو أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور الدواتي وأمره بطاعة وشمكير والانقياد له والتصرف بأمره وجعله مقدم الجيوش جميعها فلما بلغ الخبر الى ركن الدولة أتاه ما لم يكن في حسابه وأخذه المقيم المقعد وعلم ان الامر قد بلغ الغاية فسير أولاده وأهله الى اصبهان وكاتب ولده عضد الدولة يستمده وكاتب

وحيائه وطول عمره وقلبي يأبى ذلك ثم زجرت نفسي وقلت وهل يدفع القدر أو يقدر أحد أن يدفع عن أحبابه الاجل (ومات أبو بكر بن عياش) الكوفي وهو ابن ثمان وتسعين سنة بعد موت الرشيد بثماني عشرة ليلة ولما هم محمد بخلع المأمون شاور عبد الله بن حازم فقال له أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تكون أول الخلفاء نكث عهده ونقض ميثاقه واستخف بيمينه فقال اسكت لله أبوك فعبد الملك ابن صالح كان أفضل منك رأيا حيث يقول لا يجتمع فحلان في أجمة وجمع القواد وشاورهم فاتبعوه في مراده الى ان بلغ الى هرثمة بن حازم فقال يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك ولا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك فان الغادر مخذول والناكث مفلول ودخل علي بن عيسى بن ماهان فتبسم محمد وقال لكن شيخ هذه الدعوة وناب هذه الدولة لا يخالف امامه ولا يوهن طاعته ثم رفعه الى موضع ما رفعه اليه فيما مضى وكان علي بن عيسى أول من أجاب الى خلع المأمون فسيره في جيش عظيم نحو المأمون فلما قرب من الري قيل له ان طاهر بن الحسين مقيم بها وقد كان يظن ان طاهرا لا يثبت له فقال ما طاهر الا شوكة

ابن خيه عز الدولة بختيار يستنجده أيضا فأما عضد الدولة فانه جهز العساكر وسيرهم الى طريق خراسان واظهر انه يريد قصد خراسان لخلوها من العساكر فبلغ الخبر أهل خراسان فانحموا اقاما لا ثم ساروا حتى بلغوا الدامغان وبرز ركن الدولة في عساكره من الري نحوهم فاتفق موت وشمكير فكان سبب موته أنه وصله من صاحب خراسان هدايا من جملتها خيل فاستعرض الخيل واختار أحدها وركبه للصيد فعارضه خنزير قد رمي بحربة وهي ثابتة فيه فحمل الخنزير على وشمكير وهو غافل فضرب الفرس فشب تحته فالقاه الى الارض وخرج الدم من أذنيه وأنفه فحمل ميتا وذلك في المحرم من سنة سبع وخمسين وانتقض جميع ما كانوا فيه وكفى الله ركن الدولة شرهم ولما مات وشمكير قام ابنه بيستون مقامه وراسل ركن الدولة وصالحه فامده ركن الدولة بالمال والرجال ومن أعجب ما يحكى مما يرغب في حسن النية وكرم المقدرة ان وشمكير لما اجتمعت معه عساكر خراسان وسار كتب الى ركن الدولة يتهدده بضروب من الوعيد والتهديد ويقول والله لئن ظفرت بك لافعلن بك ولاصنعن بالفاظ قبيحة فلم يتجاسر الكاتب ان يقرأه فأخذه ركن الدولة فقرأه وقال للكاتب اكتب اليه اما جمعك واحتشادك فما كنت قط أهون منك علي الآن وأما تهديدك وايعادك فوالله لئن ظفرت بك لاعاملنك بضده ولاحسنن اليك ولاكرمنك فلقي وشمكير سوء نيته ولقي ركن الدولة حسن نيته وكان بطبرستان عدو لركن الدولة يقال له نوح بن نصر شديد العداوة له لا يزال يجمع له ويقصد أطراف بلاده فمات الآن وعصى عليه بهمذان انسان يقال له أحمد بن هرون الهمذاني لما رأى خروج عساكر خراسان وأظهر العصيان فلما اتاه خبر موت وشمكير مات لوقته وكفى الله ركن الدولة همهم أجمع

(ذكر القبض على ناصر الدولة بن حمدان)

في هذه السنة قبض أبو تغلب بن ناصر الدولة على أبيه وحبسه في القلعة ليلة السبت لست بقين من جمادى الاولى وكان سبب قبضه أنه كان قد كبر وساءت اخلاقه وضيق على أولاده وأصحابه وخالفهم في أغراضهم للمصلحة فضجروا منه وكان فيما خالفهم فيه انه لما مات معز الدولة عزم أولاده على قصد العراق وأخذه من بختيار فنهاهم وقال لهم ان معز الدولة قد خلف مالا يستظهر به ابنه عليكم فاصبروا حتى يتفرق ما عنده من المال ثم اقصدوه وفرقوا الاموال فانكم تظفرون به لا محالة فوثب عليه أبو تغلب فقبضه ورفعه الى القلعة ووكل به من يخدمه ويقوم بحاجاته وما يحتاج اليه فلما فعل ذلك خالفه بعض اخوته وانتشر أمرهم الذي كان يجمعهم وصار قصاراهم حفظ ما في أيديهم واحتاج أبو تغلب الى مداراة عز الدولة بختيار وتجديد عقد الضمان ليحتج بذلك على اخوته ومن خالفه فضمنه البلاد بألف ألف ومائتي ألف درهم كل سنة

(ذكر من مات هذه السنة من الملوك)

مات فيها وشمكير بن زيار كما ذكرناه ومعز الدولة وقد ذكرناه والحسن بن الفيرزان وكافور الاخشيدي ونقفور ملك الروم وأبو علي محمد بن الياس صاحب كرمان وسيف الدولة بن حمدان وأما سيف الدولة أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي الربعي فانه مات بحلب في صفر وحمل تابوته الى ميافارقين فدفن بها وكانت علته الفالج وقيل عسر البول وكان مولده في ذي الحجة سنة ثلاث وثلثمائة وكان جوادا كريما شجاعا واخباره مشهورة في ذلك وكان يقول الشعر فمن شعره في أخيه ناصر الدولة

وهبت لك العليا وقد كنت أهلها * وقلت لهم بيني وبين أخي فرق

فان الصغال لا تقوى على نطاح الكباش والثعالب لا تقدر على لقاء الاسد فقال له ابنه ابعث طلائع وارتد موضعا لعسكرك فقال ليس طاهر يستعد له بالمكايد والتحفظ ان حال طاهر يؤدي الى أمرين اما ان يتحصن بالري فيثب به أهلها ويكفونا مؤنته أو يخليها ويدبر راجعا لو قد قربت خيولنا منه فقال له ابنه ان الشرارة ربما صارت ضراما فقال ان طاهرا ليس قرنا في هذا الموضع وانما تحترس الرجال من أقرانها وسار علي ابن عيسى وبث عساكره من الري وتبين ما عليه طاهر من الجد وأهبة الحرب وضم الاطراف فعدل الى رستاق من رساتيق الري متياسرا عن الطريق فنزل وانبسطت عساكره وأقبل طاهر في نحو من أربعة آلاف فارس فاشرف على عساكر علي بن عيسى وتبين كثرتها وعدة ما فيها فعلم أن لا طاقة له بذلك الجيش فقال لخواصه ومن معه نجعلها خارجية وكردس خيله كراديس وصمد في نحو القلب في سبعمائة من الخوارزمية وغيرهم من فرسان خراسان وخرج اليه من القلب العباس بن الليث مولى المهدي وكان فارسا فقصد طاهر وضم يديه على سيفه فاتى عليه وكان علي بن عيسى على برذون كميت أرجل

وما كان بى عنها نكول وانما * تجاوزت عن حق فتم لك الحق
اما كنت ترضى ان أكون مصليا * اذا كنت أرضى ان يكون لك السبق

وله أيضا

قد جرى فى دمعه دمه * فالى كم أنت تظلمه
ردّ عنه الطرف منك فقد * جرحته منك أسهمه
كيف يسطيع التجلد من * خطرات الوهم تؤلمه

ولما توفى سيف الدولة ملك بلاده بعده ابنه أبو المعالى شريف وأما أبو على بن الياس فسيرد ذكر موته سنة سبع وخمسين وأما كافور فانه كان صاحب مصر وكان من موالى الاخشيد محمد بن طغج واستولى على مصر ودمشق بعد موت الاخشيد لصغر اولاده وكان خصيا أسود وللمتنبى فيه مديح وهجو وكان قصده الى مصر وخبره معه مشهور ولما دفن كتب على قبره

انظر الى غير الايام ماصنعت * افنت اناسا بها كانوا وقد فنيت
دنياهم ضحكت أيام دولتهم * حتى اذا انقرضوا ناحت لهم وبكت

وفيها توفى أبو الفرج على بن الحسين بن محمد بن أحمد الاصبهانى الاموى وهو من ولد محمد بن مروان ابن الحكم الاموى وكان شيعيا وهذا من العجب وهو صاحب كتاب الاغانى وغيره وفيها توفى يوسف بن عمر بن أبى عمر القاضى وكان مولده سنة خمس وثلثمائة وولى قضاء بغداد فى حياة أبيه وبعده وفيها توفى أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم صاحب سهل التسترى رضى الله عنه

﴿ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عصيان حبشى بن معز الدولة على بختيار بالبصرة وأخذه قهرا﴾

فى هذه السنة عصى حبشى بن معز الدولة على أخيه بختيار وكان بالبصرة لما مات والده فحسن له من عنده من أصحابه الاستبداد بالبصرة وذكر واله ان أخاه بختيار لا يقدر على قصده فشرع فى ذلك فانتهى الخبر الى أخيه فسير وزيره أبا الفضل العباس بن الحسين اليه وأمره باخذه كيف أمكن فاظهر الوزير انه يريد الانحدار الى الاهواز ولما بلغ واسط أقام بها ليصلح أمرها وكتب الى حبشى يعده أنه يسلم اليه البصرة سلما ويصالحه عليها ويقول له اننى قد لزمنى مال على الوزارة ولا بد من مساعدتى فنفذ اليه حبشى مائتى ألف درهم وتيقن حصول البصرة له وأرسل الوزير الى عسكر الاهواز يأمرهم بقصد الابلة فى يوم ذكره لهم وسار هو من واسط نحو البصرة فوصلها هو وعسكر الاهواز لميعادهم فلم يتمكن حبشى من اصلاح شأنه ومايحتاج اليه فظفروا به وأخذوه أسيرا وحبسوه برامهرمز فارسل عمه ركن الدولة وخلصه فسار الى عضد الدولة فاقطعه اقطاعا وافرا وأقام عنده الى ان مات فى آخر سنة تسع وستين وثلثمائة وأخذ الوزير من أمواله بالبصرة شيأ كثيرا ومن جملة ما أخذ له خمسة عشر ألف مجلد سوى الاجزاء والمشرس وماليس له جلد

﴿ذكر البيعة لمحمد بن المستكفى﴾

فى هذه السنة ظهر ببغداد بين الخاص والعام دعوة الى رجل من أهل البيت اسمه محمد بن عبد الله وقيل انه الدجال الذى وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجدد ماعفا من أمور الدين فمن كان من أهل السنة قيل له انه عباسى ومن كان من أهل الشيعة قيل له انه علوى فكثرت الدعاة اليه والبيعة له وكان الرجل بمصر وقد أكرمه كافور الاخشيدى وأحسن اليه وكان فى جملة من بايع له سبكتكين العجمى وهو من أكابر قواد معز الدولة وكان يتشيع فظنه علويا وكتب اليه يستدعيه من مصر فسار الى الانبار وخرج سبكتكين الى طريق

وثم الا على رأسه الرجال وتنازعوا فى خاتمه ورأسه فذبحه رجل يعرف بطاهر بن الراجى وقبض آخر على خصلة من شعر لحيته وآخر على خاتمه وكان سبب هزيمة الجيش ضربة طاهر بيديه جميعا للعباس ابن الليث وبذلك سمى طاهر ذا اليمينين لجمعه يديه على السيف (وذكر) أحمد بن هشام وكان من وجوه القواد قال جئت الى مضرب طاهر وقد توهم انى قتلت فى المعركة ومعى رأس على فقال البشرى هذه خصلة من رأس على مع غلامى فى المخلاة فطرحه قدامه ثم أتى بجثته وقد شدت يداه ورجلاه كما يفعل بالدواب اذا ماتت فامر به طاهر فالقى فى بئر وكتب الى ذى الرياستين فكان فى الكتاب أطال الله بقاك وكبت أعداك كتابى اليك ورأس على بن عيسى بين يدى وخاتمه فى اصبعى والحمد لله رب العالمين فسر المأمون بذلك وسلم عليه فى ذلك الوقت بالخلافة وقد كانت أم جعفر لا تعلق من الرشيد فشاور بعض مجالسيه من الحكماء وشكا ذلك اليه فاشار عليه بان يغيرها فان ابراهيم الخليل عليه السلام كانت عنده سارة فلم تكن تعلق منه فلما وهبت له هاجر علقت منه باسمعيل فغارت سارة عند ذلك فعلقت باسحق فاشترى الرشيد أم المأمون فاستخلاها فعلقت بالمأمون فغارت أم جعفر عند ذلك فعلقت بمحمد وقد قدمنا

الفرات وكان يتولى حمايته فلقى ابن المستكفى وترجل له وخدمه وأخذه وعاد الى بغداد وهو لا يشك فى حصول الامر له ثم ظهر لسبكتكين ان الرجل عباسى فعاد عن ذلك الرأى ففطن ابن المستكفى وخاف هو وأصحابه فهربوا وتفرقوا فأخذ ابن المستكفى ومعه أخ له واحضرا عند بختيار فاعطاهما الامان ثم ان المطيع تسلمه من بختيار فجدع أنفه ثم خفى خبره

﴿ذكر استيلاء عضد الدولة على كرمان﴾

فى هذه السنة ملك عضد الدولة بلاد كرمان وكان سبب ذلك ان أبا على بن الياس كان صاحبها مدة طويلة على ما ذكرناه ثم انه أصابه فالج خاف منه على نفسه فجمع أكابر أولاده وهم ثلاثة اليسع والياس وسليمان فاعتذر الى اليسع من جفوة كانت منه له قديما وولاه الامر ثم بعده أخاه الياس وأمر سليمان بالعود الى بلادهم وهى بلاد الصغد وأمره بأخذ أموال له هنالك وقصد ابعاده عن اليسع لعداوة كانت بينهما فسار من عند أبيه واستولى على السيرجان فلما بلغ أباه ذلك أنفذ اليه اليسع فى جيش وأمره بمحاربته واجلائه عن البلاد ولم يمكنه من قصد الصغد ان طلب ذلك فسار اليه وحصره واستظهر عليه فلما رأى سليمان ذلك جمع أمواله وسار نحو خراسان واستقر أمر اليسع بالسيرجان وملكها وأمر بنهبها فنهبت فسأله القاضى وأعيان البلد العفو عنهم فعفا ثم ان جماعة من أصحاب والده خافوه فسعوا به الى أبيه فقبض عليه وسجنه فى قلعة له فخشيت والدته الى والدة أخيه الياس وقالت لها ان صاحبنا قد فسخ ما كان عقده لولدى وبعده يفعل بولدك مثله ويخرج الملك عن آل الياس والرأى ان تساعدينى على تخليص ولدى ليعود الامر الى ما كان عليه وكان والده أبو على تأخذه غشية فى بعض الاوقات فيمكث زمانا طويلا لا يعقل فاتفق المرأتان وجمعتا الجوارى فى وقت غشيته وأخرجن اليسع من حبسه ودلينه من ظهر القلعة الى الارض فكسر قيده وقصد العسكر فاستبشروا به وأطاعوه وهرب منه من كان أفسد حاله مع أبيه وأخذ بعضهم ونجا بعضهم وتقدم الى القلعة ليحصرها فلما أفاق والده وعرف الصورة راسل ولده وسأله ان يكف عنه ويؤمنه على ماله وأهله حتى يسلم اليه القلعة وجميع أعمال كرمان ويرحل الى خراسان ويكون عونا له هنالك فاجابه الى ذلك وسلم اليه القلعة وكثيرا من المال وأخذ معه ما أراد وسار الى خراسان وقصد بخارا فاكرمه الامير منصور بن نوح وأحسن اليه وقربه منه فحمل منصورا على تجهيز العساكر الى الرى وقصد بنى بويه على ما ذكرناه وأقام عنده الى ان توفى سنة ست وخمسين وثلثمائة بعلة الفالج على ما ذكرناه وكان ابنه سليمان ببخارا أيضا واما اليسع فانه صفت له كرمان فحمله ترف الشباب وجهله على مغالبة عضد الدولة على بعض حدود عمله وأتاه جماعة من أصحاب عضد الدولة وأحسن اليهم ثم عاد بعضهم الى عضد الدولة فاتهم اليسع الباقين فعاقبهم ومثل بهم ثم ان جماعة من أصحابه استأمنوا الى عضد الدولة فاحسن اليهم وأكرمهم ووصلهم فلما رأى أصحابه تباعد ما بين الحالين تألبوا عليه وفارقوه متسللين الى عضد الدولة وأتاه منهم فى دفعة واحدة نحو ألف رجل من وجوه أصحابه فبقى فى خاصته وفارقه معظم عسكره فلما رأى ذلك أخذ أمواله وأهله وسار بهم نحو بخارا لا يلوى على شئ وسار عضد الدولة الى كرمان فاستولى عليها وملكها وأخذ ما بها من أموال آل الياس وكان ذلك فى شهر رمضان واقطعها ولده أبا الفوارس وهو الذى لقب بعد ذلك شرف الدولة وملك العراق واستخلف عليها كورتكين بن جستان وعاد الى فارس وراسله صاحب سجستان وخطب له بها وكان هذا أيضا من الوهن على بنى سامان ومما طرق الطمع فيهم واما اليسع فانه لما وصل الى بخارا أكرمه

التنازع فى ذلك أعنى قصص ابراهيم واسمعيل واسحق وقول من ذهب الى ان اسحق هو المأمور بذبحه ومن قال بل اسمعيل وماذكر كل فريق منهم وقد تناظر فى ذلك السلف والخلف فمن ذلك ما جرى بين عبد الله بن عباس وبين مولاه عكرمة وقد قال عكرمة من المأمور بذبحه فقال اسمعيل واحتج بقول الله عز وجل ومن وراء اسحق يعقوب الا ترى انه بشر ابراهيم بولادة اسحق فكيف يأمره بذبحه فقال له عكرمة أنا أوأخذك ان الذبيح اسحق من القرآن واحتج بقول الله عز وجل وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق فنعمته على ابراهيم أن نجاه من النار ونعمته على اسحق أن فداه بالذبح وكانت وفاة عكرمة مولى ابن العباس سنة خمس ومائة ويكنى أبا عبد الله مات فى اليوم الذى مات فيه كثير عزة فقال الناس مات عظيم الفقهاء وكبير الشعراء وفيها كانت وفاة الشعبى (وحدث) ابراهيم بن المهدى قال بعث الى الامين وهو محاصر

واحسن اليه وصار يذم أهل سامان في قعودهم عن نصره واعادته الى ملكه فنفي عن بخارا الى خوارزم وبلغ أباعلى بن سيمجور خبره وقصده ماله واثقاله وكان خلفها ببعض نواحي خراسان فاستولى على ذلك جميعه وأصاب اليسع رمد شديد بخوارزم فاقلقه فحمله الضجر وعدم السعادة الى ان قلع عينه الرمدة بيده وكان ذلك سبب هلاكه ولم يعد لآل الياس بكرمان دولة وكان الذى أصابه لشؤم عصيان والده وثمرة عقوقه

﴿ذكر قتل أبي فراس بن حمدان﴾

فى هذه السنة فى ربيع الآخر قتل أبوفراس بن أبي العلاء سعيد بن حمدان وسبب ذلك انه كان مقيما بحمص فجرى بينه وبين أبي المعالى بن سيف الدولة بن حمدان وحشة فطلبه أبو المعالى فانحاز أبوفراس الى صدد وهى قرية فى طرف البرية عند حمص فجمع أبو المعالى الاعراب من بنى كلاب وغيرهم وسيرهم فى طلبه مع قرعويه فادركه بصدد فكبسوه فاستأمن أصحابه واختلط هو بمن استأمن منهم فقال قرعويه لغلام له اقتله فقتله وأخذ رأسه وتركت جثته فى البرية حتى دفنها بعض الاعراب وأبوفراس هو خال أبي المعالى بن سيف الدولة ولقد صدق من قال ان الملك عقيم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة منتصف شعبان مات المتقى لله ابراهيم بن المقتدر فى داره ودفن فيها وفيها فى ذى القعدة وصلت سرية كثيرة من الروم الى انطاكية فقتلوا فى سوادها وغنموا وسبوا اثنى عشر ألفا من المسلمين وفيها كان بين هبة الرفعاى وبنى أسد بن وزبر العنبرى حرب فاستمد أسد خزر البشكرى الذى مع عمران بن شاهين صاحب البطائح وأوقع بهبة وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وهزمه واستولى على جنبلا وقسين من أرض العراق وسار سبكتكين العجمى الى خزر وضيق عليه فمضى الى البصرة واستأمن الى الوزير أبي الفضل وفيها عمل أهل بغداد يوم عاشوراء وغدير خم كما جرت به عادتهم من اظهار الحزن يوم عاشوراء والسرور يوم الغدير وتوفى على بن بندار بن الحسين أبوالحسن الصوفى المعروف بالصيرفى النيسابورى

﴿ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلثمائة﴾

﴿ذكر ملك المعز العلوى مصر﴾

فى هذه السنة سير المعز لدين الله أبوتميم معد بن اسمعيل المنصور بالله القائد أبا الحسن جوهرا غلام والده المنصور وهو رومى فى جيش كثيف الى الديار المصرية فاستولى عليها وكان سبب ذلك أنه لما مات كافور الاخشيدى صاحب مصر اختلفت القلوب فيها ووقع بها غلاء شديد حتى بلغ الخبز كل رطل بدرهمين والحنطة كل ويبة بدينار وسدس مصرى فلما بلغ الخبر بهذه الاحوال الى المعز وهو بافريقية سير جوهرا اليها فلما اتصل خبر مسيره الى العساكر الاخشيدية بمصر هربوا عنها جميعهم قبل وصوله ثم انه قدمها سابع عشر شعبان وأقيمت الدعوة للمعز بمصر فى الجامع العتيق فى شوال وكان الخطيب أبامحمد عبدالله بن الحسين الشمشاطى وفى جمادى الاولى من سنة تسع وخمسين سار جوهر الى جامع ابن طولون وأمر المؤذن فاذن بحى على خير العمل وهو أول ما اذن بمصر ثم اذن بعده فى الجامع العتيق وجهر فى الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم ولما استقر جوهر بمصر شرع فى بناء القاهرة

﴿ذكر ملك عسكر المعز دمشق وغيرها من بلاد الشام﴾

لما استقر جوهر بمصر وثبت قدمه سير جعفر بن فلاح الكتامى الى الشام فى جمع كبير فبلغ الرملة

فمررت اليه فاذا هو جالس فى طارمة خشبها من عود ومندل عشرة فى عشرة واذا سليمان بن أبي جعفر المنصور معه فى الطارمة وهى قبة كان اتخذ لها فراشا مبطنا بانواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الاحمر وغير ذلك من أنواع الابريسم فسلمت فاذا قدامه قدح بلور محزوز فيه شراب يتقدم مقداره خمسة ارطال وبين يدى سليمان قدح مثله فجلست بازاء سليمان فاتيت بقدح كالاول والثانى قال فقال انما بعثت اليك لما بلغنى قدوم طاهر بن الحسين الى النهروان وما قد صنع فى أمرنا من المكروه وقابلنا به من الاساءة فدعوتك لأفرح بك وبحديثك فانه لما نحدثه وتؤنسه حتى سلا عما كان يجده وفرح ودعا بجارية من خواص جواريه تسمى ضعفا قال فتطيرت من اسمها ونحن على تلك الحال فقال لها غنينا فوضعت العود فى حجرها وغنت

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا
وأكثر جرما منك ضرج بالدم

فتطير من قولها ثم قال لها اسكتى قبحك الله ثم عاد الى ما كان عليه من الغم

وبها أبو محمد الحسن بن عبد الله بن طغج فقاتله في ذي الحجة من السنة وجرت بينهما حروب كان الظفر فيها لجعفر بن فلاح وأسر ابن طغج وغيره من القواد فسيرهم الى جوهر وسيرهم جوهر الى المعز بافريقية ودخل ابن فلاح البلد عنوة فقتل كثيرا من أهله ثم أمن من بقي وجبى الخراج وسار الى طبرية فرأى ابن ملهم قد أقام الدعوة للمعز لدين الله فسار منها الى دمشق فقاتله أهلها فظفر بهم وملك البلد ونهب بعضه وكف عن الباقي واقام الخطبة للمعز يوم الجمعة لايام خلت من المحرم سنة تسع وخمسين وقطعت الخطبة العباسية وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن أبي يعلى الهاشمي وكان جليل القدر نافذ الحكم في أهلها فجمع احداثها ومن يريد الفتنة وثار بهم في الجمعة الثانية وابطل الخطبة للمعز لدين الله واعاد خطبة المطيع لله ولبس السواد وعاد الى داره فقاتله جعفر بن فلاح ومن معه قتالا شديدا وصبر أهل دمشق ثم افترقوا آخر النهار فلما كان الغد تزاحف الفريقان واقتتلوا ونشبت الحرب بينهما وكثر القتلى من الجانبين ودام القتال فعاد عسكر دمشق منهزمين والشريف ابن أبي يعلى مقيم على باب البلد يحرض الناس على القتال ويأمرهم بالصبر وواصل المغاربة الحملات على الدماشقة حتى الجؤهم الى باب البلد ووصل المغاربة الى قصر حجاج ونهبوا ما وجدوا فلما رأى ابن أبي يعلى الهاشمي والاحداث مالقي الناس من المغاربة خرجوا من البلد ليلا فاصبح الناس حيارى فدخل الشريف الجعفري وكان خرج من البلد الى جعفر بن فلاح في الصلح فاعاده وأمره بتسكين الناس وتطييب قلوبهم ووعدهم بالجميل ففعل ما أمره وتقدم الى الجند والعامة بلزوم منازلهم وان لايخرجوا منها الى ان يدخل جعفر بن فلاح البلد ويطوف فيه ويعود الى عسكره ففعلوا ذلك فلما دخل المغاربة البلد عاثوا فيه ونهبوا قطرا منه فثار الناس وحملوا عليهم ووضعوا السيف فيهم فقتلوا منهم جماعة وشرعوا في تحصين البلد وحفر الخنادق وعزموا على اصطلاء الحرب وبذل النفوس في الحفظ واحجمت المغاربة عنهم ومشى الناس الى الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى فطلبوا منه ان يسعى فيما يعود باصلاح الحال ففعل ودبر الحال الى ان يقرر الصلح يوم الخميس لست عشرة خلت من ذي الحجة سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكان الحريق قد أتى على عدة كثيرة من الدور وقت الحرب ودخل صاحب الشرطة جعفر بن فلاح البلد يوم الجمعة فصلى مع الناس وسكنهم وطيب قلوبهم وقبض على جماعة من الاحداث في المحرم سنة ستين وثلثمائة وقبض على الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى الهاشمي المذكور وسيره الى مصر واستقر أمر دمشق وكان ينبغي ان يؤخر ملك ابن فلاح دمشق الى آخر السنة وانما قدمته ليتصل خبر المغاربة بعض ببعض

(ذكر اختلاف أولاد ناصر الدولة وموت أبيهم)

كان سبب اختلاف اولاد ناصر الدولة أنه كان قد اقطع ولده حمدان مدينة الرحبة وماردين وغيرهما وكان أبو تغلب وأبو البركات وأختهما جميلة أولاد ناصر الدولة من زوجته فاطمة بنت أحمد الكردية وكانت مالكة أمر ناصر الدولة فاتفقت مع ابنها أبي تغلب وقبضوا ناصر الدولة على ماذكرناه فابتدأ ناصر الدولة يدبر في القبض عليهم وكاتب ابنه حمدان يستدعيه ليتقوى به عليهم فظفر أولاده بالكتاب فلم ينفذوه وخافوا أباهم وحذروه فحملهم خوفه على نقله الى قلعة كواشي واتصل ذلك بحمدان فعظم عليه وصار عدوا مباينا وكان أشجعهم وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة الى الرقة فملكها وسار الى نصيبين وجمع من أطاعه وطالب اخوته بالافراج عن والده واعادته الى منزلته فسار أبو تغلب اليه ليحاربه فانهزم حمدان قبل اللقاء الى

والاقطاب فاقبلنا نحادثه ونبسطه الى ان سلا وضحك ثم اقبل عليها وقال هات ماعندك فغنت •

هم قتلوه كي يكونوا مكانه
كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فأسكتها وزأرها وعاد الى الحالة الاولى فسليناه حتى عاد الى الضحك فاقبل عليها الثالثة فقال غني فغنت

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالي والجدود العواثر

وقيل بل انها غنت

أماورب السكون والحرك
ان المنايا كثيرة الشرك

فقال لها قومي عني فعل الله بك وصنع بك فقامت فعثرت بالقدح الذي كان بين يديه فكسرته فانهرق الشراب وكانت ليلة قمراء ونحن على شاطئ دجلة في قصره المعروف بالخلد فسمعنا قائلا يقول قضي الامر الذي فيه تستفتيان قال ابن المهدي فقمت وقد وثب فسمعت منشدا من ناحية القصر ينشد هذين البيتين

الرقة فنازله أبو تغلب وحصره ثم اصطلحا على دخن وعاد كل واحد منهما الى موضعه وعاش ناصر الدولة الحسن بن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي شهورا ومات فى ربيع الاول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ودفن بتل توبة شرقى الموصل وقبض أبو تغلب أملاك أخيه حمدان وسير أخاه أبا البركات الى حمدان فلما قرب من الرحبة استأمن اليه كثير من أصحاب حمدان فانهزم حينئذ وقصد العراق مستأمنا الى بختيار فوصل بغداد فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فاكرمه بختيار وعظمه وحمل اليه هدية كثيرة جليلة المقدار ومعها كل مايحتاج اليه مثله وأرسل الى أبى تغلب النقيب أبا أحمد الموسوى والد الشريف الرضى فى الصلح مع أخيه فاصطلحوا وعاد حمدان الى الرحبة وكان مسيره من بغداد فى جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثمانمائة فلما سمع أبو البركات بمسير أخيه حمدان على هذه الصورة فارق الرحبة ودخلها حمدان وراسله أخوه أبو تغلب فى الاجتماع به فامتنع من ذلك فعاد أبو تغلب وسير اليه أخاه أبا البركات فلما علم حمدان بذلك فارقها فاستولى أبو البركات عليها واستناب بها من يحفظها فى طائفة من الجيش وعاد الى الرقة ثم منها الى عربان فلما سمع حمدان بعوده عنها وكان ببرية تدمر عاد اليها فى شعبان فوافاها ليلا فاصعد جماعة من غلمانه السور وفتحوا له باب البلد فدخله ولا يعلم من به من الجند بذلك فلما صار فى البلد وأصبح أمر بضرب البوق فبادر من بالرحبة من الجند منقطعين يظنون ان صوت البوق من خارج البلد وكل من وصل الى حمدان أسره حتى أخذهم جميعهم فقتل بعضا واستبقى بعضا فلما سمع أبو البركات بذلك عاد الى قرقيسيا واجتمع هو وأخوه حمدان منفردين فلم يستقر بينهما قاعدة فقال أبو البركات لحمدان انا أعود الى عربان وأرسل الى أبى تغلب لعله يجيب الى ماتلتمسه منه فسار عائدا الى عربان وعبر حمدان الفرات من مخاضة بها وسار فى أثر أخيه أبى البركات فأدركه بعربان وهو آمن فلقيهم أبو البركات بغير جنة ولا سلاح فقاتلهم واشتد القتال بينهم وحمل أبو البركات بنفسه فى وسطهم فضربه أخوه حمدان فالقاه وأخذه أسيرا فمات من يومه وهو ثالث رمضان فحمل فى تابوت الى الموصل ودفن بتل توبة عند أبيه وتجهز أبو تغلب ليسير الى حمدان وقدم بين يديه أخاه أبا الفوارس محمدا الى نصيبين فلما وصلها كاتب أخاه حمدان ومالا على أبى تغلب فبلغ الخبر أبا تغلب فأرسل اليه يستدعيه ليزيد فى اقطاعه فلما حضر عنده قبض عليه وسيره الى قلعة كواشى من بلد الموصل وأخذ أمواله وكانت قيمتها خمسمائة ألف دينار فلما قبض عليه سار ابراهيم والحسين ابنا ناصر الدولة الى أخيهما حمدان خوفا من أبى تغلب فاجتمعا معه وسار والى سنجار فسار أبو تغلب اليهم من الموصل فى شهر رمضان سنة ستين وثلثمائة ولم يكن لهم بلقائه طاقة فراسله أخواه ابراهيم والحسين يطلبان العود اليه خديعة منهما اليأذنهما ويقتكابه فاجابهما الى ذلك فهربا اليه وتبعهما كثير من أصحاب حمدان وعاد حمدان حينئذ من سنجار الى عربان واستأمن الى أبى تغلب صاحب حمدان وأطلعه على حيلة أخويه عليه وهما ابراهيم والحسين فاراد القبض عليهما فحذرا وهربا ثم ان غلام حمدان ونائبه بالرحبة أخذ جميع ماله بها وهرب الى أصحاب أبى تغلب بحران وكانوا مع صاحبه سلامة البرقعيدى فاضطر حمدان الى العود الى الرحبة وسار أبو تغلب الى قرقيسيا وأرسل سرية عبروا الفرات وكبسوا حمدان بالرحبة وهو لا يشعر فنجا هاربا واستولى أبو تغلب عليها وعمر سورها وعاد الى الموصل ودخلها فى ذى الحجة سنة ستين وثلثمائة وسار حمدان الى بغداد فدخلها آخر ذى الحجة سنة ستين ملتجئا الى بختيار ومعه أخوه ابراهيم وكان أخوهما الحسين قد عاد الى

لاتعجبن من العجب
قد جاء مايقضى العجب
قد جاء أمر فادح
لايه لذى عجب عجب

قال فما قمنا معه بعدها الى ان قتل وكان الامين مولعا بأم ولده فطم وهى أم موسى الذى كان سماه الناطق بالحق وأراد خلع المأمون والعقد له من بعده فهلكت أم موسى فطم فجزع عليها جزعا شديدا فلما اتصل الخبر بام جعفر زبيدة قالت احملونى الى أمير المؤمنين فحملت اليه فاستقبلها وقال ياسيدتى ماتت فطم فقالت

نفسى فداؤك لايذهب بك اللهف
ففى بقائك ممافقد مضى خلف
عوضت موسى فهانت كل مرزية
مابعد موسى على مفقوده أسف

(وذكر) ابراهيم بن المهدى قال استأذنت على الامين يوما وقد اشتد الحصار عليه من كل وجه فأبوا ان يأذنوا لى بالدخول عليه الى ان كاثرت ودخلت فاذا هو قد تطلع

أخيه أبي تغلب مستأمنا وحمل بختيار الى حمدان وأخيه ابراهيم هدايا جليلة كثيرة المقدار وأكرمهما واحترمهما

﴿ذكر مافعله الروم بالشام والجزيرة﴾

وفي هذه السنة دخل ملك الروم الشام ولم يمنعه أحد ولا قاتله فسار في البلاد الى طرابلس وأحرق بلدها وحصر قلعة عرقة فملكها ونهبها وسبى من فيها وكان صاحب طرابلس قد أخرجه أهلها لشدة ظلمه فقصد عرقة فأخذه الروم وجميع ماله وكان كثيرا وقصد ملك الروم حمص وكان أهلها قد انتقلوا عنها وأخلوها فأحرقها ملك الروم ورجع الى بلدان الساحل فأتى عليها نهبا وتخريبا وملك ثمانية عشر منبرا فأما القرى فكثير لا يحصى وأقام في الشام شهرين يقصد أي موضع شاء ويخرب ماشاء ولا يمنعه أحد الا ان بعض العرب كانوا يغيرون على أطرافهم فأتاه جماعة منهم وتنصروا وكادوا المسلمين من العرب وغيرهم فامتنعت العرب من قصدهم وصار للروم الهيبة العظيمة في قلوب المسلمين فاراد ان يحصر انطاكية وحلب فبلغه ان أهلها قد أعدوا الذخائر والسلاح ومايحتاجون اليه فامتنع من ذلك وعاد ومعه من السبي نحو مائة ألف رأس ولم يأخذ الا الصبيان والصبايا والشبان فأما الكهول والشيوخ والعجائز فنهم من قتله ومنهم من أطلقه وكان بحلب قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان وقد أخرج أبا المعالي بن سيف الدولة منها على مانذكره فصانع الروم عليها فعادوا الى بلادهم فقيل كان سبب عودهم كثرة الامراض والموت وقيل ضجروا من طول السفر والغيبة عن بلادهم فعادوا على عزم العود وسير ملك الروم سرية كثيرة الى الجزيرة فبلغوا كفرتوثا ونهبوا وسبوا وأحرقوا وعادوا ولم يكن من أبي تغلب بن حمدان في ذلك نكير ولا أثر

﴿ذكر استيلاء قرعويه على حلب واخراج أبي المعالي بن حمدان منها﴾

في هذه السنة أيضا استولى قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان على حلب وأخرج منها أبا المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان فسار أبو المعالي الى حران فمنعه أهلها من الدخول اليهم فطلب منهم ان يأذنوا لاصحابه ان يدخلوا يتزودوا منها يومين فأذنوا لهم ودخل الى والدته بميافارقين وهي ابنة سعيد بن حمدان وتفرق عنه أكثر أصحابه ومضوا الى أبي تغلب بن حمدان فلما وصل الى والدته بلغها ان غلمانه وكتابه قد عملوا على القبض عليها وحبسها كما فعل أبو تغلب بابيه ناصر الدولة فاغلقت أبواب المدينة ومنعت ابنها من دخولها ثلاثة أيام حتى أبعدت من تخاف ابعاده واستوثقت لنفسها وأذنت له ولمن بقي معه في دخول البلد وأطلقت لهم الارزاق وبقيت حران لا أمير عليها ولكن الخطبة فيها لابي المعالي بن سيف الدولة وفيها جماعة من مقدمي أهلها يحكمون فيها ويصلحون من أمور الناس ثم ان أبا المعالي عبر الفرات الى الشام وقصد حماة فأقام بها على مانذكره سنة اثنتين وستين وثلثمائة

﴿ذكر خروج أبي خزر بافريقية﴾

في هذه السنة خرج بافريقية أبو خزر الزناتي واجتمع اليه جموع عظيمة من البربر والنكار فخرج المعز اليه بنفسه يريد قتاله حتى بلغ مدينة باغاية وكان أبو خزر قريبا منها وهو يقاتل نائب المعز عليها فلما سمع أبو خزر بقرب المعز تفرقت عنه جموعه وسار المعز في طلبه فسلك الاوعار فعاد المعز وأمر أبا الفتوح يوسف بلكين بن زيري بالمسير في طلبه أين سلك فسار في أثره حتى خفي عليه خبره ووصل المعز الى مستقره بالمنصورية فلما كان ربيع الآخر من سنة تسع وخمسين وصل

الى دجلة بالشباك وكان في وسط قصره بركة عظيمة لها مخترق الى الماء في دجلة وفي المخترق شباك حديد فسلمت عليه وهو مقبل على الماء والخدم والغلمان قد انتشروا الى تفتيش الماء وهو كالواله فقال لي وقد ثنيت بالسلام وكررت لا تؤذوني فقرطتي قد ذهبت في البركة الى دجلة والقرطة سمكة كانت قد صيدت له وهي صغيرة فقرطها حلقتين من ذهب فيهما حب نادر قال فخرجت وأنا مؤيس من فلاحه وقلت لو ارتدع من وقت لكان هذا الوقت وكان محمد في نهاية الشدة والقوة والبطش والبها والجمال الا أنه كان عاجز الرأي ضعيف التدبير غير مفكر في أمره (وحكي) انه اصطبح يوما وقد كان خرج أصحاب اللبابيد والحراب على البغال وهم الذين كانوا يصطادون السباع الى سبع كان بلغهم خبره بناحية كوثى والقصر فاحتالوا في السبع الى أن أتوا به في قفص من خشب على جمل بختي فحط بباب القصر وأدخل فثقل في صحن القصر والامين مصطبح فقال خلوا عنه

أبو خزر الخارجي الى المعز مستأمنا ويطلب الدخول في طاعته فقبل منه المعز ذلك وفرح به وأجرى عليه رزقا كثيرا وصله عقيب هذه الحال كتب جوهر باقامة الدعوة له في مصر والشام ويدعوه الى المسير اليه ففرح المعز فرحا شديدا أظهره لكافة الناس ومدحه الشعراء فمن ذكر ذلك محمد بن هانئ الاندلسي فقال

يقول بنو العباس قد فتحت مصر * فقل لبني العباس قد قضي الامر

(ذكر قصد أبي البركات بن حمدان ميافارقين وانهزامه)

في هذه السنة في ذي القعدة سار أبو البركات بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكره الى ميافارقين فاغلقت زوجة سيف الدولة أبواب البلد في وجهه ومنعته من دخوله وأرسل اليها يقول انني ماقصدت الا الغزاة ويطلب منها مايستعين به فاستقر بينهما ان تحمل اليه مائتي ألف درهم وتسلم اليه قرايا كانت لسيف الدولة بالقرب من نصيبين ثم ظهر لها انه عمل سرا في دخول البلد فارسلت الى من معه من غلمان سيف الدولة تقول لهم مامن حق مولاكم ان تفعلوا بحرمه وأولاده هذا فنكلوا عن القتال والقصد لها ثم جمعت رجالة وكبست أبا البركات ليلا فانهزم ونهب سواده وعسكره وقتل جماعة من أصحابه وغلمانه فراسلها انني لم اقصد لسوء فردت رداجميلا واعادت اليه بعض مانهب منه وحملت اليه مائة ألف درهم واطلقت الاسرى فعاد عنها وكان ابنها أبو المعالي بن سيف الدولة على حلب يقاتل قرعويه غلام أبيه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عاشر المحرم عمل أهل بغداد ماقد صار لهم عادة من اغلاق الاسواق وتعطيل المعاش واظهار النوح والمأتم بسبب الحسين بن علي رضوان الله عليهما وفيها ارسل القرامطة رسلا الى بني نمير وغيرهم من العرب يدعونهم الى طاعتهم فاجابوا الى ذلك واخذت عليهم الايمان بالطاعة وارسل أبو تغلب بن حمدان الى القرامطة بهجر هدايا جميلة قيمتها خمسون ألف درهم وفيها طلب سابور بن أبي طاهر القرمطي من اعمامه ان يسلموا الامر اليه والجيش وذكر ان أباه عهد اليه بذلك فحبسوه في داره ووكلوا به ثم اخرج ميتا في نصف رمضان فدفن ومنع أهله من البكاء عليه ثم أذن لهم بعد اسبوع ان يعملوا مايريدون وفيها ليلة الخميس رابع عشر رجب انخسف القمر جميعه وغاب منخسفا وفيها في شعبان وقعت حرب بين أبي عبد الله بن الداعي العلوي وبين علوي آخر يعرف باميرك وهو ابو جعفر الثائر في الله قتل فيها خلق كثير من الديلم والجيل وأسر ابو عبد الله ابن الداعي وسجن في قلعة ثم أطلق في المحرم سنة تسع وخمسين وعاد الى رياسته وصار أبو جعفر صاحب جيشه وفيها قبض بختيار على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين وعلى جميع أصحابه وقبض أموالهم واملاكهم واستوزر أبا الفرج محمد بن العباس ثم عزل أبا الفرج واعاد ابا الفضل وفيها اشتد الغلاء بالعراق واضطرب الناس فسعر السلطان الطعام فاشتد البلاء فدعته الضرورة الى ازالة التسعير فسهل الامر وخرج الناس من العراق الى الموصل والشام وخراسان من الغلاء وفيها نفي شيرزاد وكان قد غلب على أمر بختيار وصار يحكم على الوزير والجند وغيرهم فاوحش الاجناد وعزم الاتراك على قتله فنهاهم سبكتكين وقال لهم خوفوه ليهرب فهرب من بغداد وعهد الى بختيار ليحفظ ماله وملكه فلما سار عن بغداد قبض بختيار أمواله واملاكه ودوره وكان هذا مما يعاب به بختيار ثم ان شيرزاد سار الى ركن الدولة ليصلح أمره مع بختيار فتوفي بالري عند وصوله اليها وفيها توفي عبيد الله بن أحمد بن محمد أبو الفتح النحوي المعروف.

وشيلوا باب القفص فقيل له يا أمير المؤمنين انه سبع هائل اسود وحش فقال خلوا عنه فشالوا باب القفص فخرج سبع اسود له شعر عظيم مثل الثور فزأر وضرب بذنبه الى الارض فتهارب الناس وغلقت الابواب في وجهه وبقي الامين وحده جالسا موضعه غير مكترث بالاسد فقصده الاسد حتى دنا منه فضرب الامين يده الى مرفقة ارمنية فامتنع منه بها ومد السبع يده اليه فجذبها الامين وقبض على اصل اذنيه وغمزه ثم هزه ودفع به الى خلف فوقع السبع ميتا على مؤخره وتبادر الناس الامين فاذا اصابعه ومفاصل يديه قد زالت عن مواضعها فأتى بجبير فرد عظام أصابعه الى مواضعها وجلس كانه لم يعمل شيأ فشقوا بطن الاسد فاذا مرارته انشقت عن كبده (وحكي) ان المنصور جلس ذات يوم ودخل اليه بنو هاشم من أهله فقال لهم وهو مستبشر أما علمتم ان محمدا المهدي ولد البارحة له ولد ذكر وقد سميناه موسى فلما سمع القوم ذلك وجموا وكأنما فقئ في وجوههم

المعروف بخبخ وفيها مات عيسى الطبيب الذى كان طبيب القاهر بالله والحاكم فى دولته وكان قد عمى قبل موته بسنتين وكان مولده سنة احدى وسبعين ومائتين

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلثمائة

ذكر ملك الروم مدينة انطاكية

فى هذه السنة فى المحرم ملك الروم مدينة انطاكية وسبب ذلك انهم حصروا حصنا بالقرب من انطاكية يقال له حصن لوقا وانهم وافقوا أهله وهم نصارى على ان يرتحلوا منه الى انطاكية ويظهروا أنهم انما انتقلوا منه خوفا من الروم فاذا صاروا بانطاكية أعانوهم على فتحها وانصرف الروم عنهم بعد موافقتهم على ذلك وانتقل أهل الحصن ونزلوا بانطاكية بالقرب من الجبل الذى بها فلما كان بعد انتقالهم بشهرين وافى الروم مع أخى نقفور الملك وكانوا نحو أربعين ألف رجل فاحاطوا بسور انطاكية وصعدوا الجبل الى الناحية التى بها أهل حصن لوقا فلما رآهم أهل البلد قد ملكوا تلك الناحية طرحوا أنفسهم من السور وملك الروم البلد ووضعوا فى أهله السيف ثم أخرجوا المشايخ والعجائز والاطفال من البلد وقالوا لهم اذهبوا حيث شئتم فاخذوا الشباب من الرجال والنساء والصبيان والصبايا فحملوهم الى بلاد الروم سبيا وكانوا يزيدون على عشرين ألف انسان وكان حصرهم له فى ذى الحجة

ذكر ملك الروم مدينة حلب وعودهم عنها

لما ملك الروم انطاكية انفذوا جيشا كثيفا الى حلب وكان أبو المعالى شريف بن سيف الدولة محاصرا لها وبها قرعويه السيفى متغلبا عليها فلما سمع أبو المعالى خبرهم فارق حلب وقصد البرية ليبعد عنهم وحصروا البلد وفيه قرعويه وأهل البلد قد تحصنوا بالقلعة فملك الروم المدينة وحصروا القلعة فخرج اليهم جماعة من أهل حلب وتوسطوا بينهم وبين قرعويه وترددت الرسل فاستقر الامر بينهم على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرعويه اليهم وان يكون الروم اذا أرادوا الغزاة لا يمكن قرعويه أهل القرايا من الجلاء عنها ليبتاع الروم ما يحتاجون اليه منها وكان مع حلب حماة وحمص وكفرطاب والمعرة وافامية وشيزر وما بين ذلك من الحصون والقرايا وسلموا الرهائن الى الروم وعادوا عن حلب وتسلمها المسلمون

ذكر ملك الروم ملازكرد

وفيها أرسل ملك الروم جيشا الى ملازكرد من أعمال ارمينية فحصروها وضيقوا على من بها من المسلمين وملكوها عنوة وقهروا وعظمت شوكتهم وخافهم المسلمون فى أقطار البلاد وصارت كلها سائبة لا تمتنع عليهم يقصدون أيها شاؤا

ذكر مسير ابن العميد الى حسنويه

وفى هذه السنة جهز ركن الدولة وزيره أبا الفضل بن العميد فى جيش كثيف وسيرهم الى بلد حسنويه وكان سبب ذلك ان حسنويه بن الحسين الكردى كان قد قوى واستفحل أمره لاشتغال ركن الدولة بما هو أهم منه ولانه كان يعين الديلم على جيوش خراسان اذا قصدتهم فكان ركن الدولة يراعيه لذلك ويغضى على ما يبدو منه وكان يتعرض الى القوافل وغيرها بخفارة فبلغ ذلك ركن الدولة فسكت عنه فلما كان الآن وقع بينه وبين سهلان بن مسافر خلاف أدى الى ان قصده سهلان وحاربه وهزمه حسنويه فانحاز هو وأصحابه الى مكان اجتمعوا فيه فقصدهم حسنويه وحصرهم فيه ثم انه جمع من الشوك والنبات وغيره شيأ كثيرا وفرقه فى نواحى أصحاب

الرماد ولم يحيروا جوابا فنظر اليهم المنصور فقال لهم هذا موضع دعاء وتهنئة وأراكم قد سكتم ثم استرجع فقال كأنى بكم لما أخبرتكم بتسميتى اياه موسى اغتممتم به لان المولود المسمى بموسى بن محمد هو الذى على رأسه تختلف الكلمة وتنهب الخزائن ويضطرب الملك ويقتل أبوه وهو المخلوع من الخلافة ليس هو ذاك ولا هذا زمانه والله ان جد هذا المولود يعنى هرون الرشيد لم يولد بعد قال فدعوا له وهنوه وهنوا المهدى وكان هذا موسى الهادى أخا الرشيد وكان العهد الذى كتبه الرشيد بين الامين والمأمون وأودعه الكعبة ان الغادر منهما خارج من الامر أيهما غدر بصاحبه والخلافة للمغدور به (وذكر ياسر) انه لما احيط بمحمد دخلت أم جعفر باكية فقال لها مه انه ليس بجزع النساء وهلعهن عقدت التيجان والخلافة سياسة لا تسعها صدور المراضع وراءك وراءك ويقال ان محمدا اقصف عند طاهر فبينا طاهر فى بستانه اذ ورد كتاب من محمد

سهلان وألقى فيه النار وكان الزمان صيفا فاشتد عليهم الامر حتى كادوا يهلكون فلما عاينوا الهلاك طلبوا الامان فأمنهم فأخذهم عن آخرهم وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمله له فحينئذ أمر ابن العميد بالمسير اليه فتجهز وسار في المحرم ومعه ولده أبو الفتح وكان شابا مرحا قد أبطره الشباب والامر والنهي وكان يظهر منه ما يغضب بسببه والده وازدادت علته وكان به نقرس وغيره من الامراض لما وصل الى همذان توفي بها وقام ولده مقامه فصالح حسنويه على مال أخذه منه وعاد الى الري الى خدمة ركن الدولة وكان والده يقول عند موته ما قتلني الا ولدي وما أخاف على بيت العميد ان يخرب ويهلكوا الا منه فكان على ما ظن وكان أبو الفضل بن العميد من محاسن الدنيا قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من حسن التدبير وسياسة الملك والكتابة التي أتى فيها بكل بديع وكان عالما في عدة فنون منها الادب فانه كان من العلماء به ومنها حفظ اشعار العرب فانه حفظ منها ما لم يحفظ غيره مثله ومنها علوم الاوائل فانه كان ماهرا فيها مع سلامة اعتقاد الى غير ذلك من الفضائل ومع حسن خلق ولين عشرة مع أصحابه وجلسائه وشجاعة تامة ومعرفة بامور الحرب والمحاصرات وبه تخرج عضد الدولة ومنه تعلم سياسة الملك ومحبة العلم والعلماء وكان عمر ابن العميد قد زاد على ستين سنة يسيرا وكانت وزارته أربعا وعشرين سنة

﴿ذكر قتل نقفور ملك الروم﴾

في هذه السنة قتل نقفور ملك الروم ولم يكن من أهل بيت المملكة وانما كان دمستقا والدمستق عندهم الذي كان يلي بلاد الروم التي هي شرقي خليج القسطنطينية وأكثرها اليوم بيد أولاد قلج أرسلان وكان كل من يليها يلقب بالدمستق وكان هذا نقفور شديدا على المسلمين وهو الذي أخذ حلب أيام سيف الدولة فعظم شأنه عند الروم وهو أيضا الذي فتح طرسوس والمصيصة واذنة وعين زربة وغيرها ولم يكن نصرانى الاصل وانما هو من ولد رجل مسلم من أهل طرسوس يعرف بابن الفقاس تنصر وكان ابنه هذا شهما شجاعا حسن التدبير لما يتولاه فلما عظم أمره وقوي شأنه قتل الملك الذي كان قبله وملك الروم بعده وقد ذكرنا هذا جميعه فلما ملك تزوج امرأة الملك المقتول على كره منها وكان لها من الملك المقتول ابنان وجعل نقفور همته قصد بلاد الاسلام والاستيلاء عليها وتم له ما أراد باشتغال ملوك الاسلام بعضهم ببعض فدوخ البلاد وكان قد بنى أمره على ان يقصد سواد البلاد فينهبه ويخربه فيضعف البلاد فيملكها وغلب على الثغور الجزرية والشامية وسبا وأسر ما يخرج عن الحصر وهابه المسلمون هيبة عظيمة ولم يشكوا في انه يملك جميع الشام ومصر والجزيرة وديار بكر لخلوها من مانع فلما استفحل أمره أتاه أمر الله من حيث لم يحتسب وذلك انه عزم على ان يخصي ابني الملك المقتول لينقطع نسلهما ولا يعارض أحد أولاده في الملك فلما علمت أمهما ذلك قلقت منه واحتالت على قتله فارسلت الى ابن الشمشقيق وهو الدمستق حينئذ ووافقته على ان يصير اليها في زي النساء ومعه جماعة وقالت لزوجها ان نسوة من أهلها قد زاروها فلما صار اليها هو ومن معه جعلتهم في بيعة تتصل بدار الملك وكان ابن الشمشقيق شديد الخوف منه لعظم هيبته فاستجاب للمرأة الى ما دعته اليه فلما كان ليلة الميلاد من هذه السنة نام نقفور واستثقل في نومه ففتحت امرأته الباب ودخلوا اليه فقتلوه وثار بهم جماعة من أهله وخاصته فقتل منهم نيف وسبعون رجلا وأجلس في الملك الاكبر من ولدي الملك المقتول وصار المدبر له ابن الشمشقيق ويقال ان نقفور ما بات قط الا بسلاح الا تلك الليلة لما يريده الله تعالى من قتله وفناء أجله

﴿ذكر

بخطه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلم انه ما قام لنا مذ قام قائم بحقنا وكان جزاؤه الا السيف فانظر لنفسك أو دع قال فلم يزل والله يتبين موقع الكتاب من طاهر فلما رجع الى خراسان أخرجه الى خاصته وقال لهم والله ما هذا كتاب مضعوف ولكنه كتاب مخذول ولم يكن فيمن سلف من الخلفاء الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من أبوه وأمه من بني هاشم الا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومحمد ابن زبيدة وفي محمد ابن زبيدة يقول أبو الهذيل

ملك أبوه وأمه من نبعة ... منها سراج الامة الوهاج
شربت بمكة من ذرى بطحائها ... ماء النبوة ليس فيه مزاج

وفي سنة سبع وتسعين ومائة كان ابتداؤه بالغدر بالمأمون وفي سنة سبع وتسعين ومائة مات بالرقة عبد الملك بن صالح بن علي في أيام الامين وكان عبد الملك أفصح ولد العباس في عصره يقال ان الرشيد لما اجتاز ببلاد منبج من أرض الشام نظر الى قصر مشيد وبستان مغتم بالاشجار كثير الثمار فقال

﴿ذكر ملك أبى تغلب مدينة حران﴾

فى هذه السنة فى الثانى والعشرين من جمادى الاولى سار أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان الى حران فرأى أهلها قد أغلقوا أبوابها وامتنعوا منه فنازلهم وحصرهم فرعى أصحابه زروع تلك الاعمال وكان الغلاء فى العسكر كثيرا فبقى كذلك الى ثالث عشر جمادى الآخرة فخرج اليه نفران من أعيان أهلها ليلا وصالحاه وأخذا الامان لاهل البلد وعادا فلما أصبحا أعلما أهل حران مافعلاه فاضطربوا وحملوا السلاح وأرادوا قتلهما فسكنهم بعض أهلها فسكنوا واتفقوا على اتمام الصلح وخرجوا جميعهم الى أبى تغلب وفتحوا أبواب البلد ودخله أبو تغلب واخوته وجماعة من أصحابه وصلوا به الجمعة وخرجوا الى معسكرهم واستعمل عليهم سلامة البرقعيدى لانه طلبه أهله لحسن سيرته وكان اليه أيضا عمل الرقة وهو من أكابر أصحاب بنى حمدان وعاد أبو تغلب الى الموصل ومعه جماعة من احداث حران وسبب سرعة عوده ان بنى نمير عاثوا فى بلد الموصل وقتلوا العامل ببرقعيد فعاد اليهم ليكفهم

﴿ذكر قتل سليمان بن أبى على بن الياس﴾

فى هذه السنة قتل سليمان بن أبى على بن الياس الذى كان والده صاحب كرمان وسبب ذلك انه ذكر للامير منصور بن نوح صاحب خراسان ان أهل كرمان من القفص والبلوص معه وفى طاعته و طمعه فى كرمان فسيرمعه عسكرا اليها فلما وصل اليها وافقه القفص والبلوص وغيرهما من الامم المفارقة لطاعة عضد الدولة فاستفحل أمره وعظم جمعه فلقيه كوركير بن جستان خليفة عضد الدولة بكرمان وحاربه فقتل سليمان وابنا أخيه اليسع وهما بكر والحسين وعدد كثير من القواد الخراسانية وحملت رؤسهم الى عضد الدولة بشيراز فسيرها الى أبيه ركن الدولة فاخذ منهم جماعة كثيرة أسرى

﴿ذكر الفتنة بصقلية﴾

وفى هذه السنة استعمل المعز لدين الله الخليفة العلوى على جزيرة صقلية يعيش مولى الحسن بن على بن أبى الحسين لجمع القبائل فى دار الصناعة فوقع الشر بين موالى كنامة والقبائل فاقتتلوا فقتل من موالى كنامة كثير وقتل من الموالى بناحية سرقوسة جماعة وازداد الشر بينهم وتمكنت العداوة وسعى يعيش فى الصلح فلم يوافقوه وتطاول أهل الشر من كل ناحية ونهبوا وأفسدوا واستطالوا على أهل المراعى واستطالوا على أهل القلاع المستأمنة فبلغ الخبر الى المعز فعزل يعيش واستعمل أبا القاسم بن الحسن بن على بن أبى الحسين نيابة عن أخيه أحمد فسار اليها فلما وصل فرح به الناس وزال الشر من بينهم واتفقوا على طاعته

﴿ذكر حصر عمران بن شاهين﴾

فى هذه السنة فى شوال انحدر بختيار الى البطيحة لمحاصرة عمران بن شاهين فاقام بواسط يتصيد شهرا ثم أمر وزيره أبا الفضل ان ينحدر الى الجامدة وطفوف البطيحة وبنى أمره على ان يسد أفواه الانهار ومجارى المياه الى البطيحة ويردها الى دجلة والفاروث وربع طير فبنى المسنيات التى يمكن السلوك عليها الى العراق فطالت الايام وزادت دجلة فخربت ماعملوه وانتقل عمران الى معقل آخر من معاقل البطيحة ونقل كل ماله اليه فلما نقصت المياه واستقامت الطرق وجدوا مكان عمران بن شاهين فارغا فطالت الايام وضجر الناس من المقام وكرهوا تلك الارض من الحر والبق والضفادع وانقطاع المواد التى ألفوها وشغب الجند على الوزير وشتموه وأبوا أن

لمن هذا القصر قال لك ولى بك يا أمير المؤمنين قال فكيف بناء القصر قال دون منازلك وفوق منازل الناس قال فكيف مدينتك قال عذبة الماء باردة الهواء صلبة الموطا قليلة الادواء قال كيف ليلها قال سحر كله وقال له يا أبا عبد الرحمن ما أحسن بلادكم قال فكيف لا تكون كذلك وهى تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء فيافى فسيح وجبال وصح بين قيصوم وشيح فالتفت الرشيد الى الفضل ابن الربيع فقال ضرب السياط أهون على من هذا الكلام ولما سمى محمد ابنه الناطق بالحق وأخذ له العهد على الناس الفضل بن الربيع وزفر وموسى يومئذ لا ينطق بأمر ولا يعرف حسنا ولا يعقل قبيحا ولا يخلو من الحاجة الى من يخدمه فى ليله ونهاره ويقظته وقيامه وقعوده واحضنه على بن عيسى بن ماهان قال فى ذلك رجل أعمى من أهل بغداد يعرف بعلى بن أبى طالب

اضاع الخلافة غش الوزير
وفعل الامام ورأى المشير

يقيموا فاضطر بختيار الى مصالحة عمران على مال يأخذه منه وكان عمران قد خافه فى الاول وبذل له خمسة آلاف ألف درهم فلما رأى اضطراب أمر بختيار بذل ألفى ألف درهم فى نجوم ولم يسلم اليهم رهائن ولا حلف لهم على تأدية المال ولما رحل العسكر تخطف عمران اطراف الناس فغنم منهم وفسد عسكر بختيار وزالت عنهم الطاعة والهيبة ووصل بختيار الى بغداد فى رجب سنة احدى وستين وثلثمائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الآخر اصطلح قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان وأبو المعالى بن سيف الدولة وخطب لابى المعالى بحلب وكان بحمص وخطب هو وقرعويه فى أعمالهما للمعز لدين الله العلوى صاحب المغرب ومصر وفيها فى رمضان وقع حريق عظيم ببغداد فى سوق الثلاثاء فاحترق جماعة رجال ونساء واما الرجال وغيرها فكثير ووقع الحريق أيضا فى أربع مواضع من الجانب الغربى فيها أيضا وفيها كانت الخطبة بمكة للطيع لله وللقرامطة الهجريين وخطب بالمدينة للمعز لدين الله العلوى وخطب أبو أحمد الموسوى والد الشريف الرضى خارج المدينة للطيع لله وفيها مات عبيد بن عمر بن أحمد أبو القاسم العبسى المقرى الشافعى بقرطبة وله تصانيف كثيرة وكان مولده ببغداد سنة خمس وتسعين ومائتين وأبو بكر محمد بن داود الدينورى الصوفى المعروف بالرقى وهو من مشاهير مشايخهم وقيل مات سنة اثنتين وستين وفيها توفى القاضى أبو العلاء محارب بن محمد بن محارب الفقيه الشافعى فى جمادى الآخرة وكان عالما بالفقه والكلام

﴿ثم دخلت سنة ستين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عصيان أهل كرمان على عضد الدولة﴾

لما ملك عضد الدولة كرمان كما ذكرناه اجتمع القفص والبلوص وفيهم أبو سعيد البلوصى وأولاده على كلمة واحدة فى الخلاف وتحالفوا على الثبات والاجتهاد فضم عضد الدولة الى كوركير بن جستان عابد بن على فسارا الى جيرفت فيمن معهما من العساكر فالتقوا عاشر صفر فاقتتلوا وصبر الفريقان ثم انهزم القفص ومن معهم فقتل منهم خمسة آلاف من شجعانهم ووجوههم وقتل ابنان لابى سعيد ثم سار عابد بن على يقص آثارهم ليستأصلهم فاوقع بهم عدة وقائع وأثخن فيهم وانتهى الى هرموز فملكها واستولى على بلاد التيز ومكران وأسر ألفى أسير وطلب الباقون الامان وبذلوا تسليم معاقلهم وجبالهم على ان يدخلوا فى السلم وينزعوا شعار الحرب ويقيموا حدود الاسلام من الصلاة والزكاة والصوم ثم سار عابد الى طوائف أخر يعرفون بالحرومية والجاسكية يخيفون السبيل فى البحر والبر وكانوا قد أعانوا سليمان بن أبى على بن الياس وقد تقدم ذكرهم فاوقع بهم وقتل كثيرا منهم وانفذهم الى عضد الدولة فاستقامت تلك الارض مدة من الزمان ثم لم يلبث البلوص ان عادوا الى ما كانوا عليه من سفك الدم وقطع الطريق فلما فعلوا ذلك تجهز عضد الدولة وسار الى كرمان فى ذى القعدة فلما وصل الى السيرجان رأى فسادهم وما فعلوه من قطع الطريق بكرمان وسجستان وخراسان فجرد عابد بن على فى عسكر كثيف وأمره باتباعهم فلما أحسوا به أوغلوا فى الهرب الى مضايق ظنوا ان العسكر لا يتوغلها فاقاموا آمنين فسار فى آثارهم فلم يشعروا الا وقد أطل عليهم فلم يمكنهم الهرب فصبروا يومهم وهو تاسع عشر ربيع الاول من سنة احدى وستين وثلثمائة ثم انهزموا آخر النهار وقتل أكثر رجالهم المقاتلة وسبى الذرارى والنساء وبقى القليل وطلبوا الامان فاجيبوا اليه ونقلوا عن تلك الجبال واسكن عضد

وماذاك الاطريقا غرور
وشر المسالك طرق الغرور
فعال الخليفة اعجوبة
واعجب منه فعال الوزير
واعجب من ذا وذا أننا
نبايع للطفل فينا الصغير
ومن ليس يحسن مسح آنفه
ولم يخل من متنه حجر ظير
وماذاك الا بباغ وغاو
يريدان نقض الكتاب المنير
وهذان لولا انقلاب الزما
ن فى العير هذان أم فى النفير
ولكنها فتن كالجبال
ترفع فيها بضع الحقير
ولما قتل طاهر بن الحسين
على بن عيسى بن ماهان
سار فنزل حلوان وذلك
على خمسة أيام من مدينة
السلام فتعجب الناس من
أمره وادبار أصحاب الامين
وهزيمتهم فى كل حال
وايقنوا بقتله وظهور
المأمون واسقط فى يدى
الفضل بن الربيع وأصحابه
فقال الشاعر
عجبت لمعشر يرجون نجحا
لامر ماتتم به الامور
وكيف يتم ما عقدوا وراموا
وأس بنائهم منه الفجور
أهاب الى الضلال بهم غوى
وشيطان مواعده غرور
يصيب بهم ويلعب كل لعب
كما لعبت بشار بها الخمور

الدولة مكانهم الاكرة والزراعين حتى طبقوا تلك الارض بالعمل وتتبع عابد تلك الطوائف برا وبحرا حتى أتى عليهم وبدد شملهم

(ذكر ملك القرامطة دمشق)

فى هذه السنة فى ذى القعدة وصل القرامطة الى دمشق فملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح وسبب ذلك انهم لما بلغهم استيلاء جعفر بن فلاح على الشام أهمهم وأزعجهم وقلقوا لانهم كان قد تقرر بينهم وبين ابن طغج ان يحمل اليهم كل سنة ثلثمائة ألف دينار فلما ملكها جعفر علموا ان المال يفوتهم فعزموا على قصد الشام وصاحبهم حينئذ الحسين بن أحمد بن بهرام القرمطى فارسل الى عز الدولة بختيار يطلب منه المساعدة بالسلاح والمال فاجابه الى ذلك واستقر الحال انهم اذا وصلوا الى الكوفة سائرين الى الشام حمل الذى استقر فلما وصلوا الى الكوفة أوصل اليهم ذلك وساروا الى دمشق وبلغ خبرهم الى جعفر بن فلاح فاستهان بهم ولم يحترز منهم فلم يشعر بهم حتى كبسوه بظاهر دمشق وقتلوه وأخذوا ماله وسلاحه ودوابه وملكوا دمشق وأمنوا أهلها وساروا الى الرملة واستولوا على جميع ما بينهما فلما سمع من بها من المغاربة خبرهم ساروا عنها الى يافا فتحصنوا بها وملك القرامطة الرملة وساروا الى مصر وتركوا على يافا من يحصرها فلما وصلوا الى مصر اجتمع معهم خلق كثير من العرب والجند والاخشيدية والكافورية فاجتمعوا بعين شمس عند مصر واجتمع عساكر جوهر وخرجوا اليهم فاقتتلوا غير مرة الظفر فى جميع تلك الايام للقرامطة وحصروا المغاربة حصرا شديدا ثم ان المغاربة خرجوا فى بعض الايام من مصر وحملوا على ميمنة القرامطة فانهزم من بها من العرب وغيرهم وقصدوا سواد القرامطة فنهبوه فاضطروا الى الرحيل فعادوا الى الشام فنزلوا الرملة ثم حصروا يافا حصرا شديدا وضيقوا على من بها فسير جوهر من مصر نجدة الى أصحابه المحصورين بيافا ومعهم ميرة فى خمسة عشر مركبا فارسل القرامطة مراكبهم اليها فاخذوا مراكب جوهر ولم ينج منها غير مركبين فغنم مراكب الروم وللحسين بن بهرام مقدم القرامطة شعر فنه فى المغاربة أصحاب المعز لدين الله

زعمت رجال الغرب انى هبتها * فدمى اذا ما بينهم مطلول

يا مصر ان لم أسق أرضك من دم * يروى ثراك فلا سقانى النيل

(ذكر قتل محمد بن الحسين الزناتى)

فى هذه السنة قتل يوسف بلكين بن زيرى محمد بن الحسين بن خزر الزناتى وجماعة من أهله وبنى عمه وكان قد عصى على المعز لدين الله بافريقية وكثر جمعه من زناتة والبربر فاهم المعز أمره لانه أراد الخروج الى مصر فخاف ان يخلف محمدا فى البلاد عاصيا وكان جبارا عاتيا طاغيا وأما كيفية قتله فانه كان يشرب هو وجماعة من أهله وأصحابه فعلم يوسف به فسار اليه جريدة متخفيا فلم يشعر به محمد حتى دخل عليه فلما رآه محمد قتل نفسه بسيفه وقتل يوسف الباقين وأسر منهم فحل ذلك عند المعز محلا عظيما وقعد للهناء به ثلاثة أيام

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قبض عضد الدولة على كوركير بن جستان فبقى فيه ابقاء وموضع للصلح وفيها تزوج أبو تغلب بن حمدان ابنة عز الدولة بختيار وعمرها ثلاث سنين على صداق مائة ألف دينار وكان الوكيل فى قبول العقد أبا الحسن على بن عمرو بن ميمون صاحب أبى تغلب بن حمدان ووقع العقد فى صفر وفيها قتل رجلان بمعبد برماريحا بيل بظاهر الموصل فصادر أبو تغلب جماعة

وكادوا الحق والمأمون غدرا
وليس بمفلح أبدا غرور
هو العدل النجيب البر فينا
تضمن حبه منا الصدور
وعاقبة الامور له يقينا
به شهد الشريعة والزبور
فملك أربعين لها وفاء
يتم به الاهلة والشهور
فكيدوا أجمعين بكل كيد
وكيدكم له فيه السرور

وبلغ محمدا الخبر مع قواده عند ما ظهر من أمر طاهر وشاورهم وقال أحضروا لى غناءكم كما أحضرت خراسان لعبد الله غناءها وكانت كما قال أعشى ربيعة

ثم ما هابوا ولكن قدموا
كبش غارات اذا لاقى نطح

أما والله لقد حدثت بحديث الامم السالفة وقرأت كتب حروبها وقصص من أقام دولها فما رأيت فى حديثهم حديثا لرجل منهم وأبى كهذا الرجل فى اقدامه وسياسته وقد قصدنى واجترأ على وعلى العامة العظيمة من الجند وجمع القواد وساسة الحروب فهاتوا ما عندكم فقالوا يبقى الله أمير المؤمنين ويكفيه كما كفى الخلفاء قبله بغى من بغى عليهم ولما انهزم

من النصارى وفيها استوزر مؤيد الدولة بن ركن الدولة الصاحب أبا القاسم بن عباد وأصلح أموره كلها وفيها مات أبو القاسم سليمان بن أيوب الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة باصبهان وكان عمره مائة سنة وأبو بكر محمد بن الحسين الآجري بمكة وهما من حفاظ المحدثين وفيها توفي السري بن أحمد بن السري أبو الحسن الكندي الرفا الشاعر الموصلي ببغداد

﴿ثم دخلت سنة احدى وستين وثلثمائة﴾

﴿ذكر مافعله الروم بالجزيرة﴾

في هذه السنة في المحرم أغار ملك الروم على الرها ونواحيها وسار وافي ديار الجزيرة حتى بلغوا نصيبين فغنموا وسبوا وأحرقوا وخربوا البلاد وفعلوا مثل ذلك بديار بكر ولم يكن من أبي تغلب بن حمدان في ذلك حركة ولا سعي في دفعه لكنه حمل اليه مالا كفه به عن نفسه فسار جماعة من أهل تلك البلاد الى بغداد مستنفرين وقاموا في الجوامع والمشاهد واستنفروا المسلمين وذكروا مافعله الروم من النهب والقتل والاسر والسبي فاستعظمه الناس وخوفهم أهل الجزيرة من انفتاح الطريق وطمع الروم وانهم لامانع لهم عندهم فاجتمع معهم أهل بغداد وقصدوا دار الخليفة الطائع لله وأرادوا الهجوم عليه فمنعوا من ذلك وأغلقت الابواب فاسمعوا مايقبح ذكره وكان بختيار حينئذ يتصيد بنواحي الكوفة فخرج اليه وجوه أهل بغداد مستغيثين منكرين عليه اشتغاله بالصيد وقتال عمران بن شاهين وهو مسلم وترك جهاد الروم ومنعهم عن بلاد الاسلام حتى توغلوها فوعدهم التجهز للغزاة وأرسل الى الحاجب سبكتكين يأمره بالتجهز للغزو وان يستنفر العامة ففعل سبكتكين ذلك فاجتمع من العامة عدد كثير لا يحصون كثرة وكتب بختيار الى أبي تغلب بن حمدان صاحب الموصل يأمره باعداد الميرة والعلوفات ويعرفه عزمه على الغزاة فاجابه باظهار الفرح واعداد ماطلب منه

﴿ذكر الفتنة ببغداد﴾

في هذه السنة وقعت ببغداد فتنة عظيمة وأظهروا العصبية الزائدة وتحزب الناس وظهر العيارون وأظهروا الفساد وأخذوا أموال الناس وكان سبب ذلك ماذكرناه من استنفار العامة للغزاة فاجتمعوا وكثروا فتولد بينهم من أصناف البنوية والفتيان والسنية والشيعة والعيارين فنهبت الاموال وقتل الرجال وأحرقت الدور وفي جملة مااحترق محلة الكرخ وكانت معدن التجار والشيعة وجرى بسبب ذلك فتنة بين النقيب أبي أحمد الموسوي والوزير أبي الفضل الشيرازي وعداوة ثم ان بختيار أنفذ الى المطيع لله يطلب منه مالا يخرجه في الغزاة فقال المطيع ان الغزاة والنفقة عليها وغيرها من مصالح المسلمين تلزمني اذا كانت الدنيا في يدي وتجبى الي الاموال وأما اذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شئ من ذلك وانما يلزم من البلاد في يده وليس لي الا الخطبة فان شئتم ان أعتزل فعلت وترددت الرسائل بينهما حتى بلغوا الى التهديد فبذل المطيع لله أربعمائة ألف درهم فاحتاج الى بيع ثيابه وأنقاض داره وغير ذلك وشاع بين الناس من العراقيين وحجاج خراسان وغيرهم ان الخليفة قد صودر فلما قبض بختيار المال صرفه في مصالحه وبطل حديث الغزاة

﴿ذكر مسير المعز لدين الله العلوي من الغرب الى مصر﴾

في هذه السنة سار المعز لدين الله العلوي من افريقية يريد الديار المصرية وكان أول مسيره أواخر شوال من سنة احدى وستين وثلثمائة وكان أول رحيله من المنصورية فاقام بسردانية وهي

جيش محمد بين يدي طاهر ولم يقم له قائمة منهم قال سليمان بن أبي جعفر لعن الله الغدار ماذا اجلب على الامة بغدره وسوء رأيه وأبعده الله نسبه أهل الفضل لاسرع ماانتصر الله للمأمون بكبش المشرق وفي ذلك يقول الشاعر

تبا الذي الايام والمتزندق ... ماذا دعاه الى العظيم الموثق
والغدر بالبر الزكي أخي التقى ... والسائس المأمون غير الأخرق
زين الخلافة والامامة والنهى ... أهل السماحة والندى المتدفق
ان تغدروا جهلا بوارث أحمد ... ووصي كل مسدد وموفق
فالله للمأمون خير موازر ... والماجد القمقام كبش المشرق

ولما أحيط بمحمد من الجانب الشرقي والغربي وكان هرثمة بن أعين نازلا مما يلي النهروان بالقرب من باب خراسان وثلاثة أبواب وطاهر من الجانب الغربي مما يلي الناشرية وباب المحول والكناس جمع قواده فقال الحمد لله الذي

قرية قريبة من القيروان ولحقه بها رجاله وعماله وأهل بيته وجميع ما كان له فى قصره من أموال وأمتعة وغير ذلك حتى ان الدنانير سبكت وجعلت كهيئة الطواحين وجعل كل طاحونتين على جمل وسار عنها واستعمل على بلاد افريقية يوسف بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى الحميرى الا انه لم يجعل له حكما على جزيرة صقلية ولا على مدينة طرابلس الغرب ولا على اجدابية وسرت وجعل على صقلية حسن بن على بن أبى الحسين على ما قدمنا ذكره وجعل على طرابلس عبد الله ابن يخلف الكتامى وكان أسيرا عنده وجعل على جباية أموال افريقية زيادة الله بن القديم وعلى الخراج عبد الجبار الخراسانى وحسين بن خلف الموصدى وأمرهم بالانقياد ليوسف بن زيرى فاقام بسردانية أربعة أشهر حتى فرغ من جميع ما يريد ثم رحل عنها ومعه يوسف بلكين وهو يوصيه بما يفعله ونحن نذكر آنفا من سلف يوسف بلكين وأهله ما تمس الحاجة اليه ورد يوسف الى أعماله وسار الى طرابلس ومعه جيوشه وحواشيه فهرب منه بها جمع من عسكره الى جبال نفوسة فطلبهم فلم يقدر عليهم ثم سار الى مصر فلما وصل الى برقة ومعه محمد بن هانئ الشاعر الاندلسى قتل غيلة فروئى ملقى على جانب البحر قتيلا لا يدرى من قتله وكان قتله أواخر رجب من سنة اثنتين وستين وثلثمائة وكان من الشعراء المجيدين الا انه غالى فى مدح المعز حتى كفره العلماء فمن ذلك قوله

ماشئت لا ماشاءت الاقدار * فاحكم فانت الواحد القهار

وقوله * ولطالما زاحمت تحت ركابه جبريلا * ومن ذلك ما ينسب اليه ولم أجدها فى ديوانه قوله

حل برقادة المسيح * حل بها آدم ونوح

حل بها الله ذو المعالى * فكل شئ سواه ريح

ورقادة اسم مدينة بالقرب من القيروان الى غير ذلك وقد تأول ذلك من يتعصب له والله أعلم وبالجملة فقد جاوز حد المديح ثم سار المعز حتى وصل الى الاسكندرية أواخر شعبان من السنة وأتاه أهل مصر وأعيانها فلقيهم وأكرمهم وأحسن اليهم وسار فدخل القاهرة خامس شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة وأنزل عساكره مصر والقاهرة فى الديار وبقى كثير منهم فى الخيام وأما يوسف بلكين فانه لما عاد من وداع المعز أقام بالمنصورية يعقد الولايات للعمال على البلاد ثم سار فى البلاد وباشر الاعمال وطيب قلوب الناس فوثب أهل باغاية على عامله فقاتلوه فهزموه فسير اليهم يوسف جيشا فقاتلهم فلم يقدر عليهم فارسل الى يوسف يعرفه الحال فتأهب يوسف وجمع العساكر ليسير اليهم فبينما هو فى التجهز أتاه الخبر عن تاهرت ان أهلها قد عصوا وخالفوا وأخرجوا عامله فرحل الى تاهرت فقاتلها فظفر بأهلها وخربها فأتاه الخبر بها ان زناتة قد نزلوا على تلمسان فرحل اليهم فهربوا منه وأقام على تلمسان فحصرها مدة ثم نزلوا على حكمه فعفا عنهم الا انه نقلهم الى مدينة اشير فبنوا عندها مدينة سموها تلمسان ثم ان زيادة الله بن القديم جرى بينه وبين عامل آخر كان معه اسمه عبد الله بن محمد الكاتب منافسة صارت الى محاربة واجتمع مع كل واحد منهما جماعة وكان بينهما حروب عدة دفعات وكان يوسف بلكين مائلا مع عبد الله لصحبة قديمة بينهما ثم ان أبا عبد الله قبض على ابن القديم وسجنه واستبد بالامور بعده وبقى ابن القديم محبوسا حتى توفى المعز بمصر وقوى أمر يوسف بلكين وفى سنة أربع وستين طلع خلف بن حسين الى قلعة منيعة فاجتمع اليه خلق كثير من البربر وغيرهم وكان من أصحاب ابن القديم المساعدين له

يضع من يشاء بقدرته ويرفع والحمد لله الذى يعطى بقدرته من يشاء ويمنع والحمد لله الذى يقبض ويبسط واليه المصير أحمده على نوائب الزمان وخذلان الاعوان وتشتت الحال وكسوف البال وصلى الله على رسوله وآله وسلم وقال انى لافارقكم بقلب موجع ونفس حزينة وحسرة عظيمة انى محتال لنفسى فأسأل الله ان يلطف بى بمعونته ثم كتب الى طاهر أما بعد فانك نصحت فنصحت وحاربت فنصرت وقد يغلب الغالب ويخذل المفلح وقد رأيت الصلاح فى معاونة أخى والخروج اليه من هذا السلطان اذ كان أولى به وأحق فأعطنى الامان على نفسى وولدى وأمى وجدتى وحاشيتى وانصارى واخوانى أخرج اليه وهذا الامر الى أخى فان رأى الوفاء لى بأمانك والا كان أولى وأحق قال فلما قرأ طاهر الكتاب قال الآن ضيق خناقه وهبض جناحه وانهزم فساقه لا والذى نفسى بيده حتى يضع يده فى يدى وينزل

فسمع يوسف بذلك فسار اليه ونازل القلعة وحاربه فقتل بينهم ماعدة قتلى وافتتحها وهرب خلف بن حسين وقتل ممن كان بها خلق كثير وبعث الى القيروان من رؤسهم سبعة آلاف رأس ثم أخذ خلف وأمر به فطيف به على جمل ثم صلب وسير رأسه الى مصر فلما سمع أهل باغاية بذلك خافوا فصالحوا يوسف ونزلوا على حكمه فأخرجهم من باغاية وخرب سورها

﴿ذكر خبر يوسف بلكين بن زيري بن مناد وأهل بيته﴾

هو يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الحميري اجتمعت صنهاجة ومن والاها بالمغرب على طاعته قبل ان يقدمه المنصور وكان أبوه مناد كبيرا في قومه كثير المال والولد حسن الضيافة لمن يمر به وتقدم ابنه زيري في أيامه وقاد كثيرا من صنهاجة وأغار بهم وسبى فحسده زناتة وجمعت له لتسير اليه وتحاربه فسار اليهم مجدا فكبسهم ليلا وهم غارون بارض مغيلة فقتل منهم كثيرا وغنم ما معهم فكثر بعده فضاقت بهم أرضهم فقالوا له لو اتخذت لنا بلدا غير هذا فسار بهم الى موضع مدينة اشير فرأى ما فيه من العيون فاستحسنه وبنى فيه مدينة أشير وسكنها هو وأصحابه وكان ذلك سنة أربع وستين وثلثمائة وكانت زناتة تفسد في البلاد فاذا طلبوا احتموا بالجبال والبراري فلما بنيت آشير صارت صنهاجة بين البلاد وبين زناتة والبربر فسر بذلك القائم وسمع زيري بعمارة وفسادهم واستحلالهم المحرمات وانهم قد ظهر فيهم نبي فسار اليهم وغزاهم وظفر بهم وأخذ الذي كان يدعي النبوة أسيرا وأحضر الفقهاء فقتله ثم كان له أثر حسن في حادثة أبي يزيد الخارجي وحمل الميرة الى القائم بالمهدية فحسن موقعها منه ثم ان زناتة حصرت مدينة أشير فجمع لهم زيري جموعا كثيرة وجرى بينهم عدة وقعات قتل فيها كثير من الفريقين ثم ظفر بهم واستباحهم ثم ظهر بجبل أوراس رجل وخالف على المنصور وكثر جمعه يقال له سعيد بن يوسف فسير اليه زيري ولده بلكين في جيش كثيف فلقيه عند باغاية واقتتلوا فقتل الخارجي ومن معه من هوارة وغيرهم فزاد محله عند المنصور وكان له في فتح مدينة فاس أثر عظيم على ما ذكرناه ثم ان بلكين بن زيري قصد محمد بن الحسين بن خزر الزناتي وقد خرج عن طاعة المعز وكثر جمعه وعظم شأنه فظفر به يوسف بلكين وأكثر القتل في أصحابه فسر المعز بذلك سرورا عظيما لانه كان يريد أن يستخلف يوسف بلكين على الغرب لقوته وكثرة أتباعه وكان يخاف ان يتغلب على البلاد بعد مسيره عنها الى مصر فلما استحكمت الوحشة بينه وبين زناتة أمن تغلبه على البلاد ثم ان جعفر بن علي صاحب مدينة مسيلة وأعمال الزاب كان بينه وبين زيري محاسدة فلما كثر تقدم زيري عند المعز ساءه ذلك جعفرا ففارق بلاده ولحق بزناتة فقبلوه قبولا عظيما وملكوه عليهم عداوة لزيري وعصى على المعز فسار زيري اليه في جمع كثير من صنهاجة وغيرهم فالتقوا في شهر رمضان واشتد القتال بينهم فكبا بزيري فرسه فوقع فقتل ورأى جعفر من زناتة تغيرا عن طاعته وندما على قتل زيري فقال لهم ان ابنه يوسف بلكين لا يترك ثار أبيه ولا يرضى عن قتل منكم والرأى ان نتحصن بالجبال المنيعة والاوعار فأجابوه الى ذلك فحمل ماله وأهله في المراكب وبقي هو مع الزناتيين وأمر عبيده في المراكب ان يعملوا في المراكب فتنة ففعلوا وهو يشاهدهم من البر فقال لزناتة أريد انظر ما سبب هذا الشر فصعد المركب ونجا معهم وسار الى الاندلس الى الحاكم الاموي فأكرمه وأحسن اليه وندمت زناتة كيف لم يقتلوه ويغنموا ما معه ثم ان يوسف بلكين جمع فأكثر وقصد زناتة وأكثر القتل فيهم وسبى نساءهم وغنم اولادهم وأمر ان يجعل القدور على رؤسهم ويطبخ فيها ولما سمع المعز بذلك سره أيضا وزاد في اقطاع بلكين المسيلة وأعمالها وعظم شأنه ونذكر باقي أحواله بعد

على حكمي فعند ذلك كتب الى هرثمة يسأله النزول على حكم امانه وقد كان المخلوع جهز جماعة من رجاله من الابناء وغيرهم ممن استأمن اليه لدفع المأمونية عنده فالوا نحو هرثمة وكان طاهر بعد هرثمة بالرجال ولم يلق هرثمة مع ذلك كثير كيد فلما مال من ذكرنا الى حرب هرثمة وعلى الجيش بشر وبشر الازدمان وانفض الجمع وكان طاهر قد نزل في البستان المعروف بباب الكبش بالطاهري ففي ذلك يقول بعض العيارين من أهل بغداد ومن أهل السجون

لنا من طاهر يوم
عظيم الشأن والخطب
علينا فيه بالانجا
د عن هرثمة الكلب
ومنا لابي الطيب
يوم صادق الكرب
أتاه كل كرار
ولص كان ذا نقب
وعريان على جنبيه
آثار من الضرب
اذا ما حل من شرق
أتيناه من الغرب

ماملكه افريقية

﴿ذكر الصلح بين الامير منصور بن نوح وبين ركن الدولة وعضد الدولة﴾

فى هذه السنة تم الصلح بين الامير منصور بن نوح السامانى صاحب خراسان وماوراء النهر وبين ركن الدولة وابنه عضد الدولة على ان يحمل ركن الدولة وعضد الدولة اليه كل سنة مائة ألف وخمسين ألف دينار وتزوج نوح بابنة عضد الدولة وحمل اليه من الهدايا والتحف مالم يحمل مثله وكتب بينهم كتاب صلح وشهد فيه أعيان خراسان وفارس والعراق وكان الذى سعى فى هذا الصلح وقرره محمد بن ابراهيم بن سيمجور صاحب جيوش خراسان من جهة الامير منصور

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى صفر انقض كوكب عظيم وله نور كثير وسمع له عند انقضاضه صوت كالرعد وبقى ضوءه وفى شوّال منها ملك أبو تغلب بن حمدان قلعة ماردين سلمها اليه نائب أخيه حمدان فأخذ أبو تغلب كل ما كان لاخيه فيها من أهل ومال وأثاث وسلاح وحمل الجميع الى الموصل

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وستين وثلثمائة﴾

﴿ذكر انهزام الروم وأسر الدمستق﴾

فى هذه السنة كانت وقعة بين هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان وبين الدمستق بناحية ميافارقين وكان سببها ما ذكرناه من غزو الدمستق بلاد الاسلام ونهبه ديار ربيعة وديار بكر فلما رأى الدمستق انه لا مانع له عن مراده قوى طمعه على أخذ آمد فسار اليها وبها هزارمرد غلام أبى الهيجاء بن حمدان فكتب الى أبى تغلب يستصرخه ويستنجده ويعلمه الحال فسير اليه أخاه أبا القاسم هبة الله بن ناصر الدولة واجتمعا على حرب الدمستق وسارا اليه فلقياه سلخ رمضان وكان الدمستق فى كثرة لكنه لقياه فى مضيق لا تجول فيه الخيل والروم على غير أهبة فانهزموا وأخذ المسلمون الدمستق أسيرا ولم يزل محبوسا الى ان مرض سنة ثلاث وستين وثلثمائة فبالغ أبو تغلب فى علاجه وجمع الاطباء له فلم ينفعه ذلك ومات

﴿ذكر حريق الكرخ﴾

فى هذه السنة فى شعبان احترق الكرخ حريقا عظيما وسبب ذلك ان صاحب المعونة قتل عاميا فثار به العامة والاتراك فهرب ودخل دار بعض الاتراك فاخرج منها مسحوبا وقتل وأحرق وفتحت السجون فاخرج من فيها فركب الوزير أبو الفضل لاخذ الجناة وأرسل حاجبا له يسمى صافيا فى جمع لقتال العامة بالكرخ وكان شديد العصبية للسنية فألقى النار فى عدة أماكن من الكرخ فاحترق حريقا عظيما وكان عدة من احترق فيه سبعة عشر ألف انسان وثلثمائة دكان وكثير من الدور وثلاثة وثلاثين مسجدا ومن الاموال مالا يحصى

﴿ذكر عزل أبى الفضل من وزارة عز الدولة ووزارة ابن بقية﴾

وفيها أيضا عزل الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين من وزارة عز الدولة بختيار فى ذى الحجة واستوزر محمد بن بقية فعجب الناس لذلك لانه كان وضيعا فى نفسه من أهل أوانا وكان أبوه أحد الزراعين لكنه كان قريبا من بختيار وكان يتولى له المطبخ ويقدم اليه الطعام ومنديل الخوان على كتفه الى ان استوزر وحبس الوزير أبو الفضل فمات عن قريب فقيل انه مات مسموما وكان فى ولايته مضيعا لجانب الله فمن ذلك انه أحرق الكرخ ببغداد فهلك فيه من الناس والاموال مالا يحصى ومن ذلك انه ظلم الرعية وأخذ الاموال ليفرقها على الجند ليسلم فما سلمه الله تعالى

وضاق الامر بمحمد الامين ففرق فى قواده المحدثين دون غيرهم خمسمائة ألف درهم وقارورة غالية ولم يعط قدماء أصحابه شيأ فأنت طاهرا عيونه وجواسيسه بذلك فراسلهم وكاتبهم ووعدهم ومناهم وأغرى الاصاغر بالقادة حتى غضبوا لذلك وسعوا الى الامين وقال بعضهم

قل للامين الناس فى نفسه
ماشتت الجند سوى الغاليه
وطاهر نفسى فدا طاهر
برسله والعدة الكافيه
أضحى زمام الملك فى كفه
مقابلا للفئة الباغيه
قد جاءك الليث بسيداته
مستكلبا فى أسد ضاريه
فاهرب فلا مهرب من مثله
حقا الى النار أو الهاويه

وانتقل طاهر من الناشرية فنزل بباب الانبار وحاصر أهل بغداد وغادى القتال وراوحه حتى توا كل الفريقان وخربت الديار وعفت الآثار وغلت الاسعار وذلك فى سنة ست وتسعين ومائة

ولا نفعه ذلك وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس وكان ما فعله من ذلك أبلغ الطرق التى سلكها أعداؤه من الوقيعة فيه والسعى به وتغطى لهم ما أرادوا لما كان عليه من تفريطه فى أمر دينه وظلم رعيته وعقب ذلك ان زوجته ماتت وهو محبوس وحاجبه وكاتبه فخربت داره وعفا أثرها نعوذ بالله من سوء الاقدار ونسأله ان يختم بخير أعمالنا فان الدنيا الى زوال ماهى واما ابن بقية فانه استقامت أموره ومشت الاحوال بين يديه بما اخذه من أموال أبى الفضل وأموال أصحابه فلما فنى ذلك عاد الى ظلم الرعية فانتشرت الامور على يده وخربت النواحى وظهر العيارون وعملوا ما أرادوا وزاد الاختلاف بين الاتراك وبين بختيار فشرع ابن بقية فى اصلاح الحال مع بختيار وسبكتكين فاصطلحوا وكانت هدنة على دخن وركب سبكتكين الى بختيار ومعه الاتراك فاجتمع به ثم عاد الحال الى ما كان عليه من الفساد وسبب ذلك ان ديلميا اجتاز بدار سبكتكين وهو سكران فرمى الروشن بزوبين فى يده فاثبته فيه وأحس به سبكتكين فصاح بغلمانه فاخذوه وظن سبكتكين انه قد وضع على قتله فقرره فلم يعترف وأنفذه الى بختيار وعرفه الحال فامر بقتله فقوى ظن سبكتكين انه كان وضعه عليه واغتاله لئلا يفشى ذلك وتحرك الديلم لقتله وحملوا السلاح ثم أرضاهم بختيار فرجعوا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ذى الحجة أرسل عز الدولة بختيار الشريف أبا أحمد الموسوى والد الرضى والمرتضى فى رسالة الى أبى تغلب بن حمدان بالموصل فمضى اليه وعاد فى المحرم سنة ثلاث وستين وثلثمائة وفيها توفى أبو العباس محمد بن الحسن بن سعيد المخرمى الصوفى صاحب الشبلى بمكة

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلثمائة﴾

﴿ذكر استيلاء بختيار على الموصل وما كان من ذلك﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار بختيار الى الموصل ليستولى عليها وعلى أعمالها وما بيد أبى تغلب ابن حمدان وكان سبب ذلك ما ذكرناه من مسير حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان وأخيه ابراهيم الى بختيار واستجارتهما به وشكواهما اليه من أخيهما أبى تغلب فوعدهما أن ينصرهما ويخلص أعمالهما وأموالهما منه وينتقم لهما واشتغل عن ذلك بما كان منه فى البطيحة وغيرها فلما فرغ من جميع أشغاله عاود حمدان وابراهيم الحديث معه وبذل له حمدان مالا جزيلا وصغر عنده أمر أخيه أبى تغلب وطلب ان يضمنه بلاده ليكون فى طاعته ويحمل اليه الاموال ويقيم له الخطبة ثم ان الوزير أبا الفضل حسن ذلك وأشار به ظنا منه ان الاموال تكثر عليه فتمشى الامور بين يديه ثم ان ابراهيم بن ناصر الدولة هرب من عند بختيار وعاد الى أخيه أبى تغلب فقوى عزم بختيار على قصد الموصل أيضا ثم عزل أبا الفضل الوزير واستوزر ابن بقية فكاتبه أبو تغلب فقصر فى خطابه فاغرى به بختيار وحمله على قصده فسار عن بغداد ووصل الى الموصل تاسع عشر ربيع الآخر ونزل بالدير الاعلى وكان أبو تغلب ابن حمدان قد سار عن الموصل لما قرب منه بختيار وقصد سنجار وكسر العروب وأخلى الموصل من كل ميرة وكاتب الديوان ثم سار من سنجار يطلب بغداد ولم يعرض الى أحد من سوادها بل كان هو وأصحابه يشترون الاشياء باوفى الاثمان فلما سمع بختيار بذلك أعاد وزيره ابن بقية والحاجب سبكتكين الى بغداد فاما ابن بقية فدخل الى بغداد وأما سبكتكين فاقام بحربى وكان أبو تغلب قد قارب بغداد فثار العيارون بها وأهل الشر بالجانب

وقاتل الاخ أخاه والابن أباه هؤلاء محمدية وهؤلاء مامونية وهدمت المنازل وأحرقت الديار وانتهبت الاموال فقال الاعمى فى ذلك

تقطعت الارحام بين العشائر
وأسلمهم أهل التقى والبصائر
فذاك انتقام الله من خلقه بهم
لما اجترموه من ركوب الكبائر
فلا نحن اظهرنا من الذنب توبة
ولا نحن اصلحنا فساد السرائر
ولا نستمع من واعظ ومذكر
فينجع فيما وعظ ناه وآمر
فابك على الاسلام لما تقطعت
رجاه ورجى خيرها كل كافر
فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم
فمن بين مقهور عزيز وقاهر
وصار رئيس القوم يحمل نفسه
وصار رئيسهم كل شاطر

الغربي ووقعت فتنة عظيمة بين السنية والشيعة وحمل أهل سوق الطعام وهم من السنية امرأة على جمل وسموها عائشة وسمى بعضهم نفسه طلحة وبعضهم الزبير وقاتلوا الفرقة الاخرى وجعلوا يقولون نقاتل أصحاب علي بن أبي طالب وأمثال هذا من الشر وكان الجانب الشرقي آمنا والجانب الغربي مفتونا فاخذ جماعة من رؤساء العيارين وقتلوا فسكن الناس بعض السكون وأما أبو تغلب فانه لما بلغه دخول ابن بقية بغداد ونزول سبكتكين الحاجب بحربى عاد عن بغداد ونزل بالقرب منه وجرى بينهما مطاردة يسيرة ثم اتفقا في السر على ان يظهرا الاختلاف الى ان يتمكنا من القبض على الخليفة والوزير ووالدة بختيار وأهله فاذا فعلوا ذلك انتقل سبكتكين الى بغداد وعاد أبو تغلب الى الموصل ليبلغ من بختيار ما أراد ويملك دولته ثم ان سبكتكين خاف سوء الاحدوثة فتوقف وسار الوزير ابن بقية الى سبكتكين فاجتمع به وانفسخ ما كان بينهما وتراسلوا في الصلح على ان أبا تغلب يضمن البلاد على ما كانت معه وعلى ان يطلق لبختيار ثلاثة آلاف كر غلة عوضا عن مؤنة سفره وعلى ان يرد على أخيه حمدان املاكه واقطاعه الا ماردين ولما اصطلحوا أرسلوا الى بختيار بذلك ليرحل عن الموصل وعاد أبو تغلب اليها ودخل سبكتكين بغداد وأسلم بختيار فلما سمع بختيار بقرب أبي تغلب منه خافه لان عسكره كان قد عاد أكثره مع سبكتكين وطلب الوزير ابن بقية من سبكتكين ان يسير نحو بختيار فتثاقل ثم أفكر في العواقب فسار على مضض وكان أظهر للناس ما كان هم به وأما بختيار فانه جمع أصحابه وهو بالدير الاعلى ونزل أبو تغلب بالحصباء تحت الموصل وبينهما عرض البلد وتعصب أهل الموصل لابي تغلب وأظهروا محبته لما نالهم من بختيار من المصادرات وأخذ الاموال ودخل الناس بينهما في الصلح فطلب أبو تغلب من بختيار ان يلقب لقبا سلطانيا وان يسلم اليه زوجته ابنة بختيار وان يحط عنه من ذلك القرار فاجابه بختيار خوفا منه وتحالفا وسار بختيار عن الموصل عائدا الى بغداد فاظهر أهل الموصل السرور برحيله لانه كان قد أساء معهم السيرة وظلمهم فلما وصل بختيار الى الكحيل بلغه ان أبا تغلب قد قتل قوما كانوا من أصحابه وقد استأمنوا الى بختيار فعادوا الى الموصل ليأخذوا اموالهم بها من أهل ومال فقتلهم فلما بلغه ذلك اشتد عليه وأقام بمكانه وأرسل الى الوزير أبي طاهر بن بقية والحاجب سبكتكين يأمرهما بالاصعاد اليه وكان قد أرسل اليهما يأمرهما بالتوقف ويقول لهما ان الصلح قد استقر فلما أرسل اليهما يطلبهما أصعدا اليه في العساكر فعادوا جميعهم الى الموصل ونزلوا بالدير الاعلى أواخر جمادى الآخرة وفارقها أبو تغلب الى تل يعفر وعزم عز الدولة على قصده وطلبه أين سلك فارسل أبو تغلب كاتبه وصاحبه أبا الحسن علي بن أبي عمرو الى عز الدولة فاعتقله واعتقل معه أبا الحسن بن عرس وأبا أحمد بن حوقل ومازالت المراسلات بينهما وحلف أبو تغلب انه لم يعلم بقتل أولئك فعاد الصلح واستقر وحمل اليه ما استقر من المال فارسل عز الدولة الشريف أبا أحمد الموسوي والقاضي أبا بكر محمد بن عبد الرحمن فحلفا أبا تغلب وتجدد الصلح وانحدر عز الدولة عن الموصل سابع عشر رجب وعاد أبو تغلب الى بلده ولما عاد بختيار عن الموصل جهز ابنته وسيرها الى أبي تغلب وبقيت معه الى ان أخذت منه ولم يعرف لها بعد ذلك خبر

(ذكر الفتنة بين بختيار وأصحابه)

في هذه السنة ابتدأت الفتنة بين الاتراك والديلم بالاهواز فعمت العراق جميعه واشتدت وكان سبب ذلك ان عز الدولة بختيار قلت عنده الاموال وكثر ادلال جنده عليه واطراحهم لجانبه وشغبهم عليه فتعذر عليه القرار ولم يجد ديوانه ووزيره جهة يحتال منها بشئ وتوجهوا الى الموصل

فلا فاجر للبر يحفظ حرمة ... ولا يستطيع البر دفعا لفاجر
تراهم كامثال الذئاب رأت دما ... فأمته لا تلوي على زجر زاجر
وأصبح فساق القبائل بينهم ... تسل على اقرانها بالخناجر
فابك لقتلى من صديق ومن أخ ... كريم ومن جار شفيق مجاور
ووالدة تبكي بحزن على ابنها ... فيبكي لها من رحمة كل طائر
وذات حليل اصبحت وهي أيم ... وتبكي عليه بالدموع البوادر
تقول له قد كنت عزا وناصرا ... فغيب عني اليوم عزي وناصري
وأبك لاحراق وهدم منازل ... وقتل وانهاب اللهى والذخائر
وابراز ربات الخدور حواسرا ... خرجن بلا خمر ولا بمآزر
تراها حيارى ليس تعرف مذهبا ... نوافر أمثال الظباء النوافر
كان لم تكن بغداد أحسن

لهذا السبب فلم ينفتح عليهم فرأوا ان يتوجهوا الى الاهواز ويترضوا بختكين آزادرويه وكان متوليها ويعملوا وله حجة يأخذون منه مالا ومن غيره فسار بختيار وعسكره وتخلف عنه سبكتكين التركى فلما وصلوا الى الاهواز خدم بختيار وحمل له أموالا جليلة المقدار وبذل له من نفسه الطاعة وبختيار يفكر فى طريق يأخذه به فاتفق انه جرى فتنة بين الاتراك والديلم وكان سببها ان بعض الديلم نزل دارا بالاهواز ونزل قريبا منه بعض الاتراك وكان هناك لبن موضوع فاراد غلام الديلمى يبنى منه معلفا للدواب فمنعه غلام التركى فتضاربا وخرج كل واحد من التركى والديلمى الى نصرة غلامه فضعف التركى عنه فركب واستنصر بالاتراك فركبوا وركب الديلم وأخذوا السلاح فقتل بينهم بعض قواد الاتراك وطلب الاتراك بثار صاحبهم وقتلوا به من الديلم قائدا أيضا وخرجوا الى ظاهر البلد واجتهد بختيار فى تسكين الفتنة فلم يمكنه ذلك فاستشار الديلم فيما يفعله وكان اذنا يتبع كل قائل فاشاروا عليه بقبض رؤساء الاتراك لتصفوله البلاد فاحضروا آزادرويه وكاتبه سهل بن بشر وسباشى الخوارزمى بكتيجور وكان حما لسبكتكين فحضروا فاعتقلهم وقيدهم وأطلق الديلم فى الاتراك فنهبوا أموالهم ودوابهم وقتل بينهم قتلى وهرب الاتراك واستولى بختيار على اقطاع سبكتكين فاخذه وأمر فنودى بالبصرة باباحة دم الاتراك

﴿ ذكر حيلة لبختيار عادت عليه ﴾

كان بختيار قد واطأ والدته واخوته انه اذا كتب اليهم القبض على الاتراك يظهرون ان بختيار قد مات ويجلسون للعزاء فاذا حضر سبكتكين عندهم قبضوا عليه فلما قبض بختيار على الاتراك كتب اليهم على أجنحة الطيور يعرفهم ذلك فلما وقفوا على الكتب وقع الصراخ فى داره وأشاعوا موته ظنا منهم ان سبكتكين يحضر عندهم ساعة يبلغه الخبر فلما سمع الصراخ أرسل يسأل عن الخبر فاعلموه فارسل يسأل عن الذى أخبرهم وكيف أتاهم الخبر فلم يجد نقلا يثق القلب به فارتاب بذلك ثم وصله رسله الاتراك بما جرى فعلم ان ذلك كان مكيدة عليه ودعاه الاتراك الى ان يتأمر عليهم فتوقف وأرسل الى أبى اسحق بن معز الدولة يعلمه ان الحال قد انفسد بينه وبين أخيه فلا يرجى صلاحه وانه لا يرى العدول عن طاعة مواليه وان أساؤا اليه ويدعوه الى ان يعقد الامر له فعرض قوله على والدته فمنعته فلما رأى سبكتكين ذلك ركب فى الاتراك وحصر دار بختيار يومين ثم أحرقها ودخلها وأخذ أبا اسحق وأبا طاهر ابنى معز الدولة ووالدتهما ومن كان معهما فسألوه ان يمكنهم من الانحدار الى واسط ففعل وانحدروا وانحدر معهم المطيع لله فى الماء فانفذ سبكتكين فاعاده ورده الى داره وذلك تاسع ذى القعدة واستولى على ما كان لبختيار جميعه ببغداد ونزل الاتراك فى دور الديلم وتتبعوا أموالهم وأخذوها وثارت العامة من أهل السنة ينصرون سبكتكين لانه كان يتسنن فخلع عليهم وجعل لهم العرفاء والقواد فثاروا بالشيعة وحاربوهم وسفكت بينهم الدماء وأحرقت الكرخ حريقا ثانيا وظهرت السنة عليهم

﴿ ذكر خلع المطيع وخلافة الطائع لله ﴾

وفى هذه السنة منتصف ذى القعدة خلع المطيع لله وكان به مرض الفالج وقد ثقل لسانه وتعذرت الحركة عليه وهو يستر ذلك فانكشف حاله لسبكتكين هذه الدفعة فدعاه الى ان يخلع نفسه من الخلافة ويسلمها الى ولده الطائع لله واسمه أبو الفضل عبد الكريم ففعل ذلك وأشهد على نفسه بالخلع ثالث عشر ذى القعدة وكانت مدة خلافته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر غير أيام

منظرا
وما هى رأته عين لاه وناظر
بلى هكذا كانت فأذهب حسنها
وبدد منها الشمل حكم المقادر
وحل بهم ما حل بالناس قبلهم
فأضحوا أحاديثا لباد وحاضر
ابغداد دار الملوك ومجتنى
صروف المنايا مستقر المنابر
ويا جنة الدنيا ويا مطلب الغنى
ومستنبط الاموال عند الضرائر
أبينى لنا أين الذين عهدتهم
يحلون فى روض من العيش زاهر
وأين ملوك فى المواكب تغتدى
تشبه حسنا بالنجوم الزواهر
وأين القضاة الحاكمون برأيهم
لورد أمور مشكلات الاوامر
أو القائلون الناطقون بحكمة
ورصف كلام من خطيب وسائر
وأين مراح للملوك عهدتها
مزخرفة فيها صنوف الجواهر
ترش بماء المسك والورد أرضها
يفوح بها من بعد ريح المجامر

وبويع للطائع لله بالخلافة واستقر أمره

(ذكر الحرب بين المعز لدين الله العلوى والقرامطة)

فى هذه السنة سار القرامطة ومقدمهم الحسن بن أحمد من الاحساء الى ديار مصر فحصرها ولما سمع المعز لدين الله صاحب مصر بانه يريد قصد مصر كتب اليه كتابا يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته وان الدعوة واحدة وأن القرامطة انما كانت دعوتهم اليه والى آبائه من قبله ووعظه وبالغ وتهدده وسير الكتاب اليه فكتب جوابه وصل كتابك الذى قل تحصيله وكثر تفضيله ونحن سائرون اليك على أثره والسلام وسار حتى وصل الى مصر فنزل على عين شمس بعسكره وأنشب القتال وبث السرايا فى البلاد ينهبونها فكثرت جموعه وأتاه من العرب خلق كثير وكان ممن أتاه حسان بن الجراح الطائى أمير العرب بالشام ومعه جمع عظيم فلما رأى المعز كثرة جموعه استعظم ذلك وأهمه وتحير فى أمره ولم يقدر على اخراج عسكره لقتاله فاستشار أهل الرأى من نصحائه فقالوا ليس حيلة غير السعى فى تفريق كلمتهم والقاء الخلف بينهم ولا يتم ذلك الا بابن الجراح فراسله المعز واستماله وبذل له مائة ألف دينار ان هو خالف على القرمطى فاجابه ابن الجراح الى ماطلب منه فاستحلفوه فحلف انه اذا وصل اليه المال المقرر انهزم بالناس فاحضروا المال فلما رأوه استكثروه فضربوا أكثرها دنانير من صفر وألبسوها الذهب وجعلوها فى أسافل الاكياس وجعلوا الذهب الخالص على رؤسها وحمل اليه فارسل الى المعز ان يخرج فى عسكره يوم كذا ويقاتلونه وهو فى الجهة الفلانية فانه ينهزم ففعل المعز ذلك فانهزم وتبعه العرب كافة فلما رآه الحسن القرمطى منهزما تحير فى أمره وثبت وقاتل بعسكره الا ان عسكر المعز طمعوا فيه وتابعوا الحملات عليه من كل جانب فارهقوه فولى منهزما واتبعوا أثره وظفروا بعسكره فاخذوا من فيه أسرى وكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير فضربت أعناقهم ونهب مافى المعسكر وجرد المعز القائد أبا محمد بن ابراهيم بن جعفر فى عشرة آلاف رجل وأمره باتباع القرامطة والايقاع بهم فاتبعهم وتثاقل فى سيره خوفا ان ترجع القرامطة اليه وأما هم فانهم ساروا حتى نزلوا اذرعات وساروا منها الى بلدهم الاحساء ويظهرون انهم يعودون

(ذكر ملك المعز دمشق وما كان فيها من الفتن)

لما بلغ المعز انهزام القرمطى من الشام وعوده الى بلاده أرسل القائد ظالم بن موهوب العقيلى واليا على دمشق فدخلها وعظم حاله وكثرت جموعه وأمواله وعدته لان أبا المنجا وابنه صاحبى القرمطى كانا بدمشق ومعهما جماعة من القرامطة فاخذهم ظالم وحبسهم وأخذ أموالهم وجميع ما يملكونه ثم ان القائد أبا محمود الذى سيره المعز يتبع القرامطة وصل الى دمشق بعد وصول ظالم اليها بايام قليلة فخرج ظالم متلقيا له مسرورا بقدومه لانه كان مستشعرا من عود القرمطى اليه فطلب منه ان ينزل بعسكره بظاهر دمشق ففعل وسلم اليه أبا المنجا وابنه ورجلا آخر يعرف بالنابلسى وكان هرب من الرملة وتقرب الى القرمطى فاسر بدمشق أيضا فحملهم أبو محمد الى مصر فسجن أبو المنجا وابنه وقيل للنابلسى أنت الذى قلت لو ان معى عشرة أسهم لرميت تسعة فى المغاربة وواحدا فى الروم فاعترف فسلخ جلده وحشى تبنا وصلب ولما نزل أبو محمود بظاهر دمشق امتدت أيدى أصحابه بالعيث والفساد وقطع الطريق فاضطرب الناس وخافوا ثم ان صاحب الشرطة أخذ انسانا من أهل البلد فقتله فثار به الغوغاء والاحداث وقتلوا أصحابه وأقام ظالم بين الرعية يداريهم وانتزح أهل القرى منها لشدة نهب المغاربة أموالهم وظلمهم لهم ودخلوا

وروح الندامى فيه كل عشية
الى كل فياض كريم العناصر
ولهو قيان تستجيب انغمها
اذا هولباها حنين المزامر
فما لملوك العز من آل هاشم
وأشياعهم فيها اكتفوا بالمغادر
يروحون فى سلطانهم وكانهم
يروحون فى سلطان بعض العشائر
يجادل عمانا لهم كبراؤهم
فنالتهمو بالكره أيدى الاصاغر
فأقسم لو أن الملوك تناصروا
لزالت لها خوفا رقاب الجبابر

وبعث هرثمة بن أعين بن زهير بن المسيب الضبى من الجانب الشرقى فنزل الماطر مما يلى كلواذا وغشى مافى السفن من أموال التجار الواردة من البصرة وواسط ونصب على بغداد المنجنيقات ونزل فى رقة كلواذا والجزيرة فتأذى الناس به وصمد نحوه خلق من العيارين وأهل السجون وكانوا يقاتلون عراة فى أوساطهم التبابين والميازر وقد

البلد فلما كان نصف شوال من السنة وقعت فتنة عظيمة بين عسكر أبي محمود وبين العامة وجرى بين الطائفتين قتال شديد وظالم مع العامة يتظاهر أنه يريد الاصلاح ولم يكاشف أبا محمود وانفصلوا ثم ان أصحاب أبي محمود أخذوا من الغوطة قفلا من حوران وقتلوا منه ثلاثة نفر فاخذهم أهلوهم وألقوهم في الجامع فاغلقت الاسواق وخاف الناس وأرادوا القتال فسكنهم عقلاؤهم ثم ان المغاربة أرادوا نهب قينية واللؤلؤة فوقع الصائح في أهل البلد فنفروا وقاتلوا المغاربة في السابع عشر من ذي القعدة وركب أبو محمود في جموعه وزحف الناس بعضهم الى بعض فقوى المغاربة وانهزم العامة الى سور البلد فصبروا عنده وخرج اليهم من تخلف عنهم وكثر النشاب على المغاربة فانحن فيهم فعادوا واتبعهم العامة فاضطروهم الى العود فعادوا وحملوا على العامة فانهزموا وتبعوهم الى البلد وخرج ظالم من دار الامارة وألقى المغاربة النار في البلد من ناحية باب الفراديس وأحرقوا تلك الناحية فاخذت النار الى القبلة فاحرقت من البلد كثيرا وهلك فيه جماعة من الناس ومالا يحد من الاثاث والرحال والاموال وبات الناس على أقبح صورة ثم انهم اصطلحوا هم وأبو محمود ثم انتقضوا ولم يزالوا كذلك الى ربيع الآخر سنة أربع وستين وثلثمائة

﴿ذكر ولاية جيش بن الصمصامة دمشق﴾

ثم عادت الفتنة في ربيع الآخر سنة أربع وستين وثلثمائة وترددوا في الصلح فاستقر الامر بين القائد أبي محمود والدمشقيين على اخراج ظالم من البلد وان يليه جيش بن الصمصامة وهو ابن أخت أبي محمود واتفقوا على ذلك وخرج ظالم من البلد ووليه جيش بن الصمصامة وسكنت الفتنة واطمأن الناس ثم ان المغاربة بعد أيام عاثوا وافسدوا باب الفراديس فثار الناس عليهم وقاتلوهم وقتلوا من لحقوه وصاروا الى القصر الذي فيه جيش فهرب منه هو ومن معه من الجند المغاربة ولحق بالعسكر فلما كان من الغد وهو أول جمادى الاولى من السنة زحف جيش في العسكر الى البلد وقاتله أهله فظفر بهم وهزمهم وأحرق من البلد ما كان سلم ودام القتال بينهم أياما كثيرة فاضطرب الناس وخافوا وخربت المنازل وانقطعت المواد وانسدت المسالك وبطل البيع والشراء وقطع الماء عن البلد فبطلت القنوات والحمامات ومات كثير من الفقراء على الطرقات من الجوع والبرد فاتاهم الفرج بعزل أبي محمود

﴿ذكر ولاية ريان الخادم دمشق﴾

لما كان بدمشق ما ذكرناه من القتال والتحريق والتخريب وصل الخبر بذلك الى المعز صاحب مصر فانكر ذلك واستبشعه واستعظمه فارسل الى القائد ريان الخادم والى طرابلس يأمره بالمسير الى دمشق لمشاهدة حالها وكشف أمور أهلها وتعريفه حقيقة الامر وان يصرف القائد أبا محمود عنها فامتثل ريان ذلك وسار الى دمشق وكشف الامر فيها وكتب به الى المعز وتقدم الى القائد أبي محمود بالانصراف عنها فسار في جماعة قليلة من العسكر الى الرملة وبقي الاكثر منهم مع ريان وبقي الامر كذلك الى ان ولي الفتكين على ما نذكره

﴿ذكر حال بختيار بعد قبض الاتراك﴾

لما فعل بختيار ما ذكرناه من قبض الاتراك ظفر بذخيرة لازادرويه بجندي سابور فاخذها ثم رأى ما فعله الاتراك مع سبكتكين وان بعضهم بسواد الاهواز قد عصوا عليه واضطرب عليه غلمانه الذين في داره وأتاه مشايخ الاتراك من البصرة فعاتبوه على ما فعل بهم وقال له عقلاء الديلم لابد لنا في الحرب من الاتراك يدفعون عنا بالنشاب فاضطرب رأي بختيار ثم أطلق آزادرويه

اتخذوا لرؤسهم دواخل من الخوص وسموها الخود ودرقا من الخوص والبواري قد قرنت وحشيت بالحصى والرمل على كل عشرة عريف وعلى كل عشرة عرفاء نقيب وعلى كل عشرة نقباء قائد وعلى كل عشرة قواد أمير ولكل ذي مرتبة من المركوب على مقدار ما تحت يده فالعريف له اناس مركبهم غير ما ذكرنا من المقاتلة وكذلك النقيب والقائد والامير وناس عراة قد جعل في أعناقهم الجلاجل والصوف الاحمر والاصفر ومقاود قد اتخذت ولجم من مكاس ومذاب فيأتي العريف وقد أركب واحدا وقدامه عشرة من المقاتلة على رؤسهم خود ودرق البواري ويأتي النقيب والقائد والامير كذلك فتقف النظارة ينظرون الى حربهم مع أصحاب الخيول المعدة والجواشن والدروع والتجافيف والرماح والدرق التبتية فهؤلاء عراة وهؤلاء على ما ذكرنا فكانت للعراة على زهير وأتاه المدد من هرثمة فانهزمت العراة ورمت بهم خيولهم وتحاصروا جميعا وأخذهم السيف

وجعله

وجعله صاحب الجيش موضع سبكتكين وظن ان الاتراك يأنسون به وأطلق المعتقلين وسار الى والدته واخوته بواسط وكتب الى عمه ركن الدولة والى ابن عمه عضد الدولة يسألهما أن ينجداه ويكشفا ما نزل به وكتب الى أبى تغلب بن حمدان يطلب منه ان يساعده بنفسه وانه اذا فعل ذلك أسقط عنه المال الذى عليه وأرسل الى عمران بن شاهين بالبطيحة خلعا وأسقط عنه باقى المال الذى اصطلحا عليه وخطب اليه احدى بناته وطلب منه ان يسير اليه عسكرا فاما ركن الدولة عمه فانه جهز عسكرا مع وزيره أبى الفتح بن العميد وكتب الى ابنه عضد الدولة يأمره بالمسير الى ابن عمه والاجتماع مع ابن العميد فاما عضد الدولة فانه وعد بالمسير وانتظر بختيار الدوائر طمعا فى ملك العراق وأما عمران بن شاهين فانه قال أما اسقاط المال فنحن نعلم أنه لا أصل له وقد قبلته وأما الوصلة فانى لا اتزوج أحدا الا ان يكون الذكر من عندى وقد خطب الى العلويين وهم موالينا فما أجبتهم الى ذلك وأما الخلع والفرس فانى لست ممن يلبس ملبوسكم وقد قبلها ابنى وأما انفاذ عسكر فان رجالى لا يسكنون اليكم لكثرة ما قتلوا منكم ثم ذكر ما عامله به هو وأبوه مرة بعد أخرى وقال ومع هذا فلا بد ان يحتاج الى ان يدخل بيتى مستجيرا بى والله لاعاملنه بضد ما عاملنى به هو وأبوه وكان كذلك وأما أبو تغلب بن حمدان فانه أجاب الى المسارعة وانفذ أخاه أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان الى تكريت فى عسكر وانتظر انحدار الاتراك عن بغداد فان ظفروا ببختيار دخل بغداد مالكا لها فلما انحدر الاتراك عن بغداد سار أبو تغلب اليها ليوجب على بختيار الحجة فى اسقاط المال الذى عليه ووصل الى بغداد والناس فى بلاء عظيم مع العيارين فحمى البلد وكف أهل الفساد وأما الاتراك فانهم انحدروا مع سبكتكين الى واسط وأخذوا معهم الخليفة الطائع لله والمطيع أيضا وهو مخلوع فلما وصلوا الى دير العاقول توفى بها المطيع لله ومرض سبكتكين فمات بها أيضا فحملا الى بغداد وقدم الاتراك عليهم الفتكين وهو من أكابر قوادهم وموالى معز الدولة ففرح بختيار بموت سبكتكين وظن ان أمر الاتراك ينحل وينتشر بموته فلما رأى انتظام أمورهم ساءه ذلك ثم ان الاتراك ساروا اليه وهو بواسط فنزلوا قريبا منه وصاروا يقاتلونه نوائب نحو خمسين يوما ولم تزل الحرب بين الاتراك وبختيار متصلة والظفر للاتراك فى كل ذلك وحصر بختيار واشتد عليه الحصار واحدقوا به وصار خائفا يترقب وتابع انفاذ الرسل الى عضد الدولة بالحث والاسراع وكتب اليه

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلى * والا فادركنى ولما أمزق

فلما رأى عضد الدولة ذلك وان الامر قد بلغ ببختيار ما كان يرجوه سار نحو العراق نجدة له فى الظاهر وباطنه بضد ذلك

❁(ذكر ملك عضد الدولة عمان)❁

فى هذه السنة استولى الوزير أبو القاسم المطهر بن محمد وزير عضد الدولة على جبال عمان ومن بها من الشراة فى ربيع الاول وسبب ذلك ان معز الدولة لما توفى وبعمان أبو الفرج بن العباس نائب معز الدولة فارقها فتولى أمرها عمر بن نبهان الطائى وأقام الدعوة لعضد الدولة ثم ان الزنج غلبت على البلد ومعهم طوائف من الجند وقتلوا ابن نبهان وأمروا عليهم انسانا يعرف بابن حلاج فسير عضد الدولة جيشا من كرمان واستعمل عليهم أبا حرب طغان فساروا فى البحر الى عمان فخرج أبو حرب من المراكب الى البر وسارت المراكب فى البحر من ذلك المكان فتوافوا على صحار قصبة عمان فخرج اليهم الجند والزنج واقتتلوا قتالا شديدا فى البر والبحر فظفر أبو حرب واستولى

فقتل منهم خلق وقتل من النظارة خلق فقال فى ذلك بعضهم وذكر رمى زهير بالمنجنيق

لا تقرب المنجنيق والحجرا
وقد رأيت القتيل اذ قبرا
باكر كيلا يفوته خبر
راح قتيلا وخلف الخبرا
يا صاحب المنجنيق ما فعلت
كفاك لم تبقيا ولم تذرا
كان درا سوى الذى أمرا
هيهات ان يغلب الهوى القدرا

فلما ضاق الامر بالامين فى ارزاق الجند ضرب آنية الذهب والفضة سرا وأعطى رجاله وتحيز الى طاهر أهل الارباض مما يلى باب الانبار وباب حرب وباب قطربل فصارت الحرب فى وسط الجانب الغربى وعملت المنجنيقات بين الفريقين وكثر الحرق والهدم ببغداد فى الكرخ وغيره من الجانبين حتى درست محاسنها واشتد الامر وتنقل الناس من موضع الى موضع وعم الخوف فقال الشاعر

من ذا أصابك يا بغداد بالعين
ألم تكونى زمانا قرة العين
ألم يكن فيك قوم كان قربهم
وكان مسكنهم زينا من الزين

صاح الزمان بهم بالبين فانقرضوا ماذا لقيت بهم من لوعة البين
أستودع الله قوما ماذكرتهم الا تحدر ماء الدمع من عيني
كانوا ففرقهم دهر وصدعهم والبين يصدع ما بين الفريقين

ولم تزل الحرب بين الفريقين أربعة عشر شهرا وضاقت بغداد باهلها وتعطلت المساجد وتركت الصلاة ونزل بها ما لم ينزل بها قط مثله مذ بناها المنصور وقد كان لاهل بغداد في أيام حرب المستعين والمعتز حرب نحو هذا من حروب العيارين ويسير الى الحرب في خمسين ألف عراة ولم ينزل بأهل بغداد شر من هذا الحرب حرب المأمون والمخلوع وقد استعظم أهل بغداد ما نزل بهم في هذا الوقت في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة من خروج أبي اسحق المتقي عنهم وما كان قبل الوقت من اليزيديين وبورون التركي وما دفعوا اليه من الوحشة بخروج أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان الملقب بناصر الدولة وأخيه علي بن عبد الله عليهم لبعد العهد مما حل

على صحار وانهزم أهلها وكان ذلك سنة اثنتين وستين ثم ان الزنج اجتمعوا الى بريم وهو رستاق بينه وبين صحار مرحلتان فسار اليهم أبو حرب فاوقع بهم وقعة أتت عليهم قتلا واسرا فاطمأنت البلاد ثم ان جبال عمان اجتمع بها خلق كثير من الشراة وجعلوا لهم أميرا اسمه ورد بن زياد وجعلوا لهم خليفة اسمه حفص بن راشد فاشتدت شوكتهم فسير عضد الدولة المطهر بن عبد الله في البحر أيضا فبلغ الى نواحي حرفان من أعمال عمان فاوقع باهلها وأثخن فيهم وأسر ثم سار الى دما وهي على أربعة أيام من صحار فقاتل من بها وأوقع بهم وقعة عظيمة قتل فيها وأسر كثيرا من رؤسائهم وانهزم أميرهم ورد وامامهم حفص واتبعهم المطهر الى نزوى وهي قصبة تلك الجبال فانهزموا منه فسير اليهم العساكر فاوقعوا بهم وقعة أتت على باقيهم وقتل ورد وانهزم حفص الى اليمن فصار معلما وسار المطهر الى مكان يعرف بالشرف به جمع كثير من العرب نحو عشرة آلاف فاوقع بهم واستقامت البلاد ودانت بالطاعة ولم يبق فيها مخالف

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها خطب للمعز لدين الله العلوي صاحب مصر بمكة والمدينة في الموسم وفيها خرج بنو هلال وجمع من العرب على الحاج فقتلوا منهم خلقا كثيرا وضاق الوقت فبطل الحج ولم يسلم الا من مضى مع الشريف أبي أحمد الموسوي والد الرضي على طريق المدينة فتم حجهم وفيها كانت بواسط زلزلة عظيمة في ذي الحجة وفيها توفي عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد الفقيه الحنبلي المعروف بغلام الخلال وعمره ثمان وسبعون سنة * والى آخر هذه السنة انتهى تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة وأوله من خلافة المقتدر بالله سنة خمس وتسعين ومائتين

﴿ثم دخلت سنة أربع وستين وثلثمائة﴾

﴿ذكر استيلاء عضد الدولة على العراق وقبض بختيار﴾

في هذه السنة وصل عضد الدولة واستولى على العراق وقبض بختيار ثم عاد فاخرجه وسبب ذلك ان بختيار لما تابع كتبه الى عضد الدولة يستنجده ويستعين به على الاتراك سار اليه في عساكر فارس واجتمع به أبو الفتح بن العميد وزير أبيه ركن الدولة في عساكر الري بالاهواز وساروا الى واسط فلما سمع الفتكين بخبر وصولهم رجع الى بغداد وعزم على أن يجعلها وراء ظهره ويقاتل على ديالى ووصل عضد الدولة فاجتمع به بختيار وسار عضد الدولة الى بغداد في الجانب الشرقي وأمر بختيار ان يسير في الجانب الغربي ولما بلغ الخبر الى أبي تغلب بقرب الفتكين منه عاد عن بغداد الى الموصل لان أصحابه شغبوا عليه فلم يمكنه المقام ووصل الفتكين الى بغداد فحصل محصورا من جميع جهاته وذلك ان بختيار كتب الى ضبة بن محمد الاسدي وهو من أهل عين التمر وهو الذي هجاه المتنبي فأمره بالاغارة على اطراف بغداد ويقطع الميرة عنها وكتب بمثل ذلك الى بني شيبان وكان أبو تغلب بن حمدان من ناحية الموصل يمنع الميرة وينفذ سراياه فغلا السعر ببغداد وثار العيارون والمفسدون فنهبوا الناس ببغداد وامتنع الناس من المعاش لخوف الفتنة وعدم الطعام والقوت بها وكبس الفتكين المنازل في طلب الطعام وسار عضد الدولة نحو بغداد فلقيه الفتكين والاتراك بين ديالى والمداين فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم الاتراك فقتل منهم خلق كثير ووصلوا الى ديالى فعبروا على جسور كانوا عملوها عليه فغرق منهم أكثرهم من الزحمة وكذلك قتل وغرق من العيارين الذين أعانوهم من بغداد واستباحوا عسكرهم وكانت الوقعة رابع عشر جمادى الاولى وسار الاتراك الى تكريت وسار عضد الدولة فنزل بظاهر بغداد فلما علم وصول

الاتراك الى تكريت دخل بغداد ونزل بدار المملكة وكان الاتراك قد أخذوا الخليفة معهم كارها فسعى عضد الدولة حتى رده الى بغداد فوصلها ثامن رجب فى الماء وخرج عضد الدولة فلقيه فى الماء أيضا وامتلأت دجلة بالسميريات والزبازب ولم يبق ببغداد أحد ولو أراد انسان ان يعبر دجلة على السميريات من واحدة الى أخرى لامكنه ذلك لكثرتها وسار عضد الدولة مع الخليفة وأنزله بدار الخلافة وكان عضد الدولة قد طمع فى العراق واستضعف بختيار وانما خاف أباه ركن الدولة فوضع جند بختيار على ان يثوروا به ويشغبوا عليه ويطالبوه بأموالهم والاحسان لاجل صبرهم فقابل الاتراك ففعلوا ذلك وبالغوا وكان بختيار لا يملك قليلا ولا كثيرا وقد نهب البعض وأخرج هو الباقى والبلاد خراب فلا تصل يده الى أخذ شئ منها وأشار عضد الدولة على بختيار بترك الالتفات اليهم والغلظة لهم وعليهم وان لا يعدهم بما لا يقدر عليه وان يعرفهم انه لا يريد الامارة والرياسة عليهم ووعده انه اذا فعل ذلك توسط الحال بينهم على ما يريده فظن بختيار انه ناصح له مشفق عليه ففعل ذلك واستعفى من الامارة واغلق باب داره وصرف كتابه وحجابه فراسله عضد الدولة ظاهرا بحضر من مقدمى الجند يشير عليه بمعاودتهم وتطييب قلوبهم وكان أوصاه سرا ان لا يقبل منه ذلك فعمل بختيار بما أوصاه وقال لست أميرا لهم ولا بينى وبينهم معاملة وقد برئت منهم فترددت الرسل بينهم ثلاثة أيام وعضد الدولة يغريهم به والشغب يزيد وأرسل بختيار اليه يطلب نجاز ما وعده به ففرق الجند على عدة جميلة واستدعى بختيار واخوته اليه فقبض عليهم ووكل بهم وجمع الناس واعلمهم استعفاء بختيار عن الامارة عجزا عنها ووعدهم الاحسان والنظر فى أمورهم فسكنوا الى قوله وكان قبضه على بختيار فى السادس والعشرين من جمادى الآخرة وكان الخليفة الطائع لله نافرا عن بختيار لانه كان مع الاتراك فى حروبهم فلما بلغه قبضه سره ذلك وعاد الى عضد الدولة فأظهر عضد الدولة من تعظيم الخلافة ما كان قد نسى وترك وأمر بعمارة الدار والاكثار من الآلات وعمارة ما يتعلق بالخليفة وحماية اقطاعه ولما دخل الخليفة الى بغداد ودخل دار الخلافة أنفذ اليه عضد الدولة مالا كثيرا وغيره من الامتعة والفرش وغير ذلك

﴿ ذكر عود بختيار الى ملكه ﴾

لما قبض بختيار كان ولده المرزبان بالبصرة متوليا لها فلما بلغه قبض والده امتنع فيها على عضد الدولة وكتب الى ركن الدولة يشكو ما جرى على والده وعمه من عضد الدولة ومن أبى الفتح بن العميد ويذكر له الحيلة التى تمت عليه فلما سمع ركن الدولة ذلك القى نفسه عن سريره الى الارض وتمرغ عليها وامتنع من الاكل والشرب عدة أيام ومرض مرضا لم يستقل منه باقى حياته وكان محمد بن بقية بعد بختيار قد خدم عضد الدولة وضمن منه مدينة واسط وأعمالها فلما صار اليها خلع طاعة عضد الدولة وخالف عليه وأظهر الامتعاض لقبض بختيار وكاتب عمران بن شاهين وطلب مساعدته وحذره مكر عضد الدولة فاجابه عمران الى ما التمس وكان عضد الدولة قد ضمن سهل بن بشر وزير الفتكين بلد الاهواز وأخرجه من حبس بختيار فكاتبه محمد بن بقية واستماله فأجابه فلما عصى ابن بقية أنفذ اليه عضد الدولة جيشا وبا فخرج اليهم ابن بقية فى الماء ومعه عسكر قد سيره اليه عمران فانهزم أصحاب عضد الدولة أقبح هزيمة وكاتب ركن الدولة بحاله وحال بختيار فكتب ركن الدولة اليه والى المرزبان وغيرهما ممن احتمى لبختيار يأمرهم بالثبات والصبر ويعرفهم أنه على المسير الى العراق لاخراج عضد الدولة واعادة بختيار فاضطربت النواحى على

بالمنازل بها وطول السنين وغيبة ذلك عنهم وبعدهم وتقدم مثل أولئك العيارين الذين كانوا فى ذلك العصر واشتد الامر بين المامونية والعراة وغيرهم من أصحاب المخلوع وحصر محمد فى قصره من الجانب الغربى فكان بينهم فى بعض الايام مواقعة تفانى فيها خلق كثير من الفريقين فقال فى ذلك حسين الخليع

أمين الله ثق بالله
تعط الصبر والنصره
كل الامر الى الله
كلاك الله ذو القدره
رأيت الحرب احيانا
علينا ولنا مره

وكانت وقعة أخرى عظيمة بشارع دار الرقيق هلك فيها خلق كثير وكثر القتل فى الطرق والشوارع ينادى هذا يا مأمون والآخر يا مخلوع ويقتل بعضهم بعضا وانتهب الدار فكان الفوز لمن نجا بنفسه من رجل وامرأة بما يسلم معه الى عسكر طاهر فيأمن على نفسه وفى ذلك يقول الشاعر

بكت عينى على بغداد لما
فقدت غضاضة العيش الانيق
تبدلنا هموما من سرور
ومن سعة تبدلنا بضيق

عضد الدولة وتجاسر عليه الاعداء حيث علموا انكار ابيه عليه وانقطعت عنه مواد فارس والبحر ولم يبق بيده الا قصبة بغداد وطمع فيه العامة واشرف على ما يكره فرأى انفاذ أبي الفتح بن العميد برسالة الى أبيه يعرفه ما جرى له وما فرق من الاموال وضعف بختيار عن حفظ البلاد وانه ان اعيد الى حاله خرجت المملكة والخلافة عنهم وكان بوارهم ويسأله ترك نصرة بختيار وقال لابي الفتح فان أجاب الى ما تريد منه والا فقل له انني اضمن منك اعمال العراق واحمل اليك منها كل سنة ثلاثين ألف ألف درهم وابعث بختيار وأخويه اليك لتجعلهم بالخيار فان اختاروا أقاموا عندك وان اختاروا بعض بلاد فارس سلمته اليهم ووسعت عليهم وان أحببت أنت أن تحضر في العراق لتلي تدبير الخلافة وتنفذ بختيار الى الري وأعود أنا الى فارس فالامر اليك وقال لابن العميد فان أجاب الى ما ذكرت له والا فقل له أيها السيد الوالد أنت مقبول الحكم والقول ولكن لا سبيل الى اطلاق هؤلاء القوم بعد مكاشفتهم واظهار العداوة وسيقاتلونني بغاية ما يقدرون عليه فتنتشر الكلمة ويختلف أهل هذا البيت أبدا فان قبلت ما ذكرته فأنا العبد الطائع وان أبيت وحكمت بانصرافي فاني سأقتل بختيار وأخويه وأقبض على كل من اتهمه بالميل اليهم وأخرج عن العراق وأترك البلاد سائبة ليدبرها من اتفقت له فخاف ابن العميد أن يسير بهذه الرسالة وأشار أن يسير بها غيره ويسير هو بعد ذلك ويكون كالمشير على ركن الدولة باجابته الى ما طلب فارسل عضد الدولة رسولا بهذه الرسالة وسير بعده ابن العميد على الجمازات فلما حضر الرسول عند ركن الدولة وذكر بعض الرسالة وثب اليه ليقتله فهرب من بين يديه ثم رده بعد ان سكن غضبه وقال قل لفلان يعني عضد الدولة وسماه بغير اسمه وشتمه خرجت الى نصرة ابن أخي وللطمع في مملكته أما عرفت أني نصرت الحسن بن الفيرزان وهو غريب مني مرارا كثيرة أخاطر فيها بملكي ونفسي فاذا ظفرت أعدت له بلاده ولم أقبل منه ما قيمته درهم واحد ثم نصرت ابراهيم بن المرزبان وأعدته الى اذربيجان وتنفذت وزيري وعساكري في نصرته ولم آخذ منه درهما واحدا كل ذلك طلبا لحسن الذكر ومحافظة على الفتوة تريد أن تمن أنت علي بدرهمين أنفقتهما أنت علي وعلى أولاد أخي ثم تطمع في ممالكهم وتهددني بقتلهم فعاد الرسول ووصل ابن العميد فحجبه عنه ولم يسمع حديثه وتهدده بالهلاك وأنفذ اليه يقول له لاتركنك وذلك الفاعل يعني عضد الدولة تجتهدان جهدكما ثم لا أخرج اليكما الا في ثلثمائة جمازة وعليها الرجال ثم اثبتوا ان شئتم فوالله لا قاتلتكما الا باقرب الناس اليكما وكان ركن الدولة يقول انى أرى أخي معز الدولة كل ليلة في المنام يعض على أنامله ويقول يا أخي هكذا ضمنت لي أن تخلفني في ولدي وكان ركن الدولة يحب أخاه محبة شديدة لانه رباه وكان عنده بمنزلة الولد ثم ان الناس سعوا لابن العميد وتوسطوا الحال بينه وبين ركن الدولة وقالوا انما تحمل ابن العميد هذه الرسالة ليجعلها طريقا للخلاص من عضد الدولة والوصول اليك لتأمر بما تراه فأذن له في الحضور عنده فاجتمع به وضمن له اعادة عضد الدولة الى فارس وتقرير بختيار بالعراق فرده الى عضد الدولة وعرفه جلية الحال فلما رأى عضد الدولة انحراف الامور عليه من كل ناحية أجاب الى المسير الى فارس واعادة بختيار فأخرجه من محبسه وخلع عليه وشرط عليه أن يكون نائبا عنه بالعراق ويخطب له ويجعل أخاه أبا اسحق أمير الجيش لضعف بختيار ورد عليهم عضد الدولة جميع ما كان لهم وسار الى فارس في شوال من هذه السنة وأمر أبا الفتح بن العميد وزير أبيه أن يلحقه بعد ثلاثة أيام فلما سار عضد الدولة أقام ابن العميد عند بختيار متشاغلا باللذات وبما بختيار مغرى به من اللعب وانفقا باطنا

أصابتنا من الحساد عين
فأفنت أهلها بالمنجنيق
فقوم أحرقوا بالنار قسرا
ونائحة تنوح على غريق
وصائحة تنادي يا صحابي
وقائلة تنادي يا شقيق
وحوراء المدامع ذات دل
مضمخة المجاسد بالخلوق
تنادي بالشفيق فلا شفيق
وقد فقد الشفيق مع الرفيق
وقوم أخرجوا من ظل دنيا
متاعهم يباع بكل سوق
ومغترب بعيد الدار ملقى
بلا رأس بقارعة الطريق
توسط من قتالهم جميعا
فما يدرون من أي الفريق
فلا ولد يقيم على أبيه
وقد هرب الصديق عن الصديق
ومهما أنس من شيء تولى
فاني ذاكر دار الرقيق
وسأل قائد من قواد خراسان طاهرا أن يجعل له الحرب في يوم ماله فيه ففعل طاهر له ذلك فخرج القائد وقد حقرهم وقال ما يبلغ من كيد هؤلاء ولا سلاح معهم مع ذوي البأس والنجدة والسلاح والعدة فبصر به بعض العراة وقد رماه مدة طويلة حتى فنيت سهام القائد وظن ان العريان فنيت حجارته فرماه بحجر بيت في المخلاة وقد حمل عليه القائد فأخطأ عينه وثناه بحجر آخر فكاد يصرع

على انه اذا مات ركن الدولة سار اليه ووزر له واتصل ذلك بعضد الدولة فكان سبب هلاك ابن العميد على ما ذكره واستقر بختيار ببغداد ولم يقف لعضد الدولة على العهود فلما ثبت أمر بختيار أنفذ ابن بقية من حلفه له وحضر عنده وأكد الوحشة بين بختيار وعضد الدولة وثارت الفتنة بعد مسير عضد الدولة واستمال ابن بقية الاجناد وجبى كثيرا من الاموال الى خزائنه وكان اذا طالبه بختيار بالمال وضع الجند على مطالبته فثقل على بختيار فاستشار فى مكروه يوقعه به فبلغ ذلك ابن بقية فعاتب بختيار عليه فانكره وحلف له فاحترز ابن بقية منه

﴿ذكر اضطراب كرمان على عضد الدولة وعودها له﴾

فى هذه السنة خالف أهل كرمان على عضد الدولة وسبب ذلك أن رجلا من الجرومية وهى البلاد الحارة يقال له طاهر بن الصمة ضمن من عضد الدولة ضمانات فاجتمع عليه أموال كثيرة فطمع فيها وكان عضد الدولة قد سار الى العراق وسير وزيره المطهر بن عبد الله الى عمان ليستولى عليها فخلت كرمان من العساكر فجمع طاهر الرجال الجرومية وغيرهم فاجتمع له خلق كثير واتفق ان بعض الاتراك السامانية واسمه يوزتمر كان قد استوحش من أبى الحسن محمد بن ابراهيم ابن سيمجور صاحب جيش خراسان للسامانية فكاتبه طاهر وأطمعه فى اعمال كرمان فسار اليه واتفقا وكان يوزتمر هو الامير فاتفق ان الرجال الجرومية شغبوا على يوزتمر فظن ان طاهرا وضعهم فاختلفا واقتتلا فظفر يوزتمر بطاهر وأسره وظفر باصحابه وبلغ الخبر الى الحسين بن أبى على بن الياس وهو بخراسان فطمع فى البلاد فجمع جمعا وسار اليها فاجتمع عليه بها جموع كثيرة ثم ان المطهر بن عبد الله استولى على عمان وجبالها وأوقع بالشراة فيها وعاد فوصله كتاب عضد الدولة من بغداد يأمره بالمسير الى كرمان فسار اليها مجدا وأوقع فى طريقه باهل العيث والفساد وقتلهم وصلبهم ومثل بهم ووصل الى يوزتمر على حين غفلة منه فاقتتلوا بنواحى مدينة بم فانهزم يوزتمر ودخل المدينة وحصره المطهر فى حصن فى وسط المدينة فطلب الامان فامنه فخرج اليه ومعه طاهر فامر المطهر بطاهر فشهر ثم ضرب عنقه وأما يوزتمر فانه رفعه الى بعض القلاع فكان آخر العهد به وسار المطهر الى الحسين بن الياس فرأى كثرة من معه فخاف جانبهم ولم يجد من اللقاء بدا فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الحسين على باب جيرفت وانهزم عسكره فمنعهم سور المدينة من الهرب فكثر فيهم القتل وأخذ الحسين أسيرا وأحضر عند المطهر فلم يعرف له بعد خبر وصلحت كرمان لعضد الدولة

﴿ذكر ولاية الفتكين دمشق وما كان منه الى أن مات﴾

قد ذكرنا ما كان من انهزام الفتكين التركى مولى معز الدولة بن بويه من مولاه بختيار بن معز الدولة ومن عضد الدولة فى فتنة الاتراك بالعراق فلما انهزم منهم سار فى طائفة صالحة من الجند الترك فوصل الى حمص فنزل بالقرب منها فقصده ظالم بن موهوب العقيلى الذى كان أمير دمشق للمعز لدين الله ليأخذه فلم يتمكن من أخذه فعاد عنه وسار الفتكين الى دمشق فنزل بظاهرها وكان أميرها حينئذ ريان الخادم للمعز وكان الاحداث قد غلبوا عليها وليس للاعيان معهم حكم ولا للسلطنة عليهم طاعة فلما نزل خرج أشرافها وشيوخها اليه واظهروا له السرور بقدومه وسألوه ان يقيم عندهم ويملك بلدهم ويزيل عنهم سمة المصريين فانهم يكرهونها لمخالفة الاعتقاد ولظلم عمالهم ويكف عنهم شر الاحداث فأجابهم الى ذلك واستحلفهم على الطاعة والمساعدة وحلف لهم على الحماية وكف الاذى عنهم منه ومن غيره ودخل البلد وأخرج عنه ريان الخادم

القائد عن فرسه ووقعت البيضة عن رأسه فكر راجعا وهو يقول يا أبا طاهر ليس هؤلاء بناس هؤلاء شياطين فى ذلك يقول أبو يعقوب الخزيمى

الكرخ اسواقه معطلة
يستن عيارها وعابرها
خرجت الحرب بين أسواقهم
اسود غيل علت قساورها

وقال على الاعمى

خرجت هذه الحروب رجالا
لا لقحطانها ولا لنزار
معشر فى جواشن الصبر يعدو
ن الى الحرب كالليوث الضوارى
ليس يدرون ما الفرار اذا الابطال عاروا من القنا بالفرار
واحد منهم يشد على الـ
ـفين عريان ماله من ازار
ويقول الفتى اذا طعن الطعـ
ـنة خذها من الفتى العيار

وتوالت الحرب وطاهر فى قوة واقبال وأصحاب المخلوع فى نقص وادبار

وقطع خطبة المعز وخطب للطائع لله في شعبان وقمع أهل العيث والفساد وهابه كافة الناس
وأصلح كثيرا من أمورهم فكانت العرب قد استولت على سواد البلد وما يتصل به فقصدهم
وأوقع بهم وقتل كثيرا منهم وأبان عن شجاعة وقوة نفس وحسن تدبير فاذعنوا له وقطع البلاد
وكثر جمعه وتوفرت أمواله وثبت قدمه وكاتب المعز بمصر يداريه ويظهر له الانقياد فشكره
وطلب منه ان يحضر عنده ليخلع عليه ويعيده واليا من جانبه فلم يثق اليه وامتنع من المسير فتجهز
المعز وجمع العساكر لقصده فمرض ومات على ماذكره سنة خمس وستين وثلثمائة وولى بعده ابنه
العزيز بالله وأمن الفتكين موته جهة مصر فقصد بلاد العزيز التي بساحل الشام فعمد الى صيدا
فحصرها وبها ابن الشيخ ومعه رؤس المغاربة ومعهم ظالم بن موهوب العقيلي فقاتلهم وكانوا في كثرة
وطمعوا فيه وخرجوا اليه فاستجرهم حتى أبعدوا ثم عاد عليهم فقتل منهم نحو أربعة آلاف قتيل
وطمع في أخذ عكا فتوجه اليها وقصد طبرية ففعل فيها من القتل والنهب مثل صيدا وعاد الى
دمشق فلما سمع العزيز بذلك استشار وزيره يعقوب بن كلس فيما يفعل فاشار بارسال جوهر في
العساكر الى الشام فجهزه وسيره فلما سمع الفتكين بمسيره جمع أهل دمشق وقال قد علمتم اني
ما وليت أمركم الا عن رضا منكم وطلب من كبيركم وصغيركم لي وانما كنت مجتازا وقد اظلكم هذا
الامر وانا سائر عنكم لئلا ينالكم أذى بسببي فقالوا الا نمكنك من فراقنا ونحن نبذل الانفس
والاموال في هواك وننصرك ونقوم معك فاستحلفهم على ذلك فحلفوا له فأقام عندهم ووصل
جوهر الى البلد في ذي القعدة من سنة خمس وستين وثلثمائة فحصره فرأى من قتال الفتكين ومن
معه ما استعظمه ودامت الحرب شهرين قتل فيها عدد كثير من الطائفتين فلما رأى أهل دمشق
طول مقام المغاربة عليهم أشاروا على الفتكين بمكاتبة الحسن بن أحمد القرمطي واستنجاده ففعل
ذلك فسار القرمطي اليه من الاحساء فلما قرب منه رحل جوهر عن دمشق خوفا أن يبقى بين
عدوين وكان مقامه عليها سبعة أشهر ووصل القرمطي واجتمع هو والفتكين وسار وافي أثر
جوهر فادركاه وقد نزل بظاهر الرملة وسير اثقاله الى عسقلان فاقتتلوا وكان جمع الفتكين
والقرمطي كثيرا من رجال الشام والعرب وغيرهم وكانوا نحو خمسين ألف فارس وراجل فنزلوا
على نهر الطواحين على ثلاثة فراسخ من البلد ومنه ماء أهل البلد فقطعوه عنهم فاحتاج جوهر
ومن معه الى ماء المطر في الصهاريج وهو قليل لا يقوم بهم فرحل الى عسقلان وتبعه الفتكين
والقرمطي فحصراه بها وطال الحصار وقلت الميرة وعدمت الاقوات وكان الزمان شتاء فلم يمكن
حمل الذخائر في البحر من مصر وغيرها فاضطروا الى أكل الميتة وبلغ الخبز كل خمسة ارطال
بالشامي بدينار مصري وكان جوهر يراسل الفتكين ويدعوه الى الموافقة والطاعة ويبذل له
البذول الكثيرة فيهم أن يفعل فيمنعه القرمطي ويخوفه منه فزادت الشدة على جوهر ومن معه
وعاينوا الهلاك فارسل الى الفتكين يطلب منه ان يجتمع به فتقدم اليه واجتمعا راكبين وقال له
جوهر قد عرفت ما يجمعنا من عصمة الاسلام وحرمة الدين وقد طالت هذه الفتنة وأريقت فيها
الدماء ونهبت الاموال ونحن المواخذون بها عند الله تعالى وقد دعوتك الى الصلح والطاعة
والموافقة وبذلت لك الرغائب فابيت الا القبول ممن يشب نار الفتنة فراقب الله تعالى وراجع
نفسك وغلب رأيك على هوى غيرك فقال الفتكين أنا والله واثق بك في صحة الرأي والمشورة منك
لكنني غير متمكن مما تدعوني اليه بسبب القرمطي الذي أحوجتني أنت الى مداراته والقبول
منه فقال جوهر اذا كان الامر على ماذكرت فانني أصدقك الحال تعويلا على أمانتك وما أجده

وأصحاب طاهر يهدمون
ويأخذون بعض الدور
وينهبون المتاع فقال رجل
من المحمدية
لنا كل يوم ثلمة لا نسدها
يزيدون فيما يطلبون وننقص
اذا هدموا دارا أخذنا
سقوفها
ونحن لأخرى مثلها نتربص
يثيرون بالطبل النقيص
وان بدا
لهم وجه صيد من قريب
تقنصوا
وقد أفسدوا شرق البلاد
وغربها
علينا فما ندري الى أين
نشخص
اذا حضروا قالوا بما يعرفونه
وان لم يروا شيأ قبيحا
تخرصوا
وقد رخصت قراؤنا في
قتالهم
وما قتل المقتول الا
المرخص
ولما نظر طاهر الى صبر
أصحاب المخلوع على هذه
الحال الصعبة قطع عنهم
مواد الاقوات وغيرها من

من الفتوة عندك وقد ضاق الامر بنا واريد ان تمن على بنفسي وبمن معي من المسلمين وتذم لنا أعود الى صاحبي شاكرا لك وتكون قد جمعت بين حقن الدماء واصطناع المعروف فاجابه الى ذلك وحلف له على الوفاء به وعاد واجتمع بالقرمطى وعرفه الحال فقال لقد أخطأت فان جوهرا له رأي وحزم ومكيدة وسيرجع الى صاحبه فيحمله على قصدنا بما لا طاقة لنا به والصواب ان ترجع عن ذلك ليموتوا جوعا ونأخذهم بالسيف فامتنع الفتكين من ذلك وقال لا أغدر به وأذن لجوهر ولمن معه بالمسير الى مصر فسار اليه واجتمع بالعزيز وشرح له الحال وقال ان كنت تريدهم فاخرج اليهم بنفسك والا فهم واصلون على أثري فبرز العزيز وفرق الاموال وجمع الرجال وسار وجوهر على مقدمته وورد الخبر الى الفتكين والقرمطى فعادا الى الرملة وجمعا العرب وغيرها وحشدا ووصل العزيز فنزل بظاهر الرملة ونزلا بالقرب منه ثم اصطفوا للحرب فى المحرم سنة سبع وستين وثلثمائة ورأى العزيز من شجاعة الفتكين ما أعجبه وأرسل اليه فى تلك الحال يدعوه الى طاعته ويبذل له الرغائب والولايات وان يجعله مقدم عسكره والمرجوع اليه فى دولته ويطلب ان يحضر عنده ويسمع قوله فترجل وقبل الارض بين الصفين وقال للرسول قل لامير المؤمنين لو قدم هذا القول لسارعت وأطعت واما الآن فلا يمكن الا ما ترى وحمل على الميسرة فهزمها وقتل كثيرا منها فلما رأى العزيز ذلك حمل من القلب وأمر الميمنة فحملت فانهزم القرمطى والفتكين ومن معهما ووضع المغاربة السيف فاكثروا القتل وقتلوا نحو عشرين ألفا ونزل العزيز فى خيامه وجاءه الناس بالاسرى فكل من أتاه بأسير خلع عليه وبذل لمن أتاه بالفتكين أسيرا مائة ألف دينار وكان الفتكين قد مضى منهزما فكظه العطش فلقيه المفرج بن دغفل الطائى وكان بينهما أنس قديم فطلب منه الفتكين ماء فسقاه وأخذه معه الى بيته فانزله وأكرمه وسار الى العزيز بالله فاعلمه بأسر الفتكين وطلب منه المال فاعطاه ما ضمنه وسير معه من تسلم الفتكين منه فلما وصل الفتكين الى العزيز لم يشك انه يقتله لوقته فرأى من اكرام العزيز له والاحسان اليه ما أعجزه وأمر له بالخيام فنصبت وأعاد اليه جميع من كان يخدمه فلم يفقد من حاله شيأ وحمل اليه من التحف والاموال ما لم ير مثله وأخذه معه الى مصر وجعله من أخص خدمه وحجابه وأما الحسن القرمطى فانه وصل منهزما الى طبرية فادركه رسول العزيز يدعوه الى العود اليه ليحسن اليه ويفعل معه أكثر مما فعل مع الفتكين فلم يرجع فأرسل اليه العزيز عشرين ألف دينار وجعلها له كل سنة فكان يرسلها اليه وعاد الى الاحساء ولما عاد العزيز الى مصر أنزل الفتكين عند قصره وزاد أمره وتحكم فتكبر على وزيره يعقوب بن كلس وترك الركوب اليه فصار بينهما عداوة متأكدة فوضع عليه من سقاه سما فمات فحزن عليه العزيز واتهم الوزير فحبسه نيفا وأربعين يوما وأخذ منه خمسمائة ألف دينار ثم وقفت أمور دولة العزيز باعتزال الوزير فخلع عليه وأعاده الى وزارته

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة سار الحجاج الى سميرا فرأوا هلال ذى الحجة بها والعادة جارية بان يرى الهلال بعده باربعة أيام وبلغهم أنهم لا يرون الماء الى غمرة وهو بها أيضا قليل وبينهم نحو عشرة أيام فعدلوا الى المدينة فوقفوا بها وعادوا فكانوا أول المحرم فى الكوفة وفيها ظهر بافريقية كوكب عظيم من جهة المشرق وله ذؤابة وضوء عظيم فبقى يطلع كذلك نحوا من شهر ثم غاب فلم ير وفيها توفى أبو القاسم عبد السلام بن أبى موسى المخرمى الصوفى نزيل مكة وكان قد صحب أبا على الروذبارى وطبقته وغيره

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين وثلثمائة﴾

البصرة وواسط وغيرهما من الطرق فكان الخبز فى حد المأمونية عشرين رطلا بدرهم وفى حد المحمدية رطل بدرهم وضاقت النفوس وأيسوا من الفرج واشتد الجوع وسر من سار الى حيز طاهر وأسف من بقى مع المخلوع وتقدم طاهر فى سائر أصحابه من مواضع كثيرة وقصد باب الكناس فاشتد القتال وتبادرت الرؤس وعمل السيف والنار وصبر الفريقان وكان القتل فى أصحاب طاهر وفنى من العراة خلق وكان ذلك فى يوم الاحد ففى ذلك يقول الاعمى

وقعة يوم الاحد
كانت حديث الابد
كم جسدا أبصرته
ملقى وكم من جسد
وناظر كانت له
منية بالرصد
أتاه سهم عائر
فشق جوف الكبد

(ذكر وفاة المعز لدين الله العلوى وولاية ابنه العزيز بالله)

فى هذه السنة توفى المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور بالله اسمعيل بن القائم بأمر الله أبى القاسم محمد بن المهدى أبى محمد عبيد الله العلوى الحسينى بمصر وأمه أم ولد وكان موته سابع عشر شهر ربيع الآخر من هذه السنة وولد بالمهدية من افريقية حادى عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة وعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريبا وكان سبب موته ان ملك الروم بالقسطنطينية أرسل اليه رسولا كان يتردد اليه بافريقية فخلا به بعض الايام فقال له المعز أتذكر اذ أتيتنى رسولا وأنا بالمهدية فقلت لك لتدخلن علىّ وأنا بمصر مالكا لها قال نعم قال وأنا أقول لك لتدخلن على بغداد وأنا خليفة فقال له الرسول ان أمنتنى على نفسى ولم تغضب قلت لك ما عندى فقال له المعز قل وأنت آمن قال بعثنى اليك الملك ذلك العام فرأيت من عظمتك فى عينى وكثرة أصحابك ما كدت أموت منه ووصلت الى قصرك فرأيت عليه نورا عظيما غطى بصرى ثم دخلت عليك فرأيتك على سريرك فظننتك خالقا ولو قلت لى انك تعرج الى السماء لتحققت ذلك ثم جئت اليك الآن فما رأيت من ذلك شيأ أشرفت على مدينتك فكانت فى عينى سوداء مظلمة ثم دخلت عليك فما وجدت من المهابة ما وجدته ذلك العام فقلت ان ذلك كان أمرا مقبلا وانه الآن بضد ما كان عليه فاطرق المعز وخرج الرسول من عنده وأخذت المعز الحمى لشدة ما وجد واتصل مرضه حتى مات وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام منها مقامه بمصر سنتان وتسعة أشهر والباقى بافريقية وهو أوّل الخلفاء العلويين ملك مصر وخرج اليها وكان مغرى بالنجوم ويعمل بأقوال المنجمين قال له منجمه ان عليه قطعا فى وقت كذا وأشار عليه بعمل سرداب يختفى فيه الى ان يجوز ذلك الوقت ففعل ما أمره وأحضر قواده فقال لهم ان بينى وبين الله عهدا أنا ماض اليه وقد استخلفت عليكم ابنى نزارا يعنى العزيز فاسمعوا له وأطيعوا ونزل السرداب فكان أحد المغاربة اذا رأى سحابا نزل وأومأ بالسلام اليه ظنا منه ان المعز فيه فغاب سنة ثم ظهر وبقى مديدة ومرض وتوفى فستر ابنه العزيز موته الى عيد النحر من السنة فصلى بالناس وخطبهم ودعا لنفسه وعزى بأبيه وكان المعز عالما فاضلا جوادا شجاعا جاريا على منهاج أبيه من حسن السيرة وانصاف الرعية وستر ما يدعون اليه الا عن الخاصة ثم أظهره وأمر الدعاة باظهاره الا انه لم يخرج فيه الى حد يذم به ولما استقر العزيز فى الملك أطاعه العسكر فاجتمعوا عليه وكان هو يدبر الامور منذ مات أبوه الى ان أظهره ثم سير الى الغرب دنانير عليها اسمه فرقت فى الناس وأقر يوسف بلكين على ولاية افريقية وأضاف اليه ما كان أبوه استعمل عليه غير يوسف وهى طرابلس وسرت واجدابية فاستعمل عليها يوسف عماله وعظم أمره حينئذ وامن ناحية العزيز واستبد بالملك وكان يظهر الطاعة مجاملة ومراقبة لا طائل وراءها

(ذكر حرب يوسف بلكين مع زناتة وغيرها بافريقية)

فى هذه السنة جمع خزرون بن فلفول بن خزر الزناتى جمعا كبيرا وسار الى سجلماسة فلقيه صاحبها فى رمضان فقتله خزرون وملك سجلماسة وأخذ منها من الاموال والعدد شيأ كثيرا وبعث برأس صاحبها الى الاندلس وعظم شان زناتة واشتد ملكهم وكان بلكين عند سبتة وكان قد رحل الى فارس وسجلماسة وأرض الهبط وملكه كله وطرد عنه عمال بنى أمية وهربت زناتة منه فلجأ كثير منهم الى سبتة وهى للاموى صاحب الاندلس وكان فى طريقه شعارى مشتبكة ولا تسلك فأمر بقطعها واحراقها فقطعت وأحرقت حتى صارت للعسكر طريقا ثم مضى بنفسه حتى

وآخر منتهب
مثل التهاب الاسد
وقائل قد قتلوا
ألفا ولما يزد
وقائل أكثر بل
ما لهم من عدد
قلت لمطعون وفيه
طعنة لم تشد
من أنت يا ويلك يا
مسكين من محمد
فقال لا من نسب
دان ولا من بلد
ولا أنا للغى قا
تلت ولا للرشد
ولا لشئ عاجل
يصير منه فى يدى
ولما ضاق بمحمد الحال واشتد الحصار أمر قائدا من قواده يقال له ذريح ان يتبع أصحاب الاموال والودائع والذخائر من أهل الملة وغيرهم وقرن معه آخر يعرف بالهرش فكانا يهجمان على الناس ويأخذان بالظنة فاجتبى بذلك السبب اموالا كثيرة فهرب الناس بعلة الحج وفر

أشرف على سبتة من جبل مطل عليها فوقف نصف نهار لينظر من أى جهة يحاصرها ويقاتلها فرأى انها لا تؤخذ الا باسطول تخافه أهلها خوفا عظيما ثم رجع عنها نحو البصرة وهى مدينة حسنة تسمى بصرة فى المغرب فلما سمعت به زناتة رحلوا الى أقاصى الغرب فى الرمال والصحارى هاربين منه فدخل يوسف البصرة وكانت قد عمرها صاحب الاندلس عمارة عظيمة فأمر بهدمها ونهبها ورحل الى بلد برغواطة وكان ملكهم عبس بن أم الانصار وكان مشعبذا ساحرا وادعى النبوة فأطاعوه فى كل ما أمرهم به وجعل لهم شريعة فغزاه بلكين وكانت بينهم حروب عظيمة لا توصف كان الظفر فى آخرها لبلكين وقتل الله عبس بن أم الانصار وهزم عساكره وقتلوا قتلا ذريعا وسبى من نسائهم وأبنائهم ما لا يحصى وسيرها الى افريقية فقال أهل افريقية انه لم يدخل اليهم من السبى مثله قط وأقام يوسف بلكين بتلك الناحية قاهرا لاهلها وأهل سبتة منه خائفون وزناتة هاربون فى الرمال الى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة

﴿ذكر حصر كسنتة وغيرها﴾

فى هذه السنة سار أمير صقلية وهو أبو القاسم بن الحسن بن على بن أبى الحسين فى عساكر المسلمين ومعه جماعة من الصالحين والعلماء فنازل مدينة مسينى فى رمضان فهرب العدو عنها وعدى المسلمون الى كسنتة فحصروها أياما فسأل أهلها الامان فأجابهم اليه وأخذ منهم مالا ورحل عنها الى قلعة جلوا ففعل كذلك بها وبغيرها وأمر أخاه القاسم ان يذهب بالاسطول الى ناحية بربولة ويبث السرايا فى جميع قلورية ففعل ذلك وغنم غنائم كثيرة وقتل وسبى وعاد هو وأخوه الى المدينة فلما كان سنة ست وستين وثلثمائة أمر أبو القاسم بعمارة رمطة وكانت قد خربت قبل ذلك وعاود الغزو وجمع الجيوش وسار فنازل قلعة اغاثة فطلب أهلها الامان وأمنهم وسلموا اليه القلعة بجميع ما فيها ورحل الى مدينة طارنت فرأى أهلها قد هربوا منها وأغلقوا أبوابها فصعد الناس السور وفتحوا الابواب ودخلها الناس فأمر الامير بهدمها فهدمت وأحرقت وأرسل السرايا فبلغوا الاذرنت وغيرها ونزل هو على مدينة عردلية فقاتلها فبذل أهلها له مالا صالحهم عليه وعاد الى المدينة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة خطب للعزيز العلوى بمكة حرسها الله تعالى بعد أن أرسل جيشا اليها فحصروها وضيقوا على أهلها ومنعوهم الميرة فغلت الاسعار بها ولقى أهلها شدة شديدة وفيها أقام بسيلس ابن ارمانوس ملك الروم ورد المعروف بسقلاروس دمستقا فلما استقر فى الولاية استوحش من الملك فعصى عليه واستظهر بأبى تغلب بن حمدان وصاهره ولبس التاج وطلب الملك وفيها توفى أبو أحمد بن عدى الجرجانى فى جمادى الآخرة وهو امام مشهور ومحمد بن بدر الكبير الحمامى غلام ابن طولون وكان قد ولى فارس بعد أبيه وفيها فى ذى القعدة توفى ثابت بن سنان بن ثابت ابن قرة الصابى صاحب التاريخ

﴿ثم دخلت سنة ست وستين وثلثمائة﴾

﴿ذكر وفاة ركن الدولة وملك عضد الدولة﴾

فى هذه السنة فى المحرم توفى ركن الدولة أبو على الحسين بن بويه واستخلف على ممالكه ابنه عضد الدولة وكان ابتداء مرضه حين سمع بقبض بختيار ابن أخيه معز الدولة وكان ابنه عضد الدولة قد عاد من بغداد بعد ان اطلق بختيار على الوجه الذى ذكرناه وظهر عند الخاص والعام غضب

الاغنياء من ذريح والهرش
فى ذلك يقول على الاعمى
اظهروا الحج وما يبغونه
بل من الهرش يريدون الهرب
كم اناس اصبحوا فى غبطة
ركض الليل عليهم بالعطب
من شعر له طويل ولما عم
البلاء أهل الستر اجتمع
التجار بالكرخ على مكاتبة
طاهر انهم ممنوعون منه
ومن الخروج اليه ومغلوب
على اموالهم وان العراة
والباعة هم الآفة فقال
بعضهم ان كانتم طاهر لم
تامنوا اصولة المخلوع بذلك
فدعوهم فان الله مهلكهم
وقال قائلهم
دعوا أهل الطريق فعن قريب
تنالهم مخاليب الصقور
فتهتك حجب اكباد شداد
وشيكا ما تصير الى القبور
فان الله مهلكهم جميعا
لاسباب التمرد والفجور
وثارت العراة ذات يوم فى
نحو مائة ألف بالرماح

والده عليه فخاف ان يموت أبوه وهو على حال غضبه فيختل ملكه وتزول طاعته فارسل الى أبي الفتح بن العميد وزير والده يطلب منه ان يتوصل مع أبيه واحضاره عنده وان يعهد اليه بالملك بعده فسعى أبو الفتح في ذلك فاجابه اليه ركن الدولة وكان قد وجد في نفسه خفة فسار من الري الى اصبهان فوصلها في جمادى الاولى سنة خمس وستين وثلثمائة وأحضر ولده عضد الدولة من فارس وجمع عنده أيضا سائر أولاده باصبهان فعمل أبو الفتح بن العميد دعوة عظيمة حضرها ركن الدولة وأولاده والقواد والاجناد فلما فرغوا من الطعام عهد ركن الدولة الى ولده عضد الدولة بالملك بعده وجعل لولده فخر الدولة أبي الحسن على همذان وأعمال الجبل ولولده مؤيد الدولة اصبهان واعمالها وجعلهما في هذه البلاد بحكم أخيهما عضد الدولة وخلع عضد الدولة على سائر الناس ذلك اليوم الاقبية والاكسية على زي الديلم وحياه القواد واخوته بالريحان على عادتهم مع ملوكهم وأوصى ركن الدولة أولاده بالاتفاق وترك الاختلاف وخلع عليهم ثم سار عن اصبهان في رجب نحو الري فدام مرضه الى ان توفي فاصيب به الدين والدنيا جميعا لاستكمال جميع خلال الخير فيه وكان عمره قد زاد على سبعين سنة وكانت امارته أربعا وأربعين سنة

﴿ذكر بعض سيرته﴾

كان حليما كريما واسع الكرم كثير البذل حسن السياسة لرعاياه وجنده رؤفا بهم عادلا في الحكم بينهم وكان بعيد الهمة عظيم الجد والسعادة متحرجا من الظلم مانعا لاصحابه منه عفيفا عن الدماء يرى حقنها واجبا الا فيما لا بد منه وكان يحامي على أهل البيوتات وكان يجري عليهم الارزاق ويصونهم عن التبذل وكان يقصد المساجد الجامعة في أشهر الصيام للصلاة وينتصب لرد المظالم ويتعهد العلويين بالاموال الكثيرة ويتصدق بالاموال الجليلة على ذوي الحاجات ويلين جانبه للخاص والعام قال له بعض أصحابه في ذلك وذكر له شدة مرداويج على أصحابه فقال انظر كيف اخترم ووثب عليه أخص أصحابه به وأقربهم منه لعنفه وشدته وكيف عمرت وأحبني الناس للين جانبي وحكى عنه انه سار في سفر فنزل في خركاة قد ضربت له قبل أصحابه وقدم اليه طعام فقال لبعض أصحابه لاي شئ قيل في المثل خير الاشياء في القرية الامارة فقال صاحبه لقعودك في الخركاة وهذا الطعام بين يديك وأنا لا خركاة ولا طعام فضحك وأعطاه الخركاة والطعام فانظر الى هذا الخلق ما أحسنه وما أجله وفي فعله في حادثة بختيار ما يدل على كمال مروءته وحسن عهده وصلته لرحمه رضي الله عنه وأرضاه وكان له حسن عهد ومودة واقبال

﴿ذكر مسير عضد الدولة الى العراق﴾

في هذه السنة تجهز عضد الدولة وسار يطلب العراق لما كان يبلغه عن بختيار وابن بقية من استمالة أصحاب الاطراف كحسنويه الكردي وفخر الدولة بن ركن الدولة وأبي تغلب بن حمدان وعمران بن شاهين وغيرهم والاتفاق على معاداته ولما كانا يقولانه من الشتم القبيح له ولما رأى من حسن العراق وعظم مملكته الى غير ذلك وانحدر بختيار الى واسط على عزم محاربة عضد الدولة وكان حسنويه وعده انه يحضر بنفسه لنصرته وكذلك أبو تغلب بن حمدان فلم يف له واحد منهما ثم سار بختيار الى الاهواز أشار بذلك ابن بقية وسار عضد الدولة من فارس نحوهم فالتقوا في ذي القعدة واقتتلوا فخامر على بختيار بعض عسكره وانتقلوا الى عضد الدولة فانهزم بختيار وأخذ ماله ومال ابن بقية ونهبت الاثقال وغيرها ولما وصل بختيار الى واسط حمل اليه ابن شاهين صاحب البطيحة مالا وسلاحا وغير ذلك من الهدايا النفيسة ودخل بختيار اليه فأكرمه وحمل اليه مالا

والقصب والطرادات القراطيس على رؤسها ونفخوا في القصب وقرون البقر وغيرهم من الحمدية وزحفوا من مواضع كثيرة نحو المأمونية فبعث اليهم طاهر بعدة قواد وأمراء من وجوه كثيرة واشتد الجلاد وكثر القتل وكانت للعراة على المأمونية الى الظهر وكان يوم الاثنين ثم ثارت المأمونية على العراة من أصحاب محمد ففرق منهم وقتل وأحرق نحو عشرة آلاف ففي ذلك يقول الاعمى

بالامير الطاهر بن الحسين
صبحونا صبيحة الاثنين
جمعوا جمعهم فثار اليهم
كل صلب القناة والساعدين
يا قتيل العراة ملقى على الشط
تطاه الخيول في الجانبين
ما الذي كان في يديك اذا ما
اصطلح الناس أية الحلتين
أوزير أمن قائد بل بعيد

جليلا واعلاقا نفيسة وعجب الناس من قول عمران ان بختيار سيدخل منزلي ويستجير بي فكان كما ذكر ثم اصعد بختيار الى واسط وأما عضد الدولة فانه سير الى البصرة جيشا فملكوها وسبب ذلك ان أهلها اختلفوا وكانت مضر تهوى عضد الدولة وتميل اليه لاسباب قررها معهم وخالفتهم ربيعة ومالت الى بختيار فلما انهزم ضعفوا وقويت مضر وكاتبوا عضد الدولة وطلبوا منه انفاذ جيش اليهم فسير جيشا تسلم البلد وأقام عندهم وأقام بختيار بواسط واحضر ما كان له ببغداد والبصرة من مال وغيره ففرقه في أصحابه ثم انه قبض على ابن بقية لانه اطرحه واستبد بالامور دونه وجبى الاموال الى نفسه ولم يوصل الى بختيار منها شيأ وأراد أيضا التقرب الى عضد الدولة بقبضه لانه هو الذي كان يفسد الاحوال بينهم ولما قبض عليه اخذ امواله ففرقها وراسل عضد الدولة في الصلح وترددت الرسل بذلك وكان أصحاب بختيار يختلفون عليه فبعضهم يشير به وبعضهم ينهى عنه ثم انه أتاه عبد الرزاق وبدر ابنا حسنويه في نحو ألف فارس معونة فلما وصلا اليه أظهر المقام بواسط ومحاربة عضد الدولة فاتصل بعضد الدولة انه نقض الشرط ثم بدا لبختيار في المسير فسار الى بغداد فعاد عنه ابنا حسنويه الى ابيهما واقام بختيار ببغداد وانقضت السنة وهو بها وسار عضد الدولة الى واسط ثم سار منها الى البصرة فاصلح بين ربيعة ومضر وكانوا في الحروب والاختلاف نحو مائة وعشرين سنة ومن عجيب ما جرى لبختيار في هذه الحادثة أنه كان له غلام تركي يميل اليه فاخذ في جملة الاسرى وانقطع خبره عن بختيار فحزن لذلك وامتنع من لذاته والاهتمام بما رفع اليه من زوال ملكه وذهاب نفسه حتى قال على رؤس الاشهاد ان فجيعتي بهذا الغلام أعظم من فجيعتي بذهاب ملكي ثم سمع انه في جملة الاسرى فارسل الى عضد الدولة يبذل له ما أحب في رده اليه فاعاده عليه وسارت هذه الحادثة عنه فازداد فضيحة وهوانا عند الملوك وغيرهم

﴿ذكر وفاة منصور بن نوح وملك ابنه نوح﴾

في هذه السنة مات الامير منصور بن نوح صاحب خراسان وما وراء النهر منتصف شوال وكان موته ببخارا وكانت ولايته خمس عشرة سنة وولى الامر بعده ابنه ابو القاسم نوح وكان عمره حين ولى الامر ثلاث عشرة سنة ولقب بالمنصور

﴿ذكر وفاة القاضي منذر البلوطي﴾

في هذه السنة في ذي القعدة مات القاضي منذر بن سعيد البلوطي أبو الحكم قاضي قضاة الاندلس وكان اماما فقيها خطيبا شاعرا فصيحا ذا دين متين دخل يوما على عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس بعد ان فرغ من بناء الزهراء وقصورها وقد قعد في قبة مزخرفة بالذهب والبناء البديع الذي لم يسبق اليه ومعه جماعة من الاعيان فقال عبد الرحمن الناصر هل بلغكم أن أحدا بنى مثل هذا البناء فقال له الجماعة لم نر ولم نسمع بمثله وأثنوا وبالغوا والقاضي مطرق فاستنطقه عبد الرحمن فبكى القاضي وانحدرت دموعه على لحيته وقال والله ما كنت أظن ان الشيطان أخزاه الله تعالى يبلغ منك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله وفضلك به حتى أنزلك منازل الكافرين فقال له عبد الرحمن انظر ما تقول وكيف أنزلني منزل الكافرين فقال قال الله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا الى قوله والآخرة عند ربك للمتقين فوجم عبد الرحمن وبكى وقال جزاك الله خيرا وأكثر في المسلمين مثلك واخبار هذا القاضي كثيرة حسنة جدا منها أنه قحط الناس وأرادوا الخروج للاستسقاء فارسل اليه عبد الرحمن

أنت من ذين موضع الفرقدين
كم بصير غدا بعينين كي ينظر ما حالهم فراح بعين

واشتد الامر بمحمد المخلوع فباع ما في خزائنه سرا وفرق ذلك أرزاقا فيمن معه ولم يبق معه ما يعطيهم عند مطالبتهم اياه وضيق عليه طاهر وكان نازلا بباب الانبار في بستان هنالك فقال محمد وددت ان الله قتل الفريقين جميعا فما منهم الا عدو من معي ومن علي أما هؤلاء فيريدون مالي وأما أولئك فيريدون نفسي وقال

تفرقوا أودعوني يا معشر الاعوان
فكلكم ذو وجوه كثيرة الالوان
وما أرى غير أفك وترهات الاماني

يأمره بالخروج فقال القاضي للرسول ياليت شعري ما الذي يصنعه الامير يومنا هذا فقال
ما رأيته قط اخشع منه الآن قد لبس خشن الثياب وافترش التراب وجعله على رأسه ولحيته
وبكى واعترف بذنوبه ويقول هذه ناصيتي بيدك اتراك تعذب هذا الخلق لاجلي فقال القاضي
يا غلام احمل الممطر معك فقد أذن الله بسقيانا اذا خشع جبار الارض رحم جبار السماء فخرج
واستسقى بالناس فلما صعد المنبر ورأى الناس قد شخصوا اليه بابصارهم قال سلام عليكم كتب
ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح الآية وكررها فضج
الناس بالبكاء والتوبة وتمم خطبته فسقى الناس

﴿ذكر القبض على أبي الفتح بن العميد﴾

في هذه السنة قبض عضد الدولة على أبي الفتح بن العميد وزير أبيه وسمل عينه الواحدة وقطع
أنفه وكان سبب ذلك ان أبا الفتح لما كان ببغداد مع عضد الدولة على ما شرحناه وسار عضد
الدولة نحو فارس تقدم الى أبي الفتح بتعجيل المسير عن بغداد الى الري فخالفه وأقام وأعجبه المقام
ببغداد وشرب مع بختيار ومال في هواه واقتنى ببغداد أملاكا ودورا على عزم العود اليها اذا مات
ركن الدولة ثم صار يكاتب بختيار باشياء يكرهها عضد الدولة وكان له نائب يعرضها على بختيار
فكان ذلك النائب يكاتب بها عضد الدولة ساعة فساعة فلما ملك عضد الدولة بعد موت أبيه كتب
الى أخيه فخر الدولة بالري يأمره بالقبض عليه وعلى أهله وأصحابه ففعل ذلك وانقلع بيت العميد
على يده كما ظنه أبوه أبو الفضل وكان أبو الفتح ليلة قبض قد أمسى مسرورا فاحضر الندماء والمغنين
وأظهر من الآلات الذهبية والزجاج المليح وأنواع الطيب ما ليس لاحد مثله وشربوا وعمل شعرا
وغنى له فيه وهو

دعوت المنى ودعوت العلا * فلما أجاب دعوت القدح
وقلت لايام شرخ الشباب * الى فهذا أوان الفرح
اذا بلغ المرء آماله * فليس له بعدها مقترح

فلما غنى في الشعر استطابه وشرب عليه الى ان سكر وقام وقال لغلمانه اتركوا المجلس على ما هو
عليه لنصطبح غدا وقال لندمائه بكروا الي غدا لنصطبح ولا تتأخروا فانصرف الندماء ودخل هو
الى بيت منامه فلما كان السحر دعاه مؤيد الدولة فقبض عليه وأرسل الى داره فاخذ جميع ما فيها
ومن جملته ذلك المجلس بما فيه

﴿ذكر وفاة الحاكم وولاية ابنه هشام﴾

وفي هذه السنة توفي الحاكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المستنصر بالله
الاموي صاحب الاندلس وكانت امارته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وعمره ثلاثا وستين سنة
وسبعة أشهر وكان أصهب أعين أقنى عظيم الصوت ضخم الجسم أفقم وكان محبا لاهل العلم عالما
فقيها في المذاهب عالما بالانساب والتواريخ جماعا للكتب والعلماء مكرما لهم محسنا اليهم
أحضرهم من البلدان البعيدة ليستفيد منهم ويحسن اليهم ولما توفي ولي بعده ابنه هشام بعهد
أبيه وله عشر سنين ولقب المؤيد بالله واختلفت البلاد في أيامه وأخذ وحبس ثم عاد الى الامارة
وسببه أنه لما ولي المؤيد تحجب له المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري وابناه المظفر
والناصر فلما حجب له أبو عامر حجبه عن الناس فلم يكن أحد يراه ولا يصل اليه وقام بأمر دولته
القيام المرضي وعدل في الرعية وأقبلت الدنيا اليه واشتغل بالغزو وفتح من بلاد الاعداء كثيرا
وامتلأت بلاد الاندلس بالغنائم والرقيق وجعل أكثر جنده منهم كواضح الفتى وغيره من

المشهورين

واست أملك شيأ
فسائلوا اخواني
قالوا بل فيما دهاني
من نازل البستان
يعني طاهر بن الحسين
ولما اشتد الامر عليه
ونزل هرثمة بن أعين بالجانب
الشرقي وطاهر بالجانب
الغربي وبقي محمد في مدينة
أبي جعفر شاور من حضر
من خواصه في النجاة
بنفسه فكل أدلى برأي
وأشار بوجه فقال قائل
منهم تكاتب ابن الحسين
وتحلف له انك مفوض
أمرك اليه لعله أن يجيبك
الى ما تريد منه فقال
ثكلتك أمك لقد أخطأت
الرأي في طلب المشورة
منك أما رأيت آثار رجل
لا يؤول الى عذر وهل
كان المأمون لو اجتهد لنفسه

المشهورين وكانوا يعرفون بالعامريين وأدام الله له الحال ستا وعشرين سنة غزا فيها اثنتين وخمسين غزاة ما بين صائفة وشاتية وتوفى سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة وكان حازما قوى العزم كثير العدل والاحسان حسن السياسة فمن محاسن أعماله أنه دخل بلاد الفرنج غازيا فجاز الدرب اليها وهو مضيق بين جبلين واوغل فى بلاد الفرنج يسبى ويخرب ويغنم فلما أراد الخروج رآهم قد سدوا الدرب وهم عليه يحفظونه من المسلمين فاظهر أنه يريد المقام فى بلادهم وشرع هو وعسكره فى عمارة المساكن وزرع الغلات وأحضروا الحطب والتبن والميرة وما يحتاجون اليه فلما رأوا عزمه على المقام مالوا الى السلم فراسلوه فى ترك الغنائم والجواز الى بلاده فقال أنا عازم على المقام فتركوا له الغنائم فلم يجبهم الى الصلح فبذلوا له مالا ودواب تحمل له ما غنمه من بلادهم فاجابهم الى الصلح وفتحوا له الدرب فجاز الى بلاده وكان أصله من الجزيرة الخضراء وورد شابا الى قرطبة طالبا للعلم والادب وسماع الحديث فبرع فيها وتميز ثم تعلق بخدمة صبح والدة المؤيد وعظم محله عندها فلما مات الحاكم المستنصر كان المؤيد صغيرا فخيف على الملك ان يختل فضمن لصبح سكون البلاد وزوال الخوف وكان قوى النفس وساعدته المقادير وامدته الامراء بالاموال فاستمال العساكر وجرت الامور على أحسن نظام وكانت أمه تميمية وأبوه معافرى بطن من حمير فلما توفى ولى بعده ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر فسار كسيرة أبيه وتوفى سنة تسع وتسعين وثلثمائة فكانت ولايته سبع سنين وكان سبب موته ان أخاه عبد الرحمن سمه فى تفاحة قطعها بسكين كان قد سم أحد جانبيها فناول أخاه ما يلى الجانب المسموم وأخذ هو ما يلى الجانب الصحيح فأكله بحضرته فاطمأن المظفر وأكل ما بيده منها فمات فلما توفى ولى بعده أخوه عبد الرحمن الملقب بالناصر فسلك غير طريق أبيه وأخيه وأخذ فى المجون وشرب الخمور وغير ذلك ثم دس الى المؤيد من خوفه منه ان لم يجعله ولى عهده ففعل ذلك فحقد الناس وبنو أمية عليه ذلك وأبغضوه وتحركوا فى أمره الى ان قتل وغزا شاتية واوغل فى بلاد الجلالقة فلم يقدم ملكها على لقائه وتحصن منه فى رؤس الجبال ولم يقدر عبد الرحمن على اتباعه لزيادة الانهار وكثرة الثلوج فاثخن فى البلاد التى وطئها وخرج موفورا فبلغه فى طريقه ظهور محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله بقرطبة واستيلاؤه عليها وأخذه المؤيد أسيرا فتفرق عنه عسكره ولم يبق معه الا خاصته فسار الى قرطبة ليتلافى ذلك الخطب فخرج اليه عسكر محمد بن هشام فقتلوه وحملوا رأسه الى قرطبة فطافوا به وكان قتله سنة تسع وتسعين وثلثمائة ثم صلبوه

(ذكر ظهور محمد بن هشام بقرطبة)

وفى سنة تسع وتسعين وثلثمائة ظهر بقرطبة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله الاموى ومعه اثنا عشر رجلا فبايعه الناس وكان ظهوره سلخ جمادى الآخرة وتلقب بالمهدى بالله وملك قرطبة وأخذ المؤيد فحبسه معه فى القصر ثم أخرجه وأخفاه وأظهر انه مات وكان قد مات انسان نصرانى يشبه المؤيد فابرزه للناس فى شعبان من هذه السنة وذكر لهم انه المؤيد فلم يشكوا فى موته وصلوا عليه ودفنوه فى مقابر المسلمين ثم انه أظهره على ما نذكره وأكذب نفسه فكانت مدة ولاية المؤيد هذه الى ان حبس ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ونقم الناس على ابن عبد الجبار أشياء منها انه كان يعمل النبيذ فى قصره فسموه نباذا ومنها فعله بالمؤيد وانه كان كذابا متلونا مبغضا للبربر فانقلب الناس عليه

(ذكر خروج هشام بن سليمان عليه)

وتولى الامر برأيه بالغا عشر ما بلغه له طاهر ولقد دسست وفحصت عن رأيه فما رأيته يطلب تأثيل المكارم وبعد الصيت والوفاء فكيف أطمع فى استدلاله بالاموال وفى غدره والاعتماد فى عقله ولو قد أجاب الى طاعتى وانصرف الىّ ثم ناصبنى جميع الترك والديلم لما اهتممت بمناصبتهم ولكنت كما قال أبو الاسود الدؤلى فى الازد عند اجارتهم زياد ابن أبيه

فلما رآهم يطلبون وزيره
وساروا اليه بعد طول تمادى
أتى الازد اذ خاف الذى لا يقالها
عليه وكان الرأى رأى زياد
فقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا
أصبت فكاشف من أردت وعاد
فاصبح لا يخشى من الناس كلهم
عدوا ولو مالوا بقوة عاد

والله لوددت انه أجاب الى ذلك فأبحته خزائنى وفوضت اليه ملكى ورضيت بالمعاش تحت

لما استوحش أهل الاندلس من ابن عبد الجبار وأبغضوه قصدوا هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله فاخرجوه من داره وبايعوه فتلقب بالرشيد وذلك لاربع بقين من شوال سنة تسع وتسعين واجتمعوا بظاهر قرطبة وحصروا ابن عبد الجبار وترددت الرسل بينهم ليخلع ابن عبد الجبار من الملك على ان يؤمنه وأهله وجميع أصحابه ثم ان ابن عبد الجبار جمع أصحابه وخرج اليهم فقاتلهم فانهزم هشام وأصحابه وأخذ هشام أسيرا فقتله ابن عبد الجبار وقتل معه عدة من قواده واستقر أمر ابن عبد الجبار وكان عم هشام

(ذكر خروج سليمان عليه أيضا)

ولما قتل ابن عبد الجبار هشام بن سليمان بن الناصر وانهزم أصحابه انهزم معهم سليمان بن الحاكم ابن سليمان بن الناصر وهو ابن أخي هشام المقتول فبايعه أصحاب عمه وأكثرهم البربر بعد الوقعة بيومين ولقبوه المستعين بالله ثم لقب بالظاهر بالله وساروا الى النصارى فصالحوهم واستنجدوهم فانجدوهم وساروا معهم الى قرطبة فاقتتلوا هم وابن عبد الجبار بقنتيج وهي الوقعة المشهورة غزوا فيها وقتل مالا يحصى فانهزم ابن عبد الجبار وتحصن بقصر قرطبة ودخل سليمان البلد وحصره في القصر فلما رأى ابن عبد الجبار مانزل به أظهر المؤيد ظنا منه ان يخلع هو وسليمان ويرجع الامر الى المؤيد فلم يوافقه أحد ظنا منهم ان المؤيد قد مات فلما اعياه الامر احتال في الهرب فهرب سرا واختفى ودخل سليمان القصر وبايعه الناس بالخلافة في شوال سنة أربعمائة وبقي بقرطبة أياما وكان عدة القتلى بقنتيج نحو خمسة وثلاثين ألفا وأغار البربر والروم على قرطبة فنهبوا وسبوا وأسروا عددا عظيما

(ذكر عود ابن عبد الجبار وقتله وعود المؤيد)

لما اختفى ابن عبد الجبار سار سرا الى طليطلة وأتاه واضح الفتى العامري في أصحابه وجمع له النصارى وسار بهم الى قرطبة فخرج اليهم سليمان فالتقوا بقرب عقبة البقر واقتتلوا أشد قتال فانهزم سليمان ومن معه منتصف شوال سنة أربعمائة ومضى سليمان الى شاطبة ودخل ابن عبد الجبار قرطبة وجدد البيعة لنفسه وجعل الحجابة لواضح وتصرف بالاختيار ثم ان جماعة من الفتيان العامريين منهم عنبر وخيرون وغيرهما كانوا مع سليمان فارسلوا الى ابن عبد الجبار يطلبون قبول طاعتهم وان يجعلهم في جملة رجاله فاجابهم الى ذلك وانما فعلوا ذلك مكيدة به ليقتلوه فلما دخلوا قرطبة استمالوا واضحا فاجابهم الى قتله فلما كان تاسع ذي الحجة سنة أربعمائة اجتمعوا في القصر فملكوه وأخذوا ابن عبد الجبار أسيرا وأخرجوا المؤيد بالله فأجلسوه مجلس الخلافة وبايعوه وأحضروا ابن عبد الجبار بين يديه فعدد ذنوبه عليه ثم قتل وطيف برأسه في قرطبة وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وأمه أم ولد وكان ينبغي ان نذكر هذه الحوادث متأخرة وانما قدمناها لتعلق بعضها ببعض ولان كل واحد منهم ليس له من طول المدة ماتؤخر اخباره وتفرق

(ذكر عود أبي المعالي بن سيف الدولة الى ملك حلب)

في هذه السنة عاد أبو المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان الى ملك حلب وكان سببه ان قرعويه لما تغلب عليها أخرج منها مولاه أبا المعالي كما ذكرناه سنة سبع وخمسين وثلثمائة فسار أبو المعالي الى والدته بميافارقين ثم أتى حماه وهي له فنزل بها وكانت الروم قد خربت حمص واعمالها وقد ذكر أيضا فنزل اليه بارقتاش. ولي أبيه وهو بحصن برزويه وخدمه وعمر له مدينة حمص فكثر أهلها وكان قرعويه قد استناب بحلب مولى له اسمه بكجور فقوي بكجور واستفحل أمره

يديه ولا أظنني مقالته ولو كانت ألف نفس فقال السندي صدقت يا أمير المؤمنين ولو انك أبوه الحسين بن مصعب ما استقال فقال محمد وكيف لنا بالخلاص الى هرثمة ولات حين مناص وراسل هرثمة ومال الى جنبته فوعده هرثمة بكل ما أحب وانه يمنعه ممن يريد قتله و بلغ ذلك طاهرا فاشتد عليه وزاد غيظه وحنقه و وعده هرثمة ان يأتيه في حراقة الى مشرعة باب خراسان فيصير به الى عسكره ومن أحب فلما هم محمد بالخروج في تلك الليلة وهي ليلة الخميس لخمس ليال بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة دخل اليه الصعاليك من أصحابه وهم فتيان الابناء والجند فقالوا له يا أمير المؤمنين ليس معك من ينصحك ونحن سبعة آلاف رجل مقاتلة وفي اصطبلك سبعة آلاف فرس ونفتح بعض أبواب المدينة ونخرج في هذه الليلة فما

وقبض على مولاه قرعويه وحبسه فى قلعة حلب وأقام بها نحو ست سنين فكتب من بحلب من أصحاب قرعويه الى أبى المعالى بن سيف الدولة ليقصد حلب ويملكها فسار اليها وحصرها أربعة أشهر وملكها وبقيت القلعة بيد بكجور فترددت الرسل بينهما فأجاب الى التسليم على ان يؤمنه فى نفسه وأهله وماله ويوليه حمص وطلب بكجور ان يحضر هذا الامان والعهد وجوه بنى كلاب ففعل أبو المعالى ذلك وأحضرهم الامان والعهد وسلم قلعة حلب الى أبى المعالى وسار بكجور الى حمص فولاها لابى المعالى وصرف همته الى عمارتها وحفظ الطرق فازدادت عمارتها وكثر الخير بها ثم انتقل منها الى ولاية دمشق على مانذكره سنة ست وسبعين وثلثمائة

(ذكر ابتداء دولة آل سبكتكين)

فى هذه السنة ملك سبكتكين مدينة غزنة وأعمالها وكان ابتداء أمره انه كان من غلمان أبى اسحق بن البتكين صاحب جيش غزنة للسامانية وكان مقدما عنده وعليه مدار أمره وقدم الى بخارا أيام الامير منصور بن نوح مع أبى اسحق فعرفه أرباب تلك الدولة بالعقل والعفة وجودة الرأى والصرامة وعاد معه الى غزنة فلم يلبث أبو اسحق ان توفى ولم يخلف من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم فاجتمع عسكره ونظروا فيمن يلى أمرهم ويجمع كلمتهم فاختلفوا ثم اتفقوا على سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروءته وكمال خلال الخير فيه فقدموه عليهم وولوه أمرهم وحلفوا له وأطاعوه فوليهم وأحسن السيرة فيهم وساس أمورهم سياسة حسنة وجعل نفسه كأحدهم فى الحال والمال وكان يدخر من اقطاعه مايعمل منه طعاما لهم فى كل اسبوع مرتين ثم انه جمع العساكر وسار نحو الهند مجاهدا وجرى بينه وبين الهنود حروب يشيب لها الوليد وكشف بلادهم وشن الغارات عليها وطمع فيها وخافه الهند ففتح من بلادهم حصونا ومعاقل وقتل منهم مالا يدخل تحت الاحصاء واتفق له فى بعض غزواته ان الهنود اجتمعوا فى خلق كثير وطاولوه الايام وماطلوه القتال فعدم الزاد عند المسلمين وعجزوا عن الامتيار فشكوا اليه ماهم فيه فقال لهم انى استصحبت لنفسى شيأ من السويق استظهارا وأنا أقسمه بينكم قسمة عادلة على السواء الى ان يأتى الله بالفرج فكان يعطى كل انسان منهم ملء قدح معه ويأخذ لنفسه مثل أحدهم فيجتزئ به يوما وليلة وهم مع ذلك يقاتلون الكفار فرزقهم الله النصر عليهم والظفر بهم فقتلوا منهم وأسروا خلقا كثيرا

(ذكر ولاية سبكتكين على قصدار وبست)

ثم ان سبكتكين عظم شأنه وارتفع قدره وحسن بين الناس ذكره وتعلقت الاطماع بالاستعانة به وأتاه بعض الامراء الكبار وهو صاحب بست واسمه طغان مستعينا به مستنصرا وسبب ذلك انه خرج عليه أمير يعرف بابى تور فملك مدينة بست عليه وأجلاه عنها بعد حرب شديدة فقصد سبكتكين مستنصرا به وضمن له مالا مقررا وطاعة يبذلها له فتجهز وسار معه حتى نزل على بست وخرج اليه بابى تور فقاتله قتالا شديدا ثم انهزم بابى تور وتفرق هو وأصحابه وتسلم طغان البلد فلما استقر فيه طالبه سبكتكين بما استقر عليه من المال فأخذ فى المطل فأغلظ له فى القول لكثرة مطله فحمل طغان جهله على ان سل السيف فضرب يد سبكتكين فجرحها فأخذ سبكتكين السيف وضربه أيضا فجرحه وحجز العسكر بينهما وقامت الحرب على ساق فانهزم طغان واستولى سبكتكين على بست ثم انه سار الى قصدار وكان متوليها قد عصى عليه لصعوبة مسالكها وحصانتها وظن ان ذلك يمنعه فسار اليه جريدة مجدا فلم يشعر الا والخيل معه فأخذ من داره ثم انه

يقدم علينا أحد الى ان نصير الى بلاد الجزيرة وديار ربيعة فنجبى الاموال ونجمع الرجال ونتوسط الشام وندخل مصر ويكثر الجيش والمال وتعود الدولة مقبلة جديدة فقال هذا والله الرأى فعزم على ذلك وهم به وجنح اليه وكان لطاهر فى جوف دار الامين غلمان وخدم من خاصة الامين يبعثون اليه بالاخبار ساعة فساعة فخرج الخبر الى طاهر من وقته فخاف طاهر وعلم أنه الرأى ان فعله فبعث الى سليمان بن أبى جعفر والى ابن نهيك والسندى بن شاهك وكانوا مع الامين ان لم تزيلوه عن هذا الرأى لاخربن ضياعكم وأزيل نعمكم وأتلف نفوسكم فدخلوا على الامين فى ليلتهم فازالوه عن ذلك الرأى وأتاه هرثمة فى الحراقة الى باب خراسان ودعا الامين بفرس يقال له الزهيرى أغر محجل أدهم محذوف ودعا الامين بابنيه موسى وعبد الله

من عليه ورده الى ولايته وقرر عليه مالا يحمله اليه كل سنة

(ذكر مسير الهند الى بلاد الاسلام وما كان منهم مع سبكتكين)

لما فرغ سبكتكين من بست وقصدار غزا الهند فافتتح قلاعا حصينة على شواهق الجبال وعاد سالما ظافرا ولما رأى جيبال ملك الهند مادهاه وان بلاده تملك من أطرافها أخذه ماقدم وحدث فحشد وجمع واستكثر من الفيول وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين وقد باض الشيطان فى رأسه وفرخ فسار سبكتكين عن غزنة اليه ومعه عساكره وخلق كثير من المتطوعة فالتقوا واقتتلوا أياما كثيرة وصبر الفريقان وبالقرب منهم عقبة غورك وفيها عين ماء لا تقبل نجسا ولا قذرا واذا ألقى فيها شئ من ذلك اكفهرت السماء وهبت الرياح وكثر الرعد والبرق والامطار ولا تزال كذلك الى ان تطهر من الذى ألقى فيها فامر سبكتكين بالقاء نجاسة فى تلك العين فجاء الغيم والرعد والبرق وقامت القيامة على الهنود لانهم رأوا مالم يروا مثله وتوالت عليهم الصواعق والامطار واشتد البرد حتى هلكوا وعميت عليهم المذاهب واستسلموا الشدة ماعاينوه وأرسل ملك الهند الى سبكتكين يطلب الصلح وترددت الرسل فاجابهم اليه بعد امتناع من ولده محمود على مال يؤديه وبلاد يسلمها وخمسين فيلا يحملها اليه فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد وسير معه سبكتكين من يتسلمها فان المال والفيلة كانت معجلة فلما أبعد جيبال ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه فلما سمع سبكتكين بذلك جمع العساكر وسار نحو الهند فاخرب كل مامر عليه من بلادهم وقصد لمغان وهى من أحسن قلاعهم فافتتحها عنوة وهدم بيوت الاصنام وأقام فيها شعار الاسلام وسار عنها يفتح البلاد ويقتل أهلها فلما بلغ ماأراده عاد الى غزنة ولما بلغ الخبر الى جيبال سقط فى يده وجمع العساكر وسار فى مائة ألف مقاتل فلقيه سبكتكين وأمر أصحابه ان يتناوبوا القتال مع الهنود ففعلوا ذلك فضجر الهنود من دوام القتال معهم وحملوا حملة واحدة فعند ذلك اشتد الامر وعظم الخطب وحمل أيضا المسلمون جميعهم واختلط بعضهم ببعض فانهزم الهنود وأخذهم السيف من كل جانب وأسر منهم مالا يعد وغنم أموالهم وأثقالهم ودوابهم الكثيرة وذل الهنود بعد هذه الوقعة ولم يكن لهم بعدها راية ورضوا بان لا يطلبوا فى أقاصى بلادهم ولما قوى سبكتكين بعد هذه الوقعة أطاعه الافغانية والخلج وصاروا فى طاعته

(ذكر ملك قابوس بن وشمكير جرجان)

فى هذه السنة توفى ظهير الدولة بيستون بن وشمكير بجرجان وكان قابوس أخوه زائرا خاله رستم بجبل شهريار وخلف بيستون ابنا صغيرا بطبرستان مع جده لامه فطمع جده ان يأخذ الملك وبادر الى جرجان فرأى بها جماعة من القواد قد مالوا الى قابوس فقبض عليهم وبلغ الخبر الى قابوس فسار الى جرجان فلما قاربها خرج الجيش اليه وأجمعوا عليه وملكوه وهرب من كان مع ابن بيستون فاخذه عمه قابوس وكفله وجعله اسوة أولاده واستولى على جرجان وطبرستان

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى نقلت ابنة عز الدولة بختيار الى الطائع لله وكان تزوجها وفيها توفى أبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيويه فى رجب وفى صفر منها توفى أبو الحسن على بن وصيف الناشئ المعروف بالخلال صاحب المراثى الكثيرة فى أهل البيت وفيها توفى أبو يعقوب يوسف بن الحسن الجنابى صاحب هجر وكان مولده سنة ثمانين ومائتين وتولى أمر القرامطة بعده ستة نفر شركة وسموا السادة وكانوا متفقين

فعانقهما وشمهما وبكى وقال الله خليفتى عليكم ولست أدرى ألتقى معكما بعدها أولا وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود وقدامه شمعة حتى أتى باب خراسان الى المشرعة والحراقة قائمة فنزل ودخل الحراقة فقبل هرثمة بين عينيه وقد كان طاهر نمى اليه خروجه فبعث بالرجال من الهروية وغيرهم والملاحين فى الزوارق وعلى الشط فدفعت الحراقة ولم يكن مع هرثمة عدة من رجاله فاتى أصحاب طاهر عراة فغاصوا تحت الحراقة فانقلبت بمن فيها فلم يكن لهرثمة شاغل الا بحشاشة نفسه فتعلق بزورق وصعد اليه من الماء ومضى الى عسكره الى الجانب الشرقى وشق محمد ثيابه عن نفسه وسبح فوقع نحو العراة الى عسكر قريش الديرانى غلام طاهر فاخذه بعض السواس حين شم منه رائحة المسك والطيب فاستأذن فيه طاهرا فاتاه

﴿ثم دخلت سنة سبع وستين وثلثمائة﴾

﴿ذكر استيلاء عضد الدولة على العراق﴾

في هذه السنة سار عضد الدولة الى بغداد وأرسل الى بختيار يدعوه الى طاعته وان يسير عن العراق الى أي جهة أراد وضمن مساعدته بما يحتاج اليه من مال وسلاح وغير ذلك فاختلف أصحاب بختيار عليه في الاجابة الى ذلك الا انه أجاب اليه لضعف نفسه فانفذ له عضد الدولة خلعة فلبسها وأرسل اليه يطلب منه ابن بقية فقلع عينيه وأنفذه اليه وتجهز بختيار بما أنفذه اليه عضد الدولة وخرج عن بغداد عازما على قصد الشام وسار عضد الدولة فدخل بغداد وخطب له بها ولم يكن قبل ذلك يخطب لاحد ببغداد وضرب على بابه ثلاث نوب ولم تجر بذلك عادة من تقدمه وأمر بان يلقى ابن بقية بين قوائم الفيلة لتقتله ففعل به ذلك وخبطته الفيلة حتى قتلته وصلب على رأس الجسر في شوال من هذه السنة فرثاه أبو الحسن الانباري بابيات حسنة في معناها وهي

علو في الحياة وفي الممات * لحق أنت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيبا * وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم اقتفاء * كمدهما اليهم في الهبات
ولما ضاق بطن الارض عن ان * يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا * عن الاكفان ثوب السافيات
لعظمك في النفوس تبيت ترعى * بحراس وحفاظ ثقات
وتشعل عندك النيران ليلا * كذلك كنت أيام الحياة
ولم أر قبل جذعك قط جذعا * تمكن من عناق المكرمات
ركبت مطية من قبل زيد * علاها في السنين الذاهبات

وهي كثيرة قوله زيد علاها يعني زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما قتل وصلب أيام هشام بن عبد الملك وقد ذكر وبقي ابن بقية مصلوبا الى أيام صمصام الدولة فانزل من جذعه ودفن

﴿ذكر قتل بختيار﴾

لما سار بختيار عن بغداد عزم على قصد الشام ومعه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان فلما صار بختيار بعكبرا حسن له حمدان قصد الموصل وكثرة أموالها وأطمعه فيها وقال انها خير من الشام وأسهل فسار بختيار نحو الموصل وكان عضد الدولة قد حلفه أن لا يقصد ولاية أبي تغلب بن حمدان لمودة ومكاتبة كانت بينهما فنكث وقصدها فلما صار الى تكريت أتته رسل أبي تغلب تسأله ان يقبض على أخيه حمدان ويسلمه اليه واذا فعل سار بنفسه وعساكره اليه وقاتل معه عضد الدولة وأعاده الى ملكه ببغداد فقبض بختيار على حمدان وسلمه الى نواب أبي تغلب فحبسه في قلعة له وسار بختيار الى الحديثة واجتمع مع أبي تغلب وسارا جميعا نحو العراق وكان مع أبي تغلب نحو من عشرين ألف مقاتل وبلغ ذلك عضد الدولة فسار عن بغداد نحوهما فالتقوا بقصر الجص بنواحي تكريت ثامن عشر شوال فهزمهما وأسر بختيار وأحضر عند عضد الدولة فلم يأذن بادخاله اليه وأمر بقتله فقتل وذلك بمشورة أبي الوفاء طاهر بن ابراهيم وقتل من أصحابه خلق كثير واستقر ملك عضد الدولة بعد ذلك وكان عمر بختيار ستا وثلاثين سنة وملك احدى عشرة سنة وشهورا

﴿ذكر استيلاء عضد الدولة على ملك بني حمدان﴾

الاذن في الطريق وقد حمل الى طاهر فقتل في الطريق وهو يصيح انا لله وانا اليه راجعون أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخو المأمون والسيوف تأخذه حتى بردوا أخذوا رأسه وكانت ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة (وذكر) أحمد بن سلام وقد كان مع الامين في الحراقة حين أصيب فسبح فقبض عليه بعض أصحاب طاهر وأراد قتله فارغبه في عشرة آلاف درهم وانه يحملها اليه في صبيحة تلك الليلة قال فادخلت بيتا مظلما فبينا أنا كذلك اذ ادخل علي رجل عريان عليه سراويل وعمامة متلثما بها وعلى كتفه خرقة فجعلوه معي وتقدموا الى من في حفظنا فلما استقر في البيت حسر العمامة عن وجهه فاذا هو محمد فاستعبرت واسترجعت فيما بيني وبين نفسي وجعل ينظر الي ثم قال أيهم أنت قلت أنا مولاك

لما انهزم أبو تغلب وبختيار سار عضد الدولة نحو الموصل فملكها ثاني عشر ذي القعدة وما يتصل بها وظن أبو تغلب انه يفعل كما كان غيره يفعل يقيم يسيرا ثم يضطر الى المصالحة ويعود وكان عضد الدولة أحزم من ذلك فانه لما قصد الموصل حمل معه الميرة والعلوفات ومن يعرف ولاية الموصل واعمالها وأقام بالموصل مطمئنا وبث السرايا في طلب أبي تغلب فارسل أبو تغلب يطلب ان يضمن البلاد فلم يجبه عضد الدولة الى ذلك وقال هذه البلاد أحب الي من العراق وكان مع أبي تغلب المرزبان بن بختيار وأبو اسحق وأبو طاهر ابنا معز الدولة ووالدتهما وهي أم بختيار وأسبابهم فسار أبو تغلب الى نصيبين فسير عضد الدولة سرية عليها حاجبه أبو حرب طغان الى جزيرة ابن عمر وسير في طلب أبي تغلب سرية واستعمل عليها أبا الوفاء طاهر بن محمد على طريق سنجار فسار أبو تغلب مجدا فبلغ ميافارقين وأقام بها ومعه أهله فلما بلغه مسير أبي الوفاء اليه سار نحو بدليس ومعه النساء وغيرهن من أهله ووصل أبو الوفاء الى ميافارقين فاغلقت دونه وهي حصينة منيعة من حصون الروم القديمة وتركها وطلب أبا تغلب وكان أبو تغلب قد عدل من ارزن الروم الى الحسنية من أعمال الجزيرة وصعد الى قلعة كواشي وغيرها من قلاعه وأخذ ماله فيها من الاموال وعاد أبو الوفاء الى ميافارقين وحصرها ولما اتصل بعضد الدولة مجيء أبي تغلب الى قلاعه سار اليه بنفسه فلم يدركه ولكنه استأمن اليه أكثر أصحابه وعاد الى الموصل وسير في أثر أبي تغلب عسكرا مع قائد من أصحابه يقال له طغان فتعسف أبو تغلب الى بدليس وظن انه لا يتبعه أحد فتبعه طغان فهرب من بدليس وقصد بلاد الروم ليتصل بملكهم المعروف بورد الرومي وليس من بيت الملك وانما تملك عليهم قهرا واختلف الروم عليه ونصبوا غيره من أولاد ملوكهم فطالت الحرب بينهم فصاهر ورد هذا أبا تغلب ليتقوى به فقدر ان أبا تغلب احتاج الى الاعتضاد به ولما سار أبو تغلب من بدليس أدركه عسكر عضد الدولة وهم حريصون على أخذ ما معه من المال فانهم كانوا قد سمعوا بكثرته فلما وقعوا عليه نادى أميرهم لا تتعرضوا لهذا المال فهو لعضد الدولة ففتروا عن القتال فلما رآهم أبو تغلب فاترين حمل عليهم فانهزموا فقتل منهم مقتلة عظيمة ونجا منهم فنزل بحصن زياد ويعرف الآن بخرتبرت وأرسل ورد المذكور فعرفه ما هو بصدده من اجتماع الروم عليه واستمده وقال اذا فرغت عدت اليك فسير اليه أبو تغلب طائفة من عسكره فاتفق ان وردا انهزم فلما علم أبو تغلب بذلك يئس من نصره وعاد الى بلاد الاسلام فنزل بآمد وأقام بها شهرين الى ان فتحت ميافارقين

(ذكر عدة حوادث)

فيها ظهر بافريقية في السماء حمرة بين المشرق والشمال مثل لهب النار فخرج الناس يدعون الله تعالى ويتضرعون اليه وكان بالمهدية زلازل وأهوال أقامت أربعين يوما حتى فارق أهلها منازلهم وأسلموا أمتعتهم وفيها سير العزيز بالله العلوي صاحب مصر وافريقية أميرا على الموسم ليحج بالناس وكانت الخطبة له بمكة وكان الامير على الموسم باديس بن زيري أخا يوسف بلكين خليفته بافريقية فلما وصل الى مكة أتاه اللصوص بها فقالوا له نتقبل منك الموسم بخمسين ألف درهم ولا تتعرض لنا فقال لهم أفعل ذلك اجمعوا لي أصحابكم حتى يكون العقد مع جميعكم فاجتمعوا وكانوا نيفا وثلاثين رجلا فقال هل بقي منكم أحد فحلفوا انه لم يبق منهم أحد فقطع أيديهم كلهم وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة وغرقت كثيرا من الجانب الشرقي ببغداد وغرقت أيضا مقابر باب التبن بالجانب الغربي منها وبلغت السفينة أجرة وافرة وأشرف الناس على الهلاك ثم نقص الماء فامنوا وفيها توفي القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة وله نوادر مجموعة وعمره

يا سيدي فقال وأي الموالي أنت قلت أحمد بن سلام قال وأعرفك بغير هذا كنت تأتيني بالرقة قلت نعم ثم قال يا أحمد قلت لبيك يا سيدي قال ادن مني وضمني اليك فاني أجد وحشة شديدة قال فضممته الي فاذا قلبه يخفق خفقانا شديدا ثم قال أخبرني عن أخي المأمون أحي هو قلت له فهذا القتال عمن اذن قال قبحهم الله ثم قال ذكروا انه مات قلت قبح الله وزراءك فهم أوردوك هذا المورد فقال لي يا أحمد ليس هذا موضع عتاب فلا تقل في وزرائي الا خيرا فما لهم ذنب ولست بأول من طلب أمرا فلم يقدر عليه قلت البس ازارك هذا وارم بهذه الخرقة التي عليك فقال يا أحمد من كان حاله مثل حالي فهذه له كثير ثم قال لي يا أحمد ما أشك أنهم سيحملوني الى أخي أفترى أخي قاتلي قلت كلا ان الرحم ستعطفه عليك فقال لي هيهات الملك عقيم لا رحم له فقلت له ان أمان

خمس وستون سنة وفيها خلع على القاضي عبد الجبار بن أحمد بالري وولي القضاء بأعمال حكم مؤيد الدولة من البلاد وهو من أئمة المعتزلة ويرد في تراجم تصانيفه قاضي القضاة ويعني به قاضي قضاة أعمال الري وبعض من لا يعلم ذلك يظنه قاضي القضاة مطلقا وليس كذلك

﴿ثم دخلت سنة ثمان وستين وثلثمائة﴾

﴿ذكر فتح ميافارقين وآمد وغيرهما من ديار بكر على يد عضد الدولة﴾

لما عاد أبو الوفاء من طلب أبي تغلب نازل ميافارقين وكان الوالي عليها هزارمرد فضبط البلد وبالغ في قتال أبي الوفاء ثلاثة أشهر ثم مات هزارمرد فكوتب أبو تغلب بذلك فأمر أن يقام مقامه غلام من الحمدانية اسمه مؤنس فولي البلد ولم يكن لأبي الوفاء فيه حيلة فعدل عنه وراسل رجلا من أعيان البلد اسمه أحمد بن عبيد الله واستماله فأجابه وشرع في استمالة الرعية الى أبي الوفاء فأجابوه الى ذلك وعظم أمره وأرسل الى مؤنس يطلب منه المفاتيح فلم يمكنه منعه لكثرة أتباعه فأنفذها اليه وسأله أن يطلب له الأمان فأرسل أحمد بن عبيد الله الى أبي الوفاء في ذلك فأمنه وأمن سائر أهل البلد ففتح له البلد وسلمه اليه وكان أبو الوفاء مدة مقامه على ميافارقين قد بث سراياه في تلك الحصون المجاورة لها ففتحها جميعها فلما سمع أبو تغلب بذلك سار عن آمد نحو الرحبة هو وأخته جميلة وأمر بعض أهله بالاستئمان الى أبي الوفاء ففعلوا ثم ان أبا الوفاء سار الى آمد فحصرها فلما رأى أهلها ذلك سلكوا مسلك أهل ميافارقين فسلموا البلد بالأمان فاستولى أبو الوفاء على سائر ديار بكر وقصده أصحاب أبي تغلب وأهله مستأمنين اليه فأمنهم وأحسن اليهم وعاد الى الموصل وأما أبو تغلب فانه لما قصد الرحبة أنفذ رسولا الى عضد الدولة يستعطفه ويسأله الصفح فأحسن جواب الرسول وبذل له اقطاعا يرضيه على أن يطأ بساطه فلم يجبه أبو تغلب الى ذلك وسار الى الشام الى العزيز بالله صاحب مصر

﴿ذكر فتح ديار مضر على يد عضد الدولة﴾

كان متولي ديار مضر لأبي تغلب بن حمدان سلامة البرقعيدي فأنفذ اليه سعد الدولة بن سيف الدولة من حلب جيشا فجرت بينهم حروب وكان سعد الدولة قد كاتب عضد الدولة وعرض نفسه عليه فأنفذ عضد الدولة النقيب أبا أحمد والد الرضي الى البلاد التي بيد سلامة فتسلمها بعد حرب شديدة ودخل أهلها في الطاعة فأخذ عضد الدولة لنفسه الرقة حسب ورد باقيها الى سعد الدولة فصارت له ثم استولى عضد الدولة على الرحبة وتفرغ بعد ذلك لفتح قلاعه وحصونه وهي قلعة كواشي وكانت فيها خزائنه وأمواله وقلعة هرور والملاسي وبرقي والشعباني وغيرها من الحصون فلما استولى على جميع أعمال أبي تغلب استخلف أبا الوفاء على الموصل وعاد الى بغداد في سلخ ذي القعدة ولقيه الطائع لله وجمع من الجند وغيرهم

﴿ذكر ولاية قسام دمشق﴾

لما فارق الفتكين دمشق كما ذكرناه تقدم على أهلها قسام وكان سبب تقدم قسام أن الفتكين قربه ووثق اليه وعول في كثير من أموره عليه فعلا ذكره وصيته وكثر أتباعه من الأحداث فاستولى على البلد وحكم فيه وكان القائد أبو محمود قد عاد الى البلد والياً عليه للعزيز فلم يتم له مع قسام أمر وكان لا حكم له ولم يزل أمر قسام على دمشق نافذا وهو يدعو للعزيز بالله العلوي ووصل اليه أبو تغلب بن حمدان صاحب الموصل منهزما كما ذكرناه فمنعه قسام من دخول دمشق وخافه على البلد أن يتولاه اما غلبة واما بأمر العزيز فلستوحش أبو تغلب وجرى بين أصحابه وأصحاب أبي

هرثمة أمان أخيك قال فلقنته الاستغفار وذكر الله فبينا نحن كذلك اذ فتح باب البيت فدخل علينا رجل عليه سلاح فاطلع في وجه محمد مستثبتا له فلما أثبته معرفة خرج وأغلق الباب واذا هو محمد الطاهري قال فعلمت أن الرجل مقتول وقد كان بقي علي من صلاتي الوتر فخفت أن أقتل معه ولم أوتر فقمت لأوتر فقال لي يا أحمد لا تبعد مني وصل بقربي فاني أجد وحشة شديدة فدنوت منه فقل ما لبثنا حتى سمعنا حركة الخيل ودق باب الدار ففتح الباب فاذا قوم من العجم بأيديهم السيوف مصلتة فلما أحس بهم محمد قام قائما وقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي في سبيل الله أما من حيلة أما من مغيث وجاؤا حتى قاموا على باب البيت الذي نحن فيه وجعل بعضهم يقول تقدم ويدفع بعضهم بعضا فأخذ محمد بيده وسادة وجعل يقول أنا ابن عم رسول الله أنا ابن

تغلب شئ من قتال فرحل أبو تغلب الى طبرية وورد من عند العزيز قائد اسمه الفضل فى جيش لحصر قساما بدمشق فلم يظفر به فعاد عنه وبقى قسام كذلك الى سنة تسع وستين وثلثمائة وسير من مصر أميرا الى دمشق اسمه سلمان بن جعفر بن فلاح فوصل اليها فنزل بظاهرها ولم يتمكن من دخولها وأقام فى غير شئ فنهى الناس عن حمل السلاح فلم يسمعوا منه ووضع قسام أصحابه على سلمان وقاتلوه وأخرجوه من الموضع الذى كان فيه وكان قسام بالجامع والناس عنده فكتب محضرا وسيره الى العزيز يذكر انه كان بالجامع عند هذه الفتنة ولم يشهدها وبذل من نفسه انه ان قصده عضد الدولة بن بويه أو عسكر له قاتله ومنعه من البلد فاغضى العزيز لقسام على هذه الحال لانه كان يخاف ان يقصد عضد الدولة الشام فلما فارق سلمان دمشق عاد اليها القائد أبو محمود ولا حكم له والحكم جميعه لقسام فدام ذلك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة كانت زلازل شديدة كثيرة وكان أشدها بالعراق وفيها توفى القاضى أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى النحوى مصنف شرح كتاب سيبويه وكان فقيها فاضلا مهندسا منطقيا فيه كل فضيلة وعمره أربع وثمانون سنة وولى بعده أبو محمد بن معروف الحاكم بالجانب الشرقى ببغداد

﴿ثم دخلت سنة تسع وستين وثلثمائة﴾

﴿ذكر قتل أبى تغلب بن حمدان﴾

فى هذه السنة فى صفر قتل أبو تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان وكان سبب قتله انه سار الى الشام على ما تقدم ذكره ووصل الى دمشق وبها قسام قد تغلب عليها كما ذكرناه فلم يمكن أبا تغلب من دخولها فنزل بظاهر البلد وأرسل رسولا الى العزيز بمصر يستنجده ليفتح له دمشق فوقع بين أصحابه وأصحاب قسام فتنة فرحل الى نوى وهى من أعمال دمشق فأتاه كتاب رسوله من مصر يذكر ان العزيز يريد ان يحضر هو عنده بمصر ليسير معه العساكر فامتنع وترددت الرسل ورحل الى بحيرة طبرية وسير العزيز عسكرا الى دمشق مع قائد اسمه الفضل فاجتمع بابى تغلب عند طبرية ووعده عن العزيز بكل ما أحب وأراد أبو تغلب المسير معه الى دمشق فمنعه بسبب الفتنة التى جرت بين أصحابه وأصحاب قسام لئلا يستوحش قسام وأراد أحد البلد منه سلمان ورحل الفضل الى دمشق فلم يفتحها وكان بالرملة دغفل بن المفرج بن الجراح الطائى قد استولى على هذه الناحية وأظهر طاعة العزيز من غير ان يتصرف باحكامه وكثر جمعه وسار الى احياء عقيل المقيمة بالشام ليخرجها من الشام فاجتمعت عقيل الى أبى تغلب وسألته نصرتها وكتب اليه دغفل يسأله ان لا يفعل فتوسط أبو تغلب الحال فرضوا بما يحكم به العزيز ورحل أبو تغلب فنزل فى جوار عقيل فخافه دغفل والفضل صاحب العزيز وظنا أنه يريد أخذ تلك الاعمال ثم ان أبا تغلب سار الى الرملة فجمع الفضل العساكر من السواحل وكذلك جمع دغفل من أمكنه جمعه وتصاف الناس للحرب فلما رأت عقيل كثرة الجمع انهزمت ولم يبق مع أبى تغلب الا نحو سبعمائة رجل من غلمانه وغلمان أبيه فانهزم ولحقه الطلب فوقف يحمى نفسه وأصحابه فضرب على رأسه فسقط وأخذ أسيرا وحمل الى دغفل فأسره وكتفه وأراد الفضل أخذه وحمله الى العزيز بمصر فخاف دغفل ان يصطنعه العزيز كما فعل بالفتكين ويجعله عنده فقتله فلامه الفضل على قتله وأخذ رأسه وحمله الى مصر وكان معه أخته جميلة بنت ناصر الدولة وزوجته وهى بنت عمه سيف الدولة فلما قتل حملهما بنو عقيل الى حلب الى سعد الدولة بن سيف الدولة فأخذ أخته وسير جميلة الى الموصل فسلمت

الى

هرون الرشيد أنا أخو المأمون الله الله فى دمى فدخل عليه رجل منهم مولى لطاهر فضربه ضربة فى مقدم رأسه وضرب محمد وجهه بالوسادة التى كانت فى يده واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده فصاح بالفارسية قتلنى الرجل فدخل منهم جماعة فنخسه أحدهم بسيفه فى خاصرته وكبوه فذبحوه من قفاه وأخذوا رأسه ومضوا به الى طاهر وقد قيل فى كيفية قتله غير هذا وقد أتينا على التنازع فى ذلك فى الكتاب الاوسط وأتى بخادمه كوثر فنصب على باب من أبواب بغداد يعرف بباب الحديد نحو قطربل فى الجانب الغربى الى الظهر ودفنت جثته فى بعض تلك البساتين ولما وضع رأس الامين بين يدى طاهر قال اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير وحمل الرأس الى خراسان

الى أبي الوفاء نائب عضد الدولة فأرسلها الى بغداد فاعتقلت في حجرة في دار عضد الدولة

(ذكر محاربة الحسن بن عمران بن شاهين مع جيوش عضد الدولة)

في هذه السنة توفي عمران بن شاهين فجأة في المحرم وكانت ولايته بعد أن طلبه الملوك والخلفاء وبذلوا الجهد في أخذه وأعملوا الحيل أربعين سنة فلم يقدرهم الله عليه ومات حتف أنفه فلما مات ولي مكانه ابنه الحسن فتجدد لعضد الدولة طمع في أعمال البطيحة فجهز العساكر مع وزيره المطهر بن عبد الله فأمدهم بالاموال والسلاح والآلات وسار المطهر في صفر فلما وصل شرع في سد أفواه الانهار الداخلة في البطائح فضاع فيها الزمان والاموال وجاءت المدود وبثق الحسن بن عمران بعض تلك السدود فاعانه الماء فقلعها وكان المطهر اذا سد جانبا انفتحت عدة جوانب ثم جرت بينه وبين الحسن وقعة في الماء استظهر عليه الحسن وكان المطهر سريعا قد ألف المناجزة ولم يألف المصابرة فشق ذلك عليه وكان معه في عسكره أبو الحسن محمد بن عمر العلوي الكوفي فاتهمه بمراسلة الحسن واطلاعه على اسراره وخاف المطهر ان تنقص منزلته عند عضد الدولة ويشمت به أعداؤه كأبي الوفاء وغيره فعزم على قتل نفسه فأخذ سكينا وقطع شرايين ذراعه فخرج الدم منه فدخل فراشه فرأى الدم فصاح فدخل الناس فرأوه وظنوا ان أحدا فعل به ذلك فتكلم وكان بآخر رمق وقال ان محمد بن عمر أحوجني الى هذا ثم مات وحمل الى بلده كازرون فدفن فيها وأرسل عضد الدولة من حفظ العسكر وصالح الحسن بن عمران على مال يؤديه وأخذ رهائنه وانفرد نصر بن هرون بوزارة عضد الدولة وكان مقيما بفارس فاستخلف له عضد الدولة بحضرته أبا الريان أحمد بن محمد

(ذكر الحرب بين بني شيبان وعسكر عضد الدولة)

في هذه السنة في رجب سير عضد الدولة جيشا الى بني شيبان وكانوا قد أكثروا الغارات على البلاد والفساد وعجز الملوك عن طلبهم وكانوا قد عقدوا بينهم وبين أكراد شهرزور مصاهرات وكانت شهرزور ممتنعة على الملوك فأمر عضد الدولة عسكره بمنازلة شهرزور لينقطع طمع بني شيبان عن التحصن بها فاستولى أصحابه عليها وملكوها فهرب بنو شيبان وسار العسكر في طلبهم وأوقعوا بهم وقعة عظيمة قتل من بني شيبان فيها خلق كثير ونهبت أموالهم ونساؤهم وأسر منهم ثمانمائة أسير وحملوا الى بغداد

(ذكر وصول ورد الرومي الى ديار بكر وما كان منه)

في هذه السنة وصل ورد الرومي الى ديار بكر مستجيرا بعضد الدولة وأرسل اليه يستنصره على ملوك الروم ويبذل له الطاعة اذا ملك وحمل الخراج وكان سبب قدومه ان ارمانوس ملك الروم لما توفي خلف ولدين له صغيرين فملكا بعده وكان نقفور وهو حينئذ الدمستق قد خرج الى بلاد الاسلام فنكا فيها وعاد فلما قارب القسطنطينية بلغه موت ارمانوس فاجتمع اليه الجند وقالوا له انه لا يصلح للنيابة عن الملكين غيرك فانهما صغيران فامتنع فألحوا عليه فأجابهم وخدم الملكين وتزوج بوالدتهما ولبس التاج ثم انه جفا والدتهما فراسلت ابن الشمشقيق في قتل نقفور واقامته مقامه فأجابها الى ذلك وسار اليها سرا هو وعشرة رجال فاغتالوا الدمستق فقتلوه واستولى ابن الشمشقيق على الامر وقبض على لاون اخي الدمستق وعلى ورديس بن لاون واعتقله في بعض القلاع وسار الى اعمال الشام فاوغل فيها ونال من المسلمين ما أراد وبلغ الى طرابلس فامتنع عليه أهلها فحصرهم وكان لوالدة الملكين أخ خصي وهو حينئذ الوزير فوضع

الى المأمون في منديل والقطن عليه والاطلية فاسترجع المأمون وبكى واشتد تأسفه عليه فقال له الفضل بن سهل الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة فان محمدا كان يتمنى ان يراك بحيث رأيته فأمر المأمون بنصب الرأس في صحن الدار على خشبة وأعطى الجند وأمر كل من قبض رزقه ان يلعنه فكان الرجل يقبض ويلعن الرأس فقبض بعض العجم عطاءه فقيل له العن هذا الرأس فقال لعن الله هذا ولعن والديه وأدخلهم في كذا وكذا من أمهاتهم فقيل له لعنت أمير المؤمنين وذلك بحيث يسمعه المأمون منه وتغافل وأمر بحط الرأس وترك ذلك المخلوع وطيب الرأس وجعله في سفط ورده الى العراق مع جثته ورحم الله أهل بغداد وخلصهم مما كانوا فيه من الحصار والجزع والقتل ورثاه الشعراء وقالت زبيدة أم جعفر

أودى بالفين من لم يترك الناسا
فامنح فؤادك عن مقتولك الباسا
لما رأيت المنايا قد قصدن له

على ابن الشمشقيق من سقاه سما فلما أحس به أسرع العود الى القسطنطينية فمات فى طريقه وكان وردبن منير من أكابر أصحاب الجيوش وعظماء البطارقة فطمع فى الامر وكاتب أبا تغلب ابن حمدان وصاهره واستجاش بالمسلمين من الثغور فاجتمعوا عليه فقصد الروم فاخرج اليه الملكان جيشا بعد جيش وهو يهزمهم فقوى جنانه وعظم شأنه وقصد القسطنطينية فخافه الملكان فاطلقا ورديس بن لاون وقدماه على الجيوش وسيراه لقتال ورد فالتقيا واقتتلوا اقتتالا شديدا وطال الامر بينهما ثم انهزم ورد الى بلاد الاسلام فقصد ديار بكر ونزل بظاهر ميافارقين وراسل عضد الدولة وأنفذ اليه أخاه يبذل الطاعة والاستنصار به فأجابه الى ذلك ووعده به ثم ان ملكى الروم راسلا عضد الدولة واستمالاه فقوى فى نفسه ترجيح جانب الملكين وعاد عن نصرة ورد وكاتب أبا على التميمى وهو حينئذ ينوب عنه بديار بكر بالقبض على ورد وأصحابه فشرع يدبر الحيلة عليه واجتمع الى ورد أصحابه وقالوا له ان ملوك الروم قد كاتبوا عضد الدولة وراسلوه فى أمرنا ولا شك انهم يرغبونه فى المال وغيره فيسلمنا اليهم والرأى ان نرجع الى بلاد الروم على صلح ان أمكننا أو على حرب نبذل فيها أنفسنا فاما ظفرنا أو متنا كراما فقال ما هذا رأى ولا رأينا من عضد الدولة الا الجميل ولا يجوز ان ننصرف عنه قبل ان نعلم ما عنده ففارقه كثير من أصحابه فطمع فيه أبو على التميمى وراسله فى الاجتماع فاجابه الى ذلك فلما اجتمع به قبض عليه وعلى ولده وأخيه وجماعة من أصحابه واعتقلهم بميافارقين ثم حملهم الى بغداد فبقوا فى الحبس الى ان فرج الله عنهم على ما نذكره وكان قبضه سنة سبعين وثلثمائة

(ذكر عمارة عضد الدولة بغداد)

فى هذه السنة شرع عضد الدولة فى عمارة بغداد وكانت قد خربت بتوالى الفتن فيها وعمر مساجدها وأسواقها وأدر الاموال على الائمة والمؤذنين والعلماء والقراء والغرباء والضعفاء الذين يأوون الى المساجد والزم أصحاب الاملاك الخراب بعمارتها وجدد ما دثر من الانهار وأعاد حفرها وتسويتها وأطلق مكوس الحجاج وأصلح الطريق من العراق الى مكة شرفها الله تعالى واطلق الصلات لاهل البيوتات والشرف والضعفاء المجاورين بمكة والمدينة وفعل مثل ذلك بمشهد على والحسين عليهما السلام وسكن الناس من الفتن وأجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والنحاة والشعراء والنسابين والاطباء والحساب والمهندسين وأذن لوزيره نصر بن هرون وكان نصرانيا فى عمارة البيع والديرة واطلاق الاموال لفقرائهم

(ذكر وفاة حسنويه الكردى)

فى هذه السنة توفى حسنويه بن الحسين الكردى البرزيكانى بسرماج وكان أميرا على جيش من البرزيكان يسمون البرزينية وكان خالاه ونداد وغانم ابنا أحمد أميرين على صنف آخر منهم يسمون العيشانية وغلبا على اطراف نواحى الدينور وهمذان ونهاوند والصامغان وبعض اطراف اذربيجان الى حد شهرزور نحو خمسين سنة وكان يقود كل واحد منهما عدة ألوف فتوفى غانم سنة خمسين وثلثمائة وكان ابنه أبو سالم ديسم بن غانم مكانه بقلعته قسنان الى ان أزاله أبو الفتح ابن العميد واستصفى قلاعه المسماة قسنان وغانم اباذ وغيرهما وتوفى ونداد بن أحمد سنة تسع وأربعين فقام مقامه ابنه أبو الغنائم عبد الوهاب الى ان أسره الشاذنجان وسلموه الى حسنويه فاخذ قلاعه واملاكه وكان حسنويه محمود السيرة حسن السياسة والسيرة ضابطا لامره ومنع أصحابه من التلصص وبنى قلعة سرماج بالصخور المهندمة وبنى بالدينور جامعا على هذا البناء

أصبن منه سواد القلب والراسا
فبت منكا ارعى النجوم له
اخال سنته فى الليل قرطاسا
والموت كان به والهم قارنه
حتى سقاه التى أودى بها الكاسا
رزئته حين باهيت الرجال به
وقد بنيت به للدهر آساسا
فليس من مات مردودا لنا أبدا
حتى يرد علينا قبله ناسا
ورثته زوجته لبابة ابنة على بن المهدى ولم يكن دخل بها فقالت
ابكيك لا للنعيم والانس
بل للمعالى والسيف والترس
ابكى على سيد فجعت به
ارملنى قبل ليلة العرس
يا مالكا بالعراق مطرحا
خانته أشراطه مع الحرس
ولما قتل محمد دخل الى زبيدة بعض خدمها فقال ما يجلسك وقد قتل أمير المؤمنين محمد فقالت ويلك وما اصنع فقال تخرجين فتطلبين بثاره كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان فقالت اخسأ لا أم لك ما للنساء وطلب الثار ومنازلة الابطال ثم أمرت بثيابها فسودت ولبست مسحا من شعر ودعت بدواة وقرطاس وكتبت الى المأمون

وكان كثير الصدقة بالحرمين الى ان مات فى هذه السنة وافترق أولاده من بعده فبعضهم انحاز الى فخر الدولة وبعضهم الى عضد الدولة وهم أبو العلاء وعبد الرزاق وأبو النجم بدر وعاصم وأبو عدنان وبختيار وعبد الملك وكان بختيار بقلعة سرماج ومعه الاموال والذخائر فكاتب عضد الدولة ورغب فى طاعته ثم تلون عنه وتغير فسير عضد الدولة اليه جيشا فحصره وأخذ قلاعه وكذلك قلاع غيره من اخوته واصطنع من بينهم أبا النجم بدر بن حسنويه وقواه بالرجال فضبط تلك النواحى وكف عادية من بها من الاكراد واستقام أمره وكان عاقلا

﴿ذكر قصد عضد الدولة أخاه فخر الدولة وأخذ بلاده﴾

فى هذه السنة سار عضد الدولة الى بلاد الجبل فاحتوى عليها وكان سبب ذلك ان بختيار بن معز الدولة كان يكاتب ابن عمه فخر الدولة بعد موت ركن الدولة ويدعوه الى الاتفاق معه على عضد الدولة فاجابه الى ذلك واتفقا وعلم عضد الدولة به فكتم ذلك الى الآن فلما فرغ من اعدائه كابى تغلب وبختيار وغيرهما ومات حسنويه بن الحسين ظن عضد الدولة ان الامر ينصلح بينه وبين أخويه فراسل أخويه فخر الدولة ومؤيد الدولة وقابوس بن وشمكير فاما رسالته الى أخيه مؤيد الدولة فيشكره على طاعته وموافقته فانه كان مطيعا له غير مخالف وأما الى فخر الدولة فيعاتبه ويستميله ويذكر له ما يلزمه به الحجة وأما الى قابوس فيشير عليه بحفظ العهود التى بينهما فاجاب فخر الدولة جواب المناظر المناوى ونسى كبر السن وسعة الملك وعهد ابيه واما قابوس فاجاب جواب المراقب وكان الرسول خواشاده وهو من اكابر أصحابه فاستمال أصحاب فخر الدولة فضمن لهم الاقطاعات وأخذ عليهم العهود فلما عاد الرسول برز عضد الدولة من بغداد على عزم المسير الى الجبل واصلاح تلك الاعمال وابتدأ فقدم العساكر بين يديه يتلو بعضها بعضا منهم أبو الوفاء على عسكر وخواشاده على عسكر وأبو الفتح المظفر بن محمد فى عسكر فسارت هذه العساكر وأقام هو بظاهر بغداد ثم سار عضد الدولة فلقيه البشائر بدخول جيوشه همذان واستئمان العدد الكثير من قواد فخر الدولة ورجال حسنويه ووصل اليه أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وزير فخر الدولة ومعه جماهير أصحابه فانحل أمر فخر الدولة وكان بهمذان فخاف من أخيه وتذكر قتل ابن عمه بختيار فخرج هاربا وقصد بلد الديلم ثم خرج منها الى جرجان فنزل على شمس المعالى قابوس ابن وشمكير والتجأ اليه فامنه وآواه وحمل اليه فوق ما حدثت به نفسه وشركه فيما تحت يده من ملك وغيره وملك عضد الدولة ما كان بيد فخر الدولة همذان والرى وما بينهما من البلاد وسلمها الى أخيه مؤيد الدولة بويه وجعله خليفته ونائبه فى تلك البلاد ونزل الرى واستولى على تلك النواحى ثم عرج عضد الدولة الى ولاية حسنويه الكردى فقصد نهاوند وكذلك الدينور وقلعة سرماج وأخذ ما فيها من ذخائر حسنويه وكانت جليلة المقدار وملك معها عدة من قلاع حسنويه ولحقه فى هذه السفرة صرع وكان هذا قد أخذه بالموصل وحدث به فيها فكتمه وصار كثير النسيان لايذكر الشئ الا بعد جهد وكتم ذلك أيضا وهذا دأب الدنيا لاتصفو لاحد واتاه أولاد حسنويه فقبض على عبد الرزاق وأبى العلاء وأبى عدنان واحسن الى بدر بن حسنويه وخلع عليه وولاه رعاية الاكراد هذا آخر ما فى تجارب الامم تأليف أبى على بن مسكويه

﴿ذكر ملك عضد الدولة بلد الهكارية وما معها﴾

فى هذه السنة سير عضد الدولة جيشا الى الاكراد الهكارية من اعمال الموصل فأوقع بهم وحصر قلاعهم وطال مقام الجند فى حصرها وكان من بالحصون من الاكراد ينتظرون نزول الثلج

لخير امام قام من خير عنصر
وأفضل راق فوق أعواد منبر
ووارث علم الاولين وفخرهم
وللملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعينى تستهل دموعها
اليك ابن عمى مع جفونى ومحجرى
أصبت بادنى الناس منك قرابة
ومن زال عن كبدى فقل تصبرى
أتى طاهر لاطهر الله طاهرا
وما طاهر فى فعله بمطهر
فابرزنى مكشوفة الوجه حاسرا
وأنهب أموالى وأخرب أدؤرى
يعز على هرون ما قد لقيته
وما نالنى من ناقص الخلق أعور
فان كان ما اسدى لامر أمرته
صبرت لامر من قدير مقدر

فلما قرأ المأمون شعرها بكى ثم قال اللهم انى أقول كما قال أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه لما بلغه قتل عثمان والله ما أمرت ولا رضيت اللهم جلل قلب طاهر حزنا (قال المسعودى) وللمخلوع أخبار وسير غير ما ذكرنا قد أتينا عليها فى كتابنا فى

التر حل العساكر عنهم فقدر الله تعالى ان الثلج تأخر نزوله فى تلك السنة فأرسلوا يطلبون الامان فأجيبوا الى ذلك وسلموا قلاعهم ونزلوا مع العسكر الى الموصل فلم يفارقوا أعمالهم غير يوم واحد حتى نزل الثلج ثم ان مقدم الجيش غدر بهم وصلبهم على جانبى الطريق من معلثايا الى الموصل نحو خمسة فراسخ وكف الله شرهم عن الناس

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ورد رسول العزيز بالله صاحب مصر الى عضد الدولة برسائل اداها وفيها اقبض عضد الدولة على محمد بن عمر العلوى وأنفذ الى فارس وكان سبب قبضه ما تكلم به المطهر فى حقه عند موته وارسل الى الكوفة فقبض امواله فوجد له من المال والسلاح والذخائر مالا يحصى واصطنع عضد الدولة أخاه أبا الفتح أحمد وولاه الحج بالناس وفيها تجددت وصلة بين الطائع لله وبين عضد الدولة فتزوج الطائع ابنته وكان غرض عضد الدولة ان تلد ابنته ولدا ذكرا فيجعله ولى عهده فيكون الخلافة فى ولد لهم فيه نسب وكان الصداق مائة ألف دينار وفيها كانت فتنة عظيمة بين عامة شيراز من المسلمين وبين المجوس نهبت فيها دور المجوس وضربوا وقتل منهم جماعة فسمع عضد الدولة الخبر وسير اليهم من جمع كل من له اثر فى ذلك وضربهم وبالغ فى تأديبهم وزجرهم وفيها ارسل سرية الى عين التمر وبها ضبة بن محمد الاسدى وكان يسلك سبيل اللصوص وقطاع الطريق فلم يشعر الا والعساكر معه فترك أهله وماله ونجا بنفسه فريدا وأخذ ماله وأهله وملكت عين التمر وكان قبل ذلك قد نهب مشهد الحسين صلوات الله عليه فعوقب بهذا وفيها اقبض عضد الدولة على النقيب أبى أحمد الحسين الموسوى والد الشريف الرضى وعلى أخيه أبى عبد الله وعلى قاضى القضاة أبى محمد وسيرالى فارس واستعمل على قضاء القضاة أبا سعد بشر بن الحسين وهو شيخ كبير وكان مقيما بفارس واستناب على القضاء ببغداد وفيها توفى أبو عبد الله أحمد بن عطاء بن أحمد بن محمد بن عطاء الروذبارى الصوفى بنواحى عكا وكان قد انتقل من بغداد الى الشام وفيها فى ذى الحجة توفى محمد بن عيسى بن عمرويه أبو أحمد الجلودى الزاهد راوى صحيح مسلم عن ابن سفيان ودفن بالحيرة فى نيسابور وله ثمانون سنة (الجلودى بفتح الجيم وقيل بضمها وهو قليل والحيرة بكسر الحاء المهملة وبالراء المهملة وهى محلة بنيسابور) وفيها توفى أبو الحسين أحمد بن زكريا بن فارس اللغوى صاحب كتاب المجمل وغيره وله شعر فمن ذلك قوله قبل وفاته بيومين

يارب ان ذنوبى قد أحطت بها * علما وبى وباعلانى واسرارى
أنا الموحد لكنى المقر بها * فهب ذنوبى لتوحيدى واقرارى

وفيها توفى أبو الحسن ثابت بن ابراهيم الحرانى المتطبب الصابى ومولده بالرقة سنة ثلاث وثمانين ومائتين وكان عارفا حاذقا فى الطب

﴿تم الجزء الثامن من تاريخ الكامل ويليه الجزء التاسع أوله ثم دخلت سنة سبعين وثلثمائة﴾

اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط والله سبحانه ولى التوفيق

﴿ذكر خلافة المأمون﴾

وبويع المأمون عبد الله ابن هرون وكنيته أبو جعفر وامه باذغيسية واسمها مراجل وقيل كنيته أبو العباس وهو ابن ثمان وعشرين سنة وشهرين وتوفى بالبليدون على عين القشيرة وهى عين يخرج منها النهر المعروف بالبديدون وقيل ان اسمها بالرومية أيضارقة وحمل الى طرسوس فدفن بها على يسار المسجد سنة ثمانى عشرة ومائتين وهو ابن تسع وأربعين سنة فكانت خلافته احدى وعشرين سنة منها أربعة عشر شهرا كان يحارب أخاه محمد بن زبيدة على ما ذكرنا وقيل سنتان وخمسة أشهر وكان أهل خراسان فى تلك الحروب يسلمون عليه بالخلافة ويدعى له على المنابر فى الامصار والحرمين والكور والسهل والجبل مما حواه طاهر وغلب عليه ويسلم على محمد بالخلافة من كان ببغداد خاصة لا غيرها